الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر – باتنة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإسلامية

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

التكامل بين الدعوة والتزكية

من خلال حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وشرحها

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصص: دعوة وإعلام

إعداد الطالب:

عبد الباسط دردور

إشراف:

أ.د.أحمد عيساوي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. مسعود فلوسي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة باتنة
أ.د. أحمد عيساوي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة باتنة
أ.د ساعد خميسي	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة منتوري – قسنطينة
أ.د. عبد الوهاب فرحات	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة
أ.د. العربي بن الشيخ	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة باتنة
أ.د عبد المنعم القاسمي	أستاذ محاضر (أ)	عضوا مناقشا	جامعة ورقلة

السنة الجامعية 1434-1435هـ/2014-2015م

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .....

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت يا رب العالمين .....

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وحسن أخلاقنا بالحلم، وسهل لنا أبواب فضلك، وانشر علينا من خزائن رحمتك، يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين

آمين

قال الله تعالى

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ (*) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (*) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِين (*) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(*) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (*) ﴾ **سورة آل عمران الآية 144–148.**

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))

حديث قدسي رواه البخاري

إهـــداء

إلى سيد الدعاة المصطفى الأكرم صلى الله عليه وسلم

إلى الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله من بعده لإنقاذ البشرية

إلى سيدي الوالد الذي نبهنا على القيمة العالية للكتاب محل التحقيق والدراسة أمده الله برحماته الواسعة وبعفوه الكريم

إلى الوالدة الكريمة متعها الله بالصحة والعافية وطول العمر

و رزقنا برها ورضاها

إلى أولادي الأعزاء: مرة، ومحمد، ورحمة. وإلى الزوجة الفاضلة الكريمة التي طالما صبرت لأجل توفيرالظروف المناسبة في فترات استغراقي الطويلة لإنجاز هذا البحث

وإلى أسرتي إخوة وأخوات الذين طالما يمدونني دائما بالعون والمساعدة طوال مراحل دراستي

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل العلمي المتواضع

الشكر والثناء والعرفان

أتقدم من الأعماق بجزيل الشكر والثناء والعرفان، وخالص التقدير إلى من أفاد هذا البحث عن قريب أو بعيد، أو غمره باهتمامه ورعايته، وأخص بالذكر منهم أول من أدخل على الباحث فرحة الحصول على النسخة المخطوطة من الكتاب السيد:سعد السعود شخاب من مدينة بسكرة، كما ساهم بإمداد الباحث بوثائق أساسية ومهمة أفادت البحث، كما أتقدم بالشكر للسيد:شكري بن حسين الذي تجشم معي عناء السفر عدة مرات إلى كل من مدينة بسكرة والخنقة وطولقة وخنشلة في جولات للتعرف والاتصال بالمثقفين والأعيان لجمع المعلومات الشفهية المتوارثة حول موضوع الدراسة، مع الشكر الجزيل والعرفان بالجميل للسيد: عبدالغني بن حسين الذي يحفظ ويروي أخبار الخنقة قيدما وحديثا عن كبارئها الذين صاحبهم وعايشهم، حيث أمدني بكثير من المعلومات التي لا نعثر عليها فيما كتب عن الخنقة، أتمنى له الشفاء العاجل مما ألم به من مرض، عافاه الله من كل بأس، كما أخص بالشكر في هذا الصدد السيد منذر حفيظي الذي روى لي الكثير من الأخبار الشفهية التي حفظها رواية عن والده عن جده الشيخ الطيب حفيد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وقد أفادت تلك الأخبار في إثراء البحث، كما أشكره ثانيا على إتاحته للباحث توسيع دائرة البحث بحكم علاقات القرابة بأبناء وأحفاد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وكذلك أحفاد الشيخ محمد بن عزوز الذين استقروا بتونس، حيث قمت برفقته إلى زيارة كل من الخنقة، وإلى فركان ونقرين بتبسة، وإلى تمغزة وتوزر ونفطة بالجريد التونسي، وإلى تونس العاصمة، حيث جمع الباحث خلال تلك الجولات كما معتبرا من الوثائق والمادة العلمية التي تعتبر رصيدا ورافدا علميا لدى الباحث، كما لا يفوتني أن أتقدم بالثاء والشكر للسيد عبدالكريم بن عزوز ونجله محمد الأمين، على إفادتهما الباحث بالمعلومات وبالقصائد المخطوطة لجدهم سيدي التارزي أحد تلاميذ الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، كما أشكر السيد عبد اللطيف بن عمارة الذي حبس نفسه عن طيب خاطر طيلة شهر رمضان المبارك لسنة 2012م لأجل مساعدتي على مقابلة النسخة المخطوطة من الكتاب بالنسخة المطبوعة طباعة حجرية، كما أتقدم أيضا بالشكر والثناء الجزيل للسيد عبدالحفيظ رماضنة رحمه الله القائم على زاوية بن رمضان الرحمانية ببسكرة ونجله السيد عبد الهادي بوضع مكتبة الزاوية ومخطوطاتها في خدمة الباحث، والثناء الجميل والشكر الجزيل موصول لكل من الشيخ:عمردردور رحمه الله، والشيخ محمودعبدالسلام حفظه الله ورعاه وأمده بالصحة والعافية، اللذين كانت لهما عَلَيَّ أنصع الأيادي إرشادا ونصحا وتوعية وتصويبا، بتصحيح وضبط وتشكيل النصوص، والشكر الجزيل والثناء الوافر موصول أيضا إلى المشرف على الأطروحة السيد: أ.د/أحمد عيساوي، الذي امتاز التواصل معه باليسر والسهولة المصحوب بالجدية والحزم اللازم في مثل هذه الأعمال العلمية، فقدكان له اهتمام

متميز ورعاية خاصة بهذه الدراسة، حيث لم يألو جهدا بتنمية هذا البحث بالتصحيح والملاحظة والتوجيه نحو الأصوب من الأقوال والأصح من الآراء، وإليه يرجع الفضل لاستكمال ما بدأته مع الشيخين عمر دردور ومحمود عبد السلام، بتصحيح وتشكيل المتن والنص والتقدم بالبحث نحو الأفضل والأكمل، في انتظار ما تجود به ملاحظات المناقشين التي لا شك سوف تدفع بالبحث إلى طور آخر من أطوار الكمال شكلا ومضمونا. لهم الشكر والتقدير والثناء سلفا.

المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

لما كانت أحكام الدين على قسمين : أحكام ظاهر، وأحكام باطن، فقد ظهرت على أسلافنا من علماء الجزائر عناية كبيرة بعلم الفقه – على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه – بنفس القدر الذي أولوه لعلم التزكية أو (التصوف السني) من العناية والاهتمام والحماس، والعمق والتمحيص في البحث والدراسة والتحليل، فألفوا مصنفات بديعة، ومدونات قيمة في العلمين، وظهر فيهم عدد كبير من العلماء الجهابذة شيوخ الفقه وغيره من علوم الشريعة، وكذلك من العارفين بالله والدعاة إليه، أقطاب التصوف والتزكية، وشيوخ التربية الروحية، بل استطاع عدد منهم أن يبرز في المجالين معا في نفس الوقت.وهكذا صارت المنظومة الفكرية في الجزائر والمغرب العربي عموما تتأسس على ثلاثة عناصر كبرى هي: العقيدة الأشعرية، والفقه على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وطريقة التصوف السلوكي السني على نهج الصوفية الأوائل، وعلى رأسهم أبو القاسم الجنيد القواريري رضي الله عنه ؛ هذه العناصر التي أجملها الإمام عبد الواحد ابن عاشر في مقدمة منظومته الشهيرة (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) بقوله :

في عقد الأشعري وفقه مالك * وفي طريقة الجنيد السالك

وهي العناصر نفسها التي شكلت مصدر قوة أهل الجزائر ووحدتهم عبر التاريخ إلى وقت قريب.

وفي هذا الصدد تأتي هذه الأطروحة التي تعالج قضية التكامل بين الدعوة والتزكية من خلال الدراسة والتحقيق، ويأتي هذا المصنف كونه من أهم الكتب التي ألفت بقصد تجسيد هذه اللحمة المذكورة بين علمي الدعوة إلى الله وعلم التزكية، والتكامل الشديد بينهماوكونهمن أهم كتب التراث الجزائري الذي يؤكد أهمية اللحمة بين ممارسة العمل الدعوي الناجح والتزكية، عنوان الكتاب: **[شرح الحكم المسماة بغاية البداية في سر حكم النهاية]**، الحكم من تأليف أحد أقطاب التصوف وأحدكبار شيوخ الطريقة الرحمانية الخلوتية في الجزائر، العالم المجاهد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي (

1789م/1850م). المصنف عبارة عن مجموعة حكم تتألف من مائتي وثلاث عشرة حكمة [213] بما فيها الدعاء والمناجاة، وهذه الحكم ألفها صاحبها على منوال الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري المعروفة. أما موضوع هذه الحكم يتعلق بعدة مباحث ومسائل في التربية الروحية والسلوكيةلأجل تزكية النفس لتتحقق بقوله تعالى (قد أفلح من زكاها)ولتكون مؤهلة بعد ذلك للقيام بالدعوة إلى الله على هدى وبصيرة لا تبغي من وراء ذلك إلا وجه الله، ومن هنا تبرز ضرورة وأهمية التكامل بين كل من الدعوة والتزكية الذي يشكل إهماله في أدبيات السلوك الدعوي المعاصر أحد المشكلات والعوائق التي تقف في طريق نجاح الدعوة.أما شارح هذه الحكم فهي لتلميذه العالم الفقيه الشيخ: محمد المكي بن الصديق(1802م/1849م) الذي كان شرحه شرحا مفيدا بارعا، مجتهدا في توضيح مقاصد الحكم ودلالاتها والتي هي مَثَلٌ عال للفكر الصوفي النقي الخالص من الشوائب، والمتلائم مع الكتاب والسنة، والمتوائم مع أقوال الصحابة وسلوكهم. ولأنها تخاطب وجدان المسلم وتسموا بروحه وتطهر نفسه وتعلو بها إلى أسمى درجات النقاء والطهر والكمال الروحي، وتخلصه من المادية الجشعة البغيضة.

بالنسبة للدراسات السابقة لهذا الموضوع من خلال هذا المصنف، فإنه لا توجد تحقيقات ودراسات وأبحاثتناولت الجوانب العلمية من هذه الشخصية، أوالبحث فيما خلفه من كتابات ومصنفات، حيث نجد أن أغلب الكتابات التي تناولت هذه الشخصية اقتصرت على جوانبها الجهادية وبطولاته العسكرية، دون البحث العلمي والأكاديمي الذي يغطي الجوانب الأخرى العلمية منها والتربوية والسلوكية منها والدينية، لذلك نجد المؤلفين الذين تناولوا شخصية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي إما كتاب فرنسا العسكريين أو المؤرخين المهتمين بالكتابة عن المقاومة الشعبية أثناء احتلال فرنسا للأوراس، أو الكتابات الصحفية في بعض الجرائد والمجلات الوطنية بمناسبة الحديث عن هذه الفترة من تاريخ الجزائر ليس إلا. ولذلك كانت من أهم الأسباب الموضوعية التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع هو، إهمال البعد الصوفي السلوكي الذي أساسه التزكية في العمل الإسلامي المعاصر من جهة، ومن جهة أخرى إهمال البعد الدعوى في التصوف، وقد نبه إلى هذا الخلل في كلا البعدين، وأكد عليه العديد من العلماء المعاصرين العاملين في حقل الدعوة، و أكدوا أيضا على خطورة إهمال البعد الروحي في العمل الدعوي الذي يؤدي دائما إلى فشل العديد من المشاريع

الدعوية،كما أكدوا على أن العمل الإسلامي المعاصر يعاني من هذه المعضلة المتمثلة في القطيعة بين البعدين مما نجم عنه آثار سلبية وانحرافات خطيرة في الممارسة الدعوية في الفكر الإسلامي المعاصر خصوصا،ومن الأسباب الأخرى التي أدت بالباحث دراسة هذا الموضوع منها عدم الاهتمام الكافي والملح من قبل الباحثين بتحليل الأبعاد الدعوية للتصوف رغم تميزها وفعاليتها، وتاريخ الدعوة في نشر الإسلام في مختلف ربوع الدنيا شرقا وغربا خير دليل على ذلك.وكذلك عزوف أغلب الباحثين الجزائريين عن إحياء ودراسة التراث الجزائري من خلال ما تركه علماء الجزائر من مؤلفات ونصوص ومدونات وتجارب مفيدة لعدد من مجالات البحث والدراسة وخاصة الموضوع الذي نحن بصدد دراسته والبحث فيه .

وانطلاقا من أهمية هذا النوع من الدراسات والأبحاث في مجال الدعوة و الفكر وخاصة في التراث الجزائري الزاخر، وفي إطار الرسالة العلمية والحضارية التي يجب الاضطلاع بها، يقوم الباحث بهذا التحقيق والدراسة بهدف تيسير تداول مثل هذا النوع من الدراسات في الأوساط العلمية وتقريبها من القراء والباحثين للانتفاع بما احتوته من حقائق ومعارف جليلة،نافضا بذلك الغبار عن واحد من النصوص القيمة من تراثنا الجزائري التي سوف تثري الساحة العلمية،.كما تضيء لنا صفحات مشرقة وناصعة من التاريخ العلمي لعلمائنا، وتعرف بتاريخنا وتراثنا الزاخر الذي يوشك على الضياع بفعل التهميش والنسيان ...الخ .

ننتقل إلى عامل آخر في أهمية إخراج هذا الكتاب، الذي يعود إلى انعدام المخطوط الأم الأصل، وندرة النسخ المخطوطة الثانوية، التي تتمثل في النسخة المخطوطة بخط نجل الشارح وهو سيدي محمد المدني وذلك سنة 1909م كما هو موضح في الورقة الأولى من المخطوط دون الإشارة إلى أصل المخطوط الذي نسخ منه، مما يرجح احتمال نسخ هذه المخطوطة من النسخة المطبوعة طباعة حجرية التي هي سابقة في تاريخها عن المخطوط حيث طبعت سنة 1896م، وقد لاحظ الباحث ضياع الورقة الأولى من المخطوط مما يرشح إلى احتمال ضياع المخطوط أو جزء منه مع الوقت حيث يصعب جبره.

أما عن مجمل منهج عملي في هذه الأطروحة فقد قسمتها إلى قسمين، **القسم الأول**: يتعلق بالدراسة التي تناولت فيها أهمية هذه الدراسة ومدى ارتباط موضوعات المصنَّف وتكاملها بالدعوة وسلوك الدعاة في كل زمان، ولذا قامت في الفصل التمهيدي من هذه الدراسة، بتحديد مفهوم ودلالة المصطلحات ذات العلاقة، كمصطلح الدعوة، ومصطلح التزكية والتربية وكذلك الإشارة لبعض أمهات وسائل الدعوة والتزكية من خلال نصوص الكتاب، كالصلاة والذكر، والخوف والرجاء والصحبة، والمراقبة والمحاسبة، وفي الباب الأول من الدراسة تناولتالتعريف بخنقة سيدي ناجي وبدورها التاريخي والعلمي، ابتداء من مرحلة النشأة والتأسيس إلى مرحلة الازدهار والتطور، مع الترجمة لبعض المشاهير من العلماء الذين تخرجوا من الخنقة، ومكانة الخنقة ووظيفتها السياسية والإدارية إبان الحكم العثماني، ووضعها أثناء الاحتلال الفرنسي والثورة التحريرية، وحالتها المزرية بعد استقلال الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية، أما الباب الثاني من الدراسة تناولت فيه التعريف بمؤلف الحكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي طالبا وشيخا ومربيا وداعيا إلى الله، وعالما مؤلفا، ومجاهدا في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين،. إثر ذلك تناولت التعريف بشارح الحكم: تلميذه الفقيه النجيب الذي حاز بين أقرانه التقدم والسبق، الشيخ محمد المكي بن الصديق الخنقي، على قلة المعلومات عن حياة هذا الرجل وشخصيته العلمية، وعلى الرغم من شهرته ونبوغه. ثم ختمت هذا الباب بالتعريف بالحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وشروحها قديما وحديثا، وغيرها من الحكم لمناسبتها موضوع محل الدراسة،. أما **القسم الثاني**: من البحث المتعلق بالتحقيق، والذي اجتهدت في تقسيمه إلى جزئين، الجزء الأول: يتعلق بشرح الحكم، والجزء الثاني: يتعلق بشرح الدعاء والمناجاة. أما عن عمل الباحث في التحقيق، هو المقابلة بين النسخة الحجرية والمخطوطة. وختم ذلك بوضع فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأعلام.

القسم الأول

الفصل التمهيدي

توطئة.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه جزيلا جميلا دائما بدوام ملك الله وبعد.

أولا/ أهمية الدراسة.

تعيش الأمة عصرا ماديا شهوانيا صارخا؛ لم يسبق له مثيل فيما مضى من العصور، وهذا يقتضي منا أن نقابل هذا التيار المادي الجارف وتلك الشهوانية الهابطة، بفكر مكافئ وبحيوية روحية عالية، وبأشواق راقية، مع تأمين الشهوات المباحة. كما تعيش الأمة عصرا قلما يوجد فيه من يضبط نفسه على مقتضى الأدب الإسلامي الرفيع، مما يقتضي الحاجة الملحة إلى التربية النفسية الرفيعة، ومن ثَمَّ أصبحت الكتابة والبحث في ذلك ضرورية، ولا شك أن إهمال هذا البعد في حقل الدراسات الإسلامية الأكاديمية، وفي العمل الإسلامي المعاصر سواء من ناحية التنظير أو التخطيط أو السلوك، مما أدى إلى تدهور وفوضى وتداخل الحق بالباطل، فانطلقت بلا ضوابط ولا قيود، وبمفاهيم غامضة عن الدعوة يختلط فيها الهدم بالبناء، وأحيانا بمفاهيم خاطئة جَرَّتْ للأمة الكثير من الويلات. مما أدى ذلك إلى الشعور بالفراغ والخواء الروحي، وقد نَبَّهَ إلى هذا الخلل العديد من العلماء المعاصرين، وأكدوا على خطورة غياب البعد الروحي في العمل الدعوي، لأنه من أكبر المشكلات والعوائق التي تقف في نجاح أي مشروع من مشاريع أي دعوى، وقد نجم عن هذا الغياب انحرافات خطيرة في واقع الممارسة الدعوية في الفكر الإسلامي المعاصر، ومن أمثال من نبه على هذا الخلل الشيخ: **محمد الغزالي**[1] في كثير من كتاباته ومحاضراته، وخاصة كتابه:[

---

[1] الشيخ محمد الغزالي عالم جليل وشيخ فاضل، داعية أديب مجاهد، صاحب فكر عميق وثقافة واسعة ومعرفة رحبة بالإسلام له أعظم الأثر في الدعوة الإسلامية في واقعنا المعاصر، ولد سنة 1335هـ/1917م، يعد واحدا من دعاة الإسلام العظام، ومن كبار رجال الإصلاح، تحصل على شهادة العالمية سنة 1943م، وبدأ رحلته الدعوية في مساجد القاهرة، نال شهرة عظيمة لإخلاصه وفصاحته وبلاغته، شديد الحماسة للدعوة إلى الله والدفاع عن الإسلام وبيان حقائقه، يقدر علماء الأمة قديما وحديثا، ويرى أن عدم احترامنا لعلمائنا من أسباب سقوط حضارتنا، له أزيد من خمسين كتابا ترجم أغلبها إلى العديد من اللغات كالأنجليزية والتركية والفارسية والأوردية والإندونيسية، وغيرها.. توفي رحمه الله في الرياض سنة 1416هـ/1996م، ونقل إلى المدينة المنورة، حيث دفن في مقابر البقيع. ولزميلنا الدكتور مسعود فلوسي كتاب جيد عن حياته بعنوان: الشيخ محمد الغزالي غصن باسق في شجرة الخلود. **انظر في ترجمته:** يوسف القرضاوي: الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، دار الشروق، ط1، ص259، ومحمد عمارة: الشيخ محمد الغزالي الموقع الفكري والمعارك الفكرية – الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1992، ص24.

الجانب العاطفي في الإسلام]، وكذلك الشيخ:**سعيد حوى** وخاصة في كتبه الثلاثة: [مذكرات في منازل الصديقين والربانيين]، وكتابه:[المستخلص في تزكية الأنفس]، وكتاب: [تربيتنا الروحية]، هذه الكتب الثلاثة تستحق أن تضاف للمناهج الدراسية في حقل العلوم الإسلامية لاستدراك هذا الخلل العلمي والمنهجي، وممن اهتم بهذا الجانب أيضا الشيخ **أبو الحسن الندوي**[1] من خلال كتاباته وخاصة كتابه: [رجال الفكر والدعوة] في أربع أجزاء، وبخاصة عند تناوله حياة الشيخ سيدي **عبد القادر الجيلاني**[2] والإمام: **أبي حامد الغزالي**. والشيخ: **ولي الله الدهلوي**[3]...، وكذلك كتابات ومحاضرات الشيخ: **محمد سعيد رمضان البوطي** وخاصة كتابه:[الحكم العطائية شرح.وتحليل]،...

---

(1) اسمه علي أبو الحسن ابن علامة الهند ومؤرخها السيد: عبد الحي بن فخر الدين الحسني الشريف ، تولى تربيته وتعليمه بعد وفاة والده أمه وأخوه الأكبر، أخذ علوم اللغة العربية والدين على أجل علماء الهند، لقب بالندوي نسبة لندوة العلماء في دار العلوم التي دَرَسَ ودَرَّسَ.فيها. يعد الندوي من أكبر العلماء والمفكرين الدعاة الذين عرفهم العالم الإسلامي في القرن الماضي، له العديد من المؤلفات، في الأدب والرحلة والفكر والدعوة، ساهم بالعديد من الكتابات والأراء في الصحف والمجلات وبإلقاء المحاضرات والندوات، عضوا برابطة الجامعات الإسلامية وبمجمع اللغة العربية الأردني، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية، نال العديد من الجوائز والأوسمة الدولية والعالمية، توفي بالهند في يوم الجمعة من شهر رمضان سنة 1420هـ/1999م. **انظر** في ترجمته: معجم الأدباء الإسلاميين، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ومجلة الأدب الإسلامي العدد الخاص بالشيخ أبي الحسن الندوي، 26-27.

(2) عبد القادر الكيلاني أو عبد القادر الجيلاني (470هـ/561هـ). إمام صوفي وفقيه حنبلي لقبه أتباعه بـ [باز الله الأشهب] و [تاج العارفين] و [محيي الدين] و [شيخ الشيوخ]. وإليه تنسب الطريقة القادرية الصوفية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، اعتبره الشيخ أبو الحسن الندوي من المجددين في كتابه رجال الفكر والدعوة، قدم الجيلاني بغداد وأمضى بها ثلاثين عاما يدرس على علمائها علوم الشريعة أصولها وفروعها، جلس للوعظ والتدريس سنة 521هـ، واستطاع بالموعظة الحسنة أن يرد كثيرا من الحكام الظالمين عن ظلمهم، وأن يرد كثيرا من الضالين عن ضلالهم، حيث كان الوزراء والأعيان والأمراء يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثرا بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة آلاف من اليهود والمسيحيين. وبحسب بعض المؤرخين فإن الجيلاني قد تأثر بفكر الغزالي حتى أنه ألف كتابه [الغنية] على نمط كتاب [إحياء علوم الدين]. توفي ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561هـ ودفن في رواق مدرسته ببغداد وضريحه بها مشهود يزار إلى يومنا هذا. **انظر** في ترجمته: كتاب بهجة الاسرار ومعدن الانوار في مناقب الباز الاشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني ،تأليف علي بن يوسف الشطنوفي المنوفي 713هـ ، دراسة وتحقيق الدكتور / جمال الدين فالح الكيلاني ، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والفنون ، المغرب ، فاس ، 2014، ص 131.

(3) الشاه ولي الله الدهلوي المعروف بمسند الهند، عالم دين ومجدد، ولد بالهند سنة 1114هـ/1703م، والده هو الشيخ عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين، شارك في تقنين الفقه الإسلامي، الذي ظهر فيما بعد في صورة الفتاوى الهندية، كان من المبرزين في العلوم العقلية والنقلية، وكان حنفيا من أهل الطريقة النقشبندية، وتذكر كتب التراجم أن مناصب الإفتاء والقضاء كانت مختصة بأسرة الدهلوي في القرن السادس الهجري. تلقى الشيخ ولي الله علومه الأولى على يد والده الشيخ عبد الرحيم بالمدرسة الرحيمية، وبايع والده في سن الخامسة عشرة على الطريقة النقشبندية... من أشهر تلاميذ الدهلوي أنجاله الأربعة، ومنهم الشيخ مرتضى الزبيدي البلجرامي صاحب كتاب (إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين)، وغيرهم كثيرون. توفي رحمه الله عام

قد يستشكل البعض أو يستهين ويتساءل عن مدى أهمية التزكية في حياة المسلم، حيث ينسى أن الفطرة البشرية قابلة لأن تتمرغ بالنجاسات المعنوية كالشرك، وفي أوحال الشهوانية الخاطئة، وبأنواع من أخلاق البهائم والحيوانات، كما أن عند النفس قابلية لأن تنازع الربوبية صفات الكبرياء والجبروت والعظمة، ثم إن النفس تغشاها ظلمات وتلتبس عليها الأشياء، فلا ترى الحقائق كما هي، وبذلك فعندما يقال تزكية النفس يكون المراد تخليص النفس وتطهيرها مما ذكر من شهوانيتها وخطاياها، وحيوانيتها الهابطة، ومن منازعاتها صفات الربوبية، وتخليصها من جميع أنواع الظلمات، وإنما بعث جميع رسل الله لمثل ذلك، ولمن تبعهم واقتدى بهم من العلماء والدعاة والمربين

إن نظرة خاطفة متعمقة لحال المسلمين اليوم يمكن من خلالها إدراك مدى الحاجة العظيمة والماسَّة إلى إعادة تربية وتزكية وبناء أنفسنا، وتأسيسها على تقوى من الله ورضوان، وأن الحاجة إلى ذلك أصبحت أشد من الحاجة إلى الطعام والشراب والكساء. وذلك لعدة أسباب منها: فساد الزمان والإخوان، وضعف المعين، وقلة الناصر،وكثرة الفتن والمغريات وتنوعت أصناف الشهوات والشبهات، وكثرة مواقف الانتكاس في محيط العمل الإسلامي المعاصر، ثم إن المسؤولية من جهة ذاتية والتبعية فردية تفوت على الإنسان الحياة الباقية في الآخرة يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، ومن جهة أخرى فالداعية يريد أن يبني غيره، ومن عجز عن بناء نفسه وتزكيتها فهو عن بناء غيره أعجز، كما أن تزكية النفوس إلى جانب هذا وذاك تعتبر من مقومات الأمم، ومن العناصر الأساسية التي تبقيها قوية عزيزة، وتؤثر على قيام المجتمعات إيجابا وسلبا، لأن تزكية النفوس أصل تقوم عليه أوامر الله في النفس البشرية، والأخلاق الكريمة صلب جميع الشرائع والأديان، وقد صدق الشاعر أحمد شوقي إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ** فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولما كانت هذه الحقيقة سنة كونية ودينية فإن جميع المرسلينكما نص عليه القرآن الكريم بعثوا لأجل دعوة الناس لله وهدايتهم للخير، وتزكية نفوسهم، وبذل النصح لهم في كل ذلك. فالتعليم والتذكير والتزكية والنصيحة من مهمات الرسل. إلا أن تزكية النفس والدعوة من أهم مهمات الرسل، وهي هدف للمتقين، وبهما قوة الإسلام، وعليهما مدار النجاة والهلاك عند الله عز وجل، والسعادة أو الشقاء الأبدي يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ ﴾[1]. مما يدل

1176هـ/1762م. **انظر في ترجمته**: نزهة الخواطر (410/6)، ومشيخة العطار (ق155 وبعده) وتراجم علماء الحديث في الهند للنوشهروي (49/1 وبعده)

[1] النساء 131. **انظر**: حول وصية وخطاب كل من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وعيسى لأقوامهم بالتقوى في سورة الشعراء والأعراف والنازعات والزخرف وآل عمران وهذا ما سار عليه جميع الأنبياء والمرسلين كما في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم. وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ المؤمنون 51-25.

عليه كل من قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]. وقوله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾[2]. وقوله: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (*) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾[3]. ولذلك كان من دعائه ﷺ: ﴿ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا﴾[4]. مما يدل يقينا أن التقوى أصل من أصول التزكية، أو هي التزكية ذاتها كما هو واضح من نصوص القرآن والسنة.

ثم إن عدم اشتغال النقاد بتحليل الأبعاد الدعوية للتصوف – رغم تميزها وفعاليتها وتجاربها وخبرتها– أدى إلى عدم استثمار تلك التجارب والخبرات،وكذلك عزوف أغلب الباحثين الجزائريين والأكاديميين عن إحياء ودراسة التراث الجزائري من خلال ما تركه علماء الجزائر من مؤلفات ونصوص ومدونات وتجارب مفيدة لعدد من مجالات البحث والدراسة، جعل الباحث يخوض غمار هذه التجربة في البحث لعلها تفيد هذا النقص. والحقيقة أن الكتابة في هذا الموضوع أكبر بكثير مما يظنه الظانون، لأنه إن لم يؤد واجب البيان الصحيح يبقى للضلال سلطانه على النفوس بواسطة البيان الخاطئ ويبقى للمستغلين لقضايا الدعوة المجال لبلوغ تطلعاتهم ومطامحهم ومآربهم الشخصية. وبما أن هذا المصنف الذي نحن بصدد دراسته من أهم الكتب التي ألفت بقصد تجسيد هذه اللحمة المذكورة بين علمي الدعوة إلى الله وعلم التزكية، والتكامل الشديد بينهما، وذلك لأجل التأصيل لمنهج دعوي تربوي صوفي، يحرص على أن يكون المريد السالك إلى الله والداعية الذي يريد من عمله وجه الله، ملتزمين في كل أحوالهما أمر الشرع، مقتدين بالرسول الأعظم محمد ﷺ في حركاته وسكناته

ثانيا/ أهداف الدراسة.

إن تزكية النفوس والقلوب إنما تكون بالعبادات ونوع من الأعمال، إذا أدي ذلك على كماله وتمامه، فعندئذ يتحقق القلب بمعان تكون النفس بها مزكاة، ويكون لذلك آثاره وثمراته على الجوارح كلها، كاللسان والعين والأذن وبقية الأعضاء، وأظهر ثمرات النفس المزكاة حسن الأدب والمعاملة مع الله والناس. إذا فالتزكية لها وسائل كثيرة من مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والذكر والفكر وتلاوة القرآن، والتأملوالمحاسبة والمجاهدة وتذكر الموت...إذا أديت على كمالها وتمامها. ومن آثار ذلك أن يتحقق القلب

---

(1) الشمس 7-10.

(2) النجم 32.

(3) الليل 18.

(4) الحديث مرفوع رواه مسلم، رقم الحديث: 4905، نص الحديث: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ، كَانَ يَقُول:﴿ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ﴾ انظر: صحيح مسلم (4/ 2079)

بالتوحيد، والإخلاص والصبر والشكر والخوف والرجاء والحلم والصدق مع الله والمحبة له...، والتخلي عما يقابل ذلك من رياء وعجب وكبر وغرور، وغضب للنفس والشيطان...، وبذلك تتزكى الأنفس فتظهر ثمرات ذلك على الجوارح بضبطها على أمر الله ونهيه، وفي العلاقة مع الأهل والأسرة والجوار والمجتمع ومع الناس وسائر مخلوقات الله.

لكن الحاصل أن تزكية الأنفس يصيبها الضعف في الجيل بعد الجيل، مما يقتضي تجديدا مستمرا لها، وكما أنه في كل يوم توجد في هذه الأمة أنفس جديدة، فالتزكية ينبغي أن تطال هذه الأنفس، ولعل ضعف التزكية في عصرنا كان أكثر منه في أي عصر مضى، فاقتضى ذلك كلاما خاصا في التزكية، وكان هذا باعثا للباحث على الاشتغال والعمل في هذا الموضوع، واستخلاص أمهات معاني الدعوة والتزكية، من نصوص الحكم وشرحها التي نحن بصدد دراستها. ما يدل من خلالها أن موضوع الضعف في الحياة الروحية كان يلقي بظلاله في كل عصر، فالداء واحد وهو ما نواجهه بإلحاح وشدة في عصرنا وزماننا هذا. ففي قسم من موضوع الدراسة يكاد يكون من الدواء عولجت فيه مشكلات على عصر المؤلف والشارح، ويمكن أن تكون علاجا لكثير من مشكلات عصرنا في مجالي الدعوة والتزكية لا سيما من أبرزها الخواء الروحي وتغلب الأهواء والشهوات وحب الدنيا. وقد اجتهدت أن أستخلص منه من أمثال ذلك مما يصلح أن يكون دواء للكثير من أمراض العصر، بل كل عصر.

ولذلك نجد أن العلماء والمربين العاملين يواجهون حالات خطيرة، ولا سيما إذا كانت هذه الأمراض أيضا متفشية في وسط العمل الإسلامي المعاصر والتي لا تخفى على أحد، من أمثال: الحسد والعجب والغرور والغيبة والنميمة والكبر، وقسوة القلب، وسوء المعاملة...إلى غير ذلك من أمراض القلوب، مما زاد الوضع تعقيدا وتأزما[1]، لذلك كان لا بد من التفكير في إحياء المعاني القلبية في الدين، وفي تحلية النفس بأخلاق العبودية، وتخليتها من النزعات الحيوانية والشيطانية، وأصبح التركيز على هذه المعاني واجبا لأجل إصلاح حياة الأمة أفرادا وجماعات[2] وقد تنكبت الحركة الإسلامية المعاصرة هذا الطريق للإصلاح لأسباب موضوعية، لكن من الواجب عليها أن تستدرك ما فاتها، وفي هذا الصدد يقول سعيد حوى في كتابه المستخلص في تزكية الأنفس: (لقد واجهت الحركة الإسلامية المعاصرة ردة عن الإسلام تكاد تكون

---

(1) لقد تناولت دراسة ميدانية بعض هذه الآفات المذكورة كالغش والحسد والكبر وترك الصلاة...في صفوف طلبة الجامعات المصرية بما فيهم طلبة جامعة الأزهر، حيث توصلت الدراسة إلى ارتفاع نسبة هذه الآفات وخطورتها البالغة على مستوى الفرد والمجتمع، **راجع**: ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك، د. إبراهيم علي أحمد محمد خليل، دار السلام للطباعة والنشرالقاهرة، الطبعة الأولى 2010م

(2) ومما زاد هذا الأمر ضعفا، ندرة الاهتمام بهذه الجوانب في الدراسات والأبحاث الأكاديمية في الجامعات الإسلامية، مع أن النظريات الحديثة في علم النفس والاجتماع فتحت أفاقا واسعة لتحليل هذه الموضوعات ومعالجتها بآليات جديدة ومعاصرة تتناسب مع التطور الاجتماعي والفكري والثقافي المعاصر.

أخبث من الردة الأولى، فكان أن وجهت قواها العلمية والفكرية لإخراج الناس منها، ووجد بذلك تيار التجديد الإسلامي المعاصر..، فأطلق تيار التجديد في كل شيئ؛ فبقيت بعض المعاني مجملة، ومن ذلك ماهية السير القلبي والروحي إلى الله...، لقد غرقت الحركة الإسلامية المعاصرة في مرحلة من المراحل في الدفاع عن الإسلام والرد على الشبهات والهجوم على المتآمرين فشغلها ذلك عن بعض الواجبات ومنه الكتابة في هذه الشؤون بما يسع احتياجات المسلمين وأصناف الناس، وقد آن الأوان أن نتوجه لإحياء معاني التزكية، خاصة والحركة قد توسعت، وأنشطتها قد تشعبت، ووجهات النظر قد تعددت، مما يخشى منه أن تنطلق بعض الأمور بعيدا عما ينبغي، أو تضعف جذوة النور في القلوب، ومع أن كتب التراث مليئة بهذه المعاني، وبالإمكان اعتماد الكثير من الكتب الموثقة فيها...)[1].

ولعل الأبحاث المتعلقة بموضوع دراستنا هذه، هي في الغالب من العلوم المفروضة فرض عين عل كل مسلم ومسلمة، والتي تتأكد في عصرنا هذا الذي دب فيه الوهن والضعف أكثر من أي وقت مضى، لأن الإحياء الروحي هو المقدمة للتجديد الإنساني برمته، فما لم تزك الأنفس، ولا أدب مع الله ومع الخليقة، فلا جديد ولا تجديد. فكان أهم ما ينبغي أن ينصب عليه تعليم العلماء ووعظ الوعاظ وتربية المربين إصلاح القلوب وتحسين السلوك، إذ كانت مهمة رسل الله الكرام، التذكير والتعليم والتزكية، كما جاءت به نصوص القرآن الكريم. فالعالم الداعية يجب أن يرتب إلى جانب جلسات العلوم الدقيقة، جلسات التزكية، أو على الأقل دمج بعضها ببعض، ولذلك كانت أنجح الحركات الدعوية في التاريخ الإسلامي هي التي كانت تركز منذ البداية على تجديد الحياة الإيمانية والروحية في نفوس المسلمين، بتطهير قلوبها.من الرذائل وتحليتها بالفضائل والمحاسن، وعلى القلب مدار الاستقامة كلها وسعادة الدارين كما هو معلوم

وانطلاقا من أهمية هذا النوع من الدراسات والأبحاث في مجال الدعوة و الفكر والتراث الإسلامي الزاخر،وفي إطار الرسالة العلمية والحضارية التي يجب الاضطلاع بها، يقوم الباحث بهذا التحقيق والدراسة بهدف تيسير تداول مثل هذا النوع من الدراسات في الأوساط العلمية وتقريبها من القراء والباحثين للانتفاع بما احتوته من حقائق ومعارف جليلة، نافضا بذلك الغبار عن واحد من النصوص القيمة التي ستثري الساحة العلمية،كما تُضيء لنا صفحات مشرقة وناصعة من التاريخ العلمي لعلمائنا، وتعرف بتاريخنا وتراثنا الزاخر الذي يوشك على الضياع بفعل التهميش والنسيان ...الخ. هذا إلى جانب قيمة الكتاب في المجالات السلوكية التربوية والأخلاقية العالية القيمة الأدبية والفنية للحكم، فهي في تقديري من أعظم ما صنف في علم التصوف السني، وهي مثلٌ عالٍ للفكر الصوفي النقي الخالص من الشوائب، والمتلائم مع

[1] المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، دار السلام القاهرة، الطبعة السابعة عشر 2011م. ص:8-9.

الكتاب والسنة، والمتوائم مع أقوال الصحابة وسلوكهم. ولأنها تخاطب وجدان المسلم وتسمو بروحه وتطهر نفسه وتعلو بها إلى أسمى درجات النقاء والطهر والكمال الروحي، وتخلصه من المادية الجشعة البغيضة.

إننا نادرا ما نجد كمالا في النفس أو إحسانا في السلوك، أو قدرة على التعامل أو نجاحا لمشاريع الأمة الحضارية والدعوية إلا إذا وجدت تربية إسلامية صافية، ذلك لأن مفتاح النفس البشرية؛ إنما هو في هذه التربية وأصولها وقواعدها، ولأن للتصوف السني التخصص والتفرغ لتربية النفس وتزكيتها على منهج رسول الله ﷺ، وقد تفطن السادة الصوفية لما لم يتفطن له غيرهم من علماء الأمة، حيث قامت لهم من التجارب الثرية في كل عصر لامتلاكهم منهج العلم الذي تتهذب به النفوس البشرية، إنْ في علاقتهم مع الله عز وجل، أو فيما سوى ذلك من القدرة على التعامل مع الناس، طبقا للكتاب والسنة، فعندما تقرأ في القرآن والسنة الشريفة تجد كلاما كثيرا عن القلب والإيمان والذوق وأمراض القلوب ودواء هذه الأمراض، وتجد كلاما عن صمم القلب وعماه، وعن سلامته وسقمه وعن تقواه وفسوقه، وعن النفس البشرية عن زكاتها وعن فجورها، وأمثال هذه المعاني، وقد سجل علماء المسلمين كل ما له علاقة بهذه المعاني وهذه القضايا ضمن سجل خاص، ومن بين هذه السجلات موضوع بحثنا المتعلق بالتحقيق والدراسة لمخطوط يتناول فيه صاحبه عدة مسائل في التربية الروحية والسلوكية لأجل تزكية النفس لتتحقق بقوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ لتكون مؤهلة بعد ذلك للقيام بالدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، لا تبغي من وراء ذلك إلا وجه الله. ومن هنا تبرز ضرورة وأهمية التكامل بين كل من الدعوة والتزكية، الذي يشكل إهماله في أدبيات السلوك الدعوي المعاصر أحد المشكلات والعوائق التي تقف في طريق نجاح الدعوة.

ثالثا/ التعريف بالمخطوط.

المخطوط عبارة عن شرح للحكم التي ألفها الشيخ المربي والعالم الرباني المجاهد عبد الحفيظ الخنقي على منوال حكم [ابن عطاء الله السكندري]، سماها: [**غاية البداية في سر حكم النهاية**]، من طرف تلميذه العالم الفقيه الشيخ [محمد المكي بن الصديق]، وكان فعلا شرحا بارعا مفيدا قال عنه علماء الزيتونة بتونس:(إن الشرح كاد يفوق النص)[1]. وقد كان للباحث أول اهتمام بهذا الكتاب عندما أمرنا الوالد

---

[1] عن الشيخ نور الدين بلمكي (1915م/2010م) ، إمام وخطيب جامع سيدي المبارك بالخنقة، حفيد صاحب الشرح المذكور. والحقيقة أن كلامهم هذا مبالغة في الإعجاب بالشرح وتجوز، لأن الشارح نفسه أشاد من خلال مقدمته على شرح الحكم وفي ثنايا الشرح أيضا على علو قدم شيخه، واعترافه بقلة باعه وبضاعته في العلمين وعدم بلوغه ما تضمنته عبارات المؤلف. **انظر**: مقدمة الشارح على الحكم. وهذا في تقديري تواضعا من الشارح وتأدبا مع أستاذه وشيخه وولي نعمته، وقد لاحظت أثناء قراءة = =وتصحيح الكتاب بمعية الشيخ محمود عبد السلام قوله: الشرح قوي مثل المتن حتى أني لا أكاد أن أفرق في بعض الأحيان بين الشرح والمتن. وهذه الملاحظة تدل على قوة الشرح ومتانته وعلو كعب صاحبه. ويكفي في هذا الصدد القول: بأن هذا الشبل من ذاك الأسد.

رحمه الله بجمع أوراق الكتاب المتناثرة في المكتبة هنا وهناك بجمعها وترتيبها والمحافظة عليه بتجليده، منذ ذلك الوقت أخذت بتصفحه من حين لآخر فكانت تشدني عباراته وموضوعاته أكثر فأكثر، وأثناء مكوثي بالقاهرة للدراسة كنت أتردد عل مكتبة فرع المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والذي كان يديره آنا ذاك الدكتور: **علي جمعة**[1] حيث أطلعته على هذا الكتاب لأخذ رأيه في إمكانية جعله موضوعا للبحث والدراسة العلمية، حيث أبدى إعجابه به، وكان يعتقد كغيره من المشارقة أن ابن عطاء الله السكندري هو فقط من انفرد بتأليف الحكم، واحتفظ لنفسه بنسخة من هذا الكتاب، ومن ثم زادت رغبة الباحث في الاهتمام بهذا الكتاب وجعله موضوعا لرسالة الماجستير، إلا أن الأمر تعذر من الناحية العلمية، لأن لدى الباحث نسخة يتيمة من الكتاب مطبوع طباعة حجرية بالمطبعة الرسمية بتونس سنة 1896م، فبدأت في رحلة البحث عن المخطوط الأصلي في مظان وجوده، سواء بالبحث عنه في المكتبات العامة، أو في كتب فهارس المخطوطات، أو بزيارة أصحاب المكتبات الخاصة، كلها باءت بالفشل دون الوصول إلى أصل المخطوط. فعدلت عنه إلى موضوع آخر لرسالة الدكتوراه، وفي أثناء زيارتي الأخيرة [لخنقة سيدي ناجي][2] دلني السيد عبد الغني بن حسين على السيد سعد السعود شخاب من مدينة بسكرة يحتمل أن يفيدني في الوصول إلى المخطوط، وبعد اتصالي به قال: بأن لديه نسخة مصورة من المخطوط الأصل الموجود لدى الشيخ **نور الدين بلمكي** إمام وخطيب جامع سيدي المبارك بالخنقة (1917-2010)، والمقيم بمدينة خنشلة، اتصلت بهذا الأخير عدة مرات دون جدوى في الحصول على المخطوط،وبتيسير من الله وتوفيقه وجدت المخطوط الأصل أثناء زيارتى الأخرى للخنقة بمتحف صغير أنشئ حديثا بالخنقة القديمة، إلا أن المخطوط يفتقد للورقة الأولى منه التي سرقت أثناء عرض المخطوط في إحدى المعارض في الجزائر، وقد استكملت الورقة الناقصة من النسخة المصورة لدى الباحث من طرف السيد سعد السعود شخاب، في هذا الصدد أريد أن أشير إلى فائدة نشر العلم و مدى خطورة وجرم كتمانه[3]، إذ لولا تلك النسخة

---

(1) ولد د. علي جمعة بمحافظة بني سويف بمصر سنة 1952م، مفتي للديار المصرية بين عامي 2003-2013م، اشتهر بالعديد من الفتاوي الدينية والآراء المثيرة للجدل، اختير عام 2009م من ضمن أكثر خمسين شخصية مسلمة تأثيرا في العالم حسب تقييم المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية بعمان في الأردن.. له العديد من الأنشطة العلمية منها إحياء دروس العلم في الجامع الأزهر على الطريقة القديمة، له أكثر من أربعين كتابا بين تحقيق وتأليف، أشرف على العديد من = الموسوعات العلمية، له العديد من الأبحاث والمقالات، مشارك في تحرير مجلات علمية ومشروعات علمية. **انظر** سيرته الذاتية المفصلة على موقعه على النت على الرابط التالي: (https://dralijuma.wordpress.com/about/)

(2) سوف يأتي التعريف بها لاحقا.

(3) يكفي في الوعيد عن هذا الفعل المشين ما جاء في الخبر: ((من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة))، وخاصة إذا كان من العلوم التي ينتفع بها دينا ودنيا، ويكفي ما جاء في ذلك من وعد ما يلحق صاحبه من الأجر بعد وفاته وانقطاعه عن الدنيا كما ورد في حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها علم ينتفع به، و لا شك أن من جملته التسهيل والإعانة على تحصيل العلم وتيسير سُبُلِهِ.

المصورة التي وجدها الباحث لدى السيد: سعد السعود شخاب في بسكرة لتعذر سد هذا النقص وربما ضاع المخطوط إلى غير رجعة، والسيد: **سعد السعود شخاب** رجل علم فاضل، باحث وأديب وشاعر من الخنقة، مقيم في مدينة بسكرة، من خريجي الدفعات الأولى لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وقد أفاد الباحث في بحثه خلال مسيرة البحث، حيث لم يبخل علي بأي معلومة أو تصوير وثيقة أو كتاب بحوزته دون إجراءات اللف أو الدوران كما يفعل الكثير ممن خبرت ممن يملكون الوثائق أو المصنفات التي يحتاجها الباحثون. جزاه الله عني خير الجزاء.

وشعورا بمسؤولية الباحث نحو تراثنا الثقافي والعلمي الذي يندثر يوما بعد يوم وبأهمية إبراز أعلام الجزائر المغمورين الذين لا يقلون شأنا عن علماء الإسلام في الشرق أو الغرب، قام الباحث بالتنازل عن موضوع الدكتوراه السابق الذي مر عليه ثلاث سنوات[1]، ليقوم ببعض من واجبات الوفاء لتراثنا الثقافي والعلمي وعلمائنا الأفذاذ الأجلاء، باتخاذ هذا المخطوط بالتحقيق والدراسة.حيث اعتمدت في عمل التحقيق على نسختين، النسخة الأولى المخطوطة التي رمزت لها (**مخ**)، نسخها **محمد المدني**[2] نجل الشيخ:[محمد المكي بن الصديق] صاحب الشرح وذلك سنة 1327**ه** الموافق لسنة 1909م، حيث لم يذكر الناسخ أي النسخة الأصل التي نسخ منها الكتاب. تتألف المخطوطة من 332 ورقة قياس 15/20سم بمعدل 21 سطر في الصفحة، تحتوي على شرح 213 حكمة بما فيها الدعاء والمناجاة، خطها نسخي واضح متوسط الإتقان، رسمها يختلف عن الرسم الحديث، من ذلك حذف الهمزة في آخر الكلمة مثل: البلاء تكتب (البلا)، السوء (السو) متبع لرسم القرآن كتنقيط القاف نقطة واحدة فوق الحرف، والفاء نقطة واحدة تحت الحرف، نصوص الحكم مكتوبة باللون الأحمر أما الشرح فمكتوب باللون الأسود، المخطوطة كاملة خالية من أي تقسيم أو تبويب وسليمة من أي نوع من التلف أو النقص، ماعدا بعض آثار الرطوبة الواضحة على بعض الأجزاء منها، وكذلك بعض الأوراق التي بها بقع سوداء من لطخ الحبر طمست بعض الكلمات، إلا أنها قليلة لم تعق كثيرا عملية التحقيق.

---

(1) موضوع الرسالة كان بعنوان: **المنهج الدعوي عند أبي الحسن الندوي**، إشراف الدكتور مسعود فلوسي، الذي أخبرته عن عدولي عن موضوع الرسالة إلى موضوع التحقيق بعد العثور على المخطوط، بحكم أنه أثناء شروعي بالبحث في الموضوع الأول فتر حماسي في الاستمرار فيه بحكم أن العديد من الدراسات تناولت بالدراسة جوانب كثيرة من شخصية الشيخ أبي الحسن الندوي، العلمية والدعوية والأدبية، وشعرت أن بحثي هذا تحصيل حاصل لا يضيف شيئا ذا بال في هذا المجال، وقد احترم المشرف اختاري هذا، وساهم في اختيار عنوان البحث للموضوع الجديد الذي اخترته وساعدني في وضع خطة أولية للمشروع، واستأذنته في اختيار مشرف جديد متخصص في التصوف لإثراء الموضوع. وتقبل الأمر بكل أريحية وسعة صدر، علما أن د. مسعود فلوسي قد أبدى لي رغبته في تحقيق هذا الكتاب أيام دراستنا بالجامعة، وقد عدل عن رغبته هذه عندما علم أنني راغب في دراسته وتحقيقه.

(2) سوف ترد ترجمته لاحقا.

النسخة الثانية من الكتاب عبارة عن نسخة مطبوعة طباعة حجرية بالمطبعة الرسمية بتونس سنة 1896م رمزت لها (**حج**) ليتم مقابلتها بالنسخة سالفة الذكر، وباعتبار أن الطبعة الحجرية سابقة في التاريخ على النسخة المخطوطة مما يجعل الاحتمال قائما أن تكون أصلا للنسخة المخطوطة في النسخ. وتزيد هذه النسخة الحجرية على كلمة في خاتمة الكتاب لمصحح دار الطباعة يعتذر على ما فاتهم في مقدمة هذا الكتاب من سهو لذكر شارح هذه الحكم البديعة، مع أنه العلامة المحقق والعمدة المدقق وارث أسرار صاحب الحكم، وتلميذه الحائز من بين أقرانه التقدم.

تلبية لوصية الشارح في مقدمته بقوله: (فعلى الواقف عليه أن يصلح ما وجده فيه من خلل، بشرط التثبت والتأني في العمل، إذ عسى أن تتقدم المرء شوائب العلل، فتختطف بصر بصيرته من حيث لا يشعر ولا يتخيل، فيبادر إلى الإنكار في غير محل...) وإمعانا مني في تحقيق هذا الغرض حرصت في تحقيق هذا الكتاب أن أحرر نصا صحيحا مبرأ من الخطأ جهد الإمكان، فلقلة بضاعتي في علوم اللغة العربية وفنونها، لجأت إلى من هو أعلم وأمكن مني في اللغة لتصحيح نصوص المخطوطة وشكلها والتدقيق اللغوي للنص، لجأت أول الأمر للشيخ **عمر دردور**[1]، حيث قرأت عليه جزءًا من المخطوط، ومما لاحظته أثناء قراءة النص عليه كان يدقق التأمل في دلالة ومعاني النصوص ولا يخفي إعجابه بقوة المصنف اللغوية والبلاغية ودقته في الشرح والتحليل، ومن جملة ما قاله أنه لم يكن يتصور أن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي على هذه الدرجة الكبيرة من العلم، حيث أنه يعتقد بأنه شيخ يزوره الناس في مواسم الزيارات المعهودة لا غير، وهنا يمكن أن أسجل ملاحظة في هذا الصدد، أن الحركة الإصلاحية في الجزائر بسبب شحذ كامل قوتها وجهودها ضد الاستعمار وشن حربها ضد بعض الطرق الصوفية الموالية للاستعمار أو المنحرفة، شكل ذلكنوعا من التفكير النمطي التقليدي الذي يغلب عليه طابع التعميم والاتهام، مما حرم الأمة الاستفادة من مقدرات تراثنا العلمية والثقافية والحضارية والتاريخية التي تزخر بها بلادنا. وقبل وفاة الشيخ عمر أشار

---

(1) ولد سنة 1913م بقرية حيدوس، وبزاوية أجداده حفظ القرآن الكريم وتلقى المبادئ الأولية في التعليم، انتقل إلى زاوية علي بن عمر بطولقة لمواصلة تعليمه، ومن ثم انتقاله إلى الجامع الأخضر بقسنطينة ملازما للشيخ عبد الحميد بن باديس. عينه الشيخ ابن باديس عريفا ضمن قائمة تضم 11 عضوا من بينهم الشيخ الفضيل الورتلاني، حيث أشرف على تلامذة منطقة الأوراس، وكل ما يتعلق بنشاطات جمعية العلماء في ذلك الوقت، كما كلفه ابن باديس بالتدريس لطلبة مسجد سيدي قموش وسيدي بومعزة بقسنطينة، قاد الحركة الإصلاحية بالأوراس، وصفته جريدة البصائر بأنه أول عالم جزائري يسجن ظلما في سبيل الهداية الإسلامية، أفنى حياته كلها لخدمة الإسلام والقضية الجزائرية في المهجر وفي المشرق العربي، وبعد استقلال الجزائر أنشأ التعليم الأصلي في الجزائر خدمة للإسلام واللغة العربية، توفي في 19 مارس 2009 عن عمر يناهز 95 عاما. **راجع**: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي 1837-1954م، حياة الشيخ عمر دردور ونضاله قبل الثورة المسلحة للشيخ الواعي محمود، ص260. **انظر**: البصائر، 22-28/2009 العدد 436، جمعية العلماء المسلمين تنعي واحدا من رموزها، د. مسعود فلوسي. **انظر**: جريدة الأوراس 21-27 ماي 1990، من ثمار جمعية العلماء الشيخ عمر دردور.

علي بالتوجه للسيد: **محمود عبد السلام**[1]، وقال لي بأنه رجل علم يفيدك، وفعلا توجهت إليه وعرضت عليه الفكرة في استكمال قراءة المخطوطة وتصحيحها وشكلها، حيث رحب بالأمر فأكملت عليه قراءة المخطوط[2]، ولم يُخْفِ هو أيضا إعجابه بالكتاب سواء من براعة المؤلف اللغوية والبلاغية، أو من ناحية ملكاته العلمية. ورأيي أن الكتاب من الممكن أن يكون محل دراسة للباحثين من مختلف التخصصات منها اللغوية والشرعية كالبلاغة والحديث والتفسير والتوحيد...

إلى جانب مقابلة الباحث بين النسختين المخطوطة والحجرية وتسجيل ما بينهما من فروق وملاحظات وتصحيحات، كما حرصت بالنسبة للآيات القرآنية أن أشير إلى اسم السورة ورقم الآية أو الآيات، أما الأحاديث النبوية الشريفة فعزوت كل حديث إلى موضعه من كتب الصحاح أو السنن أو المسانيد، وقد ترد بعض الأحاديث في غير كتب الحديث مثل كتب التاريخ والأدب والمعجمات فاستعنت بكل ذلك مع بيان صحتها وضعفها، والجدير بالذكر هنا أن الأحاديث الضعيفة التي وردت في النص فهي قليلة جدا والبعض منها يوجد ما يقويها من نصوص أخرى، كما قمت بإحالة النصوص الواردة في الكتاب إلى مصادرها، والأشعار إلى قائلها، وترجمت للأعلام مع التفصيل في كثير من التراجم لأني رأيت

---

(1) السيد عبد السلام محمود من العائلات الشريفة والعريقة في الأوراس، المشهورة بالعلم والصلاح، جده الولي الصالح سيدي عبد السلام دفين بلدة **تكوت**، ينحدر نسبه من الشيخ عبد السلام بن ماشيش المغربي المعروف، شيخ أبو الحسن الشاذلي. ولد سنة 1926م بتكوت، ختم حفظ القرآن الكريم بمحضرة جده، اشتغل بتعليم القرآن الكريم والإمامة بمسقط رأسه قبل أن يلتحق بالمعهد الباديسي في قسنطينة الذي تخرج منه سنة 1952م، نال شهادة التحصيل (الباكالوريا) من الجامع الأعظم الزيتوني بتونس سنة 1956م، وشهادة العالمية (ليسانس) سنة 1958م، نال شهادة الباكلوريوس في اللغة العربية من جامعة بغداد سنة 1962م، اشتغل بالتعليم بعد الاستقلال. فضل بعد إحالته على المعاش، الاشتغال بالقراءة والتأليف، حيث أنجز منذ سنة 1987م، مجموعة من الكتب القيمة أغلبها حول التركيبة الجغرافية والاجتماعية والثقافية والتاريخية لمنطقة الأوراس، نذكرها على التوالي: **الأول**: (من جوانب حياة المجتمع في منطقة الأوراس من 1934- 1954) ، في 365 صفحة. **الثاني**: (ملامح حول التعليم في جنوب الأوراس خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي) في 100 صفحة. **الثالث**:(ملامح حول تكوت العتيقة إلى غاية 1954م) في 190 صفحة. **الرابع**:(جغرافية دائرة أريس القديمة خلال الاحتلال الفرنسي 1844/1962م) في 235 صفحة. **الخامس**: ملامح الثقافة في جنوب الأوراس. **السادس**: مذكرات عنوانها: (صراع مع الحياة) . الكتب كلها غير مطبوعة، وقد انفرد فيها بوصف دقائق وخصوصا المجتمع الأوراسي، وتحليل أبعادها الثقافية والدينية والاجتماعية، فهو يستحق بحق لقب: **(ابن خلدون الأوراس)** .

(2) بدأت قراءة المخطوط معه من الحكمة 91 يوم الخميس في 02 ذو الحجة 1433هـ /18-10-2012م، بشكل يكاد يكون يوميا، ليتم الانتهاء من مراجعته في 07 جمادي الأول 1434هـ / 19 مارس 2013م. والحق أمضيت مع الشيخ أياما اسفدت فيها من علمه وتوجيهاته وملاحظاته، فكان من حين لآخر يحدثني عن عناوين لكتب جديدة في السوق في مختلف مجالات المعرفة، وكان لا يتردد في شراء كتاب يرى أنه يتصل بموضوع دراستي ليفيدني به. فهو رجل كما يقول عن نفسه مجنون بالقراءة، ورغم المرض وتقدم سنه ما زال يقرأ ويكتب ويقتني الكتب. وبعد إنهائنا قراءة الكتاب واستحسنا هذا الأسلوب في = التحصيل العلمي، اقترح علي إعادة قراءة الكتاب من أوله رجاء النفع والبركة. وهذا ما أتمناه فنعم الصاحب هو.

أن للتفصيل في ترجمتهم ضرورة للإيضاح والتعمق في الفهم،وذلك بالرجوع غالبا إلى أكثر من مصدر من المصادر المعتمدة والمشهورة في الترجمة والسير ك: (الأعلام) **لخير الدين الزركلي**[1]، و(معجم المؤلفين) **لعمر رضا كحالة**[2]، و(طبقات الأولياء) **لابن الملقن**[3]، و(طبقات الصوفية) **لأبي عبد الرحمان السلمي**[4].و(تعريف الخلف برجال السلف) **لأبي القاسم الحفناوي الديسي**[5]، و(نيل الابتهاج بتطريز

---

(1) خير الدين الزِّرِكلي (بكسر الزاي والراء) ولد عام 1310هـ /1893 في بيروت، كاتب ومؤرخ وشاعر قومي سوري، شارك في الكثير من المؤتمرات الأدبية والاجتماعية، عين وزيرا للخارجية في الحكومة السعودية، ووزيرا مفوضا دائما لدى جامعة الدول العربية، سفيرا للحكومة السعودية في المغرب،عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر وعضوا في المجمع العلمي العراقي...كان شاعرا مجيدا ومؤرخا ثقة، قام بدور مميز في تنفيذ المهمات القومية والسياسية والإعلامية في مصر، له عدة مؤلفات من أشهرها: (الأعلام). توفي بالقاهرة سنة 1396هـ /1976م. **انظر** ترجمته المفصلة في كتاب (خير الدين الزِّركلي، المؤرخ الأديب الشاعر)، تأليف: أحمد العلاونة، وهو الكتاب رقم (20) في سلسلة: (علماء ومفكرون معاصرون، لمحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاتهم) التي تصدرها دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ – 2002م.

(2) محمد رضا كحالة (1323–1408هـ / 1905–1987م) مؤرخ بحاثة وكاتب من أهل دمشق. من مؤلفاته: معجم المؤلفين، و معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، والمنتخب من مخطوطات المدينة المنورة....**انظر** ترجمته في الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة على الرابط التالي: (http://shamela.ws/index.php/author/716)

(3) يعد ابن الملقن من أكابر علماء الحديث والتاريخ والفقه، انتقل من تكرور إلى الأندلس، ثم قدم إلى القاهرة، رحل إلى دمشق وحماة والقدس والحرمين، ولد سنة 723هـ وتوفي بالقاهرة سنة 804هـ. من شيوخه تقي الدين السبكي وعبد الرحيم الأسنوي...، ومن تلاميذه ابن حجر العسقلاني وأحمد بن علي المقريزي ..له حوالي ثلاثمئة مصنف منها التذكير في علوم الحديث، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح. انظر في ترجمته (إنباء الغمر) لتلميذه ابن حجر – رحمهما الله – (275/1)

(4) أبو عبد الرحمان السلمي النيسبوري (325هـ –412هـ) . من علماء الصوفية، قال عنه الذهبي: شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، بلغت تصانيفه أكثر من مئة، منه المخطوط ومنها المطبوع، ومنها: حقائق التفسير، وبيان زلل الفقراء ومناقب آدابهم، ورسالة في غلطات الصوفية، وعيوب النفس ومداواتها، وكتاب الأربعين في الحديث...**انظر** في ترجمته: مقدمة كتاب طبقات الصوفية للسلمي، تقديم: مصطفى عطا، ص15، دار الكتب العلمية، ط2003.

(5) أبو القاسم محمد الحفناوي (1266هـ –1360هـ /1850م–1942م) ، ولد بقرية (الديس) قرب مدينة بوسعادة في أسرة علم وشرف، حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ السعيد بن أبي داود بآقبو في منطقة زواوة، ثم عاد إلى مسقط رأسه ومنه انتقل إلى زاوية الهامل، ثم انتقل سنة 1800هـ /1883م إلى الجزائر العاصمة لأخذ العلم عن علمائها والاطلاع على خزائنها، ثم استدعي رسميا من الولاية العامة بالعاصمة للألتحاق = بمركز الإدارة بالجزائر، وقدم للتحرير بجريدة المبشر، وتعلم اللغة الفرنسية على المستشرق (أرنو)، ويروي عنه تلميذه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي: أنه أول من امتلك من المسلمين بالعاصمة آلة (الفوتوغراف) الحاكي، عاد الشيخ الحفناوي إلى بلدته الديس إثر مرض (الفالج) الشلل الذي اشتد به إلى أن توفاه الله يوم الجمعة 21 ذي الحجة 1360هـ /1942م. من آثاره كتابه (تعريف الخلف برجال السلف)، و (المستطاب في أقسام الخطاب) ، وغيرها من مطبوع ومخطوط. **انظر ترجمته في: «تاريخ الجزائر العام» للجيلالي (٤/ ٤٢٣)**..

الديباج) **لأحمد بابا التنبكتي**[1]...، وبالنسبة للكلمات اللغوية الصعبة أو التي لها دلالات في تعميق فهم النص ومراد المصنف، قمت بشرحها بالرجوع إلى أشهر المعاجم المعتمدة في اللغة العربية، وخاصة معجم: لسان العرب **لابن منظور**[2]...، أما بالنسبة للمصطلحات المتخصصة ذات العلاقة بموضوعات البحث فرجعت فيها إلى الكتب المتخصصة ومعاجم المصطلحات ككتاب: التعريفات: **للشريف الجرجاني**[3]، وكتاب: معجم المصطلحات الصوفية **لعبد المنعم الحفني**[4]، وموسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان **لمحمد بن عبد الكريم الكسنزان**[5]، وكتاب: **إحياء علوم الدين** أبي حامد الغزالي....كما قمت

---

(1) أبو العباس أحمد بابا بن عمر الصنهاجي الماسي السوداني التكروري التنبكتي ولد عام 963ه /1556م في أسرة معروفة بالعلم، والمكانة الاجتماعية العالية لاشتغالهم بالقضاء والتعليم واعتبارهم من أهل الفتيا والشورى والوجاهة، أخذ عن والده الحديث والمنطق والصحيحين وكتاب الشفا للقاضي عياض، كما أخذ على علماء عصره وخاصة محمد بغيغ الذي أخذ عليه علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف والتنجيم والمنطق والعروض وغيرها من كتب تعد أمهات في بابها يزيد عددها عن أربعة وعشرين كتابا، عاد إلى تنبكتو بغد عدة رحلات وقضى بها بقية حياته في التعليم إلى أن توفي سنة 1036ه /1627م. أكثر التنبكتي من التأليف حتى قيل عنه أنه كان مطبوعا على التأليف، وكانت مؤلفاته موزعة بين الفقه والتراجم والنحو والصرف والتصوف وغيرها منها ماهو في الخزانة العامة بالرباط والخزانة الملكية، والمكتبة الجزائرية. **انظر**: نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي، ص: 11-23، مشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، الطبعة الأولى 1989م. **انظر**: تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي الديسي، ص: 16-25، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1405ه /1975م.. **انظر** معجم المؤلفين، كحالة، ج1، ص145.

(2) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة ابن منظور الأنصاري الإفريقي ولد سنة 630 ه في قفصة بتونس وقيل بطرابلس ليبيا، وهم أديب ومؤرخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية، وهو من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس.كان مولعا باختصار وتلخيص كتب الأدب المطولة، ترك بخطه خمسمائة مجلد، أشهر أعماله وأكبرها (لسان العرب) عشرون مجلدا، جمع فيها أمهات كتب اللغة فكاد يغني عنها جميعا. عمي في آخر عمره وتوفي رحمه الله في مصر في شعبان سنة 711 ه /1311م.**انظر** في ترجمته: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، الجزء 12، ص46، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

(3) الشريف الجرجاني المعروف بسيد مير شريف، فلكي وعالم حياة، وفقيه وموسيقي وفيلسوف ولغوي، ولد عام 140ه ، من المعروف أن للجرجاني أكثر من خمسين مؤلفا في علم الهسئة والفلك والفلسفة والفقه، ولعل أهم هذه الكتب كتاب: التعريفات: وهو معجم يتضمن تحديد معاني المصطلحات المستخدمة في الفنون والعلوم حتى عصره، وهذا المعجم من أوائل المعاجم الاصطلاحية في التراث العربي، وقد حدد فيه الجرجاني معاني المصطلحات تبعا لمستخدميها وتبعا للعلوم والفنون التي تستخدم فيها، وجعل تلك المصطلحات مرتبة ترتيبا أبجديا مستفيدا في ذلك من المعاجم اللغوية، حتى يسهل التعامل معها لكافة طالبيه، وهذ المعجم من المعاجم الهامة التي لا نستطيع الاستغناء عنها إلى الآن، وقد أشاد به كافة المستشرقين لأهميته الدلالية والتاريخية. **انظر** في ترجمته: الفوائد البهية في ترجمة الحنفية: 125-137..

(4) د. عبد المنعم الحفني كاتب وأكاديمي مصري، تخصص فلسفة، تجاوزت أعماله المائة والستين كتابا معظمها من الموسوعات والكتب المحققة. انظر في ترجمته موقع كتاب على الرابط التالي: .http://www.ektab.com

(5) محمد بن عبد الكريم الكسنزان الحسيني، علم من أعلام التصوف في العراق والعالم الإسلامي، وشيخ طريقة صوفية تسمى اختصارا بالطريقة الكسنزانية،- مقرها الرئيسي في محافظة السليمانية في شمال العراق، ولد سنة 1358ه /1938م، أخذ الطريقة

بالاستطراد فبتحليل وتوضيح بعض المفاهيم التي تخدم موضوع البحث وتثري مباحثه بشكل أو بآخر، وكذلك بعض المفاهيم ذات الطابع الجدلي المختلف فيه في أدبيات الفكر الإسلامي. مع التنبيه أن القارئ سيجد في بعض الأحيان أثناء شرح المفردات اللغوية الإشارة إلى المرجع والجزء والصفحة، إلا أنه في كثير من الأحيان يجد القارئ الإشارة فقط إلى المرجع والمادة اللغوية، بحكم الرجوع في شرحها إلى المعاجم الإلكترونية على شبكة الأنترنت التي تسهل على الباحث الوصول إلى هدفهفي أقصر وقت وأقل جهد.

رابعا/بعض الصعوبات التي واجهت البحث.

في الحقيقة أنه لا يخلو أي عمل مادي أو فكري من صعوبات وعوائق أوتحديات ومشكلات، تعترض سبيله من حين لآخر، ولكنها ليست حجة للباحث على إخفاق بحثه، وعدم التزامه وضبطه للمقاييس العلمية في البحث والدراسة، ولا يجب أن تكون تلك الصعوبات أيضا مبررا لفتور همة الباحث عنتحقيق الأفضل فيما هو بصدد إنجازهمن الأبحاث والدراسات، ولذلك نجد أغلب الكتاب الباحثين لا يذكرون الصعوبات التي تواجههم أثناء البحث إلا على سبيل الفائدة والعبرة، أو على أمل تجاوز تلك الصعوبات بما يخدم البحث العلمي وتطويره نحو الأحسن والأفضل والأكمل، وفي هذا الصدد يذكر الباحث بعض الصعوبات التي اعترضته أثناء مسيرة البحث، ولعل من أهمها وخاصة في مثل هذه الدراسات المتعلقة بالتراث، سواء من حيث حساسية بعض القضايا والموضوعات، أم ضياعها وإتلافها لسبب أو لآخر، أو من حيث صعوبة تحصيل الوثائق المطلوبة في البحث من طرف مالكيها، إلا بعد اتخاذ وسائط وربط علاقات ثقة وطيدة بأصحابها،والعجيب أن هذا الإشكال قائم حتى في إطار بعض المؤسسات العلمية الرسمية التي هي مخولة في الأصل لتسهيل مهمة الباحثين، وقد تبوء تلك المحاولات بالإخفاق وبالفشل في الكثير من الأحيانلعدم التفهم حسب تجربة الباحث، وعلى الرغم من زوال الخوف من ضياع تلك الوثائق بما تتيحه تكنولوجيا النسخ والتصوير من إمكانيات ضخمة لتسهيل مثل هذه المهمة فإن الوضع لم يتغير

عن والده، والعلوم الشرعية والعربية على يد كبار علماء عصره، كثير المطالعة، له مكتبة علمية نادرة حوت آلاف الكتب والمخطوطات التي جمعها بمشقة كبيرة، كما واضب على مراجعة دار المخطوطات ومكتبة الأوقاف العامة ومكتبة الحضرة القادرية، سبعة عشر عاما بصورة مستمرة،كانت ثمرة جهوده هذه في المطالعة إنجازه الكبير: (موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان) في أربعة وعشرين مجلدا والتي تعد فريدة في بابها، وقد أفادت هذه الموسوعة الباحث في أثناء عمله على التحقيق أيما إفادة. تولى الشيخ محمد الكسنزان مقام والده بعد وفاة والده أمور الطريقة والإرشاد والتربية، ذاع سيطه، وانتشرت الطريقة الكسنزانية على عهده في جميع أنحاء العراق والبلدان المجاورة كإيران وتركيا والجمهوريات القوقازية والهند وباكستان والولايات المتحدة الأمريكية، وبعض دول أوروبا، له إلى جانب مجموعة من المؤلفات والرسائل إنجازات علمية، منها تأسيسه لكلية الشيخ محمد الكسنزان الجامعة، والتي تضم إلى جانب قسم علوم الشريعة والتصوف وحوار الأديان، أقسام أخرى في علوم الاقتصاد والسياسة، والقانون واللغة وعلوم الحاسبات والرياضيات التطبيقية. وتأسيس المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية عام 1415هـ /1994م، ومواقع إلكترونية... **انظر** ترجمته في الموقع الرسمي للطريقة القادرية الكسنزانية على الرابط التالي: (http://www.kasnazan.com/article.php?id=56)

كثيرا. ومن جملة ما اعترض الباحث من مشكلات أعاقت سير البحث في شكله الطبيعي، تعرض الباحث من قبل مسؤولين في الإدارة في بداية التسجيل لهذه الأطروحة، بتوقيف التسجيل في الدكتوراه لأسباب واهية غير قانونية وغير موضوعية، والغريب عجز هيئة اللجنة العلمية والمجلس العلمي الذي له الصلاحية في حل هذا الإشكال على الرغم باعترافه بأنه قرار فردي ظالم في حقي، مما استدعى من الباحث بدل أن يعكف على الاشتغال بإنجاز بحثه، عكف ولمدة سنة يقدم رسائل الشكوى تلو الأخرى لتسوية هذه الوضعية. وما إن خرج الباحث من هذه الأزمة، لتعترضه أزمة أخرى حادة مع المشرف السابق على الأطروحة، كانت لها تداعيات سلبية على نفسية وصحة الباحث، وذلك بسبب انسحابي من وحدة البحث التي كان يشرف عليها، حيث لم يراع ظروفي القاهرة وعزمي التفرغ الكامل للأطروحة، وقد أخذت هذه الأزمة وتداعياتها تسعة أشهر على حساب مسيرة البحث الطبيعية، وما كان لهذه الأزمة أن تحصل لولا ضيق الأفق وغياب التواصل الإيجابي، وتقديم المصالح الشخصية دون الاكتراث بالغير ومصالحه.

خامسا/ التعريف بخطة الدراسة.

قسم الباحث البحث إلى قسمين، القسم الأول يتعلق بالدراسة، والقسم الثاني من البحث يتعلق بالتحقيق، بالنسبة للقسم الأول المتعلق بالدراسة يتألف من فصل تمهيدي، وبابين، عرضت في الفصل التمهيدي لأهمية الدراسة، وأهداف الدراسة، والتعريف بالمخطوط وخطة الدراسة، والصعوبات التي واجهت الباحث طيلة مسيرة البحث والدراسة، متبوع بتحديد مفهوم ودلالة المصطلحات ذات العلاقة كمصطلح الدعوة، ومصطلح التزكية والتربية و كذلك الإشارةلبعض أمهات وسائل الدعوة والتزكية من خلال نصوص الكتاب، كالصلاة والذكر، والخوف والرجاء والصحبة، والمراقبة والمحاسبة ...وفي **الباب الأول**: تناولت خنقة سيدي ناجي بالتعريف بها وبدورها التاريخي والعلمي، ابتداءً من مرحلة النشأة والتأسيس إلى مرحلة الازدهار والتطور، مع الترجمة لبعض المشاهير من العلماء الذين تخرجوا من الخنقة، ومكانة الخنقة ووظيفتها السياسية والإدارية إبان الحكم العثماني، ووضعها أثناء الاحتلال الفرنسي والثورة التحريرية، ووضعيتها بعد استقلال الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية، أما **الباب الثاني**: تناولت فيه التعريف بمؤلف الحكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي طالبا وشيخا ومربيا وداعيا إلى الله، وعالما مؤلفا، ومجاهدا في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وجدير بالذكر هنا أن أغلب الكتابات التي تناولت هذه الشخصية اقتصرت على جوانبها الجهادية وبطولاتها العسكرية، دون البحث العلمي والأكاديمي الذي يغطي الجوانب الأخرى العلمية منها والتربوية السلوكية والدينية لهذه الشخصية الموهوبة، لذلك نجد المؤلفين الذين تناولوا شخصية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي إما كتاب فرنسا العسكريين أو المؤرخين المهتمين بالكتابة عن المقاومة الشعبية أثناء احتلال فرنسا للأوراس، أوالكتابات الصحفية المناسباتية في بعض الجرائد والمجلات الوطنية عن هذه الفترة من تاريخ الجزائر.إثر ذلك تناولت التعريف بشارح الحكم: تلميذه الفقيه النجيب الذي حاز بين أقرانه التقدم والسبق،

الشيح محمد المكي بن الصديق الخنقي، على قلة المعلومات عن حياة هذا الرجل وشخصيته العلمية الفذة، على الرغم من شهرته ونبوغه. ثم ختمت هذا الباب التعريف بالحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وشروحها قديما وحديثا، وغيرها من الحكم لمناسبتها موضوع هذه الدراسة،. لأنهي القسم الأول المتعلق بالدراسة، وأنتقل إلى القسم الثاني من البحث المتعلق بالتحقيق، والذي اجتهدت في تقسيمه إلى جزء يتعلق بشرح الحكم، وجزء ثاني يتعلق بشرح الدعاء والمناجاة، مع اجتهادي في وضع عناوين لموضوعات الحكم. ثم ذيلت التحقيق بمجموعة فهارس تيسر البحث عن مواقع الآيات والأحاديث التى استشهد بها الشارح، وفهرس للأعلام المترجم لهم، وفهرس بأهم المصادر والمراجع والوثائق التي استعملها الباحث خلال هذه الرحلة العلمية.

وتبقى محاولة الباحث في النهاية محاولة من بين عدد من المحاولات، فهي لا تدّعي الوصول إلى أحكام نهائية وثابتة، أو الإلمام بمختلف الجزئيات، وإنما قوام هذا الجهد فتح آفاق جديدة على تراثنا العلمي الغابر، وتشجيع النقاش المعمّق حوله، قصد الفهم والتحليل لنقاط الإيجاب والتجاوز لزوايا السلب، لبناء مستقبل أفضل، ورغم ذلك فللبحث حدوده الطبيعية ونقائصه الحتمية التي لا يخلو منها أي بحث رغم حرصنا على تجاوزها لصعوبة مثل هذه الموضوعات وحساسيتها وكثرة ارتباطات قضاياها وتداخلها، وتشابك الصراعات، وعدم استقرار رأي واحد حولها، مما يضيف ويفرز بطبيعة الحال صعوبات مباشرة وغير مباشرة في الإحاطة بها.

ولئن كانت هذه القراءة تتوق إلى أن تكون على الأقل مبادرة بحثية علمية متواضعة من الباحث، إلاّ أنها لا تدّعي إطلاقاً الطليعة بأي شكل من الأشكال، وإنما هي محاولة تحتمل الخطأ والصواب وتقبل التعديل والمراجعة، وتلك هي خاصية كل البحوث التي تبحث عن الاستفادة ولا تقنع بوهم الثابت والنهائي والمطلق، آملا أن يكون هذا الجهد ميسرا للاستفادة من هذا الكتاب، وأن أتلقى من الملاحظات ما أتلافى به النقص والخلل اللذين لا يسلم منهما عمل البشر، والله أسأل أن يجعل لهذا العمل الإقبال والقبول في الخلق، ويجعله ذخرا لنا وصدقة جارية عند انتقالنا من هذه الدار وانقطاع أعمالنا.آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سابعا/ صور بعض الأوراق من المخطوط:

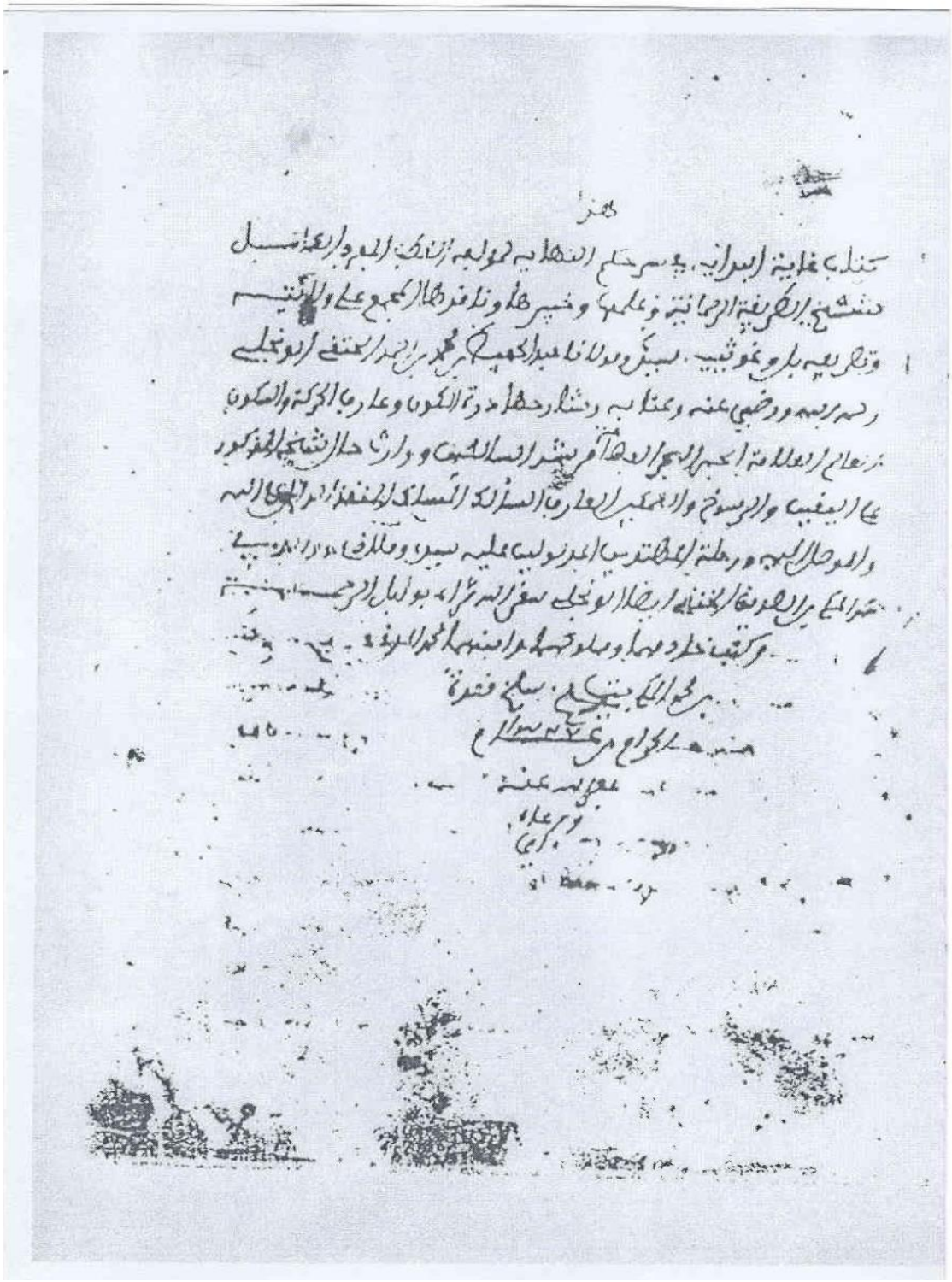

الورقة الأولى من المخطوط

فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف واسم الشارح واسم الناسخ وسنة النسخ (1327هـ/1909م)

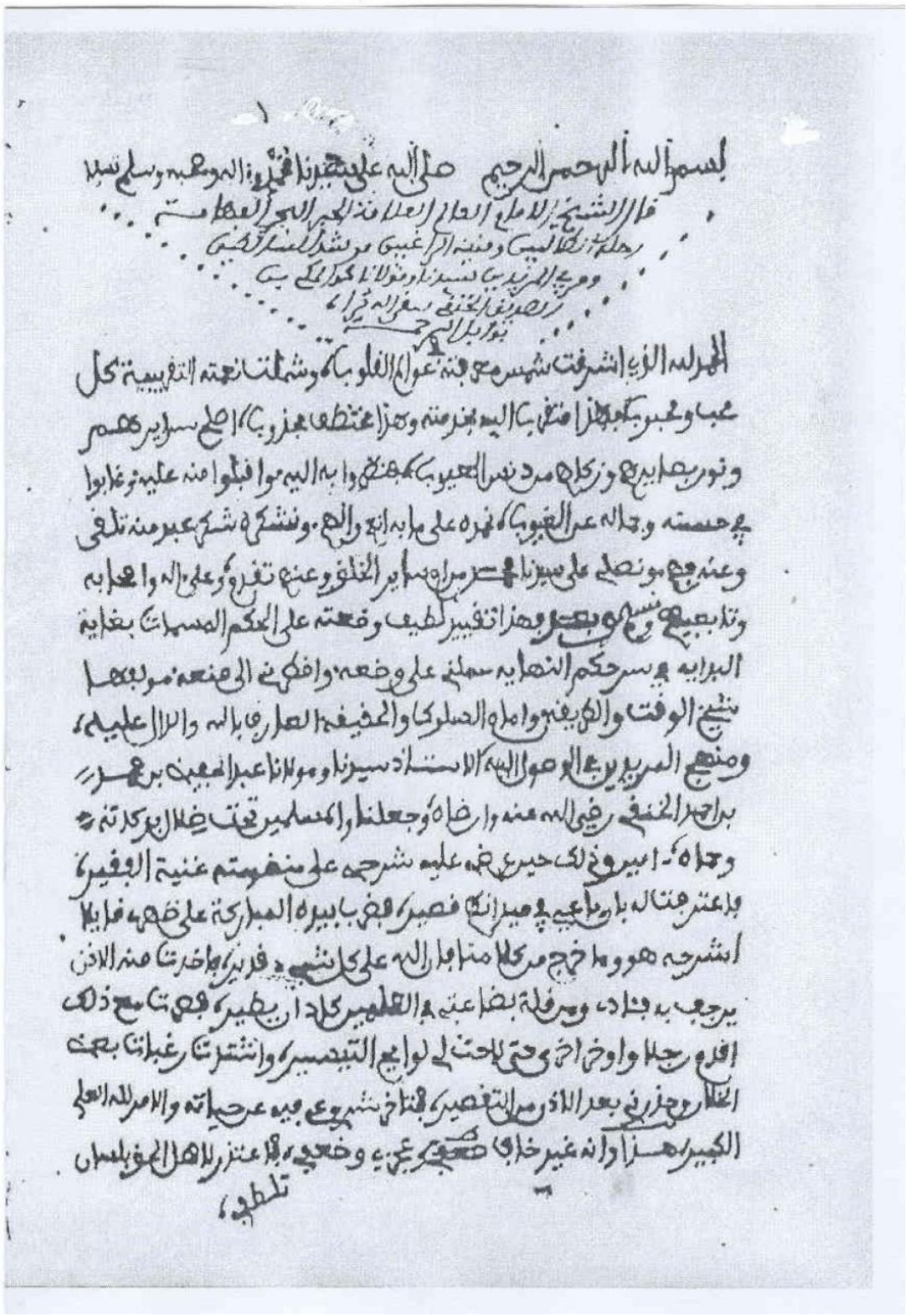

الورقة الثانيةمن المخطوط وفيها مقدمة الشارح

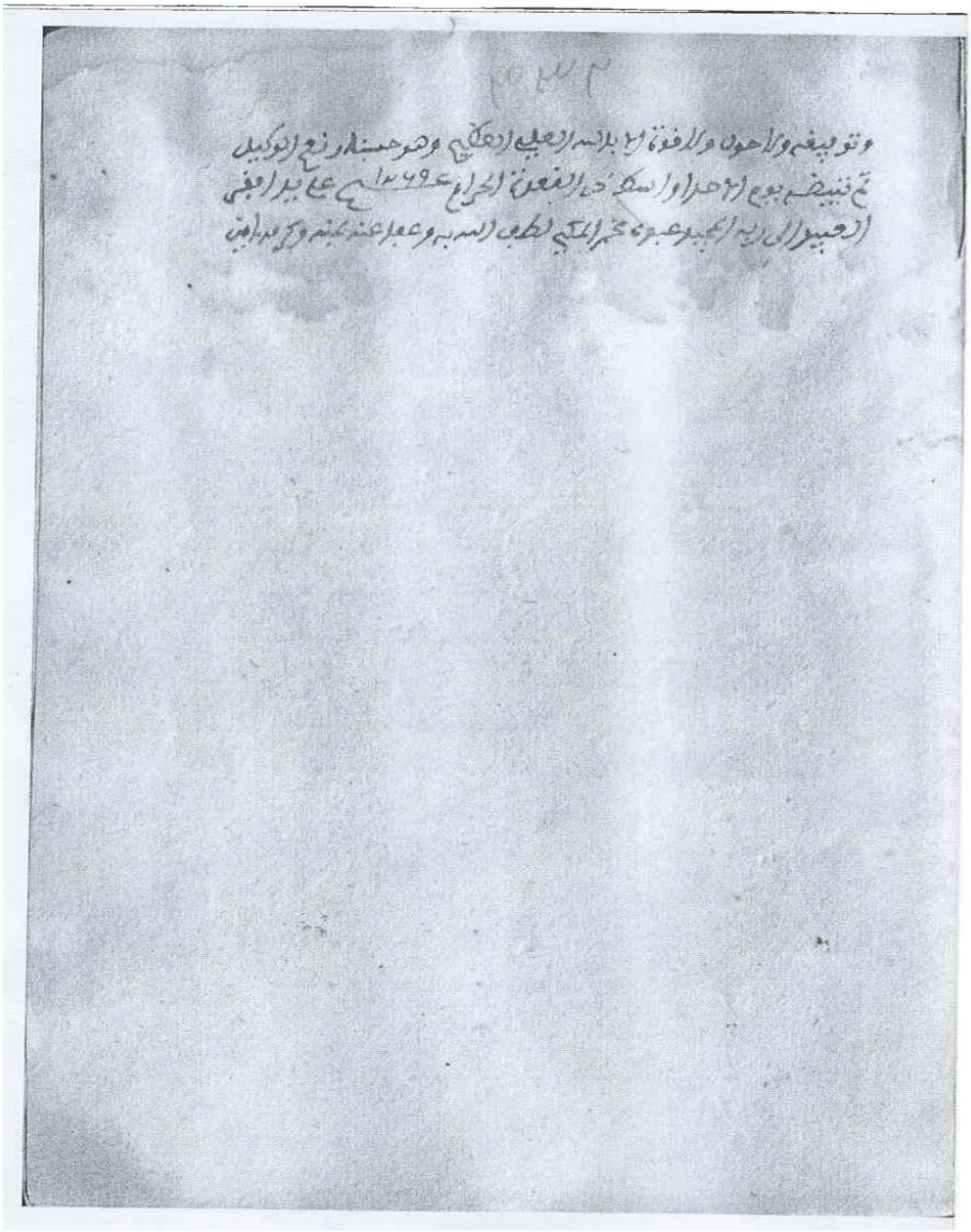

الورقة الأخيرة (332) وفيها تاريخ الانتهاء من الشرح ويتضح أثر الرطوبة

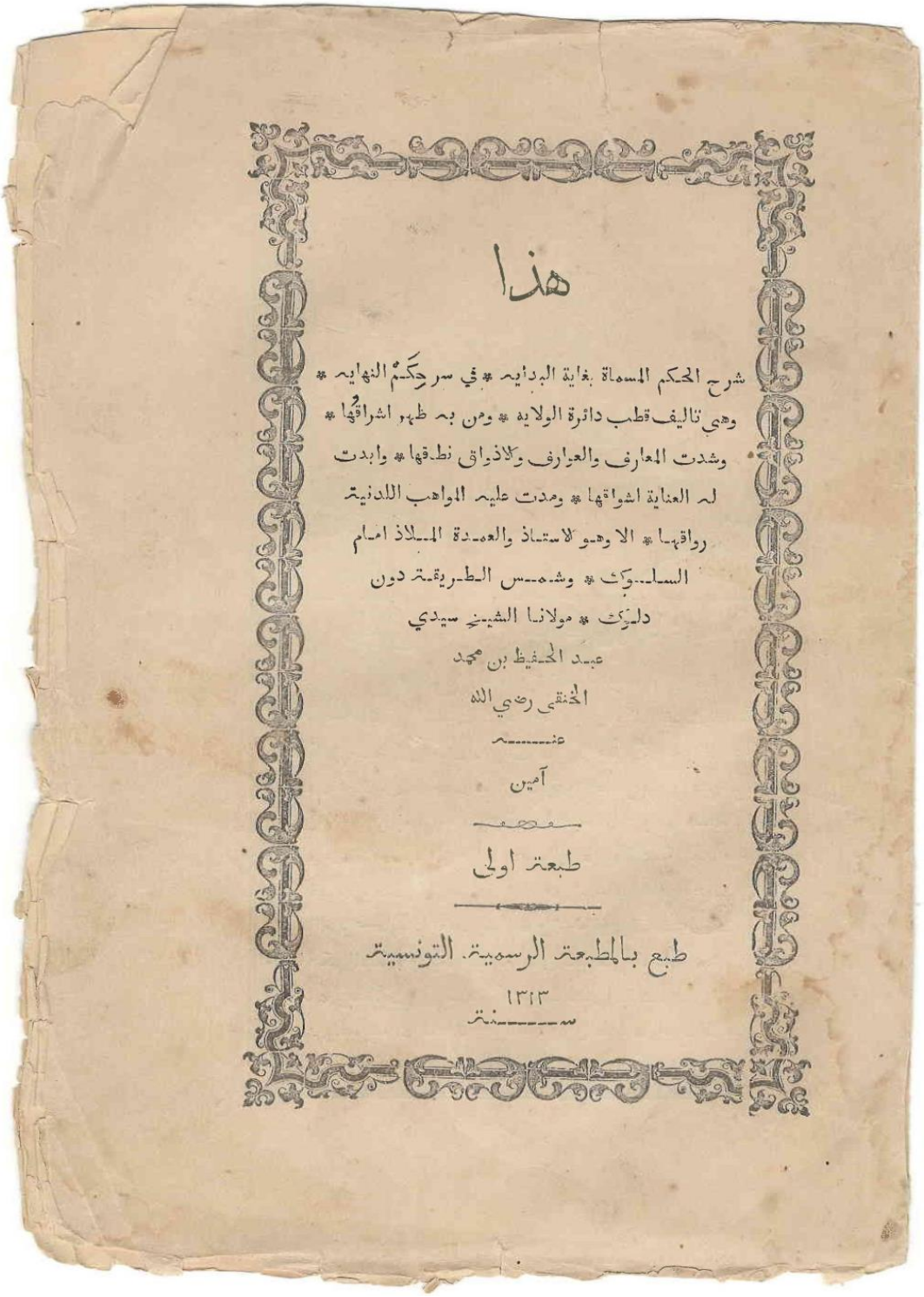

هذا

شرح الحكم المسماة بغاية البدايه * في سر حِكَمِ النهايه *
وهي تاليف قطب دائرة الولايه * ومن به طبق اشراقها *
وشدت المعارف والعوارف ولاذواق نطقها * وابدت
له العناية اشواقها * ومدت عليه المواهب اللدنية
رواقها * الا وهو الاستاذ والعمدة الملاذ امام
السلوك * وشمس الطريقة دون
دلوك * مولانا الشيخ سيدي
عبد الحفيظ بن محمد
الخنقي رضي الله
عنه
آمين

طبعة اولى

طبع بالمطبعة الرسمية التونسية
١٣١٣
سنة

الورقة الأولى من النسخة الحجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي اشرقت شمس معرفته في عوالم القلوب * وشملت نعمته التقريبية كل محب ومحبوب * فهذا متقرب اليه بخدمته وهذا مختطف مجذوب * اصلح سرائرهم ونور بصائرهم وزكاهم من دنس العيوب * فنظروا به اليه * واقبلوا منه عليه * وغابوا في حسنه وجماله عن الغيوب * نحمده على ما به انعم والهم * ونشكره شكر عبد منه تلقى وعنه فهم * ونصلي على سيدنا محمد من ام سائر الخلق وعنهم تقدم * وعلى آله واصحابه وتابعيهم ونسلم * وبعد فهذا تقييد لطيف وضعته على الحكم المسماة بغاية البدايه * في سر حكم النهايه * حداني على وضعه * واضطرني الى صنعه * مولفها شيخ الوقت والطريقه * وامام السلوك والحقيقه * العارف بالله والدال عليه * ومنهج المريدين في الوصول اليه * الاستاذ سيدنا ومولانا عبد الحفيظ بن محمد بن احمد الحنفي

رضي

الورقة الثانية من النسخة الحجرية

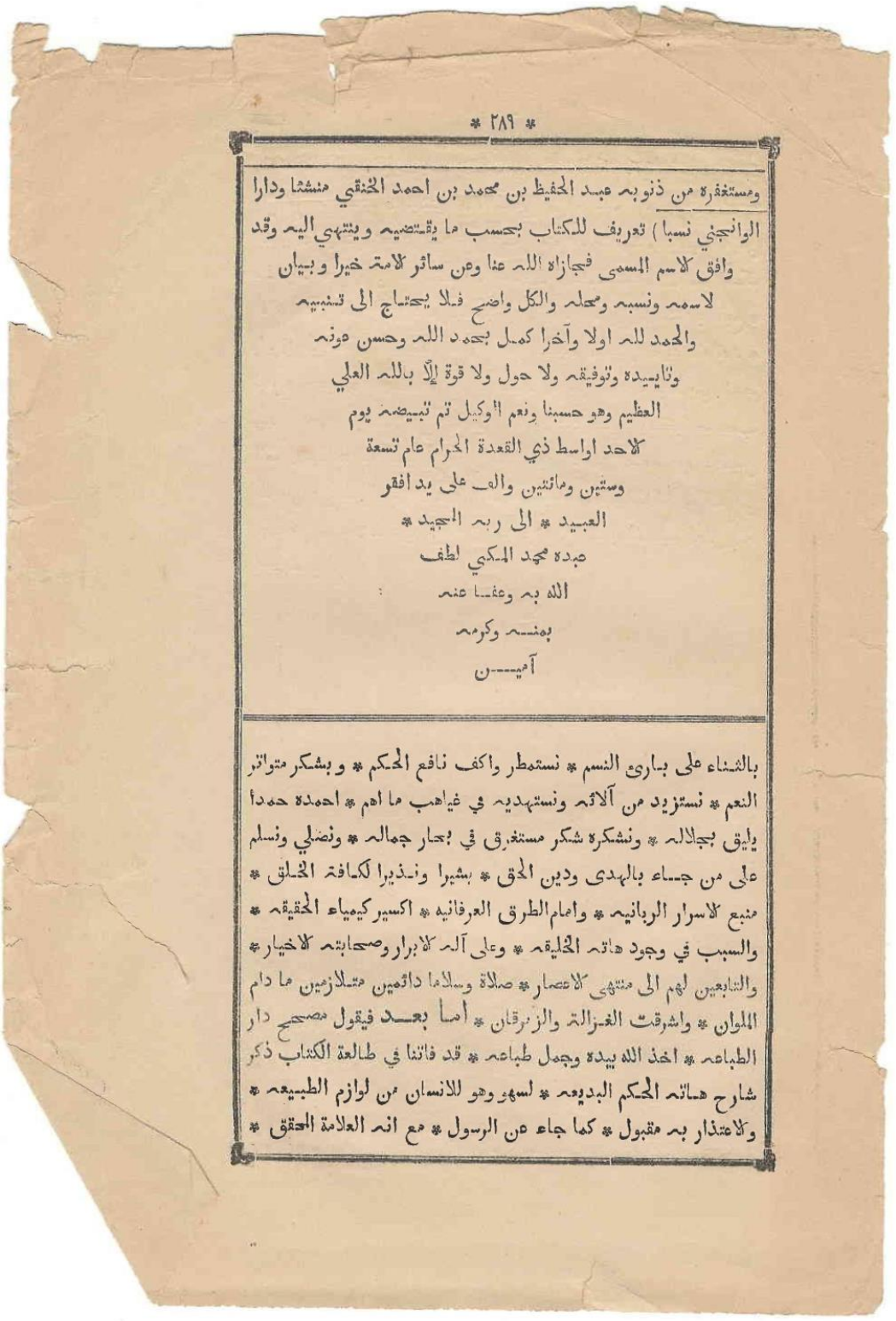

* ٢٨٩ *

ومستغفره من ذنوبه عبد الحفيظ بن محمد بن احمد الخنقي منشئا ودارا
الوانجني نسبا) تعريف للكتاب بحسب ما يقتضيه وينتهي اليه وقد
وافق الاسم المسمى فجازاه الله عنا وعن سائر الامة خيرا وبيان
لاسمه ونسبه ومحله والكل واضح فلا يحتاج الى تنبيه
والحمد لله اولا وآخرا كمل بحمد الله وحسن عونه
وتاييده وتوفيقه ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي
العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل تم تبييضه يوم
الاحد اواسط ذي القعدة الحرام عام تسعة
وستين ومائتين والف على يد افقر
العبيد * الى ربه المجيد *
عبده محمد المكي لطف
الله به وعفا عنه
بمنه وكرمه
آميـــن

بالثناء على بارئ النسم * نستمطر واكف نافع الحكم * و بشكر متواتر
النعم * نستزيد من آلائه ونستهديه في غياهب ما اهم * احمده حمدا
يليق بجلاله * ونشكره شكر مستغرق في بحار جماله * ونصلي ونسلم
على من جاء بالهدى ودين الحق * بشيرا ونذيرا لكافة الخلق *
منبع الاسرار الربانيه * وامام الطرق العرفانيه * اكسير كيمياء الحقيقه *
والسبب في وجود هاته الخليقه * وعلى آله الابرار وصحابته الاخيار *
والتابعين لهم الى منتهى الاعصار * صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما دام
الملوان * واشرقت الغزالة والزبرقان * أما بعد فيقول مصحح دار
الطباعه * اخذ الله بيده وجمل طباعه * قد فاتنا في طالعة الكتاب ذكر
شارح هاته الحكم البديعه * لسهو وهو للانسان من لوازم الطبيعه *
والاعتذار به مقبول * كما جاء عن الرسول * مع انه العلامة المحقق *

الورقة قبل الأخيرة (289) من النسخة الحجرية

المبحث الأول: مفهوم ودلالة بعض المصطلحات ذات الصلة.

المطلب الأول: مصطلح الدعوة.

أولا: أبعاد إشكالية فهم مصطلح الدعوة.

قبل الخوض في تأصيل مصطلح (**الدعوة**) وتحليل دلالته الشرعية نجد أنه من الضرورة بمكان أن يتم تناول مسألة المصطلحات الدينية هل هي من الثوابت بحيث لا يتسع نطاق دلالتها أكثر مما دلت عليه في عصر نزول الوحي و العصر الإسلامي الأول؟ أم أنها من المتغيرات التي تتكيف وتتبدل مع تغير الظروف والأزمان؟ فتتوسع حينا وتنكمش حينا آخر مرورا عبر صياغات تبتعد كلا أو جزءا عن تلك التي كانت عليها في عصر التنزيل

ومن المعروف في ميادين أخرى أن المساق الفكري والمعرفي للمصطلحات في كثير من الأحيان تَمُرُّ بمراحل تطورية متلاحقة التغير مواكبة لتغير الظروف والمحيط اللذين يدور فيهما هذا المصطلح أو ذاك. فمصطلح (**العلم**) مثلا له دلالة خاصة في المحيط الجاهلي عند العرب قبل الإسلام، فإطلاقه آنئذ كان على ما يقابل الجهل بفنون الشعر، والكهانة،والقيافة، والخطابة والأنساب وغيرها، وحين ظهر الإسلام تغير مفهومه ليدل ما يقابل الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة وهي الكتاب والسنة. ولما ازدادت المعارف تطور مصطلح العلم إلى دلالة أوسع فقد صار عندئذ اسما لما يقابل الجهل بما ظهر من المعارف والفنون الجديدة، كالفقه والتفسير والتاريخ وطبقات الرواة وغير ذلك. ثم شهد مصطلح العلم دلالة أكثر رحابة واتساعا على أثر ظهور وانتشار العلوم الكونية عند العرب وتشعب المعلومات لديهم، ثم هو في المحيط الأروبي اتخذ لونا آخر من الدلالة. فهو هناك عبارة عن مجموع المعارف الإنسانية المؤيدة بالدلائل الحسية وجملة القوانين التي اكتشفت لتعليل حوادث الطبيعة تعليلا مؤسسا على تلك القوانين والحقائق العلمية الثابتة، بل صارت دلالته أكثر تخصصا إذ أصبح لا يطلق إلا على المعارف التي تقع تحت أحكام الحواس وتخضع لامتحانها[1]. بل أصبح مفهوم العلم الآن تتسع دلالته للعلم بتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة. كذلك مصطلح (**السياسة**) الذي كان من قبل عبارة عن نشاط سلطوي محوره (**الحاكم**)[2]. تطورت دلالته مع تقدم النظرة التصحيحية وتحسن المواقف السلوكية من قبل الحكام تجاه المحكومين وظهور صيغة من التعامل المعقول- إلى حد ما- بصورة الحكم الديمقراطي في أحد الاعتبارات، وفي ظل الحريات و

---

(1) **انظر** محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، مادة"العلم" مج6، ص584.

(2) ومن هنا جاء إطلاق الماوردي على مؤلفه الذي خصصه في علم السياسة (الأحكام السلطانية) .

المواثيق الدولية حول حقوق الإنسان. الأمر الذي جعل مصطلح (**السياسة**) يتخذ لونا متقدما من الدلالة، فهو الآن عبارة عن (نشاط إنساني محوره الإنسان)[1].

إن هذا النوع من التطور والتغير من حيث المحددات والدلالات في مجالات أخرى غير الدين لا تكون عواقبها وخيمة تؤدي من يعيش في كنف هذه الدلالة أو تلك إلى الشقاء الأبدي. فما دام الأمر قد تعلق بهذه الحياة الأرضية الفانية فإن شقاءَهُ وسعادته، أو حسنه وقبحه، سيزول من غير رجعة مع زوالها. ولكن الأمر حين يرتبط بالدين يكون عسير العواقب، شديد الخطورة؛ إذ الحسنات والسيئات هنا ترتبطان بمسألة أبدية من حيث إن مصير الإنسان الأبدي سوف يتحدد وفقا للتصورات والمفاهيم الدينية التي حملها في حياته الدنيوية، و لا ريب أن كل متدين يحمل من المفاهيم الدينية على حسب المحددات والدلالات التي تقدمها مصطلحات دينه. من هنا تأتي الأهمية القصوى لوجوب كون المصطلحات الدينية بينة واضحة من غير أن يبقى للتبدل والتطور أدنى إمكان، حتى لا تتغير الأهداف وتتباين المنطلقات، وحتى لا يقبل المؤمن باسم الدين ما ليس دينا ضننا منه أنه يحسن صنعا [2].

وبسبب هذه الخطورة لم يدع الشارع الحبل على الغارب، بل قام بحسم الأمر بتحديد مدلول المصطلحات الدينية تحديدا دقيقا كما وكيفا بإقامة نماذج عملية حية لها، ناعتا كل خارج عليها بأنه مارق عن الدين خارج عنه. فمصطلح (**الصلاة**) التي تعني في اللغة:(الدعاء و الاستغفار)[3] قد حدد له الشرع مدلوله الديني الخاص به، فقد صلى جبريل برسول الله ﷺ مبينا مدلول هذا المصطلح ومضمونه وحدوده[4] ثم صلى رسول الله ﷺ أمام أصحابه طالبا أن يكون فهمهم لهذا المصطلح وتطبيقهم له على أساس هذا النموذج فقال: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[5] أي أن الصلاة هي هذه الهيئة الخاصة التي تتضمن القيام والقعود، والركوع والسجود والتسبيح وقراءة آيات من القرآن من الخشوع لله. هذه الدلالة

---

(1) **انظر**:علم السياسة، حسن صعب، ص18، بيروت، دار العلم للملايين، ط1985/8م. وعلى سبيل المثال فقد أثر عن بول فاليري أنه قال في وصف السياسة: ((لقد ظلت السياسة زمانا طويلا وهي عبارة عن فن منع الناس من الدخول في ما لا يهمهم، أما الآن فقد أصبح للسياسة معنى آخر هو فن تعريف الناس بالأمور التي يجهلونها)) . **انظر**: حسن الحسني، الإعلام والدولة، ص342.عن الإعلام والدعاية، د.عبد اللطيف حمزة، ص63.

(2) **انظر**: الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وأفاق المستقبل، محمد شمس الحق صديق أحمد، ص 43، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط2001/1م.

(3) **انظر**: ابن منظور: لسان العرب الجزء 7،ص397، بيروت،دار إحياء التراث العربي،ط1992،2 م.

(4) **انظر** الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الألباني، ج1،ص186،، المكتب الإسلامي بيروت، ط1985/3 م.

(5) أخرجه البخاري، كتاب الأذان:18، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، رقم الحديث: 31 ج2،ص131-132 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

المحكمة لمصطلح الصلاة لا دخل لأي عقل بشري في تحديدها وليس ثمة أي إمكان لإحداث أدنى تغيير أو تجديد فيها مهما تقلبت العصور والأزمان أو طرأت الطوارئ، وسيكون من الافتراء على الله ورسوله لو أعمل أحد عقله في هذا الشأن وأصبح يقول بأن مصطلح الصلاة يجب أن يحمل على معنى الدعاء والاستغفار فقط وذلك نظرا إلى تعقد الحياة المعاصرة وكثرة مشاغل الإنسان الحديث مما لا يسمح بإتيان تلك الهيئة الخاصة للصلاة التي تعود أسلافنا أن يأتوها في ظروفهم البسيطة. وهذا الذي صح عن مصطلح الصلاة ينطبق بحذافيره على مصطلحات دينية أخرى وبخاصة الأساسية منها، والتي من بينها مصطلح" **الدعوة** ". فهذا المصطلح له أيضا دلالة خاصة غير قابلة للتغيير، تلك الدلالة التي غمضت على كثير من الناس قديما وحديثا، مما يجب تناول هذا المصطلح بشيء من التوضيح والتفصيل حتى يزول الخلط وينقى هذا المصطلح مما علق به من الشوائب.

لقد ذكر البيانوني في كتابه علم الدعوة جزءًا من اختلافات وتعدد تعريفات الدعوة لدى الكتاب والباحثين تبعا لاختلافاتهم في تحديد معنى الدعوة من جهة، وتفاوت نظرتهم من جهة أخرى، وقال بأنه لم يقف على تعريف سابق دقيق وشامل لحقيقة هذا العلم، فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها بيان وتبليغ لما جاء به الإسلام فحسب، وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم، وجردها عن الجانب التطبيقي التنفيذي...، وهناك من عرفها تعريفا عاما يمزج بين مفهوم الدين ومفهوم الدعوة، كما فعل الشيخ محمد الراوي في كتابه: الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، فقال (الدعوة هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات). وهناك من قصر التعريف على بعض جوانبها، كما فعل الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه: الدعوة إلى الإصلاح، فعرفها: (حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل). واعتمد هذا التعريف الشيخ علي محفوظ في كتابه: هداية المرشدين، وعرفها أحمد غلوش في كتابه: الدعوة الإسلامية بأنها: (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاقا....). وقد عرفها البهي الخولي في كتابه: تذكرة الدعاة بأنها: (نقل الأمة من محيط إلى محيط). وعرفها د.رؤوف شلبي في كتابه: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي بقوله: (الدعوة عملية إحياء لنظام ما لتنتقل الأمة بها من محيط إلى محيط). وهناك من أدخل في تعريف الدعوة أهدافها وغاياتها كما فعل الشيخ محمد الغزالي في كتابه: مع الله، فقال عنها: (برنامج كامل يضم في أطواره جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين). وكما فعل الشيخ آدم عبد الله الألوري في كتابه: تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم، فقال عنها: (صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضا ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها أو معصية كادت تحدق بهم)....[1].

---

[1] **انظر**: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-19، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1959م.

كما أورد الدكتور السيد محمد نوح في كتابه: منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير بجانبيه التربوي والدعوي[1]، مجموعة من التعريفات الاصطلاحية للدعوة منها تعريف الدكتور السيد محمد الوكيل أن: (الدعوة إلى الله هي جمع الناس على الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2][3]. وتعريف الشيخ محمد الصواف: (الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ...﴾[4]، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلا عنها: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[5].)[6]. وتعريف الأستاذ فتحي يكن: (الدعوة هدم وبناء، هدم جاهلية بكل صورها وأشكالها، سواء أكانت جاهلية أفكار أم جاهلية أخلاق، أم جاهلية نظم وشرائع، ومن ثم بناء المجتمع المسلم على قواعد الإسلام في شكله ومحتواه، في مظهره وجوهره، في نظام حكمه وأسلوب عيشه، في تطلعه العقيدي للكون والإنسان والحياة)[7]. وتعريف الدكتور توفيق الواعي: (جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بتنفيذ منهج الله في الأرض قولا وعملا، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، والصبر والمصابرة على أعباء البلاغ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[8].)[9]. ولو بقينا نعدد التعريفات المختلفة لمصطلح الدعوة لبلغ بنا الأمر إلى مئات التعريفات، أضف إلى أن تعدد هذه التعريفات بعضها يحتاج إلى شرح وتوضيح، إلى جانب تباينها واختلافها بحيث تتناقض مع مبدأ شرط التعريفات التي يجب أن تكون جامعة مانعة، وهو ما نفتقده في غالب التعريفات لمصطلح الدعوة في أدبيات الذين كتبوا في مجال الفكر الدعوي. أما الدكتور أحمد عيساوي فقد ذكر أن للدعوة تعريفات كثيرة فاكتفى بالإشارة إلى بعضها ليخرج بحصيلة تبين خصائص ومميزات الدعوة عموما، ثم بمحاولة صياغة تعريف للدعوة مفاده أنها (محصلة النشاط الاتصالي الشمولي الذي يمارسه الدعاة الإسلاميون في مرحلتي التغيير والبناء على الصعيدين المحلي والعالمي، بهدف التعريف

---

(1) ص 23-25، دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى 2011م.

(2) آل عمران 104.

(3) **انظر**: أسس الدعوة وآداب الدعاة، د. محمد الوكيل، ص 9.

(4) آل عمران 19

(5) آل عمران 85.

(6) **انظر**: من القرآن وإلى القرآن الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الصواف، ص 22.

(7) **انظر**: الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، فتحي يكن، ص 39.

(8) سورة لقمان، الآية 18.

(9) **انظر**: النساء الداعيات، د. توفيق الواعي، ص 8.

برسالة الإسلام، التي أنزلها المولى تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك عبر مختلف الوسائل والتقنيات الحضارية الممكنة، تأسيسا على الأطر المرجعية المقدسة منطلقا وممارسة ومنهجا وأسلوبا وهدفا)، وهذا التعريف يشتمل على كافة خصائص ومميزات الدعوة من أنها: نشاط اتصالي شمولي يهدف إلى إحداث صِلات دينية وأخلاقية وتربوية وتعليمية وتثقيفية ووجدانية بالآخرين، كما أنها عملية اتصالية وإعلامية معا، الجانب الاتصالي فيها له علاقة بالجوانب الهندسية والتقنية للاتصال وبمضامين وطبيعة الرسالة الدعوية، كما أنها عملية تبشيرية ترشيدية تحمل أطروحات وتصورات عن الكون والحياة والانسان والنظام، يضطلع بها المتخصصون من دعاة وعلماء وشيوخ وفقهاء ممن مهروا فنون الاتصال والإعلام والدعاية القديمة والحديثة، وأنها عملية دائمة ومستمرة أفقيا وعموديا في مرحلة التغيير والتوعية والتوجيه والإرشاد، وفي مرحلة الصياغة والبناء وإعادة تشكيل العقل والوجدان والسلوك المسلم فرديا واجتماعيا، مضمونها ووسائلها ومضامينها الأساسية نشر الإسلام الصحيح، وتعريف المجتمع البشري به، من خلال هيئات ومنظمات ومؤسسات وشخصيات عبر مختلف وسائل الاتصال والإعلام المتطورة، بمرجعية القرآن والسنة وفهومات وتطبيقات السلف الصالح بما يناسب روح ومتطلبات وتطلعات وآمال الواقع الزماني والمكاني والكياني والإمكاني...[1]

أما عن تعريفات القدماء منها تعريف الإمام الخازن[2] بقوله: (المعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك)[3]. وفي تفسير الطبري[4] قوله: (... فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام والنهي عن المنكر نهي عن عبادة الأوثان والشياطين)[5].

ثانيا: دلالته في اللغة وفي الاصطلاح القرآني.

---

(1) **راجع**: دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، د. أحمد عيساوي، الجزء الأول، ص 26-33، مرجع سابق.

(2) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل البغدادي 1340/1279م، مفسر، فقيه ومؤرخ، ولد ببغداد وقدم دمشق وولي خزانة الكتب بالسمياطية من تصانيفه " لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، وشرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني، وسماه شرح عمدة الإفهام في شرح الأحكام. **انظر**: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص178.177.

(3) الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل، ج1، ص271، بيروت، دار المعرفة .

(4) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر 923.839م مفسر، مقرئ، محدث، مؤرخ، ولد بآل في طبرستان، وتوفي ببغداد، من تصانيفه: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك. **انظر**: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج9، ص147.

(5) جمع البيان في تفسير القرآن، الطبري، ج10، ص123، بيروت، دار المعرفة، ط1989م .

تفيد المادة اللغوية لكلمة الدعوة واشتقاقاتها: كل من النداء والآذان والاستصراخ والاستنفار والابتهال[1]. يقول ابن منظور في قوله تعالى: ﴿ وداعيا إلى الله وسراجا منيرا ﴾ (معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه...والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين..)[2]؛ فالدعوة على حد رأي ابن منظور تتضمن **احتمالين**: إما الدعوة إلى **بيعة هدى**، وإما إلى **بيعة ضلالة**. والمدلول القرآني لـ: الدعوة شمل كلا المعنيين، وإليكم الآن نماذج من كلا النوعين[3].

فباستقراء الآيات الدالة على المعنى الأول (**الدعوة إلى بيعة هدى**) نجد: قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَاأُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[6]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَايَتَّبِعُوكُمْ ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾[8]. وقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[9]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَايُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾[10]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴾[11].

---

(1) إلا أن تلك الاشتقاقات اللغوية على اختلاف معانيها تشترك كلها في معنى واحد وهو عملية إحداث الاحتكاك والاتصال بالناس، ومحاولة تحسيسهم وتنبيههم بالرسالة المراد تبليغها وإيصالها لهم بالقول أو الفعل. **راجع**: دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، الجزء الأول، ص 24-26، دار الكتاب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 2012م.

(2) **انظر**: لسان العرب لابن منظور، ج4، ص361.

(3) لقد استنتج البيانوني التعريف الاصطلاحي للدعوة من معناه اللغوي، الوارد في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهو: الدعوة في اللغة ((الطلب والحث على الشيء، والسوق إليه...)) فيتضمن معنى الدعوة إلى الإسلام طلب الناس وسوقهم إليه، وحثهم على الأخذ به،.ورأى أن تعريف الدعوة الإسلامية اصطلاحا لتشمل مراحل الدعوة الثلاث التبليغية والتكوينية والتنفيذية بأنها: ((تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة)). **راجع**: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص14-22،مرجع سابق.

(4) سورة يوسف،الآية:108.

(5) سورة الرعد، الآية:36.

(6) سورة النحل، الآية: 125.

(7) سورة الأعراف، الآية:193.

(8) سورة يونس، الآية:25.

(9) سورة آل عمران، الآية:104.

(10) سورة الحج، الآية:67.

(11) سورة الصف،الآية:61.

وباستقراء الآيات الدالة على المعنى الثاني (**الدعوة إلى ضلالة**) نجد: قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَايُنْصَرُونَ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[4]

ومن الملاحظ في النصوص القرآنية الآنفة الذكر أن المضمون الدعوي فيما إذا كان بيعة هدى أم بيعة ضلالة نجد له توضيحا في مجرور "إلى" في كلا النمطين من الآيات. وقد يتحدد هذا المضمون نظرا إلى السياق وحالة القائل، فإذا كان رسولا أو صالحا من العباد فإن المضمون الدعوى سيكون حتما" بيعة هدى " مثال ذلك قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْت ُقَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[5] فهذه الآية رغم أنها لم تحدد ما الذي دعا إليه نوح، غير أن ورودها على لسان النبي دل بداهة على أنه دعوة إلى بيعة هدى. و على عكس من ذلك، فإن وروده على لسان إبليس أو أحد من حزبه سيعني حتما دعوة إلى ضلالة. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَاكَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[6]. وهذا يقودنا إلى القول بأن مصطلح الدعوة ليس من الضرورة بمكان أن يرد مقرونا بما يدعى إليه، فيقال مثلا: "الدعوة إلى الله " أو "الدعوة إلى الإسلام" بل يكفي وروده في سياق أو محيط محدد ليكون دالا على مضمون محدد. فإذا أطلقت " الدعوة " في المحيط الإسلامي فإنها ستعني بداهة الدعوة إلى بيعة هدى. على هذا الأساس يمكن القول بأن مصطلح "**الدعوة** " الذي نتناوله اليوم في محيطنا الإسلامي، المقصود به الدعوة إلى بيعة هدى سواء أوردت لفظة الدعوة مجردة أم مقرونة بما يدعى إليه. أما ما الذي تعنيه الدعوة إلى بيعة هدى؟ فإن توضيح ذلك بدقة يحتاج إلى شيء من التمعن والتبيين. وفي هذا الإطار لو رجعنا إلى النصوص القرآنية فإننا نخلص منها إلى أن الدعوة وردت في سياقات عدة واستعمالات مختلفة متقاربة المعنى وذلك كالآتي: **الدعوة إلى الله. و الدعوة إلى الهدى. و الدعوة إلى دار السلام. و الدعوة إلى الإيمان بالله. و الدعوة إلى الجنة والمغفرة. و الدعوة إلى سبيل الله. و الدعوة إلى النجاة. والدعوة إلى الخير.والدعوة إلى صراط مستقيم**. وإذا رتبنا ما ورد في هذه الآيات فإننا نجدها تتوزع على

---

(1) سورة البقرة، الآية:221.

(2) سورة القصص، الآية:41.

(3) سورة لقمان، الآية:21.

(4) سورة فاطر، الآية: 6.

(5) سورة نوح، الآية:5.

(6) سورة إبراهيم، الآية:22.

ثلاثة محاور:**أولا: الدعوة إلى النجاة في الآخرة**، ويدل عليها كل من: دار السلام[1] ؛ الجنة والمغفرة ؛ النجاة. **ثانيا: الدعوة إلى دين الله الإسلام** ويشير إليه كل من: الصراط المستقيم[2] ؛ سبيل الرب[3]؛ الهدى والخير[4]. **ثالثا: الدعوة إلى الله**، ويشير إليه كل من: الإيمان بالرب ؛ الدعوة إلى الله.

وعلى ضوء هذه المحاور الثلاثة لو أردنا تحديد دلالة مصطلح الدعوة فإنه سيكون هكذا: **الدعوة تعني: (دعوة الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وبسائر المعتقدات التي لا يكون المرء مسلما إلا بها، والإيمان بالأحكام التشريعية من صلاة وصوم وغير ذلك بقصد النجاة فيالآخرة)**[5]. وبهذا الشكل يكون التعريف جامعا مانعا حتى ولو اختلفت الصيغ في التعريف بالدعوة بناءً على المحاور الثلاثة المذكورة. ومن هنا يعرف الإمام ابن تيمية[6] الدعوة إلى الله قائلا: **(الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه)**[7].كما أن تعريف الشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني قريب من ذلك إذ يعرف الدعوة إلى الإسلام بأنها: **(الطلب بشدة وحث على الدخول في دين الإسلام اعتقادا وقولا وعملا ظاهرا وباطنا)** وعرف علم الدعوة إلى الإسلام بأنها: **(العلم الذي تعرف به مناهج ومسالك ووسائل وآداب الدعوة إلى الدخول في دين الله الإسلام اعتقادا وقولا وعملا ظاهرا وباطنا)**[8]

ثالثا: مفهوم ودلالته في السنة النبوية الشريفة.

وإذا أردنا الدقة أكثر يمكننا القول بأن الدعوة عبارة عن: **دعوة الناس إلى ذلك القدر من الإيمانيات الأساسية التي تحقق المستوى الأدنى من النجاة في الآخرة وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله**

---

(1) وهي الجنة. **انظر: تفسير أبي السعود**، ج4 ص137، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط (د.ت)

(2) أي " دين الإسلام " **انظر: تفسير الخازن**: مج3، ص308، بيروت، دار المعرفة، ط(د.ت)

(3) وهو " الإسلام الذي عبر تارة بالصراط المستقيم وأخرى بملة إبراهيم " **انظر: تفسير أبي السعود**:ج5،ص149.

(4) الخير كناية عن الإسلام، **انظر: تفسير الخازن**، مج1، ص268.

(5) **انظر**: محمد شمس الحق، ص: 47- 48،مرجع سابق.

(6) وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الحضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، (تقي الدين، أبو العباس) (1263-1328م) ولد بحران، وتوفي بدمشق. وهو حافظ محدث، مفسر، فقيه، مجتهد من مصنفاته الكثيرة: مجموعة فتاويه. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. **انظر**: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين. الجزء 1، ص261.

(7) الشيخ بدر الدين البعلي: مختصر فتاوي ابن تيمية، ص310، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(د.ت)

(8) **انظر**: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ج1، ص16.

إلا الله وأن محمدا رسول الله، وكذلك إلى الاعتقاد بسائر ما لا يكون المرء مسلما إلا بالإيمان به. الأمر الذي يضمن أقل قدر من النجاة في الآخرة انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَن ْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1]وقوله ﷺ: ﴿ **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** ﴾[2] وقوله ﷺ لمعاذ[3]: ﴿**يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده وما حقالعباد على الله** ﴾؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال: ﴿ **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا** ﴾، فقلت يا رسول الله! أفلا أبشر به الناس؟ قال: ﴿ **لاتبشرهم فيتكلوا** ﴾[4]. وقوله ﷺ في حديث قدسي: ﴿ **يقول الله ﷻ أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من الإيمان، أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله أو ذكرني أو خافني في مقام** ﴾[5]. أما الأعمال وباقي التكاليف الإلهية فتأتي كمقتضيات لهذا الإيمان، وهي من شروط كماله.

ومما يؤكد هذا المفهوم وهذه الدلالة لمصطلح الدعوة، تخصيص رسول الله ﷺ مصطلح (**الدعوة**) للدعاة إلى هذا المفتاح: ﴿**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله**﴾. وأما إخبار المؤمنين عما يقتضيه هذا الإيمان وما يترتب عليه من التشريعات والأحكام فلم يسمه صلى الله عليه وآله وسلم دعوة بل عبر عنه بمصطلحات و تعابير أخرى كما يتضح من هذا الحديث: عن أبي معبد مولى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن﴿ **إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك**

---

(1) سورة النساء، الآية: 48.

(2) أخرجه البخاري عن عبادة ﷺ في:60- كتاب الأنبياء: 47- باب قوله تعالى: ﴿ يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ (رقم الحديث: 3435) الجزء 6، ص546- 547 من فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(3) وهو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي (أبو عبد الرحمن) (603-639 م) صحابي جليل أسلم وهو فتى شهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، بعثه إلى اليمن داعيا وقاضيا. انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج7، ص 258، دار العلم للملايين بيروت، ط6.

(4) أخرجه البخاري كتاب الجهاد: 46 باب اسم الفرس والحمار، ج6، رقم الحديث: 2856، ص69 من فتح الباري.

(5) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أنس بن مالك وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، الجزء 1، ص70.

وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب ﴾[1]. والبين من هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد التعبير عما سيقوم به معاذ تجاه قوم غير مسلمين في محاولة جذبهم إلى النطق بالشهادة، عبر عنه بالدعوة فقال: ﴿**إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** ﴾. أما حين أراد التعبير عما ينبغي أن يفعله معاذ رضي الله عنه تجاه أولئك الذين سينطقون بالشهادة (أي المؤمنين) من إخبارهم عن الفرائض من صلاة وصوم وزكاة وتحريضهم عليها، فعبر عنه بالإخبار في هذا الحديث فقال: ﴿ **فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة....الخ** ﴾ وكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿ **فإن هم أطاعوا** لك **بذلك (فادعهم) إلى أن يصلوا خمس صلوات قد فرضها الله عليهم في كل يوم وليلة** ﴾ ولكنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعل ذلك تمييزا لنشاطين مختلفين عبر مصطلحين منفصلين لئلا يختلط الأمر على الأمة فتترك هذا على حساب ذلك [2]. وفعلا هذا ما وقع فيه العمل الإسلامي المعاصر مستنفذا قواه وجهده ونشاطه على حساب العمل الدعوي الحقيقي[3]، ولعل هذا الحديث الشريف يعد نموذجا من نماذج الإعجاز الاصطلاحي في السنة النبوية الشريفة، نظرا لمنتهى دقته صلى الله عليه وسلم في تحديد وضيفة ودلالة العبارات والألفاظ المستعملة في الحديث الشريف.

رابعا: دلالتها عند قدامى المفسرين وأصحاب السير.

لقد كان التمييز بين مصطلح الدعوة وغيره من المصطلحات واضحا في العصور الإسلامية الأولى، لذا نرى المفسرين القدامى يجعلون شهادة ﴿ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴾ هي ما يدعى الناس إليها، يقول ابن كثير[4] في تفسير الآية:﴿ **قُلْ هَٰذِه ِسَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[5]: (يقول تعالى لرسوله إلى الثقلين الإنس والجن آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب- بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث: 4347، ج7، ص661-662 من **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**.

(2) **انظر**: الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل، محمد شمس الحق، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ص 53.

(3) باستثناء بعض الهيئات أو الجمعيات مثل الجمعية العالمية للدعوة الإسلامية، ورابطة العالم الإسلامي...، أو بعض الجهود الشخصية والفردية من بعض الدعاة من أمثال الداعية الدكتور عبد الرحمن السميط...، ولكنها في مجملها في النهاية تبقى جهودا محدودة لم تبلغ حد كونها مشرع ومسؤولية أمة تجاه الأمم الأخرى.

(4) وهو إسماعيل بن كثير بن زرع البصروي ثم الدمشقي (عماد الدين، أبو الفداء) (1301-1373م) مفسر حافظ، أخباري. من تصانيفه الكثيرة: تفسير القرآن العظيم في عشر مجلدات، البداية والنهاية في التاريخ. **انظر**: **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، ج2، ص283-284.

(5) سورة يوسف،الآية:108.

له، يدعو إلى الله بها على بصيرة ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)[1].ويقول الزمخشري[2] في تفسير الآية نفسها:(هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي)[3]. ومن المؤكد أن ذلك لا يكون إلا لقوم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه بعد. لذلك جعل ابن الجوزي[4] خطاب هذه الآية لقوم مشركين فيقول في تفسيرها: (قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، سبيلي)[5]. ومن هنا أيضا يرجع مقاتل[6] الضمير في قوله تعالى: ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ إلى أهل الكتاب[7].وبسبب هذه الرؤية البينة فيما يتصل بتمييز دلالة المصطلحات لدى الأسلاف فنجد مثلا: **محمد بن إسحاق**[8]يصف عمل خالد بن الوليد الذي قام به تجاه أهالي نجران من غير المؤمنين بالدعوة في أن ما قام به خالد نفسه في وسط إسلامي من تثقيف المؤمنين وتحصينهم بالتعليم[9]. وبذلك نخلص إلى أن الأصل في الدعوة إلى الإسلام أن تكون لغير المسلمين، وقد تكون لبعض المسلمين حينما تكون حالهم مثل حال غير المسلمين[10].

---

(1) **انظر**: **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ج2، ص513-514، بيروت، دار المعرفة،ط2، 1987م.

(2) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (أبو القاسم جار الله) (1075-1144) مفسر، أديب، لغوي. من تصانيفه الكثيرة: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الكشاف عن حقائق التنزيل. **انظر**: **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، ج12، ص186.

(3) **انظر**: تفسير الكشافمن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ج2، ص346، دار الكتاب العربي بيروت.

(4) هو عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي (جمال الدين، أبو الفرج) (1116-1201م) محدث، حافظ، مفسر، فقيه، ولد ببغداد وتوفي بها. من مؤلفاته الكثيرة: المغني في علوم القرآن، جامع المسانيد في سبع مجلدات. **انظر**: معجم المؤلفين، عمر رضا كخالة، ج5، ص157.

(5) **انظر**: **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، ج4، ص295، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط4، 1987م.

(6) وهو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي(أبو الحسن) (...- 150هـ) كان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز. حكي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: " الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام" وقد تكلم بعض العلماء في صحة روايته للحديث. توفي بالبصرة. **انظر**: وفيات الأعيان، ابن خلكان، مج5، ص255-257.

(7) انظر: **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، ج4، ص 506، المكتب الإسلامي بيروت ودمشق، ط4، 1987م.

(8) وهو محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي (أبو بكر، أبو عبد الله) (...-768م) محدث، حافظ، أخباري، عارف بأيام العرب وأخبارهم وأنسابهم. توفي في بغداد. من تصانيفه: السيرة النبوية، الخلفاء. **انظر**: **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، ج9، ص44.

(9) **انظر**: **حياة الصحابة**، يوسف الكاندهلوي، ج1، ص121، دمشق، دار القلم، ط5، 1987 م.

(10) **انظر**: **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ج1، ص16.

المطلب الثاني: مصطلح التزكية.

أولا: مفهومها:

أصل التزكية والزكاء والزكاة في اللغة تدور على عدة معاني وهي: الطهارة، والنماء، والزيادة والبركة، والمدح، والصلاح، وكله استعمل في القرآن والسنة، حيث وردت في القرآن الكريم (59) مرة على اختلاف مشتقاتها، وتزكية النفس: تطهيرها بالانقطاع عن العلائق البدنية[1]. كما لا يخرج معنى التزكية في العرف الاصطلاحي عن معانيه ودلالاته اللغوية.

إذا كان معنى الزكاة في الفقه عبارة عن: مبلغ من المال ونحوه يجب بذله للفقراء ونحوهم بشروط خاصة. فإن علماء الصوفية قد جعلوا لكل شيء زكاة، ولكل نعمة من نعم الله تزكية خاصة، فقالوا: أن زكاة البدن: تطهيره من المعاصي والمخالفات. وزكاة الجسد: صيام النوافل. وزكاة العين: النظرة بالعبرة. وزكاة اللسان: النصح للمسلمين، والتيقظ للغافلين، وكثرة التسبيح والذكر وغيرها. وزكاة الأذن: العلم والحكمة والقرآن، وفوائد الدين، من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك، وبالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها. وزكاة اليد: البذل والعطاء والسخاء بما أنعم الله عليك به، وتحريكها بكتابة العلم، ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى، والقبض عن الشر. وزكاة الرِّجل: السعي في حقوق الله تعالى، من زيارة الصالحين ومجالس الذكر، وإصلاح الناس، وصلة الأرحام، والجهاد، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك. وزكاة الجاه: الشفاعة. وزكاة الظَّفَرِ: العفو. وزكاة العلم: أن يعلمه أهله، والتحقق بأن واهب العلم هو الحق سبحانه، فمن قال العلم لي كان كممسك المال من غير إخراج زكاة، فهو فاعل كبيرة عند العارفين؛ وقالوا: ردُّ العلم إلى صاحب العلم يوهب التواضع أمام واهب العلم. وزكاة الأعمال: الإخلاص. وزكاة المال: تطهيره من الشبهات. وزكاة النِّعَمِ: المعروف. وزكاة النفس: إخراج حق الله منها، وتطهيرها بذلك الإخراج من الصفات التي ليست بحق لها، فتأخذ ما لك منه وتعطي ما له منك[2]... ولذلك قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَآتوا الزَّكاةَ ﴾[3]؛ (أي: بالغوا في تزكية النفس عن الحرص على الأمور الدنيوية والأخلاق الذميمة، وتطهير القلب عن رؤية الأعمال السيئة، وترك مطالبة ما سوى الله، فإنه مع طلب الحق زيادة والزيادة على الكمال نقصان)[4]. وقد أوَّلَ بعضهم قوله تعالى: ﴿ والذين هم للزَّكاةِ فاعِلُون ﴾: الذين هم للعمل الصالح فاعِلُون، وقال تعالى: ﴿ خيراً منه زَكاةً ﴾؛ أَي: خيراً منه عملاً صالحاً، وكذلك قوله عز

---

(1) **انظر**: لسان العرب لابن منظور، مادة: **زكا**. **انظر**: المعجم العربي الأساسي، ص 580.

(2) **راجع**: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان تأليف السيد الشيخ محمد بن السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني، ج10، ص256-265.

(3) البقرة : 43.

(4) **انظر**: تفسير روح البيان، الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، ج 1، ص 122.

وجل: ﴿ وحناناً من لدُنَّا وزَكاةً ﴾؛أي: صلاحاً. و في قوله عز وجل: ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمتُه ما زَكا منكم من أَحد أَبداً ولكن الله يُزَكِّي من يشاء﴾، وقرئ ما زَكَّى منكم، فمن قرأَ ما زَكا فمعناه ما صلح منكم، ومن قرأَ ما زَكَّى فمعناه ما أَصلح، ولكن الله يُزَكِّي من يشاء أَي يُصلح.

ومن جملة تعريفات زكاة النفس تعريف الشيخ عبد القادر الجزائري لها بقوله: (تزكية النفس: تطهيرها من دعواها ما ليس لها لنفسها ... فمن عرف أنه العدم الظاهر، وتحقق أنه لا علم ولا قدرة ولا فعل ولا اختيار له، وأنه محل لفعل الحق تعالى فهو الفاعل فيه، وبه فهو الذي زكى نفسه وطهرها من الجور والفجور)[1] وقد عرفها **سعيد حوى**[2] بقوله: (زكاة النفس: تطهيرها من أمراض وآفات، وتحققها بمقامات، وتخلقها بأسماء وصفات، فالتزكية في النهاية: تطهر وتحقق وتخلق)[3]. وقد ذهب بعض المشايخ إلى أن تزكية النفس تحصل بتصفية القلب، لأن من اشتغل بتزكية النفس لا تحصل بالتمام والكمال إلا في مدة طويلة، ومن اشتغل بتصفية القلب يحصل تزكيتها في مدة قليلة.

ومن التعريفات السابقة لمعنى التزكية يعلم أن التزكية تقوم على أمرين: **تخلية وتحلية؛ تخلية** للنفس عن كل الذنوب والسيئات، والمعاصي والبليات، والقبائح والمسترذلات.**وتحلية** لها بالمكرمات، وتنمية المستحسن من الأخلاق والعادات حتى تبلغ بها النفس المطمئنة كما أشار الغزالي إلى ذلك بقوله: (جوهر عملية التزكية:الارتقاء بالنفس درجة درجة، من السيئ إلى الحسن ثم ترقيها في مراتب الحسن والصفاء حتى تبلغ أعلى المستويات الإنسانية وأسماها، فتتحول من نفس أمارة بالسوء أو لوامة إلى نفس مطمئنة راضية عن ذاتها مرضية عند مولاها وربها).وحيثما ذكرت التزكية في القرآن الكريم فهي شاملة لهذين المعنيين.

ثانيا:حكمها الشرعي.

اختلف فيه العلماء نظرا لخلافهم في الأصل عند الإنسان هل هو السلامة والمرض طارئ، أم أن الخلل والكمال مكتسب . فذهب البعض بأنها فرض كفاية لأن الأصل في الخلق السلامة، واستدلوا بحديث ﴿كل مولود يولد على الفطرة ﴾. إلا أن صاحب الإحياء ذهب إلى أن التزكية فرض عين على كل إنسان

---

(1) الشيخ عبد القادر الجزائري، المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد، ج 1 ص 108 .

(2) ولد سعيد حوى النعيمي في مدينة حماة بسورية سنة 1354هـ/1935م، حفظ القرآن الكريم على يد سيدة كفيفة من أقاربه، عاش سعيد حوى في فترة كانت سوريا تموج فيها أفكار كثيرة وتيارات فكرية متعددة للقوميين والاشتراكيين والبعثيين والإخوان المسلمين، وقد انضم إلى هذه الأخيرة سنة 1372هـ/1952م. اعتقل وسجن لمدة خمس سنوات عام 1973م، وقد استغل فترة سجنه في تأليف عدد من الكتب أهمها: [الأساس في التفسير] في أحد عشر مجلدا، بعد خروجه من السجن في الفترة بين 1979م –1987م. تولى قيادة كل من جماعة الإخوان في ظروف بالغة الحرج، و قيادة التنظيم العالمي لقيادة جماعة الإخوان. حيث أجبرته ضروفه الصحية على اعتزال العمل القيادي، انتقل إلى الرفيق الأعلى سنة 1409هـ/1989م....**انظر في ترجمته: محمد خير رمضان، تكملة معجم المؤلفين، ص210**.

(3) **انظر**: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، ص 5 .

.فالأصل عنده المرض واستدل بحادثة شق الصدر. بأن كل إنسان في قلبه نزغة الشيطان وأن الله استلها من صدر نبيه ولكنها بقيت عند بقية الخلق فتحتاج إلى مجاهدة لهذه النزغات بالتربية والتزكية. وهذا النوع من العلاج واجب تعلمه، إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثم إلى التشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[1].

والجمع بين القولين أن غالب النفوس، ولو قلنا بأن الأصل فيها السلامة، إلا أنها قابلة للشهوات، مائلة إلى الملذات، نافرة عن الطاعات، مقبلة على الغفلات. والمسلم مطالب بالبحث عن سلامة نفسه من كل هذا فلزمه أن يعمل على تزكيتها وتطهيرها .والذي يعيد النظر في أسباب التزكية والتربية يكاد لا يتردد في أن الحاجة إليها تصل إلى حكم الواجب العيني وهو ما قال به بعض العلماء وأكدوه.يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: (المؤمن العاقل لا يترك لجامها ولا يهمل مقودها، بل يرخي لها في وقت والزمام بيده فما دامت على الجادة فلا يضايقها بالتضييق عليها، فإذا رآها مالت ردها بلطف، فإن ونت وأبت فبالعنف).وقال أبو يزيد: (ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك).

المطلب الثالث: مصطلح التربية.

عرف المعجم العربي الأساسي[2] التربية بـ: (تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها). وهذا التعريف المعتمد في اللغة وعلم النفس، لا يبتعد كثيرا في دلالته على التعريفات الاصطلاحية للتربية عند علماء التصوف والتزكية الذين توسعوا في أساليب التربية، الظاهرة منها والباطنة، من تعريفاتها تعريف الشيخ أحمد الرفاعي بقوله: (التربية: هي تهذيب نفس الطالب ونقلها من الطمع إلى الزهد، ومن البخل إلى السخاوة، ومن الاعتراض إلى التسليم، ومن التدبير إلى التفويض، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن الكسل إلى العبادة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الحمق إلى الحسن، ومن العداوة إلى المصالحة، ومن إيذاء الناس إلى نفعهم، ومن الغفلة إلى الخوف)[3].ويعرفها الشيخ عبد العزيز الدباغ بقوله: (التربية: هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها، حتى تطيق حمل السر، وليس ذلك: إلا بإزالة الظلام منها، وقطع علائق

---

(1) سورة الشمس، الآية 9-10. انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج03، ص 80، تحقيق سيد ابراهيم، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 1992م.

(2) أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبعة لاروس عام 1989، وهو إجماع مجامع اللغة العربية المختلفة في 1347 صفحة، تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب، ص 502.

(3) السيد أبو الهدى الصيادي الرفاعي – قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الأكابر ، ص 283 .

الباطل عن وجهتها)[1]. ولا تكون التربية التامة إلا بالمناسبة التامة بين المربي والمربى. وتكون في عالم الظاهر بالمشافهة والإشارة[2] والمواجهة، والقدوة...، وتكون في المعنى بالنظر، أو بالتربية الروحية، أو التربية بلا واسطة. التربية بالنظر كما يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني: (تربيتي لخواص أصحابي بالنظر من غير لفظ ولا إشارة، فيؤثر نظري إليهم في الخير كما يؤثر عين المعيان في غيره الشر)، أما التربية الروحية فهي كما يقول الشيخ أحمد كفتارو: (هي قوة تجميع النفس بالذكر لتوليد طاقة الفكر العامل لنصرة الإسلام)، وكما يقول الباحث محمد شيخاني: (التربية الروحية هي التربية التي تعمل ضمن منهج قرآني، إلى تملك القدرة النفسية بطريقة المجاهدة، لتسخيرها طواعية في تطبيق حقائق الأمور الشرعية باطمئنان ورضا ويقين). أما التربية بلا واسطة مثالها في قصة أصحاب أهل الكهف، وصاحب سيدنا موسى[3].

المطلب الرابع: مصطلح التوسل والوسيلة.

أولا: الوسيلة لغة واصطلاحا.

الوسيلة في الأصل: ما يُتوصل به إلى الشيء ويتقرب به، ويتحقق به غرض معين، والوسيلة هي الشفاعة يوم القيامة، والوسيلة هي الوساطة التي لا يمكن بلوغ الهدف أو الوصول إلى المبتغى إلا بها. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مرتين، منها قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[4]. وفي الاصطلاح الصوفي فقد عرفها الجرجاني: (هي ما يتقرب به إلى الغير). وعرفها أبو حفص النيسابوري بقوله:(هي الواسطة التي يمكن بها بلوغ الهدف أو الوصول إلى المبتغى، وهي واسطة يستطيع الإنسان بها الوصول إلى القرب أو إزالة كرب).وعرفها بعضهم: (هي كل ما يوصلنا إلى الحق تعالى ورضاه ويبعدنا عن سخطه وغضبه في الدنيا والآخرة). وقيل: (الوسيلة: هو المرشد الذي هو النبي ﷺ ثم المشايخ الذين يعرفون طريق الوصول إلى الله تعالى بشروطها). يقول الشيخ عبد القادر الجزائري: (الوسيلة: وهو الشيخ الكامل بالنسبة، العارف بالطريق، وبالعلل العائقة، والأمراض المانعة في الوصول إلى العلم بالله تعالى، الحاذق الخبير بالمعالجة والأمزجة والأدوية، وما يوافق منها، وقد انعقد إجماع أهل الله تعالى: أنه لا بد من الوسيلة: وهو الشيخ في طريق العلم بالله تعالى، ولا تغني عنه الكتب). ومنه فإن الوسيلة هي: كل ما يوصلنا إلى الحق تعالى ورضاه ويبعدنا عن سخطه وغضبه في الدنيا والآخرة. والتوسل:

---

(1) الشيخ أحمد بن المبارك (الإبريز) ص 231 .

(2) كما في المثل العربي السائر: ((اللبيب بالإشارة يفهم)) .

(3) **راجع**: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان، مرجع سابق، ج9، ص 106-110.

(4) سورة المائدة، الآية 35.

طلب الواسطة والدعاء بكل ما يعتقد بعلو شأنه عند الله لقضاء حاجة ما... [1].

ثانيا: أنواعـها.

لقد دلّت السنة المطهرة على أن هناك ثلاثة أنواع من الوسائل لا يمكن بلوغ الهدف أو الوصول إلى مبتغى الله تعالى إلا بها وهي :النوع الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته ودعائه ونحوها، وهذا النوع متفق عليه. النوع الثاني:التوسل إلى الله تعالى بالطاعات والأعمال الصالحة، كما في حديث الثلاثة أصحاب الغار الذي سُد عليهم وتوسلهم بأعمالهم الصالحة ففرج عنهم، وهذا النوع لاخلاف فيه أيضاً. والنوع الثالث:التوسل إلى الله تعالى بالأنبياء والأولياء والصالحين سواء كانوا أحياءً أم أمواتا، فهذه الأنواع الثلاثة من الوسائل هي المرادة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَوَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]. وبيان ذلك: أن الوسيلة هي الشفاعة الواردة في الآية الكريمة: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[3]. حيث يقول المفسرون: ليس لأحد أن يشفع عنده إلا إذا أذن له في الكلام، وهذا يعني أَنَّ الله تعالى سيأذن لبعض عباده من الأنبياء والأولياء بالشفاعة بأمره وإرادته، ولما كانت الشفاعة ثابتة بين الخالق والمخلوق فقد ثبتت الوساطة بينهما، لأن الشفاعة هي الوساطة، وكل النصوص الجازمة بقطعية ثبوت الشفاعة هي في الحق والحقيقة أدلة لإثبات اتخاذ الوسيلة إلى الله تعالى.

وقد يستنكر بعض على المسلمين أن يستعينوا أو يستغيثوا أو يستمدوا العون من الأنبياء والأولياء والصالحين محتجين في ذلك بأقوال، تارةً تكون حديثاً، وتارةً أخرى تكون تأويلاً مغرضاً لنص قرآني أو حديث نبوي شريف. وتفصيل ذلك أن المراد من الاستعانة أو الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين أمور ثلاثة: الأول: أن يعينه الصالح ويمده مادياً .الثاني: أن يعينه بدعائه أو استغفاره له. الثالث: أن يمده مدداً روحياً عن بُعد. ولكل وجه من هذه الوجوه أدلته الثابتة من الكتاب والسنة والإجماع، فأما حكم الأمرين الأول والثاني، فيكفي لبيان ثبوتهما أن ننقل إجماع العلماء المتقدمين على لسان الإمام تقي الدين السبكي حيث قال: (اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه ﷻ وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمن من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم على ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء، وابتدع ما لم يسبق في سائر الأعصار، وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله، وصار به بين أهل الإسلام مُثْلَةً، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك، رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه إلى الصراط

---

(1) **انظر**: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان، ج 21، ص 467-468. انظر: لسان العرب، مادة: وسل، الباحث العربي، النت.

(2) سورة المائدة، الآية 35.

(3) سورة البقرة 225.

المستقيم، وأن أتتبعه بالنقض والإبطال، وأقول: إن التوسل بالنبيﷺ جائز في كل حال، قبل خلقه، وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا، وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث، في عرصات القيامة والجنة، وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع؟! وليس هذا المعنى مما تختلف فيه الشرائع حتى يقال: إن ذلك شرع من قبلنا، فإنه لو كان ذلك مما يخل بالتوحيد لم يحل في ملة من الملل، فإن الشرائع كلها متفقة على التوحيد، فإنه لاشك أن للنبيﷺ قدراً عنده ومن أنكر ذلك فقد كفر، فمتى قال: أسألك بالنبيﷺ فلا شك في جوازه، وكذا إذا قال بحق محمدﷺ.). ويقول الشيخ أحمد زيني دحلان: (إن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبيﷺ في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين كما دلت عليه الأحاديث، لأنا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجادا ولا إعداما ولا نفعاً ولا ضراً إلا لله وحده لاشريك له). وأما إجماع المتأخرين فننقله على لسان رئيس رابطة علماء العراق الشيخ العلامة عبد الكريم المدرس في قوله: (إن جعل التوسل شركاً وكفراً معارضة صريحة لقواعد الإسلام، فإذا وقفنا وتوجهنا إلى الضريح الأنور وخاطبناهﷺ، فخطابنا له أصل في الدين، وهو الخطاب معه في تشهدنا لكل صلاة، ومعنى ذلك أنهﷺ له روح عالية الدرجات موهبة من الله سبحانه بفضائل لا يعلمها إلا هو وأنه تعالى يخبره ويعلمه بصلاة المصلين وخطاب الحاضرين والغائبين. وإذا توسلنا بهﷺ على معنى طلب الدعاء منهﷺ فطلب الدعاء مشروع وروحانيته المنورة لا فرق بين عالم علاقته المادية الدنيوية وعلاقته البرزخية، وإذا توسلنا بذاته الشريفة أو بجاهه العظيم أو بحقه الجسيم، أي حق رعايته للعبودية الخالصة عند الله تعالى بفضل إحسانه ولطفه أو فضل طاعته وأعماله وجهاده في تبليغ الدين المبين، فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة.). فطلب الإمداد المادي ورد في الكتاب والسنة، أما في الكتاب:فقال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[1]. وقال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً. قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴾[2].وأما من السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تنطق بذلك، منها: ما روى البخاري أن رسول اللهﷺ قال: ﴿ إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم موسى ثم محمدﷺ﴾[3]. وروى مسلم عن عمررضي الله عنه أن رسول اللهﷺ قال: ﴿ إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ﴾[4]. قال النووي: وفيه

---

(1) القصص 15.

(2) الكهف 94-95.

(3) صحيح البخاري، ج3، ص28..

(4) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ج1، ص68إذا .

استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم. فإذا قصد بقوله أمدني أو أغثني أو نظرتك، على طلب الدعاء منه فلا مانع من ذلك .أما من يمنع ذلك ويستدل بقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، ، وبقوله ﷺ: ﴿ لا يستغاث بي إنما المغيث هو الله ﴾[1].

فالجواب عنه: إن الإعانة تكون حقيقية ومجازية، فالمعين الحقيقي هو الله وطلب الإعانة من غيره مجاز، لأن المعين لك وهو البشر، لولا إمداد الله له بالعون والقوة لما استطاع أن يعينك، فالاستعانة بالإنسان هي استعانة بالقوة والملكة والسلطة التي منحها الله إياها، إذ لاحول ولاقوة إلا بالله. فالآية حصرت الاستعانة الحقيقية بالله تعالى وكذا وصية النبيﷺ لابن عباسرضي الله عنه من هذا القبيل، والآية والحديث فيهما توجيه للعبد أن لا ينسب إلى المخلوق لاحول ولاقوة ولو طلب العون المجازي منه. وإذا لم توجه الآية والحديث هذا التوجيه فإنهما سيتعارضان مع قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[2] وقوله ﷺ: ﴿ والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ﴾[3]. أما حديث: ﴿ لايستغاث بي ﴾ الذي احتج به المنكر فإنه ضعيف، لأن في سنده ابن لهيعة فلا يقاوم الأحاديث الصحاح ولا مدلول الآية.

أما الإعانة أو الإغاثة الروحية فإن المراد منها:(الدرك) من قبل الأنبياء عليهم السلام والمشايخالكاملين قدس الله أسرارهم هو: قدرتهمعلى معونة وإغاثة الخلق عن بُعد بإذن الله تعالى، ويمكن تقسيم هذه الإعانة الروحية على ثلاثة أقسام، القسم الأول: الإعانة في أمور الهداية والإيمان، يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[4]. ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5]. ويقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[6]. القسم الثاني: الإغاثة الروحية عن بُعد في أمور الدنيا، كما سيرد في حديث سارية.القسم الثالث: الإغاثة الروحية في أمور الآخرة. والأدلة الواردة في الشفاعات ومن يشفعون يوم الحساب أكبر دليل على ذلك. والحقيقة إن طلب الاستغاثة أو المدد الروحي من الأنبياء أو الأولياء والصالحين سواء كانوا أحياء أم أمواتاً جائز لاشيء فيه إطلاقا ولكن ضمن التفصيل الآتي:إن اعتقد المستغيث أو المستمد أن هذا النبي أو الولي يمد ويغيث كما يمد ويغيث الله سبحانه وتعالى على حد سواء، فهذا كفر وشرك والعياذ بالله، ونحن نبرأ إلى الله تعالى منه ومن معتقده أياً كان. وإن عنى بذلك الاستمداد أن هذا النبي أو الولي يتشفع له عند الله، وأن الحق تعالى هو الذي سيغيثه ويعينه إكراما لهذا الولي، فلا شيء في ذلك، ولا يكون ذلك كفراً. ومما تقدم نخلص إلى القاعدة الشرعية التي قال بها الإمام أبو حامد

---

(1) مجمع الزوائد، ج10، ص 159.

(2) المائدة 02.

(3) **انظر**: المسند الجامع، ج43، ص 157.

(4) الأنبياء 73.

(5) الشورى 52.

(6) المائدة 2.

الغزالي وهي: كل من ينتفع به حياً ينتفع به ميتاً. ولعل من أوضح الأدلة على ثبوت الإغاثة الروحية وقطعيتها للأولياء الحديث الصحيح المشهور بحديث قرب النوافل، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: ﴿ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ﴾، إن هذا الحديث لينص صراحةً على أن من عباد الله من تكون كل حركاته وسكناته بالله تعالى، فلا يسمع إلا بالله، ولا يبصر إلا بالله، ولا يتكلم إلا بالله، وهو يقوم بالله، ويقعد بالله، ويقدر بالله، ويؤثر في الأشياء بالله تعالى، فهو ممده ومعينه ومكرمه بتلك القدرة التأثيرية معجزةً كانت أو كرامة، يقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري: ﴿ عبدي أطعني أجعلك ربانياً تقول للشيء كن فيكون﴾[1] فمن ينل تكريم الربانية: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾[2]بفضل الله تعالى ورحمته وحسن إخلاصه في عبادته وطاعته تصبح لديه القدرة والمقدرة على أن يسمع ويرى عباد الله تعالى عن بُعد، استغاثوا به أم لم يستغيثوا، ويستطيع أن يعينهم ويغيثهم (يدركهم) إن لزم الأمر بإذن الله تعالى وحده لا شريك له في ملكه ولا مانع لما يعطي من رحمته: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]. فالحق تعالى هو السامع المبصر المعين على الحقيقة وليس للنبي أو الولي المكرم إلا الوساطة الروحية بينهما، والذي يؤكد لك ذلك جميع معجزات الأنبياء فكلها قدرات تأثيرية خارقة أظهرها الله تعالى لخلقه بوساطة رسله: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[4]. وأما بالنسبة للأولياء ومقدرتهم على التغيير والتأثير والنفع والضر بالله تعالى، فكل كرامات الأولياء المجمع على صحتها في الكتاب والسنة تؤيدها، ومنها: قاله تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[5]. فهذا العبد الصالح آصف بن برخيا قد تمكن بقدرة الله تعالى من نقل عرش بلقيس بما فيه من اليمن إلى فلسطين في أقل من طرفة عين، أفلا يستطيع أن يغيث (يدرك) مستغيثاً به عن بعد إذا شاء الله ذلك ؟ اللهم بلى، فبمشيئته تعالى كل شيء جائز وممكن. ومن ذلك ما أخرجه أبو نعيم عن عمر بن الحارث قال: (بينما عمر يخطب يوم الجمعة

---

(1) صحيح البخاري، ج5، ص2384، رقم 6137.

(2) آل عمران 79.

(3) سورة ص 39.

(4) الفتح 23.

(5) النمل 38-40.

إذ ترك الخطبة وقال يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثاً، ثم أقبل على خطبته، فقال بعض الحاضرين: لقد جن إنه لمجنون، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال: أنك لتجعل لهم على نفسك مقالا، بينما أنت تخطب إذ أنت تصيح يا سارية الجبل، أي شيء هذا؟ قال: إني والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل، ليلحقوا بالجبل. فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه: إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة سمعنا منادياً ينادي يا سارية: الجبل مرتين، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم). فهذا نص صريح وقطعي أيضا في أن الله تعالى قد أكرم الخليفة الثاني بأن جعله يرى ما يحصل في نهاوند وهو في الحجاز، وأن يدرك سارية وجيشه إلى الجبل فيعينهم، ترى منكري الكرامات والإغاثة الروحية كيف يفسرون هذه الحقيقة ؟ بل كيف يؤولونها؟ نظر تطوى له الحدود والمسافات فيرى البعيد قريباً، وسمع تضمحل أمامه الحواجز والغشاوات فيسمع النداءات والاستغاثات، وصوت يقطع الأجواء والفضاءات ليجيب الاستعانات. إن الذي يريد أن يؤول هذا النص أو غيره لهو كمن يريد أن يحجب ضوء الشمس بالغربال[1].

ثالثا: الوسيلة بين السبب والمسبب.

يتضح مما تقدم أن المؤمن لابد أن تكون له في جميع أحواله نظرتان: النظرة الاولى: نظرة توحيد لله ﷻ بأنه وحده مسبب الأسباب والفاعل المطلق في هذا الكون، المنفرد بالإيجاد والإمداد ولا يجوز للعبد أن يشرك معه أحداً من خلقه، مهما علا قدره أو سمت مرتبته من نبي أو ولي. النظرة الثانية: نظرة للأسباب التي أثبتها الله تعالى بحكمته إذ جعل لكل شيء سبباً. فالمؤمن يتخذ الأسباب، ولكنه لا يعتمد عليها ولا يعتقد بتأثيرها الاستقلالي. فإذا نظر العبد إلى السبب واعتقد بتأثيره المستقل عن الله تعالى فقد أشرك، لأنه جعل الإله الواحد آلهة متعددة. وإذا نظر للمسبب وأهمل اتخاذ الأسباب فقد خالف سنة الله الذي جعل لكل شيء سبباً. والكمال هو النظر بالعينين معاً فتشهد المسبب ولا تهمل السبب. ولتوضيح هذه الحقيقة نسوق هذه الأمثلة: إن الله تعالى هو وحده خالق البشر، ومع ذلك فقد جعل لخلقهم سبباً عادياً وهو التقاء الزوجين وتكوين الجنين في رحم الأم وخروجه منه في أحسن تقويم. إن الله تعالى هو وحده المميت، ولكن جعل للإماتة أسباباً، وهو ملك الموت، فإذا لاحظنا المسبب قلنا: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾[2]، وإذا قلنا فلان قد توفاه ملك الموت لا نكون قد أشركنا مع الله إلهاً آخر لأننا لاحظنا السبب كما بينه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم﴾[3]. وكذلك فإن الله تعالى هو الرزاق، لكنه جعل للرزق أسباباً كالتجارة والزراعة، فإذا لاحظنا المسبب أدركنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ

---

(1) انظر: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان، ج 21، ص 470-478.

(2) الزمر 42.

(3) السجدة 11.

الْمَتِينُ﴾[1]، وإذا لاحظنا السبب بمعرض التوحيد وقلنا فلان يُرزق من كسبه ولا نكون بذلك قد أشركنا، فرسول الله ﷺ يقول فيما يرويه البخاري: ﴿ ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده﴾[2]، وقد جمع الرسول الأعظم ﷺ بين النظرتين توضيحاً وبياناً في الكمال في قوله ﷺ فيما يرويه البخاري: ﴿ والله المعطي وأنا القاسم﴾[3]. وكذلك الأمر بالنسبة للإنعام ففي معرض التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾[4]، لأنه المنعم الحقيقي وحده. وفي معرض الجمع بين ملاحظة السبب والمسبب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[5]، فليس الرسول الأعظم ﷺ شريكاً في عطائه وإنما سيقت النعمة لزيد بن حارثة ﷺ بسببه ﷺ فقد أسلم على يديه وأعتق بفضله وتزوج باختياره ﷺ.وكذلك بالنسبة للاستعانة إذا نظرنا إلى المسبب وجدنا: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[6]، وإذا نظرنا للسبب وجدنا: قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[7]، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ فيما يرويه الإمام مسلم: ﴿ والله في عون المرء ما دام المرء في عون أخيه﴾[8]، فإذا قال المؤمن لأخيه: أعنّي على حَمل هذا المتاع لا يكون مشركاً مع الله تعالى أحداً، ولا مستعيناً بغير الله تعالى، لأن المؤمن ينظر بعينه فيرى السبب والمسبب، وكل من يتهمه بالشرك فهو ضال مضل. وهكذا الأمر بالنسبة للهداية، إذا نظرنا للمسبب، فالهادي هو الله وحده، لهذا قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[9]، وإذا لاحظنا السبب نرى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[10] أي: تكون سبب في هداية من أراد الله هدايته. والعلماء العارفون والمرشدون هم ورثة الرسول الأعظم ﷺ في هداية الخلق ودلالتهم على الله تعالى، فإذا استرشد مريد بشيخه فقد اتخذ سبباً من أسباب الهداية التي أمر الله بها، جعلهم عليها أئمة يهدون إليها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[11]. فصلة المريد بشيخه صلة روحية لا تفصلها المسافات والحواجز المادية، وإذا كانت الجدران والمسافات لا تفصل أصوات الأثير الذي نسمعه من المذياع فكيف تفصل بين الأصوات المطلقة، لذا

---

(1) الذاريات 58.

(2) صحيح البخاري، ج2، ص730.

(3) صحيح البخاري، ج01، ص39، رقم 71.

(4) النحل 53.

(5) الأحزاب 37.

(6) يوسف 18.

(7) المائدة02.

(8) صحيح مسلم، ج4، ص 2074.، رقم 2699.

(9) القصص 56.

(10) الشورى 52.

(11) الأنبياء 73.

قالوا: إن شيخك ينفعك في بعده كما ينفعك في قربه. وبما أن الشيخ هو سبب هداية المريد إذا تعلق به وطلب منه المدد لا يكون قد أشرك بالله تعالى، لأنه يلاحظ السبب كما أوضحنا سابقاً مع اعتقاده أن الهادي والممد هو الله تعالى، وأن الشيخ ليس إلا سبب أقامه الله لهداية خلقه وإمدادهم بالنفحات القلبية والتوجيهات الشرعية، ورسول الله ﷺ هو البحر الزاخر الذي ينهل منه هؤلاء الشيوخ وعنه يفيضون. فإذا سلمنا بقيام الصلة الروحية بين المريد والشيخ، سلمنا من قيام المدد المترتب عليها، لأن الله يرزق بعضاً ببعض في أمر الدنيا والدين[1].

رابعا: التعبير المجازي ليس كفرا[2].

ولذلك فإن التعبير المجازي لا يعني كفراً: إذ الفرق بين مقام الخالق والمخلوق هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ومن خلط بين المقامين فقد كفر والعياذ بالله، فلكل مقام حقوقه الخاصة، ولكن هناك أموراً ترد في هذا الباب ولاسيما ما يتعلق بالنبي ﷺ وخصائصه التي تميزه من غيره من البشر وترفعه عليهم، هذه الأمور قد تشتبه على بعض الناس لقصر عقولهم وضعف تفكيرهم وضيق نظرهم وسوء فهمهم، فيبادرون إلى الحكم بالكفر على أصحابها وإخراجهم عن دائرة الإسلام. ولذا يجب أن نعرف ما يجب لله وما يجب لرسوله الأعظم ﷺ ونعرف ما هو محض حق لله تعالى، وما هو محض حق لرسوله الأعظم ﷺ من غير غلوٍ، ولا إطراء يصل إلى حد وصفه بخصائص الربوبية، والألوهية في المنع، والعطاء، والنفع، والضر الاستقلالي دون الله تعالى. أما الفناء في محبته وطاعته والتعلق به، فهذا واجب ومطلوب، فإن الله تعالى عظم النبيﷺ في القرآن بأعلى أنواع التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[3]، وقال كذلك: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4]. ولم يقل الله تعالى في كتابه الكريم يا محمد ﷺ كما قال يا موسى ويا عيسى ابن مريم ويا لوط ويا إبراهيم عليهم السلام بل يا رسول الله، يا نبي الله وهذا من تعظيمه له ﷺ. فيجب أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَه﴾[6]. ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه السلام فإنها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت، ومس الركن اليماني، وتقبيل الحجر الأسود، وبالصلاة خلف المقام، وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة،

---

(1) انظر: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان، ج 21، ص 478.-483.

(2) للدكتور عبد العظيم المطعني (1931-2008م، كتاب في جزئين بعنوان:[المجاز في اللغة والقرآن بين الإجازة والمنع]، مفيد في بابه.

(3) الانشراح 04.

(4) الحجر 72.

(5) الحج 32.

(6) الحج 30.

ونحن في ذلك كله لم نعبد إلا الله سبحانه وتعالى، ولم نعتقد تأثيراً لغيره فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى. ولا شك أن المجاز العقلي مستعملٌ في الكتاب والسنة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾[1]، فإسناد الزيادة إلى الآيات مجاز عقلي، لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقته هو الله تعالى وحده. وقوله تعالى: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ﴾[2]، فإسناد الجعل على اليوم مجاز عقلي، لأن اليوم محل جعلهم شيباً، فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى .وقوله تعالى: ﴿وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾[3]، فإن الإضلال إلى الأصنام هو مجاز عقلي، لأنها سبب في حصول الإضلال والهادي والمضل هو الله تعالى وحده. وقوله تعالى حاكياً عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾[4]، فإسناد البناء إلى هامان مجازٌ عقليٌ إذْ لا يبني هو بنفسه والباني هم العمال. وقد تمسكت طوائف من الناس بذيل شبهة ظواهر الألفاظ بلا نظر إلى القرائن ولا المقاصد، وبغير النظر إلى الجمع بما لا يؤدي إلى التعارض. وكما يقال: قتل الأمير فلان، لا يعني قتله بيده بل أمر بقتله، أو قوله قتله السياف والسياف السبب، لأن آلة القتل هي السيف والقاتل الحقيقي هو الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، وقال ﷺ للذي ناوله التمرة: ﴿ خذها لو لم تأتها لأتتك ﴾[5]، فهل التمرة تأتي بنفسها فهذا تعبير مجازي. وعلى هذا فإن المريد إذا قال: مدد يا شيخي، أو أغثني يا شيخ، فلا شيء من الشرك في قوله هذا البتة، وما هو إلا تعبيرٌ مجازي المراد منه طلب المعونة من الله تعالى بوساطة المكرم عنده، فما زال المستغيث يعتقد أن الشيخ سبب، وأن الله تعالى هو المسبب المؤثر على الحقيقة، وأن الله تعالى هو الذي سيعينه بوساطة شيخه إكراما للشيخ، فهو خارج دائرة الشرك أو الكفر بشتى أنواعه وصوره الظاهرية والخفية، بل هو ممن يأخذ ويعمل بالأسباب التي سن الله تعالى الوجود عليها. أما الوساطة فليست شركاً: كما يظن بعض الناس في فهم حقيقة الوساطة، فيطلقون الأقوال جزافاً بأن الوساطة شرك، وأن من اتخذ وساطة بأي كيفية كانت فقد أشرك بالله تعالى، وإن شأنه بهذا شأن المشركين القائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[6]، ويعمدون إلى تطبيق الآيات التي نزلت بحق المشركين على المؤمنين ليدعموا فكرهم في نفي الوساطة أو الوسيلة ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا

---

(1) الأفال 02.

(2) المزمل 17.

(3) نوح 23-24.

(4) غافر 36.

(5) صحيح ابن حبان، ج8، ص33.

(6) الزمر 03.

اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، إلى غير ذلك من الآيات النازلة في المشركين، وهذا الكلام مردود والاستدلال بهذه الآيات في غير محله، وذلك لأن هذه الآيات الكريمة وغيرها صريحة في الإنكار على المشركين عبادتهم للأصنام واتخاذها آلهة من دونه تعالى وإشراكهم إياها في دعوى الربوبية، وهم يعتقدون أنها أرباب من دون الله ويعظمونها أكثر من تعظيم الله، أما المؤمنون الموحدون فبعيدون كل البعد عن هذه الجهالات، والمقارنة الآتية بين عقيدة المسلمين بالوسيلة وبين عقيدة المشركين بالأوثان تكشف وتبين بدقة المراد من هذه الآيات الكريمة:

عقيدة أهل السنة بالوسيلة	عقيدة المشركين بالأوثان
1 المسلمون ما اعتقدوا إلا إلهاً واحداً،فعندهم الأنبياء أنبياء، والأولياء أولياء ليس إلا.	1 أما المشركون فقد اعتقدوا أن الاصنام آلهة
2 المسلمون لا يعبدون إلا الله وحده لاشريك له .	2 المشركون اعتقدوا في أصنامهم آلهة تعبد من دون الله .
3 المسلمون لم يعبدوا الأنبياء والأولياء	3 المشركون عبدوا تلك الآلهة بالفعل
4 إن اتخاذ الأنبياء والمشايخ الكاملين وسائل لكونهم عباد الله المكرمين.	4 أما الأصنام فهي جمادات لا تضر من جهة ولاتنفع من ناحية لكونها ليست ذات منزلة عند الله ولاقربة منه .

إذا فمن الخطأ ومن الظلم أن يجوز أحد لنفسه أن يجعل المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين، إذ أن سبب كفر المشركين هو عبادتهم لوسائلهم غير المأذون بها من الله تعالى، وهذا بخلاف ما عند المسلمين، ألا ترى أن الله تعالى لما أمر المسلمين باستقبال الكعبة في صلاتهم قد توجهوا بعبادتهم إليها، واتخذوها قبلة، وليست العبادة وتقبيل الحجر الأسود لها، إنما عبودية لله تعالى واقتداء بالحبيب محمد ﷺ ولو أن أحد المسلمين نوى العبادة لها لكان مشركاً كعبدة الأوثان. فالوساطة لابد منها، وهي ليست شركاً، وليس كل من اتخذ بينه وبين الله تعالى وساطة يعَدّ مشركاً، وإلا لكان البشر كلهم مشركين بالله، لأن أمورهم جميعاً تنبني على الوساطة !! فالنبي ﷺ تلقى القرآن بوساطة جبريل عليه السلام، وهو ﷺ الواسطة العظمى للصحابة رضي الله عنهم فقد كانوا يفزعون إليه في الشدائد فيشكون إليه حالهم ويتوسلون به إلى الله تعالى،

(1) فاطر 13-14.

ويطلبون منه الدعاء فما كان يقول لهم: أشركتم وكفرتم، فإنه لا يجوز الشكوى إليّ ولا الطلب مني، بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسألوا بأنفسكم فإن الله أقرب إليكم مني، بل يقف ويسأل مع أنهم يعلمون كل العلم أن المعطي حقيقة هو الله تعالى، وأن المانع والباسط والرازق هو الله تعالى، وأن الحبيب محمداً ﷺ يعطي بإذن الله وفضله وهو الذي يقول كما روي في صحيح البخاري: ﴿ والله المعطي وأنا القاسم﴾[1]، وبذلك يظهر أنه يجوز وصف أي بشر عادي بأنه فرج كربة وقضى حاجة، أي كان وساطة فيها، فكيف بالسيد الكريم والحبيب العظيم محمد المصطفى ﷺ؟ وهو سيد الكونين والثقلين وأفضل خلق الله على الإطلاق، ألم يقل النبي ﷺ كما جاء في الصحيح: ﴿ من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه يوم القيامة﴾[2]، فالمؤمن مفرج الكربات: ﴿ والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه﴾[3] كما في صحيح مسلم، فالمؤمن هنا فرج وأعان وأغاث وقضى وفزع، مع أن المفرج والقاضي والمعين حقيقة هو الله وهو ﷺ صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود، صاحب الكرم والجود سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ.[4]

المطلب الخامس: مصطلح الفرقية والجمعية، وجمع الجمع.

الفرقية في اللغة: من فَرَقَ الشيئ قَسَمَهُ، والفرق خلاف الجمع، فرق بينهما باعد أو فصل بينهما. وردت مادة (فرق) في القرآن الكريم 72 مرة على اختلاف مشتقاتها، منها قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[5].وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾[6]. والفرق في الاصطلاح الصوفي: قيل: (هو شهود الحق والخلق) و قيل: (هوالرجوع إلى النفس والاستغراق في العبادة). أما التفرقة فهي: (لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الكون والخلق، وهما أصلان لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارئ ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر ، فإذا جمع بينهما فقد وحد). وقيل: **التفرقة** : (هي التفريق في الحكم ، والتفرقة إشارة من أشار إلى الكون والخلق)، وقيل: (هي شهود الأغيار لله)، أي مشاهدة تنوع الخلق في أحوالهم. والأصل في الجمع والتفرقة قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[7]. قال بعض المحققين في معنى الجمع والتفرقة: أن

---

(1) صحيح البخاري، ج01، ص 39، رقم 71.

(2) صحيح مسلم، ج4، ص 1996.

(3) صحيح مسلم، ج4، ص 2074، رقم: 2699.

(4) انظر: موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان، ج 21، ص 483.-486.

(5) سورة الدخان 04.

(6) سورة الإسراء 106.

(7) سورة الأنفال 17.

المراد بلفظ الجمع والتفرقة : أن الله تعالى جمع الخلق كلهم في الأزل وخاطبهم بقوله : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، ثم فرقهم بالسعادة والشقاوة والتقريب والإبعاد والإكرام والإهانة وأشباه ذلك فقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي وقال : ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ومما قيل في أصل الجمع والتفرقة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.فهذا جمع ثم فرق فقال: ﴿وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[2]وقوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾جمع ، ثم فرق بقوله : ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾[3].

أما الجمع والجمعية في اللغة فهي:جمع المتفرق،إذا ضم بعضه إلى بعض، ويجوز استعماله في غير الناس كقولك جماعة الشجر وجماعة النبات. وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (148) مرة بمشتقاتها المختلفة ، منها قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾. ومما قيل في تعريفها: (**الجمع** : عين الحق الذي قامت به الأشياء)، وقيل: (**الجمع**: لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق قبلٌ، ولا كون كان، إذ الكون والخلق مكوَّنان لا قوام لهما بنفسهما لأنهما وجود بين طرفي عدم)، وقيل: (**الجمع**: شهود الحق بلا خلق). وقيل: (**الجمع**: هو إثبات النفس ، واثبات الخلق ، وشهود الكل قائماً بالحق)، أي شهود الأغيار بالله تعالى[4].

وعن أحوال الصوفية من حيث الجمع والفرق، يقول الإمام القشيري: (أدنى أحوالهم [الصوفية] الجمع والفرق، لأنه من شهود الأفعال . فمن أشهد الحق سبحانه أفعاله عن طاعاته ومخالفاته: فهو عبد بوصف التفرقة. ومن أشهده الحق سبحانه ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه: فهو عبد يشاهد الجمع .فإثبات الخلق من باب التفرقة، وإثبات الحق من نعت الجمع، ولا بد للعبد من الجمع والفرق فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ... وإذا خاطب العبد الحق سبحانه بلسان نجواه إما سائلاً أو داعياً أو مثنياً أو شاكراً أو منفصلاً أو مبتهلاً قام في محل التفرقة). والناس في الجمع والتفرقة على أربعة أقسام:(**الأول** : للعوام وهو التفرقة بلا جمع ، لا يعرفون إلا الصور والإشكال ولا يعلمون إلا العلل والأسباب .**والثاني** : للخواص بشرط العناية وهو الجمع بلا تفرقة حين الاستغراق والجذبة أوحين الصحو والقيام بالشريعة .**الثالث**: للمخذولين الهالكين وهو أيضاً الجمع بلا تفرقة إذا كان صاحبه غير مجذوب ولا قائم بالشريعة .**الرابع**: لأهل التوفيق وخواص الخواص أهل التحقيق وهو الجمع مع التفرقة والتفرقة مع

---

(1) سورة الأعراف 172.

(2) آل عمران 18.

(3) البقرة 136.

(4) **راجع**: موسوعة الكسنزان، ج 4، ص 329- 343. مرجع سابق.

الجمع ، فلهم السير الدائم والترقي اللازم والطلب المستمر والشكر المنتشر والمزيد المنهمر). أما الفرق الذي لا يعول عليه وفيه الخطر فهو كل فرق لا يميزك عنه ولا يميزه عنك[1].

أما جمع الجمع، فمن جملة ما قيل فيه قول أبو علي الدقاق: (جمع الجمع : هو ما أَخبَرَ الله تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلمبقوله تعالى : ﴿سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِهِ ﴾[2]). وقال الإمام القشيري: (يختلف الناس في هذه الجملة [جمع الجمع] على حسب تباين أحوالهم وتفاوت درجاتهم. فمن أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهد الكل قائماً بالحق: وهذا هو جمع ، وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكل غير بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة: فذاك جمع الجمع... وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية ، وفناء الإحساس بما سوى الله ﷻ عند غلبات الحقيقة). وقيل: (جمع الجمع : أن تجمع ما له عليه وما لك عليه ، فيرجع الكل إليه : ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[3]. وقيل: (جمع الجمع : هي درجة الوحدة المحضة التي يفنى فيها من كان باقياً في الجمع ، ويبقى من كان فانياً). وقيل: (جمع الجمع : هو غاية المعرفة). ومما قيل في الفرق بين الفرق والجمع وجمع الجمع: (الجمع : عين اليقين . والتفرقة علم اليقين . وجمع الجمع حق اليقين . وهذه عبارات عن علوم جلية ظاهرة لا ريب فيها ولا شك معها ...فإذا خاطب [العبد] الحق تعالى بلسان نجواه إما سائلاً أو داعياً ، أو مثنياً أو شاكراً ، أو منتصراً أو مبتهلاً ، قام في محل التفرقة .وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه وناجاه أو عرفه معناه أو لوح بقلبه وأراه ، فهو يشاهد الجمع . وإذا كان العبد مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة فذاك جمع الجمع . والتفرقة شهود الأغيار لله . والجمع شهود الأغيار بالله . وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية وفناء الإحساس بما سوى الله عند غلبات الحقيقة[4].

---

[1] **راجع**: موسوعة الكسنزان، ج 17،ص 302- 313، مرجع سابق.

[2] سورة الإسراء 01.

[3] سورة هود 123.

[4] **راجع**: موسوعة الكسنزان، ج 4، ص 350-353.

المبحث الثاني: بعض وسائل التزكية من خلال النصوص.

لقد تطرق الكتاب إلى الكثير من أمهات وسائل التزكية بالشرح والإيضاح والتحليل،تتعلق بالتحقق والتحلي بصفات لها أعظم الأثر في تنوير القلوب وترقية النفس لأعلى مقامات الإحسان، وفي جملتها تعتبر من الركائز الأساسية في الدعوة إلى الله وإلى دينه، لا يمكن أن ينفصل عنها أي عمل دعوى يراد له النجاح. نعرض لبعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

المطلب الأول: الصلاة.

لقد نالت الصلاة حضا وافرامن اهتمام صاحب الحكم والشارح لأن الصلاة من الوسائل العظمى والأولى في تزكية النفس، فهي بسجودها وركوعها وأذكارها، تطهر النفس من التكبر على الله ومن العجب والغرور، وتذكر النفس بالاستقامة على أمره لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتعمق معاني العبودية والتوحيد والشكر، بل إقامة الصلاة في الحقيقة قاطع لدابر المنكر كله والفحشاء كلها وخاصة الصلاة المفروضة لأنها من أعظم القربات، وإنما تكون الصلاة كذلك إذا أقيمت بتمامها وكمالها، وأديت بأركانها وسننها، وتحقق صاحبها بآداب الظاهر والباطن، ومن آداب الظاهر أداؤها بالجوارح، ومن آداب الباطن الخشوع فيها، والخشوع هو الذي يجعل للصلاة الدور الأكبر في تزكية النفس، والدور الأكبر في التخلق والتحقق، ولا سيما إذا علمنا أن أول علم يرفع من الأرض الخشوع كما جاء في الحديث[1]، وإذا كان الخشوع هو أول علامات المفلحين، وإذا كان أهل الخشوع هم أهل البشارة من الله، وإذا كان الخشوع هذا شأنه ففقدانه في حياة الدعاة إلى الله خصوصا والناس عموما، يعني فساد القلب وفساد الحال، وصلاح القلب وفساده عليها مدار صلاح وفساد أعمال الجوارح كلها، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم: ﴿ إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ﴾، ولأن الخشوع هو المظهر الأرقى لصحة القلب، فإذ يرتفع علم الخشوع فهذا يعني أن القلب المسلم قد خرب، فما ذهب الخشوع إلا وقد غلب القلب بأمراض خطيرة وأحوال شريرة، كحب الدنيا والتنافس عليها، ومتى غلب القلب بالأمراض فقد التطلع إلى الآخرة، ومتى وصل إلى ذلك فلا صلاح

---

(1) : قال ﷺ: ﴿ أول علم يرفع من الأرض الخشوع ﴾ ونص الحديث كما في سنن الترمذي (ج5، ص31) عن أبي الدرداء، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء» فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا [ص:32] وأبناءنا، فقال: «ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟» قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء قال: «صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس؟ الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا».

للمسلمين، فحب الدنيا يعقبه التنافس عليها، والتنافس عليها لا يقوم به أمر الدنيا والدين. إن فقدان الخشوع علامة على فقدان القلب حياته وحيويته، فتتغلب عليه الأهواء والشهوات حيث لا ينفع وعظ ولا تذكير، وعندئذ يقوم سوق التنافس على الجاه والغلبة والسيطرة والمال والشهوات، فلا يصلح معها دين ولا دنيا.

وفي الجملة يفهم من نصوص الحكم والشرح أن تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل، وأدائها بالشروط الظاهرة والباطنة، من الخشوع والتعظيم والأدب سبب لحصول أنوار في القلب، ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة، وبالجلاء والخفاء، وإن كانت مرآة القلب كلها صدئة تحتجب عنها الهداية، لا لبخل من جهة المنعم بالهداية، بل لخبث متراكم على مصب الهداية، وهنا يكون الخطر المحقق أعاذنا الله منه[1].

المطلب الثاني: الذكر

إذا اجتمع مع الصلاة المداومة على الأوراد والأذكار فلا شك أن ذلك يساهم ويساعد على التطهير المستمر للقلب وتزكية النفس، فالمسلم عموما والدعاة إلى الله خصوصا إذا أرادوا أن يقوموا بكمال العبادة والعبودية، لإبقاء القلب منورا منيرا، والنفس طاهرة زكية، ليس أمامهم إلا أن يعتمدوا في حياتهم على أذكار وأوراد يومية مع الصلوات وباقي التكاليف الإلهية؛ فالإنسان الذي لا يتعهد بغسيل يومي ومستمر لقلبه فهو على خطر عظيم، والإهمال المستمر بتعهد القلب بالتزكية قد يصل به إلى الكفر في نهاية الأمر.فالمداومة على الذكر والاستمرار على الأوراد من علامات الصدق الكبرى، لأن ذلك له التأثير المباشر على طمأنينة القلب بالإيمان: ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[2]، وذلك علامة على النجاة، والنفس المطمئنة هي التي تستأهل الرضوان، ولا طمأنينية إلا بالذكر، فالذي ليس له التزاماته اليومية بذلك فلا شك أنه في خطر. لأن العواصف ورياح الفتن التي يتعرض لها القلب كبيرة وخطيرة. فليس هناك أهم في الدعوة والتربية، من إيصال المسلم إلى الالتزام اليومي بهذه المعاني، وإلا كان التقصير حليفنا، وكأننا أبقينا المسلم في مهب رياح الفتن، والمعاصي والخطايا، والمسلم الملتزم المواظب على الأوراد والأذكار اليومية، بعيد عن الغلط، وقريب من التوبة إذا زل، وأنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله تعالى عارفا به، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه، وهو مظنة الوصول إلى الولاية لأن الولاية هذه طريقها، وقد سئل بعض الصالحين هل يعذب المحبوب

---

[1] **راجع**: شرح الحكم 57-66.

[2] سورة الرعد الآية 28.

حبيبه؟ قال: لا، قيل: ما الدليل؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴾[1].

وفي التحقيق أنه من لايقدر الأوراد والأذكار حق قدرها، ويستحقرها فهو علامة على جهله، لأنه بذلك يدلل على أنه لايعرف السنة النبوية ولا سنة الصحابة، حيث كان لرسول الله ﷺ أوراده وأذكاره اليومية، وكان أحب الأعمال إليه ما داوم عليه صاحبه، وكان آل محمد إذا عملوا عملا أثبتوه، وقد كان لكل واحد من الصحابة ورد يداوم عليه، وكان لبعض الصحابة التزامات يومية أخرى إضافية إلى أورادهم اليومية، فبعضهم يفطن إلى خدمة الأرامل، وبعضهم لخدمة العجائز، وبعضهم للخدمات العامة؛ فعندما ترى إنسانا يحتقر الورد والألتزامات اليومية فهذا جاهل، إن كثيرا من الناس يحتقرون أهل الذكر وأعمالهم، ومع أن الذكر هو المقدمة لكل خير وهو الذي يجعل للداعية حالا، وأنه لا توجد النية الصالحة والحال الصالحة إلا حيث يوجد الذكر، فالذكر في بعض الحالات أفضل من ضرب أعناق الأعداء، كما جاء في الحديث. لأن أهل الذكر هم الذين يترتب على دعوتهم وعلى تعليمهم وعلى أعمالهم نوع من القبول الخاص، فأن يوجد مسلم ينظر إلى أهل الذكر نظرة احتقار وازدراء فهذا دليل على جهله، فمتى وجدت الأوراد والأذكار الشرعية الصحيحة وجدت الواردات النورانية على القلب، وزكت النفوس .

ومما يزيد تزكية القلوب بواسطة الورد كثرة الذكر وقوة الافتقار والاجتماع بأهل الصلاح، فعندما يجلس الإنسان مع أهل الذكر يأخذ منهم بقدر استعداده، ففي حديث حنظلة: ﴿... لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة ﴾. فبمجرد الجلوس بحضرته ﷺ كان يرتقي الإنسان، وكذلك الجلوس مع أهل الذكر[2].ولأهمية الذكر في حياة المسلم ودوره الكبير في التزكية، أسهب صاحب الحكم والشارح في معاني ودلالات الذكر في أكثر من عشرين حكمة، حيث بدأ بمراتب الذكر وخصائصه وبين أجل المراتب وأعظمها[3]

ومع هذا كله فإن في عصرنا هذا شريحة كبيرة من الإسلاميين الحركيين، الذين ينشطون في أعمال (الدعوة)، والقضايا الإسلامية، يرون أن مجالس الذكر تورط في البدعة، وملهاة عن الاشتغال بالعلم وأسبابه، ويتصورون أن مجالس الذكر، من شأن العوام من الناس، ومن شأن أولائك السذج الذين لم يتمرسوا بمعرفة حقائق الإسلام، ولم ينهضوا ليرتفعوا إلى مستوى الإبداع العلمي، والوقوف في مصاف الدعاة إلى الله

---

(1) سورة المائدة الآية 18.

(2) **راجع**: مذكرات في منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحكم ابن عطاء الله السكندري، سعيد حوى، ص 388-394، دار السلام القاهرة، الطبعة الخامة 2008م. **راجع**: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، ص:89-91، مرجع سابق.

(3) **راجع**: شرح الحكم 07-20.

والمجاهدين لإقامة المجتمع الإسلامي..، ولعل أحدهم يقول: إن وقتا ينفقه أحدهم في مجلس ذكر كان ينبغي أن ينفق في عمل إسلامي علمي..في عمل حركي..في شأن من شؤون الإسلام .. في خدمة المجتمع الإسلامي...أي فائدة هذا الإنسان إنما هي لنفسه وليست للمجتمع. هذا بالإضافة إلى أن فيهم من يرى أن هذه المجالس بدعة طارئة على الدين. مع أن الكثير من هؤلاء تجدهم معرضين كل الإعراض عن سبيل التبتل، وعن واجب الاصطباغ بالعبودية الضارعة لله عز وجل، تائهين عن مراقبة الله، وغافلين عن ذكر الله وتذكره... مشغولين عن هذا كله بالإسلام والحديث عن الإسلام وعظمة الإسلام... وهل هذا موقف سديد، وهل تتفق مبرراتهم تلك مع أوامر الله وتعليماته؟ وللإجابة على ذلك يجب أن نفهم أولا أن الإنسان يعيش خاضعا لنوعين من الدوافع في حياته، دوافع القناعات العقلية المعروفة، ودافع الرغبات النفسية من الشهوات الجانحة والأهواء... وبالملاحظة الدقيقة في حياة الناس وفي تصرفاتهم في الشوارع والساحات، وفي أنشطتهم المختلفة نجد أن أغلبهم يستجيبون لدوافعهم النفسية وشهواتهم وأهوائهم وأنانيتهم وعصبياتهم، وعندما تتأمل في صوت العقل في غمار ذلك كله فلا تجد له إلا أثرا قليلا. ومن هنا ظهرت ضرورة التربية: وهي في مجملها عبارة عن الطريقة التي يسلكها الإنسان تجاه نفسه أو الآخرين لجعل النفس الإنسانية خاضعة لوحي العقل، وفي حالة عدم تلقي هذه التربية فإن رعونات نفسه هي التي تقوده غالبا، فمن أجل ذلك كانت حاجة المجتمعات ماسة إلى التربية. وعندما يكون الإنسان سائرا في طريق الدعوة إلى الله عز وجل، ناشطا في مجال الحركات الإسلامية المتجهة إلى إقامة المجتمع الإسلامي، لا شك أنه يسير من ذلك في طريق مقدس، وعمل مبرور، ولكن لهذا التوجه آفات يصعب التحرز عنها لمن لم يأخذ نفسه بالإكثار من ذكر الله عز وجل، بحيث سرعان ما تجمح به نفسه فيستجيب لرعوناتها، يستجيب لعصبيته وأنانيته، ولحب انتصاره لذاته، ومن ثم يسخر أنشطته الإسلامية وأنشطة الحركة، وما إلى ذلك، من أجل أن يفوز هو في السباق، فيغلب مذهبه على المذاهب الأخرى، وينتصر لاجتهاداته، ويسعى إلى الفوز بالرئاسة على غيره، وربما اتخذ من الإسلام والدعوة إلى الله عز وجل مطية ذلولا من أجل جمع مال، من أجل زعامة، من أجل قيادة، وما أكثر من يفعلون ذلك. ومن ثم فإن الذين ينشطون في القيام بأعمال الدعوة إلى الله، والشؤون الحركية التي تتجه إلى السبل التي ينبغي اتخاذها لإقامة المجتمع الإسلامي، بعيدا عن علاج التربية الربانية بالإكثار من ذكر الله عز وجل، سيصطدمون بآفات تقصيهم عن اجتناء ثمرات أعمالهم، كما هو الواقع المرئي في أكثر مجتمعاتنا اليوم، ينشطون وينشطون ثم تنظر، وإذا بهم يراوحون مكانهم... لأنهم كانوا في حقيقة الأمر كانوا يسخرون العمل الإسلامي، ويسخرون عقولهم لرعونات نفوسهم، وأنانيتهم وعصبياتهم الفردية والجماعية، ومن ثم فلن أنتصر ولن ينتصر أحد على شاكلتي في هذه الساحة، بل ستتوزعنا السبل المتعددة، ولسوف تختلف الجماعات وتتسابق إلى تلك الأهداف الخفية المستورة بغطاء الدين والعمل الإسلامي، ولسوف تتصيد كل جماعة النقائص والعيوب للجماعات الأخرى، كما هو الواقع المشاهد في ساحات العمل الإسلامي اليوم. ولا سبيل إلى علاج ذلك كله سوى المراقبة الدائمة لله، ولن يتحقق ذلك

إلا من خلال كثرة ذكر الله سبحانه وتعالى. الإكثار من ذكر الله – باللسان وحضور الذهن ويقظة القلب والمراقبة وصولا إلى ربط النعم بالمنعم في ملاحظة مستمرة دائمة – هو العلاج الذي يقلم أظافر الرعونات النفسية، ويقضي على جموحاتها[1].

وبالجملة يكون على العاملين في حقل العمل الإسلامي أن يوجبوا على أنفسهم من أذكار وأوراد مأثورة، وتعويد أنفسهم على الذكر المستمر زيادة على ما يرتبه على نفسه من صلوات وعبادات وأعمال، لأنهم بقدر ما يأخذون بوسائل التزكية تزكوا نفوسهم وترتقي روحيا للنهوض بأعمال الدعوة على الوجه الصحيح، وتزول العقبات كلها ويكون والنجاح حليفها، وليكن سيد الدعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة العظمى، الذي لم يشغله أمر الدعوة إلى الله عن ذكر الله بكرة وأصيلا، والتبتل بين يديه، بالإضافة إلى أنه كان في عمله ذاك مشرعا. فبدل أن تجنح النفس إلى رعوناتها وأهوائها، ومشاعر الأنانية التي تتكفل بإثارة الخصومات فيما بين الدعاة وتباعد سبلهم بعضها عن بعض، فبذكر الله سبحانه يتخلى القلب من ظلماته و تنسحق كل تلك المشاعر السلبية في النفوس، وتذوب الأنانية في غمار العبودية لله، وتتحول الآمال والرغبات الدنيوية، إلى التعلق برضا الله وعطائه، وتدعو الثقة بالله إلى الاستسلام لحكمه واليقين بعدله وحكمته، وعندما يتحلى القلب ويتنور بذكر الله ويصبح القلب وعاء لتلك المشاعر النبيلة، ستكون صلة العملين في حقل الدعوة صلة تكامل وتعاون، وصلتهم بالناس صلة رحمة بهم، لا صلة تأب عليهم ومنافسة لهم، حتى التائهون عن صراط الله عز وجل، تكون الدعوة لهم في منتهى الرحمة والشفقة عليهم من مصيرهم المأساوي يوم القيامة إذا لم يؤمنوا أو يلتزموا بأوامر الله عز وجل، وسوف تتجلى مظاهر التضحية بالمصالح العاجلة والحاجات الدنيوية الزائلة في سبيل الله ومرضاته والفوز بالنعيم الدائم يوم القيام، لا العكس. هذا هو أثر ذكر الله في النفس، وهذا هو معنى معالجة الإنسان لنفسه وقلبه بذكر الله، للتخلص من رعوناتها والتحرر من آفاتها وغوائلها[2].

المبحث الثالث: الحج

الحج ركن أساسي من أركان الإسلام وروحه الأصلية هي التقوى كسائر العبادات الأخرى، وكلاهما وسائل عظمى من وسائل الدعوة والتزكية يترتب بعضها على بعض، إلا أن للحج نوعية خاصة ينفرد بها في تزكية النفوس، بل علم على التحقق بزكاة النفس، لأن هدفه أن يصل كل عبد من عباد الله إلى مقامات الحج مرة واحدة على الأقل في حياته، إن استطاع إلى ذلك سبيلا، فيقدم هناك دليلا على عبوديته الكاملة لله، بمختلف الأعمال والشعائر، وبالتالي يحاول أن يصبغ ظاهره وباطنه بالصبغة الإبراهيمية الحنيفية

---

[1] **راجع**: يغالطونك إذ يقولون...أسلوب حواري يكشف عن مغلطات خطيرة في موضوعات هامة (مجالس الذكر تورط في البدعة وملهاة عن العمل الإسلامي (1،2) ، ص: 275-298، دار اقرأ ودار الفرابي دمشق سوريا، الطبعة الثانية 2000م.

[2] **راجع**: المرجع السابق، ص: 275-298.

السمحة، والحج عبادة جامعة لما فيه من تجديد للإيمان، وتعويد وترويض للنفس على معان من الاستسلام والتسليم، ومن مشقة الجسد، وذكر الله، وبذل الجهد والمال في سبيل الله، والتضحية في سبيله، ومن تعاون وتعارف واتحاد، ومن قيام لله بشعائر العبودية، ومن دروس التقوى والعفة، واجتناب العنف، والانضباط، وإنكار الذات ...الخ، ومن هنا كان الحج عبادة تشمله روح كل العبادات الأخرى بصورة أو بأخرى ولكي يؤتي الحج ثمراته في التزكية لا بد من مراعاة الآداب والأعمال القلبية فيه. ولأن الحج رحلة غير عادية استوعبت كل المعاني الإيمانية والروحية والأخلاقية نجد شارح الحكم –بالرغم أن مؤلف الحكم لم يفرد لها نصوصا خاصة –نجده يحوم من حين لآخر ويصول ويجول بتأملاته وشرحه على حكم شيخه كلما أتاحت له الفرصة، الخوض في موضوعات الحج، من حيث دلالاته ومعانيه وأهميته وفوائده...، وخاصة إذا علمنا أن شطرا كبيرا من شرحه لحكم شيخه عبد الحفيظ الخنقي كانت أثناء رحلته للحج، وأن بعضا من شرحه كان في الروضة الشريفة أو في الحرم المكي، يستلهم خلالها من قدسية المكان نفحات ربانية نورانية.

كما أن الحج في حقيقته يتعلق أيضا بمشروع دعوي إلهي عظيم، فهو يذكرنا بالمشروع الذي بدأ بإبراهيم عليه السلام واكتمل بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومناسك الحج المختلفة هي مراحل هذا المشروع الإلهي التي يعيدها الحاج بصورة رمزية، وقد وصف القرآن مناسك الحج بالشعائر أي العلامات، وهي كلها الوقائع التي وقعت لإبراهيم وأسرته تنفيذا لأمر الله، ويقلد الحاج هذه الوقائع بصورة رمزية ويعاهد ربه بأنه هو الآخر بأنه لو طرأت الحاجة فإنه سوف يحطم حياته القائمة ليتقدم نحو الحق، وأنه سيرضى بترك الراحة والرفاهية واختيار القناعة والبساطة، وأنه سيسعى نحو الله وسيطوف حوله، وأنه سيرمي تقاليد الشيطان بالجمار، وأنه يدور حيثما دار به دين الله وسيستسلم لكل ما يقتضيه هذا الدين، فالحاج يقول لله تعالى بلسان عمله وحاله: إنه لو اقتضت الضرورة مرة أخرى لأجل الدين فإنه مستعد لكي يذهب إلى منتهى ما يمكن أن يذهب إليه أحد من البشر وهو أن (يذبح) ابنه ابتغاء مرضاة الله.والحقيقة أن بيت الله الحرام مركز الدعوة الإسلامية، وأن الحج هو المؤتمر العالمي لدعوة الإسلام، والأفعال التي نقوم بها في الحج هي كلها علامات على مراحل من حياة إبراهيم عليه السلام في سبيل الدعوة. ومناسك الحج إعادة رمزية لكل الوقائع التي وقعت لإبراهيم عليه السلام في مختلف مراحل نشاطه من أجل الدعوة، ويقلد الحاج هذه الوقائع شعارا في أيام الحج، فيعقد العزم على أنه سيعيش داعيا كما كان إبراهيم عليه السلام داعيا إلى الرسالة الإلهية. وتخبرنا حياة إبراهيم عليه السلام أن مناسك الحج كانت جزءا من حياته لأجل الدعوة، أو كانت محطات على مسيرته من أجل الله. ولكن الحج وزيارة الكعبة قد أصبحا نوعا من نسك ديني سنوي لدى مسلمي العصر الحاضر لتأدية بعض الطقوس لتعود مرة أخرى إلى بلدانها فتعيش كما كانت تعيش

من قبل، وتحول الحج اليوم إلى عمل تقليدي لا كما كان عملا حيا في الماضي، ولو قام في المسلمين شعور بالدعوة وروح التبليغ لاكتسب الحج تلقائيا أهمية دعوية ولتحول إلى مؤتمر سنوي للدعوة والوحدة، ولكن حين تنعدم روح الدعوة بين المسلمين يتحول الحج إلى عمل بلا روح، مثلما هو عليه الآن في الغالب. إنهم يرمون الشيطان الحجري بالجمرات ولكنهم لا يقومون بشئ لهزيمة الشيطان الحي، إنهم يقلدون أعمالا رمزية ولكن تكاد تنعدم فيهم روح أداء الأعمال الحقيقية ... ومن هنا ندرك أن إحياء الحج كفاعل مؤثر في الحياة الإسلامية اليوم يقتضي إحياء الحجاج. وما لم نحي شعور الحجاج والمسلمين عموما فستظل عبادة الحج بدون أثر تماما. وإحياء الحج بروحه الأصلية يقتضي إحياءه كمؤسسة للدعوة، فينبغي تسخير الحج كمركز للتخطيط العالمي للدعوة الإسلامية، وينبغي أن يعرض الناس من مختلف البلاد أحوال الدعوة في بلدانهم في هذه المناسبة العالمية، فينبغي أن يطلع الناس على تجارب المناطق الأخرى ويستفيدوا بها، ويجب على خطب الحج أن تركز على بيان أهمية الدعوة وتشرح إمكاناتها الجديدة، وأن تعد مؤسسة الحج مكتبة دعوية بمختلف اللغات ليتم نشرها على المستوى العالمي.... وينبغي أن ندرك أن توجيه الحج في هذه الخطوط الجديدة لن يتم بدون توجيه حياة المسلمين على خطوط جديدة... فمسئولية المسلمين الأساسية هي الشهادة على الناس، وعلاقتهم مع الشعوب الأخرى هي علاقة الداعي والمدعو. ولكن هذه الحقيقة قد غابت على مسلمي العصر الحاضر. ويجب إحياء المسلمين كجماعة داعية لكي يتم إحياء الحج كمؤسسة للدعوة، ويجب إقناع المسلمين بأن ينهوا أنشطتهم القومية في كل أنحاء العالم التي تحول دون قيام جو الداعي والمدعو بينهم وبين الشعوب الأخرى... ثم يقتضي هذا الهدف أن نقيم جامعات من الطراز الأعلى وتكون منهجها وأنظمتها موجهة للدعوة بصورة كلية، وأن تقام مؤسسات تربي الدعاة تربية دعوية صحيحة، وأن تنشأ مكتبة تخلق بين الناس العقلية الدعوية وتسلحهم بمعلومات الدعوة. بل ويقتضي هذا الهدف أن ننشئ من جديد المكتبة الإسلامية الأساسية، لأن كتب التفسير والسيرة التي ألفت في العصر الحاضر قد كتبت بدافع رد الفعل على وجه العموم، فقد ظهرت هذه الكتب ردا على حملات الشعوب الأخرى الفكرية والعملية، ولم تظهر لأجل الدعوة إلى الإسلام بصورة إيجابية[1].

المطلب الرابع: الخوف والرجاء

تكلم المصنف عن الخوف والرجاء في ست حكم، وعرفهما وشرحهما شرحا مفصلا، وكيف أن الخوف والرجاء هما الأثران المباشران لمقامي التقوى والورع، وأكثر من الاستشهاد بالآثار الواردة في ذلك،،

---

[1] **راجع**: حقيقة الحج، وحيد الدين خان، ص: 27-120، دار الصحوة للنشر القاهرة، الطبعة الأولى 1987م.

قبل أن يقوم بتعريف الخوف والرجاء حيث أســـهب بشـــرح أهمية مقام الخوف والرجاء وأثرهما في تطهير ســـبيكة القلب من أدرانهاوأثرهما على حياة القلوب ، ثم تكلم عن أقســـامها وما هو محمود منها وما هو مذموم، وعلاقتهما بالأعمال وبصـــغائر الذنوب وكبائرها. ثم ذكر بعض الواردات و الأحوال التي تترتب على مقامي الخوف والرجاء من قبض وبسـط وأنس وهيبة وخشـية وجمال وجلال ...، وقد أشـبع المؤلف هذا الموضـــوع بالعودة إليه من حين لآخر من خلال شـــرح الحكم باالشـــرح وبالتعليق، حينا، والتحليل والاستدلال حينا آخر..[1].

المطلب الخامس: الصحبة

لقد أشبع المؤلف والشارح الكلام على الصحبة غاية الإشباع قصد التحري فيمن يقع بصحبته الانتفاع واجتناب ضده، ولما للصحبة من أهمية كبرى في تأديب النفس وتزكية القلوب، كما أن الدعوة إلى الله عز وجل تكون أكمل ما تكون إذا وجد الولي المرشد، لأنه عندما يضع الإنسان يده بيد العالم الرباني المربي المرشد يكون ذلك أجود ما يكون في باب الهداية إلى الله وإلى طريقه، وإذا كان الرسل عليهم السلام في الأصل هم الدعاة الحقيقيين إلى الله عز وجل، فالأولياء والعلماء المرشدون هم الوراث الكاملون للأنبياء في باب الدعوة إلى الله وهداية الناس وإرشادهم، وبما أن أمر الصحبة والشيخ والمريد، أحاط بها الكثير من الخطأ والغلط والدعوى الكاذبة، والأوهام المضللة، لذلك نالتها حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي بالمعالجة في أكثر من خمس وخمسين حكمة، وزادها الشارح الشيخ محمد المكي شرحا وتحليلا وتوضيحا، دفعا لكل ما تعلق بهذا الموضوع من مفاهيم خاطئة[2].

وبعد أن أكد على أن أمر الصحبة أمر أكيد، حيث أنه لا ينتج سفر مريد إلا به، ولا ينتج سعي مستفيد إلا بإحكام أدبه، والاستدلال بذلك بنصوص من القرآن والسنة، وقد قسم الصحبة إلى عدة أقسام مع شرحه مدعومة بنقل الأخبار والآثار وأقوال العلماء.و أدلة نصية على مشروعية الصحبة ووجوبها وأهميتها وشروطها ثم يتحدثبالتفصيل عن دقائق وعلامات ومواصفات من هو أحق بالصحبة، ومن يصلح أن يكون لك مرشدا ودليلا، ووسيلة للانتفاع بمداواة النفوس[3]. ولم يكتف المصنف بذكر علامات ومواصفات من يجب صحبتهم من عباد الله الصالحين المصلحين، بل حذر من صحبة من كان ضدهم في

---

(1) راجع شرح الحكم: 67-70، 99-100.

(2) في الموضوع **راجع**: مذكرات في منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحكم ابن عطاء الله السكندري، سعيد حوى، ص 410-499، دار السلام القاهرة، الطبعة الخامة 2008م. **راجع**: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد = حوى، ص:11-23، دار السلام القاهرة، الطبعة السابعة عشر 2011م. **راجع**: تربيتنا الروحية، سعيد حوى، ص: 182-202، دار السلام القاهرة، الطبعة التاسعة 2007م.

(3) **راجع**: شرح الحكم 43-49.

الصفات، من أهل الدنيا، أو من كان مداهنا أو غشاشا، أو متربصا، أو مدعيا التمشيخ، مع ذكر بعض آداب الصحبة وبعض مواصفات وشروط الشيخ المربي الكامل الذي يحق أن تسلم له عنان أمرك وتنقاد إليه وتقتدي به وتعتمد عليه وتثق به ليرقى بك شيئا فشيئا إلى أعلى مقامات الكمال[1].

ولأهمية موضوع الصحبة والشيخ الكامل احترازا عن بعض المغالطات بشأنها، وخاصة في عصرنا هذا، حيث أفرد لها سعيد حوى مجالات للشرح والتصويب وله رؤية خاصة واجتهاد في هذا الموضوع وخاصة في كتابه مذكرات في منازل الصديقين والربانيين، وكتابه تربيتنا الروحية، نقتبس منهما ما يفي بالغرض، وقد استدل سعيد حوى بالآيات القرآنية على ضرورة وجود الولي المرشد، وأن الدعوة إلى الله لا تكون أكمل ما تكون إلا إذا وجد الولي المرشد، ولا بد له من شروط يتصف بها ذكرها القرآن الكريم، من الإيمان والصدق والجهاد والتقوى، وأن يكون وليا مرشدا لأن صفة الإرشاد فوق صفة الولاية، فالولاية جزء من المشيخة، وركنا الولاية الإيمان والتقوى، ولا إيمان ولا تقوى بلا التزام بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ثم إن الإرشاد يقتضي فقها في دين الله، وفقها في الإيمان والإسلام والإحسان والتقوى والشكر، ولا بد أن يكون حكيما يدعو إلى طريق الله بالحكمة، وهو معنى زائد على العلم، فقد يكون الإنسان عالما بالكتاب والسنة ولكن لا يقول الكلمة المناسبة في محلها، ولا يتصرف التصرف المناسب في حدود الشريعة، ومن ذلك قضية الدعوة، والحكمة عطاء رباني، ويحتاج إلى توفيق رباني في الأنفاس والحركات، وكما أن الشيخ لا بد أن يكون حكيما، لا بد أن يكون قادرا على الموعظة الحسنة، وما أكثر الذين يعظون ولا يحسنون، وما أكثر الذين لا يعضون أصلا، ويكون قادرا على تربية النفس البشرية، محيطا بعلوم الإسلام والثقافة الإسلامية، عارفا بعصره والتاريخ، كما أن الشيخ ينبغي أن يكون قادرا على النقاش، وإقامة الحجة، لا بالطريقة الحسنة فقط بل بالطريقة الحسنى، وذلك كله من أدب الشيخ، وينبغي أن يكون جزءا من تكوينه، ولا يتم هذا للشيخ إلا بعلم وتربية ومجالسة وذكر كثير، ولأن رجاء الله واليوم الآخر، والذكر الكثير،وهما اللذان يوصلان إلى التأسي الكامل برسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الآية الكرية: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾[2]، ثم يأتي تبعا لذلك الكمال كله. ومن ثم فإن من لم يجتمع له الفقه في هذا كله، وتفصيلاته، وما يلزم له، لا يكون فقيها في دين الله عز وجل، ومن لا يحسن التربية على هذا كله لا يصلح لمقام الإرشاد الكامل .إلا أنه لا مانع من وجود ولي قادر على التربية والهداية مع قصور باع في العلوم الشرعية والفقه وغير ذلك، ولقصورهم هذا قد يفتون الفتاوى القاصرة في الشؤون العامة والخاصة وفي ذلك ما فيه من خلل، ومع ذلك يستطيع مثل هذا أن يفيد كبار العلماء في بعض الجوانب، ولكن هذا شيء والوارث الكامل شيئ آخر، حيث أن المشكلة في

---

[1] **راجع**: شرح الحكم 115-162.

[2] سورة البقرة، الآية 269.

هذا الصدد أن كثيرين يعتبرون شيوخهم هم الوراث الكاملين، مع أنهم لم يرثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعض الأمر، والشيوخ أنفسهم يسكتون على غلو تلاميذهم بهم بحجج واهية مما يترك آثارا سيئة في المجتمع الإسلامي[1].

ومن حديث حنظلة – أحد كتاب النبي ﷺ– الذي رواه الإمام مسلم، الذي فهم منه العلماء أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حالا يترقى به أصحابه، حتى إن ملازم الجلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل إلى ما يصل الذاكر الدائم، أي إلى حالة يمكن أن تصافحه بها الملائكة، وقد ذكر أصحاب رسول الله ﷺ في روايات صحيحة عنهم كيف أنهم أنكروا قلوبهم بعد أن فرغوا من دفن رسول الله ﷺ. كل هذا يدل على أن الأحوال القلبية كانت محسوسة من خلال مجالسة رسول الله ﷺ ووجوده بين الصحابة، وأن من مظاهر هذا الحال أن يستشعر الصحابي وكأنه يرى الجنة والنار رأي العين، ومن هذا ندرك أن الشيخ الوارث ما لم يكن عنده شيء من هذا الحال فإنه لا يكون وارثا نبويا كاملا، ومن خلال الواقع نجد الذين ليس لهم سير صوفي لا يستطيعون أن ينقلوا هذه الإحساسات إلى غيرهم، كما أنهم أنفسهم لا يشعرون بها...[2]، ولكثير من مشايخ الصوفية وغيرهم من العلماء أقوال في مؤلفاتهم في قضية الشيخ ومواصفاته وشرطه، كما رأينا سابقا في حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وشرحها .

بعد أن أكد سعيد حوى على أن الأمة لا تخلو من الوراث الكاملين في كل عصر على غرار شيخه محمد الحامد رحمه الله[3]، يتساءل عن مهمة الشيخ في عصرنا الحاضر زيادة على ما ذكر، وخاصة هذا العصر الذي استشرت فيه الردة، وسيطر فيه الكفر، وما هي مهمة الشيخ في عصر لم يعد للمسلمين فيه خلافة مركزية.؟ ولسعيد حوى تصور واجتهاد في هذا الموضوع، حيث يرى (أن هناك أربع دوائر يحتاجها المسلم المعاصر، وهي التي تحتوي كل ما يمكن أن يتصوره أحد في باب تكوين المسلم، سواء كان المتصور صوفيا، أو فقيها، أو مجاهدا، هذه الدوائر الأربع هي: العلم، والتخصص، والأخلاق الأساسية

---

(1) **انظر**: تربيتنا الروحية، سعيد حوى، ص: 182-185، مرجع سابق.

(2) **راجع**: تربيتنا الروحية، سعيد حوى، ص: 186، دار السلام القاهرة، الطبعة التاسعة 2007م.

(3) الشيخ العلامة القاضي محمد بن محمود الحامد (1969/1910) ، أحد أعلام الدعاة المجاهدين في الديار السورية، عالم حماة ومرشدها، مؤسس أول جمعية إسلامية في سورية باسم الإخوان المسلمين، تلقى العلوم الشرعية على نخبة من علماء سوريا من أمثال الشيخ أحمد الزرقاء، وأحمد الكردي مفتى الحنفية...كما أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ أبي النصر سليم خلف الحمصي، وسلك طريق التصوف، نال العالمية في العلوم الشرعية من القاهرة، وتخصص في القضاء. صحب الإمام حسن البنا وتتلمذ في العمل الحركي على يديه رفقة الشيخ مصطفى السباعي. حمل السلاح في وجه الاستعمار الفرنسي، كان داعية خير ووئام بين مواطنيه يكره الفتن ويحارب الانحراف بلسانه وقلمه، يشهد له بالأمانة والجرأة ووالورع، تصدى لظاهرة الإلحاد المتفشية في أبناء عصره، تكلم الشيخ سعيد حوى عن سجاياه وعبادته وتقواه وذكره ...وكان آية في التحقق العلمي وبحرا في العقائد والفقه والتصوف وفي الأصول والتفسير. انظر في ترجمته: ذكريات علي الطنطاوي: ج 5 ص 130.

وما يتفرع عنها، ولزوم الصف الإسلامي، وما يلزم لذلك من تربية ووعي وسلوك والتزام، والعلة الكبرى أن المسلم المعاصر تفوته واحدة من هذه أو اثنتان أو ثلاثة، أو الأربعة أو يأخذ بعض هذه الأربعة بضعف. تصور أن مسلما عنده علم ولكن الأخلاق الأساسية تفوته أو واحدا منها، إن الأمر لا يستقيم على ذلك. وتصور أن ما يقتضيه الالتزام بالصف الإسلامي من تربية ووعي وغير ذلك ليس موجودا فإن الأمر كذلك لا يستقيم، إن العلة الكبرى تكمن في ضياع واحدة من هذه الأربعة، أو أخذها بشكل قاصر، ويدخل في العلم رأينا: الثقافة الإسلامية بأصولها وفروعها التي أحصيناها في كتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا)، ويدخل في العلم تحصيل الثقافة المعاصرة، حتى لا يكون الإنسان غريبا عن عصره وعما يجري فيه، ويدخل في الاختصاص الثقافة التأهيلية إما لاختصاص حياتي، أو لاختصاص داخل العمل الإسلامي المعاصر. واما الأخلاق الأساسية فهي التي تحدثت عنها آيات الردة في سورة المائدة وقد فصلنا الكلام في شأنها في كتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا) وهي: محبة الله، والذلة على المؤمنين كل المؤمنين، والعزة على الكافرين كل الكافرين، والجهاد في سبيل الله وتحرير الولاء لله ورسوله ﷺ والمؤمنين. وأما لزوم الصف الإسلامي فيقتضي معرفة ماهية هذا الصف في عصرنا وخصائصه التي نصت عليها النصوص، والشروط التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون هو الطائفة القائمة بالحق العاملة من أجله، كما يقتضي معرفة بالقواعد التي يقوم عليها العمل الإسلامي المعاصر، كما يقتضي عقلية شورية تقبل الشورى، وتنزل على مقتضياتها على ضوء قواعد الشورى في الإسلام. إذا اتضح هذا كله وكان هذا كله ضروريا فما هو الواقع؟

تجد شيخا يزعم أنه يسير المريد في طريق الجنة، وتفوته التربية على الذلة للمؤمنين، والعزة على الكافرين، والجهاد، وتحرير الولاء، وتجد شيخا يعلم بعض مسائل الفقه أو التوحيد، وينسى تعليم الكتاب والسنة أو السيرة وحياة الصحابة، أو تاريخ الأمة، أو غير ذلك مما يلزم لثقافة إسلامية متكاملة، وتجد من يدعو إلى بعض الدعوات الصالحة وتفوته أمور كثيرة في الثقافة والأخلاق أو التربية الجماعية وفي إحدى هذه الدوائر يكمن الخلل ويبقى الحال على ما نرى.

إن مهمة الشيخ واسعة جدا، ولا شك أن استعدادات الناس متفاوتة، ولكن حدا أدنى مما يلزم لكل إنسان لا بد من وجوده، ومهمتنا أن نرتفع بالناس لا أن ينزلنا الناس إلى ما يريدون، إذا أدركنا هذه السطور القليلة أصبح بإمكاننا أن ندرك نقاط الخلل في رتبة المشيخة المعاصرة، وعرفنا ما يلزم للارتفاع بهذه الرتبة. واتمنى لكل مسلم كان دون هذه القمة التي ذكرت أن يسير على يد من يستطيع أن يصل به إلى هذه القمة، أو يضع لنفسه برنامجا يستكمل به نقصه ...وإنني أعتبر أن النهضة الأولى لجماعة المسلمين هي أن توجد طبقة من الشيوخ الكمل، تستوعب احتياجات المسلمين التعليمية والتربوية والسلوكية ... وتصور إنسانا يتصدر لرتبة المشيخة وهو لا يعرف عصره، وليس قادرا على الفتوى المستوعبة للزمان والمكان

والأشخاص...إلى أين يمكن أن تصل فتواه؟ ولذلك حذرنا في هذا الكتاب من الالتزام المطلق بشيخ وههنا ننصح بما يلي:

أولا: أن يكون الالتزام المطلق لجماعة المسلمين وإمامهم حيثما وجدت جماعة المسلمين وخليفة راشد على رأسها، وإذا لم يكن للمسلمين جماعة على رأسها خليفة راشد فعلى المسلم أن يكون من الطائفة المنصوص عليها في الأحاديث وذلك بأن يكون مع الصف الإسلامي عامة.

ثانيا: أن يلزم نفسه التعاون على الخير بقدر استطاعته، ويحرر كل ما يسمعه على ضوء العلم الصحيح، فإذا استوعب المسلم هاتين القضيتين، وكان بيده الميزان الصحيح-وهو العلم الصحيح- فلا عليه بعد ذلك أن يجالس كل أحد، ويستفيد من كل أحد، ولا شك أنه سيجد كاملا وأكمل، وعالما وأعلم، وذا حال طيب وذا حال أطيب، فيأخذ من هذا أكثر من هذا، وكل ذلك طيب ولكن إياه والالتزام المطلق إلا لجماعة المسلمين وخليفتهم الراشد-إن وجد- لأنه إذا أعطينا لأنفسنا أن يلتزم كل منا بشيخ التزاما مطلقا فكيف يكون للمسلمين جماعة واحدة؟... وذكرنا من قبل أن الصوفية بحثوا حالة لايجد الإنسان فيها مرشدا كاملا فقالوا: بأن العلم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كافيان للإنسان، لأن الله عز وجل وعد من يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي هو عليه، وإذا صلى الله على الإنسان أخرجه من كل ظلمة إلى كل نور: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور)[1]...إن التسليم لغير المرشد الكامل، والالتزام المطلق بغير جماعة المسلمين خليفتهم الراشد خطآن كبيران. وأكثر الصوفية الآن تغيب عنهم هاتان القضيتان، فعلى كل مسلم أن يراجع نفسه في هذا الشأن فيترك العصبية العمياء لشيخه فلا يعطيه مقاما غير مقامه. ولا نريد أن نقطع مريدا عن شيخه، بل نريد أن نفتح الطريق ليتعاون الشيوخ، وليستفيد المريدون حيثما وجدوا فائدة. ومما يستأنس به على ملازمة أهل الصلاح حين الفتن والضلال ملازمة سلمان الفارسي قبل الإسلام لمن بقوا على الدين الصحيح للمسيح عليه السلام، وما رواه الترمذي في حديث صحيح في حادثة الراهب بحيرا أن سبعة من الجنود بايعوه وأقاموا معه، وهناك قضية يجب أن نعرفها وهي أن من عبارات الصوفية عبارة تقول: (من لا شيخ له فشيخه الشيطان) وهي عبارة تنقل عن أحد كبار الصوفية، ونحب أن نناقش هذا الأمر وأن نقدم لذلك بقولنا: إن علماء الأصول لم يعتبروا اجتهاد الصحابي نفسه ملزما للأمة –إلا إذا أجمع عليه- فمن باب أولى رأي غيره. وإنما يكسب قول أي إنسان قوة بقدر ما تؤيده النصوص، فإذا اتضح هذا الأصل نقول: إن هذه العبارة صحيحة في صورة واحدة وهي: أنه لو وجد إنسان جاهل وليس عنده قدرة على أن يتعلم لنفسه العلوم الشرعية فهذا إنسان يسير في عباداته ومعاملاته وتصرفاته على غير علم، فهذا إذا لم يتتلمذ على عالم فعندئذ يكون شيخه الشيطان، أما الإنسان القادر على أن يتعلم بنفسه، وهو يسير

---

[1] سورة الأحزاب، الآية 43.

على ضوء العلم الصحيح، فهذا شيخه العلم الصحيح، وشيخه الكتاب. أما الإنسان الذي يأخذ العلم من أهله فهذا له شيوخه. فإذا أدركنا هذا عرفنا محل هذه العبارة وعرفنا الخطأ الذي به يحاول بعض الناس أن يحملوا هذه العبارة على من لا شيخ له صوفيا، وبالتالي فمنهم من يتكئون عليها للدعوة إلى شيخهم، وقد يكون شيوخهم جهالا يحتاجون إلى شيوخ.

ومن المفاهيم الشائعة عند بعض الصوفية: (أنه يستحيل وصول إلى الله إلا عن طريق شيخ صوفي) وهذا وهم كبير، فمعرفة الله عز وجل بابها مفتوح لمن سلك طريق ذلك، سواء كانت المعرفة الذوقية أو المعرفة العلمية، وإن تعليق المعرفة بالله على وجود شيخ من طراز خاص وتأثيم من لا يسلكون على يد أمثال هذا الشيخ. إن هذا يعني أن ملايين المسلمين ماتوا وهم جهال بالله، وبعضهم المفسر وبعضهم المحدث، والحق أن الاصطلاح على المشيخة الصوفية جاء متأخرا في العصور الإسلامية، فهل كان الناس قبل ذلك لا يعرفون الله وهم أفضل الأجيال عل الإطلاق؟. لا شك أن أدبنا كمسلمين أن نأتي البيوت من أبوابها، ولكل شيئ بابه الذي نلج إلى البيت من خلاله، ولكل إنسان أحواله، ولكل إنسان أوضاعه، فهذا إنسان يفترض في حقه أن يذهب إلى شيخ فقيه، وهذا إنسان يفترض في حقه أن يذهب إلى عالم بالتوحيد، وهذا إنسان يفترض في حقه أن يذهب إلى شيخ صوفي، والفتوى تقدر زمانا ومكانا وشخصا.... وقد آن الأوان بعد الذي ذكرناه في هذا الباب أن نبين ضرورة الشيخ في العلم والتربية، فقد استجَرَّنَا التوضيح ومناقشة الأخطاء إلى كلام قد يفهم منه فاهم أن الشيخ لا محل له أصلا، لذلك نحب أن نوضح هذه النقطة:

1. إن الشيخ البصير في الأمور يختصر لك الطريق، فبدلا من أن تتعب في الطريق أي طريق سواء كان طريق تحصيل علم، أو طريق استدلال على صلاح القلب، أو طريق تخلص من مرض فإنه يختصر لك.
2. إن الشيخ الكامل يجنبك الخطأ في الفهم، أو الخطأ في السلوك، أو الخطأ في التصورات التي يمكن أن تنشأ عن سير الإنسان نفسه.
3. إن الشيخ من خلال صحبته تأخذ منه حالا، وتأخذ منه سمت العلماء وأدبهم، ونور العلم، وتنوير القلب.
4. إن مجرد قبول الإنسان أن يأخذ العلم أو التربية عن أهلها يحرزه من كثير من الأمراض، كمرض الغرور، أو العنجهية، أو الكبر.
5. وكل حالة يفترض على إنسان تحصيل شيئ ولا يستطيع تحصيله إلا من جهة ما فإن الأخذ عن هذه الجهة يعتبر فريضة في حقه من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
6. وإذا كان الشيخ صالحا داعيا إلى هدى فإن الانتفاع به في الدنيا والآخرة تدل عليه النصوص.

7. والتجمع حول شيخ، والمشاركة في حلقات العلم والذكر، والتآخي الخاص في هذه الأجواء، تترتب عليه مصالح كثيرة في الدنيا والآخرة، وكل ذلك غيض من فيض في محل الشيخ ومكانه. ونحن بقدر ما نركز على أن تزول الأخطاء من التصورات والسلوكات في موضوع المشيخة، فإننا نركز على أن نقطة الانطلاق الصحيحة هي وجود المرشد)[1].

وللشيخ سعيد رمضان البوطي (رحمه الله)كلام نفيس في هذا الصدد لا يختلف كثيرا عن رأي سابقيه، حيث أكد على ضرورة المرشد للمسلم مع التنبيه على بعض الآفات والمحاذير في هذا الموضوع: (...على أني لا أزعم أن المسلم لا يحتاج إلى مرشد مخلص ناصح يسلكه في الطريق السليمة الموصلة إلى رضوان الله عز وجل. بل إنني لعلى يقين بأن هذه الحاجة قائمة، ولا شك أن للمرشدين دورا كبيرا في هداية التائهين وتقويم المنحرفين. ولكن لكل شيئ آفة، وآفة الإرشاد أن يتحول المرشد من عمله إلى حرفة يستدر بها الرزق ويبتغي بها الشهرة ويستثمر منها التوقير والتعظيم، وهذا ما قد آل إليه الإرشاد بالنسبة لأكثر من يسمون مرشدين.

المرشد إنسان رباني النزعة، قد فرغ قلبه من محبة الدنيا بكل مظاهرها، فاستوى عنده إقبالها وإدبارها، وهانت عليه نفسه فاستوى عنده المدح والقدح، منضبط بأحكام الشرع وقيوده من منطلق دراية وعلم، لا بدعوى حديث القلب وإلهام النفس.. يرى نفسه موغلة في العصيان والتقصير، ولكن الله أقامه في وظيفة النصح والإرشاد، فعليه أن ينهض بالوظيفة التي كلف بها. فإذا عثرت على المرشد الذي تجمعت فيه هذه الصفات، فتمسك به واشدد بيمينك عليه، فهو خير دال على الله عز وجل، وإنه لقطع نادر في هذا العصر. ولكن أين هو هذا المرشد الذي يتميز بهذه الصفات ؟ وفي أي صقع من أصقاع العالم الإسلامي يوجد واحد تلاقت فيه هذه المزايا؟.

إن جل الذين ينادون ويدللون اليوم على أنفسهم باسم الإرشاد، حرفيون مرتزقة يتقنون فن الدعاية والدعوة لأنفسهم، بدعوى الخوارق والكرامات، وعلو المرتبة والدرجات، ويسلكون مريديهم وتلامذتهم في أصول التبجيل والتقديس لهم، أكثر مما ينبهونهم إلى عبادة الله وإفراده بالتعظيم والتقديس ووحدانية الذات والصفات.وعندما يعز المرشد الصادق، فالسبيل كما قال العلماء الربانيون أن تتخذ لنفسك أخا نصوحا صالحا تتعاونان في السير على صراط الله والوقوف عند حدوده، وأن تجعل من اتباعك لرسول الله عوضا عن المرشد الصادق الذي لم تتمكن من العثور عليه)[2].

---

(1) **راجع**: تربيتنا الروحية، سعيد حوى، ص: 186-199، مرجع سابق.

(2) يغالطونك إذ يقولون...أسلوب حواري يكشف عن مغالطات خطيرة في موضوعات هامة، الدكتور سعيد رمضان البوطي، ص: 297-298، دار إقرأ ودار الفرابي دمشق سوريا، الطبعة الثانية 2000م

الباب الأول

التعريف بخنقة سيدي ناجي ودورها التاريخي العلمي والحضاري وفيه فصلان

الفصل الأول وفيه خمس مباحث

المبحث الأول: مرحلة التأسيس والنشأة.

المطلب الأول: الاسم والموقع.

المطلب الثاني: البدايات الأولى لنشأتها.

المطلب الثالث: قصة تأسيسها 1010 هـ /1602م.

المبحث الثاني: مرحلة الازدهار والتطور

المطلب الأول: المراكز العلمية والدينية.

المطلب الثاني: الكتاتيب القرآنية.

المبحث الثالث: ترجمة لبعض مشاهير العلماء الذين تخرجوا من الخنقة

المبحث الرابع: مكانة الخنقة ووظيفتها الإدارية والسياسية إبان الحكم العثماني.

المبحث الخامس: خنقة سيدي ناجي إبان الاحتلال الفرنسي وبعد الثورة التحريرية.

المطلب الأول: الخنقة أثناء الاحتلال الفرنسي.

المطلب الثاني: الخنقة أثناء الثورة التحريرية.

المطل الثالث: الخنقة أثناء فترة الاستقلال.

المبحث الأول: مرحلة التأسيس والنشأة

المطلب الأول: الاسم والموقع

تقع خنقة سيدي ناجي بالجنوب الشرقي للأوراس، على سفح الأطلس الصحراوي، وهي إحدى البلديات التابعة لدائرة زريبة الوادي ولاية بسكرة، وتبعد عنها من جهة الشرق بمائة كيلومتر على امتداد الطريق الوطني رقم: (**83**)، حيث ملتقى الولايات بسكرة وباتنة وخنشلة، وتبسة، حيث يحدها من الشمال بلدية الوجلة ومن الشرق بلدية جلال ولاية خنشلة، ومن الغرب بلدية زريبة الوادي ولاية بسكرة، ومن الشمال والشمال الغربي بلدية بوحمامة و بلدية كيمل ولاية باتنة، وهي أيضا ليست بالبعيدة عن تراب ولاية تبسة، كما أن موقعها القريب من الحدود التونسية، حيث لا تبعد عن حدودها بما يزيد قليلا عن المائة كلم، بمحاذاة الجريد التونسي **توزر ونفطة**، وقد سمح موقعها كهمزة وصل بين هذه الولايات لحوقها إداريا بعد الاستقلال بكل من ولاية خنشلة وتبسة **وبسكرة**؛ وسميت **بالخنقة** لوقوعها في فج أو مضيق بين جبلين ولأنها متربعة وسط الصخور الجبلية، والكيفان العالية التي تحف بها من كل جانب، ككاف عالية، وكاف السطحة شرقا، وكاف زهانة غربا، وكاف الصفاح شمالا وكاف سيدي الهاني جنوبا، وهي ملتقى النهايات كهمزة وصل بين جبال ششار من جهة، وجبال أوراس من جهة، والزاب الشرقي من جهة أخرى[1]؛ وفي هذا الصدد كتب الدكتور **أبو القاسم سعد الله**[2] حين زيارته للخنقة سنة **1980** يقول: (وحين اقتربنا من الخنقة كاد جبل شاشار يسد الطريق في وجوهنا، حتى لقد تساءلت أين المدينة وسط هذا المثلث الصخري الهائل؟ ولولا بعض رؤوس النخيل وبعض القباب القديمة في سفح الجبل لما عرفنا أن

---

(1) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، إعداد: محمد موهوب بن أحمد بن حسين، ص: 10. **انظرأيضا**: جريدة المساء اليومية يوم 1988/10/27، الخنقة جوهرة واد العرب، القسم الأول، الأستاذ بلمكي عبد الحفيظ، ص:11.

(2) يلقب أبو القاسم سعد الله بـ شيخ المؤرخين الجزائريين، وكان يطلق عليه (الناقد الصغير) عندما كان طالبا بقسنطينة ولد سنة 1930 بضواحي قمار من ولاية الوادي، باحث ومؤرخ جزائري، يعتبر من رجالات الفكر والأدب البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني، له سجل علمي حافل بالإنجازات، تأليفا وتحقيقا وترجمة، من أهم مؤلفاته: موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي في 11 مجلدا، وله كتاب: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، خمس مجلدات، وكتاب: تجارب في الأدب والرحلة، وبحوث في التاريخ العربي الإسلامي ...، ومن تحقيقاته كتاب: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية لـ عبد الكريم الفكون، وتاريخ العدواني لـ محمد بن عمر العدواني، ورحلة ابن حامدوش لـ عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري ... توفي يوم 24 ديسمبر 2013م بمستشفى عين النعجة بالجزائر العاصمة، إثر مرض عضال ألم به، رافضا نقله إلى فرنسا للعلاج، رحمه الله، انظر ترجمته في مدونة عبد النور التاريخية على الرابط التالي: (http://abdenour-hadji.blogspot.com/2013/12/blog-post.html)

العمران قد حط رحاله ذات يوم في هذا (المخنق) أو الخنقة الصعبة المنال)[1]. ولعل الخنقة سميت بهذا الإسم اشتقاقا من اسم الخانقاه وهي كلمة فارسية معربة، وهو المكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة، اقتضت وظيفتها أن يكون لها تخطيط خاص، فهي تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة، ويضاف إلى هذين التخطيطين الغرف التي يتخلى أو ينقطع بها المتصوف للعبادة والتي عرفت في العمارة الإسلامية باسم الخلاوى، وقد تعدد استخدام وظيفة الخانقاه في إقامة الشعائر الدينية والسكنفيها، والأربطة، والأسبلة، وتدريس العلوم والمذاهب الدينية..[2]

ومن ناحية أخرى تقع خنقة سيدي ناجي على الضفة الشرقية **لوادي العرب**[3]، الذي تنحدر إليه المياه من شعاب وأراضي التابعة لبلديتي (**بوحمامة**)[4]، و(**بابار**) بدائرتي (**قايس**) و(**ششار**) ولاية خنشلة، ومن أشهر الروافد لوادي العرب **وادي ملاق**[5] الآتي من جبل شلية، ووادي الحطيبة الآتي من السبيخة، ويطوي مجرى سيل الوادي بقوته الشديدة الجارفة وبامتداداته والتوآته وتعرجاته تلك الأراضي التابعة لولايتي خنشلة وبسكرة، ويتابع سيره حتى يبلغ منتهاه المعلوم وهو **شط ملغيغ** المعروف والمشهور. ومن المعلوم أن الحضارات العريقة والمعتبرة لا تكون إلا بجانبي الأنهار والأودية، ولذلك نجد القرآن الكريم ذكر الأودية وشرفها بأحسن الصفات؛ وكثيرا ما تغنى الشعراء بالأنهار والوديان كنهر النيل بمصر، ونهر دجلة والفرات بالعراق، ونهر بردى بسوريا...؛ ولذلك نجد أن من أشهر القرى التي شيدت حضارتها العمرانية والتاريخية والثقافية عبر امتداد وادي العرب حسب المعلومات المحدودة، قرى كل من بوحمامة، و**بابار**، وخيران، وشبلة، والولجة، وتبويحمت، والخنقة، وليانة، وبادس، وزريبة الوادي، وزريبة حامد،

---

(1) كتاب تجارب في الأدب الرحلة، زيارة لخنقة سيدي ناجي، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، سنة 1983م، ص: 257.

(2) **انظر**: الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، د. مصطفى عبد الله شيحة، ص: 20، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الولى 1992. **انظرأيضا**: ويكيبيديا الموسوعة الحرة شبكة الأنترنت.

(3) ليس المقصود بالعرب ما يعني الجنس غير البربري، وإنما المقصود بهم الأعراب أو العربان الرحل الذين كانوا يسلكون هذا الوادي صاعدين إلى التل للمصيف أو نازلين منه للعودة إلى ديارهم، وكانوا يأتون من أولاد بوحديجة واهل الفيض والخذران والسوافة وأولاد نايل وغيرهم مارين بأعداد هائلة من الجمال والمواشي وغيرها من الحيوانات، ومعهم خيامهم ولوازمهم، في حركة دؤوبة في آخر فصل الربيع واوائل فصل الخريف. **انظر**: قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، إعداد محمد موهوب بن أحمد بن حسين، مدير ثانوية متقاعد، في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، مرجع سابق،ص:12.

(4) تعتبر بوحمامة من أهم مدن ولاية خنشلة، لأنها من أجمل بلدياتها الغنية بمعالمها الطبيعية، مثل جبل شليا وغابات بني ملول التي تمتد على حوالي 80 كلم مربع، أي أكبر غابة في الجزائر، فهي بمثابة رئة الجزائر، كما كانت جبالها حاضنة لمجاهدي ثورة التحرير. أغلب سكانها من عرش أولاد ملول، وعرش بني اوجانة الذين يشكلان قبيلة (جراوة) قبيلة الكاهنة (**ديهيا**

(5) سمي باسم أحد زعماء البربر الذي يوجد قبره بضواحي خيران تحت صخرة منقوش عليها اسمه بالأحرف اللاتينية.**انظر**: جريدة المساء يوم 1988/10/27، الخنقة جوهرة وادي العرب، القسم الأول، الأستاذ بلمكي عبد الحفيظ، ص:11.

والفيض، وكل قرية من هذه القرى المذكورة تاريخ حافل بالعلم والعلماء والشجاعة والسخاء، في ظلال البساتين والحقول المتنوعة، الزاخرة بأنواع الطيور المختلفة والحيوانات الداجنة، وبالأخص منها أم القرى والمداشر قرية خنقة سيدي ناجي التي هي بمثابة جوهرة الوسط لوادي العرب التي بارك الله فيها؛ وقد وصفها الشيخ الحسين بن محمد **الورتلاني**[1] حين زيارته للخنقة وهو في طريقه إلى أداء فريضة الحج[2] بقوله: (... والخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار وسط واد بين جبلين، وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها وفي البركة، غير أن التشبيه فيه بعض التعالي، ولكن كلام الأولياء مقبول..)، إلى أن يقول: (وبالجملة فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة)... [3]

(1) هو الحسين بن محمد الورتلاني (1125هـ/1193م) من علماء القرن الثاني عشر، يرجع نسبه إلى قبيلة(قزيلان) قرب بجاية، من مؤلفاته رحلته المشهورة المسماة بـ " نزهة الأنظار في علم التاريخ والآثار"، وشرح المنظومة القدسية للأخضري.

(2) حيث يمر بالقرب من الخنقة طريق رئيسي للحجاج القادمين من الغرب الجزائري ومن المغرب الأقصى في مواكب، حيث يستعملون وسائل الركوب التقليدية، كالبغال والخيول والجمال...الخ، بل ومنهم من كانو يسيرون على الأقدام، وقد يدخل البعض منهم إلى الخنقة لأمر أو لآخر.

(3) **انظر**: جريدة المساء اليومية 1988/10/27، مرجع سابق، ص:11.**انظر**: حديث مسجل خاص بتاريخ: 2013/05/17 مع السيد:شريفي عمارة، مدير السياحة لولاية بسكرة سابقا.

المطلب الثاني: البدايات الأولى لنشأتها.

لقد كانت خنقة سيدي ناجي قبل تأسيسها منطقة غير آهلة بالسكان عبارة عن بحيرة ماء يحيط بها نبات القصب، وتكثر بها الأشجار الغابية وخاصة **العرعار**[1]، يغذيها وادي العرب بمياهه العذبة طوال السنة، تحيط بها جبال من جميع الجوانب إلا مسلكا واحدا يربطها بالصحراء جنوبا وبالتل شمالا فاحتلت بذلك موقعا استراتيجا هاما، ولقد كانت بها أصناف كثيرة من الحيونات البرية وخاصة النعام الذي كان يكثر بها بصفة ملحوظة، يفد إليها من الصحراء ليرتوي من مائها العذب ولذلك أطلق عليها اسم:**مورد النعام** [2]، وبقيت الخنقة على هذا الحال حتى ظهرت بها قرية صغيرة تدعى: (كرزدة) يؤمها بعض الموالين شتاءً ويرتحلون عنها صيفا، ومرت عليها حقبة من الزمن وهي على هذه الحال ملجأ إنسانيا، حتى برزت إلى الوجود على حقيقتها على يد مؤسسها سيدي المبارك.على الرغم من أن بعض الكتابات والروايات التاريخية تذكر أن الخنقة عاشت كل الحضارات التي مرت بها الجزائر فصاحب الأطلس الأثري (الأيكلوجي) [سيفا جالcivagelle] يذكر حصن أمازيغي بحت، وكذلك وجود آثار وأنفاق ومغارات يقال عنها أنها تعود لعهد **الكاهنة**[3] ملكة الأوراس كما يذكر أهالي المنطقة، ثم ظهرت بعد تلك الفترة بالمنطقة حصون للجيش الروماني التي أسسها كخط دفاعي جنوب **الأطلس الصحرواي**[4]، أو جنوب

---

(1) لم يزل حتى الآن بمسجد سيدي المبارك خشب العرعار وبيض النعام شاهدين على تاريخها ورمزا لما كانت عليه من قبل. وشجر العرعار من الأشجار الصنوبرية المشهورة في منطقة الأوراس، يبلغ طولها إلى 15م، بطيئة النمو، أخشابها قوية جدا تقاوم الرطوبة والحشرات ولذلك كان يستعملها الأوراسيون في أعمدة البيوت وتسقيفها، يقول عنه أهل المنطقة أن شجرة العرعار لا تحس بألم ما قطع منها من أغصان إلا بعد مائة سنة، كناية منهم على قوتها وشدتها. أما عن أوراقها وثمارها تعد من النياتات الطبية النافعة للعديد من الأمراض وخاصة أمراض البرد وآلام الروماتيزم...، وقد اشتهر أهل غسيرة أنهم يصنعون من ثمارها عصير شبه مربى، مفيد لتقوية مناعة الجسم..

(2) **انظر**: الملتقى الوطني الأول للمقاومة الشعبية بالزاب الشرقي،مرجع سابق، ص:2.

(3) الملكة ديهيا بنت تابنة (585م/712م)، المشهورة بلقب الكاهنة، قائدة عسكرية وملكة أمازيغية، خلفت الملك أكسيل في حكم الأمازيغ وحكمت شمال إفريقيا، تتشكل مملكتها اليوم من الجزائر وتونس والمغرب وليبيا، وعاصمة مملكتها هي مدينة خنشلة في الأوراس، قادت عدة معارك وحملات ضد الرومان والبيزنطيين والعرب، تمكنت من استعادة معظم أراضي مملكتها بما فيها خنشلة بعد أن هزمت الرومان هزيمة شنعاء، وتمكنت من توحيد أهم القبائل الأمازيغية حولها خلال زحف جيوش المسلمين، واستطاعت أن تلحق هزيمة كبيرة بجيش القائد حسن ابن النعمان عام 693م ومطاردتهم إلى خارج حدود تونس الحالية. ، قال عنها المؤرخ ابن خلدون: ((ديهيا فارسة الأمازيغ التي لم يأت بمثلها زمان كانت تركب حصانا وتسعى بين القوم من الأوراس إلى طرابلس تحمل السلاح لتدافع عن أرض أجدادها))، وقال عنها المؤرخ ابن غازي المراكشي: ((جميع من بإفريقيا من الرومان منها خائفون وجميع الأمازيغ لها مطيعون)). **انظر في ترجمتها:** موسوعة المعرفة على الرابط التالي: (/http://www.marefa.org)

(4) سلسلة جبلية في الجزائر تتألف من أربع سلاسل جبلية، تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، موازية محور جبال الأطلس التلي، وهي سلسلة جبال القصور (جبل عيسى وجبل مختار) ، وسلسلة جبال العمور (جبل قرن عريف، وجبل أم

الأوراس، الخط الذي يلتف حول الأوراس من الجهة الجنوبية المتاخمة لمنخفضات الزيبان، مشكلا خط تحصينات اللمس، كطبنة، وجميلي، وبسكرة، وتهودة، وتامديت، وبادس، وقيطون إلى نفطة بالجريد، لحماية مزارع المستعمرات الرومانية التي كانت شمال الأوراس كمدينة (**تيمقاد**)[1] ومدينة (**لامبيز**) **تازولت**[2] ومدينة (**تبسة**)[3]، ومسكولة (خنشلة)، وباغاي، وغيرها...، ثم تحولت هذه الحصون فيما بعد إلى مدن كبيرة كما يذكر المؤرخون، وآثارها لا زالت قائمة إلى الآن، وقد ذكرها الرحالة العرب كالرحالة **أبو عبيد الله البكري**[4]، والرحالة (**ياقوت الحموي**)[5]، بأن تلك الحصون العسكرية كان يحيط بها حصون مدنية

القدور، وجبل سيدي عقبة، وجبل قورو، وجبل سيدي بوزيد) . وسلسلة جبال أولاد نايل (جبل الأزرق) . وسلسلة جبال الأوراس (جبل شليا 2328م، وجبل بوعرف، وجبل الرفاعة، وجبل الشلعلع، وجبل المحمل) . **انظر**: موسوعة المعرفة على الرابط التالي: (http://www.marefa.org/)

(1) مدينة تيمقاد مدينة أثرية رومانية بالجزائر، تبعد عن ولاية باتنة شرقا بـ 35كلم، كانت تسمى **تاموقادي**، بنيت سنة 100ميلادي، وكانت بداية الأمر تلعب دورا دفاعيا لتصبح فيما بعد مركزا حضاريا، وهي المدينة الوحيدة من مدن الرومان المحافظة على هيئتها النموذجي في أفريقيا، وهي مسجلة في قائمة التراث العالمي،. **انظر**: الموقع الرسمي لولاية باتنة على الرابط التالي (http://www.wilaya-batna.gov.dz/)

(2) تازولت أصل تسميتها الروماني (lambaesis) ، وهي مدينة عسكرية رومانية تبعد على مدينة باتنة بـ10كلم في اتجاه خنشلة، وتعتبر من أهم المدن الأثرية في الجزائر من ناخية مخزونها التراثي، يوجد بها متحف للآثار ومحكمة رومانية، وتوجد بها كنيسة وسجن يعودان للحقبة الاستعمارية. أنشأت لتصبع عاصمة الرومان في إفريقيا سنة 128م، وبنيت وسط المدينة مباني عسكرية لكي يسكنها الحراس والموظفين. ابتداءا من القرن الثالث أصبحت عاصمة نوميديا. **انظر**: انظر: الموقع الرسمي لولاية باتنة على الرابط التالي (http://www.wilaya-batna.gov.dz/)

(3) يرجع اسم تبسة إلى الأصل البربري الأول الذي يعني اللبؤة، ولما دخلها الإغريق شبهوها بمدينة تيبس الفرعونية لكثرة خيراتها والمعروفة اليوم بطابة، وبعد دخول الرومان سموها بتيفست، ومع الفتح الإسلامي تم تعريبها فأصبحت تبسة، عرفت تبسة وجود الإنسان حوالي 27000سنة قبل الميلاد، وذلك فيما يعرف عند المؤرخين بالحضارة العاترية، [للدكتور أحمد عيساوي كتاب: مدينة تبسة وأعلامها (بوابة الشرق ورئة العروبة وأريج الحضارة) ، وكتاب: جهود العربي التبسي وآثاره الإصلاحية في جزئين]. **انظر**: مدينة تبسة وأعلامها، د. أحمد عيساوي، ص 19-41، مؤسسة البلاغ طبعة خاصة 2013م. .

(4) أبو عبد الله البكري الأندلسي، جغرافي وموسوعي وأديب ونباتي، ولد في اشبيلية سنة 422هـ/1030م، أول الجغرافيين المسلمين في الأندلس، قيل أن ملوك الأندلس كانوا يتهادون كتبه، من أشهر كتبه: [معجم ماستعجم]، و[المسالك والممالك] و[أعيان النبات والشجيرات الأندلسية].. في عام 1949م أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا اسمه على فوهة من فوهات القمر تقديرا لإسهاماته المتميزة في حقل الجغرافيا. توفي في قرطبة عام 487هـ /1094م حمه الله. **انظر**: سعد غراب: مقدمة تحقيقه لكتاب المسالك والممالك للبكري، الناشر: دار الغرب الإسلامي 1992م، ص10 فما بعدها.

(5) ياقوت ابن عبد الله الحموي من أصل رومي، رحالة جغرافي وأديب وشاعر وخطاط ولغوي، ولد في مدينة حماة عام 574هـ /1178م، توالت أسفاره إلى بلاد فاس وكافة أرجاء الشام والجزيرة العربية ومصر، ونيسابور وخرسان وكان في = كل أسفاره يدون ملاحظاته الخاصة عن الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والآثار القديمة والحديثة والحكايات والأساطير والغرائب والطرائف، وكان الحموي شاعرا لا يمدح أحدا بشعره، وله ديوان شعر جميل يحفظه الفقهاء ويتغنى به العلماء. له عدة مؤلفات من أشهرها معجم البلدان، ومعجم الأدباء، وأنساب العرب...، قيل أنه توفي بحلب، وقيل توفي ببغداد سنة 622هـ /1225م، ودفن بجوار

وصل فيه تعداد السكان إلى ثلاثين ألف نسمة في حين أن سكان إيطاليا في ذلك الوقت لا يتعدى مليونين ونصف المليون نسمة، وقد جلبت إلى تلك الحصون المياه من وادي العرب تمتد تحت الأرضفي المكان المعروف بكاف المحلة إلى فيض السلة لتمر إلى ليانة وبادس، كما جلبت المياه أيضا من منطقة **(مالاقو)** في جوف جبال الأوراس، وما زالت آثار السواقي موجودة إلى الآن تحدث عنها العديد من المؤرخين ويستطيع السائح أو الباحث أن يتتبع آثارها إلى (ملاقو) على طول 75كلم، هذا إلى جانب آثار مخازن الحبوب والمعاصر، والمقابر والكنائس بما فيه كل من الكنيسة الكاثولكية **والكنيسة الدوناتية**[1].

وفي العهد الإسلامي الأول بعد الفتوحات مباشرة أسست مدينة **(أم العز)** الواقعة على طريق الركب على غرار المدن الإسلامية القديمة، ثم نهضت على أنقاضها خنقة سيدي ناجي لاحقا[2].

مشهد الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان – تحقيق محمد محي الدين – – مطبعة النهضة المصرية 1949م – 173/5.

(1) الدوناتية عبارة عن حركة ثورة دينية اجتماعية وسياسية، وقد تزعم هذه الحركة الأسقف (دوناتوس) وهو من أصل جزائري، يعتبر من المفكرين الأمازيغ المعروفين بمقاومتهم الشرسة للاحتلال الروماني له كتاب سماه بـ روح القدس، ثورته قامت بدور هام بين 4 قبل الميلاد و429م، تمتاز بصبغتها المتمردة على الحكم الروماني وتعاليم الكنيسة الرسمية، حيث كان يدعو (دوناتوس) إلى مذهب ديني جديد يقوم عل إقرار المساواة بين الناس، ويعمل على مساعدة الفقراء ولا يعترف بأي سلطة غير سلطة الإله الخالق، وكان يأمر الأمازيغيين بطرد كبار الملاك من أراضيهم وأصحاب النفوذ من المسيحيين الكاثوليك من بلادهم، وتحرير العبيد من ظلم الأرستوقراطيين الرومان، وقد انتشرت الدوناتية في الكثير من الولايات والممالك الأمازيغية، وخاصة في ولاية أفريكا وولاية نوميديا، أرسلت الحكومة الرومانية قوات عسكرية عاتية سنة 411م، فنكلت بالدوناتيين وقضت على اتباع هذه الحركة الدينية، وسلمت املاكها وكنائسها للمسيحيين الكاثوليك. **انظر**: الدوناتية ثورة اجتماعية في مسوح ديني، د. محمود إسماعيل، جريدة الأهالي 2008/01/16.

(2) **انظر**: جريدة المساء مرجع سابق.**انظر**:شريفي عمارة (تسجيل خاص) ، مرجع سابق. **انظر**: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، د. نصر الدين سعدوني، ص 253-265، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م

المطلب الثالث: قصة تأسيسها 1010هـ/1602م.

تأسست خنقة سيدي ناجي على يد **سيدي المبارك**[1] بن قاسم بن ناجي الأصغر، ابن قاسم بن ناجي الكبير، إثر رحيلهما من تونس بأعراشهما متجهين غربا نحو فاس باحثين عن مستقر لهم ولرفاقهم، وقد وصلوا حتى جبال **تسالة** بعد أن جاب أماكن عديدة في بلاد المغرب، ثم ضربوا بعد ذلك في الأرض جنوبا نحو الصحراء الجزائرية، فوصلوا إلى وادي سوف، ووادي ريغ، وورقلة، ونزلوا بصحراء وازان، والزاب الشرقي، وتقميط، وبالمنصورية وسيدي عقبة، والفيض،جرت كلمتهم في الأوطان التي مروا بها بالإصلاح، وانتشر أمرهم،وجرت لهم العوائد بالزكاة والعشر، وقد ظلوا مدة أعوام على تلك الحالة[2]، إلى أن انتقلت الولاية إلى سيدي المبارك، وقد وقعت بينه وبين عبد الصمد الشابي (ت1025هـ/1616م) مطاردات، والذي اشتهر بحروبه ضد العثمانيين، رحل على إثرها إلى بادس، ثم حل بالخنقة التي استقر بها، وسبب اختياره للموقع حسب الأخبار المتواترة أنه رأى جده سيدي ناجي في المنام وقال له اذهب إلى الخنقة مورد النعام واستوطن بها، وهو الموقع الحالي لخنقة سيدي ناجي، فقصده في سنة 1011هـ/1602م، وحط

---

(1) حاكم صوفي صالح، ذو علم وتقى وورع، سكن أجداده الأندلس في عهد الخلفاء الأمويين، وبعد سقوط غرناطة هاجروا نحو تونس، ينتهي نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان، وهذا ما يقول به فرع عائلة بن حسين من حفدة الشيخ أحمد بن الشيخ سيدي المبارك، ويصرون عليه، ويقولون أن النسب وارد في كتاب (الدرر والعقيان في أخبار ملوك بني زيان)، ويعزز ذلك ما ورد في كتاب (آثار الإمام عبد الحميد بن باديس) ط1، ج4، ص132 قوله: (.. وتغذيت من الغد عند القائد السيد (الباشا) من آل بني حسين أعيان الخنقة، بيت مجد قديم، يروون عن أوائلهم اتصال نسبهم ببني أمية، والقائد يمثل بأخلاقه وسيرته –المجمع على حسنها وامتيازها– ما يصدق ذلك المجد وينميه)، وهذا خلاف ما يقول به حفدة الشيخ سيدي عبد الحفيظ دفين (تبويحمت) الفرع الثاني من حفدة الشيخ أحمد بن الشيخ سيدي المبارك، والشيخ عاشور في كتابه: (منار الإشراف في فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف)، يرون أن نسب سيدي المبارك يتصل بالأشراف الأدارسة الحسينيين، أخذ سيدي المبارك الطريقة الناصرية الشاذلية أثناء تنقله عبر بلاد المغرب وأصبح أحد شيوخها الكبار، وله أتباع هناك ليومنا هذا، كانت له رئاسة كبيرة وأملاك كثيرة وشهرة واسعة، مما جعل الشابي ينافسه في حكمه ويؤلب عليه الأعراش التي يحكمها، فغادر الزاب الشرقي متوجها نحو الخنقة فاستقر بها متخذا منها مقره الأخير وبلدته الجديدة، توفي الشيخ المبارك بخنقة سيدي ناجي سنة 1031هـ/1622م، ودفن داخل جامعه الذي أصبح يحمل اسمه (جامع سيدي المبارك) إلى يومنا هذا.**انظر**: علماء من الخنقة وليانة، عبد الحليم صيد، في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م– 2002م، ص:102.

(2) يذكر الأستاذ عبد الغني بن حسين في كتابه غير المطبوع، عن حياة الشيخ محمد بن حسين في ص08، أنه اطلع في كتاب (التعريف بإنشاء الخنقة) لمؤلفه المرحوم سيدي عبد الوهاب (الموهوب) نجل سيدي عبد المجيد فوجدته قد كتب يقول: عثرت على وثيقة مكتوبة بخط جميل، منقولة من مصدر لم يذكر صاحبه، بعض مضمونها يقول: ((... من الشيخ سيدي مبارك بن قاسم بن ناجي الأصغر بن قاسم بن ناجي الأكبر، وينتهي نسبهم إلى ثالث خلفاء الرسول ﷺ، السيد عثمان بن عفان رضي الله عنه، كانوا يسكنون الشام بسوريا، ولهم أعراش وأتباع كثيرة، وصيت مسموع في ذلك الوطن إلى أن قدر الله بخروجهم إلى أرض (مصر) ثم إلى (طرابلس) ليبيا، وقيل إلى الأندلس رفقة عبد الرحمان الثالث، ثم إلى الذريعات أو الدروع، وربما عنى وادي درعة بالمغرب الأقصى منحدرين من سلالة سيدي بناصر الدرعي، ثم رجعوا إلى تونس)) .

الرحال به، واستوطنها مع سبع فرق وهي: اللواتة، سدراتة، هزابرة، زهانة،دريد، نهد، وزناتة؛ وقد استعان بهؤلاء الأتباع الذين أسلموا له أمرهم في تسيير شؤونهم، على تشييد وتعمير الخنقة على قاعدة من أحيا أرضا فهي له، وقد اختار العدد سبعة لأنه العدد الكامل تفاؤلا، ثم اختط المكان مقسما أياها إلى خمسة أحياء فسمى بعضا منها بأسماء ممن قدموا معه إليها، وبعضا منها بأسماء أخرى تاركا الحي القديم على اسمه الذي كان عليه وذلك كما يلي: حي كرزدة، وحي السوق، وحي موسى، وحي سدراتة، وحي هزابرة أو اللواتة؛ وأما حارة الحبس فقد تركت وقفا على من قصد الخنقة ولم يجد مأوى، وفي تقسيمها إلى خمسة أحياء تفاؤل أيضا لإقامة حدود الله واتباع شريعته، فالإسلام بني على خمس، والصلوات في اليوم والليلة خمس وهي أفضل الأعمال إلى الله، ثم أطلق عليها اسم خنقة سيدي ناجي بدلا من مورد النعام، تيمنا وتبركا بجده الأكبر الولي الصالح دفين تونس العاصمة، بطبيعة الحال فقد لاقى صعوبات كبيرة ومعارضات شتى وحروبا كثيرة بينه وبين القبائل المجاورة للمنطقة، ولما كانت الوضعية تحتاج إلى صرامة وتشديد الأمن والاحتياط، أحاط البلدة كلها بسور له بابان يغلقان ليلا، وعين لها مرابطين يحرسونها ليلا بالتناوب، كما أحيط كل حي أيضا بسور له بابان يغلقان كذلك ليلا، ولكل منهما مرابطون يحرسونه أثناء الليل بالتناوب، وبعد وفاته أكمل بناءها وتشييدها نجله الشيخ أحمد بن المبارك، ثم ابن ابنه محمد الطيب، ثم أحفاده واحدا تلو الآخر بالاستمرار في هذا الفرع، يرثون المشيخة (رعاية شؤون الزاوية والبلدة) ابنا عن أب، حيث سلكوا مسلك جدهم، فازدهرت البلاد على أيديهم وعمرت على تقوى من الله ورضوان من جميع النواحي الفلاحية والعمرانية والسياسية والثقافية[1].

---

[1] **انظر**: نسخة من مجموعة أوراق غير كاملة تحصل عليها الباحث من الشيخ نور الدين بلمكي إمام وخطيب مسجد سيدي مبارك بالخنقة (1915م/2010م) بعضها مكتوب بخط اليد وبعضها مكتوب بالآلة الراقنة تحمل توقيعه، يغلب على ظني أنها من إملاءاته، يتحدث فيها عن تاريخ الخنقة وعلمائها. **انظر**: تسجيل فيديو خاص للباحث معه سنة 2009م. **انظر**: الملتقى الوطني الأول للمقاومة الشعبية بالزاب الشرقيمرجع سابق، ص:4. **انظر**: خنقة سيدي ناجي عبر التاريخ، مداخلة للأستاذ قوبع عبد العزيز(رئيس الجمعية الناصرية لخنقة سيدي ناجي ورئيس جمعية أولياء التلاميذ لولاية بسكرة) في الأيام السياحية الثقافية خنقة سيدي ناجي يومي 29-30 أفريل 2008، ص:2. **انظر**: محمد موهوب بن حسين، مرجع سابق، ص: 11-13.**انظر**: جريدة المساء اليومية مرجع سابق. **انظر**: الملتقى الوطني الول للمقاومة الشعبية بالزاب الشرقي مرجع سابق، ص:5.

المبحث الثاني: المراكز العلمية والدينية.

المطلب الأول: الزوايا والمساجد.

كما ذكرنا سابقا انقسمت الخنقة بعد تأسيسها ونموها العمراني إلى خمس حارات أو تجمعات سكانية، شهدت هذه الأحياء بناء خمسة مساجد، وزاويتين، الزاوية الناصرية وجامع سيدي المبارك، ناشر الطريقة الناصرية في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي. ومسجد السوق الذي تقام فيه الصلوات الخمس، وقد بني خلال القرن الثاني عشر الهجريالثامن عشر الميلاديكما هو متواتر، والزاوية الرحمانية ومسجد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، ناشر الطريقة الرحمانية في القرن الثالث عشر الهجريالتاسع عشر الميلادي، ومسجد كرزدة الذي اندثر بفعل تهديم الفرنسيين له سنة 1957م، وبنو فوقه دون أن يبقى أثر للمسجد، ومسجد سدراتة الذي بني قبل دخول الفرنسيين تقام فيه الصلوات الخمس بطريقة غير منتظمة.[1]، كانت لتلك المنارات العلمية أدوار متفاوتة الأهمية في التاريخ الثقافي والحضاري والعلمي للشعب الجزائري، لا سيما الزاوية الناصرية، بجامعها الكبير ومدرستها، والزاوية الرحمانية ومسجد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.

01/ بالنسبة للزاوية الناصرية: فقد خطها الشيخ سيدي المبارك[2] بسنة قبل وفاته، أي سنة 1030هـ/1620م، وأكملها ابنه الشيخ أحمد بن المبارك، وهي التي جعل فيها ضريحه، ولذلك سمي المسجد فيما بعد باسمه، وفي سنة 1145هـ/1732م على عهد الشيخ محمد بن محمد الطيب عزم على بناء مسجد الشيخ سيدي المبارك وتجديده،والذي بني على منوال جامع الزيتونة، حيث أتى بالبنائين من مدينة تونس[3]، وشرع في بنائه في شهر رمضان المعظم، وصليت فيه أول جمعة بعد دوران جهاته الأربع وتعيين المحراب وقياسه، ووضع أساس المنارة وبعض السواري من سنة 1146هـ/1733م، أما تتمة المسجد

---

(1) **انظر**: كتاب تجارب في الأدب و الرحلة، زيارة لخنقة سيدي ناجي، د. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983م، ص: 260.

(2) حينما خط سيدي المبارك مدينة الخنقة وقبل الشروع في بنائها مع من أتى بهم، بدأ أولا ببناء المسجد اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ وكان الجد الأكبر لعائلة بلمكي، الشيخ عمر زروق بن أحمد زروق بن سعيد الوانجي المتوفى سنة 1331هـ/1912م هو أول خطيب جمعة بخنقة سيدي ناجي، وقد تابع سيدي المبارك عمله في البناء والتعمير وغرس الأشجار المثمرة وخاصة النخيل والتي بلغت 28000 نخلة. **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي (1915م/2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.

(3) بنى المسجد والمدرسة بناء مشهور اسمه: احمد بن عمر التونسي، وقد نقش اسمه وسنة إنجازه في محراب المسجد، والذي روعي في تصميمه فنون العمارة العربية الإسلامية، والتي تظهر فيه صومعته العالية التى تتحدى الزمن، وبجوارها قبة ضريح سيدي المبارك عند مدخل المسجد، وتوجد في المقام المذكور، نقوش (للأسطا حسين) باي تونس، الذي أودع في هذا النقش شهادة أن ﴿ **لاإله إلا الله**﴾ وذلك سنة 1151هـ/1738م . **انظر**: مسجد سيدي المبارك في الخنقة ونضال الكلمة والعقيدة، ع/بن سعيد، جريدة النصر اليومية، الإثنين 6/جوان/1988م، العدد: 7655.

وتوسعته فكانت على يد الشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن محمد الطيب في سنة 1171هـ/1757م، من ماله الخالص الذي بلغ آن ذاك ستة آلاف وثلاثمائة ريال بسكة تونس، ومن الذهب اثني عشر ومائة وستين سلطانيا ذهبا إسماعيليا، وهو المسجد بصفته الحالية[1]، الذي بنيت به غرف لإقامة الطلبة الغرباء، محيطة بصحنه الخلفي، فيما صار يدعى بالمدرسة الناصرية، نسبة للطريقة الناصرية التي انتشرت بالخنقة آن ذاك، بواسطة سيدي عبد الحفيظ بن محمد الطيب دفين قرية تبويحمت، عن الشيخ الغرياني، عن الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي المغربي، وليس كما ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي ج1، ص285، أنها تنسب إلى مؤسسها الشيخ احمد بن الناصر، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ محمد موهوب بن أحمد بن حسين في بحثه[2]. وقد أصبحت المدرسة الناصرية[3] والجامع الكبير[4] من ذلك الحين مركزا لنشر العلم ومنارة إشعاع ديني وروحي، ومأثرة جليلة[5]، وقد اعتبرت من أشهر المراكز العلمية في غير العواصم، إذ كانت مقصد وملتقى طلاب العلم من مختلف جهات الوطن، ومن خارج حدود الجزائر،وبذلك كانت الزاوية الناصرية بجامعها الكبير ومدرستها هي التي أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طوال القرون الماضية، وموئل علماء الزاب والصحراء، ووادي سوف، والأوراس، وقسنطينة، وزواوة،

---

(1) يعتبر من المعالم التاريخية والأثرية الهامة في شرق الجزائر.

(2) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، مرجع سابق، ص: 16.

(3) المدرسة ما تزال قائمة إلى الآن، تحتوي على خمس عشرة غرفة لسكنى الطلبة موزعة على طابقين، وتضم كل غرفة من خمسة إلى عشرة طلاب، تتوسطها باحة، ولها بابان، باب خارجي على الزقاق وباب داخلي يؤدي إلى الجامع، ذلك أن الطالب كان يقرأ القرآن في المدرسة ويبيت فيها، وعندما ينضج علميا يحضر حلقات الدرس في الجامع المجاور (جامع سيدي المبارك)؛ ولهذه المدرسة بالإضافة إلى الغرف، حمامات وكوشة، وصخور منحوتة بأحواض ماء لمحو الألواح، اندثر أغلبها، وتوجد نقوش رائعة الجمال على الرخام المحاط بالباب الخارجي للمدرسة، فهي تحفة فنية من التراث المحلي الوطني. **انظر**: جريدة النصر اليومية، مرجع سابق. **انظر**: تجارب في الأدب و الرحلة،، د. أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص: 261.

(4) الجامع واسع نسبيا، يحتوي على أربعة وعشرين عموداً (عرصة) من الحجارة الصلبة، وبه خمسة أبواب أثرية، وفوانيس نحاسية معلقة جلبت من المشرق العربي، ويضاف إلى ذلك المنبر الخشبي العتيق والثمين، وله صحن غير مغطى ملحق به، ولهذا الصحن محراب أيضا، وباب يؤدي إلى أضرحة مخصصة لعائلة بن حسين أولاد المبارك، ويلاحظ استعمال المواد المحلية من حجارة وتراب وأخشاب في عملية التشييد وتبليط الأرضية، وللجامع صومعة عالية مازالت جيدة الصنع، وقد بلغت درجاتها 62 درجة على الأقل، وكانت هذه الصومعة فيما مضى لإسماع الآذان وللمراقبين أيضا عند الأخطار. **انظر**: جريدة النصر مرجع سابق. **انظر**: د. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص61،62.

(5) تستقبل الطلبة الغرباء وتؤويهم، وشيخ الزاوية وأقرباؤه والبعض من أهالي الخنقة يتكفلون بإطعامهم الدائم مجانا مهما كان عددهم، الواحد منهم كان يتكفل بقدر استطاعته بعدد من الطلبة، يكونون من حيث الإطعام كباقي أفرد الأسرة، بصفة مستمرة إلى أن ينتهي الطالب من الدراسة، أو ينتقل إلى حاضرة علمية أخرى، ولا يطالب بأي مقابل، لا ثمنا ولا عملا، فما يقدمونه كان خالصا لوجه الله الكريم، وكرما وإحسانا من القادرين عليه. **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، مرجع سابق. تسمى هذه العملية في بعض الجهات من منطقة الأوراس بـ (ترتيب القدادشة أو الطلاب).

وعنابة، بل وتونس وطرابلس أيضا، تدرس العلوم الشرعية واللغوية والنحو؛ بل ذاع صيتها في المغرب العربي كله ونالت منزلة مرموقة وشهرة بلغت الآفاق حتى لقبت بتونس الصغيرة[1].

ومما زاد في شهرة الخنقة بالإضافة إلى ذلك، أنها كانت محطة رئيسية لقوافل الحج، فكان الحجاج القادمون من المغرب يسلكون طريق ليانة، بادس، ثم الخنقة، وهذا ما جعلها نقطة عبور ومرحلة انتقال بين ربوع المغرب العربي، فيجد المسافرون في عين المكان كرم الضيافة، والراحة والإرشادات الضرورية لسفرهم الطويل قبل توجههم إلى توزر بتونس، وقد قصدها بعض الحجاج والرحالة والدارسين، الذين أثارت الخنقة اهتمامهم، فسجلوا انطباعاتهم عنها مثل: عبد الله العياشي المغربي[2]، وحسين بن محمد الورتلاني، الذي لما دخلها وجد جماعة من البنائين يضربون اللبن، فسألهم عن علمائها ليتعرف عن مدى ما بلغوه من العلم، فقالوا: نحن نكفيك فسل عما تريد، فما سألهم عن باب من أبواب الفقه، أو النحو أو السيرة، أو الحديث، أو غير ذلك إلا أجابوه فاقتنع أن خنقة سيدي ناجي بلد أهلها كلهم علماء، وقد ذكر ذلك في كتابه: (نزهة الأنظار، ص177، من الجزء الثالث)، وعندما التقى بعلمائها وشيوخها الأجلاء قال عنهم: أنهم اشتهروا بالفقه والحديث خصوصا مختصر البخاري لابن أبي جمرة، والنحو الذي يعتني به الصغير والكبير حتى أنهم اشتهروا به اشتهارا بينا، ولكنهم لا يحبون تدريس التوحيد والمنطق[3]، وحين سألهم عن عدم اشتغالهم بعلم التوحيد، أجابوه بقولهم: وهل تحتاج الشمس إلى دليل[4].

---

(1) لقد بدأت الزاوية الناصرية بجامعها الكبير ومدرستها في التراجع شيئا فشيئا عن نشر العلم منذ الاحتلال الفرنيسي للمنطقة.

(2) هو أبو سالم عبد الله العياشي المغربي (1627- 1679م) ، تعلم في مصر، ثم عاد إلى المغرب، كتب عن الخنقة في كتابه ((ماء الموائد) ، والمشهور بالرحلة العياشية.

(3) وقد رد الورتلاني معقبا على إجابتهم بكلام طويل مفاده أن الدليل العقلي لا بد منه، وقد فسرت أ. كريمة بن حسين هذا الموقف بقولها: ((اجتنابهم له يعود لما يتضمنه هذا العلم من نظريات متناقضة، وللخلافات بين الباحثين من السنة والمعتزلة وغيرهم، وعليه ينبغي لطالبه أن يتناوله بعمق واسع وفهم تام، وإلا يستحسن الإعراض عنه، وعدم الاكتفاء بالمبادئ البسيطة، التي تجعل صاحبها متذبذبا بين الآراء والمجادلات)). إلا أني أعتقد أن علماء الخنقة حين لا يرغبون في تدريس علوم التوحيد، لا بسبب تجاهلهم لأهمية الأدلة العقلية، ولا بسبب أن في تناولهم لعلم التوحيد قد يؤدي إلى الكفر والخروج عن الدين، فعلماء الخنقة في اعتقادي على درجة كبيرة من الفهم والعلم لا يعوزهم تدريس هذا العلم أو رد الشبهات المتعلقة بالعقيدة، ولكن الأمر يرجع في رأيي إلى سبب آخر، وهو أن البيئة العلمية في ذلك الوقت ليست في حاجة لمثل هذا العلم لانعدام الفلسفات العقلية التي تثير الشبهات حول قضايا ومسائل العقيدة وعلم الكلام، كما هو حاصل في المشرق الإسلامي بسبب الاتصال والاحتكاك المباشر بالحضارات الأخرى وفلسفاتها، وبذلك فالمجتمع في غنى عن ذلك في عموم المغرب العربي، الذي كانت خياراته عبر قرون من الزمن، المذهب الفقهي الواحد، و المذهب العقدي الواحد، وطريقة سنية واحدة، أو كما عبر عن ذلك، عبد الواحد بن عاشر في منظومته: في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك، وبذلك تمثلت فيها بحق رموز الوحدة المغاربية طيلة قرون من الزمن والله أعلم.

(4) **انظر**: كتابه ((نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار)) ، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي بيروت،.**انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي (1915م/2010م) (وثائق) مرجع سابق.

لقد تبادل شيوخ وعلماء الخنقة الرسائل والأجوبة والمناظرات، في الفتاوى وفي مختلف قضايا العلم مع علماء قسنطينة، وبسكرة، والجزائر، والزيتونة، والقرويين؛ والأزهر، منهم العلامة الشيخ عيسى الثعالبي الجزائري الذي درس على الشيخ التواتي ابن سيدي المبارك، قبل سفره إلى المشرق سنة 1061هـ/1650م، والشيخ خليفة بن حسن القماري، ناظم الشيخ خليل، وسيدي المكي بن عزوز العالم المشهور الذي طرده الفرنسيون إلى استنبول بسبب عداوته لهم، والشيخ الطاهر التليلي، الذي كتب عن الشيخ خليفة بن حسن القماري، إذ خصه بكتاب له سماه: (إتحاف القاري بحياة خليفة بن حسن القماري)، وممن قصدها أيضا وكتب عنها من العلماء والرحالة والدارسين، البكري، والإدريسي، ومارسي (mercier)، وقوفيان (gouvian)، وغيرهم كثير[1]، وقد أفردنا في هذ البحث فصلا يتحدث فيه الباحث عن بعض مشاهير علماء الخنقة.

02/ أما مسجد وزاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، ناشر الطريقة الرحمانية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، فهي حديثة نسبيا بالنسبة لنظيرتها الزاوية الناصرية، وليس هناك تاريخ مضبوط لتأسيسها، ولا شك أن هذه الزاوية قد بدأت بنشر العلم وإقراء القرآن، والإطعام وإيواء الفقراء والمساكين، وعابري السبيل..شأنها في ذلك شأن معظم الزوايا في القديم، ثم اختفى دورها العلمي مع قدوم الاستعمار...[2]، وقد جدد هذا المسجد حفيده الشيخ الطيب بن الحفناوي، ثم السيد رشيد سنة 1979م، وأخيرا التجديدات والإصلاحات التي يقوم بها نجله بشير على المسجد ومرافقه، من حين لآخر منذ سنة 2001.

المطلب الثاني: المكتبات:

أما عن المكتبات التي اشتهرت بها الخنقة، فقد اندثرت تماما، بسب المقاومة الشعبية في المنطقة، وبسبب أحداث الثورة التحريرية في المنطقة. كمكتبة زاوية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي التي تعرضت للإتلاف إثر وفاته وملاحقة الاستعمار وأعوانه لأبنائهوتلامذته ومريديه وأنصاره، وقد استقر معظمهم بتونس هربا من بطش الفرنسيين، وبسبب أيضا خروج الناس من الخنقة وتشتتهم في مختلف ولايات الوطن، ومن المشهور عند الناس الذين تحدثنا إليهم أن للشيخ أحمد زروق بلمكي مكتبة كبيرة، وأن له تآليف وتقاييد من إنتاجه، كما قيل أن كناشا ضخما فيه تقاييد بآثار الخنقة، موجود الآن عند السيد العربي بن حسين

---

(1) **انظر**: مسجد سيدي المبارك في الخنقة ونضال الكلمة والعقيدة، ع/بن سعيد، جريدة النصر اليومية، الإثنين 6/جوان/1988م، العدد: 7655. **انظر**: د. أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص257.**انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، مرجع سابق، ص: 17. **انظر**: المرجع السابق، خنقة سيدي ناجي إبان الحكم العثماني، أ. كريمة بن حسين (دائرة التاريخ جامعة قسنطينة) ، ص65،53.

(2) **انظر**: د. أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 62.

رحمه الله الساكن بوهران[1]، وقد ذكر عبد الغني بن حسين في تأليفه عن حياة الشيخ محمد بن حسين حول استزادته في العلم والتحصيل من تلك المكتبة التي تركها والده، قيل عنها أنها تحتوي على كتب لم تحظ بها المكتبة الوطنية في تلك الفترة[2]،وقد فتحت تلك المكتبة سنة 1929م للمطالعة والإعارة بشكل يشبه نظام المكتبات الحديثة، وقد روى لي الأستاذ عبد الغني بن حسين، عن السيد جمال الدين، عن أبيه السيد عبد المجيد المتوفى سنة 1954م[3]، أنه تعاصر في الخنقة أربعون عالما لكل واحد منهم خزانة كتب خاصة به فيها مجموعة كتب من تأليفهم.

المطلب الثالث:الكتاتيب القرآنية:

أما الكتاتيب القرآنية المخصصة لصغار التلاميذ فهي مليئة بطلبة معلمي القرآن الذين وهبوا أنفسهم في سبيل الله لتحفيظ كلام الله لأبناء المسلمين، فلم تكن تخلو حارة من تلك الحواري منها بشكل من الأشكال، يؤخذ إليها الصبي صغيرا، ولا ينقطع عنها إلا وقد حفظ القرآن الكريم حفظا متقنا، إذ الغالب في الأمر أنه يحفظه المرة الأولى فيسمى شاقا للقرآن الكريم، ثم يعيده ثانية فيسمى معيدا، ويمتحن في ذلك، ويجعل له حفل كبير يسمى بحفل ختم القرآن الكريم، ولذلك كان جل أهل الخنقة في عصور ازدهارها يحفظون القرآن الكريم عن ظهر قلب، وكان جلهم على علم بالتجويد والقرآءات، ناهيك عن الفقه وعلوم الدين حتى قيل أنه أصبح كل فرد عادي فيها يعتبر عالما في غيرها، وقد قيل عن حفظ القرآن الكريم بالخنقة: أن طالب القرآن كان بعد أن يمحو لوحته يجلس أمام الباب، فيكتب الجديد فيها مما يمليه عليه المارة، إذ جميع سكان الخنقة يحفظون القرآن الكريم، فكان الواحد يملي عليه جملة أو آية ما، ويواصل طريقه للعمل، فيأتي المار بعده ويملي عليه الجملة أو الآية التالية، وهكذا إلى أن ينتهي...[4].

---

(1) عبارة عن مذكرة تاريخية عائلية، سجل فيه كل الأحداث العائلية، وأهم الظهائر والرسائل وأحداث المنطقة وتواريخها، وهو المصدر الذي اعتمدته الأستاذة كريمة بن حسين في تحرير بحثها عن خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، نتمنى أن يحضى هذا المؤلف بعناية الباحثين وإخراجه للوجود لمعرفة المزيد عن تاريخ الخنقة وتراثها العلمي والحضاري.

(2) **انظر**:كتاب (التعريف بالولي الغطريف الشيخ سيدي محمد بن حسين آية القرن العشرين) ، الأستاذ. عبد الغني بن حسين، ص45، (الكتاب غير مطبوع يقع في 114 صفحة، وضعه المؤلف لعائلة بن حسين، جمع فيه ما سمعه من الثقاة وما شاهده ورآه بنفسه، تثبيتا لما قد ينسى، و حفاظا على سيرة الشيخ ومناقبه).

(3) من أعيان الخنقة المناصرين لجمعية العلماء المسلمين الجزائرين، وهو من اقترح على الشيخ عبد الحميد بن باديس تسمية الشهاب، أثناء زيارة هذا الأخير للخنقة في الثلاثينات من القرن الماضي، والجدير بالذكر أن تسمية البصائر كانت هي الأخرى من اقتراح الشيخ سيدي المدني، أحد علماء الخنقة ونجل العلامة الشيخ سيدي محمد المكي بن الصديق، شارح حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.(المعلومة عن الشيخ نور الدين بلمكي، إمام وخطيب مسجد سيدي المبارك بالخنقة، وكما هو مدون على لوحة عند مدخل بيت الشيخ سيدي المدني بالخنقة) .

(4) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي (و1917م/ت2010م) (وثائق) مرجع سابق، ص:5. **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، مرجع سابق، ص: 18،19.**انظر**:المرجع السابق، ص: 72.

المبحث الثالث:

ترجمة لبعض مشاهير العلماء الذين تخرجوا من الخنقة

لقد اشتهرت الحواضر الدينية والعلمية في خنقة سيدي ناجي، وخاصة الجامع الكبير والمدرسة الناصرية بتكوين وتخريج علماء كبار،ذاع صيتهم في الآفاق،في شتى فنون العلم والمعرفة، كالأدب، واللغة، والدين، والفلك، والرياضيات، والطب، وسياسة الملك...، وقد عزمت على أن أفرد لكل فن من هذه الفنون علماءه اقتداءً ببعض الكتابات، ولكنني عدلت عن ذلك عندما اكتشفت أن لكل عالم من هؤلاء شهرةً وباعاً في أكثر من علم وفن فتعذر ذلك، أذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر:

1 **المبارك بن قاسم بن ناجي الأصغر بن قاسم بن ناجي الأكبر الخنقي (المتوفى سنة 1031هـ/1622م)**: حاكم، صوفي، صالح، كانت له رئاسة كبيرة وأملاك كثيرة وشهرة واسعة، مؤسس خنقة سيدي ناجي..[1].

2 **محمد التواتي بن المبارك بن قاسم بن ناجي الخنقي (1060هـ/1650م)**: عالم، فقيه، مدرس، صوفي، نشأ بالخنقة، وأخذ العلم عن شيوخها حتى تضلع في العلم، أثنى عليه الرحالة العياشي بقوله: (وكان من العلماء العاملين)، وممن أخذ عنه العلم ولازمه مدة علامة الجزائر عيسى الثعالبي، توفي سنة1080هـ/1669م، وذلك بناحية أم الهناء القريبة من بلدة خنقة سيدي ناجي، بداء الطاعون الذي عم بسكرة وضواحيها، وتولى تجهيزه ودفنه تلميذه عيسى الثعالبي...[2].

3 **عبد الله بن بلقاسم الجلالي الخنقي (القرن 11هـ/17م)**: الجلالي نسبة إلى بلدة جلال التابعة لولاية خنشلة والقريبة من الخنقة، وهو عالم، مدرس، تعلم بزاوية الخنقة، عده حسين خوجة، من مشايخ الولي الصالح ابراهيم الجمني التونسي المتوفى سنة 1134هـ/1721م..[3]

4 **أحمد بن عمران الخنقي (القرن 12هـ/18م)**: عالم، فقيه، مدرس، مشارك في علوم كثيرة، تصدر للتدريس في باجة التونسية، وقد أعجبوا به إعجابا كبيرا، حيث رتب له الأمير مرتبا مقابل تدريسه، وصفه المؤرخ حسين خوجة بقوله: (الفقيه العالم النبيه)..[4].

5 **أحمد العمري الخنقي (1089هـ/1679م – حيا 1137هـ/1725م)**: عالم، فقيه، لغوي، شاعر، صوفي، مشارك في فنون عدة، ولد بالخنقة وبها ترعرع، حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع

---

(1) **راجع**:تفاصيل ترجمته في الباب الأول،الفصل الرابع، مكانة الخنقة ووظيفتها الإدارية والسياسية إبان الحكم العثماني.

(2) **انظر**: علماء من الخنقة وليانة، الأستذ عبد الحليم صيد، ص101.

(3) **انظر**: علماء من الخنقة وليانة، الأستاذ عبد الحليم صيد، ص103.

(4) علماء من الخنقة وليانة، عبد الحليم صيد، ص98.

سنين، أخذ العلم عن علمائها، ثم هاجر إلى تونس العاصمة، وأكرمه أميرها حسين باي وعظمه، لازمه مدة من الزمن، ثم تصدر للتدريس والإفادة بجامع الزيتونة، حلاه المؤرخ حسين خوجة بقوله: (العالم العارف حاوي الفنون والمعارف، سلالة الصالحين وخلاصة العلماء المعتقدين)، ثم وصفه بأوصاف عالية جدا تدل على أنه من كبار العلماء[1].

6 **عبد الحفيظ بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك بن قاسم بن ناجي (القرن12ه/18م)**: ولي صالح، صوفي، ولد بالخنقة، وبها نشأ وتعلم، أخذ الطريقة الناصرية الشاذلية عن الشيخ الرحالة، أحمد بن ناصر الدرعي، أثناء مروره بالخنقة، أخذ عنه الطريقة الشيخ أحمد التليلي، والشيخ بركات، وغيرهما؛ ذكره شيخه الناصري في رحلته، وقال عنه الورتلاني: (الولي الصالح)، ضريحه بتبويحمت التابعة لخنشلة والتي تبعد عن الخنقة بـ: 15كلم..[2].

7 **محمد بن محمد الطيب بن أحمد بن المبارك بن قاسم بن ناجي الخنقي (1152ه/1739م)**: عالم، فقيه، صوفي، مؤلف، ولد بالخنقة، والده حاكم البلدة ونفسه شيخ الزاوية التي درس فيها، درس علوم اللغة والدين على علماء الخنقة، وخاصة منهم الشيخ عبد الله بن عبد الواحد العمراني المتوفى سنة 1155ه/1742م ببسكرة، بعد أن تقلد منصب الإفتاء؛ له عدة مؤلفات، من آثاره مخطوط بعنوان: (عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام) ألفه سنة 1152ه/1739م، مخطوطة الكتاب كانت بحوزة الشيخ بن حسين محمد موهوب بن عبد المجيد (1915/2002م) الساكن بباتنة، ذكر لي أنه عندما أطلع صديقه العلامة الشيخ عبد المجيد بن حبة على المخطوطة، تمعنها وقال أنه يغلب على ظنه أن المخطوطة ناقصة يحتمل وجود جزء ثاني أو تتمة لها، ويذكر الأستاذ عبد الحليم صيد، أن للمخطوط نسخة مصورة منها في مكتبة الشيخ **عبد المجيد بن حبة**[3] بالمغير، وقد تولى طبع

---

(1) المرجع السابق، ص98.

(2) **انظر**: علماء من الخنقة وليانة، الأستاذ عبد الحليم صيد، ص101.

(3) هو العلامة المغمور والرجل العصامي، ولد سنة 1911 ببلدة سيدي عقبة ولاية بسكرة، بعد حفظه للقرآن الكريم، أخذ العلم على يد علماء عصره في سيدي عقبة من أمثال الشيخ الصادق بلهادي، والشيخ محمد بن دايخة المنصوري، والشيخ الهاشمي بن مبارك، والشيخ البشير الإبراهيمي العبد رحماني العقبي...، كما حضر جانبا من دروس الشيخ الطيب العقبي ببسكرة، تصدر للتدريس والتوجيه والإفتاء والإرشاد بمسجد سيدي عقبة، وقد أنهى تفسير القرآن الكريم فيه بعد 12 سنة تقريبا(1940-1952)، ثم استقر ببلدة المغير، تضلع في شتى فروع العلوم، خاصة في مجال التاريخ وعلم الأنساب وشجرات العائلات، وتراجم الشخصيات، إلى جانب تضلعه في علم اللغة والفقه وأصوله، وعلم الحديث والتفسير والقراءات، ترك مجموعة من المؤلفات المخطوطة التي أغلبها لم ير النور لحد الساعة، في التاريخ واللغة والحديث والتراجم، والشعر ومجموعة من المحاضرات ألقاها في مناسبات مختلفة، إلى جانب ذلك ترك الشيخ عبد المجيد بن حبة مكتبة ضخمة تزخر بأنفس الكتب والمخطوطات النادرة، والمصنفات الهامة، جمعها طيلة حياته التي امتدت إلى أكثر من ثمانين سنة، فهو جدير حقا بما وصفه به الكتاب والباحثون بأنه خزانة علم تمشي في شوارع بسكرة، أو

المخطوط السيد: بن حسين محمد موهوب بن أحمد الساكن بعين مليلة، تحت عنوان: (مسائل في الأحكام الشرعية على المذهب المالكي)، بمطبعة عين مليلة سنة 1999م، يتضمن الكتاب مسائل في فقه المعاملات، مستشهدا فيها بأقوال وأحكام العلماء والقضاة والأئمة السابقين، ناسبا كل قول لصاحبه، مما يدل على أمانته وسعة إطلاعه ونزاهته العلمية، وقد وصفه الكناش[1] بأنه: (المفتي في العلوم، التقي الصالح، الإمام العادل، الناصح، شيخ البلاد،.... الخ)، كما نجد له وصفا آخر له في ظهير مؤرخ في سنة 1128هـ/1716م، وجهه إليه حسين باي قسنطينة، جاء فيه: (إلى الفقيه النبيه، العالم الوجيه، العلامة، البحر الفهامة، المشارك اللوذعي، الفاضل الألمعي، الحاج، الناسك، الأبر، ...الخ)، وكان محمد بن محمد الطيب كثير التنقل في شبابه، زائرا لأهل العلم والفضل، وكان ينتهز الفرصة في كل حل وترحال من ذهابه إلى عودته للالتقاء بالعلماء والاستفادة منهم، سواء كان ذلك بمصر أو الحجاز أو تونس...، وخصوصا تلمذته على يد الشيخ علي النوري الصفاقسي المتوفى عام 1118هـ/1706م، والذي كان كما يقول عنه في الكناش، عالما وفقيها وصوفيا وورعا، وزاهدا ومربيا وأستاذا مدرسا...زرته رحمه الله سنة 1103هـ/1682م بصفاقس، وأخذت عنه وأجازني بخط يده)، هذا بالإضافة إلى ذلك كان قائدا سياسيا بارعا، تم الاعتماد عليه في الظروف الصعبة كوسيط بين بايات قسنطينة وبايات تونس، لحل نزاعات كبيرة بينهم، كما شهدت فترة حكمه انتعاشا كبيرا في مجالات الفلاحة والعمران[2].

8 ومن خرجيها الأوائل، **أحمد التليلي القماري** المشهور بخطه الجميل، **وخليفة بن حسن القماري** (م؟؟؟ – ت 1208هـ/1793م)، صاحب (جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل)[3]، وله كتاب في القضاء[4] وقد كانت له مناظرات مع علماء الخنقة حول بطلان الحبس وجواز بيعه إذا كان معقودا على الذكور دون الإناث، مؤيدا لما سطره المفتي الشيخ محمد بن عيسى بن الموفق العقبي من الحكم

دائرة معارف تمشي في الأسواق، أو شيخ العلماء ومفتي الزيبان والصحراء رحمه الله. **راجع**: أعلام من بسكرة، فوزي مصمودي، ج1، الجمعية الخلدونيةبسكرة2001، ص138-146.

(1) مذكرة عائلية، افتتح التسجيل بها الشيخ محمد بن محمد الطيب المتوفى سنة 1154هـ/1732م، ويعد الكناش تراثا عائليا تسجل فيه كل الأحداث العائلية، وأهم الظواهر والرسائل، وأحداث المنطقة وتواريخها.

(2) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، مرجع سابق، ص56. **انظر**: المرجع السابق، علماء من الخنقة وليانة، الأستذ عبد الحليم صيد، ص104.

(3) تم تأليفه عام 1192هـ/1778م، وطبع بمصر عام 1318هـ/1900م.

(4) شاهدت المخطوط على هامش الندوة الوطنية- التي نظمتها الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية ببسكرة بتاريخ 05 نوفمبر 2009م حول معركة واد براز سنة 1849م- ودلك في معرض ببلدية عين الناقة، وقد مكث الشيخ في تأليفه مدة عشر سنوات. ويمكن اعتبار هذا المخطوط من التراث العلمي النادر في الجزائر في هذا الفن، بنتظر من الباحثين والمهتمين إنقاذه من الضياع.

ببطلان الأحباس الصادرة من أهل هذا الزمان[1]؛ وكذلك حول الحكم بطلاق المرأة بمجرد الضرب الشديد من الزوج الذي وجد مع زوجته أجنبيا وطالب وليها بطلاقها[2]، وقد أفتى بتغريم السارق بالقيافة، أو (**الجرة**)[3]، وقد استنكر عليه ذلك علماء الخنقة، وشيوخه وتلامذته، فعاتبهم بقصيدة مشهورة طبعت في شرح تحفة الحكام للشيخ عثمان بن المكي، وفي كتاب الصروف للشيخ ابراهيم العوامر، والتي مطلعها: **سلام في الصالحات أصول *** يوافيه من عندي السلام وصول** وما أن بلغت تلك القصيدة الغراء علماء الخنقة ورأوا ما تضمنته من النصوص المنقولة والأدلة المعقولة، حتى كاتبه البعض منهم مستصوبا ذلك، مثل عالم الخنقة في عصره الشيخ محمد بن المبارك الصايغي الذي بادله فيها النظم مؤيدا وشاكرا بقصيدة مشهورة مطلعها: **أيا من غدا للمشكلات يحاول *** سل إن رمت عن حبر لهن مصاول** [4].

9 **حسينبن أحمد بن ناصر بن محمد الطيب** أحد حكام الخنقة الذي أثر عنه أنه كان يجمع بين عدة علوم إلى جانب نبوغه في علم الفلك والطب، عنه أخذ قوبع عمارة الطب إلى أن أصبح طبيبه الخاص، كما أعطى للمسؤولية حقها، وما غفل قط عن الرعية؛ حتى الحيوانات في البرية كان كثيرا ما يرسل آمرا أو موصيا مشايخ الأعراش بضرورة تنظيم مناطق الرعي واجتناب عشبة (تانغوثة) أيام الجفاف استبقاء لها للنحل، وأن الحكم لم يحل بينه وبين العلم والتعلم أبدا، ومن شغفه بالعلم وحبه للعلماء خاصة الشيخ العالم العامل سيدي المكي بن الصديق، حيث كان ينظم حلقات علم ومناظرات لعلماء خنقة سيدي ناجي، وكان يسافر إلى تونس ويستخلف أخاه على الحكم من أجل التزود من علمائها، قال عنه ابن أخته السيد عبد الوهاب (الموهوب): (كان من أعظم المثقفين في بلده ثقافة عربية عالية، تابع دراسته في تونس وهو متقلد المسؤولية، شغف بعلم الفلك خاصة، يهاجر في فصل الصيف من كل سنة لنقله من أستاذه الجليل سيدي بن الحفصي بـ تونس إلى أن أخذه عنه كله، وتعاطى علم

---

(1) كتب الشيخ خليفة قائلا ما نصه: ((بعد الحمدلة، والقاعدة عندنا في القربات إذا تحولت نية فاعلها لغير ما وضعت له شرعا، أنها تكون باطلة ولا تصح، كالوصية إذا قصد بها الموصي الضرر بالورثة دون القربة، فإنها تبطل على حد القولين، فالحاصل أن المحبسين في هذا الزمان أخرجوا الحبس عن وضعه الشرعي، فالواجب فيه الحكم بالبطلان على كل حال، هذا هو الذي لا يقول سواه كل فقيه منصف، وكتبه الفقير لربه خليفة بن حسن)).

(2) حيث وقعت في ذلك مكاتبة بين أحد علماء الخنقة، وبين الشيخ خليفة القماري على شكل سؤال وجواب تتمثل في قصيدتين، الأولى من السائل على شكل سؤال، والثانية من المسؤول على شكل جواب.

(3) هو علم الاستدلال بآثار الأقدام والحوافر والأخفاف على أصحابها، كما تتضمن عند العرب إثبات النسب من خلال المقاربة والشبه، وتسمى قيافة البشر وقد عرفت زمن الرسول ﷺ حين شكك المشركون في نسب أسامة من زيد، فدعا النبي مجزز المدلجي وكان قائفا معروفا للفصل في الأمر.

(4) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، مرجع سابق، ص: 17. **راجع**: المرجع السابق، ص: 73-77.

الطب والحكمة إلى أن توصل إلى ما يصله غيره من إخوته وأهل بلده، وقد صحب معه كتبا جمة منها خاصة (تذكرة داود الأنطاكي) و (وقانون الطب لابن سينا) [1]، ويذكر أنه كان أول من أتى إلى الخنقة خاصة والمنطقة عامة بكتاب (صحيح البخاري) ووضعه في خزانة في إحدى غرف برجه وقد اشتهرت به حتى أصبحت تسمى (بيت سيدي البخاري)، ويروى أنه وصله أثناء إقامته بـ (تافسور) مائة بغل محملة بالخيرات، فأمر أن توزع على أناس تلك المناطق، ولم يترك لنفسه منها شيئا، وفي أيام كان العيد فيها مقبلا، ترجاه الحاكم الفرنسي أن يبقى أياما في خنشلة فرفض، ورد عليه قائلا: (ينتظرني في البلاد عباد هم في أمس الحاجة لي)، ويعني مستحقي الزكاة والصدقات؛ وبنى لمن تقطعت بهم السبل في برجه مخبزة، وجعل من أحد بساتينه مكانا خاصا يؤمونه كل جمعة، وهو إلى أيامنا هذه يسمى بستان السبيل، أي (بستان ابن السبيل)؛ ويذكر عنه أنه كان مستجاب الدعوة وذا فراسة، حيث كان يميز ويفصل بين المتهمين إذا ما التبست القضايا، واشتبك أمرها على المحققين، فيقول: أمسكوا هذا، واتركوا هذا، أو أقبضوا على هؤلاء، أو اطلقوا صراح الآخرين، وحقا يكون واقع الحال كذلك، ومن تواضعه ولين جانبه أنه ما نادى أحد قط إلا بـ (ياسيدي) حتى ولو كان المنادى خادما؛ كما كان مولعا بالصيد[2] ويجيده حتى أنه يضع المرآة أمامه فيصيب استعانة بها ما خلفه[3]؛ ومما يروى عنه تواترا أنه لما أنهى بناء برجه دخله رفقة الأعيان وشيوخ الأعراش، فطاف فيه ثم بكى، فقيل له: ما يبكيك ياسيدي؟ فرد قائلا: تذكرت اليوم الذي أخرج فيه منه؛ ويعني يوم وفاته، وكان ذلك حقا وصدقا، فقد سكنه عامين، وتوفي إلى رحمة الله وهو ابن السابعة والأربعين، من يوم الجمعة سنة 1901م[4].

10 **عاشور بن محمد الخنقي الكليبي الهلالي النجاري (1264هـ/1310هـ-1848م-1929م)**[5]: عالم، صوفي، أديب، شاعر،مؤلف، ولد بالخنقة، نشأ وترعرع فيها، سافر إلى نفطة بالقطر التونسي لمواصلة دراسته، فأخذ فيها عن الشيخ محمد الصالح العبيدي، والشيخ المدني بن عزوز، وغيرهما، ثم رجع إلى بلدته الخنقة ودرس فيها، ثم في زاوية الهامل، واستقر أخيرا بقسنطينة التي بها توفي ودفن؛ كان شاعرا طويل النفس، كثير القصائد، إلا أن موضوعاته مقصورة على الهجاء والمدح، وخاصة مدح الأشراف والمبالغة في ذلك، كما هو واضح من عنوان تأليفه المشهور: (منار الإشراف على

---

(1) الأستاذ. عبد الغني بن حسين، مرجع سابق، ص31.

(2) حيث كان مولعابادخاره لكميات هائلة من البارود تثير الاستغراب.

(3) هذا وقد نظم في حقه السيد أحمد بن ابراهيم في جانفي سنة 1897 قصيدة يذكر فيها مزاياه ومناقبه، والتي مطلعها:

يقول راجي رحمة الممجد * محمد إبراهيم نجل أحمد**

(4) **انظر**: عبد الغني بن حسين، ص30-41. مرجع سابق.

(5) **راجع**: ترجمته في آخر كتابه: (منار الأشراف..) ، **وأيضا**: علماء من الخنقة وليانة، الأستذ عبد الحليم صيد، ص99.

فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف)[1]، المطبوع بالمطبعة الثعالبية بالجزائر سنة 1914م، عده الإمام عبد الحميد بن باديس أحق بلقب أمير الشعراء من محمد العيد آل خليفة، قال: (لأنه يعتبر من الشعراء الفحول، ولأنه يحفظ الأغاني على ظهر قلب)، وهذا إنصاف كبير من ابن باديس، لأن الرجل كان من ألد خصومه، ومع ذلك فقد اعترف بعلو مرتبته في الشعر[2]، وقد وصفه محمد بن عمارة الزلاجي بقوله: (العلامة، غير أنه المحقق الفهامة، غير أنه المدقق الإمام المشهور)؛ ترك إلى جانب كتابه (منار الأشراف...) المذكور والذي ترجم فيه لنفسه ولغيره، وضمه الكثير من القصائد، ديوان شعر مخطوط، وله (المنشور في رجال الشيخ عاشور) أي شيوخه، كما أن له قصائد شعرية مخطوطة كثيرة منها: قصيدة نونية في إثبات نبوة خالد بن سنان العبسي، وتصحيح قبره المنسوب إليه بالبلدة التي تحمل اسمه، تبلغ 655 بيتا[3]؛ وله قصيدة تسمى (عصا موسى الأشعرية في الرد على الطائفة العبدوية)، في الرد على الشيخ عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي وأضرابهما من الإصلاحيين، وهي طويلة تناهز السبع مائة بيت، توجد نسخة منها بمكتبة المؤرخ سليمان الصيد، وله قصيدة بائية في مدح الشيخ حسين بن أحمد بن ناصر، وتهنئته بميلاد ابنه الولي الصالح الشيخ محمد بن حسين، وتبلغ 102 بيتا[4]، ومما يروى عن علو مكانته العلمية، أنه درس مدة ثلاثة أشهر شارحا للبسملة، ثم لما بدا له من الناس بعض الملل أخبرهم أنه إنما اختصر لهم اختصارا[5].

11 **محمد الزروق بن محمد المكي بن الصديق الحنقي (1276هـ/1358هـ–1860م/1940م**): عالم، صوفي، مؤلف، ولد ونشأ بالحنقة، أخذ العلم والطريقة الرحمانية عن أبيه محمد المكي، له رسالة في شرح دعاء منظوم لوالده سماه: (أنس الصديق على دعاء الأستاذ سيدي محمد المكي بن الصديق)، طبع بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1314هـ/1896م...[6].

12 **محمد المدني بن محمد المكي بن الصديق الحنقي (1286هـ/1359هـ–1870م/1941م**): عالم، ومدرس، وناظم، ولد بالحنقة، وبها نشأ وتعلم، وبها توفي ودفن، من شيوخه والده العلامة الشيخ محمد المكي، ومن تلاميذه الشيخ الولي الصالح، محمد بن حسين الحنقي، التقى بالشيخ

---

(1) للعلامة محمد عبد الرحمان الديسي الصوفي كتاب مخطوط في الرد عليه سماه (هدم المنار) .

(2) انظر: عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري.

(3) تحت يد الأستاذ عبد الحليم صيد نسخة مصورة منها، كما توجد لدى الباحث نسخة مصورة عبارة عن تخميس لهذه القصيدة، في 707 بيتا. والتي مطلعا: سر خليلي....

(4) توجد نسخة مصورة منها لدى الأستاذ عبد الحليم صيد، كما توجد لدى الباحث نسخة مصورة منها مكتوبة بالآلة الراقنة، موقعة من طرف ناسخها، محمد الموهوب بن حسين عام 1981م/1406هـ؛ والتي مطلعها:

ما لي أرى الناس بعد الكرب في طرب * والأرض بعد كلوح الوجه كالذهب.**

(5) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالحنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.

(6) **انظر**: علماء من الحنقة وليانة، الأستاذ عبد الحليم صيد، ص103.

عبد الحميد بن باديس في بلدة عين مليلة سنة 1929م، وسأله عن حكم التوسل بجاه الأنبياء والأولياء؟ فأجابه بإثبات ذلك في حق النبي ﷺ ونفيه عن غيره، وهو الذي اقترح تسمية البصائر على الشيخ بن باديس، وذكر الدكتور سعد الله أن له قصيدة مخطوطة في شؤون الدين...[1].

وقد ذكر لي نجله الشيخ نور الدين أنه كان يتردد على الزاوية العلاوية بمستغانم وقد أخذ الطريقة العلاوية عن شيخها محمد العلاوي، ولديه صورة تذكارية جماعية مع شيخه العلاوي موجودة عند أحد أفراد عائلته.

13 **محمد بن حسين بن أحمد بن ناصر الخنقي 1316هـ/1413هـ-1899م/1993م** : عالم، ولي صالح، زاهد صوفي، ولد بالخنقة[2] وبها نشأ وبها توفي ودفن، تعلم بمدرسة أجداده المدرسة الناصرية، بها تلقى مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وحصل ما كان يدرس من تفسير ونحو وفقه وغير ذلك على بعض شيوخ الخنقة وعلمائها، منهم سيدي العابد، وابن الخذير، والشيخان خاصة سيدي الحاج الأمين، وسيدي المدني، نجلا الشيخ سيدي المكي بن الصديق، وعن هذا الأخير أخذ العلم والطريقة الرحمانية، وكان إذا ذكر عنده الشيخ سيدي المدني، يقول: هو شيخي، وينعته بكثرة الحفظ وغزارة العلم، والجمع بين الشريعة والربانية، كما درس شيئا من الفرنسية بالمدرسة التي أقامها الفرنسيون بالخنقة[3]، ومما زاده تحصيلا وأغناه علما، تلك المكتبة القيمة التي تركها والده (حسين بن أحمد بناصر)، وذكر من هم على صلة به أنه كان كلما فكر في مسألة ما هب من فراشه ليلا بشمعة، وأتى تلك المكتبة منقبا وأهل بيته نائمون، وأنه لو فقد الملايين ما أسف لها، لكنه أن ينسى مسألة من مسائل المعارف والعلوم فذاك أمر لا يهون عليه،

---

(1) **انظر**: المرجع السابق، ص103.

(2) ولد بعد عشرين سنة من انتظار والده، فكانت الفرحة بقدومه منقطعة النظير، ليس على الوالدين فقط، ولكن تعدت الفرحة إلى ذوى القربى وأهل المنطقة من كل الجهات، يتقدمهم مشايخ الأعراش، وأعيان الجبل والزاب مهنئين ومباركين، وقد أهدى سيدي محمود شيخ زاوية تونس الرحمانية للوالد القائد هدايا تليق بمقامه من أهمها ذلك البستان المعروف عند أهل الخنقة لحد الساعة بـ:(جنان سيدي محمود) الذي يحتوي على ثمان وأربعين نخلة وبعض الأشجار المثمرة الأخرى كشجرة الإيجاص المميزة التي كانت موضوع حديث الكثير من أهل الخنقة لجودة ثمارها ونكهة مذاقها. وللشيخ عاشور المذكور آنفا قصيدة غراء من محاسن القصائد في التهنئة بميلاده، أرخ فيها للأجيال بشعره أحداث المولد، ومقام الوالد، ومستقبل المولود فكان منه فراسة، والتي مطلعها:

مالي أرى الناس بعد الكرب في طرب * والأرض بعد كلوح الوجه كالذهب؟

أبين أظهرهم يعقوب حين أتى * قميص يوسف بالتبشير والرغب؟

(القصيدة غير مطبوعة لدى الباحث نسخة منها) . **راجع**:. عبد الغني بن حسين، ص12-29. مرجع سابق.

(3) مازالت معالمها بالخنقة لحد الآن وقد بناها الفرنسيون، لتنافس بها كما هو معروف الزوايا والكتاتيب القرآنية، وتحارب بها الثقافة العربية الإسلامية واللغة العربية.

فلله دره[1]؛ بدت عليه علامات الورع والتقوى، وسلوكات المجاهدة، ودلالات الزهد، وحال التصوف والولاية منذ صغره، نشأ في عبادة الله وطاعته، ترك إرث والده، والذي كان قائدا للخنقة في عهده[2]، وكان يلزم نفسه بالمجاهدات والأذكار آناء الليل وأطراف النهار، وكان أواها كثير الأنين لذكره الموت، يصدح أحيانا مترنما ببعض قصائد الشيخ عبد الحفيظ، أحبه أهل الخنقة كبيرا وصغيرا، وتعلق به كل من عرفه أو لازمه[3]، وكان أهل الخنقة جميعا يجدون في صوته متعة وفي ورده أنسا، إذا صعد السطح ليلا واستهل العبادة مرتلا، أو ذاكرا مهللا أو مسبحا أو مصليا على النبي ﷺ، وكان في معاملته بارا مبادرا إلى التحية وإفشاء السلام، جوادا كريما[4]، قال عنه تلميذه عبد الحميد بوغديري: (وقد كان يوصينا بالقرآن والسنة، والعلم، ويؤكد علينا، فإن استشاره أحد في عبادة وجهه إلى القرآن تلاوة وتدبرا)، وقال عنه السيد الموهوب بن عبد المجيد بن حسين: (الموصوف بالزهد والوقار، وحافظ كتاب الله عن ظهر قلب، والمقتفي السنة وطريقة التصوف، وعالم العلمين علم المعاملة، وعلم المكاشفة)، وقد ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله حين زيارته إلى الخنقة في كتابه تجارب في الأدب والرحلة بقوله: (وأثناء جلوسنا في دار السيد الدريدي مر بنا أمام النافذة شيخ في حدود الثمانين من عمره ملتحفا بغرارة فقط، رغم شدة البرد، وكان حاسر الرأس، والمخاط يسيل من أنفه، والدموع من عينه، فسألنا عنه، فقيل لنا أنه من بقايا أسرة أولاد حسين الشهيرة في هذه الناحية، وأنه درويش من أهل الله، يسكت متى شاء ويتحدث متى شاء، وقد أشار إليه السيد الدريدي بالدخول ومشاركتنا، ولكنه انصرف عائدا إلى داره دون أن يعبر

---

(1) مما ذكره الأستاذ عبد الغني بن حسين عن علمه أن الشيخ سأله مرة عن النجدين في قوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين﴾، وكان في علمه أن النجد هو الطريق أي طريق الخير والشر، فقال له: (النجد في اللغة الطريق، ولكن القصد في القرآن الثديان) ؛ لأن الهداية أخذ الضال إلى حيث النجاة، وهذا فعل الخير، ومحال أن تكون الهداية إلى ضلال وهما متضادان، فكان معنى الآية إلهام الخالق لمن خلق وتمكينه من ثدي أمه؛ وذكر أنه كان يحدثهم في التفسير، وفي الحديث صحيحه من غيره، وفي غرائب الفقه، وفي النحو والصرف، وفي البلاغة والعروض، وعموم الأدب نثره وشعره، حتى أنه قال يوما: ((لا تعييني الألف بيت منه)) ، وحتى في الطب و عالم الفضاء بكواكبه ونيازكه ونجومه، وفي التاريخ والسير والأعلام...**المرجع السابق**: ص78- 89.

(2) يذكر أن والده كان يضع الخاتم (الطابع) في كفه، والسبحة في كفه الأخرى، ويقدمهما إليه، فكان يأخذ السبحة، ولا يبالي بالخاتم أبدا مهما كرر معه ذلك.**انظر**: عبد الغني بن حسين، مرجع سابق، ص42.

(3) وصفه بعضهم بالمبارك، والبعض بالسعيد، وقال آخرون: هو العبد الصالح والولي الزاهد، وقال بعض: هو آية من آيات الله تعالى.

(4) وللأستاذ الباحث عبد الحليم صيد قصيدة نظمها سنة 2002م تتألف من ثلاثين بيتا، يحصي فيها مناقب وأخلاق الشيخ وصفاته مظهرا فيها محبته له وشوقه إليه والتي مطلعها:

ما بال نفسك في النوى تتوجع * هل زادك الشكوى وغيرك يسمع؟

أم كنت في النجوى تحضر زورة * للخنقة الفيحا فذلك أنفع؟

بشيء)، ويذكر الأستاذ عبد الغني بن حسين في كتابه السالف الذكر، ص10، أن عبد الحميد بوغديري، أراد الشيخ أن يحدث الدكتور أبا القاسم سعد الله عن الخنقة وتاريخ عائلة ابن حسين، فرد عليه قائلا[1]:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا * ليس الفتى من يقول كان أبي. لازم السرير زمنا تجاوز ثمانية أعوام، ما رأى فيها الشمس، راضيا بقضاء الله، وإذا رآه الرائي اعتقد أنه خرج من الفور من الحمام، لا يشم عنده إلا الزكي من الرائحة، فكان في لحظاته الأخيرة يحدق في السماء ويقول: (إنها الموت) ويشير بيمناه ويقول: (هاهي) ليفارق الحياة الدنيا إلى رحمة ربه صبيحة يوم الخميس سنة 1993م.[2]

14 **الشاذلي مكي (1913م– 1988م):** ولد بخنقة سيدي ناجي، وبها حفظ القرآن الكريم، وبها تعلم مبادئ العربية والدين بزاوية سيدي المبارك، كما دخل المدرسة الفرنسية في نفس الوقت، وحصل بها على الشهادة الابتدائية، ثم واصل تعليمه باللغة الفرنسية بمدينة تبسة، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس عام 1934م، نال إعجاب الطلبة الجزائريين لنشاطه وحيويته ونجابته، فانتخبوه في العام الموالي 1935م رئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين التونسيين إلى غاية 1939م، وقد كتبت الجمعية الرسمية للجمعية في حقه بأنه: (.. كتلة من الإخلاص، ومجموعة من الفضائل والمكرمات، وآية من آيات العبقرية والذكاء، ورمز للتحفز والنشاط..)، وأثناء إقامته بتونس، كانت له الإرادة في أن يكون نفسه تكوينا عسكريا، وليصبح من أوائل الطيارين الجزائريين المسلمين المتخرجين من إيطاليا، إن لم يكن أولهم سنة 1939م، وبعد عودته للجزائر من نفس السنة، وقيام الحرب العالمية الثانية، اعتقلته السلطات الفرنسية مع أخيه، في (جنين بورزق) في الجنوب الغربي للبلاد، أمضى فيه أربع سنوات، وعندما أطلق سراحه عام 1943م، انضم إلى لجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا، وساهم في حملة تدعو إلى تمرد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي، وترأس فدرالية حزب الشعب الجزائري لقسنطينة من سنة 1943م إلى غاية 1945م، كما كان رئيسا لفدرالية أحباب البيان والحرية في الجزائر العاصمة، شارك في مظاهرات 01/ماي/1945م، وقام بتوزيع المناشير في شرق البلاد ليخرج الشعب يوم الثلاثاء 08/ماي/1945م في مظاهرات سلمية مطالبا بالاستقلال،

---

(1) الأبيات للحجاج.

(2) **راجع كتاب:** التعريف بالولي الغطريف الشيخ سيدي محمد بن حسين آية القرن العشرين، الأستاذ. عبد الغني بن حسين، (الكتاب غير مطبوع يقع في 114 صفحة، وضعه المؤلف لعائلة بن حسين، جمع فيه ما سمعه من الثقات وما شاهده ورآه بنفسه، تثبيتا لما قد ينسى، وحفاضا على سيرة الشيخ ومناقبه) .**انظر:** علماء من الخنقة وليانة، الأستذ عبد الحليم صيد، ص104.

فأصبح على إثرها مطلوبا من السلطات الاستعمارية، وشهرت به الصحف والجرائد على أنه المحرض والمدبر لهذه المظاهرات، فحكم عليه بالاعدام غيابيا، ووضعت مكافأة مالية كبيرة لمن يأتي به حيا أو ميتا؛ فتوارى عن الانظار في عنابة، ثم انتقل إلى تونس، ومنها وصل إلى القاهرة في 20/أكتوبر/1945م، ليمثل الحركة الوطنية الاستقلالية هناك، ووطد علاقته مع عبد الرحمان عزام باشا، أول أمين عام للجامعة العربية، ومع الملوك والرؤساء العرب في ذلك الحين، ومع غيرهم من الحكام الأسيويين..، وفي 28/جانفي/1947م كان من مؤسسي مكتب المغرب العربي في القاهرة، وكان وراء فكرة تهريب الأمير عبد الكريم الخطابي من المغرب لمصر وتنفيذها، كما كان من الدعاة لتكتل العرب ضد اليهود في حرب 1948م، وفي عام 1951م شارك في مؤتمر الشعوب الإسلامية المنعقد بكراشي بباكستان، لتعريف الشعوب الإسلامية معانات الجزائريين ويلات الاستعمار الفرنسي، كما ساعد بقوة الطلبة الجزائريين الذين توافدوا على القاهرة لمتابعة دراستهم في مختلف المعاهد والتخصصات، ولما قام الطلبة في جويليا 1954م بمظاهرات عند القنصلية الفرنسية أدت إلى اعتقال العديد منهم، تدخل الشاذلي مكي لدى السلطات المصرية للإفراج عنهم، وكان من بينهم الطالب محمد بوخروبة، الذي أصبح فيما بعد رئيسا للدولة الجزائرية تحت اسم هواري بومدين؛ وحين الاعلان عن اندلا ع الثورة التحريرية في 17/فبراير/1955م، كان من بين الموقعين على بيان التأييد المطلق للكفاح المسلح، ومساندة جيش التحرير الوطني، وفي أفريل من سنة 1955م مثل الشاذلي مكي جبهة التحرير الوطني في أول مؤتمر أفرو أسيوي بباندونغ، وكانت قضية الجزائر أدرجت ضمن جدول أعمال المؤتمرين، وبذلك كسبت القضية الجزائرية بعدا دوليا لأول مرة، منذ قرن وربع من الاحتلال، إلا أن هذا النشاط الدؤوب لم يعجب بعض الأطراف، فقررت اعتقاله وسجنه في السجن العسكري في جويلية من سنة 1955م بمصر، ولم يفرج عنه إلا في سنة 1960م، وفي سنة 1963م دخل الجزائر معتزلا السياسة، فعمل أستاذا للتعليم الثانوي، ثم في مدرسة تكويين المعلمات، ثم نائب مدير الشؤون الثقافية بوزارة التربية، ثم مديرا مركزيا بوزارة الشؤون الدينية، إلى أن استقال في فيفري 1982م، وافته المنية يوم الجمعة 2/سبتمبر/1988م عن عمر يناهز الخمسة والسبعين سنة[1]. وفي الحقيقة أن حياة المناضل

(1) ملخص من ملخص من مذكرة عائلية، المنشورة في كتاب: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والاجتماعية لخنقة سيدي ناجي ولاية بسكرة، دار الهدى عين مليلة، ص111-113. لدى الباحث مجموعة معتبرة من الصور الفوتوغرافية لـ: الشاذلي مكي، مع ملوك ورؤساء الدول العربية وغيرها أثناء نشاطه في الحركة الوطنية في المشرق العربي، تحصل عليها الباحث من السيد: شكري بن حسين المقيم بباتنة.

الشاذلي مكي تذكرنا للأسف الشديد، بمأساة الثقافة ورجالها[1] في بلدنا، ويمكن اعتبارها نموذجا من نماذجها، كما تذكرنا بمقولة سعيد النورسي بعد خمسين سنة من الجهاد والنضال السياسي والديني، قوله: (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة)، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

15 **هذا إلى جانب القضاة بالمحاكم الشرعية الذين تخرجوا من الخنقة**، من أمثال الشيخ مكي محمد بن براهيم، قاضي سيدي عقبة؛ والشيخ محمد الطيب بن أمحمد الحاج بن حسين قاضي أولاد جلال، والشيخ عمراني المسعود الذي كان قاضيا بوادي سوف، والشيخ حمروني محمد الصادق عدل بمحكمة بسكرة، والشيخ الشهيد علية بلمكي الذي كان قاضيا لجيش التحرير[2]؛ وممن بلغ درجة كبيرة في **الطب**، عائلة قوبع حيث استخدمت الأعشاب الطبية في تحضير الأدوية النافعة، وصناعة أنواع العطور، ونخص بالذكر منهم **قوبع عمارة**، مما جعل السيد حسين بن ناصر حاكم الخنقة في زمانه يعينه طبيبا خاصا له، و من المتأخرين منهم الشهيد محمد قوبع الذي كان طبيبا لجيش التحرير الوطني أثناء الثورة التحريرية[3]؛ وممن ذاع صيته في **علوم الحساب والرياضيات والهندسة، عبد الله بن عبد الواحد**، الذي جمع علوما عديدة، وهو الذي اختير للتحكيم في قضية المياه المتنازع عليها آنذاك بين أهالي عاصمة الزيبان بسكرة، فرضوا بحكمه، وحل الإخاء والسلام بعد خصام طويل، وبقي حكمه عرفا ساريا ليومنا هذا[4].ومن المتأخرين من الأدباء والشعراء،**الشيخ صالح تومي، والشيخ عبد المجيد بن حسين** الذي اقترح تسمية (الشهاب) على الإمام عبد الحميد بن باديس، **والأستاذ الشاعر مكي الجنيدي** الذي كان محاميا بمدينة عنابة، وكذلك الشيخ أحمد زروق بلمكي الذي كان إلى جانب نبوغه في الأدب بارعا في العلوم الدينية وخاصة علم الفرائض[5]؛ ومن السياسيين العلماء الذين درسوا بالخنقة، الشهيد **العربي التبسي**[6]، نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذي درس فترة قصيرة في

---

(1) عنوان كتاب لـ: عبد الكريم الجزائري، مطبعة قرني 1999، يحكي فيه عن حالات كثيرة من هذا النوع في تاريخ الجزائر المعاصرة.

(2) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، مرجع سابق، ص: 72.

(3) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.

(4) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.**انظر**جريدة النصر، مرجع سابق.

(5) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، المرجع السابق.

(6) الشيخ العربي التبسي (1891م/1957م) أحد أعمدة الإصلاح في الجزائر، وأمين عام جمعية العلماء المسلمين، والمجاهد البارز الذي اختطفته يد الغدر الفرنسية عام 1957م ولم يسمع له ذكر بعدها ولد عام 1889م ببلدة (ايسطح) بولاية تبسة، حفظ القرآن الكريم في قريته وعمره 18سنة، ثم انتقل لزاوية سيدي ابراهيم، ثم زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز بنفطة بالجنوب التونسي، تحصل على شهادة التطويع سنة 1920م، من جامع الزيتونة فنال منه شهادة الأهلية وعزم على الانتقال إلى القاهرة

المدرسة الناصرية، قبل انتقاله إلى التدريس في مسجد سيدي الوردي بقرية **ليانة**[1] المجاورة، ثم أكمل دراسته بالزيتونة، وغيرها؛ والمرحوم **الشيخ أحمد السرحاني**[2]، الذي كان عضوا فعالا ومدرسا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد أن أكمل دراسته على الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، والسياسي **رابح بيطاط**[3] حينما كان والده قاضيا أو باش عدل في منطقة

لمتابعة التحصيل العلمي في الأزهر حيث تحصل على الشهادة العلمية في العلوم الإسلامية، وفي 17أفريل عام 1957م امتدت إليه يد منظمة الجيش السري الذي شكله غلاة الفرنسيين المتعصبين لتخطف الشيخ العربي التبسي من منزله وليكون من عداد الشهداء. وقد توصل الباحث أ.د. أحمد عيساوي إلى تفصيل وحيثيات اختفائه واستشهاده، = رواية عن أحد مجاهدي المنطقة الخامسة، خلافا لرواية بلاغ جمعية العلماء في جريدة المقاومة **راجع**: أعلام الإصلاح في الجزائر، أ.د. أحمد عيساوي (جامعة باتنة) ، ص271-332، دار الكتاب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 2012م.**راجع**: كتاب: جهود الشيخ العربي التبسي وآثاره الإصلاحية، د. أحمد عيساوي، ج1+ج2.

(1) تقع قرية ليانة بأقصى الزاب الشرقي، تبعد عن مدينة بسكرة بحوالى 90كلم، وعن خنقة سيدي ناجي بحوالي 07 كلم، تتموقع منذ الأزمنة البعيدة عند سفوح جبال برقة من سسلسلة جبال الأوراس الأشم المطلة على الصحراء، تحتوي على عدة صروح ثقافية ودينية وتاريخية توشك على الاندثار، من معاهد للتحصيل ومساجد، ومزارات، منها: جامع سيدي الوردي حفيد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الذي كان معهدا للتحصيل العلمي، وزاوية الشيخ محمود نجل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي التي حولتها السلطات الاستعمارية إلى ثكنة عسكرية، كما اشتهرت ليانة عبر التاريخ بعلمائها وأدبائها وصلحائها من أمثال: العالم الفقيه المحدث المفسر أحمد بن نصر أبو جعفر الدوادي الأسدي الليابي التلمساني في القرن الرابع الهجري، و الولي الصالح أبو زاهر الإدريسي الحسني الليابي في القرن السادس الهجري تلميذ أبي مدين الغوث التلمساني، والصحفي الأديب الشاعر المصلح محمد السعيد الزاهري الليابي...الخ.

(2) هو أحمد تيمقلين المعروف بالسرحاني،ولد بكيمل سنة 1912م، حفظ القرآن على شيخه مصطفى بن محمد المالحي أحد تلاميذ الشيخ بن باديس الأوائل، وعنه أخذ بعض مبادئ اللغة العربية والفقه، بقي في خنقة سيدي ناجي للتعلم بإشارة من أحباب والده (عائلة بن حسين)، ثم أشار عليه تلامذة الشيخ الجموعي(خريج الجامع الأزهر) والموجود آنذاك بزاوية الصادق ابن الحاج بتبرماسين فأتم عنده سنة وبعدها رجع إلى الخنقة وبقي بها إلى أن أتم دراسته الإعدادية على الشيخ الصادق بلمكي، ثم اتصل بالشيخ عبد الحميد بن باديس بواسطة الإخوة أولاد بن حسين سنة 1936م، وأثناء فترة دراسته بقسنطينة إلى غاية سنة 1940م، كان مراسلا لجريدة البصائر، وقد طارده الاستعمار طيلة هذه المدة إلى أن ألقي عليه القبض سنة 1941 لنشاطه السياسي، حيث سجن بأريس ستة أشهر، ونفي إلى مسكيانة ثمانية شهور، ومن سنة 1943 إلى غاية 1957م، كان مديرا ومعلما حرا في مدارس جمعية العلماء في كل من امشونش، وكيمل، وقسنطينة، وبسكرة، عمل لصالح الثورة في جمع المال وشراء الأدوية،.وكان يستعين بأستاذه العربي التبسي، وبزعماء الثورة في كل من الأوراس، والجزائر العاصمة، وبوسعادة، وبسكرة، وبعد غلق جميع مدارس التربية والتعليم، اتصل بابنه الروحي أحمد بن عبد الرزاق (القائد سي الحواس)، فطلب إليه أن ينضم إلى جيش التحرير فأشار عليه بالذهاب إلى الصحراء لأنها في حاجة إلى دعاية، فتنقل لصالح الثورة إلى الهقار = وتقرت، ووادي سوف، وسطيل، صاغ عدة أناشيد للثورة، نشر بعضها في جريدة الأحرار، وفي الاستقلال انخرط في حزب جبهة التحرير الوطني، وعين مفتشا للأوقاف(عمالتي الأوراس وعنابة)، ثم أستاذا مدرسا بثانوية عباس لغرور، فمديرا لها إلى وفاته سنة 1968م. **انظر**: كلمة الشيخ عمر دردور في إحياء ذكرى وفاته، (لدى الباحث) .

(3) رابح بيطاط من مواليد 1925م بعين الكرمة ولاية قسنطينة، من القادة التاريخيين الذين أعطوا إشارة انطلاق الثورة الجزائرية، عضو في المنظمة السرية، حكمت عليه فرنسا بالسجن المؤبد، تقلد عدة مناصب سامية في الدولة الجزائرية، تولى رئاسة الجمهورية

الخنقة **والشيخ محمد بلمكي بن محمد الأمين**[1]، الحائز على شهادة التطويع من من جامع الزيتونة، وقد كان داعية في كل من مسقط رأسه الخنقة، وكثير من أنحاء الوطن حتى استشهد 1957م.**والشيخ سيدي صالح جبايلي** الذي كان إماما مشهورا بمدينة خنشلة؛ والشيخ أحمد زروق نجل سيدي المدني، وقد كان عضو في جمعية العلماء أثناء الثورة،.حتى أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قال مرة في وليمة أقامها أبوه وحضرها جمع غفير من علماء الجزائر: (إن الشيخ أحمد زروق هو عمدتي في مدينة خنشلة).أما عن **علماء وصلحاء السادة الصوفية**، فقد قيل أن بخنقة سيدي ناجي ستة وخمسون (56) صالحا لا يعرف مقامهم إلا القليل. نخص بالذكر منهم، مؤسس خنقة سيدي ناجي صاحب الطريقة الناصرية، والشيخ عبد الحفيظ الخنقي، صاحب الطريقة الرحمانية، الذي يذكر أنه قد ألف سبعة عشر تأليفا في التصوف، وأبناؤه الثلاثة،، والشيخ محمد المكي بن الصديق، شارح الحكم، وسيدي أحمد بن ساعد الذي مقامه بقرب أعلى برج المراقبة بالخنقة، وسيدي محمد بن حسين بن ناصر، وسيدي عمار، وسيدي المدني نجل سيدي المكي بن الصديق، الذي كان على صلة وثيقة بالشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان بينهم زيارات

لفترة انتقالية بعد وفاة الرئيس هواري بومدين، توفي بالجزائر سنة 2000م. انظر الموقع الرسمي الخاص به على الرابط التالي (/http://bitat.apn-dz.org)

(1) ولد بخنقة سيدي ناجي سنة 1913م، من عائلة بلغت الآفاق في العلوم الدينية واللغوية، حباه الله بحفظ كتابه الكريم على يد شقيقه الشيخ الصديق بلمكي، كما أخذ عنه علوم القرآن والدين واللغة، بعد نيله شهادة التطويع من جامع الزيتونة بتونس سنة 1943م، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مع بعض أفراد أسرته، مثل عبد الحفيظ بلمكي، وصالح بلمكي، وعلي بلمكي، كان يعلم بمدارس جمعية العلماء، ويشارك في تسيير حركتها، وقد تولى إدارة عدة مدارس في أماكن مختلفة من الجزائر منذ اشتغل بالتدريس كوهران، وتاملوكة وخنشلة وعين البيضاء... وحينما اندلعت مظاهرات 8 ماي 1945م كان مديرا بمدرسة التربية والتعليم بمدينة خنشلة، قاد مظاهرة رافعا العلم الجزائري في وسط مدينة خنشلة، ومعه جمع غفير من شباب هذه المدينة، وسرعان ما ألقي القبض عليه، فزج به في السجن بمكان يدعى(جنين بورزق) بالصحراء، وبعد إطلاق صراحه، تابع نشاطه التعليمي في مدارس جمعية العلماء، وعند اندلاع الثورة التحريرية بفاتح نوفمبر 1954م، كان حينئذ مديرا بمدرسة عين البيضاء، ضيق عليه من طرف الاستعمار بسبب نشاطه في خدمة الثورة لكنه تابع نضاله حتى أغلقت السلطات الفرنسية المدرسة سنة1957م، وأشعر من قبل بعض المسبلين أنه سيلقى عليه القبض ثانية، فانتقل خفية إلى الجزائر العاصمة، مواصلا نشاطه التعلمي والنضالي؛ ألقي عليه القبض وهو يلقي خطابا يوم الجمعة بجامع بلكور في أوائل= أبريل سنة 1957م، وقد عذب عذابا شديدا، ثم اختفى كل أثر له، ولم يظهر عنه خبر منذ ذلك العهد حتى الآن، ولا شك أنه استشهد تحت وطأة العذاب، تاركا وراءه ثلاثة أبناء وبنت. **انظر**: شهادة من لجنة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (التي كانت تشرف على جميع المدارس العربية الحرة التابعة للجمعية بسائر أنحاء التراب الجزائري، وببعض المدن الفرنسية). **انظر**: نبذة من حياته مكملة ومتممة للوثيقة السابقة الذكر، كتبها إمام مسجد سيدي المبارك الشيخ نور الدين بلمكي.

وحوار[1]؛ وسوف نفصل لترجمة بعض من هؤلاء في الباب الثاني من هذا البحث أثناء الحديث عن حياة مؤلف الحكم وشارحها.

[1] **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.
انظر: الملتقى الوطني الأول للمقاومة الشعبية بالزاب الشرقي سيدي عبد الحفيظ الخنقي والصادق بلحاج من سنة 1844إلى سنة1860، إعداد وطباعة دار الشباب خ س ن، ص:14.

المبحث الرابع

مكانة الخنقة ووظيفتها الإدارية والسياسية إبان الحكم العثماني.

كانت سياسة العثمانيين قائمة آنذاك على احترام الزعامات المحلية بما فيها العلماء وشيوخ الزوايا، والتحالف معها، ومنحها امتيازات مادية وأدبية، لإدراكهم المكانة التي يتمتعون بها لدى الأهالي، ولأن التقرب منهم يؤدي إلى تأييد الأهالي، وضمان الأمن والاستقرار بالمناطق المختلفة، ولذلك فإنه بمجرد توسع إنجازات الخنقة وانتعاشها عمرانيا وثقافيا واقتصاديا، وعلا شأنها شيئا فشيئا منذ مؤسسها الأول سيدي المبارك لما اشتهر به من مكانة علمية ودينية، مما جعل أهالي المنطقة ينضوون تحت لوائه، ويعودون إليه في أمور دينهم ودنياهم وينال ثقتهم وتقديرهم، وحينما خلفه ابنه أحمد الذي سار على نهج والده في العلم والتقوى، وواصل بعزم وحزم ما بدأه والده من إنجازات، فأصبحت في وقت وجيز تجلب إليها طلاب الدين والدنيا معا، فأمها علماء وطلبة العلم من كل جهة وناحية حتى من تونس والجزائر، وطلاب الدنيا لأسوقها ومنتجاتها الفلاحية والصناعية، وقد أثار ذلك إعجاب الحكام العثمانيين، الذين عملوا على التقرب من شيوخ الخنقة وربطهم بالحكم المركزي، وفي هذا المجال، وقصد تأييد شيوخ الخنقة وولائهم، منح يوسف باشا لقب (شيخ الخنقة وجبل شاشار) **لأحمد ابن سيدي المبارك**، وبذلك أصبحت علاقة الخنقة مع العثمانيين منذ ذلك الحين في تطور وتحسن مستمر، وتابعة للسلطة المركزية بقسنطينة، على الرغم من احتفاظ شيوخ الخنقة باسقلالهم وتميزهم؛ وبذلك استطاعت خنقة سيدي ناجي خلال زمن قصير من نشأتها أن تثبت وجودها كبلدة لها اعتبارها وأهميتها لدى الحكام العثمانيين آنذاك ومحط أنظارهم، سواء كل من بايات تونس وقسنطينة، وبايات الجزائر، فعملوا على مساعدتهم لتحقيق بعض المشاريع الاقتصادية، وعلى هذا الأساس تعاون الأوجاق وباي قسنطينة مع أحمد بن سيدي المبارك في شق ساقية محرز، لسقي البساتين والأرض المسماة (الجناح الأخضر)سنة 1049هـ/1640م، كما منحوهم امتيازات مادية هامة، منها جباية زكاة وعشر الزاب الشرقي وجبل شاشار، وأعفي فيها جميع أفراد العائلة من المكوس والضرائب والخدمة العسكرية، وبذلك أصبحت الخنقة تزداد مكانتها الهامة لدى الحكام العثمانيين، بفضل الدور النشيط الذي لعبه شيوخها في المنطقة، وسياستهم التي نالت ثقة السكان وولائهم، وقد أشاد البايات بهذا الدور، وعبروا عن ارتياحهم لما يسود المنطقة من استقرار، بفضل التسيير المحكم لشؤونها[1]، وهذه المكانة

---

(1) مثلما جاء في رسالة من ((رجب باي)) سنة 1081هـ/1670م: ((... أما بعد، قدمنا للناحية القبلية بقصد نظر البلاد والعدل بين الرعية، نزلنا بأرض أولاد شيخ البركة الولي الصالح المبارك ناجي، ولما نزلنا نحو البلاد، وتفقدنا حالها، وجدناهم عمدة البلاد، وغاية بين أيدينا في الحب والنصيحة، يطعمون الطعام، ويقرون الضيف، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)). **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، خنقة سيدي ناجي إبان الحكم العثماني، أ. كريمة بن حسين (دائرة التاريخ جامعة قسنطينة)، مرجع سابق، ص56.

المرموقة التي تمتع بها شيوخ الخنقة، وسياساتهم الرشيدة في المنطقة، جعلت الحكام العثمانيين أيضا يلجؤون إليهم في حل النزاعات، ويختارونهم للتفاوض مع خصومهم، سواء من البايات، أو الولاة أو القبائل المختلفة، فنجد في خلافة **محمد الطيب سنة 1077هـ/1667م**، الذي واصل فيها إنجازات والده، فضاعف الغرس والزرع، واهتم بنشر العلم والدين، تقرب البايات منه أكثر لكسب وده، ويدل على ذلك الظهائر التي تلقاها من خير الدين باي قسنطينة سنة 1084هـ/1673م، وعبد الرحمان شاكور باي قسنطينة المسمى دالي باي سنة 1090هـ/1679م، وشعبان باي سنة 1105هـ/1694م، وقد أشادوا في رسائلهم بخصال العالم الجليل والمكانة المعززة التي يحظى بها لديهم، وحرصهم على الاحتفاظ بهذه المكانة، وتوسيع امتيازات الأسرة وصلاحياتها الواسعة...، لكن علاقة الحكام العثمانيين بلغت أوجها على يد **محمد بن محمد الطيب** الذي تولى تسيير شؤون البلدة إثر بلوغه نعي والده وهو في طرابلس سنة 1107هـ/1696م أثناء عودته من الحجاز في أول حجة له، حيث شهدت الخنقة في عهده قفزة هائلة في مجالات الزراعة والفلاحة والتعمير، فقد شق قناة تعرف بـ(ساقية المقطع)، والتي أصبحت تسقي أكبر بساتين الخنقة، كما كان له الفضل في إعادة بناء مسجد سيدي المبارك سنة 1147هـ/1734م، حيث أتى بالبنائين من تونس، وشيده تشييدا حسنا، ليصبح مكان عبادة ومنارة علم أضاءت بعده زمنا طويلا، وكان إلى جانب كونه فقيها وعالما في الشريعة ومفتيا[1]، قائدا سياسيا بارعا، تم الاعتماد عليه في الظروف الصعبة، كوسيط بين بايات قسنطينة وبايات تونس، لحل نزاعات كبيرة بينهم، وقد شاع صيته، فنال تقدير واحترام الولاة العثمانيين، الذين عملوا على كسب وده، فتلقى ظهائر من أحمد باي، ومصطفى داي الجزائر، وعلي باي بن صالح باي، وحسين باي بوكيمة...الخ؛ وكانت الزيارات والمراسلات متبادلة بينه وبين الحكام العثمانيين، حيث قام بزيارات متعددة إلى كل من الجزائر، وقسنطينة وتونس، منها ما كان للمجاملة والتهنئة، ومنها ما كان للسعي في الصلح أوغيره، وقد وجد عند الجميع حسن الوفادة والرعاية والترحاب وقضاء الحاجة، وبالمقابل زار الخنقة في عهده أو في عهد والده كثير من البايات والولاة من تونس وقسنطينة والجزائر..، وممن أقام بالخنقة من البايات وغيرهم: رجب باي سنة 1082هـ/1671م، الذي بنى قصرا قريبا من سد ساقية ليانة، كان يدعى ببرج الحميل، وقدوم محمد باي، أحد باشوات تونس هاربا، سنة 1679/1090م، وكانت السنة مجدبة، فنزل ليانة، ثم دخل الخنقة، وماتت زوجته وولده بها، وأقام بها مدة شهر كامل؛ وفي سنة 1108هـ/1696م لجوء أتباع فرحات باي الذي مات مقتولا، للخنقة وسكنوا بها، ومكثوا فيها عدة سنوات إلى حين رحيلهم مع دريد في زمن مراد باي؛ وفي سنة 1121هـ/1709م لجأ إليها علي بن محمود صاحب ولاية قسنطينة، مطاردا من قبل حسين شاوش باي، زاعما أنه هرب بمال الخزنة، فأنقذه أهل الخنقة منه، حيث أخفوه في قرية الولجة، وهي ولجة سيدي عبد الله بن موسى، ثم

(1) راجع: حياته وآثاره، في الفصل الثالث من هذا الباب.

أعادوه للخنقة بعد زوال الخطر عنه وذهاب من كانوا يبحثون عنه، فمكث بعد ذلك في الخنقة مدة شهر ثم غادرها؛ وقدوم الشيخ أحمد بن جلاب الذي كان حاكما بتقرت سنة 1195هـ/1780م، ترك عياله وخدمه بالخنقة، وذهب لنفطة التونسية، حيث نزلوا بدار بوعلاق الذي أكرم مأواهم وأحسن إليهم، مدة ستة أشهر ...وهكذا كانت الخنقة ملجأ لبعض البايات والولاة والحكام، ومعبرا للبعض منهم، وحتى أفراد الجيش الانكشاري، الذين كانوا يلتجئون لدى شيوخها أثناء أوقات المحن، لكي يتوسطوا لهم لإنقاذ حياتهم، أو استرجاع حكمهم، أو حل نزاعات فيما بينهم، نظرا لما يتمتع به هؤلاء الشيوخ من سمعة طيبة واحترام كبير لدى الحكام العثمانيين، وحتى لدى الأهالي ورؤساء القبائل[1]، حتى كان من الخنقة من تولى الوزارة بتونس، لدى الباي مراد، الذي مات مقتولا، وهو المدعو أبو القاسم بن أحمد بن مزيان العمراني الخنقي[2].

وفي وسط هذه البيئة المزدهرة ثقافيا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، عاش **أحمد بناصر**[3] الذي تولى أمور الخنقة سنة 1154هـ/1741م، خلفا لوالده محمد بن محمد الطيب، متبعا آثاره في العمارة والإصلاح، بإنشاء السواقي لسقي البساتين والغابات، كما استصلح الأراضي الزراعية المعروفة باسم (الجعدي) في الزاب الشرقي، ومن أهم إنجازاته إتمامه لمشرع والده من ماله الخاص، في بناء منارة الجامع والقبة وروضة سيدي المبارك، وذلك سنة 1171هـ/1758م، ثم عمر المسجد والمدرسة بطلبة العلم والقرآن العظيم، الذي كان يسهر على راحتهم وتدريسهم بنفسه؛ كما ربط أثناء فترة حكمه علاقات صداقة وتعاون مع بايات قسنطينة، الذين جددوا له الولاية، فكان كل باي يعين على قسنطينة يرسل له ظهائر، اعترافا بحكمه على المنطقة، وقد قام على غرار أسلافه بتسوية النزاعات التي كانت بين كل من بايات قسنطينة وتونس، فتميزت فترة حكمه بكثرة أسفاره بين تونس وقسنطينة والجزائر، لتحقيق الوفاق بين الأيالتين، كتدخله مثلا لإطفاء نار فتنة وقعت في سنة 1157هـ/1744 بين باشا الجزائر وباشا تونس، وتدخله في كثير من الأحيان لدى البايات للعفو عن بعض الولاة، كتدخله على سبيل المثال سنة1154هـ/1741م لدى باشا قسنطينة، ليطلب منه العفو عن قائد بسكرة، الذي قتل ابن القائد

---

(1) يؤكد ذلك حينما مر حاكم الخنقة محمد بن محمد الطيب بمحنة سجنه لمدة اثنين وعشرين يوما، من قبل إبراهيم الشريف أمير تونس سنة 1114هـ/1703م، إثر وشاية مفادها أن بعض خواص رمضان باي المقتول، تركوا عنده نحو أربعة آلاف سلطاني وديعة، فطلبها الأمير منه على أساس أنها مهربة من مال الخزنة، فذكر له الشيخ بأن واضعيها استردوها منه، فلم يصدقه الأمير، وسجنه ولم يطلق سراحه، لكن رؤساء القبائل الموالية لإبراهيم الشريف وبعض أقاربه وحاشيته، جمعوا المبلغ المطلوب من مالهم الخاص، إحساسا منهم بصدق الشيخ، وإمعانا منهم في تقديره واحترامه، لمكانته وفضله.

(2) – **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م/2002م، خنقة سيدي ناجي إبان الحكم العثماني، أ. كريمة بن حسين (دائرة التاريخ جامعة قسنطينة) ، ص53– 59.**انظر**: المرجع السابق، ص:**19،20**.

(3) اتخذ هذا الاسم تخليدا لذكرى الأمير الأموي عبد الرحمان الثالث حاكم قرطبة الملقب بالناصر؛ ثم اعطي هذا الاسم فيما بعد لأحفاده الذين أصبحوا يعرفون بأسرة بناصر.

قاسم من غير إذن الباشا الذي غضب عليه، فقبل شفاعة أحمد بناصر وعفا عنه؛ ولعل أهم ما ميز حكمه، سياسته الهادفة إلى توطيد علاقة أسرته توطيدا أكثر ببايات تونس، بسبب الجميل الذي قدمه أهل الخنقة أيام فرار (علي باشا) باي تونس، ملتجأ إليها مع أفراد عائلته وحاشيته، فوجد بها كرم الضيافة، ومساعدة سكانها الذين وقفوا إلى جانبه، وبعد أن استرجع حكمه وعاد إلتونس توطدت أكثر الصداقة، التي كانت تربط الأسرة ببايات تونس، اتضحت أكثر هذه الصداقة في إعطاء بايات تونس تعليمات لولاتهم في كل المقاطعات باستقبال أحفاد سيدي المبارك بكل شرف واعتزاز، وإرضائهم في كل شيئ ومصاحبة الفرسان لهم عند مدخل المدينة، وكذلك الأمر بالنسبة لرحلة العودة، حيث تتم مصاحبتهم وإكرامهم حتى خروجهم من الأراضي التونسية، الأمر الذي أثار شكوك باي قسنطينة، أحمد بن علي المسمى القلي، في إخلاص أحمد بناصر لحكمه، وساد الاعتقاد لديه بأنه ينوي الانفصال عن بايلك قسنطينة، والتحالف مع بايات تونس، وزاد من قوة هذا الاعتقاد قيام الشيخ ببناء قلعة عسكرية، تسمى برج السطحة على مشارف الخنقة، زودها بمدافع لحمايتها من أي اعتداء أجنبي، وصد الغزاة عنها، وخاصة أن حروبا طويلة كانت قائمة بين الخنقة وسكان ليانة، وكذلك بينها وبين الشابية، إلا أن الباي أحمد القلي استغل غياب أحمد بناصر، فهاجم الخنقة، وألحق بها خسائر مادية هامة[1].

وقد حافظت خنقة سيدي ناجي على هذا التقدير وهذه المكانة، أثناء حكم (حسين) الذي خلف والده أحمد بناصر سنة 1210هـ/1794م، الذي قتل على يد (بوزيان) قائد الشابية، في صحراء نقرين خلال أحد أسفاره إلى تونس، وقد وجه القائد حسين نجل أحمد بناصر أولا ضربة قوية للشابية بعد توليه الحكم بفضل قواته المسلحة، وبمساعدة النمامشة، وقسم كبير من الحنانشة وأحرار مناصر، ثم تابع أعمال سلفه الاقتصادية والعمرانية والعلمية، فغرس النخيل والأشجار بالمكان المسمى الولجة واليفتون، وقام بترميم صومعة مسجد سيدي المبارك، باستقدام بنائين من تونس بعد عودته من تونس في عهد الباي (حمودة باشا) وإقامته عنده لمدة شهرين، ثم تفرغ لتعليم الطلبة الذين توافدوا عليه من كل صوب، وكان

---

(1) مما يؤكد توطيد هذه العلاقة، قيام علي باشا باي تونس بمنح أحمد بناصر قطعتين واسعتين من الأراضي الزراعية، واحدة بماطر تتسع لحوالي 260 هكتار، ما زالت عائلة بن حسين التي تنتمي لأبنائه تستغلها لصالحها ليومنا هذا، والأخرى بمدينةبنزرت، وذلك تعويضا له عن الخسائر الكبرى التي لحقت بالخنقة من جراء تخريب الباي أحمد القلي لها، وكذلك اعترافا بالجميل الذي قدمه له أهلها أيام فراره من تونس، عندما رفض حسين باي تونس، دفع الجزية السنوية التي فرضها عليه (إبراهيم) داي الجزائر سنة 1148هـ/1735م، هاجمه هذا الأخير بمساعدة (بوكمية) باي قسنطينة، فهزمه واستولى على تونس، وعين على العرش مكانه (علي باشا)، ابن أخي (الباي حسين)، فهرب هذا الأخير إلى القيروان، ولكن (علي باشا) حاصر المدينة إلى غاية 13/ماي/1740م، تم خلال ذلك مقتل(حسين باي) ، فالتجأ ابنه (علي باي) إلى الخنقة، وفي 31/أوت/1756م، وضع باي قسنطينة (أزرق عينه) حدا لحكم (علي) باشا تونس، وعين (محمد بن حسين) بايا عليها، ولما توفي هذا الأخير يوم 11/فيفري/1759م خلفه أخوه (علي باي) الموجود اسمه منقوشا على ضريح سيدي المبارك. **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، مرجع سابق، ص60،61.

أيضا رجلا سياسيا نشطا، ضاعف من أسفاره إلى الجزائر وقسنطينة وتونس، وقد توسع في عهده نفوذ الأسرة التي حافظت على سلتطها الدينية في المنطقة[1]. وأصبحت خنقة سيدي ناجي في نهاية العهد العثماني، مركزا عمرانيا واقتصاديا نشيطا، وقطبا علميا وثقافيا بارزا، وقلعة من قلاع العلم والمعرفة،بلغ صيتها الآفاق،وعلا شأنها في كل مكان، فهي بحق وعن جدارة إمارة إسلامية، إمارة جنوب الأوراس، جوهرة وادي العرب.

(1) **انظر**:المرجع السابق، ص61،62.

المبحث الخامس

خنقة سيدي ناجي إبان الاحتلال الفرنسي و أثناء وبعد الثورة التحريرية.

المطلب الأول: الخنقة أثناء الاحتلال الفرنسي.

بدأ التنظيم الإداري في جنوب الأوراس بعد احتلاله مباشرة سنة 1844م، وكان في البداية تنظيما عسكريا مقسما إلى مستعمرات حربية، وبذلك دخلت الجزائر عموما والخنقة خصوصا مرحلة جديدة، ألا وهي مرحلة الجمود، والتدهور في كل المجالات، فبعد أن كانت مستقلة بتسيير شؤونها الداخلية كلها، والتصرف في أمورها بما تمليه عليهم معطيات مجتمعهم الثقافية والدينية، وبما يخدم مصالحهم دون أي رقيب، فبالاحتلال انقلبت الأمور فأصبح يحد من حرية الناس، ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة، بما أجراه من تقسيمات إدارية ملائمة له، فقسم الوطن إلى **عمالات**[1]، والعملات إلى نيابات لها (دوائر)، ثم إلى أحواز مختلطة، يشرف عليها حاكم فرنسي مقيم في هذه المدينة يساعده نواب فرنسيون يقيمون معه يرسلهم في مهمات هنا وهناك، وقسم الحوز المختلط(عبارة عن عدة مقاطعات)، إلى دواوير، يعين على رأس كل **دوار** مسئولا جزائريا مباشرا من العائلات المختارة عندهم يسمى **قائدا**[2]، يكون مواليا للفرنسيين،يطلقون

---

(1) قسمت الجزائر إلى ثلاث عمالات (ديبارتمان) ، عمالة قسنطينة، والجزائر، ووهران، والعمالة في الجزائر ليست وحدة جغرافية ولا اقتصادية ولا عمرانية، بل إنما هي وحدة إدارية ليس إلا لها ذاتية قانونية وإدارية، **انظر**: كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني(وزير الثقافة في الحكومة المؤقتة خلال حرب التحرير) ، ص249، دار المعارف، طبعة ثانية طبق الأصل نشر دار الكتاب البليدة الجزائر1963م.

(2) (القائذ) باللهجة المحلية والقائد بالدارجة العربية، يقترحه رئيس البلدية الفرنسي من بين المواطنين الجزائريين على الوالي العام المقيم في عاصمة الجزائر، فإذا قبل يدعى ليسلم إليه الخاتم والبرنوس الأحمر (الذي هو شعار القائد، ولنتذكر أن اللون الأحمر علامة الدم، وهو أيضا لون من ألوان علم فرنسا، وعندما يضيفون اللون الأبيض لبرنوس الخوجة، واللون الأزرق لحارس القرية، يصبح هاؤلاء حاملين للعلم الفرنسي على كواهلهم وهم لا يشعرون)، أما الخاتم فليطبع به المراسلات الرسمية التي يبعثها إلى المير، والثاني ليلبسه في الخرجات الرسمية، التي يقوم بها في أرجاء الدوار، ليعرف به ويتميز عن غيره الخوجة والحارس، وشروط قبوله أن يكون أحد أبناء الموظفين لدى حكومة الاحتلال، أو أن يكون أحد أبناء الأسرة خدم فرنسا، وليس بالضرورة أن يكون القائد من أبناء العرش الذي يعيش فيه فقد يكون من عرش آخر، ويخضع للتبديل والعزل إذا اقتضت مصلحة الدولة ذلك، وسلطته لا تسمح له بالتصرف إلا في المسلمين الخارجين عن المدن غالبا، ووظيفة القائد تبليغ تعليمات رئيسه الحاكم وتنفيذ أوامره، ومراقبة الحالة السياسية، ومتابعة الزوايا، وتتبع حركة التعليم، ومراقبة العناصر البشرية الطارئة على القرية أو الدوار، ومتابعة الأفراح التي يقيمها السكان، وإعداد قائمة الأسر التي تدفع الضرائب السنوية، وإعداد قائمة الشبان الذين بلغوا سن التجنيد الإجباري العسكري، مع مهمة استقبال السلطات الرسمية التي تدخل الدوار ومرافقتهم في مهامهم مثل الجندرمة، ورجال العسكر ورجال الإدارة. **راجع**: أحمد توفيق المدني مرجع سابق ص251- 253،.**راجع أيضا**: ملامح حول تكوت العتيقة إلى غاية 1954م،أ. محمود عبد السلام، ص132- 136 (الكتاب غير مطبوع) .

يده في تسيير مقاطعته، ولكنه يعمل تحت إمرة الحاكم المتصرف (أو المير) الذي يرأس كل منطقة، يساعده وقاف أو أكثر في تبليغ الأوامر التي كانت تصدرها السلطة من أجل تنفيذها، وكان يطلق على هذا الحكم الحكم المدني، أما الحكم العسكري فليس فيه أحواز مختلطة، وإنما المرجع فيه إلى الضباط العسكريين مباشرة[1]، وقد أحدثت هذه الترتيبات الإدارية الجديدة على المجتمع اضطرابا كبيرا وأضرارا بالغة لم يسبق لها مثيل في تاريخها الثقافي والاجتماعي والسياسي وبقيت آثاره حتى إلى فترة الاسقلال

بالنسبة للخنقة أضيفت إداريا إلى حوز خنشلة المختلط، بينما ليانة وبادس والقصر بجانبها، كانت تابعة لبسكرة، وكان يعين في الخنقة قياد منها أو من غيرها إلى سنة 1946م، حيث عوض منصب القائد بمركز بلدي ذي أعضاء منتخبين، وعوض الوقاف بحارس ريفي يرتدي زيا رسميا، أما الحاكم بالحوز المختلط فكان له حراسه الخاصون، الذين كانوا ينتقون من المجندين الجزائريين الذين أنهوا خدمتهم العسكرية بإخلاص للفرنسيين، يسمون بالدوايرة، وهم الذين يرسلهم الحاكم إلى الدوار في المهمات الحساسة، كالقبض على العصاة، أو حماية جباة الضرائب، أو يرافقونه في زياراته الرسمية...الخ.

ومن ضروب التعسف الذي عانت منه الخنقة كباقي البلاد، فرض الضرائب على مكتسبات الناس كيفما كانت، نخيلا أو حيوانا مهما كان، بل حتى على الأشخاص، فكل بالغ عليه أن يؤدي ضريبة سيره في الطريق العمومي(تسمى بالعامية الباتيندا)، وفي كل سنة يأتي الخزناجي أو قابض الضرائب، للخنقة وبرفقته مجموعة من الدوائر، لتحصيل الضريبة طوعا أو كرها، وياويل من سولت له نفسه التلكؤ عن الدفع أو العصيان؛ ناهيك عن التسخير أو تكليف الناس بمهمات شاقة كرها، وذلك عندما يأمر الحاكم قياده بتنفيذ أمور لا يتوصلون إليها إلا بالمساعدة المادية أو العملية لسكان الدوار، فتناط بهم تكاليف لا يطيقونها، يجبرون عليها جبرا أو يكون عقابهم الضرب والسجن، فهذا عليه من المال كذا وهذا عليه أن يقدم المركب كالحصان أو البغل أو الحمار لأداء مهمة ما، وذلك عليه شاة أو أكثر لنفقة ما...الخ، بل إن مشاريع شق الطرق والأشغال العمومية المختلفة كانت لا تؤدى إلا بالتسخير الفردي والجماعي، ولا زال الكبار من سكان الخنقة يتذكرون تسخيرهم جماعيا لغراسة النخيل في مكان يدعى (بن قردان)، قرب (فركان) على الحدود التونسية، يساقون إليه سوقا للقيام بالأشغال الشاقة المختلفة، دون أي ذنب اقترفوه، وإنما إرضاءا لنزوات الحاكم؛ هذ إلى جانب فرض المستعمر التجنيد الإجباري على الجزائريين في القوات الفرنسية، فكان ينظم لذلك مواسم لاستدعاء الشباب ليلتحقوا بقواته المسلحة، ووقع الاهتمام بهذا الأمر أكثر في الحربين العالمية الأولى والثانية، فقد أخذ خيرة شباب الخنقة قسرا للدفاع عن المصالح الفرنسية، إما في الجزائر أو في غيرها كأروبا، والمغرب الأقصى، وكل من لا يستطيع الانضمام إلى الجيش آنذاك، كان عليه أن يقدم بديلا له من عائلته، أو يكتري شخصا آخر يقوم مقامه، وكم من أبناء الخنقة كباقي

---

[1] **راجع**: ملامح حول تكوت العتيقة إلى غاية 1954م، أ. محمود عبد السلام، ص132- 146، مرجع سابق.

الجزائريين، أرسلوا إلى الهند الصينية في جنوب شرق آسيا (فيتنام) حاليا؛ وحتى تضمن فرنسا عدم مناهضتها ومحاربة وجودها، ضايقت القائمين بالتعليم العربي، إذ لايجدون الحرية الكافية لممارسته دون أي مضايقة فاضطر الكثير منهم مقهورين إلى الحد منه أو اعتزاله، وحتى على معلمي الكتاتيب القرآنية، ينبغي عليهم الترخيس لتعليم القرآن للأطفال، تأكيدا من الاستعمار من عدم وجود أي ضرر عليها من هذا الجانب، هذا إلى جانب الإمساك بزمام أمور المساجد، فكان على القائمين بشؤون المساجد ممن يوثق بهم أو على الأقل يوثق بعدم نقدهم لفرنسا ولحكمها في الجزائر، إذ هي التي تعينهم وتجري عليهم مرتباتهم؛ وبالموازاة بذلك كبدبل للتعليم العربي والديني، أنشأت فرنسا المدارس الابتدائية الفرنسية لتعليم أبناء الأهالي، بحيث لا ترفع بالمستوى الثقافي للتلميذ إلا بالقدر الذي يجعله متنكرا لانتمائه، فهي في الغالب لا توصل للتعليم المتوسط، فالدراسة في معظمها تنتهي قبل الحصول على الشهادة الابتدائية؛ كما تفنن الاستعمار الفرنسي في خلق أنواع أخرى من الظلم والتعسف والقهر، تتمثل في قساوة الأحكام القضائية، التي لا تتناسب مع الذنوب المقترفة، والمتمثلة في السجن لمدد طويلة قد يبلغ مدى الحياة، أو النفي داخل الجزائر وخارجها، سواء إلى (كليدونيا)أو (كيان) في المحيط الأطلسي قريبا من سواحل أمريكا الوسطى، كما فعلو بالمرحوم (حمة امبارك الرويشي) الذي يذكره أهل الخنقة عندما عاد من هناك شيخا هرما، كما تتمثل في مصادرة الأملاك والأشياء الثمينة وأشياء لا تتصور؛ وبتحالف تلك الظروف القاسية من ظلم واستبداد وقهر، مع عدم التطور الفلاحي والزراعي بما يتناسب وتزايد سكان الخنقة، ومع انتشار البطالة والفقر، مرت على البلدة أيامٌ عصيبة لم يسبق لها مثيل، غلت فيها الأسعار،واحتكرت سلطة الاستعمار توزيعها، وبيعها بأسعار مرتفعة ليست بمقدور الناس وبمقادير محددة، أما التعليم فيها فخبا نوره إلى أن انعدم تماما، فلم يبق منه في منتصف القرن الماضي إلا عدد ضئيل من الكتاتيب القرآنية، والتي كان آخر من تولاها بجد وإخلاص السيد محمد العربي دريدي الذي أصبح إماما بمدينة خنشلة فيما بعد..[1].

ومن ثم بدأ العد التنازلي لمجد الخنقة وتاريخها الحضاري التليد، وقد صور الأستاذ محمد موهوب بن حسين هذا الوضع بقوله: (... وهكذا أصبحت الخنقة والعياذ بالله على عكس ما أشار إليه فضيلة الشيخ الورتلاني في حديثه السابق، ولم يبق فيها إلا المدرسة التي بناها الفرنسيون في سنة 1903م، والتي كان يقوم بالتعليم فيها معلمون فرنسيون، البسملة عندهم هي نشيد (لامارسييز)، أي النشيد الوطني الفرنسي الذي كانوا يحفظونه لأبناء الخنقة، ويجازون على حفظه وحسن أدائه، كما يعاقبون على تركه وعدم الاعتناء به، والجغرافية هدفها أن تعلم بأن الجزائر قطعة من فرنسا، وأن سكان الجزائر فرنسيون في الواقع ولكنهم مسلمون... والتاريخ يلزم صغار الخنقة كباقي الجزائريين بأن يحفظوا ملخصاته التي فيهامثلا: أجدادنا

---

(1) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، خنقة سيدي ناجي فيما بين أول الاحتلال الفرنسي وثورة التحرير المباركة، أ. محمد موهوب بن أحمد بن حسين، ص:24- 28.

الغوليون كانوا كذا وكذا.. والتي فيها بدل الفتح الإسلامي للمغرب العربي، الغزو العربي لشمال إفريقيا، وحولوا الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي هو في الواقع استدمار وخراب، إلى عمران ونشر للحضارة... إلى غير ذلك من الحقائق المقلوبة والأكاذيب والأباطيل، التي لا يتفطن إليها صغار التلاميذ)[1].

ولتصبح الخنقة أثناء الاحتلال الفرنسي في وضعية صعبة جدا ومزرية من كل الجوانب، فالمنتجات الفلاحية والزراعية لا تفي بحاجة الملاك، والتجارة والصناعة شهدت ركودا منقطع النظير، أما الوظيفة فكانت قليلة جدا مع ضئالة راتبها الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، ثم أن البطالة كانت تضرب أطنابها بقوة في أوساط المجتمع وأفراد الشعب، إلى جانب التدهور الحاصل في المرافق العامة، فمياه الشرب مع قلتها بسبب الجفاف، كانت مع صعوبة تحصيلها من أماكن بعيدة ملوثة تتسبب في الأمراض والإسهال الذي كان يودي بحياة الكبار وصغار السن على الخصوص، والوقود الذي كان من الجريد اليابس وجذوع النخل الميت أو بعض أشجار البرية، يباع بسعر مرتفع نسبيا، والإنارة لم تكن إلا بالمصابيح البترولية القاز(الكيروزين) أو بالمصابيح الزيتية، أو بالشموع، وكانت المواصلات تتم على البغال والحمير، و في عهد متأخرة، حظيت بحافلتين صغيرتين للنقل إحداهما لفرنسي تنقل المسافرين إلى بسكرة والأخرى لأخوين يهوديين تنقل المسافرين إلى خنشلة، فالرحلة من الخنقة إلى بسكرة كانت تستغرق، يوما كاملا، وكثيرا ما تتوقف لأيام قد تصل إلى الشهر بسبب الأمطار والسيول، أما وسائل الإعلام فهي شبه منعدمة لا يصلها من الجرائد إلا جريدة النجاح، وجريدة (دیباش دو قنسطنتين)، التي تصل متأخرة لبعض المشتركين، مما فرض على الخنقة شبه عزلة تامة عن العالم الخارجي؛ هذا ما أدى بكل من كان قادرا من أهلها وأبنائها إلى مغادرتها والهجرة والرحيل إلى مدن أخرى للاستقرار بحثا على العمل وعن حياة أفضل؛ فرارا من البؤس والحرمان والتخلف المفروض عليهم[2].

---

[1] – المرجع السابق، ص29.

[2] المرجع السابق، ص30،31.

المطلب الثاني: أثناء الثورة التحريرية.

إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، استيقظ الشعب الجزائري على الفاجعة الأليمة التي ألمت به، والمتمثلة في الإبادة الجماعية لعشرات الآلاف من الجزائريين في الثامن ماي من سنة 1945م بأيدي المعمرين، وتأثر بها الجميع، وليدركوا أن حقيقة الاستعمار الذي دافعوا عنه ببسالة في الحربين العالميتين الأولى والثانية الذي جزاهم جزاء سنمار، واقتنعوا بأن الحياة في ظل الاستعمار ليس قدرا محتوما لا مجال لتغييره، وهكذا بدأت الحركة الوطنية تجمع حولها البعض من شباب الخنقة، فاشتركوا في الأحزاب المناهضة للسياسة العامة لفرنسا في الجزائر، فكونت خلايا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، وللحزب الشيوعي، ولغيرهما، ومن جبال الأوراس كانت تتناهى لأسماعهم أخبار التمرد والعصاة والخارجين عن القانون أو طاعة فرنسا وقد سمتهم فرنسا باسم المنافقين، من أمثال قرين بلقاسم، وشبشوب، وبن زلماط ... وغيرهم، وقد شهدت الخنقة في تلك الفترة قبل اندلاع الثورة تحركات للجيش الفرنسي تنم على أن شيئا ما سيحدث، حيث استقدمت فرق عسكرية تتنقل في دوريات وطلعات للجبال المجاورة المؤلفة من سنغال(من المستعمارات الفرنسية الإفريقية)، ومغاربة (القوم)، فاستقروا مدة بالمنازل الشاغرة في حي صدراتة بالخنقة بخيلهم وعتادهم؛ واختيار الخنقة مستقرا لهم لم يكن اعتباطيا، لأنها تدرك بأن موقع الخنقة استراتيجي، فهي تصلح أن تكون منطلقا لمواجهة ما قد يجد من أحداث.

لم يمر أسبوع على اندلاع الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954م، حتى وقع أول حادث في تلك المنطقة، وهو اشتباك الثوار بالجيش الفرنسي في العريش، قريبا من تبويحمت في التاسع من شهر نوفمبر 1954م، وبدأت الجيوش الفرنسية تكثف انتشارها في المنطقة، وتشدد إحكامها أكثر على الخنقة، بل جعلت منها مركزا عسكريا تنطلق منه للبحث عمن تسميهم **الفلاقة**[1]، القادمين من تونس المجاورة والذين لقوا مساعدة من الجزائريين حسب ادعائهم؛ فاستحدثت في الخنقة من أول شهر من الثورة مكتبا عسكريا للإستنطاق، وذلك بالمحل الذي كان قسما مدرسيا فيما كان يدعى سابقا بالمحكمة، قبيل الدمس، والذي كان له باب خلفي على ماكان يعرف بالبستان؛ هذا المكتب الذي يستنطق فيه المشتبه فيهم من الخنقة والمستقدمون من تبويحمت، والولجة، وبني يملول وغيرهم من سكان التجمعات السكنية الموجودة بالجبال القريبة، ثم استبدل مكانه، إلى حيث المدرسة القديمة، ثم إلى البرج..، هذا الاستنطاق الذي يتم بتسليط جميع أنواع التعذيب عليهم من الضرب الموجع، وتعريضهم للتيار الكهربائي، وغير ذلك مما تفنن فيه المستعمرون، هذا التعذيب الذي يبلغ صداه إلى كل الجهات المجاورة، فكانت صيحات الألم والصراخ

---

(1) اشتهرة تسمية الفلاقة على المقاتلين ضد الاستعمار، من أجل الحصول على استقلال بلادهم، في كل من تونس(1952- 1956) ، وليبيا (1911- 1942) ، والجزائر 1954- 1962) ، ولفظ فلاقة موجود في اللغة العربية وفي اللهجة الدارجة، وهي مأخوذة من فعل فلق. **انظر**: شبكة الأنترنت.

والأنات والتوجعات تقرع أسماع المقيمين قريبا من هذا المكان وأسماع المارين بقربه ليلا ونهارا، فيتألم الناس لآلامهم، وأصبح لا حديث إلا عنهم، وعن الوافدين الجدد وما يعانون، بل حتى الأطفال لم تعد الدراسة تعنيهم بقدر ما كانت أذهانهم تسرح فيما لم يكونوا يعرفونه، ولا اللعب صار يلهيهم عن شرود الذهن والحيرة والوجوم الذي كان يطبع محياهم؛ وهكذا بدأت حياة الناس تتغير شيئا فشيئا مع اشتداد الخناق، واستقرار العساكر في القرية، في المكان المعروف بالبرج قريبا من المقبرة، وفي المدرسة القديمة للفرنسيين، التي تحولت إلى مسكن للضابط المشرف على شؤون القرية ولحراسه، وفي المركز البلدي، وانتشارهم يوميا في الأزقة، وانتقال سيارات الجيب والشاحنات العسكرية ليلا ونهارا هنا وهناك، والتي كانت كثيرا ما تحمل المقبوض عليهم للسجن أو الاستنطاق.

تأثر أهل الخنقة بما يرونه ويسمعونه من حيثيات، فتحرك الشعور بالوطنية في نفوسهم، وتطلع الشباب منهم إلى اللالتحاق بصفوف المجاهدين، أو العمل على مساندتهم بكل الطرق، وبالفعل التحق بعض الشباب المقيمين بالخنقة، بإخوانهم المجاهدين، ضاربين عرض الحائط بالعقاب الذي كان يسلط على الأولياء، والذي كان يفوق كل التوقعات، وكذلك أبناء الخنقة الذين تجندوا من خارجها أو من خارج الوطن وهم كثيرون؛ وكانت مساهمتهم معتبرة، منهم من التحق بصفوف جيش التحرير الوطني، ومن كان قائدا عسكريا محنكا، كالضابط الثاني محمد الصالح بن عباس الذي تقلد مسؤولية المنطقة الثانية من الولاية الأولى في وقت من الأوقات، ومنهم من تقلد منصبا رفيعا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في مصر، أو كان مناضلا في اتحاد الطلبة الجزائريين في أوروبا، أو عضوا نشيطا في فيدرالية جبهة التحرير الوطني في فرنسا، ومنهم من استشهد في الجبال حاملا السلاح، أو تحت التعذيب من قبل العدو، مثل الشهيدين علي بن التارزي والشيخ محمد بن لمين وكلاهما من عائلة بلمكي. وقد نشأت بالخنقة أثناء الثورة التحريرية الكبرى أربع لجان شعبية، كلما اكتشفت واحدة تلتها أخرى إلى غاية الاستقلال، وهمتهم جمع الاشتراكات والتبرعات والأسلحة، وتقديم اللباس والتموين للمجاهدين، ودعوة الشباب إلى الالتحاق بصفوف الثورة، كانت أول لجنة في سنة 1955، والثانية تأسست في سنة 1956م، وكلما اكتشف أمر هذه اللجان، كان يعدم كل من ثبت تعامله معهم، وسجن كل من اشتبه في تعامله معهم، وقد بلغ عدد من استشهد من أعضاء تلك اللجان 22 شهيدا.

لقد عبرت الخنقة أيام الثورة عن أروع معاني التضامن والأخوة تجاه سكان قرية تبويحمت، والتي تبعد عنها بحوالي 10كلم شمالا، والتي كانت مزارا دائما للمجاهدين ومنزلا يقصدونها بعيدا عن أعين الجيش الفرنسي ورقابته،يقضون كثيرا من حوائجهم بواسطة سكانها، كما يستمدون المساعدات منهم، من مؤونة وغيرها من المستلزمات، وحينما أدرك الفرسيون حقيقة ذلك، حاولوا إقامة مركز للجيش الفرنسي بها وبمساعدة أهلها، ولكن سكان هذه القرية تأبوا عن ذلك، فرحلوهم أولا إلى عالي الناس(جلال) لمدة خمسة

أشهر في صيف 1955م، ثم عادوا إليها وبقوا فيها إلى معركة العريش الثانية سنة 1956م، فأدركوا ثانية أن سيكونون دائما معرضين لهجومات المجاهدين ما دامت هذه القرية قائمة، فقرروا ترحيل جميع سكانها، وتخريب دروها وحرق نخيلها وأجنتها، لكي لا تكون بعد ذلك ملجأ للمجاهدين[1]؛ وقد وصف هذا الموقف الأستاذ محمد الموهوب بن حسين، الذي يعبر من جهة على همجية ووحشية الاستعمار الفرنسي ويعبر من جهة على مشاعر التضامن والأخوة بين أهالي المنطقة، حيثقال: (...وقرروا إجلاء السكان فجاؤوهم وطلبوا من الجميع الإسراع إلى مغادرة القرية قبل أن يحل بهم ما يكرهون، فهب الجميع مذعورين، ولم ينقض اليوم حتى كانوا كبارا وصغارا، رجالا ونساء، في الطريق المنحدرة المحاذية للوادي، لامتاع لهم إلا الخوف، إلى أن وصلوا جميعا إلى الخنقة يلهثون من التعب والخوف، فياله من منظر رهيب، ويوم شديد على هؤلاء، لا ينسى أبدا... دخلوا إلى الخنقة، وكانوا حوالي 200 عائلة تقريبا، وقال لهم الجيش الفرنسي: مقامكم ابتداء من الآن هنا، ولا عودة لتبويحمت إلى الأبد، فابحثوا لكم عن مأوى تقيمون فيه بصفة دائمة... وقد شهد أهالي الخنقة هذا المنظر الذي تقشعر منه الأبدان، وتتفطر له القلوب، فتحركت فيهم عاطفة الأخوة الصادقة، وما كان منهمإلا أن فتحوا دورهم ومحلاتهم إلى هؤلاء المهجرين عنوة، فقاسوهم المساكن ووسائل العيش، وتآخوا معهم أسوة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في عهد رسول الله ﷺ، وأصبح الجميع بعد استقرار سكان تبويحمت بالخنقة يمثلون عنصرا واحدا وأسوة واحدة متحدة في السراء والضراء، وإن كانت الضراء هي الغالبة في ذلك الزمان، بل اقتسموا فيما بينهم حتى المعاناة اليومية التي كانت تنالهم على حد سواء، ولم يعد فرق بين التبويحميتي والخنقي، لأن الاندماج كان تاما، والمستعمر لا يميز بين ذا وذاك؛ وإذا ما تحدثنا عن الخنقة وعن سكانها بعد الآن، وإلى حين استقلال الجزائر، فإننا نعني بذلك سكان الخنقة جميعا، سواء أكانوا من أصل خنقي أو تبويحمتي..)[2].

أما عن بعض الحوادث التي تأثرت بها الخنقة أثناء الثورة التحريرية، كان على رأسها الهجوم الذي قام به المجاهدون في المكان المسمى (بعيشت) عل بعد 15كلم من الخنقة في اتجاه جلال سنة 1955م، أحرقوا فيها خمس شاحنات عسكرية، وكان هذا الحادث سببا في قطع الطريق إلى جلال عن المدنيين إلى غاية الاستقلال، ولكم أن تتصوروا معاناة المسافرين الذاهبين إلى خنشلة حينما يقطعون فيه مسافة تزيد عن 300كلم من الخنقة عن طريق بسكرة وباتنة، بدلا من مائة كلمتر، في وقت كانت فيه مدة السفر من الخنقة إلى بسكرة تستغرق يوما كاملا. والحدث الآخر هو مقتل الكومندان ميكال بولحية سنة 1955م، حيث انتقل من الخنقة إلى خيران رفقة حاكم الحوز المختلط بخنشلة وحرس من السنغال،

---

(1) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، خنقة سيدي ناجي أثناء الثورة التحريرية، أ. محمد موهوب بن أحمد بن حسين، ص:30- 37.

(2) في المرجع السابق،ص: 38.

ورجل دين مسيحي استقدموه ليصلي لهم ويدعو لهم بالنصر، وأثناء عودتهم تعرضوا لكمين من قبل المجاهدين في المكان المعروف بـ (غرغر) قرب الولجة، قتل فيه الكومندان ورجل الدين المسيحي، أما الحاكم فاختل عقليا منذ ذلك اليوم فاستبدل بغيره، فكان هذا الحادث من جهة ضربة للفرنسيين ومن جهة أخرى كان سببا لتشديد الخناق أكثر على الخنقة والقرى القريبة منها. ومعركة برقة الخالدة التي كان بها مركز اتصال للمجاهدين مكلف بالربط والتنسيق بين الدوريات القادمة من الحدود التونسية نحو الأوراس والذاهبة إليها، وقد كشف المركز في صيف 1957م، وقد استشهد في هذه المعركة التي جرت على مرأى ومسمع من أهل الخنقة ثلاثة عشر مجاهدا، وهلك فيها حوالي عشرون فرنسيا.ناهيك عن الحوادث الكثيرة الأخرى الشبيهة بالعادية، مثل معركة وادي الكتان سنة 1955، والفرار المتكرر للمساجين من الخنقة، والتحاق بعض القومية بالمجاهدين...الخ[1].

وعندما نتحدث عن معاناة سكان الخنقة أثناء الثورة، لا لأنها انفردت بها عن بقية الجزائر، بل إنها تشترك مع مختلف مناطق الوطن في كونها ظلما واستبدادا وتعسفا وقتلا وتعذيبا وإبعادا، وآلاما وسجنا وانتقاما ونهبا وتجويعا وحرمانا، بل لأن أسلوبها يختلف عنها شكلا وموضوعا من حيث خصوصياتها المتعلقة بها والتي تجعل لمعاناتها طابعا خاصا، وطعما مختلفا.فبالإضافة إلى اعتقال المواطنين بين الحين والآخر، الذي يؤدي إلى تسليط أنواع العذاب عليهم أولا، ثم قتلهم إذا تحقق أو شك المستعمر بأن لهم ضلعا ما فيما اعتقلهم من أجله، وفي أخف الأحوال يمدد اعتقالهم مع ممارسة الأشغال الشاقة والوضيعة، أو يرسلون إلى محتشدات المعتقلين، في شتى مناطق الوطن؛ وقد كان أول ما ابتدأ به المستعمرون في الخنقة، هو جمعهم لأي نوع من السلاح كان وخاصة بنادق الصيد المسجلة بصفة رسمية، أما غير المصرح منها أخفيت لتسليمه سرا للمجاهدين؛ وحتى لا يسمع الناس بأنباء الثورة التي كانت تبثها الإذاعات العربية وخاصة صوت العرب من القاهرة، وصوت الجزائر من تونس، جمعها لجمع أجهزة الراديو الموجودة بالخنقة مع قلتها، لفرض حصار إعلامي عليها، لكي لا يسمع الناس إلا الأنباء التي يذيعها العسكر أثناء التجمعات الدورية، وللاحتياط أكثر من قبل المستعمر كان يمنع استراد البطاريات الخاصة بها، وأيضا منع التجول ليلا وإخفاء الأنوار وذلك من الغروب إلى طلوع النهار، طوال سنوات الثورة، حتى أن صلاة العشاء والصبح جماعة في المساجد ألغيتا، وأن أذانهما كان يرفع من سطوح منازل المؤذنين، ومن ناحية فإنه ينبغي أن لا يظهر أي بصيص من النور مطلقا، ولهذا ترى الناس في منازلهم يحكمون سد شقوق النوافذ لئلا يظهر منها أي ضوء يكون سببا في جلب تهم لهم ويسبب لهم متاعب هم في غنى عنها، وهذا يعني أن الناس يقضون لياليهم في فصل الصيف الذي لا تطاق حرارته في غرفهم دون الخروج إلى الهواء الطلق، ولياليي الشتاء طويلة ومملة، وكم تتخلل تلك الليالي أصوات إطلاق النار والقصف بالمدافع، الذي كان يثير الرعب في النفوس، ويوقظ

(1) **انظر**: المرجع السابق، ص:39، 40.

الأطفال مرتعشين من الهلع، ويزعج الجميع باستمرار؛. وفي النهار على كل راغب في السفر إلى أي مكان، أن يتقدم شخصيا إلى المصلحة الإدارية الخاصة(لاصاص) ليقدم أسباب تنقله إلى حيث يريد، التي ينبغي أن تكون مؤسسة، مع تحديد المدة طبقا لأهوائهم بأدنى زمان، فيستظهر بها عند كل حاجز عسكري، ثم يعيدها إلى المصلحة عند الرجوع، مؤشرا عليها من السلطات المماثلة في البلد الذي قصده، وبهذه الكيفية صار التنقل صعبا جدا، فألغي قضاء كثير من مصالح الناس..؛ ولم يكف المستعمر حصاره المسلط على الخنقة، بواسطة الحواجز العسكرية، بل عمد إلى بناء صور عليها، خاصة بعد مشاركتهم في الإضراب العام التاريخي، إضراب الثمانية أيام من 28إلى يوم 04 فيفري 1957مالغرض منه تخفيف وطأة المتسربين (مناضلين ومسبلين)، ومضايقة سكان الخنقة العاديين، فلا يخرجون إلى ما خلفه إلا من حيث يريد المستعمر، وليجعل من الخنقة سجنا كبيرا يراقب من يوجد داخله، ولتسهيل عملية محاصرتها متى شاء، وقد دام بناء هذا السور ثلاث سنوات تقريبا، من 1955م-1957م، بني معظمه بواسطة التسخير الإجباري المسلط على السكان والمساجين، وبهذا السور أصبحت الخنقة كالحظيرة الكبيرة، لا يدخلها الناس ولا يخرجون منها إلا من بابيها الشمالي حيث مقر الجيش الفرنسي، والجنوبي عند منحدر الطريق والذي به حاجز دائم. ومن أشكال معاناة سكان الخنقة أنه في كل مرة يكتشف فيها المستعمر شبكة للمناضلين، أو يعلم التحاق بعض الشباب بالمجاهدين، إلا وينتقم انتقاما وحشيا، فيقتل من يقبض عليهم، فإن فلتوا منه يوجه انتقامه إلى أهلهم وذويهم ولجميع سكان الخنقة، فيسومهم بشتى أنواع العذاب، كالحصار على القرية وفرض عقاب جماعي على أهلها، فلا يسمح لهم بالخروج منهامطلقا، من يومين إلى ثلاثة إلى أسابيع وأشهر أحيانا، كما حدث في صيف 1957م حيث دام الحصار أربعين يوما، لا سفر ولا خروج خارج الأسوار حتى إلى الوادي أو إلى غابات النخيل والأجنة، ولا خروج حتى إلى الرعي، مما ألحق بهم وبمصالحهم أضرارا بالغة، إذ حدث هذا مرة في وقت تأبير النخل، فلم يؤبر والنتيجة الحتمية لذلك هي أن المحصول كان صيشا، ومرة حصل في وقت جذاذ التمر فلم يجذ ففسد، ومرة أخرى في وقت كان النخيل فيه محتاجا للسقي فلحق الغلة فساد كبير. وقد يكون عن طريق حشد الناس في محتشد ما لمدة يوم كامل رجالا ونساء، فيتركون منازلهم خاوية مفتوحة الأبواب لتدخلها فرق التفتيش العسكرية لتعيث فيها فسادا، والجميع في العراء تحت أشعة الشمس الحارقة، النساء والأطفال بجانب والرجال بجانب آخر والحرس محيط بهم لا حول لهم ولا قوة، وقد يكون فيهم المريض والعاجز دون أن يأبه بهم أحد، وفي بعض الأحيان يترك النساء وحدهن في المنازل ليستقبلن فرق التفتيش بينما الرجال محتشدون، ناهيك عن التجمعات الأخرى العادية التي يجمع فيها الضابط العسكري جميع الرجال، لتبليغ التعليمات والتوصيات، ولتقديم التوجيهات، وتزويد السكان بالأخبار عن الانتصارات المزعومة، ولتوضيح السياسة العامة لفرنسا في الجزائر...الخ.؛ أما عن السخرة الجماعية والقيام بالأشغال الشاقة فحدث ولا حرج، بسبب وبغير سبب، و سواء دعت الحاجة للقيام بعمل ما أم لا، وسواء أكان المكلف بالعمل قادرا عليه أم لا، ولعل ما علق بالأذهان من السخرة

الجماعية لأهالي الخنقة، أنهم كلفوا بالحفر ودفع النقالة المحملة بالتراب..، وذلك في أكبر عملية لإزالة المرتفع الذي كان موجودا بين حارة كرزدة ومكان سكنى الضابط العسكري وحرسه في المدرسة القديمة، إذ أزيل ذلك المرتفع كله بأيدي سكان الخنقة في مدة استمرت حوالي تسعة أشهر، ما تسب في مرض العديد من أولئك ومعناة العديد منهم بآلام الظهر والأطراف مع الإرهاق والتعب الشديدين.؛ومن أشكال معاناة الخنقيين في تلك الفترة تهديم المنازل التي كان يسكن فيها أولئك الذين التحقوا بالمجاهدين، فكانت تلك الألغام التي توضع تحت منازله لتهديمه كثيرا ما تلحق أضرارا بالغة بالمنازل المجاورة لها، بالإضافة إلى حجز نخيلهم وتعليمه بالجير لئلا يأخذه أحد، التي يعين الضابط لها من يجذها وينقل تمرها إليه؛ والواقع أن التهديم في الخنقة لم يمس هذه المساكن فحسب، بل مس حارة كاملة، ألا وهي حارة كرزدة التي تظم عددا كبيرا من المنازل، والتي تعتبر أعلى نقطة في الخنقة، وتشرف على المدرسة القديمة، وتكشف إقامتهم بقربه، ولهذا أخرج سكانها منها سنة 1955م، وحل العسكر محلهم فيها مدة، وبعد خروجهم منها هدموها بالكامل، فأصبحت أثرا بعد عين، وبنوا بها مخفرا به حراس دائمون يراقبون البلدة كلها من كل جهاتها فما يجري هنا أو هناك إلا وكان تحت أعينهم؛ هذا وقد مس التهديم أيضا جميع الجدران الفاصلة بين الغابات، فأصبحت كأنها ملكا لشخص واحد، وذلك بسبب خوفهم من أن يتستر وراءها المجاهدون فيسددون لهم ضربات قوية من خلفها...، لقد صدق فعلا الاستعمار حينما علق منشورا بمدينة خنشلة يقول فيه: (..سكان الخنقة كلهم فلاقة..)[1]، ولكن هيهات هيهات فدوام الحال من المحال، ومهما طال الليل فلابد من طلوع الشمس، لتنال الجزائر حريتها واستقلالها بعد جهاد كبير، بدأ بالمقاومات الشعبية، ثم بالمقاومة السياسية في أوائل القرن العشرين، ختاما بثورة شعبية مسلحة شاملة، دامت سبع سنوات ونصف، أظهرت فيه بطولات شهد لها التاريخ، بذلت فيه من الأنفس والمهج ما بلغ المليون ونصف المليون شهيد، وكان ذلك يوم 5 جولية 1962 الذي صار يحتفل به كل عام عيدا للاستقلال، وبذلك بدأ العهد الجديد، عهد الجزائر الحرة المستقلة، فيا ترى كيف نجد حال بلدة خنقة سيدي ناجي في هذا العهد.[2]

---

[1] وردا على ذلك قال السيد بلمكي سي صالح قصيدة مطلعها:

ثق يا دقول بأن لنا * رجالا أبات أبات أبات

فعزمهم راية تخفق وعز يعم الربا والواحات

وذلك هو غرام الجميع فلا يغرنك ما تشتري من رعات

انظر: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.

[2] **راجع**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م – 2002م، خنقة سيدي ناجي أثناء الثورة التحريرية، أ. محمد موهوب بن أحمد بن حسين، ص:41- 49(بتصرف). **انظر**: المرجع السابق، الخنقة جوهرة وادي العرب، محاضرة ألقاها المرحوم الشيخ عبد الحفيظ بلمكي (إمام ومدرس) في مهرجان وادي العرب الأول بزريبة الوادي المنعقد بين 25و31 مارس 1988م، ص: 78،79.

المطلب الثالث: الخنقة أثناء فترة الاستقلال الوطني.

اقترحت أن يكون هذا المبحث بقلم أبناء الخنقة الذين عاشوا فيها وأحبوها وسمعوا كثيرا عن أخبار تاريخها وأمجادها وسير علمائها وصلحائها التي كان يرويها الأباء عن الأجداد، ولم أشك أنهم سوف يكون تعبيرهم ووصفهم أبلغ وأصدق لهجة مني في وصف حاضر الخنقة وما آلت إليه بعد أيام عزها ومجدها، وفعلا أتحفنا السيد عبد الغني بن حسين في هذا الصدد بقصيدة نونية تتألف من 57 بيتا، عنوانها: [**غادة الوادي**]، أتمها في يوم 26 محرم 1430هـ الموافق لـ 10-12-2012م، وهي قصيدة رائعة، متينة في بنائها، معبرة مؤثرة من حيث دلالاتها ومضمونها ومعانيها، وهي من البسيط التام، نظمها في خنقة سيدي ناجي، وهي في الحقيقة مرآة لهافي ماضيها الزاهر المشرق تعكس مجدها التليد[1]، وعن حاضرها الحزين المؤسف، ترثي حالهاالحاضر المرير السيئ، وما آلت إليه من انحطاط وتقهقر وترد، تضيق له النفس، ويعتصر لها الفؤاد أسفا. قال في مطلعها:

---

[1] للعلامة الشيخ المكي بن عزوز، قصيدة عصماء نادرة (مخطوطة) تتألف من 33 بيتا، أفادني بها السيد عبد الغني بن حسين. القصيدة أرسلها الشيخ المكي بن عزوز من **الأستانة** في **تركيا**، إلى صديقه السيد: مكي محمد ابن أحمد بن ابراهيم الخنقي، وكان قاضيا بسيدي عقبة، وذلك في 24 شعبان 1326هـ الموافق لـ 19 أوت 1911م. القصيدة يصف فيها الشيخ المكي بن عزوز أشواقه وحنينه لخنقة سيدي ناجى ذاكرا لتاريخها الحضاري المليئ بالعلم والأمجاد. نقتطف منها هذه الأبيات:

رسائل البعد تحيٍّ من تُوافيه * تجدد العهد تنمي الشوق تذكيه

خير من الرسم تصويرا وآنس من * طيف أتى دون علم من أهاليه

قل للبريد احملن للغرب قافية * كالدر في صدف حفظا تواريه

واعمد سلمت إلى قطر الجزائر * لا تلوي على بلد يبطيك وإليه

واقصد إلى طود شاشار ترى جبلا * حوى الجمال بباديه وخافيه

هناك قوم عزيزات شمائلهم * من خاف تيها فنفخ الطيب يهديه

عرائس العلم تجلى في منصتها * حفت بأخلاق مسك جل باريه

بلغ سلامي إلى آل الحسين فهم * قطب الرحى زينة النادي ومعليه

وافت لكم من ديار الشرق غانية * شعورها سافر للب يسبيه

جبينها كهلال راق منظرها * والثغر نجم وبرق النحر تاليه

تركية أدبا غربية شيما * مكية أفقا للشوق تحكيه

دامت سعادتكم في كل آونة * وكل حين لكم تترى تهانيه

أَأَعْوَزَتْ غَادَةُ الوَادِي(1) وَلَمْ تُعَنِ * حَتَّى أَرَاهاَ بَعْدَ الزَّهْوِ في شَجَنِ ؟

أَمْ رُمِّلَتْ ثُمَّ ثُكِّلَتْ فَلَمْ تُصَبِ * مُصَابُهَا بِنْتُ أُنْثَى سالَفَ الزَّمَنِ ؟

أَمْ أَنَّهُ الهجْرُ من نَسْلٍ وأَهْلِلَهاَ * حَتَّى بَدَتْ لِلْعِيَانِ اليَوْمَ في غَبَنِ ؟

أَمْ أَنْتِ بَعْدَ مَدًى ضَحَيَّةُ العَبَثِ * فَآلَ أَمْرُكِ خُرْبَةً ولم تُصَنِ؟

أم صِرْتِ كالظَّالِمِينَ أَهْلُهاَ فَهُمُ * كالحِجْرِ أَوْ إِرَمٍ الكُلُّ في الدَّفَنِ ؟

فَويلَ عاثٍ عَثاَ فيكِ ولم يَتُب * إِنَّ العُثُوَّ شَنِيعُ الفِعْلِ في السُّنَنِ ؟

وَوَيْحَ مَنْ، كَرَماً جُدْتِ عَلَيْهِ بِهِ * فَكَانَ حِينَ تَوَلَّى مُخْرِبَ الوَطَنِ

وراحَ بَعْدَ تَوَلٍّ فَاخِراً مَرِحاً * كَأَنَّهُ العَهْدُ قَدْ وَفَّى ولَمْ يَخُنِ

وَوَيْحَ قَوْمٍ تَسُوسُهُمْ رُذَالَتُهُمْ * وَوَيْحَ رَبْعٍ يُحَابِي فائِضَ الدَّرَنِ ؟

ضَلُّوا فَذَاقُوا وَبالاً بَعْدَ مَنْزِلَةٍ * كَأَنَّهُمْ قَوْمُ مُوسَى دَائِمُو المِْحَنِ

كَمْ سامِرِيًّا لَهُمْ نَحاَ بِهِمْ سُبُلاً * فَكَانَ ماَ صارَ مِنْ شانَتْ وَلَمْ تَزِنِ

فَهَلْ أَرَى أَمَلاً والنَّفْسُ قد عَلِمَتْ * هُجْرَانَهُمْ دَأْبَ كُلِّ كَيِّسٍ فَطِنِ ؟

يَا غَادَةَ الغُنْجِ أَنْتِ خنقةُ المِنَنِ * أَنَّى لَكِ الدَّهْرَ بَعْدَ الهُْونِ مِنْ رَدَنٍ ؟

قَدْ كُنْتِ رَيْحَانَةً واليومَ ذاكرَةً *)تَلغُو بِها أَسَفاً أَشْعاَرُ ذي يَلَنِ(2

المنشؤُونَ لَهاَ أَنْوَاءُ تُربتِهَا * كانُوا فَغَابُوا فَجَفَّ الضَّرْعُ باللَّبَنِ

ثم يتوقف الشاعر مشيرا إلى الرؤيا التي رآها مؤسسها الشيخ المبارك بن القاسم بن ناجي ، حيث أمره رسول الله ﷺ بعمارتها، كما تحدث عن وصف حالها زمن رقيها وازدهارها، وفجأة يتذكر ما آلت إليه من ترد فيتألم لحالها، ثم يواصل حديثه متحصرا فيقول:

كَمْ من أُلوفٍ عليهاَ أُنفقت ذَهَبًا * أَضْحَتْ ضَحِيَّةَ جيلٍ غَيْرِ مُؤْتَمَنِ

(1) الغادة: هي الفتاة الناعمة اللينة، والوادي: يقصد به وادي العرب. الذي تربض خنقة سيدي ناجي على ضفافه.

(2) كناية عن الشاعر ناظم القصيدة، عبد الغني.

فهل تَرَى اليومَ صاَحٍ من بصيصِ رَجاَ * في نَشْءِ خنقتنا طِوَالَ ذاَ الوَهَنِ ؟

وَاقْهَرْ وُلاَّةً تناسُوهَا عَلَى نُكُرٍ * واسْلُبْهُمُ نِعْمَتَيْ العقلِ والبدَنِ

ضَنُّوا عليها وظَنُّوا أَنَّهُم أَشِروا * بُعداً لحمق عَمُوا عن باهضِ الثَّمَنِ

قَدْ كانَ في الأَوَّلِينَ عبرةٌ لَهُمُ * لكنهم جَمَعُوا حَيْناً إلى حَوَنِ

زَقُّومُ ربي وُقِيناَ شَرَّ نَظْرَتِهَاَ * فَشَرُّ خلقٍ خبيثِ الأَصْلِ والفَنَنِ

يا أهلَ حَاضِرَةٍ—كَانَتْ— أَمِنْ فَطِنٍ * بعدَ السُّبَاتِ تُمِدُّ الجِسْمَ بالدُّهُنِ ؟

يَاَ زَائِرَ الرسمِ هذا حَال **خَنقتِناَ** * فاَنْظُر مَلِيًّا سليمَ القلبِ في المتُنِ

إن الرجالَ بمنجزاتِهم صَنَعُوا * تاريخَ مَجْدٍ لناَ أَزهى من السَّلَنِ

واحكمْ على من عَثاَ إن كُنْتَ مُقتدراً * وامدُدْ لَهَاَ مَدَّ محبوبٍ أبي مِنَنِ

واسكُبْ دُمُوعاً على عهدٍ مَضَى بَلَغَتْ * فيهِ الثُّرَيَّا بأيدِي الحزمِ لاَ الرَّعَنِ

وامدَحْ شُمُوساً بأنوارٍ لَهَا سَطَعَتْ * وارْجُمْ شُرُوراً كَضَرْبِ السُّوسِ باللَّعَنِ

صُفْرًا تَرَاهُمْ إذا سيقَتْ لَهَا فُضَلٌ * كأَنَّهُمْ صُفَّدٌ يُلَقَّوْنَ في الأُتُنِ؟

سُبْحاَنَ رَبِّ أهذا الإرثُ، أَمْ خُلُقٌ * يُدْمِي قلوباً، فلا يُنْهَى إلى أُذُنِ؟

ملحوظةُ الورتِلاَنِ حينَ رحلتِهِ * فاقرأْفُصُوصَهُ في الترحَالِ لاَ العَدَنِ

يَاَ تَوأَمَ الرُّوحِ صَبراً عَلَّ مَأْمُولَكِ * في فَيْضِ دَولَتِناَ يَقْضِي على الْجَحَنِ

أما السيد: سعد السعود شخاب في نفس السياق له قصيدة حائية رجزية بعنوان: [مرثية خنقة سيدي ناجي] تتألف من 44 بيتا، نقتبس منها هذه الأبيات المعبرة:

يَاَ خنقةَ العِزِّ التي قدْ ذَهَبَتْ * تائهةً في تِيهكِ الأَرواحُ

يا خَنقةَ الحسنِ التي قد رفرفت * نَحْوَ الفَضاَ .. قَدْ كُسِرَ الجناحُ

يا بلدةً تغربتْ في بلدةٍ * إذْ كَثُرَ النعيقُ والصِّياحُ

في غربةٍ غريبةٍ كَأَنَّماَ * تَراكمتْ من فوقهاَ الأَتراحُ

الحزنُ نامَ في رُمُوشِهاَ وماَ دَرتْ * ينامُ في طياتهِ الإصباحُ

والحبُّ ماَتَ تحتَ أقدامِ الوَرَى * فَلَمْ يَقُم من بَعْدِهِ إصلاحُ

حزينةٌ جِبَالك أنانةٌ * قد أَوَّبَتْ لحزنِهَا أَرواحُ

سقائفٌ تَئِنُّ إذ تَوَحَّشَتْ * قَدْ زَغردَتْ في صمتهاَ الرِّياَحُ

وَوَلْوَلَتْ قبابُنَا من بُؤسِهَا * حِيطاَنُنَا كَأَنَّهاَ أَشباَحُ

خاويةٌ دُرُوبُهاَ من دمهاَ * -تَفَضُّلاً- أَيقظهاَ السيَاحُ

خاليةٌ ألواحُناَ من خَطِّهاَ * تَهشمَتْ وأُطفئَ المصباَحُ

محرابناَ يبكي على أيامِهِ * على الذينَ ماؤُهُمْ قَرَاحُ

يبكِي رجالاً من هُناَ قَدْ رَحَلُوا * يَبكِي الذينَ ليلُهُمْ إِصْبَاحُ

لو كَشَفَتْ صُخورُك العَطشَى لنا * عن وَجْدِهَا لَرَدَّدَتْ بِطاحُ

لو بَثَّتْ النخلاتُ ذاتَ صدرهاَ * عَلَتْ جميعَ سعفهاَ الأَمداحُ

تَهدَّلتْ خرقتُكِ الخضرَا على * تاريخناَ وجفَّتِ الأقداَحُ

جَفَّتْ ينابيعُ الهوَى غائرةً * مُذْ فارَقَتْ طينَتُكِ الأرواحُ

ياويلتاَ على الذين فارقُوا * في عمقنا من فقدِكُم جِرَاحُ

ذَوَّبَنِي أنينكُم .. حنينكُم * هاَ، دَمُنَا من ضُرِّكُم نَوَّاحُ

مَوؤُودَةَ التاريخِ والعلمِ هُناَ * مَتَى يُرى بابُكِ الإصباحُ؟

يا مَوْردَ النَّعامِ والعلمِ الذي * مِشكاتُه رَيْحَانُها والرَّاحُ

لماَّ رأى كُنُوزَها أهلُ التُّقى * لم يملكُوا من أمرِهِم أن صاَحُوا

وفي إحدى زياراتي لخنقة سيدي ناجي التقيت بأحد أبنائها وهو السيد: ابراهيم ونجلي (المولود سنة 1954م).ابن شهيد، يقول عن نفسه أنه من خريجي المعهد الإسلامي ببسكرة سنة 1977م. اكتشف رغبته في قول الشعر بعد تقاعده وخروجه من التعليم، له قصيدة يتيمة مقصورة فقط على الخنقة، لم تكتمل بعد في كل مرة يضيف لها أبيات جديدة من خواطره، وقد بلغت أبياتها أثناء لقائي به حوالي 40 بيتا. مع العلم أن القصيدة هي في الحقيقة محاولة شعرية غير ملتزمة بالقواعد اللغوية والصرفية والعروضية، أقتبسنا منها بعض الأبيات المعبرة لمناسبتها الموضوع حيث يصف حال خنقة سيدي ناجي أيام تدهورها وذهاب أمجادها وعزها بقوله:

يادِمْسُ هَواؤُكِ كَمْ أَنْعَشَنِي * ويا رَحْبَةً رِجَالاً أَيْنَ ذَهَبَتْ

وياصومعةً سَكَتَ آذَانُهَا * ويا مدرسةً أقلامُهَا جَفَّتْ

ويا ساريةً ما زالَتْ شاَمِخَةً * رغمَ القرونِ التي وَلَّتْ

وياتربةً فِيكِ أَسْياَدُناَ * قُصُورُهُمْ حَوْلَكَ شُيِّدَتْ

ويا جَامِعَناَ في يومِ الجمُعَة * أَرَى أَبوابَكَ قَدْ أُصِدَتْ

خَنْقَةُ الأهل أَنَا مُتَيَّمٌ * بِحُبِّكِ مَوهبتِي تَفَتَّقَتْ

ملحمةُ الشِّعْرِ قُلْتُهاَ * لأَجْلِ بِلاَدِي التي هَوَتْ

كُلُّ بَلَدٍ دخلْتُهُ بِأَرْجُلِي * إلاَّ الخنقَةُ بِرَأْسِي نَزَلْتْ

أينما كنتُ فالخنقةُ قِبْلَتِي * وصلاَتِي الوُسْطَى في كُلِّ وَقْتْ

إن كُنْتُ أُحِبُّ أُمِّي فَلِأَنَّهاَ * في الحملِ والتربَيَّةِ كَمْ عُذِّبَتْ

لكن أُحِبُّ الخنقةَ أَكْثَرْ لأَنَّهَا * نَحْنُ الإِثْنَيْنِ لَناَ أَنجبَتْ

الفصل الثاني

تعريفات وسير وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التعريف بمؤلف الحكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

(1203هـ-1789م/1267هـ-1850م)

المطالب الأول: نسبه وأسرته.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته التعليمية.

المطلب الثالث: عودته من الحج ونشاطه بعد وفاة شيخه.

المطلب الرابع: تصانيفه مؤلفاته.

المطلب الخامس:ترجمة لبعض تلامذة الشيخ الخنقي.

المبحث الثاني: المقاومة الشعبية، وجهاد الشيخ عبد الحفيظ للمستعمر استشهاده.

المطلب الأول: المقاومة الشعبية أثناء احتلال الأوراس وبسكرة:

المطلب الثاني: مقاومته للاستعمار واستشهاده

المبحث الثالث: التعريف بشارح الحكم الشيخ محمد المكي بن الصديق

(1217هـ-1311هـ/1802م-1894م)

المطلب الأول: مولده ونشأته، وأسرته.

المطلب الثاني: شيوخه.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المبحث الثالث: التعريف بالحكم تأليفا وشرحا

المطلب الأول: التعريف بالحكم.

المطلب الثاني: حكم ابن عطاء الله السكندري.

أولا: الحكم العطائة نصا.

ثانيا: الحكم العطائية شرحا ونظما وتبويبا

المطلب الثالث: الحكم الغوثية وشراحها.

المطلب الرابع: الحكم الحفيظية وشرحها.

المبحث الأول

التعريف بمؤلف الحكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

(1203هـ-1789م/1267هـ-1850م)

المطالب الأول: نسبه وأسرته.

هو عبدالحفيظ بن محمد بن أحمد بن عبد الحفيظ بن أحمد بن محمد الحفيظي ... بن سيدي **هجرس**[1] بن سيدي علي الشريف وهو أحد الأشراف الأدارسة الناشئ في فاس بالمغرب، ويقال أن أصل عائلته من **سيدي عيسى**[2]- ولاية المسيلة - وهم من بني هجرس العامري، الونجني ويقال الونجلي الحسني، قال إسماعيل باشا البغدادي صاحب هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين:(وانجن) قوم أشراف في **جبل أوراس**[3] ؛ وقد ترجم له الشيخ عاشور الكليبي بقوله: (.مظهر الذات العلية وصفاتها العليا وأسمائها الحسنى، أبي الحفائظ، الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي، الشريف الهاشمي الفاطمي، الحسني الكاملي، الإدريسي الهجرسي العامري الونجلي، على ما حققه بعض أكابر العلماء، وأرباب الرسوم والشجرات الصحاح، خلافا لابن خلدون في زعمه أن الهجارسة من عرب رياح)[4]، أما جده فهو الولي الصالح الداعي إلى الله العلامة الشيخ سيدي أحمد بن محمد الحافظي، كان يسيح في نواحي الأوراس يعلم الناس الشريعة، وتوقف مدة في الزاب الشرقي قادما من ورقلة، وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري أسس في زريبة الوادي زاوية لتعليم القرآن وعلوم الشرع وغيرها، وقد ذكرها الشيخ الورتلاني في رحلته، حيث وجد

---

(1) الولي الصالح الشيخ سيدي امحمد بن علي الملقب بـ:سيدي هجرس، ولد بقرية اسلاحة بإقليم فاس بالمغرب سنة 500هـ/1106م، ولما بلغ عشرين سنة انتقل منها إلى قلعة بني حماد ناويا الإقامة بها، وخرج منها أيضا في سنة 540هـ، وتبعه جمهور نحو المئاتين، ونزل ببرج الطابية، توفي سنة 598هـ/1201م وترك ثلاثة أولاد، **أكبرهم** سيدي قديم، **والثاني** سيدي عامر، **والثالث** سيدي عبد الرحمان المعروف بـ: سيدي زرزور دفين وادي بسكرة، تتصل سلسلة نسبه بالأشراف الأدارسة. **انظر**: بيان شجرة أصل سيدي هجرس منقولة من وثيقة مؤرخة سنة 1163هـ/1749م، نسخة من الوثيقة لدى الباحث تحصلت عليها من السيد سعد السعود شخاب بسكرة.

(2) تقع على أقصى الشمال من ولاية المسيلة على الحدود مع ولاية البويرة، وهي مدينة قديمة بها آثار رومانية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الولي الصالح سيدي عيسى شريف بن امحمد بن ناصر المسمى عليه سيدي امحمد في الجزائر العاصمة، وتعد سيدي عيسى ملتقى العروش حيث يقطن بها أكثر من 10 عروش. انظر الموقع الرسمي لولاية المسيلة (http://www.msila-dz.org/)

(3) أما صاحب كتاب جمهرة أنساب العرب والبربر يقول:.. أن وانجن هم ذرية بن وارم نجوم ابن مدغاسن بن الهاص بن بطوفت بن نفران بن لوي الكبير بن الكنعاني، وبنو وانجن فريق معروف يوجد بين بلدية قايس وجبل شلية (مادغاسن) وهو صاحب القصر العظيم الكائن غرب بلدية عين ياقوت و مشرق بلدية المعذر.

(4) كتاب منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف، للشيخ عاشور الكليبي، ص: 14 في آخر الكتاب عندما ترجم لنفسه وشيوخه.

فيها كرم الضيافة وحسن الاستقبال سنة 1179هـ/1765م، ثم انتقل إلى جبل ششار قريبا من **جَلاَّلْ**[1] حيث شجع السكان على غرس أشجار الزيتون، وهناكصحبه قائد قبيلة أولاد سيدي ناجي، **محمد بن محمد الطيب**[2] بن أحمد بن المبارك، ودعاه لتدريس العلم والرياضيات والفلك في المدرسة الناصرية التي أنشئت بالخنقة، فلبى الشيخ الدعوة وشيد بها زاوية سرعان ما ذاع صيتها وتوسع إشعاعها، وتوفي الشيخ أحمد في بداية القرن الثاني عشر الهجري ودفن في الخنقة مخلفا ابنه الشيخ عبد الحفيظ الذي واصل مسيرة سلفه إلى أن توفي، وخلفه ابنه أحمد ثم محمد ثم ابنه الشيخ عبد الحفيظ رائد الطريقة العزوزية الرحمانية الخلوتية.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته التعليمية.

ولد الشيخ عبد الحفيظ سنة 1203هـ/1789م، وهو من عائلة بسيطة تعيش من فلاحة الأرض و الماشية، عاش طفولته في ششار بقرية (**تيزينت**)[3]من قرى جلال، قبل أن يرسله والده[4] على إثر أخيه أحمد[5] للخنقة لحفظ القرآن الكريم، وحينما أتم حفظ القرآن الكريم، لازم حلقات العلم والدرس فأخذ عن علماء الخنقة وفقهائها، فنون العلوم التي كانت تدرس في ذلك الوقت من علوم الدين والشريعة من فقه وتوحيد إلى علوم الآلة من لغة حساب وفلك، ثم انتقل إلى مدينة سيدي عقبة المشهورة بالعلم في ذلك الوقت للأستزادة من العلم والأخذ عن علمائها، فصادف أن رآه الشيخ محمد بن عزوز البرجي في إحدى زياراته لـ: سيدي عقبة فلفت انتباهه وتوسم فيه خيرا، فكان أن أوصى أستاذه أن يوجهه إلى البرج عند إنهاء دراسته، وفعلا شد رحاله إلى برج بن عزوز محملا بأمتعته وكتبه، وأثناء طريقه إليها مر بقرية **أوماش**[6]، فعرض عليه شيخ قبيلتها من أولاد علي المكوث عنده لتدريس وتعليم أبنائه، فلبث هناك

---

(1) تقع جلال جنوب مدينة خنشلة على بعد 72كلم، وهي قرية مشيدة فوق جبال صخرية مما يعطيها نضرة جمالية منقطعة النظير، وهي متكونة من عدة قرى أهمها تيزينت والصومعة والفيض الأبيض وتمايت، تشتهر بإنتاج أحسن أنواع الجوز واللوز والنحل والزيتون وطنيا .

(2) تولى تسيير شؤون الخنقة سنة 1107هـ/1696م، شهدت الخنقة في عهده قفزة هائلة في مجالات الزراعة والتعمير، وخاصة إعادة تشييد مسجد سيدي المبارك ليصبح منارة عبادة وعلم لفترة طويلة، وكان إلى جانب كونه قائدا سياسيا بارعا، كان عالما وفقيها ومفتيا، ومؤلفا صاحب كتاب– عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام–، **راجع**: حياته في البالب الأول، الفصل الرابع.

(3) تبعد قرية تيزينت بـ 50كلم على جلال وهي قرية صغيرة تمتاز بمناظر خلابة وجميلة، تمتاز بتربية المواشي والماعز الجبلي.

(4) والده رجل صالح أسرته تنتمي إلى عرش لعشاش بين خيران وخنشلة، وأصلهم من قلوع التراب و عالي الناس التي تبعد حوالي 10كلم على ششار وهي مقر عرش لعشاش.

(5) كان عالما فقيها حتى أنه كان يلقب في زمانه بالخنقة بـ: مفتي الديار التونسية. عن منذر عن والده عبد الحفيظ عن الطيب حفيد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.

(6) تبعد بحوالي 22كلم جنوب ولاية بسكرة، يمر عبرها طريق الصحراء الكبرى، وهي مكان ولادة محمد شعباني أحد مجاهدي الثورة التحريرية.انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، النت.

ماشاء الله، ثم غادرها[1] إلى البرج للقاء الشيخ محمد بن عزوز البرجي، ومكث عنده ماشاء الله، ثم قفل راجعا لزيارة أهله وأسرته بالخنقة، سالكا طريق الجبل عبر البرانيس وجمورة، ثم منعة ووادي عبدي وأريس وخيران ثم الخنقة في نهاية المطاف[2]، وبعد وفاة والده[3]، انتقل إلى برج بن عزوز في طولقة وانغمس في طريق الصوفية ولازم مجاورة الشيخ سيدي بن عزوز البرجي واشتغل هناك بالعبادة وخدمة شيخه و سلك على يديه معارج الطريق حيث أدخله شيخه الخلوة ولقنه اسم الله الأعظم ونال منه ما شاء الله من التربية الروحية والعلم والبركة. ثم أجازه شيخه في الدعوة إلى الله وتربية المريدين،بعد عودتهم من رحلة الحج أين ظهرت عليه علامات الفتح والتوفيق، فقام بذلك بكل ما أوتي من قوة وجهد، وأصبحت زاويته في خنقة سيدي ناجي في ما بعد من أكبر معاقل نشر الطريقة الرحمانية بالخنقة ونواحيها في ذلك الوقت، وعمل على نشر التعليم والأذكار الصوفية، وتفرعت منها عدة زوايا في كل من القطرين الجزائر وتونس[4]، ولاحظ الباحثون الفرنسيون أن هناك فروعا للفروع أيضا، فزاوية نفطة والخنقة لهما فروع في الكاف وتوزر والقيروان، وأتباع في بنغازي وغدامس وجنوب طرابلس، والمدينة المنورة، وجملة الإخوان لهاتين الزاويتين (نفطة والخنقة) تقرب من أربعة عشر ألف شخص[5]

---

(1) غادرها على إثر وشاية لسكان البلدة به لدى شيخ القبيلة.

(2) لعل الشيخ عبد الحفيظ حينما سلك طريق الجبل عبر مسالك وادي عبدي إلى الخنقة يكون قد وطد هناك علاقته مع أهلها وتعرف على المنطقة وخاصة إذا علمنا أن في برج بن عزوز طلبة من أهل الجبل يزاولن دراستهم هناك..

(3) الذي كان معارضا انقطاع إبنه عن دراسته في سيدي عقبة والتحاقه بالشيخ بن عزوز بالبرج نواحي طولقة وقد اتفق أن شيخه بن عزوز قد زاره بالخنقة أثناء وفاة والده، فكان له عوضا عن أبيه إلى كونه شيخا له ومربيا مرشدا.

(4) **انظر**: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:04، ص: 151، ط01، دار الغرب الإسلامي. وقد بقي الشيخ على ولائه واتصاله بزاوية نفطة الرحمانية العزوزية وأبنائه من بعده، وكعادة الاستعمار الفرنسي يحاول دائما أن يؤجج الصراع والعداوة بين الطرق الصوفية وبين فروع الطريقة الواحدة، لأسباب تتعلق بتسهيل التحكم فيها، ولكن الإخوان لم يكونوا في غالب الأمر واعين لهذه الخطة، ولهذا نجد في هذا الصدد المصادر الفرنسية تذكر أنه كان في منافسة مع شيخ زاوية طولقة، ولذلك لم يعترف بمشيخته، كما أن أولاده ظلوا محافظين على هذا التنافس تعميقا وإمعانا منها في تكريس هذه العداوة في نفوس الأجيال اللاحقة، وفي نفس الوقت نلاحظ أن الروايات الشفهية تتجه عكس هذا الطرح.

(5) **انظر**: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج:04، ص: 152.

المطلب الثالث: عودته من الحج ونشاطه بعد وفاة شيخه.

ذهب مع شيخه محمد بن عزوز للحج سنة 1232هـ/1816م بصحبة تلاميذه النجباء الكاملين وهم: سيدي **علي بن عمر الطولقي**[1]، و سيدي عبد الحفيظ الخنقي، وسيدي مبارك بن خويدم البوزيدي دفين البرج، وسيدي أبوسته الدراجي، وكان الركب الذي سافر معه فيه سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان قبل استيلائه على عرش الملك، وقد ظهرت على الشيخ عبد الحفيظ علامات الفتح في البقاع المقدسة، وبعد عودتهم من الحج، وجدوا الوباء أو الطاعون ضاربا أطنابه في الزيبان، فكان شيخه محمد بن عزوز آخر من استشهد به[2] بعد أن حصد هذا الوباء ثمانية آلاف شخص كان ذلك سنة 1232هـ/1816م، أما هو فقد رجع إلى خنقة سيدي ناجي أستاذا مربيا، وبنى فيها مسجده المعروف سنة 1238هـ/1822م وبه زاويته لتعليم القرآن والذكر والعلوم الدينية، ثم قام بإنشاء عدة زوايا أولها بتونس عام 1233هـ/1817حيث كثف صلاته مع الشيخ مصطفى نجل شيخه بن عزوز بنفطة وتعاونا على نشر الطريقة السنية والقرآن الكريم والعلم الشريف، ثم انتقل إلى **تمغزة**[3] بالحدود التونسية، ثم انتقل إلى نواحي برج بوعريريج، ثم انتقل إلى نواحي الأوراس، ثم قفل راجعا إلى الصحراء نواحي الجلفة والأغواط وبوسعادة، وكان في كل مرة عند تأسيس فروع الطريقة كان يغرس فيهم تعليم القرآن والفقه والتوحيد وحب الوطن،

---

(1) هو علي بن اعمر بن أحمد بن عمر الشريف الإدريسي الحسني، نشأ ﷺ ببلدة طولقة مفتطما على حب العبادة والخلوة، أخذ الطريق على الشيخ بن عزوز الرجي، ثم لما قربت وفاة شيخه أوصاه على أولاده، فمنهم من مات وهو تحت كفالته، ومنهم من تولى رياسة الزاوية مدة وهو سيدي مصطفى قبل انتقاله إلى نفطة بتونس، أما عن سبب موته أنه كان في زمانه الناس تغزو بعضها بعضا، فمن ذلك أنه كان أحد المتولين في ذلك الزمان يسمى ابن عمر ومحطه ببلدة سيدي عقبة، فلم يخطر له إلا أن يغزو طولقة، فلما قدم إليها بخيله وجنوده نصب خيامه على قرب منها وطلب القتال من أهلها فاستجاروا به، فركب فرسه وقفل إليه فلما قرب منهم أطلق أحد الجنود عليه النار ظنا منه أنه شيخ البلدة، فوقع في الأرض فصاحت الناس قتل الشيخ، فحينئذ جاءه ابنه الأكبر سيدي علي بن عثمان، فرفعه إلى محله فجهزه ودفنه سنة 1258هـ/1842م فعاش رحمه الله نيف وتسعين سنة قضي جلها في خدمة الله وطاعته. **راجع**: شيخ العلماء المجاهدين نور الصحراء حياته وآثاره، علي الرضا الحسيني، ط2001م؛ الملتقى الأول للعلامة الشيخ محمد بن عزوز-نور الصحراء-من 16،17/07/1997م بزاوية الشيخ علي بن عمر طولقة، محاضرة أحمد بن السائح، أضواء على حياة محمد بن عزوز وأبرز مريديه، ص120. **راجع**: الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز، عبد الرحمان بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان ابن سيدي علي بن عمر، ص14-36..

(2) وقد ذكر الشيخ الطاهر بن الحاج الطاهر البوزيدي في كتابه المخطوط أنه أثناء غيبتهم وقعت مشاجرة بين عروش الشرق وبعض من أولاد سيدي أبي زيد.وعند عودة الشيخ ومن معه من الحج، تأسف على موت أولاد سيدي أبي زيد، وغاضه حالهم، ودعا لهم بالنقمة منهم، وجاء (الطايف) أي الوباء على أثر قدوم الشيخ وتوفي الشيخ بن عزوز عام 1233هـ بالوباء رحمه الله. دفن بقرية البرج القريبة من بلدة طولقة، وبها الآن ضريحه يأتيه الزوار من كل مكان، وقد ترك ستة أولاد كلهم مرشدون علماء صالحون، منهم سيدي مصطفى بن عزوز صاحب زاوية نفطة. **انظر**: مطبوعة خلية الاتصال ولاية بسكرة جوان 1997م، حول حياة الشيخ محمد بن عزوز البرجي **انظر**: تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناي الديسي (مدرس الجامع الكبير بمدينة الجزائر، ومرجع الإفتاء المالكي بالجزائر) ، مؤسسة الرسالة، ص483، ط2/1985م.

(3) تمغزة واحة جبلية بالجمهورية التونسية تقع في ولاية توزر.

وبعد أن اطمأن إليهم رجع إلى ناحية ليانة قرب زريبة الواد ولاية بسكرة فأنشأ في كل من خنقة سيدي ناجي و في خيران دائرة شاشار زوايا تابعة للطريقة الرحمانية تعلم القرآن والفقه والتوحيد وحب الوطن ونشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف[1].

وبعد أن ألحق به سكان الخنقة الكثير من الأذى حيث حرقوا له فراشه وعملوا له عدة مكائد، وأجبروه على مغادرة وطنه الخنقة[2]، هاجر إلى قرية (خيران) فاستوطن بها وزاول بها نشاطه الديني، حيث بنى فيها زاويته وبيته المسمى بـ (قصر الفلاح) وبجواره مسجد سماه (جامع الأنوار)[3] كان ذلك سنة 1248هـ/1832م. وبإلحاح من عائلة بن حسين عاد سيدي عبد الحفيظ إلى الخنقة، وكلف كاتبه الرسمي (سيدي محمد بن أحمد الخيراني) على زاوية خيران[4]

كان الشيخ عبد الحفيظ الخنقي من أبرز شيوخ الطريقة الرحمانية الخلوتية، حياته خصصها للدعوة إلى طريق الله وتربية السالكين وقد اشتهر بذلك شهرة كبيرة، لقي قبولا كبيرا لدى الناس وقد أحبوه حبا منقطع النظير حيث يتعلق به ويحبه كل من جلس معه وسمعه[5] إلى جانب ذلك كان عالما كبيرا تصدر الإفتاء والتدريس، كما أن علاقاته الاجتماعية الواسعة بحكم مصاهرته لأربع قبائل في منطقة الأوراس[6]

---

(1) عن السيد: محمد الطيب حفيظي المدير الفني لجريدة النصر، حيث سلم لي ورقة فاكس بها تلك المعلومات عن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أرسلت له من أحد أقاربه بفرنسا قال: أنه جمع معلوماتها من الأرشيف الفرنسي.

(2) بسبب حكمه لصالح أحد المتخاصمين إليه، لم يرض الطرف الآخر فتسببوا له في متاعب كثيرة بالخنقة إلى أن خرج منها مكرها، رواية شفهية عن الشيخ نور الدين بلمكي.

(3) طوله 30 ذراعا وعرضه 30 ذراعا، وبه 16 سارية، وفيه 66 مشكاة و 06 كواة، وله أربعة أبواب وعلوه نحو قامتين، والمسجد له حريم دائر وصحون وبيوت للطلبة، به خلوتان (إحداها في بيت الشيخ والأخرى في المسجد حَوَّلهَا محمد الرشيد إلى منارة المسجد عند تجديده للمسجد كما ذكر لي)، وقد أوقف أهل البر والإحسان على المسجد كتب دينية، وبساتين وأموال وأشجار مثمرة...**راجع**: نسخة من مجموعة وثائق مخطوطة تتألف من تسعة وأربعين وثيقة، يبدو أنها عبارة عن كناش خاص بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي دون فيه تاريخ ميلاد أبنائه وبناته، وبعض الأحداث التاريخية في حياة الشيخ، وفيه أيضا عقود مختلفة بيوع وأحباس، وعقود إشهاد وهبة...، بعض هذه الوثائق منسوخ بخط الشيخ عبد الحفيظ نفسه وبعضها بخط كاتبه الخاص أو غيره؛ أصل المخطوط لدى عائلة سي الرشيد بن البشير بن الأزهاري حفيظي بسكرة (1916/1993م) .

(4) رواية الباحث عن محمد الرشيد حفيظي، بسكرة سنة 1989م.

(5) ومما يروى في هذا الصدد في إحدى زياراته لشيخه بن عزوز تعلق به الناس وأحبوه فعند مغادرته برج بن عزوز بطولقة راجعا إلى الخنقة تبعه خلق كثير من أهل البرج فصعب عليه إقناعهم بالعودة إلى بلدتهم. **انظر**: تسجيلات فيديو لدى الباحث بتاريخ 2009/12/29م، مع السيد بن رمضان عبد الحفيظ رحمه الله القائم على زاوية بالرمضان الرحمانية ببسكرة.

(6) تزوج الشيخ عبد الحفيظ من أربع نسوة، الأولى من قبيلة أولاد سيدي موسى والثانية سرحانية والثالثة نموشية والرابعة بسكرية، وقد ولد للشيخ أولاد كثيرون منهم سبعة ذكور وسبعة إناث منهم رقية، واليامنة وحفصة وحفصية وتركية، ومحمد الحفناوي، ومحمود، ومحمد بن أحمد، وبلقاسم الجنيد. ومن أبرز أولاده الذين كان لهم شأن من بعده هم: محمود دفين تونس العاصمة، والحفناوي دفين توزر بالجريد التونسي، والأزهري دفين خيران، ولالة حفصة دفينة الشتمة. **انظر**: عبد الحفيظ الخنقي العالم المربي والصوفي المجاهد،

جعلته رجل قومه، قوي الشكيمة، صاحب سمعة طيبة بين القبائل، يستشار في كل صغيرة وكبيرة، ويحل المنازعات بين القبائل، منها وساطته الناجحة بين قبائل بني معافة، كما أن علاقته بالحاج أحمد باي كانت وثيقة، كما أن زاويته بالخنقة كانت مركز إشعاع ومنارة لطلاب العلم من كل جهة طيلة عقود من الزمن، تخرج منها عدد كبير من التلاميذ والمريدين، وانتشر صيته حتى شمل جهات عديدة، من منطقة بسكرة إلى جبال الأوراس، وامتد نفوذه حتى وصل إلى الجريد التونسي. قيل عنه في ديباجة كتابه المخطوط (رسائل الشيخ عبد الحفيظ في ذكر الجماعة) الموجود في مكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ما نصه: (العارف بالله تعالى العالم بالتحقيق العامل بالتدقيق، الخالص المخلص الكامل المكمل، الغوث المتحمل بإخوانه المزمل الشفيق بجميعهم الرفيق، عروة الوثقى وعلامة التقى من مثله قليل إلى الله الدليل، البار لكل عليل، الشافي للغليل، شيخنا وإمامنا وقدوتنا في هذا الشأن، أوحد وقته وعلامة زمنه، علم العارفين، قطب المهتدين، مظهر سنا الحقيقة، ومبين معالم الطريقة، العالم بالأسماء والحروف والدوائر، الجامع لعلم الظواهر والسرائر، صبغة الله الشيخ المربي سيدي عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الوانجني نسبا الخنقي مسكنا نفعنا الله به آمين)[1]. قال عنه الشيخ محمد المكي في معرض شرح بعض حكمه: (ما أوسع دائرته رضي الله عنه، حدث عن بحر علمه السري ولا حرج)[2]

المطلب الرابع: مؤلفات الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

للشيخ عبد الحفيظ مؤلفات كثيرة أغلبها في التصوف يقال أنها بلغت سبعة عشر تأليفا، في شكل أشعار أو رسائل أو كتب أو أحزاب أو مدائح أو إجابات على أسئلة فقهية أو غيرها، وهي في جلها تشتمل على تحليلات نفسية للنفس في مدارج السلوك ومقامات الولاية وطبقات أصحابها وأحوالهم، وغير ذلك من المسائل العرفانية العالية والوجدانية الدالة على رسوخه في علوم التصوف والتربية الروحية، إلا أن

عبد الحليم صيد، جريدة النبأ، العدد164/1994م. **انظر**: نسخة من مجموعة وثائق مخطوطة تتألف من تسعة وأربعين وثيقة، يبدو أنها عبارة عن كناش خاص بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي دون فيه تاريخ ميلاد أبنائه وبناته، وبعض الأحداث التاريخية في حياة الشيخ، وفيه أيضا عقود مختلفة بيوع وأحباس، وعقود إشهاد وهبة...، بعض هذه الوثائق منسوخ بخط الشيخ عبد الحفيظ نفسه وبعضها بخط كاتبه الخاص أو غيره؛ أصل المخطوط لدى عائلة سي الرشيد بن البشير بن الأزهاري حفيظي بسكرة (1993/1916م) .

[1] لقد ذكرتني بعض هذه العبارات في الديباجة التي تصف الشيخ عبد الحفيظ بالشفقة والرحمة والرفق بالناس ما ذكره لي السيد عبد الكريم بن عزوز (1926م) أثناء زيارتي له بمدينة نفطة بالجريد التونسي، أن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في إحدى زياراته لنفطة، رفقا بالكلاب المتشردة الظالة بالمدينة أوقف عليهم قطعة أرض لأجل إطعامهم، وهذه القطعة مشهورة عندهم لحد الآن باسم (**حبس الكلاب**) .

[2] **انظر**: ص: 685 من هذا البحث.

أغلب مؤلفاته ضاعت لعدة أسباب[1]. وسوفأذكر مؤلفاته التي ذكرها من ترجموا له، والمؤلفات التي عثر عليها الباحث أثناء مسيرة البحث وهي:

1. التعريف بالإنسان الكامل: لم أقف عليه.
2. حزب الفلاح ومصباح الأرواح: لم أقف عليه.
3. سر التفكر في أهل التذكر: لم أقف عليه.
4. غنية المريدين في التصوف: لم أقف عليه.
5. المجموع الفايق والدستور الرايق المسمى بالجواهر المكنونة والعلوم المصونة.وهو كتاب في التصوف وآدابه، ويحتوي هذا المجموع على عدة تآليف جامعة لشتات الآداب واللطائف في علوم الحقيقة والسلوك منها: بيان حقيقة الذكر والسلوك وأحوال المريدين ونحو ذلك من أعالي مباحث علم القوم، وله رسالة في امتزاج النفس بالطبائع وأسرار القلب وصفات الشيخ والمريد، وله حزب جميل وكنز جليل مذيل بجدول مختوم ببعض خواص اسم سيدنا محمد ﷺ، وله رسالة في سر دائرة الأولياء و أحوالهم ؛ وفيه جواب عن سؤال وجه له في الاسم الأعظم عرفنا الله به، وفيه أيضا رسالة نصرة المقتدي وتبصرة المبتدي في أحوال عظمة الولي؛ ورسالة في صفة أرض المحشر، وجواب عن سؤال هل يجوز لمشايخ الخلوتية العطايا الدنيوية؛ ورسالة أخرى في نبذة عن بيان سر التفكر في آلاء الله ونعمه ؛ ووصية الشيخ للإخوان في كل زمان، ورسالة في صفة العبد وعظم خلقته، وشرحه على نظمه المسمى غنية الفقير، وفصل ذكر فيه بعض أشعار المحبين، و منظومة في شروط حضرة القدوس ؛ ومنظومة تسمى نزهة الطريقة الخلوتية، و أخرى تسمى فراسة الكمل، ورسالة ذكر فيها ما ورد في مذهب أهل الحق، ومدائح وأدعية وأحزاب[2] من إنشائه. وقد تم طبع هذا المجموع بتونس بعناية الساعي في نشره نجله سيدي بلقاسم الجنيد ليلة النصف من شعبان سنة 1316هـ/1898م من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة و أكمل التحية و على آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

---

(1) منها إتلاف الاستعمار لزاويته أثناء الاحتلال، أو أن تلك المؤلفات وقعت في أيدي لم تعرف قيمتها العلمية فضيعتها، كما أن مؤلفاته عندما تقع في أيدي الإخوان يتقاسمونها بنية البركة فضاع الكثير منها لهذا السبب أو ذاك.

(2) مثل دعائه المشهور بـ حزب الفلاح، وهو يعتبر من أوراد الطريقة الرحمانية.

6. غنية القارى بترجمة ثلاثيات البخاري[1]: لم أقف عليه، إلا أن الأستاذ عبد الحليم صيد، يقول: إن الكتاب **لمحمد الصديق خان**[2]، قد يكون رأيه صحيحا، لأنه معقول ووجيه من الناحية المنطقية، إلا أن ثمة احتمال أن يكون المؤلف من جملة تآليف الشيخ عبد الحفيظ الحنقي،بحكم أن العلماء والمحدثون والمشائخ تسابقوا وتنافسوا منذ العصور الأولى في تحصيل السنة طاعة لرسول الله ﷺ ورغبة في الأجر، ولهذا كله كان السند العالي سنة محبوبة، وللقرب من رسول الله ﷺ رتبة مطلوبة، واعتنى أهل الحديث بتخريج عواليهم، وتبارزوا في الوصول إلى أرفعها درجة، طلبا للإسناد العالي، ورغبة في القرب من الرسول ﷺ، وقد أورد الحاكم: أن في طلب الاسناد العالي سنة صحيحة. وقال الطوسي: (قرب الإسناد قربة إلى الله تعالى)، ولذلك أكثر الإمام البخاري وغيره الرحلة في الأمصار والأقاليم طلبا لسند عال قل رواته ورجاله، وكان شديد القرب من رسول الله ﷺ. وقد تصدى الكثير من العلماء وأهل الحديث بجمعها والاهتمام بها تدريسا وشرحا وتعليقا، لما لها من الفضائل الجليلة، والفوائد الجمة الكثيرة، منها القرب من النبي عليه الصلاة والسلام وإلى قرنه الشريف بتحقيق الخيرية التي بشر بها ﷺ، كما أن من فوائدها أن من قرأها في شدة فرج الله عليه، ومن توسل بها إليه في حاجة أجاب الله دعاءه، وهو مصداق ما ذكره ابن أبي جمرة في قوله:

صحيح البخاري واظب عليه * فما مثله لاشتداد الكروب

فهو المجرب ترياقه * لدفع سموم أفاعي الخطوب(3)

---

(1) المراد بثلاثيات البخاري: هو ما اتصل إلى رسول الله ﷺ من الحديث ثلاث رواة، أو هي الأحاديث التي في سندها ثلاث وسائط بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المخرج، صحابي، وتابعي، وتابع تابعي، فحصل في الإسناد اجتماع من أفراد القرون الثلاثة في قوله ﷺ كما في الصحيح: ﴿ خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ﴾. عددها عشرون حديثا في البخاري، مثاله: قال البخاري: ﴿ حدثنا المكي بن ابراهيم قال، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة ابن الأكوع قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ﴾ . **انظر**: ثلاثيات الإمام البخاري، د. يوسف الكتاني، مجلة دار الحديث الحسنية-المغرب-، العدد الخامس 1985م، ص 37-39.

(2) العلامة المحقق الشيخ محمد صديق القنوجي البخاري الحسيني، ولد بالهند سنة 1248هـ/1832م، وصفه من ترجم له بأنه حسن الأخلاق، قل أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمته، وكان كثير العبادة، حريصا على الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم...، له أكثر من 70 تأليف منها الكتاب المذكور: غنية القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري. توفي في خضم محنته في أمر الولاية وتآمر الحكومة البريطانية عليه سنة 1307هـ /1890م رحمه الله. انظر: مقدمة كتاب: الروضة الندية شرح الدرر البهية، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي دار المعرفة، ص5.

(3) **انظر**: ثلاثيات الإمام البخاري، د. يوسف الكتاني، المرجع السابق، ص 49-50.

7. غاية البداية في سر حكم النهاية. ألفه على غرار الحكم العطائية؛ تسميه بعض المراجع: الحكم الحفيظية على منوال الحكم العطائية،شرح هذه الحكم تلميذه محمد المكي بن الصديق، طبع مع الشرح بتونس سنة 1314هـ/1896م، (التأليف والشرح محل دراسة وتحقيق الباحث).

8. نشر له صاحب كتاب:(تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان) الشيخ محمد الصغير نجل الشيخ المختار، ص147.قصيدة في علم الطريق تتألف من 52 بيتا، تكلم فيها عن أحوال خصوصيته قبل وبعد وكيف حصل له هذا الفضل في ابتداء أمره وكيف حصل له في نهايته، وكيف يرى المكون بالكون وكيف يرى الكون بالمكون، وكيف يستدل بالأثر على المؤثر، بكلام رمزي يصعب فهمه إلا على أربابه، وقد قال الشيخ محمد الصغير: على شرح بعض أبيات هذه القصيدة: (هذا ما فتح به الرحيم الرحمان، في حل ألفاظ بيت الأستاذ والله أعلم بمراده، فكلام العارف يعلمه أهل الذوق وكمال العرفان...إلى ان يقول: هذا ما ظهر للعبد الفقير أبداه وكلام العارف لا يوفيه مثلي معناه والله أعلم أولا وأخرا باطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم).

9. بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية مخطوط بعنوان: رسائل للشيخ عبد الحفيظ الخنقي في ذكر الجماعة تحت رقم: 9/-218.9، هذا الكتاب لم تشر إليه الكتب التي ترجمت للشيخ عبد الحفيظ الخنقي، لم أتمكن من الحصول على نسخة من المخطوط لأن نشر العلم وإشاعته الأصل فيه عندنا كتمانه وتحصيله يحتاج إلى سلسلة من الوسائط وجملة من المتاعب وهدر لماء الوجه للأسف، وقد علمت لاحقا أن الدكتورة حكيمة حفيظي أستاذة الحديث بجامعة الأمير عبد القادر تقوم بتحقيقه. وقد وقع نسخ هذا المخطوط في 13 من ربيع الأول عام 1308 من الهجرة الموافق لـ 1890م.

المطلب الخامس: ترجمة لبعض تلامذة الشيخ الخنقي.

أخص منهم الذين كان لهم الأثر الكبير في التربية والسلوك، حيث أسسوا زوايا جديدة وتفرعت عنها فروع لزوايا أخرى، تذكر بعض الرواياتأنه كان للشيخ عبد الحفيظ الخنقي عشرون مقدما منتشرين في مناطق مختلفة، وأن خمسة وعشرين من تلاميذه الذين سلكوا على يديه،وأصبحوا مشائخ مربين لهم زوايا ومريدين، ناهيك عن الطلبة الذين توافدوا على زاويته من مختلف جهات المنطقة لحفظ القرآن الكريم أو دراسة العلوم الشرعية، ومن أبرز وأشهر بعض تلاميذه الذين سلكوا على يديه وأخذوا عنه الطريقة وواصلوا مسيرته، أولاده الثلاثة الذين، نالوا شهرة عظيمة وخاصة بعد وفاة والدهم وقيام الاستعمار الفرنسي بتخريب

الزاوية وإتلاف الوثائق والكتب والمخطوطات الكائنة بها ومطاردة تلامذته ومريديه وأنصارهمن قبل الاستعمار وأعوانه[1]:

1 **الشيخ محمد الحفناوي دفين توزر**: ولد سنة1237هـ/1821م بالخنقة وهو أكبر أولاده أمه من بسكرة، سماه بذلك تفاؤلا لبلوغ مبلغ الشيخ محمد الحفناوي[2]، شيخ الطريقة الخلوتية بمصر، بالخنقة نشأ وبها ترعرع، حفظ القرآن وتعلم على علمائها وشيوخها في ذلك الوقت، أخذ الطريقة الرحمانية عن والده الشيخ عبد الحفيظ وعلى يديه سلك مدارج السلوك إلى أن بلغ مبلغ الرجال في ذلك العلم، وأصبح من شيوخ التربية والعلماء العاملين، كان مشاركا لوالده في الجهاد، حيث كان من الفرسان البارعين، يتمتع بمهارات عالية في الفنون القتالية، حتى أن البعض ينسب إليه إصابة القائد العسكري الجنرال (**دوسانجرمان**) بالنار في معركة وادي براز الشهيرة، ألقت السلطات الاستعمارية القبض عليه مع شقيقه الشيخ محمود وإيداعهما السجن ببسكرة، وبعد فرارهما من السجن إلى تونس استقر الشيخ الحفناوي بمدينة تمغزة بالجنوب التونسي قرب الحدود التونسية الجزائرية حيث طور الزاوية التى أنشأها والده هناك وأشرف على تسيير شؤونها، فكانت ملاذا آمنا للهاربين من بطش الاستعمار الفرنسي في الجزائر ومصدرا لدعم المقامة الشعبية الجهادية بالجزائر ضد الاحتلال، ألقت عليه السلطات الفرنسية بتونس القبض عليه وسجنه ومحاكمته في مدينة سوسة ثم الحكم عليه بالإقامة الجبرية بمدينة توزر بالجريد التونسي سنة 1898م، وأثاء إقامته الجبرية

---

(1) لدى عائلة محمد الرشيد حفيظي المدعو سي الرشيد المقيم ببسكرة (1916/1993م) ، مخطوط يتألف من تسعة وأربعين ورقة (49) ، يبدو أنه عبارة عن كناش خاص بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي دون فيه تاريخ ميلاد أبنائه وبناته، وبعض الأحداث التاريخية في حياة الشيخ، وفيه أيضا عقود مختلفة بيوع وأحباس، وعقود إشهاد وهبة...، بعض الوثائق منسوخ بخط الشيخ عبد الحفيظ نفسه وبعضها بخط كاتبه الخاص أو غيره؛ لدى الباحث نسخة مصورة من المخطوط تحصل عليها من الأستاذ سعد السعود شخاب الذي صورها من أصل المخطوط المتواجد لدى عائلة سي الرشيد.

(2) محمد بن سالم الحفناوي أو الحفني المتوفى سنة 1181هـ/1767م، من أكبر خلفاء الشيخ مصطفى البكري في مصر نار الطريقة الخلوتية في المشرق والمغرب، محدث شهير، لقب بشيخ الإسلام، وقد خلف بدوره شيوخا مربين أعلاما ساهموا في توسيع الخلوتية في الشرق الأوسط وفي بلدان المغرب العربي، وقد ذكر تراجم بعضهم الجبرتي في تاريخه، والشيخ محمد بن مخلوف في كتابه: [شجرة النور الزكية في طبقات المالكية]، والشيخ عبد الحي الكتاني في [فهرس الفهارس والأثبات] الذي قال عنه في ج1/ص353-152: ((هو شيخ الإسلام بالديار المصرية وأشهر المشاهير بالديار المشرقية، شمس الدين محمد بن سالم الحفني الشافعي الأزهري، محشي الجامع الصغير، وشارح الهمزية لابن حجر، وصاحب الثمرة البهية في أسماء الصحابة البدرية، هذا الرجل وقع له من القبول في عصره في جميع الأقطار الإسلامية ما لم يحصل لغيره، واستجازه من أعلام المغرب مكاتبة العدد العديد ...ومن أشهر من أخذ عنه من رجال الطريق بالمغرب: العارف الشهير: مولاي أحمد الصقلي الفاسي، والمعمر السيد عبد الوهاب التازي، والشيخ محمد بن عبد الرحمان الزواوي الجزائري إمام الطريقة الخلوتية الرحمانية...)). **انظر**: أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، عبد الباقي مفتاح، ص 36.

بتوزر معزولا منقطعا يعيش شظف العيش على تربية عنزة يقتاتُ من **لَبَنِهَا**[1]، بدأ بالسعي مع إبنه العربي وأحد إخوانه بجمع الحجارة من المقبرة لبناء زاوية جديدة في توزر، ووشي به إلى الحاكم فاستدعاه وقال له: أليس دينكم يحثكم على احترام الأموات، فقال له حقوق الأحياء أولى من حقوق الأموات وواصل بناء زاويته ليكون لها دور كبير فيما بعد في التربية والتعليم وإقراء القرآن والإيواء والإطعام...[2]، توفي الشيخ الحفناوي إثر الشيخوخة في 15 أفريل 1899 على الساعة العاشرة ليلا بحضور ولده العربي، وانتشر خبر وفاته في محيط تبسة، وقد تحركت الإدارة الفرنسية بسرعة على أعلى مستوى سواء في تونس أو الجزائر مخافة من أي ردود أفعال غير محسوبة، لما لدى الشيخ من هيمنة معتبرة في توزر وتمغزة والجريد التونسي، وعلى **نمامشة الجزائر**[3]، دفن بزاويته في توزر وضريحه بها مشهود إلى اليوم[4].

خلف الشيخ الحفناوي وراءه ثمانية أبناء، أشهرهم ابنه محمد العزوزي الذي تولى زاوية أبيه بتمغزةبتونس، والشيخ العربي الذي تولى زاوية توزر بالجريد التونسي، والشيخ البشير الذي تولى زاوية نقرين جنوب تبسة بالجزائر، والشيخ ابراهيم، والشيخ الطيب[5]، الذي تولى شؤون زاوية ليانة والذي كانت له علاقة

---

(1) إذا صحت الرواية التي رواها لي السيد منذر حفيظي (1952م)، عن والده عبد الحفيظ (1918م/2003م)، عن والده الشيخ محمد الطيب (1878م/1941) بن الشيخ الحفناوي المذكور (1821م/1899م). أن الزعيم الهندي غاندي (1869/1948م) استلهم أثناء إحدى رحلاته وجولاته من الشيخ الحفناوي فكرة العنزة التي تدر له اللبن وكساء يغطي جسده، وكان يغزل بيده، ويشتري القليل من الفواكه أو الجبن ويسكن في بيت غاية في البساطة، زاهدا في كل شيئ إلا في شيئ واحد وهو خروج الإنجليز من بلاده، وقد اشتهرت عنزة غاندي التى أخرجت الإنجليز من الهند على أنها أشهر عنزة، أما عنزة الشيخ الحفناوي فمغمورة مثلما غمر تاريخ صاحبها لأسباب معروفة أو غير معروفة.

(2) **راجع**: مراسلات تتعلق بتتبعات عدلية ضد شيخ الرحمانية بتمغزة الحفناوي ابن عبد الحفيظ من أجل مسك الأسلحة والتهريب (يتكون الملف من 60 وثيقة)، الأرشيف الوطني تونس تحت رقم: fpc/d/0172/0003/0013/1898

(3) النمامشة هي قبيلة أمازيغية بربرية عريقة، وهي أكبر قبيلة أمازيغية في العالم كله، حسب الدكتور عثمان سعدي من حيث التعداد، وهي من أقدم القبائل في إفريقيا، فهي من أصول القبائل الأمازيغية الأولى التي حاربت الرومان والوندال والبزنطيين والعرب المسلمين، فكانت حجر عثرة في وجه أي استعمار مستبد إلى أن اندلعت الثورة التحريرية،...**انظر**: موسوعة المعرفة على الرابط التالي (http://www.marefa.org/)

(4) **راجع**: مراسلات تتعلق بدفن شيخ الرحمانية الحفناوي بن عبد الحفيظ بتوزر ومنع أهله من نقل جثمانه إلى تمغزة، (يتكون الملف من 17 وثيقة)، الأرشيف الوطني تونس تحت رقم: fpc/d/0172/0003/0016/1899

(5) ولد سنة 1878م،، أخذ العلم عن علماء تمغزة وتوزر، وأخذ الطريقة عن والده، ثم انتقل إلى زاوية عمه الشيخ محمود بتونس العاصمة الذي اعتنى به عناية فائقة واعتبره كإبنه لأنه لم يعقب، أخذ أيضا على علماء وشيوخ بسكرة، كان كثير التنقل لزيارة وتفقد إخوانه في كل من تمغزة، وتوزر ونفطة بتونس، والخنقة، وليانة، وسيدي عقبة، وبسكرة، والزوي بخنشلة، وفركان ونقرين بتبسة، وحيدوس ومدرونة وتكوت وأريس بباتنة، وقد كان له في الطريقة الرحمانية نحو 10000 مريد، توفى في مارس 1941م في بسكرة، ودفن بجوار جده الشيخ عبد الحفيظ بالخنقة، وقد خلف الشيخ الطيب ما لا يقل عن تسعة أبناء، تولى شؤون الزاوية بعد وفاته خليفته الأمين مؤسس جمعية القرآن في بسكرة، وهي الجمعية التي أنشأت خمسين مدرسة قرآنية في نواحي بسكرة وخنشلة وبريكة، كما أنشأت في سنة 1948م أقساما لتعليم القرآن مرفقة = بمطاعم للطلبة بلغ عددها 25، وفي سنة 1950م أسس

نسب ومصاهرة من أحفاد الشيخ محمد بن عزوز[1].وللشيخ الحفناوي رسالة نفيسة في التحذير من دعوى المشيخة في الطريق والسلوك والتسليك عند غير المتأهلين الصادقين، جاد فيها وأفاد ووفى، وأوضح طريق الحق والرشاد، يقول في دباجتها: (وقد كثرت دعاوى المهلكين لخلق الله تعالى وانقادت إليهم طباع الجاهلين واستمالت نحوهم قلوب الغافلين، وهذا شأن الزمان ومشائخه والعياذ بالله تعالوسنذكر إن شاء الله تعالى ما يناسب الحال وينزع التكدر عن البال وما تثلج إليه صدور أهل الأحوال وبالله الإعانة والتوفيق والهداية إلى أقوم الطريق..)، الرسالة موجودة بالكامل في كتاب: تعطير الأكوان[2] للشيخ **محمد الصغير بن المختار الجلالي**[3]، ص183-194.

المدرسة المحمدية ببسكرة التي انظم إليها نحو 400 طالب،...**راجع**: أضواء على الطريقة الخلوتية، مرجع سابق، **راجع**: تسجيلات خاصة للباحث.

(1) عن علاقة المصاهرة عموما التي جمعت العائلتين الحفيظية و العزوزية الشريفتين،بحسب الأخبار المتواترة بدأت مع سيدي التارزي بن عزوز ثم مع أبنائه سيدي العربي و سيدي عبد الكريم من بعده. تذكر القصة أن سيدي عبد الحفيظ لما أقبل عليه تلميذه الشيخ التارزي أكرم وفادته، وبعد مدةبادره سيدي عبد الحفيظ بأن بعث إليه رسالة مع إحدى بناته و عرض عليه ابنته إن رغب في الزواج منها. فتمت الزيجة، وكانت هذه أولى روابط المصاهرة حسا و وبعد وفاة زوجته الأولى تزوج من أختها وتدعى زينب التي قدمت معه إلى نفطة و أنجبت له الشيخ العربي و الشيخ عبد الكريم، و بهذه المصاهرة بين الشيخ سيدي عبد الحفيظ و تلميذه وخليفته من بعده الشيخ سيدي التارزي، يكون قد اجتمع الأخير مع سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في خصلة الزواج ببنتي شيخه التي لقب على إثرها سيدنا عثمان بذي النورين. و كان للشيخ التارزي أيضا اجتماع مع سيدنا عثمان ابن عفان في عديد من الخصال انتهت إلى التربة التي دفنا بها.ثم في مرحلة لاحقة تواصلت علاقة المصاهرة بين العائلتين بالتحديد بين آل سيدي التارزي بن عزوز و آل سيدي الحفناوي بن عبد الحفيظ. حيث تزوج الشيخ العربي بن التارزي بن عزوز من فطوم بنت سيدي الحفناوي بن عبد الحفيظ و أنجبت له الشيخ عبد الباقي. كما تزوج الشيخ سيدي عبد الكريم بن التارزي بن عزوز من الزهرة بنت سيدي الحفناوي بن عبد الحفيظ و أنجبت له الشيخ محمد المكي و الشيخ نور الدين الذي توفي شابا بسوريا و يذكر الزركلي أنه ألف كتابا في زيارة حفيد الأمير عبد القادر إلى المدينة المنورة بمناسبة افتتاح سكة الحديد بها. كما تزوج الشيخ عبد الكريم من السيدة فطوم بنت سيدي الحفناوي أرملة أخيه الشيخ العربي، ولذلك نجد سكان المنطقة إلى اليوم لا يكادون يميزون بين الحفوظيين و العزوزيين من شدة الروابط التي تجمع بينهما و كان الشيخ عبد الكريم في إجازاته يلقب الطريقة بالرحمانية العزوزية الحفوظية. كما تجدرالإشارة في هذا الصدد إلى أن روابط المصاهرة بين العائلتين منتشرة أيضا بالقطر الجزائري لا سيما في فرع سيدي المدني بن التارزي بن عزوز الذي استوطن الجزائر.**انظر**: رسالة في الموضوع موجهة للباحث من طرف السيد أمين بن عبد الكريم بن المكي بن عبد الكريم بن التارزي، سوسة (تونس) في 09-صفر 1435هـ / 13-12-2013م.

(2) تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، الشيخ محمد الصغير نجل الشيخ المختار، المطبعة الثعالبية الجزائر سنة 1916م، وهو من أهم المصادر في التعريف برجال الطريقة الرحمانية، حيث يحتوي على الكثير من تراجم شيوخها ورسائلهم وقصائدهم.

(3) نجل الشيخ المختار مؤسس الزاوية المختارية بأولاد جلال، جده الولي الصالح المدفون بجوار ضريح سيدي خالد، يرتفع نسبه إلى إدريس الأكبر عن طريق قطب المغرب عبد السلام بن مشيش – ت: 625هـ- ؛ تولى أمر زاوية والده بعد وفاة أخيه الشاب

2 **الشيخ محمود**: ولد في ربيع الأول 1247هـ/1831 أمه من بسكرة، كان يدعى بـ: (بوفغالة) لكثافة شعر رأسه، والحقيقة أننا لم نعثر على معلومات كثيرة عنه، سوى أنه من المعروف أنه طور زاوية والده بـ(**ليانة**)، قبل أن يحولها الاستعمار الفرنسي إلى ثكنة لجنوده وأبراج لمراقبة تحركات الشعب، وبعد القبض عليه وسجنه إثر معركة براز الشهيرة، حيث قام الاستمعمار بمصادرة الأراضي التابعة للزاوية والتي تقدر بحوالي 2000هكتار، وبعد فراره من سجن بسكرة رفقة شقيقه الأكبر محمد الحفناوي إلى تونس العاصمة حيث أنشأ بتونس العاصمة زاويته المعروفة التي لعبت دروها المنوط بها دينيا واجتماعيا وتاريخيا، توفي ودفن بمقر زاويته بتونس وضريحه بها معروف لحد الآن قرب جامعة الزيتونة، وقد ضمت السلطات التونسية الأراضي الوقفية المحيطة بالزاوية وبنيت عليها منشآت للدولة، أما تاريخ وفاته لم أعثر عليه إلا أنه من المؤكد أن وفاته كانت بعد تاريخ وفاة شقيقه الشيخ محمد الحفناوي لأن وثائق ومراسلات الإدارة الفرنسية حول وفاة الشيخ الحفناوي تتساءل عن غياب أخيه الشيخ محمود لمدة حيث لم تعلم وجهته ليظهر مرة أخرى، وقد كان الشيخ محمود على علاقة حب واحترام وطيدة بسيدي حسين شيخ الخنقة، لدرجة أن هذا الأخير كان يضع كرسي فارغ دائما بجنبه أمام بيته في خنقة سيدي ناجي، وحينما سألوه قال لهم ذاك سيدي محمود يظل دائما جالسا معي؛ ويذكر أنه أرسل للشيخ حسين بدلة (مزيود) جديدة من تونس قبل أن يزداد له المولود الجديد الذي انتظره طويلا حيث قال لهم: خليفة داري في دار حسين لأنه لم يكن له أعقاب، وللشيخ محمود بعض القصائد المتوارثة، وقد أورد له صاحب كتاب تعطير الأكوان شرحه لبعض أبيات القصيدة المذكورة سالفا المنسوبة لوالده الشيخ عبد الحفيظ الخنقي منها قوله: (...أي هذا الإنسان المذكور آدمي بشر وليس بملك، بل هو كواحد منا يأكل ويشرب.. الخ، أوصاف الآدمي، فحين أحبه الله وسبق له في علمه هذا الخير الكثير العظيم، أخرجه من طبع بشريته وأنقذه من رعونة شهوات نفسه وأفناه عن شهود حظوظه، وعظيم خطره، وكشف له ملكوت غيبه بقوله فتقت له حجب وصار العرش والفرش والبهموت في لحظاته فكأنه يقول ﷺ يا سامع الكلام والأوزان هذا الإنسان آدمي وبشر مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وهو منطو على هذا الشرف العظيم مع أنه خلق من ماء وطين وجرمه صغير مثلك وقد احتوى على الكون بأسره يشهد لذا قول سيدنا علي رضي الله تعالى عنه:

دواؤك منك وما تبصر * وداؤك فيك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر

مصطفى، والشيخ محمد الصغير،وهو فقيه وأديب وصوفي، شهدت الزاوية في عهده توسعا في العلم والعمران. **انظر**: أضواء على الطريقة الرحمانية لـ عبد الباقي مفتاح، ص: 195.

...)[1].وقد أفادني السيد عبد الهادي رماضنة (بسكرة)، بأربع قصائد من الشعر الملحون للشيخ محمود منقولة من كتاب: [**السفينة الحفوظية**] المخطوط، منها قصيدة تتألف من 36 بيتا، يدعو فيها إلى الاعتبار وترك التدبير، والصبر، والتذكير بالآخرة وأهوالها، والتحذير من عمل أهل النار ...، القصيدة مطلعها:

أمولاي صل وسلم على * عروس الكمال وبدر جلا

وآله والصحب أولي العلا * ما هب نسيم وفجر أنار

ذكرتك سرا وجهرا قريب * ولا شك أنك أنت الحبيب

القصيدة الثانية تتألف من 41 بيتايرثي فيها شيخه ووالده الشيخ عبد الحفيظ، متألما لفراقه، كما يذكر فيها بعض مناقبه، القصيدة مطلعها:

الله الله الله لا إله إلا الله * محمد رسول الله والصادق نبيا

نبدا قولي باسم المعين * عن شيخي بحر الواصلين

هو إمام في الدارين * كنز في الباقيا

القصيدة الثالثة تتألف من 37 بيتا، فيهادعاء وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، مع ذكر لمعجزاته كانشقاق القمر، وتسبيح الحجر في كفه، وبكاء الجذع....الخ ، القصيدة مطلعها:

يارب به وبجاهه * عجل باللطف وبالكرم

يارب بجاه خير الورى * عاملني بلطف يادائم

حسن أملي واصلح عملي * واقبل عملي لا ينهدم

القصيدة الرابعة تتألف من 21 بيتا، يذكر فيها بعض صفات الله عز وجل وأسمائه كالعليم، الخبير، البصير، القديم، الرؤوف، الرحيم ....الخ، مقرونة بالدعاء، نقتطف منها هذه الأبيات:

الله الله الله رب الدايم * حبيبي رسول الله الشفيع زين الخاتم

---

[1] تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، الشيخ محمد الصغير نجل الشيخ المختار، ص 149، المطبعة الثعالبية الجزائر سنة 1916م. (وهو من أهم المصادر في التعريف برجال الطريقة الرحمانية، حيث يحتوي على الكثير من تراجم شيوخها ورسائلهم وقصائدهم) .

بديت باسم الله والشكر إلا لله * والحمد لا تنساه عن ربي ليس مثله

أحد في الكون منزه عن الثاني * قريب للإنسان مجيب شافي العلة

ثبت قلبي يا الله عن قولة لا إله إلا الله ** واحمني يا الله الله بلا إله إلا الله

واجعلني بذكرك هايم وافتح لي بابك نغنم ** لا نخشى من كل ظالم حسبي يا الله الله

يا خالق الأرواح معمر الأشباح ** عرضني للفلاح بفضلك نتهنا

بالحمد نختم نظامي والشكر على الدوام ** سبحانك ياعظيم محيط بالعلم كله

3 **الشيخ محمد الأزهاري**: وهو أصغر أبناء الشيخ عبد الحفيظ أمهمن (**الوجلة**) إلى جانب كونه اشتهر بعلم الفلك كان شيخ زاوية[1]. حيث ترأس زاوية الخنقة، و زاوية خيران بجبل ششار قرب خنشلة، توفي سنة **1896**م عن عمر **59** سنة، بعد حياة تبتل للعبادة والعلم[2]، والغريب أن جريدة (المبشر) الرسمية نشرت بمناسبة وفاة الشيخ محمد الأزهاري خبرا ونعيا تقول فيه:(أنه مات عن 59 سنة في خيران، وأن والده عبد الحفيظ كان ميالا إلى فرنسا؟، وأن إبنه قلده في البر والإحسان والحكمة والنصيحة والأخلاق، وأنه نشر نفوذ والده وسمعته من هناك إلى الحدود التونسية، وكانت له مراسلات مع أخويه في تونس وتمغزة وكلاهما يكن له الاحترام. واسم هذا الوريث ليس محمد العربي بل عبد الحفيظ، وعمره 26سنة، وقالت لعله يكون كأبيه، إذ هو يرغب في تعلم اللغة الفرنسية ومعجب بتمدن فرنسا وعوائدها)، ويبدو هذا الكلام من (المبشر) كما يقول المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله: فيه خلط بهدف خدمة المستقبل ونسيان الماضي[3] والحقيقة أن الزاوية تولاها اثنان من أبنائه: عبد الحفيظ ومحمد العربي بمساعدة إخوتهم سعد السعود، ومحمد البشير، ومحمد بن عزوز[4]، وكانت الزاوية في عهدهم مزدهرة، وأنها لم تعد صغيرة

---

(1) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) (وثائق) ، مرجع سابق.

(2) إلا أن المصادر الفرنسية تقول عنه سنة 1844 أنه كأبيه يعيش في عزلة وخلوة وسط إخوانه الذين لا يتحدث عنهم مما يوحي أنه كان يعيش بعيدا عن الأنظار. انظر: تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ص/151.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ص151.

(4) أضواء على الطريقة الرحماني لـ عبد الباقي مفتاح، ص169، 170.

ومعزولة كما كانت سنة 1884م[1]. كما افادني السيد عبد الهادي رماضنة (بسكرة) بقصيدتين من الشعر الملحون للسيد: أحمد بن بلقاسم بن عمارة الخنقي، يثني فيها عن شيخه محمد الازهاري، ويعدد فيها خصاله ومناقبه، نقتبس منهما بعض الأبيات وهي:

لاإله إلا الله لا إله إلا الله * لا إله إلا الله لا إله إلا الله

بسمك يا حنان ننظم ذا الوزان * عن حقه السلطان شيخي غوث الله

تبعه تنال يا باغي الوصال * تبلغ الرجال وترقا لله

ثابت في المقام شراب المدام * قايم بالصيام باقي مع الله

بجاهك يا قدير وطه البشير * ارحم هذا الخفير وإخوانه كلاه

نثني بكلامي يا حاضر عن صيد الذرغام * الازهاري بن الغوث الكبير يا زين المقام

يا سلطان البر الأقفر سراج الظلام * نوره كالبدر الأزهر كامل باتمام

اعزم إليه وبادر واسعى على الاقدام * ينفي عليك الخواطر يزول الغمام

عن قلبك إن كنت ذاكر الله بالدوام * وإن زدت الليل ساهر كذاك الصيام

يرقيك شيخي ظاهر القطب الهمام * يا شيخي الأزهاري الأنور يا شمس الأنام

4 محمد التارزي بن محمد بن عزوز (1813م/1892م): تلميذه وابن شيخه وخليفته، العلامة العارف الصوفي الفقيه الأديب،قصد الشيخ محمد التارزي بن عزوز خنقة سيدي ناجي مريدا مستسلما بين يدي سيدي شيخه عبد الحفيظ. وللشيخ المكي بن عبد الكريم بن التارزي بن عزوز قصيدة يذكر فيها مناقب جده التارزي وشيخه عبد الحفيظ الخنقي. و تذكر القصة أن سيدي عبد الحفيظ لما أقبل عليه الشيخ التارزي، أكرم وفادته إلى درجة أن هذا الأخير(التارزي) بعد مرور أيام الضيافة شعر بخيبة أمل تعتريه حيث أنه لم يقابل بشيء من الجفاء التربوي كما هو معتاد في معاملة الشيخ المربي لمريده خاصة في البدايات. و اعتقد عدم أهليته للسلوك على يدي خليفة والده الذي لم يشأ أن يرده جهرة إكراما له.وصبيحة بعد أن عقد الشيخ التارزي العزم على مصارحة شيخه بما يختلج في نفسه، بادره سيدي عبد الحفيظ بأن بعث إليه رسالة مع إحدى بناته قائلا له فيها: "أنت يا تارزي مربى عند الله كما يربى الفلو

(1) تاريخ الجزائر الثقافي، مصدر سابق، ص152.

(ولد الفرس) إذا فطم عن أمّه" و عرض عليه ابنته إن رغب في الزواج منها. فتمت الزيجة و فتح الله عليه في الحين. يقول الشيخ التارزي في هواتفه هذه البيات:

فسبحان الذي أعطى حبيبي * وأعطاني وراثته فنادي

علينا عند ضيقك يا مريدي * تُغَثْ لو كنت في أقصى البلاد

وقدكانت هذه أولى روابط المصاهرة حسا ومعنا. و مكث الشيخ التارزي بنواحي الخنقة فترة طويلة لا سيما بعد أحداث ثورة الزعاطشة وما تلاها من احتلال لبسكرة و خروج العائلة العزوزية منها نحو نفطة. واستمر في الجهاد و لم يلتحق بنفطة ليستقر بها إلا بعد خمس سنوات أو تزيد قضاها في الجبال.وفي هذه الأثناء توفيت زوجته الأولى فتزوج من أختها و تدعى زينب التي قدمت معه إلى نفطة و أنجبت له الشيخ العربي و الشيخ عبد الكريم، وكانت وفاتها على إثر وضعها للشيخ سيدي عبد الكريم الذي ترعرع رضيعا عند آل بن نصر وهم من أتباع سيدي عبد الحفيظ ومريديه من سكان بني زيد بنفطة[1].وقد قال عنه كاتب مقدمة الهواتف التارزية ما خلاصته: (هو العارف بالله تعالى الدال عليه، المتهالك في محبة الله عز وجل، الولي الكامل والطود المانع أستاذنا محمد التارزي بن محمد بن عزوز البرجي أصلا ومولدا، النفطي مهاجرا ودارا، كان يقطع غالب الليل تهجدا بالقرآن العظيم وتفهما في معانيه وغوصا في غامض أسراره، لا يدع التهجد ولو في السفر والمرض، مستغرقا في الأذكار ممتلئا بالأنوار والأسرار، عالما عاملا صواما قواما، شديد المحافظة على آداب الشريعة المطهرة، شديد الحلم والتواضع والحياء والعفة وعلو الهمة، أخذ بحق نفسه بالأحوط في الدين، نشأ في طلب العلم ما بين منقول ومعقول ببلده البرج من وطن الزاب عن جهابذة فحول فنال من ذلك الحظ الأوفر، وكان مع ذلك شديد البحث عن الشيخ المربي لأن والده إمام الطريقة العزوزية الرحمانية الخلوتية، توفي وهو صغير فلم يأخذ تربيته الروحية عنه، حتى ظفر بأستاذه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي أحد خلفاء والده في التربية، فسلك على يديه الطريق فنال ما نال من مقامات أهل التحقيق، وقد جمع الله تعالى له بين العلمين والجهادين والهجرتين والحياتين والموتتين والسعادتين، وكان مع ذلك متهالكا في محبة سيد الوجود عليه الصلاة والسلام لا تسكن لوعته إلا بذكره أو شهوده، فحج وزار أربعا، وكانت ولادته عام 1227هـ/1812 أو 1228هـ/1813م بمسقط رأسه البرج ثم هاجر منه إلى نفطة من بلد الجريد في الجريد التونسي عام 1260هـ/1844م ثم هاجر من نفطة إلى المدينة المنورة عام 1310هـ/1892م فمكث بها شهرين وأياما، ومرض قبل وفاته بنحو 18 يوما، ثم توفي بها يوم السبت سابع أو ثامن ربيع الثاني من عام 1310هـ/1892م فكان عمره 82 سنة أو 83سنة، ودفن بالبقيع تحت جدار قبة سيدنا عثمان بن عفانﷺ). من أشهر أبناء الشيخ التارزي **الشيخ عبد الكريم** الذي اجتمع به شيخ الطريقة الكتانية العلامة المحدث المغربي عبد الحي الكتاني

---

[1] **انظر**: رسالة في الموضوع موجهة للباحث من طرف السيد أمين بن عبد الكريم بن المكي بن عبد الكريم بن التارزي، سوسة (تونس) في 09 صفر 1435 هـ / 13-12-2013م.

1382/1320هـ-1962/1902م على ظهر سفينة وأجازه بإحدى الصيغ المشهورة للصلاة على النبي ﷺ. تسمى الكاملة؛ وللشيخ محمد التارزي كتاب جمع فيه بعض مخاطباته ومشاهده ومواقفه الروحية، وله أشعار وقصائد في المواجيد الصوفية منها قوله في قصيدة مطلعها[1]

تدفقت العلوم عليك حقا * فكن يا تارزي بها وليعا

وجاهد نفسك واقتلها بذكري * وشيطانا هوى دنيا جميعا

وصل على حبيبي كل وقت * وكن لشرابه عبدا ركيعا

قال عنه صاحب كتاب تعطير الأكوان: حيث وصفه بأستاذ الكاملين وإمام العلماء العاملين، وأورد في الكتاب بعض مكاتباته، منها قوله: (... إن الله تعالى خلق التقوى وجعلها مشتقة من التقوي فمن اتقى الله تقوى على نفسه وشيطانه وعلى طاعة ربه ومن لم يتق الله قهرته نفسه وشيطانه وخذل على أفعال الخير فلم يوفق لها، كما قيل إن أردت أن تقوم له بالليل فلا تعصه بالنهار...ويقول: لإن تصحب من يدلك على الله خير لك من أن تصحب من يدلك على الآخرة، ولإن تصحب من يدلك على الآخرة خير لك من أن تصحب من يدلك على الدنيا، ولإن تصحب من يدلك على الدنيا خير لك من ان تصحب من يدلك على معصية الله تعالى،....)[2].

5 **الإمام محمد المدني بن عزوز**: قال عنه الشيخ عاشور في آخر كتابه (منار الإشراف) حين ذكره للعلماء الذين أخذ عنهم في زاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز في نفطة حوالي سنة 1280هـ/1863م ما ملخصه (... وبين أظهرهم شيخ الجميع الشيخ الأكبر جامع أشتات العلوم...شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد المدني بن عزوز صهر القطب مصطفى بن عزوز وابن عمه صنو أبيه، ومعه في مدينة نفطة جمع كثير من أطواد العلماء الأعلام المشاهير المتخرجين عليه في العلوم النقلية والعقلية... وقد سلك الشيخ محمد المدني في الطريقة الخلوتية على الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أحد أكابر خلفاء عم والده أي الشيخ محمد بن عزوز، فوصل إلى أعلى مقامات الولاية، وأجيز في مختلف العلوم من كبار علماء عصره الذين أخذ عنهم منهم: الشيخ مصطفى بن عزوز، والعلامة محمد الصالح العبيدي الحمادي، والشيخ إبراهيم بن صمادح العلقمي .وأشهرهم خمسة هم: **الأول**: المبروك بن عزوز، **الثاني**: محمد بن عزوز[3]، و**الثالث**: محمد الأمير صاحب الثبت الشهير و**الرابع**:

---

(1) أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية، عبد الباقي مفتاح، ص: 126 – 129.

(2) **راجع**: تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، الشيخ محمد الصغير نجل الشيخ المختار، ص: 158-162، المطبعة الثعالبية الجزائر سنة 1916م. لقد ذكر لي السيد عبد الكريم بن عزوز يتونس أن جد والده الشيخ محمد التارزي، قد زوجه شيخه الشيخ عبد الحفيظ الخنقي إثنين من بناته

(3) تخرج والده وعمه على الشيخ الغدامسي أحد تلاميذ العلامة القطب أحمد الدردير.

الإمام الكبير إبراهيم الباجوري، و**الخامس**: إمام الطريقة السنوسية العلامة الحافظ الشيخ محمد السنوسي صاحب قرية جغبوب بليبيا. ثم ذكر حاله قبل وفاته فقال: وفي صبيحة يوم وفاته وانتقاله إلى دار السعادة دخل عليه المؤلف في جماعة من أصحابه على وجه العيادة، فقال للجماعة: [إنه كان قبلكم عندي ملك من الملائكة فقال لي إقرأْ: ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ فقرأتها عليه فاستعادها مني ثلاث مرات فقرأتها عليه ثلاث مرات، وإني عما قريب أرتحل إلى حضرة الملاقاة، واعلموا أني شارطت الله فيكم شرطا تقبله مني فاسمعوا وعوا وخذوه مني، وهو أن لا يولي أحد من تلاميذي الوظيف، حتى لا يتلوث علمي بما يقتضيه هذا الوقت السخيف، ولا سيما أنتم يا طلبة الغرب فإياكم وطلب الوظيف على البعد والقرب[1]، وأستحفظكم دينكم وأمانتكم وخواتم عملكم وهذا الكلام، واذهبوا بسلام]، وخرجت الجماعة على كسوف بالها.وريثما وصلت إلى منازلها حتى تصارخت النعاة من حواليه، توفي الشيخ الأكبر رحمة الله عليه في حدود عام 1285 من هجرة جده أكمل خلق الله في الذات والصفات، عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام وآله وصحبه الأعلام (الموافق لـ: 1868م))[2] وقد ترجم له أيضا الشيخ عبد الحي الكتاني بقوله: (هو المدني بن أحمد بن إبراهيم بن عزوز البرجي التونسي الخلوتي شيخ الشيوخ بالمملكة التونسية والجزائرية، العلامة الصوفي النفاعة المتوفى عام 1285)[3]، أشهر أبناء الشيخ محمد المدني ابنه أحمد الأمين الذي كان من فحول الشعراء وأفاضل العلماء مع النسك والسياحة والأذواق العرفانية العالية، ولد في مدينة نفطة سنة 1860 وتوفي بالمدينة المنورة سنة 1925م له قصائد في المديح النبوي.أورد له صاحب كتاب تعطير الأكوان بعض الأقوال والأشعار: منها قوله مجيبا عن اعتراضات اعترضت في الطريق فردها ردا حسنا : (الحمد لله الذي جعل اختلاف الأمة توسعة ونعمة، واحتمالات الدليل عروة وثقى للمتمسك رفقا ورحمة، فالخارج عن الإجماع فاسق مبتدع، والمتمسك بغصن منه ناج متبع، والصلاة والسلام على من بين الأحكام، وسكت عن أشياء تسهيلا للأنام، وعلى آله الطيبين وصحابته الكرام، ما أضاءت السنة وذهبت ظلمات الباطل بانصرام، وبعد فلتعلم أن الحقيقة كامنة في باطن الشريعة ككمون السمن في الحليب، فمن اعتنى برياضة النفس على قانون الشريعة وقف على بساط الأنس، وحضرة القدس، وأهل التصوف دائما يقتدون بأصحاب الشريعة، ولا يخالفونهم في شيئ ولا في دقيقة، وإن ظهر لأحد مخالفتهم في شيئ فذلك من عدم الاطلاع على اصطلاحهم

---

(1) يعني بطلبة المغرب طلبة القطر الجزائري الواقع غرب نفطة بتونس، ومنعهم من تولي الوظيف لأن الحاكم حينذاك كان الاحتلال الفرنسي.

(2) **انظر**: منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف، عاشور بن محمد الكليبي، المطبعة الثعالبية بالجزائر 1914، ص 5-7.

(3) ،. **انظر**: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، اعتناء د. إحسان عباس، الجزء الثاني، ص 550، رقم:303، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1402هـ /1982م..

وعدم الوصول إلى كيفية مأخذهم ولنذكر لك نبذة محتاجا إليها لتستدل بذلك على موافقتهم للسنة في جميع أحوالهم ...الخ.ومنها شرحه لمعنى حسنات الأبرار سيئات المقربين)[1]. قال عنه صاحب فهرس الفهارس[2]: (...العالم الناسك المسند الرحال أحمد الأمين لما لقيته بمالطة، وأوقفني على أعيانها..)[3]

6 **الشيخ الحسن بن الصديق المنصوري الناجي:** أستاذ الشيخ عاشور قبل أن يغادر الخنقة طلبا للعلم،تلقى الشيخ الحسن الطريقة الرحمانية أول الأمر على الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، ثم أرشده إلى مواصلة طلب العلم في زاوية الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز بنفطة في الجنوب التونسي، فرحل إليها ووجدها زاخرة بأهل العلم والقرآن والتصوف، وصفه تلميذه الشيخ عاشور الذي لازمه طويلا في الحضر ولازمه كثيرا في السفر، بالورع الزاهد، العابد المجاهد....[4]

7 **الشيخ علي دردور:** بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن أبي القاسم.الإدريسي الحسني[5]. ولد بقرية **حيدوس**[6] سنة 1189هـ/1775م، تربى في أحضان أسرة متدينة تعيش على فلاحة الأرض والرعي وتربية المواشي، حفظ القرآن الكريم في العقد العاشر من عمره بالزاوية التي أسسها جده عبد الله بن أبي القاسم بقرية حيدوس، وعندما اشتد عوده التحق بزاويةسيدي محمد بن عزوز بالبرج قرب طولقة، فدرس هناك ما شاء الله من العلوم التي كانت تدرس حينذاك في الزاوية من فقه وتوحيد وعلوم اللغة العربية وفلك، ثم سلك طريق الصوفية الطريقة الرحمانية على يد شيخها محمد بن عزوز،وعند وفاة شيخه بن عزوز، ذهب إلى خنقة سيدي ناجي مع بعض أقرانه، ليكمل السلوك والتربية على يدي الشيخ عبد الحفيظ الخنقي،وكانتمام سلوكه على يديه سنة 1231هـ/1815م، حيث نال على يديه ما شاء الله من التربية الروحية والعلم، ثم رجع إلى قرية مدرونة فأسس بها زاوية جديدة بإذنمن شيخه

---

(1) **راجع:** تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، مرجع سابق، ص: 179.

(2) عبارة عن قاموس عام لتراجم المؤلفين في الحديث، من القرن الثامن إلى غاية 1348هـ/1928م، وذيلا على طبقات الحفاظ والمحدثين للحافظين ابن ناصر والسوطي التي وقفا فيها على أواسط القرن التاسع. فيه تراجم لعدد كبير من رجال الحديث والرواية في العصور القريبة من حجازيين وأندلسيين ومصريين وشاميين ويمنيين وهنديين وسنديين وترك وفرس وعراقيين وتونسيين وقيروانيين وجزائريين وتلمسانيين ومراكشيين وسودانيين، وغيرهم ممن روى كتبهم أو اتصل إسناده في الحديث بهم، أو أجازوه كتابة أو مشافهة. والشيخ محمد عبد الحي الإدريسي الكتاني له شهرة ذائعة بالمغرب الأقصى والمشرق، أحرزها بطول باعه في علوم الحديث وكثرة رحلاته في سبيل روايته. **انظر:** فهرس الفهارس، ج 02، ص 1183، عن مجلة الزهراء (المصرية) ، العدد الرابع، 1928م.

(3) **انظر:**فهرس الفهارس، مرجع سابق،ج 02، ص 551.

(4) **انظر:** منار الأشراف، ص 4. مرجع سابق.

(5) **انظر:** شجرة النسب لدى الباحث.

(6) للتذكير فإن حيدوس غير حيدوسة، حيدوس تابعة لدائرة ثنية العابد وتبعد عن مقر ولاية باتنة بحوالي 65كلم. أما حيدوسة فتابعة لدائرة مروانة وتبعد عن مقر الولاية بحوالي 54كلم. حيث نجد الكثير من الكتاب والباحثين يخطئون في كتاباتهم في هذا الصدد.

حيث تفرغ فيها للتبتل والعبادة، ونشر الطريقة الرحمانية وتربية المريدين، وقد قامت زاويته إلى جنب الزاوية التي أسسها جده عبد الله بن أبي القاسم بقرية حيدوس[1]، بدور التعليم والتربية والتوجيه والإصلاح والإطعام والإيواء والعلاج، وبقيت الزاويتان على هذا الوضع إلى أن بدأ تغلغل الاستعمار الفرنسي لمنطقة الأوراس سنة 1844م، لتقوم الزاوية إلى جانب مهامها السابقة الذكر، بمهمة التحريض على الجهاد ومقاومة الاستعمار.

ففي يوم 14/**ماي**/1845م أثناء أجتياح قوات الاستعمار لقرى الأوراس ومداشره، اجتمع الحاج أحمد باي[2] بالشيخ علي دردور في بيته بحيدوس بحضور أعيان أعراش وادي عبدي، ونارة، ومنعة و بوزينة، وشير، ووادي الطاقة، واتفقوا على جعل قرية حيدوس كمقر لقيادتهم، وقرروا استئناف القتال ضد العدو المحتل، وإرسال نجدات من المقاومين لمشاركة بني أوجانة في المقاومة، مع رفض تطبيق أوامر التسخير المطلوب تنفيذها من طرف السلطة الاستعمارية، وفي 17/ماي/1845م خرجت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال (بودو) ومعه العقيد (هربيون)، متجهة إلى قرية حيدوس مقر قيادة الأعيان من الأعراش بعدما بلغه خبر التجمع لاستئناف القتال وخروجهم عن الطاعة وقرارهم العصيان، كما أن قائد أولاد عبدي محمد أزروال المعين من طرف القيادة الفرنسية رفض الذهاب إلى المعسكر الفرنسي وينسبون إليه أنه كان يسمح للرجال من عرشه بالالتحاق بالتجمعات الانفصالية التي تقع في قرية حيدوس ولم يخبرهم بذالك، ولذلك قام الاستعمار بمحاصرة قرية حيدوس في 20ماي من نفس السنة، وقامت بقصفها قصفا مكثفا بالمدفعية الثقيلة، واستمات أعيان المنطقة مع الأهالي في الدفاع عنها دفاع الأبطال، وبما أن المعركة غير متكافئة في العدة والعتاد، وبعد صولات وجولات انسحب المجاهدون إلى القرى المجاورة، وهنا أقدم العدو على حرق الدور والتنكيل بالسكان، وحاصر القرى الثلاثة المجاورة لها وألحق بها أضرارا بالغة وهي كل من:

---

(1) تبعد قرية مدرونة على قرية حيدوس بحوالي خمسة 05كلم

(2) بعد احتلال قسنطينة من طرف العدو نقل أحمد باي عائلته وأمتعته إلى قرية منعة بالأوراس في أكتوبر 1837م، واستقر عند الشيخ محمد بن عباس شيخ الزاوية الشاذلية القادرية، وبقيت في منعة إلى 22/**ماي**/1845م، أما أحمد باي فقد استأنف مقاومته لجنود الاحتلال، وقد هزم الدوق دومال في 24/**أفريل**/1844م بجبال أولاد سلطان وهجومه مع المقاومين القادمين من عدة جهات وكان عددهم ما يقرب من 4000 مقاتل على مركز باتنة في 30/أفريل/1844م مما أدى إلى رجوع (الدوق دومال) من جبال أولاد سلطان لحماية المركز العسكري بباتنة، ثم توجهه مرة أخرى بجيشه إلى جبال أولاد سلطان في 01/**ماي** من نفس السنة لاستئناف القتال ضد أحمد باي الذي التجأ إلى تلك الجهة بعد سقوط قسنطينة، وبعد = سقوط قرية حيدوس في يد الاحتلال التي اجتمع فيها أحمد باي بالشيخ علي دردور وبأعيان أعراش وادي عبدي ونارة ومنعة وبوزينة وجعلها مركزا لقيادتهم لمقامة الاحتلال ومواصلة قتال العدو، فغادر في 22/ماي/1845م مع عائلته قرية (منعة) متوجها إلى أحمر خدو عند أولاد عبد الرحمان أكباش بمكان يدعى (هورية) ، وذلك بسبب قرب وصول العدو إلى قرية منعة، وبقي هناك إلى غاية 05/**جوان**/1848م التاريخ الذي سلم فيه نفسه للرائد (سان جرمان) ببسكرة ومعه عائلته وحمل متاعه على ثلاثين بغلا، ثم أخذوه أسيرا إلى قسنطينة في يوم 07جوان وتولى العقيد (كارنوبير) حراسة أحمد باي أثناء نقله من بسكرة إلى قسنطينة مارا بباتنة تحت السرية التامة والحراسة المشددة.

قرية ثنية العابد وقرية فج القاضي، وأولاد مومن، وأشعل النار في كثير من المنازل والبساتين، وما تزال آثار الحرق على الأعمدة الخشبية والسقف بالزاوية الدردورية بحيدوس ظاهرة وبادية للعيان إلى يومنا هذا، وشاهدة على وحشية الأستعمار وهمجيته[1].

وبعد تلك الأحداث إلتقى الشيخ علي دردور في بقرية حيدوس بشيخه ومربيه الشيخ سيدي عبد الحفيظ الخنقي شيخ زاوية الخنقة الرحمانية، وبالشيخ سيدي الصادق بن الحاج شيخ زاوية لقصر الرحمانية بجبل احمر خدو وبحضور إبنه الشيخ الطاهر بن سي الصادق[2]، حيث اتفق الجميع وتعاهدوا على مقاومة الاستعمار وجهاد المحتلين، وقد انضم مع أتباعه ومريديه إلى جيش سيدي عبد الحفيظ الخنقي وشاركوه قتال المستعمر وخاصة في معركة سريانة الشهيرة بواد البراز قرب مدينة سيدي عقبة ببسكرة سنة 1849م، وبعد وفاة شيخه قصد الشيخ علي دردور الشرق لتفقد أبنائه: عبد الله، ومحمد الهاشمي اللذان كانا طالبين بالأزهر الشريف، ثم أداء فريضة الحج سنة 1850م، وعند عودته من هذه الرحلة استأنف نشاطهالديني والتربوي والجهادي كما استجاب لنداء سي الصادق بلحاج وحرض الناس على الاستعداد للجهاد بوادي عبدي سنة 1858م، وبقي على العهد إلى أن وافته المنية حوالي سنة 1294هـ/1875م عن عمر يناهز المئة سنة قضى معظمها إما عابدا أو مجاهدا أو مربيا مرشدا، ودفن بجوار جده عبد الله بن أبي القاسم بمدرونة. وضريحه مشهود هناك رحمه الله[3]

---

(1) عندما امتنع سكان احمر خدوا عن دفع الضرائب واستعدادهم للمقاومة، وانضمام أعراش الواد الأبيض ووادي عبدي، فكلف الجنرال (كانروبير) للقيام بمهمة تهدئة السكان والقضاء على العصيان في عموم الأوراس، فخرج في يوم 10/**ماي**/1848م بآلته التدميرية الجهنمية فحرق ودمر كل ما صادفه في طريقه، وتصرف جنوده تصرفات يندى لها الجبين، في كل من غابة بني املول وكيمل وملاقو، ثم واصل أفعاله الشنيعة في كل من الواد الأبيض ثم إلى قرية حيدوس وشير بوادي عبدي إلى أن وصل إلى قرية منعة ومعه أعيان الأعراش كرهائن، وهددهم بالإبادة إن هم أعادوا العصيان مرة أخرى، وفي هذه الأثناء بلغ الجنرال كارنوبير خبر محاصرة أحمد باي، وقد يستسلم طوعا أو كرها، فتوجه في 04/جوان 1848م إلى جبل احمر خدو ليكون له شرف القبض على أحمد باي، لكن الأحداث كانت أسرع، إذ تم ذلك للرائد سان جرمان المسؤول العسكري ببسكرة في يوم 05/**جوان**/1848م، حيث ألقي القبض على البطل أحمد باي مع أربعة عشر مجاهدا في جبل (تقطيوت) بمكان يسمى (تيميسة) بسيدي المصمودي قرب بلدية المزيرعة دائرة سيدي عقبة حاليا، ولما علم الجنرال كارنوبير بإلقاء القبض على أحمد باي عرج على بسكرة حيث سلم له، وأخذه معه إلى باتنة، ثم وجه إلى قسنطينة ومنها إلى الجزائر، وبقي فيها إلى أن توفي في شهر **أوت**/1852م وضريحه في مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي. **انظر**: الغزو = والاحتلال الفرنسي للأوراس، د.محمد العيد مطمر، مجلة أضواء الأوراس التاريخية، ص: 44 – 47، العدد التجريبي، مارس 2006م ؛ **انظر أيضا**: تاريخ الأوراس، ص: 161. مرجع سابق.

(2) هو أحد أبناء الشيخ الصادق ولد سنة 1827م نفي إلى مدينة معسكر بعد خروجه من السجن وتوفي في سنة 1876م. **انظر**: تاريخ الأوراس، ص: 198– 199. مرجع سابق.

(3) **انظر**: تاريخ الأوراس، ص: 159– 163، مرجع سابق.**انظر**: رواية الشيخ محمد الهاشمي دردور بن عبد الله (2003/1923) رواية عن كبار السن الذين رووا عن آبائهم الذين عاشوا تلك الأحداث التاريخية أو قريبي العهد بها. (لدى الباحث) .

8 الشيخ الهاشمي نجل الشيخ علي دردور 1231هـ/1815م– 1317هـ/1899م.

ولد بقرية مدرونة استحضر القرآن الكريم بكل من زاوية حيدوس ومدرونة وعمره إثنتا عشرة سنة، فطاف بكل من زاوية بن عزوز ببرج بن عزوز قرب طولقة، ثم زاوية الشيخ عبد الحفيظ بخنقة سيدي ناجي، ثم زاوية بوحجر ضواحي قالمة، ثم زاية سيدي مصطفى بن عزوز بالجريد التونسي، طالبا لعلم السلوك وهو لم يكمل العقد الثاني من عمره، ثم توجه بإذن من شيخه مصطفى بن عزوز، إلى مصر حيث الأزهر الشريف، حوالي سنة 1837م، متنقلا في البراري وقد لقي في سفره هذا الكثير من الحاجة والعنت حتى أنه كان يأكل أصول الأعشاب الطرية كالحلفاء ويستعين بأوراق الأشجار الطرية ليسد بها رمق الحياة،أو بتناول نصف تمرة في وجبة الصباح والنصف الآخر في وجبة العشاء...، بقي بمصر حوالي عشرين سنة، طالبا بالأزهر الشريف ومدرسا بمدينة الإسكندرية.وكما يبدو من رواية أتباعه ومريديه أن الشيخ أثناء غيابه هذه الفترة الطويلة، قام برحلة إلى إفريقيا، حيث كان يروى لهم ما شاهده من مغامرات في تلك البلاد من حيوانات وطيور جارحة ومن قبائل وأجناس، كقبائل الأقزام العراة، والقبائل آكلة لحوم البشر وغير ذلك من عجائب الأخبار والمغامرات.

بعد وفاة والده وعودته من هذه الرحلة الطويلة المليئة بالمغامرات وبالتجارب الكثيرة، وتحصيل العلم والسلوك، حيث وَظَّفَ هذه التجارب وخبراته لخدمة مجتمعه ووطنه، حيث قام بتأسيس طريقة الأحباب سنة 1876م بمدرونة، وقام بمهمة تعليم الدين والفقه والتربية في الحلقات المسجدية، ويلقن قصائد المبشرات في التربية والسنة للأميين من الرجال والنساء، إلى جانب مهة الإصلاح والافتاء والوعظ والإرشاد والتوجيه السياسي ضد المحتل،وقد كان له منهج خاص في التربية الدينية والدنيوية والعمل الدنيوي والأخروي متمثلا القول المأثور:(اعمل لدنياك كأنك تعيشأبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)، من إتقان العمل واستغلال الوقت فيما ينفع دينا ودُنْيَا والتغلب على مصاعب الحياة وظروفها، واتقاء الحاجة أوالاحتياج للناس، حيث لم يرو أن أحدا ممن انتسب إليه نالته صروف الدهرمن الفاقة والحاجة لأمور الدنيا أو عاجزا عن مواجهة متطلبات الحياة، فمن لم يملك دارا أمر أتباعه عن طريق التعاون المعروف **بالتويزة**[1] فيبنى له

---

(1) التويزة أصلهاكلمة أمازيغية من تويزي بمعنى حمل أو ساعد على حمل شيئ ثقيل، وهي عبارة عن مساعدة جماعية بتقديم اليد العاملة أو وسائل العمل من دواب وأدوات، وهي عملية تطوعية دون أي إكراه ولا تلزم المستفيد أداء أي أجر أو مقابل، وهي من عادات المجتمع الجزائري والعربي، تتم عن طريق التعبئة الجماعية يشترك فيها الرجال والنساء والأطفال، بتوزيع فيها العمل حسب الجنس والسن وطبيعة العمل، بقصد إنجاز بعض الأشغال وخاصة تلك التي تتعلق بالبناء والحرث والحصاد وجمع المحاصيل الزراعية وعملية الدرس، أو بناء مسجد أو تحويل مجرى مياه لأجل السقي، وشق الطريق، أو في أعمال النسيج والحياكة، أو تحضير الكسكس للمناسبات ...وهي مظهر من مظاهر التعاضد والتكافل الاجتماعي، ورمز من رموز الاتحاد والقوة التي حث عليها ديننا الحنيف كما جاء في الأثر: ((عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة)). ((عليكم بالجماعة وأياكم والفرقة)). ((الجماعة رحمة والفرقة عذاب))..وللأسف فإن هذه القيم الاجتماعية والدينية كادت تندثر وتزول من مجتمعاتنا بفعل المدنية الحديثة المهوسة بتقليد أساليب الحياة الغربية في كل شيئ.

بيتافي مدة **وجيزة**[1]، وبالنسبة للفلاحين الذين ليس لهم بغل اشتراه له إمامن ماله الخاص أو قدم له قرضا، أو جمع إعانة له من الإخوان، ثم يدله على إشراك أحد الإخوان لتكون (جابذة) حسب التقاليد الفلاحية للتمكن من حرث الأرض على الوجه الأكمل، ويأمر بعض مريديه بشراء الحيوانات من غنم وعنز وبقر وتقديمه إلى من يستطيع القيام بتربيتها على أساس الشراكة بينهما، كما كان يحرض إخوانه أثناء مواسم الفلاحة بحرث وبذر أراضي العجزة والنساء الأرامل عن طريق التويزة ثم الحصاد والدرس كذلك، وقد أنشأ في كل قرية مركزا يجمع فيه جزءا من زكاة الحبوب من القمح والشعير والذرى، وفي آخر الربيع يتفقد في كل قرية حالة الفقراء والمعوزين ثم يوزع عليهم من هذه المراكز المؤونة لإتمام معاشهم السنوي، وتارة يوزع جزءا من هذه الحبوب على العجزة أثناء الحرث من ناحية البذر، أو القيام بشؤونهم الخاصة لشراء اللباس للعجزة، وإذا بقي شيئ من الحبوب حتى لا يتعرض للفساد والحشرات يقوم ببيعه، فيقوم بشراء بغل أو قطعة أرض لأحد الفقراء وهكذا...كما كان يحث إخوانه استغلال أوقات فراغهم بالعمل وعدم تمضية وقتهم في اللغو واللهو على العمل ويقول لهم : (أحلوا غداءكم وعشاءكم بالعمل ولو بالعمل في بيوتكم وأملاككم، حتى لا تكونوا فقط مستهلكين غير منتجين.)، وكان يؤكد ويوصي الفلاحين على عدم ترك العمل حتى ولو في أسوأ الظروف[2]

كماكان يحث إخوانه على الصناعات الحرفية امتثالا لقوله ﷺ: ﴿ الحرفة في اليد أمان من الفقر ﴾ مثل صنع الأحذية من الحلفاء المعروفة في ذلك الوقت بالمدايس سواء للاستهلاك الشخصي أو التصدق أو البيع، ويحثهم بتنقية أراضيهم الفلاحية من الأحجار والحشائش المضرة ويقول لهم في هذا الصدد: كل حبة تنبت في مكان الحجارة أو الشوك الذي نزعته لك فيه حسنة وأجر،كما يوجههم إلى أماكن جبلية غير صالحة للزراعة باستصلاحها لفلاحتها وغرسها. وعند انتهاء فصل الصيف وإتمام موسم الدرس والحصاد

---

(1) حيث كون مجموعة من المهرة البنائين من بينهم: بوخنون، وهلالي من أريس، وعمار أوبيلا، والحاج عبد الرحمان برينيس، وعبد الله بن سعيد النارثي...وغيرهم، حيث ينتقل هاؤلاء من مكان لمكان والتعاون معهم في شكل تويزة للقيام بتشهيد البيوت والمنازل....على سبيل المثال: بناؤهم بيتا كبيرا بطابق واحد لبولبينة بالمكان المسمى (ثاسبقونت) بثنية المطحنة هذا البيت مازال شاهدا إلى يومنا هذا وهو تحفة فنية ومعمارية أثرية جديرة بالاهتام والدراسة للمحافظة عليها لأنها تعبر عن حقبة تاريخية مهمة في تاريخ الأوراس الثقافي (لدى الباحث تسجيل فيديو خاص حول هذا الصرح المعماري) ، وكالبيت الذي بني بطابق واحد للحاج عمار أبيلا في قرية حلاوة، ومنزل أولاد مذكور بقرية مزاتة بثلاث، ومنزل لأولاد حتوت، وآخر لأولاد بومشاش بوادي الطاقة...الخ، وهذه البيوت والمنازل لم تكن بيوتا عادية وبسيطة بل كانت تتألف من أبراج للمراقبة ومخازن وبيت لاستقبال الضيوف وغرف للسكنى ومرافق للحيوانات والماشية، آثار بعض هذه البيوت مازال باقيا إلى يومنا هذا **انظر**: تسجيلات فيديو وأوديو لدى الباحث مع كل من: حموتة مسعود المولود سنة 1922م، وعبد الحفيظ المدعو محمد أبيلا المولود سنة 1926م، وبولبينة عبد الله المولود سنة 1905م

(2) حيث كان يوصي من لا تسمح لهم ضروفهم وأوقاتهم بالعمل، بأن ينزع ردائه ويفرشه على الأرض ويقوم بخدمة تلك المساحة يوميا، كحد أدنى من واجب العمل اليومي تحت أي ضرف كان.

يستفسر كل الفلاحين عن نسبة إنتاجهم الفلاحي والزراعي، فيأمرهمأولا بإخراج الزكاة ثم يحدد لهم مقدار المؤونة السنوية حسب أفراد العائلة الذين تحت كفالته، ومقدار البذر، وكمية الأدخار للظروف الطارئة، ومع بداية الموسم الفلاحي الجديد يوصيهم على انتقاء البذور والحرث وتنقية الأرض، وغرس الأشجار، وسقيها وزبرها وتربية الحيوانات ومعرفة أمراضها ومعالجتها، كما دلهم وعلمهم على كيفية صنع آلات الفلاحة من محارث وسكك ومذاري ...الخ. وقد يقدم قروضا من الحبوب من مستودع الزكاة للناس عند الضرورة، كما يقدم لهم قروضا مالية خاصة من ماله مع الالتزام بإعادة القروض في آجالها المحددة المتفق عليها مسبقا، فإذا طلب المقترض قرضا آخر فيأمره بأسلوب تربوي مهذب بالذهاب للمكان الذي أخذ منه المال أول مرة فلا يجد شيئا فيخبره بذلك فيقول له: (لو أعدت القرض لوجدت هذه المرة قرضا آخر)[1].

كما كانت له عناية بشؤون الرياضة والصحة والوقاية من الأمراض بالحمية، حيث كان يحث على إتقان فنون الرماية والفروسية، والعناية بالصحة والوقاية من الأمراض باتباع نظام الحمية في الأكل والشرب، وإعداد الطعام، وأداب تناوله، من إرشاداته في هذا الشأن قوله: (كل قلة واشرب قلة تنجو من العلة) وباللغة الشاوية المحلية (اتش قش اسو قتش أشتاغ أكذقيش)..... بالإضافة إلى عنايته بالتداوي بالأعشاب الطبية حسب ما ورد في الطب النبوي وتذكرة داود الأنطاكي، أما الرقية بالتمائم فلم يمارسها قط، ولم يأمر بها، بل نهى عنها، حيث كان إذا وجد تميمة عند أحد نزعها عنه ودفنها في التراب.

وفي مجالات شؤون المرأة والأسرة كان يأمر بإحصاء الشباب والشابات الذين في سن الزواج، والأطفال الذين في سن الختان، فيدبر أمر ختان الأطفال، وتدبير أمور الزواج بداية من اختيار الزوجة المناسبة لكل واحد[2]، إلى دفع الصداق المتفق عليه المعلوم دون مغالاة، وتجهيز العروس من غير شروط مسبقة دون تكلف أو مبالغة، وإجراء مراسيم العقد والزفاف والوليمة بأدنى عدد ممكن من المعازيم، وقد أعطى مثالا على ذلك في أسرته، حينما زوج ابنته. كما كانت له عناية خاصة بحقوق المرأة في التعليم، في وقت كان فيه المجتمع لا يشجع المرأة على التعليم أصلا أيا كان،حيث آل على نفسه بهمة تعليم المرأة وتثقيفها،فكان يعلمهم فنون الغزل والنسيج بنفسه حيث كان يعطي لهن دروسا عملية بيده في كيفية الغزل وحياكة الصوف لنسج الألبسة المختلفة، وصناعة الأظلاف مثل التليس والعمارة والغرارة والفليج لبيوت

---

(1) لعل كان غرضه من ذلك أن لا يظهر امتنانه على الناس من جهة، ومن جهة أخرى تربيتهم على رد ودفع الديون المترتبة في ذمتهم والمحافظة على الأمانات التي يستلمونها من أصحاب الفضل والإحسان وردها لأصحابها في أوقاتها المحددة، وكذلك ليولد فيهم الحرص على استثمار أموالهم فيما يعود عليهم بالفائدة والنفع لا بصرفها في أمور استهلاكية وقتية لا تعود عليهم بالنفع والفائدة آجلا.

(2) حيث كان يأمرهم في كثير من الأحيان بتزويج فلان لفلانة وفلانة لفلان مراعيا بذلك خصوصيات التركيبة الاجتماعية للمجتمع، والصراعات القبلية، حيث صاهر القبائل بعضها ببعض مما جعله ينهي = بشكل طبيعي كثير من الصراعات والعداوات بين الأعراش والقبائل حيث حصلت الألفة بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين يلتقون أثناء الزيارات السنوية.

الشعر. وفي أوقات المساء بعد إنهاء الأشغال اليومية، يخصص وقتا للنساء ووقتا آخر للرجال، يعلمهمويلقنهم الضروريات من الدين سماعا مثل: التوحيد وفرائض الصلاة والصوم والحج والميراث في شكل قصائد منظومة ليسهل عليهن حفظها سواء باللغة العربية الدارجة أو باللغة المحلية الشاوية، فضلا عن تحفيظه لهن الأحاديث النبوية والأدعية المأثورة في الأوقات والمناسبات مثل دعاء سماع صوت الرعد والنوم والاستقاض من النوم ...مع المحافظة على أذكار وأوراد الطريقةالطريقة الرحمانية.من استغفار وتصلية وتهليل،.بالإضافة الأوقات الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم بحيث بلغ منهن من وصلت الحفظ بهذه الطريقة لغاية سورة يسن...قال عنه المجاهد الشيخ محمود الواعي: (يعتبر المرحوم الشيخ الهاشمي بن علي دردور أحد المشائخ الروحيين والمربين الاجتماعيين الأفذاذ ضمن المسار التاريخي للمنطقة، وكان له سواء قبل نفيه إلى جزيرة كورسيكا أو بعد رجوعه منهاج في التربية الدينية والعمل الدنيوي والأخروي، يسعى من خلاله إلى تربية المريدين واستقامة سلوكهم وحفظ كرامتهم)[1]

أما عن نضاله السياسي والوطني فقد كان من المؤيدين لثورة ابن جار الله[2] التي وقعت سنة 1879م، وحرض المريدين وأتباعه وغيرهم على الامتناع عن دفع الضريبة، وقد قام بشق مسالك جبلية جديدة غير معروفة[3] وذلك بهدف التنقل بحرية بعيدا عن أعين الاستعمار وأعوانه الأمر الذي دفع بالسلطة العسكرية إلى إلقاء القبض عليه سنة 1880م، مع ستة من مقاديم طريقته. ونقل الشيخ من مدرونة إلى تازولت برفقة مكتبته الضخمة الخاصةالتي استجلبها معه من المشرق العربي، وبعد إنهاء التحقيق معه لعدة أيام في تازولت نقل إلى سجن قسنطينة، ومنها حكم عليه بالنفي إلى جزيرة كورسيكا مع من كان معه، ومكث في المنفى عشر سنوات وأربعة أشهر وذلك إلى سنة 1890م، ورجع إلى مدرونة مواصلا رسالته ونضاله ....مما جعل السلطات الاستعمارية سنة 1895م تقبض عليه من جديد وتنقله إلى باتنة تحت الحراسة لمدة خمسة أيام، فقام الشعب في الأوراس من سكان وادي عبدي ووادي الطاقة من أتباعه ومريديه ومحبيه بالتجمع للقيام بمظاهرة كبيرة في باتنة وتازولت أمام السلطات العسكرية، كان من بينهم شيخ زاوية ثنية العابد المبارك بن محمد بن بلقاسم، مع جماعة من الأعيان، من أجل إطلاق سراحه، وقد أطلق سراحه بعد دفع غرامة مالية جمعها المواطنون، ورجع إلى مسقط رأسه مدرونة يصارع آلام المرض الذي التحق به أثناء مكوثه في المنفى، إلى أن انتقل إلى ربه في ديسمبر من سنة 1899م عن عمر يناهز 85م. رحمه الله.. قال عنه اللواء قائد الشعبة العسكرية في باتنة:(شيخ زاوية دينية، تابعة للطريقة السنوسية،

---

(1) **راجع**: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837 – 1954، جمعية أول نوفمبر 1988م، حياة الشيخ الهاشمي بن علي دردور، محمود الواعي، ص204-208. **راجع**: المبشرات، مخطوط لدى الباحث. **راجع**: تسجيلات خاصة فيديو وأوديو لدى الباحث.

(2) انظر: ثورة الأوراس سنة 1879، عبد الحميد زوزو، ص 43-44، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

(3) ما زالت بعض آثارها إلى اليوم.

وقد كون لنفسه أتباعا كثيرين، يحرضهم يوميا على عصيان سلطتنا، فهو يشكل خطرا على الأمن العام، يوصى بنفيه إلى أبعد مكان ممكن عن بلده الأصلي)[1]

9 **محمد الصادق بن رمضان البسكري:** محمد الصادق بن الفقيه مصطفى بن محمد بن رمضان بن عصمان (عثمان) البسكري، ولد حوالي سنة 1194هـ/1779م، نشأ في أسرة عريقة معروفة بالعلم والثراء والكرم والصلاح، شأنها تعليم القرآن الكريم وتدريس العلم الشرعي، أبوه الشيخ مصطفى 1138هـ-1218هـ/1725-1803م، الفقيه المدرس من العلماء البارزين بشهادة قضاة وأعيان بسكرة في العصر التركي، كان مدرسا للعلوم الشرعية بالمسجد الذي أنشأه بجوار داره بحي سيدي بركات بسكرة، حفظ القرآن الكريم، وتعلم الضروري من علوم الدين على يد والده، اشتاقت نفسه لعلم السلوك والتزكية، فقصد الشيخ محمد بن عزوز البرجي فيما بين سنة 1218-1233هـ/1803-1817م، فأخذ عنه الطريقة وأدخله الخلوة إلى أن أتم سلوكه على يديه رفقة أقرانه المشائخ الأجلاء الذين قدموا إلى الشيخ بن عزوز من مناطق مختلفة من أمثال، علي بن عمر، وعلي جروني والمختار الجلالي، والصادق بلحاج تبرماسين، وعبد الحفيظ الخنقي، المبارك بن خويدم، وعلي دردور...، وبعد انتقال شيخه بن عزوز للرفيق الأعلى، لاذ بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي فأصبح يزوره رفقة جميع من إخوانه من بسكرة وأولاد جلال وأولاد زيان من جمورة ولبرانيس، ولم ينقطع عن زيارته رغم تعرضه لقطاع الطرق عدة مرات وتجريدهم من أمتعتهم في كل مرة[2]. خلف والده في التدريس، كما قام بتوسعة الزاوية وإضافة مرافق جديدة لها لتتسع لطلبة القرآن الكريم والعلم، والإيواء وإطعام الطعام للفقراء وعابري السبيل، وعند دخول فرنسا للمنطقة و احتلالها لبسكرة سنة 1844م انضم إلى إخوانه الشيخين عبد الحفيظ الخنقي، والصادق بلحاج، اللذين قادا معركة وادي براز قرب بسكرة سنة 1849م، ألقي عليه القبض إثر هذه المعركة[3]، وأبعد إلى بلدة البرانيس ضواحي **بسكرة**، فمكث فيها خمس سنوات أسس بها مسجدا ومسكنا وزاوية مزاولا نشاطه الدعوي والجهادي، وقد تعرض لمضايقات العدو الفرنسي الذي توجس من نشاطه، فقام بإبعاده مرة أخرى إلى

---

(1) نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900) ، عبد الحميد زوزو، ص 186، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م.

(2) روى لي شيخ زاوية بالرمضان الحالي ببسكرة عن ابن أخت الشيخ محمد الصادق بالرمضان المولود سنة 1870 والمتوفى سنة 1982، أن هذا الأخير في آخر زيارة له وجد شيخه سيدي عبد الحفيظ ينتظر قدومه على مشارف الخنقة فقال له: أبشر يا محمد الصادق هذه هي التجريدة الثالثة والأخيرة، لقد جردك الله من الدنيا وأمر مناديا ينادي يقول: إن كان عبد الحفيظ العين فإن محمد الصادق حدقة العين. ومما يؤكد هذا المعنى وثيقة لدى الزاوية من من طرف قاضي بسكرة وقاضي القنطرة وأربع فقهاء من بسكرة أن محمد الصادق أثناء حياته لا يبيع ولا يشتري في أملاكه.

(3) تأثر الشيخ محمد الصادق بالرمضان بالهزيمة والخيانة...فقال قصيدة من الملحون يصف فيها أحوال الناس في تلك الفترة، من أن الأخ لا يأمن أخاه،وإقبال الناس على الدنيا ونسيان الآخرة، وأصبح الإخوان خيان والمقاديم عديان، وأصبح الزمان زمان خيانة سكوت عن الحق وكثرة الشرور...(القصيدة لدى الزاوية المذكورة في بسكرة) .

بلدة **جمورة**، ليسهل على الاستعمار مراقبته عن كثب لأن جمورة غير البرانيس فهي كبيرة تتألف من 12 قرية والاستعمار متمركز فيها بقوة. مكث الشيخ محمد الصادق بالرمضان في منفاه الجديد بجمورةمابين سنة 1855 إلى سنة 1860م حيث أسس بها مسجدا مجاورا لمسكنه وزاوية لتعليم القرآن الكريم يدرس فيها العلم، ونشر الطريقة الرحمانية والاجتماع بالإخوان، وبحكم علاقتة الوطيدة والطيبة بأولاد زيان بشقيها الظهارة والقبالة،وقد ومكث بها مستأنفا نشاطه مع اشتغاله بالتأليف..إلى أن وافته المنية بجمورة سنة 1283هـ/1867م، وحمل إلى بلدة بسكرة ودفن بزاويته وكان يوما مشهودا[1]، مخلفا وراءه سبعة أبناء وبنتين، وقد كان للشيخ محمد الصادق بن رمضان فضل كبير في نشر الطريقة الرحمانية وخاصة أثاء إقامته بمنفاه في البرانيس وجمورة، وقد استمرت الزاوية في التعليم القرآني والتدريس بعد وفاة الشيخ على يد أولاده سيدي عبد الحفيظ وسيدي الحفناوي وأحفاده من بعدهم وخاصة محمد الطاهر رماضنة المشهود له بالعلم الغزير والفقه في الدين حتى أنهم كانوا يسمونه بحر العلم[2]. أما عن الأبناء الروحيين للشيخ محمد الصادق وأشهر تلامذته نجد خليفته سيدي **موسى بن العابد الغسيري** دفين غوفي الذي انتقلت إليه خلافة شيخه، ومن تلامذته أيضا الشيخ إبن أخيه **مصطفى بن رمضان** وبعد وفاة شيخه لزم خدمة خليفة شيخه سيدي موسى بن العابد في زاويته بغوفي ثلاث سنوات،وحين وفاته انتقل إلى بلدة **بانيان** وبالضبط في المكان المسمى **تازقاغت**، فأسس بها مسجدا وزاوية كبيرة بمرافقها من سكن لإيواء الطلبة ومطحنة للحبوب وحمام بخاري، فاستقطب المكان الناس وجاوروها للسكنى فاتسع إلى أن أصبحت قرية كبيرة متسعة العمران تحتوي على المرافق الضرورية من محلات تجارية ودكاكين حرفية للصناعات التقليدية، وصناعة الحلي... وقد استقطبت الزاوية الكثير من الأتباع وكثر زوارها ومريدوها، وقد مكث الشيخ مصطفى بن رمضان على

---

(1) قبل وفاته استدعى إخوانه فاجتمعوا عليه من أولاد جلال وبسكرة والبرانيس وجمورة وماجبة بنواحي تيمقاد..صلى بهم الظهر خارج المسجد الذي لم يسعه حيث صلى ركعتين قائما وركعتين جالسا لشدة المرض الذي ألم به، ثم خطب فيهم وبشرهم بما بشره به رسول الله ﷺ في الرؤيا التي رآها أن الله أعطاه الشفاعة يوم القيامة في راحلتين نخالة، وبشرهم باستقلال الجزائر وقيام الدولة الجزائرية وقال أن فيكم من يحضر هذا الاستقلال، وبقي الرجل يحكي لأهل جمورة ذلك إلى أن جاء الاستقلال وجاء لزاوية بن رمضان في بسكرة وحكى لهم هذه القصة وقد كان عمره آنذاك 17 سنة، توفي سنة 1966 عن عمر يناهز 120سنة، وهو السيد علي بلغمري من سكان جمورة وأثناء الخطبة كان يقول لهم اياكم يالخوان الروح لبسكرة ثم فارق الحياة بينهم في الغابة وعند وفاته اختلف الناس في فهم هذه الإشارة أن الشيخ كل لحظة يقول:((ما انباتش هنا في جمورة اروح لبسكرة)) وقد كانو يعتقدون أن فرنسا رفعت عنه حكم النفي وحملوه إلى بسكرة وأثاء مرورهم بزاويته ببرانيس ازداد عنده ولد سموه عبد الحفيظ، ودفن في اليوم الرابع من وفاته لأجل انتظار وصول إخوانه القادمين من أماكن بعيدة مثل قسنطينة .

(2) ومما يذكره الأحفاد عن غزارة علمه أنه جاء يوما من تهودة فمر ببسكرة وعند مروره بشارع المحكمة وجده مسدودا من الناس لأجل مسألة عرضت على القاضي تتعلق بمسألة في الميراث تتكون من سبع = جدود حيث اجتمع الفقهاء من كل الجهات فصعب عليهم حلها فعرض عليه أنه سيأيهم بحلها غدا وفي الغد جاءهم بالحل بالفريضة، وتعهد ان من ضاع حقه فهو في رقبتي يوم القيامة، وقد عرضت عليه أن يكون قاضي القضاة فرفض ذلك وقال لهم أنا منخدمش في ظل الحكم الفرنسي. **انظر**: تسجيلات خاصة للباحث (فيديو + أوديو) في 2008 و 2009. مع القائم بزاوية الشيخ محمد الصادق بالرمضان ببسكرة السيد عبد الحفيظ رماضنة (1934م) ونجله عبد الهادي.

هذا الحال ما يقرب من 32 سنة.و على إثر كارثة السيول التي جرفت مطحنةالحبوب و قضت على أغلب البساتين والأراضي الفلاحية، توجه إلى بلدة البرانيس حيث الزاوية التي أنشأها شيخه محمد الصادق بن رمضان وقد كان عمره آنذاك 99سنة، فجدد التعليم القرآني بالزاوية و قد مكث بها ثلاث سنوات أقبل عليه الكثير من الناس من عدة مناطق كالدروع والشتمة وامشونش وورقة وأوغانيم ونارة ودار اعروس وبسكرة. توفي بالبرانيس عن عمر يناهز 102 سنة وبها دفن في الجامع الذي يحمل اسمه إلى الآن[1]. ومن أشهر تلامذة الشيخ محمد الصادق بن رمضان سيدي لخضر صغيري وقد انتفع منه الكثيرمنهم سيدي المختار بالرمضان[2] وسيدي السعدي الذي رجعت إليه الخلافة بعد وفاة الشيخ مصطفى بن رمضان في البرانيس ومن تلامذة الشيخ أيضا سيدي محمد الصالح بن خنوش الشتمي. وسيدي العباسي[3].

أما آثاره فتتمثل في نسخه لبعض الكتب ككتاب: [المنح الربانية شرح المنظومة الرحمانية] للشيخ مصطفى باش تارزي الذي انتهى من نسخه في 26 رجب 1265هـ/1848م، وكتاب [وسيلة المتوسلين في فضل الصلاة على سيد المرسلين] للشيخ بركات بن أحمد العروسي في جمادي الأولى 1273هـ/1856م، أما الكتب التي من تأليفه فهي خمسة كتب، منها:

1- كتاب تبصرة الذاكرين في طريق السالكين في 29 رمضان 1273هـ/1856م
2- كتاب تحفة السلوك لمقام الملوك في شعبان 1275هـ/1858م.
3- كتاب رسالة دائرة الأولياء في ذي القعدة 1280هـ/1863م.

---

(1) حيث شهدت الزاوية من بعده على أيام أبنائه وأحفاده منهم سيدي عبد الرحمان، وخاصة سيدي الصادق انتعاشا كبيرا، فأصبحت تستقطب حوالي 80 طالبا منهم طلبة متزوجين ولهم أبناء تضمن لهم الأكل والإيواء، وقد تداول على التعليم القرآني في الزاوية كل من اسموني خليفة المشهور بصرامته وانضباطه وقد تخرج على يديه الكثير من حفظة القرآن الكريم، ثم جاء من بعده ابن أخته بن مرزوق صالح، ثم سي = ابراهيم رماضنة إلى حين اندلاع الثورة وتحت ضغط الاستعمار رحل إلى بسكرة، استخلفه سي الصالح الذي رحل أيضا إلى بسكرة تحت ضغط الاستعمار الفرنسي، أما سي محمد العربي مصمودي فقد درس العلم بالزاوية لمدة ثلاث سنوات حتى اندلاع الثورة التحريرية 1954م، وهو أول من أنشأ الكشافة في البرانيس وقد كان يخرج بطلبته إلى الجبال المجاورة مصحوبين بعصا وبطانية ومخدة ودلو ماء للتدريب، وقد إلتحق حوالي 30 طالبا من خريجي وأبناء هذه الزاوية بصفوف الثورة التحريرية منهم: قطاف محمد الشهيد وقطاف بلقاسم وبلوناس الساسي و = فدياس، ولطيف الساسي، وصايفي محمد، ورويغي محمد، ورويغي أحمد....**انظر**: تسجيل فيديو خاص بالباحث في 2009/12/29م مع السيد ميراد حسين المولود سنة 1929م وهو أحد تلاميذ الزاوية.

(2) له مؤلف فيه 35 قصيدة أغلبها ضاعت، منها قصيدة في مدح شيخه مصطفى بن رمضان، وقصيدة في الحث على الصبر على قضاء الله وقدره والابتلاءات، ما زال الشيخ عبد الحفيظ بن رمضان يحفظ مقاطع من هذه القصائد.

(3) والده الكاتب الخاص لشيخ العرب بوعزيز بن قانة، وهو من تلاميذ الشيخ محمد الصادق بن رمضان المقربين، توفي في حياة شيخه، ولعلم شيخه بصلاحه وتقواه وولايته دفنه بتربة زاويته، وقد دفن شيخه بجواره لاحقا، بزاويته ببسكرة. **انظر**: السيد عبد الحفيظ رماضنة (1934م) ونجله عبد الهادي، تسجيلات،مرجع سابق.

4- كتاب درر الأرزاق في سر الحرف وتعمير الأوفاق، استعاره أحد الإخوان من سكان الشتمة من الزاوية على أساس أخذه إلى المغرب لطباعته ولم يظهر من ذلك الوقت.

5- كتاب لطائف الحكم الشافي من الأمراض والسقم في 3ذو الجحة 1280هـ/1863م[1].

10 سيدي عبد اللطيف: ذكره صاحب تعطير الأكوان ووصفه: بشريف النفس البر التقي العفيف العارف، وأورد له في مدح شيخه عبد الحفيظ الخنقي قصيدة تزيد عن سبعين بيتا من الشعر الملحون، يعاتب فيها الذين يلومونه على إتباع الشيخ وحبه له، ثم يتكلم عن مناقب الشيخ وقدوته ويتأسف عن العمر الذي مضى قبل تعرفه على الشيخ نقتبس منها هذه الأبيات:

ياعاذلي وعلاش لقولك ما نسمع * ياعاذلي وعلاش لقولك ما نسمع

عجبت لمن يعذل الأنفاس * ولنفسه الأمارة ما عذل.

يشتغل بعيوب الناس * وبعيبه لقبيح ما اشتغل.

تب وارجع بسلام اسمع ما اقول * عرض المسلم حرام قاله الرسول

إلى أن يقول:

يا سامع الخبر بالأذان عد عنك ولا تقبل * ليس الخبر كالعيان اتبع الحق ولا تذهل.

شيخي عبد الحفيظ يامن يسمع ذكره * بحر طامي بالفيض فللمخفوض يرفع.

من أتاه ضريع * حين يراه يخضع.

يامن بك العلل بادر للطبيب بالعجل * قبل قدوم المنايا فيحصل لك الخوف والخجل.

هذا الشيخ رفيع فلا يحرم خيراه * عارف بالسير سريع لمن طلب سيراه.

فكن إليه مطيع سوف ترقى وتطلع * عليك حصن منيع للعمل الصالح ترفع.

يا طالب السلوك لمالك الملوك * ادن من شيخي وقرب

وانف عنك الشكوك يا مهلوك * فإن كذبتنا فجرب.

قالت لي نفسي أنت شيخك ويناه * فنوديت في سري فرفع الحجاب بيني وبيناه

---

[1] - **انظر**: نبذة عن حياة الشيخ سيدي محمد الصادق بن رمضان البسكري، عبد الهادي رماضنة، مراجعة الشيخ عبد الحفيظ بن رمضان شيخ زاوية بن رمضان بسكرة. **راجع**: السيد عبد الحفيظ رماضنة (1934م) ونجله عبد الهادي، تسجيلات، مرجع سابق.

نظرت فيه بالحق لا نوم بل يقظا * أنا له عشيق بغيره ما نرضاه

لو نراه خريق السماء والأرضا * به ما نصدق ولا لقول نسمع

قلبي بالشيخ وثيق * في غيره ما نطمع

يا سامع قولنا العذر لنا منك يا أخي * قد مدحت فضل شيخنا عبد الحفيظ السخي

اعذر وانصف الحق قلته لشوقي * لا فقه محقق ولا نحو في نطقي

إلا من حب عشيق غالب عني ذوقي * عبد اللطيف نطق بقوله تبرع

حيت قلب عشيق * في شيخه ما يهجع.[1].

11 الشيخ محمد ظافري: المعروف عند أهل قرية أمنطان (**موحند أوشيخ**)، وهو أحد مقاديم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، أصله من أولاد النصيب من الخنقة، أمره شيخه عبد الحفيظ الخنقي بالذهاب إلى قرية **أمنطان** في عمق الأوراس القريبة من **منعة** للإقامة بها وإنشاء زاوية تقوم بالتعليم القرآني والتدريس والإطعام والإيواء كغيرها من الزوايا، وقد أقبل عليها الناس بكثرةفي عهده من عدة مناطق، وخاصة من أولاد زيان وأولاد داود (التوابة)...ويذكر أنه كان مدفون تحت قبة قبل أن يطالها الإهمال إلى أن اندثرت آثارها تماما في السبعينات من القرن الماضي، أما الزاوية فانقطع نشاطها منذ سنة 1949م، حيث غادرها أحفاد الشيخ إلى مختلف المدن الجزائرية[2].

---

[1] **راجع**: كتاب تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات العرفان، ص 154-158،مرجع سابق.

[2] **انظر**: تسجيل فيديو خاص للباحث بتاريخ 2009/12/30م مع بعض كبار السن الذين لديهم معلومات شفهية عن تاريخ الزاوية في أمنطان الأعلى.

المبحث الثاني

المقاومة الشعبية، وجهاد الشيخ عبد الحفيظ للمستعمر واستشهاده

المطلب الأول: المقاومة الشعبية أثناء احتلال الأوراس وبسكرة:

بعد سقوط قسنطينة وانسحاب الحاج أحمد باي نحو الأوراس والصحراء وفق خطة خاله **ابن قانة**[1]، ورفضه عروض فرنسا للاستسلام، واختياره طريق المقاومة، وحين وصوله إلى بلدة لوطاية بعد أن أرسل أمتعته إلى القنطرة، ثم إلى الأوراس بقرية منعة لدى عائلة ابن عباس، علم أن فرحات بن سعيد يلاحقه وقد دعم صفوفه بأولاد عبد النور والبلازمة، والحضنة، ثم قام بهجوم كاسح على مدينة بسكرة كأول مواجهة بين الأشقاء، انتصر فيها فرحات بن سعيد على قوات أحمد باي واحتجز منهم بعض الرهائن، فراسل (**المارشال فالي** marichale fali) حاكم قسنطينة ليخبره رسميا بالنصر الذي أحرزه على أحمد باي وأرسل إليه بالرهائن الذين احتجزهم من بسكرة، وقد ذكر المارشال فالي في تقريره إلى باريس، أنه راسل **فرحات بن سعيد**[2] واتفق معه حول حدود الإقليم وسلم له قفطان الشرف ثم تنصيبه قائدا على الصحراء...، والحقيقة أن هذه المواجهة كانت عبارة عن مناوشات بين أعداء الأمس والمتنافسين على السلطة منذ العهد العثماني، أرادت فرنسا أن لاتفوت الفرصة وتستثمرها لكي يسهل عليها احتلال المنطقة، لأن خضوع جنوب مقاطعة قسنطينة والصحراء إلى ذلك الحين لم يتم بعد، كما أن التدابير التي اتخذتها الحكومة الفرنسية تجاه فرحات بن سعيد لم تفلح بفعل الأحداث الدموية التي حصلت بينه وبين خصومه من أنصار أحمد باي وبوعزيز بن قانة، ذلك أن أحمد باي قد اتجه من الوطاية إلى طولقة أين عسكر بالقرب من زاوية سيدي رحال بين فوغالة والعمري، من أجل التصدي لقوات فرحات بن سعيد وقطع المدد عنه، حيث اعترض أنصاره من البوازيد حوالي 500 جندي مشاة من أولاد نايل كانو في

---

(1) في انتظار الحصول على نبذة من حياته.

(2) هو فرحات بن أحمد بن محمد السخري المدعو فرحات بن سعيِّد، ولد سنة 1786م، وتقلد مشيخة العرب سنة 1821م. أبوه أحمد السخري له زوجتان إحداهما بنت رجب باي قسنطينة له منها أربعة أولاد، أما الثانية فهي رجراجة بنت الشيخ بن الحداد شيخ الزاوية الرحمانية في مجانة ببلاد القبائل الصغرى، وله منها محمد وفرحات بن سعيِّد وفاطمة البليلية زوجة سلطان تقرت بن جلاب الخازن. أمضى فرحات بن سعيد سنوات عديدة في واد ريغ متزعما الطرود، قال عنه الحاج أحمد باي منصفا رغم ما بينهما من صراع: ((أنه رجل بارود وصاحب ذراع، ولقد حاربني مدة سبع سنوات، فكان في المعركة يقابل مائة وحده ويعتبر بوعزيز بن قانة إلى جانبه امرأة)) . تولى زمام السلطة على رأس جميع العرب والذواودة وازدادت سلطته نفوذا في الصحراء كلها شمالها وجنوبها، وكان فرحات بن سعيد في صراع دائم مع باي قسنطينة الحاج أحمد، وشيخ العرب محمد بن الحاج بن قانة، جرتينهما عدة معارك من بينها معركة البشيرة في تلاغمة سنة 1830م، ومعركة الهزيمة سنة 1831م، ومعركة مراج الجزية بالقرب من مدينة بسكرة، ومعركة الصحيرة سنة 1837م. **انظر:** sidikhaled.page.tl/%26%231601%3B%26%231585%3B%26%231581...

طريقهم لنجدة ودعم فرحات بن سعيد الذي يعسكر في واحة ليشانة، واشتبكو معهم وقتلوا الكثير منهم، وحملوا إلى الباي أكثر من خمسين رأسا، وعزم الباي على مواجهة فرحات بن سعيد قبل أن يتقوى ساعده في كل من لشانة والزعاطشة، ووقعت معركة ضارية بـ الصحيرة، وهي من أعتى المعارك الدموية بين الطرفين بالزيبان، حيث قتل من قوات فرحات بن سعيد أكثر من 600رجل، وقتل لأولاد بن قانةأكثر من 100 رجل... وبعد هذه المعركة طالب فرحات بن سعيد الإمدادات والمساعدة من الفرنسيين، فماطلوه ولم يجيبوه إلى ماطلب وبقي ينتظر، وفي نفس الوقت علم بخبر تعيينهم لابن عيسى خليفة أحمد باي السابق قائدا وخليفة لهم على المنطقة الساحلية للشمال القسنطيني، فساورته الشكوك في موقفهم نحوه، فاستغل ظروف مساعي الأمير عبد القادر ومراسلاته لقادة مقاطعة قسنطينة للاعتراف بسيادته، فأخذ يتقرب منه عله يستفيد بمنصب إداري يمكنه من خصومه أحمد باي وابن قانة وطردهما من الصحراء وخاصة وهو الملقب بـ:ثعلب الصحراء. هذا وقد أرسل الحسن بن عزوز (كاتب فرحات بن سعيد السابق) رسولا إلى الأمير سريا (سي السنوسي) ليقابله يطلب منه أن يعينه خليفة له، لأن أحمد باي وأنصاره يعيثون في الأرض فسادا من قتل وسلب ونهب وظلم في الجنوب الشرقي الجزائري، وأن سي الحسن بن عزوز شخصية مرموقة له معارف كثيرة في الزاب يمكنوه من القضاء على أحمد باي فضلا عن مقدوره الكبير في جمع الثروات الطائلة خاصة منها الضرائب، وبعد مدة توجه الحسن بن عزوز بنفسه إلى الأمير عبد القادر صحبة الحاج باي شقيق فرحات بن سعيد، رسولين من طرفه للغرض نفسه، وقد مال الأمير عبد القادر إلى الحسن بن عزوز وعينه خليفة على بسكرة والزيبان، وكلف خليفته البركاني الذي كان في بوسعادة بأن يرافقه لينصبه، فأخذ معه قوة هائلة مع 700 من المشاة و1200 فارس، وعددا من الأسلحة والذخيرة واتجهوا إلى بسكرة، التي فر منها أحمد باي وأولاد بن قانة واتجهوا إلى الشمال نحو بلدة القنطرة، أين جمعوا متاعهم على الجمال وصعدوا بها إلى باتنة وجبال الأوراس، وطلب البركاني من فرحات بن سعيد أن يرافقهم إلى بسكرة فقبل ذلك على مضض وقال للحسن بن عزوز: هكذا ذهبت رسولا وعدت خليفة، ووعده بالمساعدة والتأييد في مهامه الجديدة شريطة أن يعمل من أجل القضاء على أحمد باي وأولاد بن قانة، وفعلا تم التنصيب مع إقصاء أنصار أحمد باي من بسكرة أواخر 1838م.[1]

عاود فرحات بن سعيد الاتصال سرا بالفرنسيين وراسل الماريشال (**المارشال فالي marichale fali**) الحاكم العام في ذلك الوقت وكذلك الجنرال(**نقريبه**) قائد قسنطينة، لكن رسوله إلى الجزائر قتل، ووقعت رسالته في أيدي الحسن بن عزوز الذي حولها في الحين إلى الأمير عبد القادر، وتمكن رسوله الآخر من الوصول إلى قسنطينة ولكن رسالته لم تسلم للمسؤولين الفرنسيين، لأنها وقعت في أيدي أناس يبغضونه فأخفوها وأبقوها عندهم ثم أرسلوها إلى خصمه ابن قانة، الذي حولها إلى قريبه ابن

---

[1] **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، أ. ابراهيم مياسي (جامعة الجزائر) ، إعداد عبد الحميد زكري رئيس خلية الاتصال، ص 07، ولاية بسكرة 1997م.

أحمد بلحاج في سيدي عقبة، فحولها أيضا إلى الحسن بن عزوز فانكشف أمره؛ فأعطى الأمير عبد القادر أوامره باعتقاله، فاستدرجه البركاني باللطف والحسنى إلى مدينة المدية، وهناك اعتقله واقتاده إلى مدينة **تاكدمت**[1] وسلمه له فوضعه في السجن مدة من الزمن، أما أحمد باي فقد راسل الباب العالي للنجدة وكذلك باي تونس ليساعده في محنته، غير أن الدولة الحسينية كانت مضايقة من طرف الهيمنة الفرنسية[2].

لم يتمكن باي قسنطينة من تحقيق مسعاه، وتيقن أولاد بن قانة من أن أحمد باي قد خسر كل شيئ في الجزائر، وعليهم إلا أن ينفصلوا عنه ويستسلموا إلى القوات الفرنسية، حيث بعث الجنرال **قالبوا** حاكم قسنطينة ببرقية إلى المارشال حاكم الجزائر بتاريخ 15 ديسمبر 1838م، يؤكد خضوع بن قانة وتعهده بطرد ابن عزوز ليستقر الهدوء وتوسيع السلطة الفرنسية إلى أعماق الصحراء،.ويوضح في الرسالة تفضيل بوعزيز بن قانة على منافسه فرحات بن سعيد الذي وصفه بالمتغير وسهل الاستمالة، وأن بوعزيز أهم رجل في المقاطعة. ويرجو في الرسالة تعيينه شيخ العرب بأسرع ما يمكن، وأن مما لا شك فيه أن فرنسا كانت آنذاك في أمس الحاجة إلى قبيلة عربية تعتمد عليها في ترسيخ نفوذها ومحاربة أعدائها خاصة قوات الأمير عبد القادر التي أحكمت قبضتها على كامل الجنوب، وهكذا استسلم بن قانة وخان قضيته الوطنية، ووضع نفسه ومن معه في خدمة الاستعمار والاحتلال، واغتبط الفرنسيون بذلك، وخيل لهم أن احتلال الجنوب والصحراء قد تم لهم وتراسل الضباط والولاة فيما بينهم يهنئ بعضهم بعضا. وسرعان ما جاء من الحاكم العام بتاريخ 14 جانفي 1839م قرار تعيين بن قانة رسميا شيخا للعرب تعويضا لفرحات بن سعيد بأمر من ملك فرنسا، وفي نفس القرار عين سي محمد بوعزيز بولخراس أخ شيخ العرب ابن قانة قائدا على أولاد عبد النور خلفا لابن زكري الموقوف مع صاحبه فرحات بن سعيد، وقد أرسل شيخ العرب الجديد رسالة بتاريخ 27 جانفي 1839م يطمئن الحاكم العام على إخلاصه وولائه لفرنسا، وقد أجابه **الماريشال فالي** برسالة في 14 فيفري 1839م من قصر الحكومة بالجزائر شكره فيها على استعداده لخدمة السلطة الفرنسية، وقد كلف الجنرال **قالبوا** بأن يسلم له القفطان وأوسمة وظيفة شيخ العرب، وأنه أعلم سكان الجريد ووادي ريغ والزيبان بأنني وضعت إدارتهم بين يديك وإذا ما احتجت إلى مساعدة فراسلني مباشرة وفي كل وقت[3].

إثر ذلك سرعان ما اتخذ بوعزيز بن قانةإجراءات عديدة لتنظيم وترتيب حكمه في الجنوب، فبادر بإرسال مبعوثين له يحملان اعتماده إلى كل قرية، ولكنهما وقعا في قبضة ابن عزوز الذي أعدمهما بقطع رأسيهما، لذلك عزم شيخ العرب على مواجهة عدوه وخصمه العنيد في الجنوب فطلب المساعدة والمدد من الفرنسيين، فماطلوه مثلما فعلوا مع فرحات بن سعيد سابقا، فجد شيخ العرب نشاطه لغاية ربيع

---

(1) مدينة أثرية قريبة من تيارت.

(2) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 09، مرجع سابق.

(3) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 11، مرجع سابق.

1840م، فأرسل سي أحمد بلحاج بن قانة إلى الغرابة ليجمعهم جنوب أولاد جلال للتحرك من أجل أن يحقق نصرا يدعم به مكانته في المنطقة التي بدأت تهتز، وفي 24 مارس 1840 وقعت معركةضارية بوادي سلسو بين قوات الأمير عبد القادر تحت قيادة الحسن بن عزوز، والقوات المعادية له من قبيلة الغرابة المدعمة بقوات ابن قانة الموالية للفرنسيين، ورغم المقاومة الباسلة والبطولة النادرة التي أظهرتها قوات الأمير عبد القادر مع قائدها الحسن بن عزوز، استطاع الخصم أن ينزل بهم هزيمة نكراء، تكبدوا إثرها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد وتشتت جمعهم، وتذكر التقارير الفرنسية أن هذا النصر حقق مكاسب هامة جدا لفرنسا في الصحراء وأنه لأول مرة منذ عشر سنوات قائد حديث التعيين يسير وحده لمواجهة فرق عبد القادر ويحرز عليهم نصرا باهرا، وتذكر بعض المصادر أن ابن قانة لما علم بهذا الانتصار سارع إلى ميدان المعركة، واحتجز مدفعين وأعلام وقطع تسعمائة (900) أذن من آذان القتلى وبعث بها إلى قسنطينة ناسبا هذا الانتصار لنفسه، وقد كان أحمد بن القاضي قائد باتنة قريبا من الأحداث واطلع على خفاياها، وتؤكد التقارير أيضا أن شيخ العرب استعمل كل ما لديه من نفوذ وأعطى حتى بعض مجوهرات نسائه ليجلب إليه قبائل الصحراء التي كانت تستعد للالتحاق بصفوف الأمير عبد القادر، ولتشجيع جنوده وعدهم بعشر فرنكات على الرأس الواحد من رؤوس الأعداء...وقد اتخذ الماريشال إجراءات سريعة من أجل تقديم شيخ العرب مبلغا يقدر بعشرين ألف فرنك[1].

وبعد هزيمة سلسوا التحق الحسن بن عزوز بسرعة بقوات مصطفى أخ الأمير عبد القادر، الذي كان يخيم بناحية مسيلة، وكانت هزيمته سببا في ضياع هيبته لدى قبائل الجنوب، مما اضطر الأمير عبد القادر إلى عزله وتعويضه بفرحات بن سعيد الذي أطلق سراحه وكلفه بالالتحاق بمنطقة الزيبان ليلاحق أولاد بن قانة مع ترك أفراد عائلته عند الأمير عبد القادر كرهائن حتى يضمن عدم خداعه واستسلامه للفرنسيين مرة أخرى؛ وفعلا أخلص فرحات بن سعيد هذه المرة وأبلى بلاءً حسنا، فاستطاع أن يضايق القبائل الموالية لابن قانة سنتي 1840-1841م، كما أنه قام بجولة في الزيبان صحبة الحاج مصطفى خلال صيف 1841م مكنتها من جمع الضرائب، غير أن البوازيد قد غدروا به وقتلوه بأولاد جلال في سبتمبر 1841م حين ذهب إليهم، فبمجرد نزوله عن فرسه التفوا حوله وطعنوه جميعا بسيوفهم لأنه كان في اعتقادهم أن الرصاص لا يضره، ثم قطعت أذنيه ولحيته وانتزع منه خاتمه من قبل قاتليه وأرسلوها إلى الفرنسيين بقسنطينة، ودفن فرحات بن سعيد من طرف أنصاره في ضريح النبي خالد في مسجد بلدة سيدي خالد، وقد أثار موت فرحات بن سعيد موجة من الحزن والأسى في ربوع الجزائر لأنها خسارة كبيرة للمقاومة الجزائرية، لقد أصبح اسمه رمزا للكفاح والشجاعة، وقد أثر هذا الحدث في نفوس الشعراء، فأنتجت قرائحهم العديد من القصائد ضمن الشعر الملحون... ورغم القضاء على فرحات بن سعيد وإقصاء عائلة بوعكاز، فإن المقاومة الوطنية بقيت ملتهبة، ولم تعرف منطقة الزيبان لحظة واحدة من الهدوء والسكينة،

---

(1) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 13، مرجع سابق.

والملاحظة البارزة في هذا المجال في أن الخلافات القديمة بين العشائر والقبائل قد لعبت دورا هاما في عدم توحد المقاومة، وقد استفاد الاحتلال الفرنسي من هذه الوضعية ولو بطريق غير مباشر وعمل على بث الشقاق والنزاع، ضمن سياسة فرق تسد، واستطاع أن يستدرج بعض العناصر الوطنية وقبائلهم إلى صفوفه لضرب قبائل جزائرية أخرى مع الأسف، وقد سالت دماء غزيرة بينهم خدمت في الأخير المستعمر وأهدافه الدنيئة في البلاد[1].

وكالعادة انتقل ابن قانة في موسم الهجرة إلى الشمال في الربيع سنة 1842 مع أنصاره الرحل البدو إلى مناطق الرعي في التل بمواشيهم الكثيرة، وخلال هذه الفترة وقع اتصال ما بين قائد مدينة سيدي عقبة **محمد الصغير بن احمد بن الحاج** والأمير عبد القادر لدراسة الوضع في المنطقة بعد الجريمة والمكيدة التي ذهب ضحيتها فرحات بن سعيد بإيعاز من شيخ العرب بن قانة، وبذلك بقي منصب خليفة الأمير في الصحراء شاغرا، ولما عرض محمد الصغير بن احمد بالحاج ولاءه للأمير وأبد استعداده لخدمة دولة الأمير في الصحراء عينه خليفة له ودعمه بكتيبة من الجند لمجابهة الأعداء وصد قوات بن قانة في المنطقة؛ ولما رجع ابن قانة من التل خرجت له بعض الوفود إلى قرية لوطاية تستقبله باسم الزيبان، ولكن محمد الصغير قائد سيدي عقبة لم يكن من بين الوفود، فغضب شيخ العرب وأرسل بولخراس بن قانة ليؤنب خاله وينصحه بالتوبة إذا كان يريد البقاء في منصبه، ولكن الشيخ محمد الصغير لم يكترث بنصائح بن قانة، وأخبر ابن أخته بأن الأمير سيرسل له جيوشا غفيرة لمحاربة العدو الحقيقي وهو الاحتلال الفرنسي، لذلك فزع ابن قانة لهذا النبأ وعمل على مقاومة محمد الصغير، فأخبر القبائل بعزل قائد سيدي عقبة ثم طلب المدد من السلطات الفرنسية، وهكذا جمع ابن قانة قواته مدعمة من قبائل كثيرة فضلا عن الكتائب الفرنسية المدججة بالأسلحة الحديثة، وتوجه الجميع لمحاصرة محمد الصغير في مدينة سيدي عقبة لإرغامه على الاستسلام، ولكنه قوبل بمقاومة عنيفة أبداها أنصار محمد الصغير حيث كانت معركة حامية الوطيس بين الطرفين واستمر القتال عدة أيام، وحينما فشل ابن قانة في الانتصار لجأ إلى وسائل أخرى لتشديد الخناق على محمد الصغير وسكان سيدي عقبة، وذلك بحرمانهم من الماء العنصر الأساسي للحياة، فحول مجرى الساقية التي تزود البلدة بالمياه، وفي هذه الظروف العصيبة حدث أمر طارئ غير مجرى الأحداث وهو تخلي باي بن شنوف أحد قواد الزاب الشرقي عن قرار ابن قانة وانفصاله عنه ولجأ إلى جبل احمر خدو، وبدأ يحرض سكان هذه الجبال على الثورةوأراد محمد الصغير ليلتحق بجانبه لكنه لم يفلح في فك الحصار عليه وأرغم على الرجوع إلى سيدي عقبة بعد أن ترك في الميدان ثلاثين شهيدا[2].

وبعد أن علم شيخ العرب تحالف أحمد باي بن شنوف مع محمد الصغير أسرع لجمع كل قواته ليقوم بهجوم كاسح على سيدي عقبة قبل وصول نجدات وقوات ابن شنوف، ولكن عاصفة هوجاء

---

(1) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 15، مرجع سابق.

(2) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 17، مرجع سابق.

أفسدت خطة ابن قانة وأرغمته على فك الحصار والرجوع إلى بسكرة منهوك القوى؛ علم محمد الصغير عن طريق عيونه ببسكرة أن وضعية ابن قانة مهلهلة ومفككة، فلم يترك الفرصة تضيع وقصد فورا مدينة بسكرة فاحتل القصبة، وفي الأخير تمكن خليفة الأمير محمد الصغير من أن يهزم أعداءه الذين لم يجدوا غير الفرار سبيلا للنجاة بأرواحهم، وفي تقرير رفعه ابن قانة إلى السلطات بقسنطينة أنه اضطر إلى الانسحاب مع أنصاره إلى التل، وقد قتل له 20 رجلا و20حصانا، وجرح 45 رجلا و12 حصانا، وقد دفع الدية لأهل كل قتيل كما دفع ثمن كل حصان قتل إلى صاحبه من ماله الخاص، في محاولة لاسترضاء القبائل التي حاربت معه، وهكذا رجعت بسكرة من جديد إلى سلطة الأمير عبد القادر فأعاد تنظيم إدارتها، أما حالة الأمن إثر هذه الأحداث الأخيرة فقد تدهورت، حيث عمت الفوضى كل مناطق الزيبان، فكثر السطو والاعتداء وقطع النخيل وغير ذلك من الأعمال الفظيعة والمريعة، وهكذا عمل ابن قانة تضخيم الأحداث من أجل الحصول على المساعدات الفرنسية، وطلب النجدة لإنقاذ الموقف.[1]

وبذلك فمنذ 8 فيفري 1844 بدأت القوات الفرنسية تتحرك وتتمركز بمدينة باتنة حيث أقيم هناك مركز عسكري للتموين والإمدادات، وتجمع بباتنة فيلق قوي يشتمل على جنود مشاة وفرسان ومدفعية تقدر بأكثر من 3000 مقاتل، وتنتظر قدوم حوالي 1000بعير من الصحراء وعد بها شيخ العرب ابن قانة بإرسالها لحمل متاع وأثقال الجيش الفرنسيالمتوجهة لاحتلال بسكرة، وقد حاول أولاد سلطان والاخضر الحلفاوية اعتراض سبيلهم وقطع الطريق عنهم في بلدة القنطرة، لكنهم اضطروا للفرار بعد معركة ضارية مع القوات الفرنسية راح ضحيتها 15 شهيد، كما قام أتباع أحمد باي بمهاجمة الحراسة الأمامية للقوات الفرنسية ليلة 19 فيفري ولكن بدون جدوى، وفي نفس الوقت خرج طابوران من 200جمل من سطيف يوم 18 فيفري لملاحقة أحمد باي المعتصم بجبال أولاد سلطان، وبعد مناوشات عديدة استطاعت القوات الفرنسية من إخضاع بلدة نقاوس باعتبارها نقطة هامة تتحكم في المسالك الصحراوية، كما أن هذه الحملة تهدف إلى حماية ظهر القافلة الفرنسية، وهكذا بعد كل الاستعدادات من التعرف على السبل المؤدية إلى بلدة القنطرة، وإخضاع القبائل التي تقطن السفوح الجبلية...، أخذت القافلة طريقها إلى بسكرة تحت قيادة **الدوق دومال** يوم 25فيفري مع كل معداتها ومؤونة شهر كامل، إلى أن دخلت القواة العسكرية يوم 29 فيفري 1844 بسهولة تامة وبدون مقاومة تذكر، ذلك لأن خليفة الأمير عبد القادر محمد الصغير حينما علم بقدوم هذه الحملة غادر المدينة قبل وصولها بخمسة أيام واعتصم بجبال الأوراس لمراقبة الوضع عن كثب.أما قائد الحملة فقد اغتبط بهذا النصر الذي حققه الاحتلال الفرنسي وأكد في تقريره أن سكان الزيبان وقبائلها قد خضعوا له وتقدمو إليه من أجل طلب العفو عن أخطائهم، كما طلبوا صداقة وحماية فرنسا لهم، وقد أعجب الدوق دومال بالصحراء باعتبارها سهل من الرمال وبها امكانيات طبيعية كبيرة تفيد الاقتصاد الفرنسي، وأرسل عيونه من الضباط الذين يحسنون اللغة العربية إلى القرى المجاورة للتعرف

---

[1] المرجع السابق: ص: 19.

على أوضاع سكانها السياسية والاجتماعية، وما أن استتب له الأمر حتى شرع في اتخاذ إجراءات صارمة كحجز أملاك المجاهدين الفارين الذين لم يسلموا أنفسهم، ومعاقبة المقاومين المحجوزين، وإلقاء القبض على المشوشين وحملهم إلى سجون قسنطينة، وتدعيم سلطة شيخ العرب ممثل فرنسا في هذه المقاطعة البعيدة، وبعد هذه الترتيبات الجديدة اتجهت القوات الفرنسية لملاحقة المجاهدين من أنصار خليفة الأمير عبد القادر المرابطين بالجبال حيث تلقوا المساعدة والتأييد الكامل من طرف قبائل بني احمد في قرية امشونش المتاخمة لجبل احمر خدو الواقعة على ضفة واد الأبيض، وقد جرت بينهما بعد محاصرتها معارك طاحنة واشتبكت القوات حتى التصقت ببعضها واستعمل فيها السلاح الأبيض وأبدى المجاهدون بطولة وشجاعة فائقة اعترف بها العدو في تقريره، ولما شعر محمد الصغير بن أحمد بلحاج باشتداد الحصار عليه أمر قواته بالانسحاب والتشتت عبر الجبال والغابات على أن يكون اللقاء والاجتماع في قمة جبل شلية بجبال الأوراس.وقد فقدت القوات الفرنسية في هذه المعركة ستة رجال منهم الضابط **برود** وستة عشر 16 جريحا منهم خمسة 5 ضباط، بينما فقد بني أحمد سكان مشونش 14 شهيدا.[1]

وبمجرد رجوع الدوق دومال إلى بسكرة تلقى أخبار مفادها أن أولاد سلطان قد هاجموا المركز العسكري بباتنة، فغادر بسكرة بعد أن قضى بها 10أيام حاول فيها ترسيخ الاحتلال، وترك مهمة إتمام التنظيم للرائد **توماس**، وبعد أن تصدى الدوق دومال لأولاد سلطان رفع تقريرا مفصلا بتاريخ 02 جوان 1844م عن أهم النتائج المتحصل عليها هذه السنة في مقاطعة قسنطينة كتسوية طريق القنطرة لتسهيل ربط التل بالصحراء، واحتلال بسكرة، وتنصيب قوة عسكرية بها، ومراقبة الطريق الرابط بين بسكرة وقسنطينة، وملاحقة أحمد باي المعتصم بجبال أولاد سلطان الذين ما زالو يحملون لواء الجهاد المقدس[2].

وفي 25 أفريل تجمعت قوة عسكرية هائلة وتمركزت **بنقاوس**[3] على سفح جبال أولاد سلطان من أجل القضاء على مقاومة أحمد باي، لم يبق الرائد توماس في بسكرة سوى عشرين يوما دعي بعدها

---

(1) المرجع السابق، ص: 21.

(2) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 23، مرجع سابق.

(3) مدينة نقاوس أو عروس الأوراس، تقع جنوب غرب ولاية باتنة بين سلاسل جبال الأوراس، كجبل قطيان، وجبال أولاد سلطان التي توجد بها أعلى قمة بها جبل الرفاعة. عرفت في التاريخ الجزائري منذ العصور القديمة، ورد ذكرها في بعض مؤلفات الرحالة والمستشرقين والمؤرخين والجغرافيين، أمثال: ابن خلدون، واليعقوبي، وابن حوقل، والمقدسي، وصاحب الاستبصار في عجائب الأمصار (مجهول) ، وحسن الوزان وريتيه...الخ. حيث يعتبرونها المركز الحضاري الثاني بمنطقة الأوراس، إذ تأتي بعد باغاي من حيث الأهمية والشهرة، تشتهر ببساتينها قديما وحديثا وخاصة بأشجار المشمش، ومشروبات نقاوس الثمرية ذات الجودة العالية، إلا أن الطابع الإسلامي هو الغالب على المدينة من معالمها المسجد العتيق سيدي قاسم، مسجد الهدى سبع رقود – كما تذكر الرويات الشعبية أن أصحاب الكهف مدفونون في هذا المكان وقد ذكرت أثناء حديثي عن مدينة تيمقاد رواية شعبية أخرى عن أصحاب الكهف في المكان المسمى سبع رقود، ورجحت صحة جميع الرويات المأثورة عن أهل الكهف لأسباب موضوعية وعلمية راجعها في محلها من هذا البحث،– كما تتواجد بمدينة انقاوس عدة أضرحة لأولياء الله الصالحين، أشهرهم ضريح الولي الصالح

إلى مدينة باتنة حيث تتمركز القوات الفرنسية، استعدادا للهجوم على سكان مناطق الأوراس وقمع مقاومة أحمد باي. ويلاحظ في هذا الصدد أن العدو واحد وهو الاحتلال الفرنسي بينما المقاومة الجزائرية منقسمة بل مشتتة وغير منسجمة، ففي الزيبان رفع لواء المقاومة الأمير عبد القادر عن طريق خلفائه، بينما جبال الأوراس تحت قيادة أحمد باي، وهذا ما جعل القوات الفرنسية تتوجه بكل قوتها وإمكانياتها لجهة واحدة للقضاء عليها ثم الالتفات إلى جهات أخرى، وهذا ما يحصل بصفة عامة مع المقاومة الجزائرية في تلك الفترة.

ومما لاشك فيه أن جذوة المقاومة ما زالت مشتعلة في صفوف المجاهدين المرابطين بالأوراس وخاصة عند الخليفة **محمد الصغير بن أحمد بلحاج** الذي بدأ يجمع أنصاره ويعقد معهم لتدارس الأوضاع الراهنة لإخراج البلاد من محنتها، وأخيرا انتهى إلى تشكيل اللجان من أجل نشر الوعي السياسي في الأوساط الشعبية، وفتح باب التطوع لمن يريد الجهاد في سبيل الله، وكانت هذه اللجان تطوف القرى والمداشر وتحظى باستقبالات حارة ورائعة وبالتأييد التام المطلق، وفي جميع القرى كان الشباب يتسابقون إلى الانخراط في صفوف المجاهدين، أما رؤساء القبائل فقد كانوا في أغلب الأحيان يجددون ولاءهم للخليفة ويعلنون له عن تضامنهم الكامل معه، كما كانوا يضعون رهن إشارته كل ما يحتاج إليه من أرواحهم وأموالهم التي سلمت من نهب الاستعمار، وهكذا وبعد أيام رجعت اللجنة مظفرة ومعها ما يزيد عن 500 فارس، ولكن قوات الاحتلال تعد بالآلاف، هذا إذا قطعنا النظر عن فاعلية المدافع والأسلحة الحديثة التي يفتقدها الجزائريون، ولذلك فكر الخليفة في أن يسلك سبيل الحيلة إذا كان يريد دخول بسكرة، ولهذا صمم محمد الصغير أحمد بلحاج على استرداد مدينة بسكرة عن طريق خطة عسكرية تقتضي استعمال حيلة محكمة التدبير، فأعطى الأمر إلى 150 مقاتل من بين الرجال الأشداء المخلصين الذين لهم قدرات قتالية فائقة، فيستسلمون جماعات ووحدانا للسلطات الفرنسية ويطالبون بالانخراط في صفوف الجيش الفرنسي، الذي يقوم بحماية بسكرة والزيبان، وبذلك يكون محمد الصغير قد أنشأ الطابور الخامس الذي يعتمد عليه عندما يحين الوقت اللازم للهجوم على بسكرة[1]

ففي 9 ماي 1844م أمر الدوق دومال شيخ العرب ابن قانة بأن يجمع قواته وينضم بهم إلى القوات الفرنسية لمحاربة أولاد سلطان وأولاد بوعون، ولما سمع الخليفة محمد الصغير بن أحمد بلحاج بهذا

سيدي بوقرة، وسيدي شراد، وسيدي قبايلي، كما تزخر هذه المدينة بمدرستين قرآنيتين، مدرسة الفرقآن، ومدرسة تابعة لمسجد سيدي قاسم العتيق، وقد أشرف على هذه المدرسة لفترة زميلنا الأستاذ عبد الحفيظ بروال، وأنا شخصيا أخذت انطباع طيب عن هذه المدينة من خلال مجموعة من الطلبة والطالبات المقاوسيين الذين درستهم في الكلية. كما تحمل مدينة نقاوس قائمة طويلة من المجاهدين والشهداء، ومن أعلامها المشهورين الشيخ عيسى مرزوقي خياطي حمادي. **انظر**: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني، د. نصر الدين سعدوني، ص 259، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م.

(1) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 25، مرجع سابق.

الخبر، رأى أنه حان الاستلاء على مدينة بسكرة فجند ما بقي له من فرسان وهاجم ليلا على القوات الفرنسية في بسكرة على الساعة الثانية من يوم 12 ماي وأحرز على انتصار باهر واحتل مدينة بسكرة، وقد أورد الرائد توماس وقائع هذا الهجوم في تقرير مفصل وجهه إلى القيادة العليا. وتجدر الإشارة هنا أن محمد بن أحمد بلحاج قد وجد بين الغنائم المتحصل عليها امرأة فرنسية في مقتبل العمر وهي: **ماري موراتي** وكانت تقوم بوظيفة طباخة للجيش فعرض عليها الإسلام ثم الزواج وتم له ذلك فعاشت معه معززة مكرمة، وأنجبت له طفلين، ومكثت إلى جانبه إلى أن توفي بمدينة **توزر** جنوب تونس سنة 1856م فانتقلت بعد ذلك حوالي 1860 مع ولديها إلى القيروان المدينة التي شيدها عقبة ابن نافع، لأن هذا المكان له صلة بموطن زوجها وابنيها مدينة سيدي عقبة التي لا يمكن الرجوع إليها.

وسرعان ما انتشرت أخبار سحق الحامية الفرنسية ببسكرة، وعلم **الدوق دومال** بباتنة بتفاصيل الواقعة، وفي الحين أخذ طريقه إلى بسكرة مع قواته، فدخلها للمرة الثانية يوم 18 ماي 1844م، ولما علم **محمد الصغير بن أحمد بلحاج** بوصول الفرنسيين إلى بسكرة سارع بجمع متاعه والأسلحة والغنائم المكتسبة وأمر جنوده بالانسحاب نحو جبال الأوراس للمرابطة هناك وعدم الصمود أو التصدي للقوات الفرنسية الهائلة، حتى لا تتمكن من الانتقام، وعندما وصلت القوات الفرنسية إلى بسكرة، ووجدوها خالية من أي مقاومة اتخذ إجراءات وتدابير صارمة من نهب واغتصاب وهتك للحرمات والقتل وحجز أملاك المجاهدين، وفي 23ماي 1844 أصدر **الدوق دومال** تنظيما جديدا للجنوب، وبمقتضاه عين الرائد **توماس** قائدا أعلى لدائرة بسكرة، وبمقتضى هذه الترتيبات والإجراءات الاستعمارية الجديدة اعتقدت السلطات الفرنسية أنها قضت على المقاومة بصفة نهائية ورسخت أقدامها على بوابة الصحراء لتتغلغل داخل الصحراء وتتربع عليها.ورغم ذلك فإن روح الثورة والمقاومة ما زالت متأججة في النفوس حيث تمكن خليفة الأمير عبد القادر من تجنيد قبائل دواودة الأوراس وهاجم في الثامن من جويلية 1844م واحة الدروع فأباد الحامية الفرنسية المرابطة هناك، ثم انتقل بعد ذلك إلى خنقة سيدي ناجي لتخليصها من الاحتلال[1].

وخلال سنة 1845م حاول سكان احمر خدو أن يراوغوا الرائد سان جرمان بإيهامه الخضوع له، وفي بداية سنة 1846م أشيع في الأوساط الشعبية بقدوم الأمير عبد القادر إلى الشرق الجزائري، لهذا بدأ أنصار محمد الصغير التحرك والاستعداد للمقاومة، مما أثار مخاوف القيادة الاستعمارية في بسكرة، كما امتازت هذه السنة بمقاومة جبال شاشار واسترجاعهم لواحة خنقة سيدي ناجي، وقد واجههم الرائد سان جرمان بمدافعه وأسلحته الجهنمية، وتمكن من القضاء على ثورة النمامشة الباسلة، وعاقب الثوار عقابا شديدا وبدون رحمة، وفي سنة 1847م قدم الزعيم الثائر الشهير **بومعزة** إلى ناحيتي **سيدي خالد وأولاد**

---

(1) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، ص 27، مرجع سابق.

جلال بعد أن لاحقه طابور المدية، وقد أثار قدومه إلى الناحية روح المقاومة والثورة وعانى الجنرال الشهير **هربيون** الكثير من الشدائد والمصاعب لإخمادها، وتميزت سنة 1848 بسقوط الملكية الفرنسية، وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية، وانجر عن ذلك أحداث واضطرابات عديدة، حيث اغتنم الثائر **علي باي** ابن الخليفة الراحل **فرحات بن سعيد** هذه الفرصة فأشعل ثورة عارمة زعزعت الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما تميزت هذه السنة باستسلام المجاهد أحمد باي بعد أن فرغت جعبته من كل وسائل المقاومة وأنهكه المرض، فتقدم برسالة إلى قائد دائرة بسكرة **سان جرمان** بتاريخ: 2جوان 1848م بطلب الأمان فوافقت السلطات الفرنسية عن ذلك وأرسل إلى باتنة ومنها إلى قسنطينة، ثم أقيم بالجزائر العاصمة تحت الرقابة حتى سنة 1851م وبعد وفاته دفن بمسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي بالعاصمة.وأخيرا توجت كل هذه الأحداث بمقاومة شديدة وبطولية خلدت اسمها في التاريخ بحروف من نار ونور وهي ثورة الزعاطشة سنة 1849م.[1]

المطلب الثاني: مقاومته للاستعمار واستشهاده.

في الحقيقة أن الثورات والمقاومة الشعبية ضد الاحتلال لم تنته باستسلام الأمير عبد القادر عام 1264هـ/1847 م، ولكنها استمرت في شكل آخر حيث أخذت طابعا إقليميا جهويا، وبزعامة شخصيات دينية في أغلبها، من أمثال الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الذي لم يكن عالما وشيخ زاوية فحسب، بل كان أيضا مجاهدا كبيرا سجل اسمه عن جدارة في سجل الأبطال الخالدين في التاريخ، فقد كان يبغض الاستعمار الفرنسي بغضا شديدا، لذلك أخذ في أوائل سبتمبر عام 1262هـ/1849م رغم تفرغه للتربية والتعليم وإصلاح ذات البين، و تقدم سنه حيث كان عمره حين ذاك 64 سنة يجمع القبائل المجاورة له ويحرض أتباعه ومريديه لمحاربة الفرنسيين وفك الحصار المضروب على الشيخ العظيم سيدي **بوزيان**[2] بواحة **الزعاطشة**[3] المكلف من طرف الأمير عبد القادر، وقد خاض معهم عدة معارك.

عمل الشيخ عبد الحفيظ على تهيئة الأعراش والقبائل وفض المناوشات بينها، وقد ربط بينهم علاقات مصاهرة، بحيث أن القبائل الكبرى صارت مرتبطة به وعمل على توحيدها، ودار على كل القبائل في التل والصحراء، من سيديمصمودي، مزيرعة، و الشاوية في جبال الأوراس، خنشلة، خيران، أريس

---

(1) **انظر**: احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان، المرجع سابق.

(2) المسمى عبد الرحمان بن زيان شيخ الزيبان المتصوف مقدم الطريقة الدرقاوية الشاذلية بالمنطقة، وكان في السابق يعمل سقاء في مدينة الجزائر العاصمة وهو رجل ذو حيوية كبيرة عمل تحت إمرة الأمير عبد القادر كشيخ على سكان الزاب الظهراوي.

(3) تقع بمنطقة الزيبان الظواهري (الغربي) ، تبعد 20كلم جنوب غرب مدينة بسكرة على الطريق المؤدية إلى مدينة طولقة، محاطة بالنخيل مخللة بالأشجار المثمرة ذات الأسوار المبنية بالطوب التي شكلت للعدو صعوبات لاقتحامها، وهي تابعة لعرش " لبوازيد " وبجانبها عدة واحات: فرفار، ليشانة بوشقرون وأوماش، وكذلك الرحل من عدة أعراش، ومركزهم وسوقهم هي واحة الزعاطشة

وبرانيس...وكون فرسانا وصيادة، من بينهم ابنه الحفناوي الذي كان على درجة كبيرة من مهارات الحرب والفروسية[1]، فكان هو وشيخ زاوية **تيبرماسين** من قادة الفرسان الذين اصطحبوه في معركة واد براز الشهيرة، كما أعانه حاكم الخنقة بالسلاح والبارود، وعدم استصدار الرخصة للقبائل الرحل للقيام برحلتهم الموسمية[2] في تلك السنة التي وقعت فيها المعركة.

وفي هذه الظروف ظهر المرابط الشيخ سيدي عبد الحفيظ الخنقي في خنقة سيدي ناجي، فاستجاب لنداء الشيخ بوزيان ومناصرته في الجهاد الذي أعلنه ضد الفرنسيين، بعد ربط الاتصالات مع أحد تلاميذه وهو الشيخ **الصادق بلحاج**[3] ومحمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر، واتفقوا على القيام بالثورة لمساندة الشيخ بوزيان وفتح جبهة قتالية أخرى ضد العدو، فاتصل الشيخ عبد الحفيظ هو الآخر بالإخوان و بمقاديم الطريقة وشيوخ الزوايا التابعة له، وأخذ في استمالة القبائل والأعراش في الجبال والصحراء وتحميسهم للجهاد، فألف منهم جيشه الذي كان يتكون من أهل الخنقة، **وليانة**[4]، **وبادس**،

---

(1) من مهاراته وقدراته الفائقة في الفروسية أنه كان يضع عملة معدنية بين قدمه وموضع قدمه على الفرس، ويسرع بفرسه ويحمل بيضة بيده من الأرض دون أن تسقط تلك العملة الموضوعة تحت قدمه. انظر: تسجيل خاص للباحث (فيديو) للسيد منذر حفيظي رواية عن والده عن الشيخ محمد الطيب نجل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.

(2) كان في ذلك الوقت رحلات موسمية كل سنة للقبائل الرحل من الصحراء إلى التل والعكس، أي رحلة الشتاء والصيف، فكانت الرحلة لا تتم إلا بعد استصدار رخصة من قبل الحاكم، لتأمين تلك القوافل أثناء الرحلة من اللصوص وقطاع الطرق.

(3) هو الشيخ **محمد الصادق بلحاج** الطاهر بن بلقاسم بن الحسين، ينتمي إلى **ابن منصور** جد قبيلته، وهو من عرش أولاد أيوب بجبل احمر خدو بالأوراس، تربى في أحضان أسرته تربية دينية وحفظ القرآن الكريم في قرية لقصر، ثم تزود من العلوم الدينية واللغوية بزاوية البرج بالقرب من طولقة، ثم سلك طريق الصوفية على يد شيخها محمد بن عزوز، وبعد عودته من زاوية الشيخ بن عزوز الرحمانية أسس زاوية على غرارها في قريته (لقصر) سرعان ما انتشر خبرها وذاع صيتها فقصدها المريدون من الأوراس والصحراء والتل، للتربية والتعليم، وقد كان لها دور كبير في نشر الوعي ومقاومة المحتل في الأوراس بصفة عامة. **انظر**: تاريخ الأوراس، ص: 189. مرجع سابق.

(4) تبعد عن الخنقة بحوالي 07 كلم. في الزاب الشرقي، أنجبت الكثير من العلماء والأدباء قديما وحديثا، من أمثال: أحمد بن نصر الأسدي الليابي التلمساني (402هـ) ، وأبوبكر بن مصطفى بن رحمون، ومحمد السعيد الزاهري...، وقد ذكرهم الشاعر شارف عامر في قصيدة عنوانها: ليانة السكرة، منها هذه الأبيات:

والليانة السكرى مرابع نخبة	*	عددا ... هنا الثوار والعلماء
والداودي يصوغ زبدة فكره	*	بتواضع وصديقه استحياء
وزهيرها الزاهري عميد محافل	*	الشعر والتاريخ والإحياء
هذا السنوسي الذي شعت من	*	بره ولف طلابه استحذاء
وأستل برحمون من مشكاته	*	شعرا ... فغار من القصيد عناء
مسك تعطر من قداسة طيبة	*	وعلى الجهالة ثورة نكراء
هذا السعيد الزاهري مدارس	*	تمشي ويبوح نصوصه الإيماء

ومن المعالم الدينية والثقافية بليانة، ضريح الولي الصالح سيدي بوزاهر، وزاوية سيدي محمود نجل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي التى حولها الاستعمار إلى ثكنة عسكرية، ومعهد سيدي الوردي نجل سيدي محمود، المعهد الذي درس فيه لفترة الشيخ العربي التبسي.

وزريبة الوادي من جهة الصحراء، ومن جهة الجبل أولاد داود (التوابة)، وأولاد عبدي، وبني بوسليمان، وأهل غسيرة، وغيرهم، وكان خروجه من الخنقة يوم السبت 25 **أوت** 1849م الموافق ليوم 21شوال1265هـ بأكثر من **ألفين** رجل مسلح ومعه **محمد الصغير** خليفة الأمير عبد القادر، ثم انظم إليهما الشيخ **الصادق بلحاج** بجيش قوي من أحمر خدو يتكون من 700 فارس ومقاتل، ونزل **مشونش**[1] أولا ثم الجبال القريبة منهما ثم **سريانة**[2]، وقد وجد هاؤلاء الأبطال في كل مكان ينزلون به وهم في طريقهم إلى بسكرة تأييدا كبيرا و مزيدا من المتطوعين المنضمين إليهم من أمثال أولاد صولة وغيرهم، وقد بلغ عدد المقاتلين بعد انضمامهم مع بعضهم بعضا 5000 مقاتل تحت قيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، وعندما علم القائد العسكري الموجود ببسكرة الرائد (**سان جرمان**) بقدوم جيش لمساندة الشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة بقيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وبمعية الشيخ **الصادق بلحاج** شيخ **زاوية لقصر** أولاد أيوب بأحمر خدو الرحمانية، والشيخ: **محمد الصغير بن أحمد بلحاج** خليفة الأمير عبد القادر[3]، لم يتأخر بتجهيز جيشه والاستنجاد بالقوات الفرنسية الموجودة بباتنة، وتحركه مباشرة بقوة كبيرة يحذوه في ذلك الغرور والعظمة للتعرض والتصدي للمقاومين القادمين نحو بسكرة، و سحق هذه المقاومة في المهد وإيقافها قبل وصولها إلى بسكرة فيستفحل أمرها و تستعصي على القهر، ولما وصلت قوافل المتطوعين إلى المكان المسمى **واد براز** نواحي **سريانة** وقرية **تهودة**[4] القريبتين من مدينة سيدي عقبة التي كان يحكمها شيخ من عائلة بن شنوف الموالي لفرنسا، طلب الشيخ عبد الحفيظ من هذا الأخير أن ينضم إلى المسلمين لجهاد العدو، إلا أنه قام بحبس رسوله، وأخبر الرائد (**سانجرمان**) بالأمر، فحوصر جيش سيدي عبد الحفيظ الخنقي من طرف عدويه الفرنسي والشنوفي، ففقد 200 شهيد مباغتة يوم **17/سبتمبر/1849م**، حيث دامت المعركة يوما كاملا بعد أن تمركزت القوتان على حافتي **واديبراز**، وكانت المعركة حامية الوطيس واشتد القتال في الصفوف الأمامية وكان يوما مشهودا أبلى فيه المجاهدون

---

(1) مشونش واحة تقع على ضفاف وادي الأبيض المنحدر من آريس، معروفة ببساتين النخيل الخلابة، وبالمناظر الطبيعيةالصحراوية الجميلة، معروفة بمقاومتها للاحتلال الفرنسي في العديد من المناسبات، كمساندتها للحاج أحمد باي، وثورة الزعاطشة، وثورة سي الصادق أو الحاج، وثورة اللحالحة... وهي مسقط رأس العقيد عبد الرزاق (سي الحواس) = أول قائد للولاية السادسة، ورفيق العقيد عميروش في الاستشهاد بجبل تامر ببوسعادة، حول منزله بمشونش إلى متحف خاص بالشهيد، المدينة زارها الجنرال ديقول سنة 1957م في إطار الترويج لسياسته الاستعمارية. خلد مقاومة مشونش الرسام الفرنسي رافييه، حيث رسم لوحة تشكيلية لمعركة مشونش التي وقعت بتاريخ 15 مارس 1844م، يظهر فيها النقيب (اسبيناس) مصابا بطلقتين ناريتين، والسكان يواصلون المعركة بالوسائل المتوفرة من حجارة وعصي.

(2) غير بلدية سريانة التي تبعد عن ولاية باتنة بـ 35كلم والتابعة لدائرة مروانة.

(3) المعروف بـ **أحمد بلحاج**، إلا أن بعض الكتابات تطلق عليه اسم **حامد بالحاج**، والبعض الآخر تسميه بـ **محمد الصغير بن عبد الرحمان بن الحاج**، والمقصود واحد وهو خليفة الأمير عبد القادر الثاني على ولاية الزيبان والصحراء الشرقية منذ 1841م.

(4) تبعد على مدينة بسكرة بحوالي 18 كلم، قريبة من قرية سيدي خليل، وقعت على أرضها المعركة الشهيرة للفاتح عقبة ابن نافع التي استشهد فيها مع جميع أصحابه سنة 63هـ.

بلاء حسنا بالرغم من عدم تكافؤ القوتين من حيث التجهيز والعتاد المستعمل في الحرب، حيث كبدت العدو خسائر مادية و بشرية فادحة لعل من أجلها و أعظمها القضاء على القائد الفرنسي الكبير الرائد (**سانجرمان**)[1] وعدد من جنوده في هذه المعركة بعدما لقنوا العدو درسا في الشجاعة والوطنية؛ وفي المساء فضل المجاهدون الانسحاب من الميدان، لعدة أسباب منها قلة التنظيم والخيانة وعدم تكافؤ الجيشين في القوة والتجهيز والإمدادات والتخطيط[2]. وعلى إثر المعركة بعث الشيخ عبد الحفيظ برسالة بإمضائه إلى سيدي محمد بن أحمد الخيراني يخبره فيها عن يوم المعركة، وهذا نص البلاغ الحربي المؤرخ يوم 1849/09/21م: (**إلى سيدي محمد بن أحمد الخيراني السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فإن الشيخ يتحمد الله ويشكره سي المكي وسي الصديق لا سوء عليهم بن عويدان ضربوه بوجه وستروه سي بوزيان لا خبرة عليه، المسلمون استشهد منهم فوق الثلاثين والكفار سبعة وأربعون، والكماند دوسان جرمان مات غضب الله عليه والسلامن عبد الحفيظ الخنقي**)[3].

وفي يوم **04**/**نوفمبر**/ **1849م** اجتمع الشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ الصادق بن الحاج شيخ زاوية تيبرماسين، ومحمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر بمدينة سيدي عقبة، ومعهم جيش يحتوي على **300** من المشاة و**250** فارسا، وكان فحوى الاجتماع دراسة وضعية الجهاد والنظر في إمكانية إعادة الهجوم على بسكرة وقرروا مواصلة المقاومة وتكوين جيش قوي ووضع خطة للتوجه به

---

(1) لما وصل نعي (**سان جرمان**) إلى الجنرال (**هاربون**) عين مكانه الكولنيل (**كاربيسا**) فتوجه بنفسه إلى محاصرة الزعاطشة في **19**/**10**/**1849م**، وقد عبر عنها الفرنسيون بالمقاومة العظمى ودام حصار الواحة **53** يوما، حيث بدأ = العدو بقطع النخيل والأشجار المثمرة وإفساد منابع المياه وإتلاف الخضروات، وانتهت الثورة في يوم 26 نوفمبر حين رمى الفرنسيون بكل ثقلهم على الواحة واقتحموها بعد قذف زاوية الشيخ بوزيان لإيجاد فجوة في جدرانها وإبعاد المدافعين عن أسوار الواحة ليسهل عليهم أقتحامها، واستمر الضرب من الصباح الباكر إلى منتصف النهار، واحتلوا القرية دارا دارا وزقاقا زقاقا، ودافع الشيخ بوزيان وابنه والحاج موسى الدرقاوي إلى أن سقطوا تحت ضربات الرصاص فحزت رؤوسهم وحملت على السيوف إلى بسكرة حيث علقت هناك على إحدى أبوابها للإرهاب والإعلان على القضاء على الثورة. وقد بلغ مجموع القتلى الجزائريين أكثر من 800 شخصا خلال المعارك، وخلال اقتحام الواحة واحتلالها ارتكب الفرنسيون جرائم بشعة فخربوا الواحة وهدموا دورها عن آخرها، وقطعوا عشرة آلاف نخلة هي كل ثروتها وثروة سكانها، وشنقوا **1500** شخصا أمام الملأ في خرائبها. **راجع**: ثورة الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، د. يحي بوعزيز، ص: 59 –68. **انظر**: تاريخ الأوراس، ص: 162. مرجع سابق.

(2) **انظر**: مقاومة الأوراس للمحتلين الفرنسيين، محمد الطاهر عزوي، مجلة التراث ص: 49. **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي، ص:22 ؛ مرجع سابق. **راجع**: سيدي الصادق بن الحاج الانتفاظة الكبرى، د. عبد الرحمان تبرماسين، ص15،14. **راجع**: د. يحي بوعزيز، ص63–66، مرجع سابق؛ **راجع**: تاريخ الأوراس، ص192–139.

(3) إمضاء الشيخ على البلاغ، والكتابة لأحد المجاهدين، والإملاء من طرف الشيخ الرشيد حفيظي، قيده عبد الحفيظ بن محمد المدني الخنقي يوم 1988/03/26م. **انظر**: نسخة من مجموعة أوراق غير كاملة تحصل عليها الباحث من الشيخ نور الدين بلمكي إمام مسجد سيدي مبارك بالخنقة (و1917م/ت2010م) بعضها مكتوب بخط يده وبعضها مكتوب بالآلة الراقنة تحمل توقيعه، يغلب على ضني أنها من إملاءاته، يتحدث فيها عن تاريخ الخنقة وعلمائها.

إلى بسكرة لاقتحامها ومحاولة استرداد المدينة وإبراز قوة المقاومة وقطع الطريق على القوات الفرنسية في الصحراء والتنفيس على ثوار الزعاطشة، لكن الأمور كانت تسير لغير صالح الثورة، ورغم عدم تنفيذ هذه الخطة لعدم وفرة الإمكانيات وتفوق الأعداء في العدة والعدد والأساليب الحربية و بسبب وصول النجدات السريعة لتعزيز مركز العدو ببسكرة بقيادة كل من العقيد (**كربسا**) والعقيد (**هربيون**)، لكن ذلك لم يمنع الشيوخ من الاستمرار في مقاومة المستعمر بمختلف الوسائل إلى آخر رمق من حياتهم؛ و قرروا توجيه نجدات إلى بوزيان ورفاقه بالزعاطشة؛ حيث قام الشيخ الصادق بلحاج بتوجيه فرقة من أتباعه المقاومين من أولاد زيان والصحاري تحت قيادة محمد الصغير بلحاج إلى مضيق القنطرة للتعرض لقافلة حربية قادمة من المركز الرئيسي بباتنة تحمل المؤونة والذخيرة الحربية واللباس والأدوية للعساكر المتمركزة ببسكرة واصطدمت القوتان في عين المكان حيث وقعت معركتان منيت فيها القافلة العسكرية بالخسائر الفادحة وأجبرت على العودة من حيث أتت ؛ كما قام أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر مع المقاومين من مريدي الشيخ الصادق بن الحاج بمعركة ضد العدو في مكان يدعى (علب لمصارة) قرب واحة الدروع بمنطقة امشونش وخسر فيها العدو أحد ضباطه ويدعى (**أدروان**) وغنم المقاومون أسلحة وعددا من الخيل.

أما الشيخ عبد الحفيظ فهو أيضا لم تنقص عزيمة الجهاد في نفسه بل واصل الاستعدادات والمحاولات لمقاتلة المستعمر الغاشم، حيث عسكر مرة أخرى أسفل قرية امشونش بعد شهر من حدوث معركة سريانة الخالدة، واعتصم الشيخ عبد الحفيظ **بالأوراس**[1] بعد المعارك الكثيرة التي خاضها خاصة معركة سريانة، واستطاع أن يثير كل سكان المنطقة ويدفعهم إلى حمل السلاح دعما لحركة الشيخ بوزيان، وذلك في كل من سطيف وباتنة و المناطق المحيطة بواحة الزعاطشة و في جهات مختلفة من جبال **الأوراس**[2]، إلا أن الشيخ الشيخ عبد الحفيظ لم يمهله الأجل سوى شهرين من معركة واد براز الشهيرة، حيث كان مثقلا بجراحه البليغة، فارا من ملاحقات الاستعمار للقبض عليه، لجأ إلى زاوية سيدي مصطفى بن عزوز بنفطة في الجريد التونسي، حيث أخبره الشيخ مصطفى بن عزوز عن رؤيا مفادها: أن رسول الله صلى الله عليه

---

(1) تطلق كلمة الأوراس على المنطقة المحصورة شمالا بين ولاية باتنة وولاية خنشلة وشرقا بين خنشلة وزريبة الوادي، وجنوبا بين بسكرة وزريبة الوادي وغربا بين باتنة وبسكرة، وتلحق بها الهضاب العليا، تشرف جبالها على منطقة الزيبان بواحاتها الجميلة من بسكرة إلى واد سوف، وتلتقي في غربها سلسلتا جبال الأطلس التلية الشمالية و الصحراوية الجنوبية وتمتد شرقا عبر عبر جبال النمامشة وتبسة إلى داخل البلاد التونسية، يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها شليا **2330** متر ويشتد فيها البرد شتاء والجفاف والحرارة صيفا، تصنف جبال الأوراس من بين أكبر سلاسل الجبال في شمال إفريقيا، وتعتبر جبال الأوراس عبر التاريخ قلعة للصمود وملاذا للأحرار الذين قاوموا الغزو الأجنبي منذ عهد الرومان إلى قيام ثورة نوفمبر **1954م**.**انظر**: الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837-1939)، عبد الحميد زوزو، ج 01، ص 13-18، دار هومة الطبعة الثانية 2011م. انظر: التراث (مجلة تاريخية أثرية) ، العدد 1986/01، دار الشهاب باتنة.

(2) لقد تمكن أولاد صابر في باتنة إثر ذلك من قتل عدد من الجنود الفرنسيين وقطع الطريق على القوافل الفرنسية بين باتنة وبسكرة. **انظر**: د. يحي بوعزيز، ص: 63. مرجع سابق.

وسلم وقف عليه في المنام وأخبره بأن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي سوف يموت على سجاته في الخنقة، فرجع على إثره إلى الخنقة،وحيث علمت فرنسا بعودتهسارعت إلى محاصرة بيته للقبض عليه، وحينماشاهد الشيخ قواة العدو تحاصر الخنقة للقبض عليه دخل إلى بيته فقال لأهله: (إن الله طلبني والكافر طلبني والغالب يأخذ)، ثم قرأشيئا من القرآن الكريم وصلى ركعتين، وسلم روحه لخالقها راضية مرضية بلقاء ربها[1]، كان ذلك أواسط ربيع الأول سنة 1267هالموافق1850م. أما الرواية الثانية حول وفاة الشيخ عبد الحفيظ فهي كما رواها (**سيروكا**) في المجلة الإفريقية عام 1912م أنه مات في13/جويليا/1850م بعد عودته من الجريد التونسي هاربا من الفرنسيين متأثرا بمرض الكوليرا[2].وقد قام الاستعمار إثر وفاته بإتلاف ما أمكن من الوثائق والكتب والمخطوطات الكائنة بزاويته التي خلفه عليها من بعده ابن أخيه المدعو سيدي الصغير. وضريح الشيخ عبد الحفيظ بالخنقة مشهود إلى الآن يؤمه الزوار من كل مكان.

---

(1) رواية عن السيد سعد السعود شخاب رواية عن الدكتور عبد المنعم القاسمي –الأستاذ الباحث بجامعة ورقلة–، كما سمعها عن إخوان الزاوية الرحمانية في الجلفة أثناء تنقله لإنجاز كتابه عن طبقات الرحمانية. وفي رواية شفهية أخرى ذكرها لي عبد الحفيظ رماضنة القائم على زاوية الشيخ محمد الصادق بن رمضان ببسكرة، بأن سي لحسن حوحو روى له أن جده كان من بين الجنود الموجودين في الجيش الفرنسي الذي أخذته فرنسا للقبض على الشيخ عبد الحفيظ بالخنقة، يروي عنه أنهم بعد تطويق الخنقة وبيت الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أرسلوه إليه وطلب منه تسليم نفسه لفرنسا، فاستأذن بالدخول للبيت، فنادى على زوجته فقال لها: ((ربي طلب وفرنسا طلبت))، فقالت له: ((ربي خير))، فقرأ شيئا من القرآن الكريم وصلى ركعتين ومات ساجدا، حيث استجاب الله له دعاءَهُ ألا يُمَكِّنَ جسده في أيدي العدو، ويقال أن ذلك من كرامات شيخه محمد بن عزوز البرجي حيث قال له: ((أن روحك بين يديك متى شئت فاطلبها)) والله أعلى وأعلم. وفي هذا الصدد يقول الشيخ = في دعائه ومناجاته: ((اللهم اختم لنا بخاتمة المقربين وتول قبض أرواحنا بلطف منك وتلقين واجمعنا بك في ذلك الموطن لنكون في فرقنا من الآمنين ويشهد ملك الموت و أعوانه لنا في ذلك بالتمكين ويكون سبب حضوره لنزع أرواحنا امتثالا لأمرك وزيادة تشريف وتأمين وأنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا رب العالمين)) . وفي المخطوط الذي عثرت عليه في مركز المخطوطات بتونس، توجد نصف ورقة ملحقة في آخر المخطوط تذكر كرامة عند وفاة الشيخ المؤلف مفادها أن الله تولى قبض روحه بيده ولم يكله إلى ملك الموت ولا غرابة في هذا، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾. وقوله تعال: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ونحسبه أن الله استجاب دعاءه وخصصه بتولى قبض روحه بيده. رضي الله عنه وأرضاه وألحقنا بأوليائه الصالحين آمين.

(2) **انظر**: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي، ص: 22–23. **راجع**: تجارب في الأدب والرحلة، الدكتور: أبو القاسم سعد الله، ص: 260 – 264.

المبحث الثالث

التعريف بشارح الحكم الشيخ محمد المكي بن الصديق

(1217هـ-1311هـ/1802م-1894م)

المطلب الأول: مولده ونشأته، وأسرته.

هو محمد المكي، بن محمد الصديق، بن محمد زروق بن أحمد زروق، بن عمر زروق، بن أحمد زروق[1]، بن سعيد الوانجني[2] نسبا، انتقلت أسرته الأولى إثر سقوط الأندلس إلى الساقية الحمراء ثم إلى ليانة، ثم استقروا أخيرا في جلال بمكان يسمى: **تيزينت**[3] ؛ أما عن جدهم الأول في الخنقة فهو الولي الصالح العلامة الخطيب عمر بن احمد بن زروق بن سعيد أول خطيب جمعة بجامع سيدي المبارك بخنقة سيدي ناجي المتوفي عام **1124هـ/1712م** عن عمر يناهز 58 عاما؛ أما الشيخ محمد المكي فهو العالم بالفقه والتصوف واللغة والنحو، مؤلف مجتهد، مشارك في العلوم، ولد بالخنقة حوالي سنة **1217هـ/1802**[4]؛ وبعد حفظه للقرآن الكريم بالخنقة انظم إلى حلقات دروس الشيخ محمد بن عزوز فترة بزاويته ببرج بن عزوز قرب مدينة **طولقة**[5]، ثم عاد إلى بلدته الخنقة وتعلم على مشائخها حتى بز أقرانه، وتصدر للتدريس والإمامة والخطابة، لزم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي الهجرسي الذي أخذ عنه الطريقة الرحمانية وسلك على يديه، وكان من المقربين لشيخه بحيث زوجه ثلاثاً من بناته بعد وفاة كل واحدة منهن[6]، ويذكر عنه أنه كان آية من آيات الله في العلم والتقوى، كان حين ضعف بصره ولا يقوى على ضوء النهار يقلب **برنوسه** على رأسه و يملي على طلبته كل واحد منهم حاجته من الأبواب والمسائل الفقهية من فقه خليل وشروحه، ويذكر لهم جميع الاجتهادات الفقهية في المسألة بأدلتها، ثم يقول والظاهر

---

(1) حتى أصبحو يدعون بالزرارقة لكثرة ورود اسم زروق في سلسلة نسبهم.

(2) بن وانجن: فريق معروف يوجد بين بلدة قايس وجبل شليا، يقال لهم باللهجة المحلية أثوجانة أو أولاد أوجانة، وبني وانجن كما جاء في كتاب جمهرة أنساب العرب والبربر لابن حزم الأندلسي، ص495-498: ((هم ذرية وانجن بن ورفجوم ابن ترغاسن ابن الهاص ابن يطوفت بن نفزاو ابن لؤي الكبير ابن زجيك أو زحيك ابن مادغسن ابن بر الكنعاني)) .

(3) **انظر**: تسجيل خاص للباحث (فيديو) 2008م مع الشيخ نور الدين بلمكي حفيد الشيخ محمد المكي شارح الحكم الحفيظية (2010/1915) .

(4) بناءا على معلومات الشيخ نور الدين بلمكي عن سنة وفاته، وعمره حين وفاته

(5) ظهرت عليه علامات النبوغ والنجابة والفتح وهو طالب عند شيخه بن عزوز بالبرج، يروى الشيخ نور الدين بالمكي أن سيدي المكي كان في حلقات دروس الشيخ بن عزوز لا يرفع رأسه أثناء الدرس حتى أدى هذا الموقف إلى تهامس رفقائه الطلبة، فناداه الشيخ بن عزوز وقال له: ((سبحان الله الناس يعلمهم الله ويقولون يعلمهم بن عزوز اذهب والتحق ببلدتك الخنقة)) ، فقفل راجعا إلى الخنقة فأخذ عن مشائخها وخاصة ملازمته للشيخ عبد الحفيظ.

(6) **انظر**: علماء من الخنقة وليانة، عبد الحليم صيد، ص105.

أو الراجح عندي كذا بناءا على الدليل كذا وكذا، قيل عنه في ديباجة المخطوط: (درة الكون وعارف الحركة والسكون العالم العلامة، الحبر البحر الفهامة، مرشد السالكين ووارث حال شيخنا المذكور على اليقين، والرسوخ والتمكين، العارف السالك المسلك، المنقذ الدال على الله والموصل إليه ورحلة المهتدين المدلولين عليه...)، أما مصحح دار الطباعة بالمطبعة الرسمية التونسي في نهاية الكتاب ما نصه: (وقد فاتنا في طالعة الكتاب ذكر شارح هاته الحكم البديعة، لسهو وهو للإنسان من لوازم الطبيعة، والاعتذار به مقبول، كما جاء عن الرسول، مع أنه العلامة المحقق، والعمدة المدقق، وارث أسرار هاته الحكم، وتلميذه الحائز من بين أقرانه التقدم، سيدي محمد المكي بن الجهبذ النحرير، والعالم الشهير.متع الله العالم بوجوده آمين).وقد ذكر لي السيد(سعد السعود شخاب) أنه سمع جواب سؤال سائل سأل الشيخ محمد بن حسين عن علم وفقه الشيخ محمد المكي فأجابه: (بأنه أعلم من ابن تيمية في العلوم الشرعية، وكان يملي العلوم المختلفة من ذاكرته)، ومما يذكر من تقواه وزهده وبركته، أن حاكم الخنقة سيدي حسين، حينما أكمل بناء قصره، أقسم على نفسه ألا يسكن هذا القصر ولا ينام في فراشه إلا بعد أن يسكنه سيدي محمد المكي وينام في فراشه، وحينما دخله هذا الأخير ووضع رجله فيه أحس بنعومة الفرش فسحب رجله وتوقف عن الدخول، فأمر سيدي حسين بإزالة الفرش، فأقام فيه مدة ثم استأذن صاحب القصر بالانصراف عنه، وحين وفاته أجمعت عائلة بن حسين التي كانت تحكم الخنقة أن سيدي محمد المكي لا يكون دفنه إلا في المقبرة الخاصة بالعائلة، لقصدهم البركة فيه ولعلو قدره ومقامه عندهم، فكان الشخص الوحيد الذي دفن في تلك المقبرة من خارج عائلة بن حسين، توفي رحمه الله عن عمر يناهز التسعين سنة وكان ذلك في حدود سنة 1311هـ/1894م مخلفا وراءه ثلاثة أبناء كلهم مشهورون بالعلم والصلاح[1].

كانت بينه وبين شيخه علاقة مصاهرة حيث زوجه شيخه ثلاثا من بناته، كما كانت علاقته به علاقة حب في الله وأخوة كبيرة صادقة، حيث نجده يتذكر شيخه من حين لآخر أثناء شرحه لحكمه، فيعرب عن فضائل شيخه عليهوعن حزنه وعظيم ألمه لفراقه وتخلفه بعده، إلا أنه يسلي نفسه بأنه سيلتقي به قريبا في دار الخلد. يقول في هذا الصدد ما نصه: (...**إنا لله وإنا إليه راجعون على تخلفي بعده ومفارقتي في هذه الدار وفده، فيا ليتني مت قبل هذا وكنت فداءه ويا طول حزني على بقائي وراءه ولكن كل آت قريب فأفوز باجتماعي بالحبيب**)[2]، مما فجر قريحته الشعرية بهذه الأبيات:

---

(1) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي (2010/1915) .(تسجيل) ، مرجع سابق.

(2) شرح الحكمة 43.

دعاني للهدَى إمامٌ أجبتُهُ * فصرتُ على مَتْنِ الهوَى نترنَّمُ

يكلمني سرا وجهرا بسره * ويغمُرُنِي جودًا عن الحق نفهَمُ

أضاء بشمسه العوالمَ كُلَّهَا * ففي الحس والمعنى وبالذُّلِ أُقْسِمُ

ينادمني شُرْبًا يروقُ مذَاقُهُ * ففي السكرِ غيبَةُ أصولٍ أنعمُ

فَمَازَجَنِي حُبًّا فكنْتُ إناءَهُ * وخامَرَنِي قربًا عليهِ أُسَلِّمُ

فأثنى عليهِ والثناءُ جزَاؤُهُ *)واشكرُ نعمةَ الدلالَةِ نُكْرَمُ(1

وقوله:

تسارعَ قومٌ والمرامُ سواكمُ * وكنتُ على ذاكُ السبيلِ أحيدُ

فأصبحتُ مُولَعًا بعَذْبِ عذابِكُم * وصرتُ على غُصْنِ التسلي أميدُ

فَبَخٍ لمن يهوى التداني منكمُ * وها هو أن يَمُتْ فذاكم شهيدُ

تكامل وصلُ من أردتم وِصَالَهُ * وحازَ المنى حقا فهو سعيدُ(2)

المطلب الثاني: أشهر تلاميذه

للشيخ العلامة محمد المكي تلامذة وأتباع أخذوا عنه العلم والطريقة في الخنقة، وفي كل من عين البيضاء من عرش الحراكتة، وفي تبسة وخنشلة، لكن من أشهر تلاميذه أبناؤه الثلاثة.

1. **الشيخ محمد الزروق بن محمد المكي بن الصديق**: ولد بالخنقة عام1279هـ/1860م نشأ بالخنقة وفيها أخذ العلم والطريقة الرحمانية على والده محمد المكي، تصدر للتدريس والإفتاء والإمامة بالخنقة بعد وفاة والده، له شرح على دعاء نظم والده سماه (أنس الصديق). ومما جاء في دباجة شرحه قوله:.. (فإنه لما تفجرت لنا ينابيع الحكم الربانية، والمواهب اللدنية الصمدانية، على لسان صاحب السر المحقق والكمال في علمي الشريعة والحقيقة الأستاذ الوالد، مولانا سيدنا محمد المكي، من نظم هذا الدعاء المحرر، الذي هو في قلوب آحاد تلامذته مقرر، يتلى عقب الأوراد الرحمانية ويكرر، انشرح مني الصدر، لكشف ما غمض من لفظاته، ووضعت قلمي في ذلك رجاء أن يمدني الله ببركاته، بلحظة من لحظاته، ونفحة من نفحاته... إلى أن يقول في خاتمة شرحه: ... هذا التعليق المسمى بأنس الصديق على دعاء الأستاذ والدنا محمد المكي نجل الصديق على يد ملفقه لا مصنفه ومؤلفه من لعفو

(1) شرح الحكمة 123.

(2) شرح الحكمة 146.

الله الرحيم راجي، محمد الزروق القاطن والناشئ بخنقة سيدي ناجي...) توفي بالخنقة وبها دفن عام 1358هـ/1940م، تاركا أربعة أبناء هم: محمد المكي، الجنيد، وعمر، ومحمد الصالح.

2. **سيدي الحاج الأمين بن محمد المكي بن الصديق**: ولد بالخنقة وبها نشأ وترعرع، أخذ العلم والطريقة الرحمانية عن والده محمد المكي، كان مدرسا بالخنقة، توجست منه السلطات الاستعمارية فأبعدته إلى مدينة تبسة، وفتحوا على إثر ذلك مدرسة فرنسية بالخنقة، درس بالمسجد العتيق في تبسة، سجن بتونس وكلف بالأشغال الشاقة والأعمال المهينة عندما هم بالالتحاق بالشيخ المكي بن عزوز بتونس، بعد خروجه من السجن سكن مدينة عين البيضاء مدرسا ومرشدا إلى أن توفي ودفن بها، تاركا ثلاثة أبناء وهم : محمد الصديق، ومحمد التارزي، ومحمد الشيخ.

3. **محمد المدني بن محمد المكي بن الصديق**: أصغر أبنائه ولد بخنقة سيدي ناجي عام 1286هـ/1870م، وبها نشأ وتعلم، من شيوخه والده محمد المكي الذي أخذ عنه العلم والطريقة الرحمانية، ومن تلاميذه الشيخ العالم الولي الصالح محمد بن حسين[1]، كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يجله ويحترمه ويزوره في بيته بالخنقة ويكون بينهما مناقشات كثيرة، وحينما استشاره بإنشاء جريدة في قسنطينة اقترح عليه تسميتها بالبصائر، وقال له: (من أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)، إلتقى به مرة في بلدة عين مليلة سنة 1929م، وسأله عن حكم التوسل بجاه الأنبياء والأولياء؟ فأجابه ابن باديس بإثبات ذلك في حق النبي ﷺ، ونفيه عن غيره، كانت له علاقة بالطريقة العلوية وبشيخها بن عليوة، حيث زاره في مدينة مستغانم[2]، كان له أتباع ومريدون في العلم والطريقة الرحمانية وخاصة من الخنقة ومدينة عين البيضاء، وقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أن له قصيدة مخطوطة في شؤون الدين، توفي بخنقة سيدي ناجي ودفن بها سنة 1359هـ/1941م...[3]، تاركا وراءه سبعة أبناءٍ صالحين حفظة لكتاب الله اشتغلوا بتعليم القرآن الكريم وبالإمامة، ونخص بالذكر منهم أكبرهم الشيخ **أحمد زروق** الذي نال شهادة التطويع في تونس والذي قال عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس (إنه عمدتي في خنشلة)، دَرَّسَ في مدرسة التربية والتعليم، ومدرسة الهدى بخنشلة، توفي بمدينة خنشلة ودفن بالخنقة، أما أبناءه الآخرون فهم عبد الحفيظ مدرس وإمام في تبسة، محمد، ونور الدين مدرس وإمام جامع سيدي المبارك بالخنقة، وعبد الرحمان،ومحمود، ومحمد المكي إمام مسجد عين ياقوت العتيق بباتنة.

---

(1) **راجع** ترجمته في الباب الأول من هذه الأطروحة.

(2) له صورة شمسية تذكارية مع الشيخ العلوي ومريده موجودة عند أحد أبنائه كما أخبرني بذلك نجله الشيخ نور الدين بلمكي.

(3) **انظر**: الشيخ نور الدين بلمكي (2010/1915) .(تسجيل) ، مرجع سابق. **انظر**: عبد الحليم صيد، ص103، مرجع سابق.

4. **الشيخ الدراجي بن بو عبد الله الصولي العقبي:** توفي بالخنقة ودفن بها. لم أقف على ترجمته

المطلب الثالث: مؤلفاته

1. شرحه نظم خليفة بن حسن القماري لمتن الشيخ خليل، مخطوط يوجد عند حفيده الشيخ نور الدين بلمكي كما ذكر د. أبو القاسم سعد الله.
2. دعاء منظوم يبلغ 36 بيتا، يقرأ ويكرر عقب الأوراد الرحمانية،شرحه نجله محمد الزروق في رسالة سماها (أنس الصديق) طبع النظم مع شرحه طباعة حجرية بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1314ه/1896م.مطلعه:

باسم الاله عظيم الجلال * نحمده جل في كل حال

ثم الصلاة بعد والسلام * على نبي بعثه ختم محمد وصحبه الاخيار * واصفياء امة المختار

3. شرحه لخمسمائة بيت من ألفية ابن مالك في النحو قبل وفاته، مخطوط يوجد عند حفيده الشيخ نور الدين بلمكي (لم أطلع عليه).
4. شرح منظومة شيخه عبد الحفيظ المسماة* غنية الفقير*، ذكره في مقدمة كتاب شرح الحكم.
5. شرح حكم شيخه عبد الحفيظ المسماة " غاية البداية في سر حكم النهاية " وقد ذكر أنه كتب بعضا من هذا الشرح أثاء رحلته إلى الحج سنة 2168ه/1851م، في المسجد الأنور تجاه روضته عليه الصلاة والسلام بقصد التبرك والاستمداد منه، كما كتب بعض منه في المسجد الحرام. طبع الكتاب طباعة حجرية بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1314ه/1896م(1).
6. له بعض الأشعار المتفرقة منها قوله:

تنزه سر من أردتم عنايةً * وخامرهُ وجدٌ يَجِلُّ عن الحصر

تغيبُ عن إدراكِ حِسٍّ بسكرة * تُحاكيه مثل الميت يهدى إلى القبر

يشاهد ما يخفى على الغير جهرةً * يولهُ شوقٌ بناره كالجمر

فليس يَلِذُّ العيشُ من كان مغرما * بنار الهوى يصلي ويَسْكِرُ بالخمر

جمال الذي أهدى الكؤوس أذابه * وافناه عنه ثم أبقاه في السكر

---

(1) **انظر**: عبد الحليم صيد، ص103، مرجع سابق ص105. **انظر**: ح: 120. **انظر**: تسجيل خاص للباحث (فيديو) 2008م مع الشيخ نور الدين بلمكي إمام وخطيب جامع سيدي المبارك لاخنقة، حفيد الشيخ محمد المكي شارح الحكم الحفيظية (2010/1915) .

فياليت شعري هل أبيتن ليلة * وحولي من يسقي الكئوس ومن يدر(1)

إلى جانب مؤلفات الشيخ محمد المكي فإنه ترك خزانة كتب معتبرة، تقاسمها أبناؤه الثلاثة بعد وفاته فيما بينهم، وهذه الأقسام الثلاثة بدورها تقاسمها أحفاده، مما يزيد من صعوبة الإطلاع على هذه المكتبة العامرة بالكتب والمخطوطات النفيسة، وأعتقد أن هذه المكتبة من المرجح لو جمعت يكون من المحتمل أن يعثر فيها على الكتب المفقودة التي ألفها علماء الخنقة وخاصة مؤلفات الشيخ عبد الحفيظ الخنقي التي لم نعثر عليها مثل كتابه: (التعريف بالإنسان الكامل)[2]، وكتابه: (غنية القارئ بترجمة ثلاثيات البخاري).

(1) شرح الحكمة 147.

(2) لقد ذكر لي السيد يوسف بولعراس مدير المركز الثقافي أنه عثر على مجموعة من الأوراق خلال إنجازه فهرس لمخطوطات الخنقة، يعتقد أنها من كتاب: التعريف بالإنسان الكامل للشيخ عبد الحفيظ الخنقي.

المبحث الثالث

التعريف بالحكم.تأليفا وشرحا

المطلب الأول: التعريف بالحكم

الحكم جمع حكمة، وهي كلمة تشتمل على معنى يحصل به الانتفاع، وقيل غير ذلك، وهي في معاجم اللغة العربية تدور كلها إما على معانى الإتقان والوثوق والمنع من الجهل والفساد والظلم، أو عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[1]. أما في الاصطلاح فهي: (كلمات جامعة تلخص نظرية أ و مجموعة ملاحظات وتجارب .، المفروض فيها أن يسلم بها الجميع)[2]، مثال ذلك قول المتنبي(354ه):

من يهن يسهل الهوان عليه *** ما لجرح بميت إيلام

ولا شك أن العرب منذ الجاهلية شديدو الميل إلى ضرب الأمثال وإرسال الحكم، لتزيين كلامهم وتقويته، وقد تركوا لنا طائفة جليلة من تلك الحكم والأمثال، وقد عني العلماء عصرا بعد عصر بجمعها[3]، وكان الملوك يرسلون إلى الحكماء يستكتبون حكمتهم، أو يطلبون نماذج منها، من ذلك أن ملك (**نجران**)[4]كتب إلى أكثم بن صيفي طالبا أن يكتب إليه بأشياء ينتفع بها، وأن يوجز، فكتب إليه: (إن أحمق الحمق الفجور، وأمثل الأشياء ترك الفضول...). وكتب إليه ملك **الحيرة**[5]: (أن اعهد إلينا أمرا نعجب به فارس ونرغبهم به في العرب)، فكتب إليه أكثم: (لن يهلك امرؤٌ حتى يضيع الرأي عند فعله

---

(1) **انظر**: لسان العرب: ج12، ص 547.

(2) **انظر**: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص 153، مكتبة لبنان بيروت، الطبعة الثانية 1984م.

(3) من أشهر جامعي الأمثال أبو الفضل الميداني (القرن الثاني عشر الميلادي) صاحب [مجمع المثال]. وأبو هلال العسكري (القرن الحادي عشر) صاحب [جمهرة أمثال العرب]. وممن سبق إلى ذلك المفضل الضبي وأبو عبيدة.

(4) تقع نجران جنوب المملكة العربية السعودية على الحدود مع اليمن، مشهورة بآثارها الأخدودية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة البروج. اعتنق أهل نجران المسيحية في القرن الرابع الميلادي. اعتنق أهل نجران الإسلام دون حرب في السنة العاشرة من الهجرة، ففي االسنة الثامنة للهجرة قدم وفد نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث توصل الوفد مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى التفاهم نيابة عن أهل نجران، ومن ثم طلب الوفد من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم رجلا من أصحابه فأوفد معهم أبا عبيدة بن عامر بن الجراح، وفي السنة العاشرة للهجرة أوفد الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد مع 400 رجل إلى نجران، وفي السنة نفسها أسلمت كل قبيلة بني عبد المدان وهمدان على يد علي ابن أبي طالب. **انظر**: الموقع الرسمي لأمانة نجران على الرابط التالي (http://www.najran.gov.sa/AboutNajran/)

(5) الحيرة هي مدينة تاريخية قديمة تقع جنوب وسط العراق، وهي عاصمة المناذرة وقاعدة ملكهم، قريبة جدا من مدينة النجف والكوفة، فتحت صلحا ودخلت تحت سلطة الخلافة الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك ابن مروان. انظر: موسوعة المعرفة على الرابط التالي (http://www.marefa.org/)

ويستبد على قومه بأموره...). والحكيم عند الجاهلية كان بمنزلة الشاعر، بل يفوقه رتبة، وكانت القبائل ترجع إليه في حالة السلم والحرب، وكانوا يجمعون أحيانا إلى عمل القاضي والمشرع حرفة الكاهن والطبيب والمنجم، فكان الحكيم هو الرجل المثقف ثقافة جامعة لشتى ألوان المعرفة، ومن أشهر حكماء العرب **لقمان**[1] الذي ذهب مضرب المثل في الحكمة والتوحيد بين العرب، **وأكثم بن صيفي التميمي**[2] حكيم العرب في القرن السابع، **وعامر بن الظرب العدواني**، وكان تحتكم إليه العرب[3].

وبذلك نخلص إلى أن الحكم هي: تلك المقاطع الصغيرة من الكلام، المتسعة لمعان كلية جامعة، تنبسط على جزئيات وأحداث كثيرة، في صياغة متينة من التعبير المشرق الأخاذ، شديدة البلاغة لما تشتمل عليه من حسن التشبيه وجودة الكناية، لا تخلو من الرونق البياني وحسن الرص، يقال للناطق بها حكيم، وقد سماها رسول الله ﷺ: جوامع الكلم[4]، وعدها من المزايا والمنن التي أكرمه الله بها فقال: ﴿ بعثت بجوامع الكلم نصرت بالرعب ..﴾[5]، وذلك مثل قوله ﷺ:﴿ رأس الحكمة مخافة الله ﴾[6]. ﴿ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ﴾[7]. (الصمت حكمة وقليل فاعله ﴾[8]. (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ﴾[9]. ﴿ السعيد من وعظ بغيره ﴾[10]. ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ﴾[11]... فهذه الكلمات وأمثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيما. غير أنه (من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله تعالى لم يستحق أن يسمى حكيما، لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها، والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم، ولا أجل من الله، ومن عرف الله فهو حكيم، وإن كان ضعيف الفطنة في سائر العلوم الرسمية، كليل اللسان، وقاصر البيان

---

(1) كان له بين عرب الجاهلية جماعة توحيدية تعرف باسمه منها في المدينة سويد بن صامت، وقد االختلفت الأقوال في شأنه منها على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا، ومما تناقلوه عنه في الجاهلية أنه أول من سن رجم الزوج الخائنة، وأول من سن قطع يد السارق. انظر: الجديد في الأدب العربي، حنا الفاخوري، الجزء الخامس، ص 171، منشورات مكتبة المدرسة بيروت، الطبعة الخامسة 1962م.

(2) عاش زمنا طويلا وأدرك الإسلام، مما ينسب إليه قوله: ((من فسدت بطانته كان كمن غص الماء. من لم يعتبر فقد خسر. المزاح يورث الضغائن. من مأمنه يؤتى الحذر...)) . انظر: الجديد في الأدب العربي، ص 171، المرجع السابق.

(3) انظر: الجديد في الأدب العربي، حنا الفاخوري، الجزء الخامس، ص 169-171، منشورات مكتبة المدرسة بيروت، الطبعة الخامسة 1962م.

(4) **انظر**: في الحديث الشريف والبلاغة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 2011م

(5) صحيح البخاري، رقم الحديث 2720.

(6) رواه بن أبي شيبة [34252] وهناد [الزهد 458] عن أبي أسامة، وأحمدُ [الزهد 378].

(7) رواه الحاكم في المستدرك تحت رقم: 3714 .

(8) شعب الإيمان للبيهقي، رقم الحديث: 4798.

(9) أخرجه الترمذي (2318) في الزهد، وابن ماجه (3976) عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد 1: 201.

(10) مصنف ابن أبي شيبة (7/ 106)

(11) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، انظر: كشف الخفاء (2/ 160)

فيها، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره، فإنه قلما يتعرض للجزئيات، بل يكون كلامه كليا، ولا يتعرض لمصالح العاجلة، بل يتعرض لما ينفع في العاقبة)[1].
ولذلك نجد هذا النوع من فنون الحديث والكلام فيما يروى عن علماء الصحابة والتابعين الأجلاء رضي الله عنهم، وهم أعرف الناس بالله، من أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب...رضي الله عنهم، والحسن البصري وسعيد ابن المسيب...رحمهم الله.وغيرهم.إلى أن تبلورت الحكم في شكلها المعروف على يد كبار علماء الصوفية، وعلى رأسهم ابن عطاء الله السكندري في القرن الثامن الهجري، ومن حذا حذوه، وقد أصبحت تعرف هذه الحكم بالحكم الصوفية، وهي في مجملها مجموعة مقاطع من الكلام البليغ، والرائق اللطيف، الجامع لأوسع المعاني بأقل العبارات، مستخلصة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، تدور في معظمها على دقائق معاني التوحيد وحقائقه، وعلى الأخلاق وتزكية النفوس ومجاهدتها، وفقه الأحكام المختلفة للسلوك والتربية والسير إلى ملك الملوك، والمعارف والعلوم الإلهامية. وقد تسابق كثير من العلماء في عصور مختلفة في العناية بهذه الحكم، الصغيرة في حجمها، العظيمة في آثارها ونفعها وبركتها، في تهذيب النفوس، وتربية الشخصية الإسلامية الفذة، وذلك بكتابة شروح لها رجاء انتفاع الخلق بها، وابتغاء التبرك بها وأملا من أن ينالهم شيء من نفحاتها وبركاتها. كما ذكر ذلك الشيخ عبد المجيد الشرنوبي على شرحه للحكم العطائية بقوله: (وقصدت بذلك دخولي في عِدَادِ من خدم حِكَمَ هذا العارف الكبير، راجيا الاستمداد من بحر أفضاله، فإنه ذو المدد الشهير، وقد فتح على كثير من أهل الأزهر ببركاته، نفعنا الله به، وأعاد علينا من باهر نفحاته)[2].

وتعتبر الحكم من أعظم ما صنف في علم التزكية، والتي هي لمتأملها ما هي إلا مواهب إلهية، وأسرار ربانية، نطقت بها عقول فذة، وأفكار قدسية، لذلك نجد من النادر من ألف في هذا الفن على مر التاريخ الإنساني إلا من حاز حظا عظيما من الحب والتقوى والإخلاص والقرب من الله والفناء في ذاته سبحانه وتعالى. وقد ذكر **ابن عجيبة**[3] في مقدمة كتابه على شرح الحكم العطائية قوله: (لقد سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي ﷺ يقول: سمعت الفقيه البناني يقول: كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحيا، ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم أو كما قال)[4]. وهذا الكلام أعتقد أنه ينطبق إلى حد كبير على الحكم المأثورة على العلماء الربانيين الذين ألفوا وكتبوا في هذا الفن، والذين سنأتي على ذكر

---

(1) كتاب: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، 1407 – 1987 اسم الله: الحكيم، ص120.

(2) **انظر**: شرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري للعلامة عبد المجيد الشرنوبي، ضبط وتعليق د. عبد الفتاح البزم، ص:63، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الحادية عشر 2008م.

(3) سوف تاتي ترجمته لاحقا.

(4) **انظر**: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد ابن عجيبة، ضبط وتصحيح وتنسيق وتعليق د.عاصم إبراهيم الكيالي، ج01، ص:13، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2005.

بعضهم بعد حين. وقد عرفها الشيخ **عبد المجيد الشرنوبي**[1] في مقدمته على شرح الحكم بقوله: (ثم اعلم أن الحكم جمع حكمة، وهي: كل كلمة حصل لك بها نفع، وقال العلامة الأمير: الحكم جمع حكمة، وهي العلم النافع، وليس ذلك إلا علم الشريعة الشامل للفقه والتوحيد والتصوف، لكن لما كان علم التصوف هو العلم الباحث عن تهذيب النفس، وتصفيتها من الصفات المذمومة، والتنبيه على ما يعرِضُ للعبادات والمعاملات من الآفات المهلكة كالكِبْرِ والرياء والعُجْبِ، وتعريف الطرق المخلصة من ذلك، كان أنفع العلوم، فخص باسم (الحكم))[2].

المطلب الثاني: حكم ابن عطاء الله السكندري[3].

أولا: الحكم العطائة نصا.

قال عنها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون: (هي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة، ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي، فتأملها وقال له: (لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء وزيادة). ولذلك تعشقها أرباب الذوق، لما رق لهم من معانيها وراق، وبسطوا القول فيها

---

(1) سوف تأتي ترجمته لاحقا.

(2) **انظر**: عبد المجيد الشرنوبي، ص:63، مرجع سابق.

(3) هو الشيخ الإمام تاج الدين، أحمد بن محمد بن عطاء الله، المالكي مذهبا، نشأ في مدينة الاسكندرية طالبا للعلوم الشرعية والعلوم العربية، أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسي علامة زمانه في العلوم الشرعية، وتصوف على طريقة الشاذلية بعد أن زال إنكاره واعتراضه عليه وتعصبه لأهل علم الظاهر، وقد ذكر ذلك في كتابه (لطائف المنن)، حيث لزمه ابن عطاء الله اثني عشر عاما، وصار من خواصه، و صحب أيضا الشيخ أبا الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية، وعن الآخرين تتلمذ ابن عطاء الله في التصوف، وأفرد كتابا في مناقب هذين الشيخين سماه: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن. رحل ابن عطاء الله إلى القاهرة وأقام بها مشتغلا بالتدريس والوعظ بالجامع الأزهر الشريف. أصبح ابن عطاء الله بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسي وارث علمه، والقائم على طريقته، والدعوة لها من بعده، وقد شهد له شيخه بأنه سيكون مفتيا في المذهبين إن لزم، أي مذهب أهل الشريعة علم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة علم الباطن، ترك ابن عطاء الله الكثير من الرسائل والمؤلفات وخاصة حكمه التي انكب عليها كثير من العلماء شرحا وتحقيقا، من هذه المؤلفات: أحكام العقيدة، وأصول مقدمات الوصول، وتاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، والتنوير في إسقاط التدبير، وحزب النجاة، ورسالة في السلوك، وعنوان الدراية في أداب الطريق؛ وهو شرح لقصيدة العارف بالله أبي مدين التلمساني والتي مطلعها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا * هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم وتأدب في مجالسهم * وخل حظك مهما خلفوك ورا

واسغنم الوقت واحضر دائما معهم * واعلم بأن الرضا يخص من حضرا

ومختصر تهذيب المدونة للبرادعي في الفقه، والمناجاة العطائية، ووصية إلى إخوانه بمدينة الإسكندرية...توفي ابن عطاء الله في القاهرة بالمدرسة المنصورية في 13 جمادى الأخيرة سنة 709هـ، دفن بالقرافة أسفل جبل المقطم بقرب أبني الوفا، وجوار قبر عبد الله بن أبي جمرة وابن الهمام وسيد الناس، رحمهم الله جميعا. لقد ترجم لابن عطاء الله الكثير من العلماء.... وقد أفرد له أستاذنا بمعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة الدكتور أبو الوفا الغنيمي التفتزاني كتابا درس فيه حياة ابن عطاء الله وتصوفه.

وشرحوها كثيرا[1]. وقد أشاد بعظمتها وأهميتها كثير من العلماء، فقد نقل الشيخ عبد الحليم محمود عن الشيخ محمد عبده في مقدمة اللطائف المنقوله: (كادت الحكم أن تكون قرآنا)

والحكم هي أول ما صنف ابن عطاء الله من مصنفاته، عددها مائتان وأربع وستون حكمة (264)، وقد أودع فيها خلاصة آرائه في التصوف، **منها**: ما يتناول الأحكام الشرعية من ناحية آثارها في قلوب المتعبدين السالكين. **ومنها**: ما يعرض للمجاهدة النفسية، وما يتعلق بها وما يترتب عليها من المقامات والأحوال التي هي ثمرتها،كالتذكير والوعظ... **ومنها**: ما يدور حول المعرفة وماهيتها وأدواتها ومناهجها وآداب المتحققين بها، كتصفية الأعمال وتصحيح الأحوال، بتحلية الباطن بالأخلاق المحمودة، وتطهيره من الأوصاف المذمومة، التي هي حظ الصادقين المتوجهين، وحظ المبتدئين من السالكين. **ومنها**: ما يشير إلى آداب السلوك العامة التي ينبغي أن يراعيها السالك في مجاهداته ومقاماته وأحواله ومعرفته، كتحقيق الأحوال والمقامات وأحكام الأذواق والمنازلات، وهو نصيب المستشرفين من المريدين والمبتدئين من العارفين[2]. قال عنها ابن عجيبة في مقدمة شرحه على الحكم: (وبالجملة فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة، مع زيادة البيان، واختصار الألفاظ، والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدي لا يسع أحد إنكاره ولا الطعن فيه، ولا يدع للمعتني به صفة حميدة إلا كساه أياها، ولا صفة ذميمة إلا أزالها عنه بإذن الله)[3]. وقد علق الشيخ عبد الحليم محمود على حكم ابن عطاء الله في مقدمة تحقيقه لشرح الحكم العطائية للشيخ زروق بقوله: (..مجموعة من الحكم صفيت من ناحية الأسلوب والصياغة، فكانت مثلا عاليا للأدب الرفيع، يضع ابن عطاء الله في مصاف أعلام الأدب الفصيح البليغ. وصفيت من ناحية الفكرة، فكانت مثلا عاليا للفكر الصوفي، أو للنور الصوفي، أو لمعراج الروح في مستوى يضع ابن عطاء الله في الصف الأول من صفوف المقربين)[4]. وقد قال عنها الدكتور عبد الفتاح البزم في مقدمة الطبعة الأولى من كتاب شرح الحكم للشيخ عبد المجيد الشرنوبي، بعد اعترافه بما كان للحكم العطائية من كبير الأثر عليه في زيادة يقينه بالله، وحسن توكله عليه وثقته به...قال: (استقاها مؤلفها رحمه الله من الكتاب والسنة، بعد أن صفت روحه، وعرجت إلى الملكوت الأعلى، فعادت وعلى ثنايا لسانه تلك الحكم التي ترجم فيها صفاء روحه، وصدق معاناته، فجاءت مفيدة نافعة، تحل سويداء القلوب، لأن الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلب، يشعر القارئ خلالها إخلاص قائلها، وصدق لهجته، وحسن توكله على الله، وكبير ثقته به سبحانه وتعالى).

---

(1) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، ج1، ص675،

(2) **انظر**: عبد المجيد الشرنوبي، ص26-28، مرجع سابق.

(3) **انظر**: ابن عجيبة، ج01، ص:22، مرجع سابق.

(4) **انظر**: شرح الحكم العطائية، الشيخ زروق، تحقيق الإمام عبد الحليم محمود، ص11، بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى 2010م.

ثانيا: الحكم العطائية شرحا ونظما وتبويبا.

لقد تهيأ لحكم ابن عطاء الله السكندري من الذيوع والانتشار ما لم يتهيأ لغيرها، حيث أغرم بها كثيرون قراءة وتدريسا وشرحا، وقد ظفرت بعدد غير عادي- شرقا وغربا - شرحا وتعليقا وتنبيها ونظما وتبويبا، فكانت بحق منهجا يحتذى به في السلوك ومجاهدة النفس وتزكيتها، وذلك منذ القرن الثامن الهجري إلى يومنا هذا، ومن الشروح ما عرف مؤلفه ومنها مالم يعرف مؤلفه، ومنها ما هو باللغة التركية واللغة المالوية، وقد أحصى منها الدكتور عبد الفتاح البزم 43 مؤلفا بين شرح وتبويب ونظم[1]، وللشيخ زروق وحده أزيد من ثلاثين شرحا، وقد تحدث الشيخ زروق عن شروح الآخرين وبين مزية شروحه هو وتعليقاته حيث يقول: (وممن علق على هذا الكتاب سيدي أبو القاسم الرماح أحد عدول طرابلس رحمة الله عليه، إذ كان رجلا صالحا، حسن النية، جميل الحالة، وحاصل كتابه: أنه أوقد لكل حكمة خطبة وجمع كثيرا من كلام ابن الفارض، والحاتمي، وغيرهما على غير مناسبة، والله ينفعه بنيته. وممن علق عليه الشيخ أبو المواهب محمد المعروف بـ: (ابن زغوان) قديما، تونسي الدار، توطن مصر، وأخذ عن بيت الوفائية، وبشر به بعضهم قبل قدومه، ولقبه بـ (أبي المواهب)، وكان حسن الأخلاق متجملا جدا، ذا لسان عظيم في كلام القوم، يرى أن ليس في المغاربة من يفهم الطريقة؛ وقد نحى بشرحه نحو شقائق الفلاسفة ودقائقهم فالله أعلم بمراده، ولم يكمل كتابه هذا، بل انتهى لنحو ربعه. والله أعلم. وممن علق عليه أيضا الشيخ أبو عبد الله القرا، وصنف، فما قام، ولا قعد، ولاكمل، ولا وصل، وكان يدَّعي على مرأى خارجة عن الأخبار بنبينا النبي ﷺ، فامتحن لذلك ومات مرفوضا والعياذ بالله في سنة ثمانمائة واثنين وثمانين...)[2].

المطلب الثالث: الحكم الغوثية وشراحها.

الحكم الغوثية نسبة لمؤلفها الشيخ العارف بالله **أبي مدين شعيب الغوث**[3]، ذكرها الشيخ محي الدين بن عربي في كتابه الفتوحات المكية، ذكرها محمد بن عبد الكريم في كتاب مخطوطات جزائرية في

---

(1) **انظر**: عبد المجيد الشرنوبي، ص:29-33، مرجع سابق.

(2) **انظر**: الشيخ زروق، ص11، مرجع سابق.

(3) اسمه شعيب بن أحمد، وكنيته أبو مدين تكنى بابنه سيدي مدين دفين مصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي، ولد بالأندلس سنة 492هـ/1098م ونشأ فيها، ذهب إلى فاس وتفقه بها وسكنها مدة، قرأ على عدة شيوخ من جملته الشيخ الحافظ العلامة أبو الحسن بن غالب، ولما فرغ من الاشتغال بعلوم الشريعة، تشوف إلى تصفية الباطن وأخذ الحقائق، وكان أول من لقيه أبي يعزى المغربي الذي تكررت على سمعه فضائله، فامتلأ قلبه حبا من حسن سيرته، حيث قصده مع جماعة من الفقراء، ثم توجه إلى المشرق واستفاد من زهادها وصلحائها، لقي الشيخ عبد القادر الجيلي بعرفة، فصحبه وقرأ عليه في الحرم الشريف كثيرا من

مكتبات اسطنبول، وذكرها الدكتور هادي حسن حمودي في كتاب المخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية. اختلف في عددها منهم من قال: مائة وسبعون حكمة (170) تقريبا، ومنهم من عدها مائة وخمسين حكمة (150)، ومنهم من ذكر مائة وثلاث وثمانين حكمة... قيل عنها: أنها تستحق أن تكتب بماء الذهب، اعتنى بشرحها العلامة **أحمد بن علان** [1] الصِّديقي النقشبندي المتوفى سنة 1033هـ/1623م، بعنوان: (شرح الحكم الغوثية لشيخ الشيوخ سيدي أبي مدين التلمساني المغربي)، حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي، نشرته دار الآفاق العربية بالقاهرة لأول مرة بدون إثبات لسنة النشر، وهو أحد شروحه الثلاثة التي وصلت إلينا، ويعتبر هذا الشرح من أهم شروح الحكم الغوثية من حيث أهميته في سلوك المريد ومعرفته وعلمه، مع الإيجاز والاستيعاب وتحقيق الاستفادة من المراد. أما الشرح

الحديث، وألبسه خرقة التصوف، وكان يفتخر بصحبته ويعده من أكابر شيوخه، شارك في الجهاد لتحرير القدس من الصليبيين، وقطعت يده اليمنى هناك وهي مدفونة في مكان يسمى مقام أبو مدين، فكانت تزار كما ذكر ذلك الحجاج الذين كانو يزورون القدس الشريف قبل الاحتلال الصهيوني، ولما رجع من حجه وسياحاته، استقر ببجاية واستوطنها، وكان له فيها مجلس علم وفتوى، وكان يقول: إنها معينة على طلب الحلال، ولم يزل بها، حتى ذاع سيطه وشاع أمره، وبدأت الوفود وذوو الحاجات من الآفاق ترد عليه، وقيل أنه وشى به بعض علماء بجاية عند السلطان يعقوب المنصور الموحدي الذي كان بمراكش، أن أبا مدين يشبه الإمام المهدي إنه يخاف منه على دولتكم، وله أتباع كثيرة من أغلب البلاد، فوقع له خوف في قلبه، فأمر عامله على بجاية بتسييره إلى عاصمته مراكش بكل احترام وتقدير ليختبره، فاستجاب لطلبه، وحين وصلوا به حوز تلمسان فظهرت رابطة العباد فقال لأصحابه: ما أحسنه محلا للرقاد، فأصابه مرض واشتد به الألم ونزلوا به ليلة دخوله تلمسان، استقبل القبلة وتشهدثم قال: ها أنا قد جئت ((وعجلت إليك ربي لترضى)) ثم قال: الله الحق، ففاضت روحه ثم حملوه إلى العباد وهي قرية تقرب من تلمسان، فدفن بها، وكانت جنازته من المشاهد العظيمة، والمحافل الكريمة. وكانت وفاته سنة 589هـ/1193م، وكان عمره يفوق الثمانين سنة، وما زال قبره يزار وبجانبه المسجد والمدرسة القديمة..**انظر**: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، لأحمد بن مصطفى العلاوي، ج01، ص12-24، المطبعة العلاوية مستغانم، الطبعة الثانية 1989م. **راجع**: موضوع: وقف سيدي أبي مدين بالقدس والسياسة الفرنسية 1949-1955، في كتاب: على خطى المسلمين حراك في التناقض، أبو القاسم سعد الله، ص 136-161، عالم المعرفة الجزائر، الطبعة الأولى 2009م. **راجع ترجمته أيضا**: شرح ابن علان على الحكم الغوثية لأبي مدين، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ص07-36، دار الآفاق العربية القاهرة. **للمزيد عن ترجمته انظر**: المعزى في مناقب شيخه سيدي أبي يعزى للتادلي. والمنهاج الواضح في مناقب تلميذه سيدي أبي محمد صالح للماجري. وخلاصة المفاخر في مناقب سيدي عبد القادر لليافعي. وبهجة الأسرار للشطنوفي. والانتصار للأولياء الأخيار للكردي. وقلائد الجواهر للتاذفي. كلها من تحقيق أحمد فريد المزيدي. **انظر**: حكم سيدي بومدين وابن عطاء الله، جمع وتحقيق: يحي أبو عبد الواحد الأمين بوكليخة، تلمسان 13 فبراير 2001.

[1] هو الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين بن إبراهيم المكي المعروف بابن علان الصديقي الشافعي، ولد بمكة سنة 975هـ/1567م، ونشأ بها، حفظ القرآن الكريم بالقراءات، وحفظ عدة متون في كثير من الفنون، وتفقه لجماعة،= وتصدر للإقراء، وباشر الإفتاء، وجمع بين الرواية والدراية والعلم والتحقيق، أخذ عن الشيخ تاج الدين النقشبندي، انتفع به خلق كثير ويعد من العلماء الفحول، من تصانيفه: رسالة في طريق السادة النقشبندية، وشرح قصيدة السودي في التصوف، وشرح رسالة الشيخ رسلان في التوحيد، وشرح قصيدة أبي مدين(ما لذة العيش) . وشرح قصيدة (من ذاق طعم شراب القوم) لابن بنت الميلق، وشرح التعرف في الأصلين لابن حجر الهيثمي، وشرح قصيدة الهرزوري في التصوف، وشرح الحكم الغوثية لأبي مدين. توفي سنة 1033هـ/1623م. **انظر**: شرح الحكم الغوثية، لأبي مدين التلمساني المغربي، تصنيف أحمد ابن علان، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ص05-06، دار الآفاق العربية القاهرة دون إثبات لسنة النشر.

الأول شرح الشيخ باعشن المسمى: (البيان المزيد المشتمل على معاني التنزيه وحقائق التوحيد)، وقد سبق للشيخ أحمد فريد المزيد تحقيقه. وهناك شرح الشيخ أحمد بن **مصطفى العلاوي**[1] المسمى: (المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية)، طبع في إحدى طبعاته في ثلاثة أجزاء، وقد طبعته المطبعة العلاوية بمستغانم في جزأين، الطبعة الثانية من الجزء الأول سنة 1989م، والطبعة الأولى من الجزء الثاني سنة 1949م، وهو أوسع شروح حكم أبي مدين، حيث قسمها الشارح إلى ثمانية عشر فصلا على خلاف ما رتبت عليه للإفادة حسب موضوع ومقامات الحكمة ومقتضى الأقوال، وذلك بضم كل حكمة إلى جنسها، وترتيبها ترتيبا معقولا بعد تصحيح نسبتها للمؤلف،ترغيبا للقارئ وتسهيلا عليه، مثل موضوع النفس ومعالجتها، وموضوع الخشية والمراقبة، و الفقر حقيقته وفضائله، والتوكل والإخلاص...الخ. وفي هذا الصدد يقول الشارح في مقدمته: (...فأشار علي من ينبغي العمل بمشورته، أن أجعله فصولا، وكل كلام أستمليه من جنسه، بعدما استأذنت أستاذنا المؤلف قلبيا، رحمة الله عليه فظهر لي يقينا، أن ذلك من حسن العمل، لأن الحكم لا يعتبر أولها من آخرها، إنما تعتبر الحكمة من نفسها، فهو مباين للتأليف، وبيان مباينته أن التأليف يشترط فيه المناسبة بين الشيء الموضوع والموضوع عليه، ما طال الفصل إلى منتهى الكلام، والحكم لا يشترط فيها ذلك، إنما تعتبر الحكمة في نفسها، ولهذا يقال: إن الحكماء تسبق أنوارهم أقوالهم. فلو اشتغل الحكيم أن يضع الحكمة على أختها، وتكلف للمناسبة، لخرج عن فيض التعريف، ودخل إلى حيز التأليف، فلهذا كان تنسيق الحكم على غير نسق التأليف، وعلى هذا فالحكم يشترط فيه تأليف الكلام، وعليه فلا محظور في ترتيب الحكم على غير المنوال المعهود، حيث بقيت الحكمة على أصلها). أما عن أسباب ودواعي شرح الحكم الغوثية و الاعتناء بها، يقول الشيخ أحمد العلاوي: (فالذي تعين ذكره هو

---

(1) أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي الشهير بابن عليوة، ولد سنة 1870م، أخذ العلم على أهل بلده، ثم انتسب أولا لطريقة أحمد بن عيسى المكناسي، ثم تعرف بالولي الكبير محمد الحبيب البوزيدي، وأخذ عنه الطريق، أقام في تلمسان ثم في وهران حتى استقر أخيرا بمستغانم، ولازم شيخه إلى أن توفي، فتولى رئاسة زاويته. أسس طريقته سنة 1914م وهي فرع من الطريقة الدرقاوية الشاذلية، أسس عددا من الزوايا لأتباعه ومريديه بلغت خمسين زاوية منها واحد وعشرون زاوية بالجزائر، والباقي في المغرب وتونس والمشرق العربي وأوروبا، حج وسافر إلى تونس وطرابلس الغرب والأستانة، أنشأ مطبعة لطباعة الكتب والنشرات الدينية، وفي سنة 1923م أنشأ جريدة (لسن البيان) الأسبوعية، ثم جريدة (البلاغ الجزائري) سنة 1926م، = لنشر آرائه الإصلاحية في الدين والأخلاق والاجتماع، ترك مجموعة من الرسائل والمؤلفات في التصوف والفقه والتفسير منها: المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية. لباب العلم في سورة النجم. الرسالة العلوية (منظومة في التوحيد) . تفسير سورة والعصر. القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد. رسالة الناصر المعروف في الذب عن مجد التصوف (مترجم للفرنسية) . القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد. دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار. الأنموذج الفريد. وعراج السالكين ونهاية الواصلين. ومفتاح الشهود في مظاهر الوجود. والأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية. وكتاب النور الضاوي في الحكم ومناجاة الشيخ العلاوي. توفي سنة 1934م، وللشيخ محمد المدني القصيبي التونسي مرثية رائعة يذكر فيها مناقب شيخه العلاوي . **انظر**: المواد الغيثية الناشئة ج2، ص5-7، مرجع سابق. **انظر**: مقدمة كتاب ديوان العارف بالله أحمد مصطفى العلاوي المستغانمي، ضبط وتصحيح وتعليق الدكتور عاصم الكيالي، ص5-8، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى 2006م. وللدكتور مارتن لنجر الشهير بالحاج أبي بكر سراج الدين كتاب في سيرته.

الاهتمام بهذه الحكم الشريفة فأقول: إنه كان منذ ستة عشر من الزمان، وقعت بيدنا هذه الحكم، وبيد جماعة من الإخوان دالة لسيرنا إلى الله في مقامات الإحسان، فاكتسبنا بمطالعته ارتياحا، وزادت الصدور بمشاهدتها انشراحا، من أجل ما احتوت عليه من الحقائق، واشتملت عليه من الرقائق، فقد اتضحت الحقائق فيها إيضاحا، فكم من عاص أوعظته موعظتها، وكم من حائر أخذت بيده عبارتها، خصوصا قوله ﷺ: (إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره)، فكم أشار إلى إظهار الحقائق وإبطال التقييد، وكم أرشد السائر إلى معنى الوصول وحقيقة التوحيد، وكم شوق المشتاقين، ونصح الغافلين، ما على نصحه من مزيد، حتى قال: من لم يصبر على صحبة مولاه ابتلاه الله بصحبة العبيد، يا له من حكيم قام بما يجب عليه، وليس علينا إلا الاقتداء به وبأمثاله، أولائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده؛ هذا الذي أوجب اعتناءنا به ورغبتنا فيه، وإن قل المشتغلون بخدمته، ثم أقول وإن اشتغل البعض به، فإنه لم يوف بغرضه، وفي الغالب عاقه من أن تنتفع العباد به، ومن أن يتشرف الطالبون بدراسته، كما تشرفوا بغيره، لكن لا بد للشمس من سحاب، وذلك من فضل الله عليه، ولما طالعناه لم ألبث أن قلت من غيرتي عليه: إن فسح الله في حياتي، وتولاني بفضله، وأتم علي من نعمته كما هو من نعته، وشرح صدري وحل لساني من عقدته، وفقه قولي، لكي أقدر أن أفصح عن بعض ما احتوى عليه، لأجعلن عليه شرحا تبركا به، وتشريفا لقدره، وبعد نذري طال الزمان، ونسيت ما عهدت الله عليه، حتى أيقظني سبحانه وتعالى على لسان بعض أحبائه قائلا: لا بد أن توفي بما عاهدت الله عليه، وأن تقوم بخدمة هذا الولي، وإنك ملزوم به، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وما ذلك إلا غفلة منك وتقصير في جانبه، وأبشرك بقبوله بين الخليقة، فعند ذلك حركتني عنايته، وعملت بإذنه، فالله يجازي من يفعل خيرا، أو يأمر به، وكيف لا، والدال على الخير كفاعله، وعندما تحققت أن لا بد لي من شرحه، عزمت على دخول البحر من شاطئه، كي أستخرج له حلة من جنسه، وأتحفه بتحفة من نعته، وإن كنت لست من ذويه، فمن جالس العطار طاب بطيبه، فلا جرم إن قلنا لنا نصيب من ذوقه، ولله المنة لا ممسك لفضله، إذا أنعم الله بنعمة على عبد أحب أن ترى عليه، وإني مرتجي الله أن ينفعني وينفع به، وأن نكون سببا في تعاطيه ونشره، وعلى الأقل من ذلك نتشرف بخدمته، فقد يتشرف المضاف بشرف المضاف إليه، لقوله رحمة الله عليه: من جالس الذاكرين انتبه من غفلته، ومن خدم الصالحين انتفع بخدمته.

أخدمهم وإن كنت لم أوف بحقهم * فقد يخدم الغبي حضرة السلطان

ولا غروى إن حميت لبعض كلامهم * فقد حمت الشراح ألفاظ القرآن

.....)[1].

المطلب الرابع: الحكم الحفيظية وشرحها:

[1] **انظر**: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، لأحمد بن مصطفى العلاوي، ج01، ص8-10، مرجع سابق.

حكم الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي الونجني الإدريسي الحسني المولود سنة 1203 هـ/ 1789م – المتوفى سنة 1267هـ / 1850م، المسماة بـ: (غاية البداية في سر حكم النهاية). ويطلق عليها بعض من ترجم له بـ: (الحكم الحفيظية على منوال الحكم العطائية). عددها 162 حكمة و52 مناجاة. والحكم هي مجموعة مقاطع من الكلام البليغ الجامع لأوسع المعاني بأقل العبارات، كلها مستخلص من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ، وهذه الحكم في رأيي شاهد على أن صاحبها لم يكن مجرد صوفي يردد عبارات رمزية، بل كان أديبا بارعا واسع الأفق، مستنير الفكر متنوع الاهتمام، يعيش هموم مجتمعه الأخلاقية ويعبر عنها تعبيرا أخاذا يقوم على المعنى العميق والصياغة الدقيقة إلى جانب الإحساس المرهف بجماليات اللغة والاستخدام الأمثل لتنوعاتها. مع أن المؤلف شاعر من شعراء الملحون أي بلغة تناسب المستوى الثقافي للمجتمع في ذلك الوقت وذلك من أجل إيصال رسالته إليهم بما تفهمه عقولهم وبما يستوعبه فكرهم، والحقيقة أنك عندما تتأمل هذه الحكم وهذه المناجاة ترى فيها نورا يسري إلى شغاف القلب، ولا تشك أن كلماتها قد خرجت من أعماق قلوب ملتاعة بحب الله غارقة في شهوده، وما أكثر ما يرددها أصحابها في جنح الليالي المظلمة، يناجون بها ربهم جل جلاله، وإن حرقة الوجد لتأخذ بمجامع قلوبهم والدموع الحارة التي تنهال من مآقيهم، ولأنها تحمل وهجا من حرارة يقينهم وصدق إيمانهم، فلا عجب أن تسري بالتأثير إلى قلوب من يقرؤها اليوم بوجدان حاضر وقلب مستيقظ. والحق أن التزكية في هذه الحكم يبدو منهجا في التوحيد الخالص، بلغ الذروة التي عاشها أئمته وأقطابه، وكأنهم نوع خاص من البشر يتميز بقدرة إيمانية، وسلوك أخلاقي لا يقدر على تحقيقها أكثر الناس، وتوحيد صادق وإيمان عميق، لأنهم توجهوا إلى الله بكلياتهم، وأخلصوا له النية في القول والعمل قلبا وقالبا حتى بلغوا في ذلك كله المثل الأعلى الذي تطمح إليه همم الموحدين. وحسبنا أن نقرأ بعض هذه الحكم الحفيظية لنخرج بهذا الحكم المنصف لهؤلاء العباد الصادقين منها قوله:(إن قنعت بعلمك ورضيت عن النفس فأنت جاهل، وإن لم تقنع بعلمك وأسخطت نفسك فأنت عالم، علمك مع عدم الاتباع جهل، وجهلك مع اتباع الأمر علم، ما العلم مع اتباع الهوى بعلم، ولا الجهل مع اتباع الأمر بجهل، إن أردت أن تخرج عن جهلك، فاصحب من لا يرضى عن نفسه ويريد منك ما يريده لربه). وقوله في موضع آخر:(قليل عمل مع المخافة يتزايد إمداده، وكثير عمل مع الرجاء يتضاعف خسرانه، لا تعمل العمل وأنت ترجو عليه، ولا تترك العمل وأنت تخاف فيه، واعمل العمل من غير رؤية مجازاة، واترك العمل من غير خوف مبالاة). وقوله أيضا: (ليس العلم كله علما، وإنما العلم بالله هو العلم، وليس الجهل كله جهلا، وإنما الجهل بالله هو الجهل، أتظن أنك بالله عالم وأنت في الحقيقة جاهل، ولو كنت في علمك مخلصا لكان عملك لله خالصا). وقوله: (لا تقنع من علمك لأن تكون عالما ولكن اقنع من علمك لأن تكون عاملا، ولا تقنع من عملك لأن تكون عاملا بل اقنع من عملك لأن تكون مخلصا، ولا تقنع بإخلاصك أن تكون مخلصا لأن المخلصين على خطر، ولكن اقنع بإخلاصك أن تكون عنه غائبا). (لا تقنع بكثرة الأعمال من غير حضور مع المتعال فإن ذلك

دليل على عدم الإقبال). ومن مناجاته لربه قوله: (يا من لا تكيفه الأوهام ولا تشابهه الأجرام ولا يخفى عليه صرير الأقلام اجذبنا إليك بخير تحية وسلام)...هذه الكلمات العذبة لا تصدر إلا عن فطرة نقية، وقلب خائف وجل، ونفس مطمئنة راضية مرضية، كما لا نشك بأن لهذه الحكم قيمة تصوفية كبرى، إلى جانب قيمتها الأدبية والفنية، فهي وغيرها من أعظم ما صنف في علم التصوف، وهي مثل عال للفكر الصوفي النقي، الخالص من الشوائب، المتلائم مع الكتاب والسنة، والمتوائم مع أقوال الصحابة وسلوكهم، وهي إلى جانب هذا تضيء لنا صفحات مشرقة من التصوف الإسلامي السني الناصع، ذلك لأنها تخاطب وجدان المسلم وتسمو بروحه وتطهر نفسه وتعلو بها إلى أسمى درجات النقاء والطهر والكمال الروحي، وتخلصه من المادية البغيضة، وبهذا يسمو الإنسان نفسا وروحا وسلوكا فيرتفع فوق شهواته ويعلو بغرائزه فلا يكون عبدا لها، كما أنه يتمسك بالقيم الروحية النبيلة، والمثل العليا الفاضلة التي ترفع من قدره وتصلح نفسه. ومن هذا المنطلق ينأى التصوف عن السلبية ويصبح سلوكا إيجابيا، يسمو بالفرد ويقوم من سلوكه ويرقى بالمجتمع ويوجهه نحو الأفضل. وفي هذا الصدد بودي أن أستعير كلمة الداعية الشيخ محمد الغزالي في إشادته بالتصوف وبالحكم العطائية في كتابه: [الجانب العاطفي في الإسلام] ما نصه: (هناك تصوف نبت في أكناف الإيمان والإسلام والإحسان، ونما على أغذية جيدة من العلم والعمل، واستطاع أن يكون المشاعر الإنسانية بصدق العبودية، ودفعها إلى التفاني في مرضاة الله ...وإذا كان سعد زغلول قد وصف أدب الرافعي بأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم، فإني مع إكباري للرافعي وأدبه أرى أن كلمة سعد أصدق ما تكون في الحكم الصوفية لابن عطاء الله السكندري رحمه الله)، فهذه العبارات والتعليقات للشيخ الغزالي تصدق في نظري أيضا على حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي رضي الله عنه وأرضاه.

شرح حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي تلميذه محمد المكي بن الصديق الخنقي. والذي كان عالما وفقيها ومدرسا ومفتيا بجامع سيدي المبارك بالخنقة، يقول عن سبب شرح هذه الحكم ودواعي تأخر الشروع فيها في مقدمته على الشرح: (..فهذا تقييد لطيف وضعته على الحكم المسماة بغاية البداية في سر حكم النهاية، حملني على وضعه، واضطرني إلى صنعه، مؤلفها شيخ الوقت والطريقة، وإمام السلوك والحقيقة، العارف بالله والدال عليه، ومنهج المريدين في الوصول إليه، الأستاذ سيدنا ومولانا عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الخنقي ﷺ وأرضاه، وجعلنا و المسلمين تحت ظلال بركاته وحماه، آمين، وذلك حين عرضي عليه شرحي على منظومته غنية الفقير، فاعترفت له بأن باعي في ميدانهم قصير، فضرب بيده المباركة على ظهري قائلا اشرحه هو وما خرج من كلامنا، فإن الله على كل شيء قدير، فأخذت منه الإذن يرجف به فؤادي، ومن قلة بضاعتي في العلمين كاد أن يضير، فصرت مع ذلك أقدم رجلا و أؤخر أخرى حتى لاحت لي لوائح التيسير، واشتدت رغبات بعض الخلان وحذرني بعد الإذن من التقصير، فتأخر شروعي فيه عن حياته والأمر لله العلي الكبير، هذا وأنه غير خاف عجزي وضعفي، فأعتذر لأهل الحق بلسان تلطفي

لعلهم يقبلون الاعتذار، فليس ذا سعة كذي إقتار، لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها من اليسار، ....، ولست سالكا فيه سبيل الشرح لمعانيه ولا لإيضاح مبانيه، لعدم علمي بما تضمنته عباراتهم أو لاحت إليه إشاراتهم من مكنون سرائرهم ومغيب ضمائرهم، فحاشا لله وكلا أن أدعي ذلك أو أحوم حول ما هنالك، غير أني أحاذيه بحسب ما يبدو لي من كلامه، ويلوح في عالم سري من لوامع مرامه بقدر الاستطاعة، وما تناله البضاعة، والله أسأل أن ينفع به كما عم النفع بأصله، إنه جواد كريم ...). طبع مع الشرح بتونس سنة 1314هـ/1896م. ويذكر أنه عندما اطلع علماء الزيتونة على هذا الشرح علقوا بقولهم:كاد الشرح أن يفوق المتن. مما يدل على المكانة العلمية والأدبية الكبيرة للشيخ محمد المكي.

القسم الثانى: التحقيــق

أولا: شرح الحكم والمناجاة

ثانيا: شرح الحكم

ثالثا: شرح الدعاء والمناجاة

شرح الحكم والمناجاة
للشيخ محمد المكي بن الصديق الخنقي رضي الله عنه

(1217هـ/1802م-1311هـ/1894م)

أولا: شرح الحكم

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم

الحمدلله الذي أشرقت شمس معرفته في عوالم القلوب، وشملت نعمته التقريبية كل محب ومحبوب، فهذا متقرب إليه بخدمته وهذا مختطف مجذوب، أصلح سرائرهم ونور بصائرهم وزكاهم من دنس العيوب، فنظروا به إليه، وأقبلوا منه عليه، وغابوا في حسنه وجماله عن الغيوب، نحمده على ما به أنعم وألهم، ونشكره شكر عبد منه تلقى وعنه فهم، ونصلي على سيدنا محمد مَنْ أَمَّ سائر الخلق وعنهم تقدم، وعلى آله وأصحابه وتابعيهم ونسلم وبعد:

فهذا تقييد لطيف وضعته على الحكم المسماة بغاية البداية في سر حكم النهاية، حملني على وضعه، واضطرني إلى صنعه، مؤلفها شيخ الوقت والطريقة، وإمام السلوك والحقيقة، العارف بالله والدال عليه، ومنهج المريدين في الوصول إليه، الأستاذ سيدنا ومولانا عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الخنقي رضي الله عنه وأرضاه، وجعلنا و المسلمين تحت ظلال بركاته وحماه، آمين، وذلك حين عرضي عليه شرحي على منظومته غنية الفقير، فاعترفت له بأن باعي في ميدانهم قصير، فضرب بيده المباركة على ظهري قائلا اشرحه هو وما خرج من كلامنا، فإن الله على كل شيء قدير، فأخذت منه الإذن يرجف به فؤادي، ومن قلة بضاعتي في العلمين كاد أن يضير، فصرت مع ذلك أقدم رجلا و أؤخر أخرى حتى لاحت لي لوائح التيسير، واشتدت رغبات بعض الخلان وحذرني بعد الإذن من التقصير، فتأخر شروعي فيه عن حياته والأمر لله العلي الكبير، هذا وأنه غير خاف عجزي وضعفي، فأعتذر لأهل الحق بلسان تلطفي لعلهم يقبلون الاعتذار، فليس ذا سعة كذي إقتار، لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها من اليسار، وقد ارتكبت في هذا أمرا عظيما لكن الرب غفار، فعلى الواقف عليه أن يصلح ما وجده فيه من خلل، بشرط التثبت والتأني في العمل، إذ عسى أن تتقدم المرء شوائب العلل، فتختطف بصر بصيرته من حيث لا يشعر ولا يتخيل، فيبادر إلى الإنكار في غير محل، عافانا الله من سوء أقداره، وحفظنا من التعرض لحملة أسراره، بمنه وكرمه، ولست سالكا فيه سبيل الشرح لمعانيه ولا لإيضاح مبانيه، لعدم علمي بما تضمنته عباراتهم أو لاحت إليه إشاراتهم من مكنون سرائرهم ومغيب ضمائرهم، فحاشا لله وكلا أن أدعي ذلك أو أحوم حول ما هنالك، غير أني أحاذيه بحسب ما يبدو لي من كلامه، ويلوح في عالم سري من لوامع مرامه بقدر الاستطاعة، وما تناله البضاعة، والله أسأل أن ينفع به كما عم

النفع بأصله، إنه جواد كريم، وهذا أوان الشروع في المقصود، **وبالله**[1] ابتدائي و إليه أعود، فأقول الكلام على البسملة و الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقرر معلوم، وفي غير هذا مبين مفهوم.

(1) في حج: **وبه**

من علامات الاستقامة

الحكمة الأولى

قال رضي الله عنه:

- **من علامةِ الاستقامةِ على الطاعاتِ التلذُّذُ بفنونِ العبَادَاتِ.**

قال الشارح:

أقول: الاستقامة أخذ الطريق الأقوم والثبات عليه، وهي التوسط في الأمور والأخذ فيها على المنهج المستقيم دون تفريط و إفراط، وميزان وجودها في أصناف الطاعات وأنواع العبادات قولية أو فعلية بدنية أو قلبية، وجود الالتذاذ بها والتنعم بحلاوتها، ووجدانها علامة لقَبولها، لأن شجرة الإيمان لا بد لها من فروع ثابت أصلها دائم أكلها، وظهور حلاوة ثمرها دليل على كمال طيبها و جلالة قدرها، قال **ابن عطاء الله**[1]: (من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا)[2]. قال **ابن عباد**[3]: (ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به)[4]، ويتصور ذلك في أكثر الأعمال بالمواظبة عليه على حال تركه واستثقاله له، هذا هو غالب الأمر، قال بعض العارفين: (ليس شيء من البر إلا ودونه عقبة يحتاج إلى الصبر فيها، فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة، وإنما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذات والتنعم). قال **ثابت البناني**[5] رضي الله عنه: (كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت

---

(1) هو تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله الأسكندراني، تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي، صاحب الحكم المشهورة بالحكم العطائية، كان ينتفع الناس بإشاراته، وله موقع في النفس وجلالة ومشاركة في الفضائل، توفي سنة 709هـ.. **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص421. **راجع**: د. أبو الوفاء التفتزاني، **ابن عطاء الله السكندري وتصوفه**، وهو أوفى كتاب في بابه.

(2) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص216.

(3) (733هـ - 792هـ) هو محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الحميري نسبا الرندي مولدا - ورندة مدينة بجنوب إسبانيا كانت من أمنع حصون الأندلس بها آثار إسلامية رائعة - الشاذلي طريقة ومشربا، المالكي مذهبا، كان ذا سمة وهمة وتجمل وزهد وعفاف وصيانة وعظيم علم، سكن مدينة سلا - مدينة مغربية قريبة من الرباط - وصحب بها أوحد أهل زمانه علما وعبادة سيدي الحاج أحمد بن عمر بن عاشر المرسي فانتفع به كثيرا، وتنقل بين فاس وتلمسان ومراكش وطنجة، استقر خطيبا للقرويين بفاس وكان بها بمثابة الإمام الشافعي بمصر، توفي بها وقبره الآن بها مشهور، له كتب منها: الرسائل الكبرى في التوحيد والتصوف، ومتشابه الآيات، و له غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية، وغيرها. **انظر**: الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص299. راجع: ابن عباد، المرجع السابق.

(4) **انظر**: ابن عباد، ج1، ص216، مرجع سابق. بلفظ (النعيم به) بدل (التنعم به) .

(5) ثابت بن أسلم البناني أبومحمد البصري التابعي(41 هـ - 127 هـ) ، القاص الزاهد العابد أحد مفاتيح الخير- وبنانة قبيلة وقد صارت بنانة محلة بالبصرة لنزول هذه القبيلة بها - **راجع**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص125.

به عشرين سنة)[1]، وقال بعض[2]: (كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه، وكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فإني الآن أسمعه من المتكلم به، فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه)، وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم، إنما تثمره الأعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من **الرياء**[3] **والدعوى**[4]، قال **أبو تراب**[5]رضي الله عنه: (إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل)[6]،فالأعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى.

إذا عرفت هذا علمت أنه يجب على الإنسان أن يسعى [في تخليص][7] نفسه من سجن هواها، ويعمل على فكاكها من قيود ضلالها ودعواها، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾[8]لأن تزكيتها فلاحه وفوزه بثمر أعماله عاجلا وآجلا، قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[9]أي جنة معجلة في هذه الدار وهي التلذذ بنعيم ثمرات أعماله في كل أحواله، وجنة مؤجلة لدار الجزاء ومحل الرضى، وكما أن

---

(1) **انظر**: ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، مج3، ص260. بلفظ (كابدت الصلاة) بدل (كابدت القرآن) .

(2) يستعمل الشارح في بعض الأحيان عبارة قال بعض عندما يكون غير متأكد من صاحب القول، وأعتقد أنه يقصد بهم القوم أي السادة الصوفية، ولذلك نجده نجده يستعمل كثيرا قال بعض العارفين.

(3) الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس، بإيرائهم خصال الخير، إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة وإظهارها، فحد الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله، والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي: مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو: البدن، والزي، والقول، والعمل، والأتباع، والأشياء الخارجة؛ وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة، إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات؛ وبالجملة فالرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار. **راجع**:إحياء علوم الدين،أبو حامد الغزالي،، تحقيق سيد ابراهيم، ج3، ص 454-494، دار الحديث القاهرة، الطبعة الولى 1992م.

(4) الدعوى في اللغة: إضافة النفس إليها ما ليس لها، ادّعَى الشيء: زعمه لنفسه. ادَّعَى الشيء: تمناه. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم أربع مرات بصيغ مختلفة. وفي الاصطلاح الصوفييقول الدكتور حسن الشرقاوي:الدعوى: هي إدعاء من الإنسان لشيء لا يفعله ولا يملكه، كأن يدعى الإنسان بعض الطاعات، وهي ليست جزءا من أخلاقه، فيضيف شيئا إلى نفسه ليس فيها، فيحجب بهذه الدعوى عن معرفة الحقائق،إذن فالدعوى حجاب بين الله وبين العبد ». قال سهل بن عبد الله: أغلظ حجاب بين العبد وبين الله الدعوى. **انظر**: معجم المصطلحات الصوفية، د.عبد المنعم الحفني، ص98، دار المسيرة بيروت، الطبعة الثانية 1987م. **راجع**: موسوعة الكسنزان، ج8، ص94-99. مرجع سابق.

(5) أبو تراب واسمه عسكر بن حصين، وهو من جلة مشايخ خرسان والمذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع، أسند الحديث. **راجع**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص146.

(6) السلمي، **طبقات الصوفية**، ص149.

(7) في مخ: **على تخليص**.

(8) الآية 09 سورة الشمس.

(9) الآية 46 سورة الرحمان.

وجود اللذة والحلاوة دليل على القبول والفوز بالمرغوب والمأمول، ففقدانها دليل على الضد، قال **الحسن**[1]رضي الله عنه: (تفقدوا الحلاوة في ثلاث فإن وجدتموها فابشروا بقصدكم وإن لم تجدوها فاعملوا أن الباب مغلق، عند تلاوة القرآن، وعند الذكر، وفي السجود) وزاد غيره وعند الصدقة وبالأسحار.

وبالجملة: فلذة الطاعة جعلت دليلا على قبول العمل، وخلوصه لله عز وجل وسلامته من شوائب العلل، و إلا فلا، وما هي إلا ميزان تدل فقدا على الطيش ووجودا على الرجحان، ولهذه الحلاوة علامة تدل على صحتها وهي مرارة المعصية، فإن وجد ألم المعصية ومرارتها عند مقارفتها صحت لذته وسلمت نعمته وإلا فهي كاذبة، ووجود هذه اللذات محض مبشرات يكرم بها الله تعالى بعض عبيده، ليأخذ بمجامع قلوبهم إليه، ويديم عكوف أسرارهم عليه، وإلا فهي ليست مقصودة لذاتها، وإنما المقصود إخلاص العمل إليه من جميع الشوائب **القادحة** فيه كما علمت، ولما ذكر أن علامة الاستقامة في الأعمال وجود اللذة فيها، خشي توهم العامل أن اللذة شيء مطلوب مقصود لذاته مطلقا، رفع ذلك التوهم بقوله.

الحكمة الثانية

قال رضي الله عنه:

- **التَّلَذُّذُ بالطاعةِ معَ التفويضِ وصــلةٌ، وعدمُ التفويضِ في اللذاتِ قطيعةٌ، لاتَغترَنَّ بوجودِ لَذَّةِ الطاعاَتِ، فَتُحرمَ المسيرَ في المقاماتِ.**

قال الشارح:

يقول التلذذ بمجرده لا يخلو من أمرين، إما أن يصحبه تفويض أولا، فإن صحبه تفويض إلى المولى جلا وعلا و إعراض عن وجوده [وتبرا][2] من الحول والقوة في شهوده، كان التلذذ بتلك من قبيل الزاد وحسن الاستعداد، الموصل بفضل الله وكرمه إلى أكمل المراد، والكفيل لصاحبه بفيض الإمداد، وإن ركن بقلبه إلى اللذات والتطلع إلى وجودها، ووجه همته إلى نيلها وشهودها، كانت عليه فتنة ومصيبة ومحنة، قاطعة له عن [مطلوبه ومقصوده][3]، مفوتة لغرضه من قرب معبوده.

هذا وإن الاغترار بها مزلة لأقدام السائرين، وسبب لحرمان مقامات الواصلين، وإن أكرمه الله بوجودها فليعلم أنها مجرد أمارة على القبول، ومبشرة ببلوغ المأمول، لا ينبغي [له][4] أن يفرح بها ولا

---

(1) أعتقد أنه لا يخرج على أن يكون أحد الحسنين، إما الحسن ابن علي كرمه الله وجهه، أو الحسن البصري التابعي رضي الله عنهم.

(2) في مخ: وتبر

(3) في مخ: مقصودهومطلوبه.

(4) ساقطة في حج.

[أن][1] يقف عندها، فيصير عند ذاك متبعا هواه وهو غاية مناه، فإنه والحالة هذه من قبيل الشرك في الأعمال المعطل عن بلوغ مقامات الرجال، كيف لا وهو **حرف** وأي حرف، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[2]، فمن [اهتم][3] بتحصيلها وسعى في توصيلها وكانت هي أهم أموره، لا شك أنه هلك في أودية غروره وأعظم شروره، وصارت له شهوة نفسانية وأغراضا شيطانية، ألهته عن مطلوبه وقطعته عن محبوبه، ثم أن علة ذلك هي الوقوف مع ما هنالك كما قال:

الحكمة الثالثة

قال رضي الله عنه:

- **فإن الوقوفَ مع الملذوذِ بِهِ فَرْقٌ لِجَمْعَيَّتِهِ، فالجمعيَّةُ في فَرْقَيَّتِهِ جمعٌ، والفرقيةُ في جمعيتِهِ فرقٌ، لا الفرقيةُ تُنافي الجمعيةَ ولا الجمعيةُ تُنافي الفرقيةَ.**

قال الشارح:

الفرق ما نسب إليك، والجمع ما سلب عنك، فما كان من قِبَل الخلق عبوديةً فهو تفرقة، وما كان من قبل الحق فهو جمع، وسيأتي تحقيق معنى الجمعية والتفرقة في المناجاة إن شاء الله تعالى، وتقريبه هنا أن

---

(1) ساقطة في حج.

(2) الآية 11 سور الحج.

(3) في مخ: تهمم.

الجمعية[1]: ترجع في المعنى إلى حصول الجمعية بمشاهدة الحق؛ و**الفرقية**[2]: عبارة عما يناقض ذلك من شهود فرقية كثرة الخلق، و الغيبة عن مشاهدة الملك الحق، كأنه يقول: مرام السائرين إلى الله تعالى بحصول جمعية قلوبهم به، وتخليهم من فرقية ما يشتت أحوالهم ويشوب أعمالهم، حتى يعثروا على مقام يحجبون بالحق عن الخلق، ثم إلى الاستغراق في الشهود بعد تلاشي كل موجود، فيجمعون في هذه الحالة بين الضدين، لا يشغلهم فيه شأن عن شأن، إذ انحجاب هذا بهذا دليل على النقصان، وهي **جمع الجمع**[3] كما يأتي أيضا، بل لا يزال السائر إلى الله تعالى ينتقل من حال إلى حال حتى تحصل له الجمعية الحقية ويخرج عن الفرقية الخلقية، فإذا تمكنت [جمعيته بالوجود][4] وتلاشت فرقيته في الشهود حتى غاب عن إحساسه رأسا، ذهب عنه تنافي الأمرين وصارت كثرته وحدة وتفرقته جمعا، بل جمعه جمع جمع، لا تحجبه

---

(1) في اللغة: جَمَعَ المتفرق: ضم بعضه إلى بعض. وجَمَعَ بينهما: مزج بينهما. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم 148 مرة بمشتقاتها المختلفة، وفي الاصطلاح الصوفي هو التوحيد. أو كما قال الشيخ عبد الغني النابلسي: هو رؤية الله بلا سواه. قال الشيخ زكريا الأنصاري الجمع: هو الاستغراق في التوحيد، والاحتجاب عن رؤية النفس. وقيل: الجمع: هو شهود الأغيار بالله تعالى. وقال بعض المحققين: المراد بلفظ الجمع والتفرقة: أن الله تعالى جمع الخلق كلهم في الأزل وخاطبهم بقوله: ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** ﴾ ثم فرقهم بالسعادة والشقاوة والتقريب والإبعاد والإكرام والإهانة وأشباه ذلك فقال: ﴿ هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ﴾، وقال: ﴿ **فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ** ﴾. أما الجمعية فيعرفها كمال الدين القاشاني بقوله: اجتماع الهمم في التوجه إلى الله، والاشتغال به عما سواه، وبإزائها التفرقة: وهي توزع الخاطر للاشتغال بالخلق. وقيل: هي عبارة عن انتفاء خطرات القلب أو قلتها. يقول الشريف الجرجاني: الفرق ما نسب إليك، والجمع ما سلب عنك. ومعناه أن يكون كسبا للعبد من إقامة وظائف العبودية، وما يليق بأحوال البشرية، فهو فرق، وما يكون من قبل الحق من إبداء معان وابتداء لطف وإحسان فهو جمع، ولا بد للعبد منهما: فإن من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له، فقول العبد: ﴿ إياك نعبد ﴾، إثبات للتفرقة بإثبات العبودية، وقوله: ﴿ وإياك نستعين ﴾، طلب للجمع، فالتفرقة بداية الإرادة، والجمع نهايتها. انظر: كتاب التعريفات للجرجاني، ص68، دار الكتاب العربي بيروت 2002م.

(2) في اللغة: فَرَقَ الشيء: قَسَمَه .فَرَّق بينهما: باعد بينهما، فصل بينهما. وقد وردت مادة (ف ر ق) في القرآن الكريم 72 مرة على اختلاف مشتقاتها. وفي الاصطلاح الصوفي: التفرقة : شهود الأغيار لله. وقيل: هي العبودية. يقول الإمام القشيري: الجمع والتفرقة أصلان لا يستغني أحدهما عن الآخر، فمن أشار= إلى تفرقة بلا جمع فقد كفر، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر، فإذا جمع بينهما فقد وحد. ويقول الشيخ عبد القادر الكيلاني: كل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل. ويقول الشيخ عبد الحميد التبريزي: قال بعض أهل الله: إياكم والجمع والتفرقة، فإن الأول يورث الزندقة والإلحاد، والثاني يقتضي تعطيل الفاعل، وعليكم بهما جميعاً فإن جامعهما موحد حقيقي. **انظر**: الجرجاني، ص56، مرجع سابق. **راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج17، ص302-323. مرجع سابق.

(3) يقول الإمام القشيري: يختلف الناس في هذه الجملة جمعالجمع على حسب تباين أحوالهم وتفاوت درجاتهم. فمن أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهد الكل قائماً بالحق: وهذا هو جمع، وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن الإحساس بكل غير بما ظهر واستولى من سلطان الحقيقة: فذاك جمع الجمع. وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله ﷻ عند غلبات الحقيقة. ويعرفها الجرجاني بقوله: جمعالجمع: مقام آخر أتم وأعلى من الجمع، فالجمع: شهود الأشياء بالله، والتبري من الحول والقوة إلا بالله، وجمع الجمع: الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله، وهو المرتبة الأحدية.**راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج4، ص328-362. مرجع سابق

(4) في حج: جمعيةالوجود.

الجمعية عن الفرقية ولا الفرقية عن الجمعية، فانحجاب الخلق بالحق فناء وعدمه بقاء، فهذا هو الذي يشير إليه بعدم التنافي، فافهم فإنه دقيق. ثم قال.

الحكمة الرابعة

قال رضي الله عنه:

- **من كُشِــفَ لَهُ عَنِ الغَيْبِ ولم يَغِبْ فِيهِ فهو محجوبٌ بهِ، ومن نظر إلى ما يســتحســنُهُ من أعمالِه عُوقِبَ بِالرُّجُوعِ عَنْهُ.**

قال الشارح:

جرت عادة الله تعالى أن يكرم أهل المعاملات بضروب من **الكرامات**[1] ويطلعهم على سني الدرجات و يكشف عن أسرارهم ما **غان** عن أبصار بصائرهم من سحائب الجهالات، فيمشون بين الناس في نهار وجودهم بعد غيهب ليل الظلمات، فأخبر رضي الله عنه أن من كشف له الباري عن أسرار غيبه ولم يغب فيه عن غيبه فهو دليل حجبه، لأنه مجرد كرامة يكرم بها السائر فلا ينبغي له الوقوف عندها ولا الاعتداد بها، فالواجب عليه الإعراض عنها وعدم **الالتفات**[2] بقلبه إليها، و الأهم والآكد تنقية عيوبه أولى له وأحق به من تطلع غيوبه، قال ابن عطاء الله: (تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك

---

(1) الكرامة في اللغة: أمر خارق للعادة يظهره الله على يد من أوليائه. وقد وردت مادتها في القرآن الكريم سبعة وأربعون مرة على اختلاف مشتقاتها. وفي الاصطلاح الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة. فالمعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، وظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، والفرق بين المعجزات والكرامات أن الأنبياء مأمورون بإظهار معجزاتهم، والولي يجب عليه ستر كرامته وإخفاؤها، وليست الكرامات للأولياء إلا تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم، وأكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود؛ قال بن معاذ: إذا رأيت الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال، وإذا رأيته يشير إلى الآلاء والنعماء فطريقه طريق أهل الجنة، وهو أعلى من الذي قبل، وإذا رأيته يشير إلى الذكر ويكون معلقا بالذكر الذي ذكره، فطريقه طريق العارفين، وهو أعلى درجة من جميع الأحوال. **انظر**: الجرجاني، التعريفات، ص149، مرجع سابق. **انظر**: د.عبد المنعم الحفني، ص223، مرجع سابق.**راجع**: موسوعة الكسنزان، ج19، ص73-95. مرجع سابق.

(2) لَفَتَ وجهَه عن القوم: صَرَفَه، والْتَفَتَ التِفاتاً، والتَّلَفُّتُ أَكثرُ منه.ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتاً: لواه على غير جهته؛ وقيل: اللَّيُّ هو أَن تَرْمِيَ به إِلى جانبك.ولَفَتَه عن الشيء يَلْفِتُه لَفْتاً: صَرفه. الفراء في قوله، عز وجل: أَجِئْتَنا لتَلْفِتَنا عمَّا وَجَدْنا عليه آباءَنا؟ اللَّفْتُ: الصَّرْفُ؛وفي حديث حُذيفة: إِنَّ مِن أَقْرَإِ الناسِ للقرآن مُنافِقاً لا يَدَعُ منه واواً ولا أَلِفاً، يَلْفِتهُ بلسانه كما تَلْفِتُ البَقرةُ الخَلى بلسانها؛والمعنى أَنه يَقْرَأَه من غير رَوِيَّةٍ، ولا تَبَصُّرٍ وتعَمُّدٍ للمأْمور به، غيرَ مُبالٍ بِمَثْلُوِّه كيف جاء، كما تَفْعَلُ البقرةُ بالحَشيش إِذا أَكَلَتْه.وفي الحديث: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَليغَ من الرجال الذي يَلْفِتُ الكلامَ كما تَلْفِتُ البقرةُ الخَلى بلسانها. **انظر**: لسان العرب، ج2، ص84.

إلى ما حجب عنك من الغيوب)[1]، أي لأن المطلوب من المريد التطلع إلى ما خفي عليه من معايب نفسه بالبحث والكشف عنها، إذ هو حق الحق منها، ولا تصفو له معاملة الحق جل جلاله إلا بتزكيتها، والخروج من غرور شهوتها، وقد ذكر **أبو حامد الغزالي**[2] ﷺ: حاصل معرفة الإنسان عيوب نفسه في أربعة أوجه؛ أحدها: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب و الآفات، فيحكمه على نفسه [ويتبع][3] إشارته فيما يشير به عليه؛ والثاني: مصاحبة صديق صدوق يجعله رقيبا على أحواله و أعماله، لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله؛ والثالث: أن يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه، إذ لابد من جريان ذلك على ألسنتهم عند **ثلبهم**[4] وغيبتهم، والرابع: أن يستفيد من مخالطة الناس، إذ يطلع على مساويهم فيعلم أنه لا ينفك عن شيء منها، لأن الطباع البشرية في ذلك متقاربة، وقد يظهر له في نفسه ما هو أعظم مما يراه في غيره، فيطالب نفسه حينئذ بالتطهر منها والتنزه عنها؛ قال: وهذه كلها حيل من فقد شيخا عارفا زكيا بصيرا بعيوب النفس، مشفقا ناصحا في الدين، فارغا عن تهذيب نفسه، مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم، فمن وجد الطبيب فليلازمه، فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده[5].

و أما طلبه للغيوب المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فلا فائدة فيه، لأنه محض حق لنفسه، لاحق لربه عليه فيه تعالى، [فليطب][6] بالإعراض عنها نفسا، ولا يشتغل به معنى ولا حسا، وما ظهر منها لا يسكن إليه ولا يعول في باطنه عليه، لأن ذلك من المصائب القادحة في عبوديته، ولهذا قالوا:

---

(1) الحكمة 32.

(2) أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري (450هـ-505هـ) ، أحد أشهر علماء المسلمين في التاريخ، حجة الإسلام ومجدد علوم الدين في القرن الخامس الهجري، كان فقيها وأصوليا وفيلسوفا ومتكلما، صوفي الطريقة، شافعي المذهب، وقد عرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية السنية في علم الكلام وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري (الباقلاني والجويني والغزالي) ، لقب بألقاب كثيرة منها: [حجة الإسلام] و [زين الدين، محجة الدين، العالم الأوحد، مفتي الأمة، بركة الأنام، إمام أئمة الدين، شرف الأئمة]. كان له أثر كبير وبصمة واضحة في عدة علوم كالفلسفة والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف والمنطق، ترك فيها عشرات الكتب والمؤلفات. ولد في طوس سنة 450هـ وبها عاش،. قال عنه الفيلسوف المشهور (**رينان**): ((لم تنتج الفلسفة العربية فكرا مبتكرا كالغزالي)) روى أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه [الثبات عند الممات] عن أحمد أخو الغزالي: ((لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلى، وقال (علي بالكفن) ، فأخذه وقبله، ووضعه على عينيه، وقال: (سمعا وطاعة للدخول على الملك) ، ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار، وقد سأله قبيل الموت بعض أصحابه، فقال له: (عليك بالإخلاص) فلم يزل يكررها حتى مات)). من أقواله: ((أما الوعظ فلست أرى نفسي له أهلا، لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وهل يستقيم الظل والعود أعوج ؟)). **انظر**: رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، مج11، ص266. **انظر**: **طبقات الأولياء**، ص104. وقد بسطت ترجمته في طبقات الفقهاء..

(3) في حج: يتتبع.

(4) ثَلَبَه: لامَه وعابَه وصَرَّحَ بالعيب، وتَنَقَّصَه،.والثَّلْبُ: شِدّةُ اللَّوْمِ والأَخْذُ باللِّسان،. **انظر**:لسان العرب مادة ثلب. الباحث العربي، النت.

(5) **انظر**: أبوحامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج3، كتاب رياضة النفس، ص 91 – 100، مرجع سابق.

(6) في حج: فليطلب.

كن طالبا للاستقامة ولا تكن طالبا للكرامة، فإن نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة، ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون [بحض][1] نفسك.

وقوله: ومن نظر إلى ما يستحسنه من أعماله عوقب بالرجوع عنه؛ واضح في أن آفة الإعجاب بالعمل آفة مهلكة، لأن نظر المرء إلى حسن أعماله باستحسانه له واهتباله إشراك، لأنه جعل للنفس حظا ونصيبا بالاشتراك، وعقوبة الإعجاب بالعمل معجلة عياذا بالله، وهي ابتلاؤه بنزع يد التوفيق ورجوع القهقرى من أثناء الطريق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أفلا تدبر هذا المسكين قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2]، فأي نسبة له في العمل حتى يعجب به ويسكن إليه، وأي حول له وقوة حتى يستند إليها، وهل نفذت بصيرته إلى ما سبق به القدر فيه، أعرف عاقبة أمره إلى ماذا تئول، وهل أدرك من التعبد و**التبتل** مثل من مضى، فذكرهم يطول، ردهم سيدهم بعدله إلى سابق علمه فيهم، فما أغنى عنهم تبتلهم شيئا، وما ذاك إلا لرؤيتهم لأنفسهم والتفاتهم إليها، عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه، فالزاهدون نظروا إلى أعمالهم بعين الاحتقار وإلى أنفسهم بالتقصير والاستصغار، والعارفون تخطت رؤيتهم جميع الأغيار فخلصت أعمالهم من شوائب الأكدار، قال في الحكم: (لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده)[3]، فإذا احتقر المرء أعماله واستصغر أحواله، زالت عنه علة الاعتماد عليه والإعجاب به والسكون إليه، قال **أبو سليمان**[4] ﷺ: (ما استحسنت من نفسي شيئا فاحتسبته). وقد سئل بعض العارفين: ما علامة قبول العمل، قال: نسيانك إياه وانقطاع نظرك عنه لقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[5]، فإذا رفعه لم يبق عندك منه شيء، فإذا بقي في نظرك منه شيء فإنه لم يرتفع لبينونية عنديتك وعنديته، فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا، بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير، كي يحصل له قبوله، وقال في الحكم: (لا تفرح بالطاعة لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من الله إليك، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)[6]، فالفرح بالطاعة من حيث بروزها منا لله على وجه النعمة والمنة والفضل شكر،

---

(1) في حج: بمحض.

(2) الآية 96 سورة الصافات.

(3) **انظر**: ابن عباد، مرجع سابق، ج1، ص167.

(4) أبوسليمان داود بن نصر الطائي، كان كبير الشأن،كان إماما فقيها ذا فنون عديدة، تعبد وآثر الوحدة وأقبل على شأنه، وساد أهل زمانه، توفي سنة 166 هـ، ومن كلامه: ((إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل)). وقال: ((لا تمهر الدنيا دينك، فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم)). وقيل: كان سبب زهده أنه كان يجالس أبا حنيفة فقال له يوما: يا أبا سليمان أما الأداة – أي العلم – فقد أحكمناها، فقال له داود: فأي شيء بقي؟ فقال العمل به، قال داود: فنازعتني نفسي إلى العزلة، فقلت لنفسي: حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة، ثم صار أمره إلى ما صار. **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص81. مرجع سابق.

(5) الآية 10 سورة فاطر.

(6) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص171، الحكمة 58.

وجزاؤه المزيد، قال تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، والفرح بها من حيث وقوعها من العبد إعجاب وهو كفر، وعاقبة أمره إلى **تبار**[2]، قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[3] وقال أيضا: قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم و شهود أحوالهم، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله تعالى فيها، وأما الواصلون فلأنهم غيبوا بشهوده عنها، فصورة الطاعة واحدة ومشرب الشاربين مختلف المذاق، قد علم كل أناس مشربهم، فرؤية السائرين التقصير في أعمالهم، ومشهد الواصلين الغيبة فيه عن أعمالهم وأحوالهم، كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا، قال تعالى: ﴿ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾[4]، فمدد الله تبارك وتعالى واحد، والممدود به متفاوت، والله فضل بعضكم على بعض في الرزق.

من أعظم الآفات

الحكمة الخامسة

قالرضي الله عنه:

- **مِنْ أَعْظَمِ الآفَاتِ فَنَاءُ العُمُرِ فِي البَطَالَاتِ.**

قال الشارح:

فأيام عمر الإنسان مزارع أعماله وظروف انتقاله، يحصد منها ما بذره من أحواله، إن زرع فيهاخيرا حصد رغبة وكرامة، و إن زرع شرا حصد رهبةً وندامةً، وفناء خزانة العمر في غير الطاعات من أعظم المصيبات، قال ﷺ: ﴿ ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها ﴾[5]، وذلك لما يرون من ثمرات أعمالهم و نتائج أحوالهم فيتمنون أَنْ لو قدموا سائر أجزاء أعمارهم لدار قرارهم، ولقد

---

(1) الآية 7 من سورة إبراهيم.

(2) التَّبَارُ الهلاك.وفي التنزيل العزيز: ﴿ ولا تزد الظالمين إلا تَبَاراً ﴾ معناه إلاَّ هلاكاً، ولذلك سمي كل مُكَسَّرٍ تِبْراً.وقال في قوله عز وجل: ﴿ وكُلاًّ تَبَّرْنا تَتْبِيراً ﴾، والتتبير التدمير؛ وكل شيء كسرته وفتتته، فقد تَبَّرْتَهُ. **انظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، ص88.

(3) الآية السابقة.

(4) الآية 4 سورة الرعد.

(5) روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿ ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة ﴾ رواه ابن أبي الدنيا و البيهقي وقال: في هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد من حديث معاذ. وأما حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:﴿ ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها ﴾ رواه الطبراني عن شيخه محمد بن إبراهيم الصوري، ولا يحضرني فيه جرح ولا عدالة، وبقية إسناده ثقات معروفون، رواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد. (انظر: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج2، ص401، حديث30. **انظر**: الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج10، ص8. **وأيضا**: السيوطي، **الدرالمنثور**، ج1، ص150. والمتقي الهندي، كنز العمال، 1819.

قالوا: (الوقت سيف اقطعه بالعمل وإلا قطعك بالتسويف.) فضياع الوقت دليل المقت، قال في الحكم العطائية: (ما فات من عمرك لا عوض له و ما حصل لك منه لا قيمة له)[1]، قال بن عباد: (عمر العبد ميدان لأعماله الصالحةِ المقربةِ له من الله تعالى والموجبة له جزيل الثواب في الدار الآخرة)[2]، قال **الجنيدي**[3] ﷺ: (الوقت إذا فات لا يستدرك وليس شيءٌ أعزَّ من الوقت)، وكلُّ جزءٍ يحصل له من العمُر غير خال من ذلك يُتَوَصَّلُ به إلى مُلْكٍ كبير لا يفنى، ولا قيمة إلى ما لا يوصل إلى ذلك، لأنه في غاية الشرف والنفاسة، ولهذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لأنفاسهم ولحظاتهم، وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم و أوقاتهم، ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير، ولم يَقْنَعُوا من أنفسهم لمولاهم إلا بالجِدِّ والتشميرِ، وقد قال علي ﷺ وكرم وجهه: (بقيت عمر المرء ما لها ثمن يُدرِك بها ما فاته ويحيي بها ما أمات)[4]، وقد كان بعض يريد الجمعة فقيل له: قف أكلمك، فقال: لولا أني **أبادر**[5] لوقفت عليك، قال له: وما تبادر، قال أبادر خروج روحي؛ نعم وهذا مِثْلُ ما وقع لبعضهم في أثناء سيره بعد ابتداء أمره، أنه كشف له على أن أنفَاسَه تساق من بدنه كما تساق نفس المحتضر، ومكث في ذلك زمانا طويلا وهو صاغ بأذن فكرته إلى ما يقال له، ورامق بطرف قلبه إلى ما يُفعل به، وبهذه الحالةِ دخل عَالَمَ المثال وتمكن منه الحال، فاستيقظ من منامه واستسلم لنافذ أقداره وسابق أحكامه، فاستخرج سر قوله ﷺ: ﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾[6] و أدرك من مكنونه العجائب؛ فلله درُّ أهلِ الحق ما أعذب أحوالَهم وأزكى أعمالَهم، وفي الخبر: ﴿ ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت حسرة ﴾[7]، ويقال أن العبد تعرض عليه ساعاته في اليوم والليلة، فيراها خزائن مصفوفة أربعا وعشرين خزانة، فيرى في كل خزانة

---

(1) ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج2، ص95.

(2) المرجع السابق.

(3) الجنيد بن محمد الخزاز القواريري(؟ – 297 ه) ، أصله من نهاوند، مولده ومنشؤه ببغداد، كان خزازا يتجر في الحرير، وكان أبوه قواريريا يبيع قوارير الزجاج، صحب جماعة من المشائخ منهم خاله = السري والحارث المحاسبي، ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، من أقواله: ((علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه)). **انظر: طبقات الأولياء**، ص،126. **انظر: صفة الصفوة**، ج2، ص235.

(4) **انظر**: أبي منصور الثعالبي (350 ه- 429 ه)، **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ص30.

(5) بادَرَ الشيءَ مبادَرَةً : عاجَلَهُ؛وبَدَرَني الأَمرُ وبَدَرَ إِليَّ: عَجِلَ إِليَّ واستبق.**انظر: لسان العرب**، ج4، ص48.

(6) ومن قول علي كرم الله وجهه.**انظر: الأسرار المرفوعة**، ص353. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص432. **انظر**: الألباني، **السلسلة الضعيفة**، ص102.

(7) روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺيقول: ﴿ ما من ساعة تمر بابن آدم لم يذكر الله فيها بخير إلا تحسر عليها يوم القيامة ﴾رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي، وقال: في هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد من حديث معاذ بن جبل أنه قال: قال رسول اللهﷺ: ﴿ ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها ﴾ رواه الطبراني عن شيخه محمد بن إبراهيم الصوري، ولا يحضرني فيه جرح ولا عدالة، وبقية إسناده ثقات معروفون، ورواه البيهقي بأسانيد أحدها جيد. **انظر**: الهيثمي، **مجمع الزائد**، 8/10، **انظر**: السيوطي، **الدر المنثور**،15/1، **انظر**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، 401/2، **انظر**: المتقي الهندي، **كنز العمال** /1819.

نعيما ولذة وعطاء وجزاء، لِمَا كَانَ أَودع خزانةً من ساعاته في الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به، فإذا مرت به ساعاته في الدنيا ولم يذكر الله تعالى فيها رآها في الآخرة خزائن فُرغًا، لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك و يتحسر كيف فاته، حيث لم يدخر فيها شيئا فيرى جزاءَهُ **مدحورا**، ثم يلقى في نفسه الرضى والسكون، وفي الخبر: ﴿ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ﴾[1] فمن أدام محاسبة نفسه استحالَ أن تفوتَه ثمرةُ أوقاته، ومن وَزَنَ بميزانِ الشرع أعمالَه فاز برجحان حسناته بفضل الله.

الحكمة السادسة

قالرضي الله عنه:

- **وَمِنْ أَعْظَمِ الآفاتِ توطينُ النفسِ على صُـــورِ العباداتِ، لأن العبادةَ صـــورةٌ ورُوحُها لذةُ الإيمان، والقيام بالصورةِ دونَ الروحِ موجبٌ لفَوَاتِ سِرِّ حضرةِ المصورِ، ومن فَاتَهُ سِرُّ حَضْرَةِ المصَوِّرِ لَمْ تُغْنِهِ الصُّورَةُ فَافْهَمْ.**

قال الشارح:

أنواع الطاعات صور قائمة و أصول ثابتة، ثمرتُها وروحُها لذة الإيمان فيها، فَمَا نَصَبَ إلينا صُوَرَ الأعمال لمجرد التلبس بها، ولكن نَصَبَهَا لمشاهدة مصوِّرِهَا وناصبِهَا، فالقيام بتشييد ظاهر الصور دون مراعاة تحصيل حق الروح، موجب ومسبب لفوات حضرة المصوِّرِ،ولا يغني عنه تحصيل الصورة بمجردها شيئا، مع فوات سر حضرة المصوِّرِ، فصورة العبادة مرآة يرى فيها وجه جماله، ويعرف منها قدر كماله وجلاله، فلكل مرآة شهود ولكل طاعة وجود، قال ابن عطاء الله: (تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال)[2]،[فلكل][3] عمل واردات إلهية ربانية وعلوم **عرفانية**[4] رحمانية، فالوارد صيد عزيز لا يُظْفَرُ به إلا في شِرَكِ الطاعات وأنواع القربات، ولا تُنْصَبُ الشِرَكُ لذاتها بل ليصاد بها ما يرد من الواردات الإلهية عليها، فمن قنع بمجرد **نصبها** وتعلق قلبه بمحض صورتها فاته سِرُّهَا، وقال ابن عطاء الله: (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها)[5].

---

(1) **انظر**: صحيح الترمذي، **صفة القيامة** 38، باب 25، حديث 2459، ص638.

(2) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص74.

(3) في حج: فكل.

(4) العرفان: من عرف حق المعرفة، وعرف دون شك، وعَرَفَهُ مَعْرِفَةً: عَلِمَه، أدركه.معرفة مباشِرَة، معرفة تنتفي فيها الواسطة بين الذات العارفة والموضوع المعروف. معارف: معلومات، علوم. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم 20 مرة بصيغ مختلفة. راجع: محمد عبد الكريم الكسنزان، ج15، ص210-360. مرجع سابق.

(5) المرجع السابق، ج1، ص74.

هذا وإن **الإخلاص**[1] على ضربين، فمنتهى درجةِ إخلاصِالأبرار: سلامة أعمالهم من شَوْبِ الرياءِ واتباع الهوى، مع طلبهم ما وُعِدَ به المخلصُون من جزيل الثواب، وهربا مما أُوعِدَ به المخلطونَ من أليم العذاب، وتحققوا بمعنى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[2] أي لا نعبد إلا إياك ولا نشرك في عبادتنا غيرَك، وعملهم على إخراج الخلق من نظرهم في أعمال برهم، ولم يقطعوا مادة رؤيتهم لأنفسهم في نسبة الأفعال إليها، ففاتهم التبري من الحول والقوة؛ وأما السادةالمقربون: فلم يَشْهَدُوا لأنفسهم أعمالا ولم يُثبتوا لها علما ولا حالا، فأفناهم عن وُجودِهم شهود انفراده، وابتلعتهم بالفناء بحارُ إمداده، فلم يروا إلا تحريكَه وتسكينَه شهودا حاليا ومقاما فعاليا، اصطلمتهم الجمعية المشرقة عليهم من سماء قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] أي لا نستعين إلا بك لا بأنفسنا ولا حولنا ولا قوتنا، وهذا أول تحققهم بالمقام، وأما آخره فمنتهاه التمكين وشهود حقاليقين، فحال أَوَّلِه تلوين، ويُبْدِلُ آخرُه بالتمكين، فعمل الأول هو العمل لله، وعمل الثاني هو العمل بالله، فالعمل لله يوجب المثوبةَ، والعمل بالله يوجب القربةَ، والعمل لله يوجب تحقيقَ العبادةَ، والعمل بالله يوجب تصحيحَ الإرادة، والعمل لله نعتُ كلِّ عابدٍ، والعمل بالله وصف كُلِّ قاصدٍ، والعمل لله قيامٌ بأحكام الظواهر، والعمل بالله قيام بأحكام الضمائر؛ فإخلاص كلٍ على قدْرِ حاله وهو روح أعماله، فإذا نُفِخَ في صُوَّرِ الأعمال روح الإخلاص، تُلُقِيَتْ بيمين القبول وصارت لصاحبها مطيةً موذنةً بالرَّحول، وإن فُقِدَ منها هذا الروح الذي به قِوامُهَا، قوبلت والعياذ بالله بالرد وما يُحَصِّلُ صَاحِبُهَا إلا مجرد العناء والكد، لأنها صارت والحالة هذه أشباحا لا أرواح لها، وصورا قائمة لا معاني لها، قال بعض: (صحح عملك بالإخلاص، وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة). ثم قال:

حقيقة الذكر: الأنواع والمقاصد

الحكمة السابعة

---

(1) يقال: أخلص لله أو لصاحبه: كان ذا علاقة نقية به، وترك الرياء في معاملته. أخلص في عمله: أداه على الوجه الأمثل. أخلص الشيء: أصفاه ونقاه من شوبه. وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم 22 مرة بمشتقاتها المختلفة. وقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله: الإخلاص تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه، وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يسمى: خالصاً، ويسمى الفعل المخلص إخلاصاً، قال الله تعالى: ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً ﴾، فإنما خلوص اللبن. ويقول: الإخلاص: أن لا تطلب لعملك شاهدا غير الله. وذكر أبو حامد الغزالي بأن الإخلاص يضاده الإشراك، فمن ليس مخلصا فهو مشرك إلا أن الشرك درجات، ومعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجمع إلا الشاذ والنادر والفرد وهو المستثنى في قوله تعالى: ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾. فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر. **راجع**: موسوعة الكسنزان ج7، ص217-261. مرجع سابق.**راجع**: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4، كتاب النية والإخلاص والصدق، باب الإخلاص وفضيلته وحقيقته، وأقاويل العلماء فيه، وبيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص، وبيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب عليه، ص575-591، مرجع سابق.

(2) الفاتحة الآية 05.

(3) سورة الفاتحة الاية5.

قالرضي الله عنه:

- **الذكرُ مع وُجودِ الكونِ غفلةٌ، والذكرُ مع عَدَمِ وُجودهِ حُضورٌ، لَأَنْ تذكُرَهُ في الغفلةِ خيرٌ من أن تَتْرُكَ الذكرَ وأنت معدومُ اليقظةِ، إنْ لَمْ تَذْكُرْهُ في الغفلةِ لَمْ تُشاهدْهُ في اليقظةِ، وإن ذَكَرْتَهُ في اليقظةِ لم يَغِبْ عنكَ في الغفلةِ، ذِكْرُهُ في اليقظةِ قُرُباتٌ وذِكْرُهُ في الغفلةِ تَعَبُّدَاتٌ، لا الذِّكْرُ في اليقظةِ يُنافي الغفلةَ ولا الذكرُ في الغفلةِ يُنافي اليقظةَ، اذكرهُ كَماَ كُنت يَذكُرْكَ كَماَ كَانَ.**

قال الشارح:

الذكر مراتبٌ، أولُها: ما كان عن غفلة، ثم: ما كان عن يقظة، ثم: ما كان عن حضور، ثم: ما كان عن غيب عما سوى المذكور؛ وهو أجل ما به المرءُ طَلَبَ، وأَوْلَى ما به تعبد وتقرب، فلجلالة قدره وعِظم شأنه وأمره، كان عموم الطلب به في كل الأوقات، وجميع الحالات عادات وعبادات، كيف لا وقد جُعِلَ مفتاحا [لكل][1] باب، وسببا للبركة فيما له بال من الأسباب، رعيا لمدلوله وطلبا لوصوله، فالعقلاء تيقظوا بعموم طلبه إلى **الاستغراق**، فأبدلت ظلماتهم بشموس الإشراق، وهو علامة محبة المذكور، كما قال ﷺ: ﴿من أحب شيئا أكثر من ذكره﴾[2] وقال: ﴿حبك الشيء يعمي و يصمي ﴾[3] أي يعمي و يصمي عما سوى المحبوب، فهو هنا محمود، قيل وأن الذكر **منشورُ**[4] الولاية ودليل العناية وعلامة التوفيق والهداية، ومن وفق للذكر فقد أعطي المنشورَ. قال الشاعر[5]:

والذكر أعظم باب أنت داخله *)لله فاجعل له الأنفاسَ حراسا(6

وقال:

وذكر الله يحسن كلَّ وقت * فحصل حاجة وارجع إليه

ومن ينفع أخاه بغير خير * مع الأذكار لم يُنْكَرْ عليه

---

(1) في مخ: للكل.

(2) رواه أبو نعيم والديلمي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفى**، ج2، ص289.

(3) مسند الإمام أحمد، ج6، حديث21186، ص250. بلفظ (يصم) بدل (يصمي) .

(4) النَّشْر: الرِّيح الطيِّبة؛ قال مُرَقِّش: **النَّشْر مِسْك، والوُجُوه دَنانِيرٌ، وأَطرافُ الأَكفِّ عَنَمْ**. أَراد: النَّشْرُ مثلُ ريح المسك لا يكون إلا على ذلك، لأَن النشر عَرضٌ والمسك جوهر، وقوله: والوُجوه دنانير، الوجه أَيضاً لا يكون ديناراً إِنما أَراد مثل الدنانير، وكذلك قال: **وأَطراف الأَكف عَنَم** إِنما أَراد مثلَ العَنَم لأَن الجوهر لا يتحول إِلى جوهر آخر،وفي الحديث: خرج معاوية ونَشْرُه أَمامَه، أَراد سُطوعَ ريح المسك منه. **انظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، ج5، ص206.

(5) لم أعثر على قائل تلك الأبيات.

(6) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص157.

فالمطلوب من الإنسان دوام الذكر على كل حال، إذ هو كما علمت من أفضل الأعمال وأجلها في إثمار سني الأحوال، فبإدمانه والمثابرة عليه التطهيرُ و بالرعي في روضة جناته التنويرُ، قال ﷺ: ﴿ إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد و جلاؤها ذكر الله ﴾[1]، وقال جل من قائل: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[2]، وقال ﷺ: ﴿ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة يا رسول الله، قال: حلق الذكر فاغْدُوا ورُوحُوا فيها ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾[4] وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ وقال أيضا: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾[5]، إلى غير ذلك من الآي والأحاديث الواردة في فضل الذكر، ولو لم يكن فيه إلا قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل: ﴿ أنا جليس من ذكرني ﴾[6] لكان كافيا.

وقد علمتَ أن قلبَ الغافلِ عن الذكر مدبر في الحقيقة عن المذكور، منطبعة في مرآته صور الأكوان، منعت **إنسانَ**[7] عينِ قلبه من إبصار رشده وابتغاء قصده،لل كيف لا والذكر مصباح القلوب، صَقَالَةٌ للغيوب مَطْهَرَةٌ للذنوب، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا ﴾[8] فانظر إلى أن سبب الاستغفار وعدمَ الإصرارِ، هو ما وُفِّقَ له من الذكر، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾[9].

وإدامة ذكر الله نتيجته صفاء من أغياره، وامتلاؤه بأنواره، فكثرة تِردادِ الذكر يوثر في القلب صفات المذكور، كما سيجيء ذلك إن شاء الله، فلا يزال الذاكر مبالغا في ذكره في كل أوقاته حتى يتفضلَ الله عليه بمحو ما انطُبِعَ في مرآة قلبه من الآثار الكونية، وانتقش فيه من الصور الغينية فتصير حركاتُه وسكناتُه

---

(1) **انظر**: أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، قدم له وضبطه الشيخ خليل المس، ج2، ص832.

(2) الآية 45 سورة العنكبوت.

(3) رواه الترمذي عن أنس ابن مالكﷺ بدون زيادة ﴿ فاغدوا وروحوا فيها ﴾ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس. **انظر**: كتاب الدعوات49، باب83، حديث3510، ص532، ج5.

(4) الآية 200 سورة البقرة.

(5) الآية 28 سورة الكهف.

(6) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلي شبرا اقتربت إليه ذراعا، و إن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا، فإن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾. وقال ابن نمير في حديثه: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني ﴾.**انظر**: **مسند أحمد ابن حنبل**، ج2، ص496، حديث7374، ج2، ص251. **انظر**:**صحيح البخاري**، توحيد، 43.

(7) حدقة العين (بالدارجة تدعى ممو العين)

(8) الآية 135 سورة آل عمران.

(9) الآية 201 سورة الأعراف.

طاعةً، فيفوزَ بما استودعه من أيام عمره، فلنعم البضاعة، نطقُهُ ذكر وصمتهُ فكر، ونَظَرُهُ اعتبار، وسعيُهُ كُلُّهُ تقربٌ إليه، دائمٌ إقبالُهُ عليه.

وبالجملة: ففضائل الذكر لا تحصى بحد ولا تستقصى بعد، فالمطلوب إكثاره في كل حال، فلو ترك الذكر في الغفلة فمن أين له بذكر اليقظة، وهكذا إذ الحالة الأولى واسطة موصلة لما بعدها، فمهما أدمن الذكر على حالِ الغفلة ولازم عليهِ تكرم عليه **منةً** منه وفضلاً بذكر اليقظة، ومتى لازم على ذكر اليقظة إلا وتفضل عليه بالحضور، ومتى اكتنفته أنوار الحضور اجتذبته و**اصطلمته** الغيبة فيه عما سوى المذكور، فليذكر العبد مولاه على حسب ما هو عليه من الأحوال والمقامات [وأولاه][1]، فمقامُه حيث أقامه، قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2]، فمن كان في عسرة الغفلة عنه ذاكرا دخل يسرة اليقظة شاكرا، ومن كان في سعة اليقظة ذاكرا أشرقت عليه شموس الحضور، ثم زج به مجذوبا بالغيبة عما سوى المذكور، فإن ذكرته بما أنت عليه من أوصاف عبوديتك، ذكرك بما هو عليه من أوصاف ربوبيته، فافهم. قال ابن عطاء الله: (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة، إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز)[3].

فالذكر على وجه الغفلة نتيجته الثواب، وعلى وجه اليقظة القرب من الكريم الوهاب، و إن حصلت الحظوة بذكر اليقظة، زالت عن قلبك نومةُ الغفلة، فدخل سلطان الذكر قرية قلبك بأجناده، واصطلمها بقهريته وإمداده، فعاينت كرسي مملكته فيه منصوبا، ورواق هيبة جلاله مضروبا، اصطفاك **عروسُ** حضوره، وعم وجودَكَ بنوره، فانبعثت جزئياتك بذكره، وشربت من خالص خمره، فغبت عن إحساسك وفنيت فيه عن أنفاسك، فكنت ذاكرا في كل أحوالك، غفلتُكَ يقظة، ويقظتك حضور في غيبة عما سوى المذكور، لا تنافي غفلتُكَ يقظتَكَ ولا غيبتُكَ حضورَكَ، غافلا متيقظا، ذاكرا، ناسيا، حاضرا غائبا، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾[4]، ففراغه مما سوى موسى **أذهلها**، حتى كادت أن تبدي ما أكنته في قلبها و أضمرته في لبها، فكذلك ذكر الحق جل جلاله، إذا دخل القلبَ ومازجه **اندك**[5] منه جميعُ ما سواه، وبقي الحد لمحدوده والعبد لمعبوده، لا يشهد في عالَم قلبه

---

(1) في مخ: همش لعله **منبه**.

(2) الآية 7 سورة الطلاق.

(3) انظر: ابن عباد، ج1، ص157. مرجع سابق.

(4) الآية 10 سورة القصص.

(5) انهدم.

غَير مذكوره، فينبعث الذكر من لسانه غلبة من غير تعمد ولا اجتلاب، وهذه علامة ذكر القلب، وفوقه علامة ذكر الروح، وهو أن لا ترى لذكرك ذكرا لغلبته وجريانه في جميع عوالمك من غير قيد بجارحة أو سر أو جهر، لأن مقامَ الروح له الإطلاق، فإذا تمكنت منه واطمأننت به غبت في ذكرك، هذا عن الذكر بالذكر، وهنا ينقطع تكييفُ ذكرك، لأنك ذاكر[بكل][1] جوارحك ظاهرك وباطنك حسك ومعناك، وقد كان بعضهم حل في هذا المقام وكانت له أعداد من الذكر، فلما بلغ هذا الشهودَ انقطع إدراكُه إلى كنه ذكره وكَلَّ عن معرفة قَدْره وحَصْرِه، فأخبرَ الأستاذَ المؤلفَ بهذا فأجابه: بأن هذا مقام ذكر الروح، ينقطع فيه الذكر بالذكر استغراقا في المذكور، وغيبة عما سوى المذكور، ولا حاجة إلى حركة لسان لتعذرها، ولا إلى ضبط عد لتعسره و عدم إدراك أمره، ومدار هذا الأمرِ على الذوق، فافهم.

نعم وصاحب هذا المقام ذكره شهود ووجود، ولا يتأتى البحث عن حاضر ولا الكشف عن ناظر، والكلام في مقامات الذكر واسع لا يسعها هذا الموضوع، و فيما أشرنا إليه كفاية، لمن كانت له بطريق القوم عناية، فقد تعلق العلم بمعلوم، ومن شاء جرَّدَ أثواب قلبه من غفلته عن ربه، وفي هذا البحرِ يسبح وفي عوالمه يحوم، وقد انثنى **عِنَانُ**[2] القلم للخروج عن المقصود.وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[3] أي غَيْرَهُ، فإذا نسيت غيرَه صرت ذاكرا ولو كنت بحسب الظاهر صامتا، وهذا هو ذكر السوى عندهم، بل نسيان السوى هو ذكر المولى، قال ابن عباد: (وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه إلا قوله في كتابه العزيز: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وقوله عز وجل فيما يرويه عن رسول الله ﷺ: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي و أنا معه حين يذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملء ذكرته في ملء خير منه، وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة﴾. لكان في ذلك الشفاء و**الغنية**[4]؛ وهذا الحديث متفق على صحته، قال ومن خصائصه أنه غير مؤقت بوقت، فما من وقت إلا والعبد فيه مطلوب به إما وجوبا وإما ندبا، وسائر الطاعات جعل لها حدا ينتهي إليه، والذكر لا حد له، ولم يُعْذَرْ في تركه إلا مغلوباً على عقله، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾[5] وقال: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[6] أي بالليل والنهار، والبر والبحر، والحضر والسفر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا.وفيه بعض إعادةٍ لما قدمت أولا، وكلام المؤلف متقارب من حيث المعنى مما يقتضيه مدلول الحديث، وهو أنا عند ظن عبدي بي الحديث، كأنه يقول اذكره بما أنت

---

(1) في مخ: بجميع.

(2) من اللجام والامتناع

(3) الآية 24 سورة الكهف.

(4) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج1، ص158.

(5) الآية 103 سورة النساء.

(6) الآية 41 سورة الأحزاب.

عليه يَذْكُرْكَ بما هو عليه، تقرب إليه بقَدْر وُسْعِكَ يتقرب إليك بقدر طوله وامتنانه وجوده و إحسانه، يجازي على القليل كثيرا، اذكره بوصفك الحادثِ يذكرك بوصفه القديم، اذكره بوصف الفناء يذكرك بوصف البقاء، اذكره بوصف العدم يذكرك بوصف الوجود، اذكره بنفي الكثرة يذكرك بإثبات الوحدة، اذكره بنفي فرقيتك يذكرك بثبوت جمعيته، واذكره بجمعيتك يغيبك عن شهود معيتك، فافهم، ولمثل هذا يشير له بالتفهم على أغلب عادته. ثم قال:

الحكمة الثامنة

قالرضي الله عنه:

- **ذِكْرُهُ في الحضُـورِ غَيْبٌ عَمَّا سِـوَى المذكُورِ، والغَيْبَةُ عَنْهُ تَقْصِـيرٌ في حُصُـولِ المَقْدُورِ، لَأَنْ تَذْكُرَهُ وأنتَ حاضرٌ معهُ، خيرٌ مِنْ أَنْ تَذْكُرَهُ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ.**

قال الشارح:

نتيجة الذكر الحضورُ مع المذكور، وبوجود الحضور توجد الغيبة عما سوى المذكور، ويَخْلَعُ عليك إذ ذاك أوصافَ العز و**الحُبُورِ**، فتتخلى من أوصافك وتتحلى بأوصافه، وتَلْبَسَ حلة حبه وتفنى عنك في قربه، فيصيرُ سمعُكَ الذي تسمع به وبصرُكَ الذي تبصر به، ويدُكَ التي تبطش بها ورجلُك التي تمشي بها، ولسانُك الذي تنطق به وقلبُك الذي تهدي به، إن قلت فعن إذنه وإن فعلت فعن أمره، لأن مرادَكَ في مرادِه، إن تحركت فبه وإن سكنت فله، وإن أعطيت فإليه وإن أخذت فمنه، وإن اعتمدت فعليه وإن حضرت فمعه وإن غبت ففيه، حضورُكَ غيبة وغيبتك حضور، فإن أنعم الله عليك بهذه النعم و ألبسك حلل التقريب إليه وأعظم، فاحمد الله به واشكره منه إليه، وإن أعوزَكَ وجودُ الحجاب وتعذرت عليك منازل الأحباب، فالزم قرع الباب متضرعا للكريم الوهاب، عسى أن يبدل غيبتَك بالحضور وظُلْمَتَكَ بالنور، ولا يُقْنِطْكَ ذِكْرُكَ حال الغيبة من حيث أَنه تقصير، فأمر الله قدر مقدور كما قال الشاعر:

اخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا(1)

---

(1) قال محمد بن يسير الرياشي البصري المتوفى(210 هـ) وهو شاعر محسن:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن و إن طالت مطالبة * إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

انظر: ابن عبد البر، **بهجة المجالس**، ج1، ص712. **انظر**: ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ج1، ص241.

فعلى العبد العملُ بما يوجبُ القربَ والرضَى، وللمولى ما حكم به وقضى، إن أقبل فبفضله و إن أعرض فبعدله، لا يسأل عما يفعل، فقوله لَأَنْ تذكُرَهُ وأنت حاضر معه إلى آخره كالبيان لما قبله. ثم قال:

الحكمة التاسعة

قالرضي الله عنه:

- **لَيْسَ المقصُودُ منكَ الذكرَ باللسانِ وإنما غايةُ القَصْدِ منكَ الذكرُ بالجَنَانِ، الذكرُ على ظاهرِ القلبِ ذكرُ السادةِ الأبرارِ، والذِّكرُ بباطنِهِ ذكرُ السالِكِينَ الأخيارِ، لَأَنْ تذكُرَهُ بسرِّ قلبكَ خيرٌ من أن تذكُرَهُ بظاهرِ قلبكَ ولسانِكَ، لأَنَّ ذكرَ اللسانِ واسطَةٌ للقلبِ، وذكرُ القلبِ واسطةٌ للسرِّ، وذكرُ السِرِّ واسطَةٌ للروحِ، وذكرُ الروحِ هو الذكرُ الحقيقِي الذي ليسَ لغيرِهِ عليهِ سُلْطَانٌ.**

قال الشارح:

فمراتب الذكر على ما ذُكِرَ هنا أربعة، الأولى: ذكر آلة اللسان، ثم: يتلوه القلبُ، ثم: السرُ، ثم: الروحُ؛ وكل مرتبة واسطةٌ ووسيلةٌ لما بعدها، إلى أن تنتهيَ مراتبُهُ بالبلوغ إلى المقصود، فتفنى الوسائلُ، إذ لا حاجة لها مع المقصَدِ، فلا يزال الذاكر ذاكرا بحركة لسانه مُعظَمَ زمانه حتى يدخُلَ الذكر إلى باطنه، فيمتزج معناه بلحمه ودمه، فيخامر قلبَه ويمازج لُبَّهُ فيصيرُ ذكره في هذه الحالة قلبيا، ومن علاماته ثُبُوتُ معنى الاسم في القلب، ورسوخُه فيه وتمكنُه منه وتعلُّقُه به، حتى يُفْضَى إلى حالة يخرج منه الذكر بقصد وبغير قصد كما تقدم، فإذا استقر معناه في **سويداء** القلب، ثبتت له التخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل، لأن أوَّلَ دخول سلطان الذكر للقلب يدخل بقهريته، فلا يبقى فيه ولا يذر، وتنقطع منه حجب الذنوب وجميع **الهواجس والخواطر** الرديئة، وتتضح له إذ ذاك كوامن العيوب، فيشتغل كما هو المطلوب بتنقيتها ويهتم بتصفيتها، كما أشار لهذا في الرحمانية بقوله:

يشعل في قلبك مصباح * ملكوتي قد لاح

تنظر عيوبك يا صاح * تشتغل بالتنقيا(1)

وهذه التنقية هي التخلية، وتتفرع عنها التحلية حتى تتبدَّلَ أوصافُه الردية بأوصافه الحميدة، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾(2)، فجميل الصفات كامن في قبيحها كمون الزبد في اللبن أو الروح في الجسدِ، فإذا تميزت هذه ظهرت تلك مكانَهَا،

(1) الشيخ عبد الرحمان باش تارزي، المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية، ص28.

(2) الآية 70 سورة الفرقان.

و كمالات النفس منطوية تحت خبائثها التي تدنست بها بعد زكي فطرتها، فإذا أججت عليها نار **المكابدة** و**المجاهدة**، وضربت بمعول المخالفة، زكت سبيكَتُهَا من موجبات نقصها، فافهم التخلي والتحلي تظهر لك حقيقة المراد، ثم إذا تمكن الذكر في قلبه كما ذكرنا قاده إلى ذكر السر، فيصيرُ ذكرهُ شهوديا، كشف له عن مكنون السر الساري في جميع العوالم، بواسطة هويته السارية فيها، فينظرَ بعين الحقيقة إلى باطن الأمر، فلا يرى في الحقيقة محركا ولا مسكنا إلا الله تعالى، ويشاهده شهودا ذوقيا حاليا كما يأتي، وهذا الشهود من علاماته، ومنها انفجار الأسرار الربانية والعلوم العرفانية من قلبه على لسانه، كما قال ﷺ: ﴿ من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ﴾[1]؛ وله علامات أخر كالذي قبله وبعده، وإياك أيها السائر ودعواها من غير حلول فيها، فإن وخامة وبالِ نفسك راجعة عليك، وما على المربي إلا أن يدل، وعادة النفس الادعاءُ، فما سمعت كمالا إلا وادعته وزعمتِ الاتصافَ به، ولا يغني عنها دعواها شيئا، وقد عاينت من جل سالكي الوقت ممن هو بصدد السير يصغي لقلبه، فيخيل له أنه يسمع نطقه بالاسم المفرد مثلا، وهو ما زال في الاسم الأول، وكذلك إن كان في الثاني يخيل له أنه استحق الثالث بهذه الصفة، فليت شعري ما هذه صفة الترقي ولا فهم التلقي، بل صفة الترقي يدركها **النقاد** ذوقا من باطن وحيي المنقود له يقظة ومناما، ويعرفون أمر استحقاقه للتلقين من عدمه، مع انضمام وجود بصيرة للناقد، فيعرفُ بها باطن الوحيين هل هما حق أو باطل، ولا حاجة عندهم إلى علامة سبق الاسم الآتي إلى القلب ولا علامة فيه أصلا، بل هذه الأسماء اتخذت في طريق القوم للاستعانة بها على النقلة من المقام الذي هو فيه إلى ما يليه، كما إذا كان في الأول فتزول من باطنه صفاتُه ويتحلى بصفات الذي يليه وهو مقام النفس اللوامة، فإذا لاحت على باطنه علاماته النورانية، لقن صاحبه الاسم الثاني وهو الله الله وفاقا للشهود الذي انفتح له فيه من شهود الوحدانية، فيستعين بذلك على انتقاله من مقام اللوم وهكذا، وأما ما يجده السائرون في قلوبهم من الاسم الآتي فلا أثر له كما مر، وإنما هي تخيلات نفسانية لرغبة النفس في الترقي والانتقال من مقام إلى مقام، ومن حال إلى حال على عادتها لا غير، بل المدار على وجود حقيقة صفة المقام لا الاسم المجعول له، وهنا زلت أقدام كثير وبطأت بهم نفوسهم عن السير عياذا بالله، ولو فوض السائر أمره لخبيره وصدق معه في مسيره لكان أسلمَ له وأنجحَ وما توفيقي إلا بالله.

وبالجملة: فمقام ذكر السر هو الثالث بالنسبة للسادة **الخلوتية**[2]، فيكونُ صاحبُه ذاكرا في شهوده منعدما في وجوده، حضوره غيبة وغيبتُه حضور، ثم ينتقل إلى ذكر الروح فيصير ذكره روحانيا وشهوده

---

(1) حديث مرسل مرفوع و هو حجة عند بعض الفقهاء منهم الأحناف، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقد أخطأ؛ **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص315. انظر: العجلوني، **كشف الخفا ومزيل الإلباس**. تحقيق: أحمد القلاشي، ج2، ص293.

(2) تنسب الطريقة الخلوتية إلى مؤسسها الشيخ سراج الدين عمر الخلوتي المتوفى بتبريز حوالي 800هـ-1397م. **راجع**: عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص: 19- 54، الوليد للنشر الوادي، ط2004م.**راجع**: أعلام

عيانيا، لأن هذا مقام العيان والتمكين والاطمئنان، لا يوصف بتعريف ولا يحد بتكييف، ومن علاماته كما تقدم تقريبه الغيبةُ بالذكر في الذكر عن الذكر، حتى لا يرى لذكره ذاكرا وهو روح الكون في هذا المقام، جميع الموجودات سار فيها سره نافذٌ فيها أمره لأنه بالمكون، وهذا وإن كان أحط مما بعده فهو كمال بالنسبة لما بعده، وفي هذه الحالة يقال في حقه من حيث الإشارةُ، يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، إذ هو الروح الأعظم المحمدي الذي قد حدث منه وُجدت الموجودات، وظهرت في هذا العالم الدنيوي والأخروي الكائنات، وهو من أمر ربي ولا عجب، وفي هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[1] أي بحمد هذا الكمال، وهذه مبادي الخلافة الكبرى التي جعلت قبلةً للملائكة كما أُشِيرَ إليه في غير هذا، ويكفيك أيها السامع إن لم تفهم قولَه: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾، فتسبيحهم له وبه تسبيح للجمال الذي أشرقت شُمُوسُه عليه، إذ هو باطن قوله: ﴿كنت كنزا لم أعرف فخلقت الخلق لأعرف فبي عرفوني ﴾[2]، والخَلْقُ الذي عُرف به الحق هو هذا الروحُ الأعظم المحمدي الإلهي، فافهم وسلم تسلم، فهذا أي ذكر الروح ليس لغيره عليه سلطان.

نعم، وعنوان استقامة الكون بهذا الروح الأعظم واضح من استقامة هذا البدن الإنساني بالروح، الذي سرى في عوالمه وكان به جميعُ تصرفاته، وهو سبب انفعاله، فكذلك هذا الروح سرى سرُّه في جميع العوالم، فكان هو روحُها وبه استقام أمرها، إنما أمرُه إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، وقصد المؤلف ﷺ إرشادَ كلِّ من هو في مقام إلى ما هو فوقه، عسى أن تجذبه نفحة ربانية في شهوة روحانية، فترتفعُ همتُه إلى ما هو أعلى ويطمح بصرُه إلى ما هو أحق به وأولى، وهذه الأحوال والمعالم و المراقي كما قال العارف بالله ابن عباد: (وهذه المعالم و المراقي لا يعرف حقائقها إلا السالكون وجدانا، والعلماء تصديقا وإيمانا، فإياك والتكذيبَ بآيات الله تعالى فتكون من الصم البكم في الظلمات)[3].

فذكر اللسان مع ظاهر القلب ذكر الأبرار، الدائبين في الخدمة طمعا في الجنة وخوفا من النار، والذكر بالسر والروح ذكر سالكي المقربين الأخيار، المشاهدين أَنَّ ما سوى الله أغيار، وليس لهم إلى غير محبوبهم سكون ولا قرار، أفردوه بالقصد واشتاقت أرواحهم إلى تجديد سالف العهد، فنعيمهم تجليٌ ولباسهم

وشخصيات مقدسية، أ.د. حسن عبد الرحمان سلوادي، الشيخ مصطفى البكري الصديقي الدمشقي المقدسي الخلوتي(1099-1162هـ/1688-1749م) حياته وآثاره، ص 197-232.

[1] الآية 44 سورة الإسراء.

[2] ﴿كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني ﴾ قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والعسقلاني، لكن معناه صحيح مستفاد من قوله ﷺ:﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾أي ليعرفون كما فسره ابن عباس ﷺ.**انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص269؛ **انظر**: ابن عراق، **تنزيه الشريعة**، ج1، ص148.

[3] **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص161.

تحليٌ، طابت أنفسهم للقاء واستبدلوا الفناء بالبقاء، غابوا عما سواه وأُجْلسوا على كرسي علاه، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وفي بعض هذا المعنى أنشدوا:

ما إن ذكرتُك اللهم يبلغني * سري وقلبي وروحي عند ذكراك

حتى كان رقيبا منك يهتف بي * أياك ويحك والتذكارَ إياك

أما ترى الحق قد لاحت شواهده * وواصَلَ الحَقُّ من معناهُ معناك

فيا لهم من رجال، وما ألذَّ حالَهُمْ من حال، منحنا الله مما به منحهم بمنه وكرمه، لا رب ســـواه ولا يرجى على التحقيق إلا إياه. ثم قال:

الحكمة العاشرة

قالرضي الله عنه:

- **إنْ ذَكرتهُ بذكرِ الأفعالِ ذَكرَكَ بالموهبةِ والإفضالِ، وإن ذَكرتَهُ بذكرِ الأسماءِ ذَكَرَكَ بكمالِ الأنسِ والهيبةِ والحياءِ، وإن ذَكرتَهُ بذكرِ الصفاتِ، ذَكَرَكَ بالقربِ والتَّجلياتِ، وإن ذكرتَهُ بذكر الذاتِ ذكركَ بوصفِ كمالِ جمالِ جلالِهِ الذَّاتي، لأَنَّ ذكرَ الأفعالِ ذكرُ [تحسيس][1]، وذكرَ الأسماءِ ذكرُ تلوينٍ، وذكرَ الصفاتِ ذكرُ تمكينٍ، وذكرَ الذاتِ ذكرُ تعيينٍ فافهم، فذكرُ اللسانِ لهُ مقامُ الأفعالِ، وذكرُ القلبِ له مقامُ الأسماءِ، وذكرُ السرِّ له مقامُ الصفاتِ، وذكرُ الروحِ له مقامُ الذَّاتِ. وبالله التوفيق.قال الشارح:**

استعمل أهل الحق ألفاظا يكثر دورانُهَا فيما بينهم، اختصوا بها دون غيرهم، ليفهموا ما يردُ عليهم في تخاطبهم وتحاورهم، وذلك **كالهيبة** والأنس والتلوين والتمكين والتجلي والتفرقة والجمع، وقد أتى المؤلف بجملة منها غيرُ مجتمعة في محل واحد، ونحن إنشاء الله نشير إلى ما يسر الله منها، فأما التفرقة والجمع: فقد مضى الكلام عليهما، وأما الهيبة والأنس: فهما فوق القبض والبسط، فكما أن القبضَ فوق رتبة الخوف، والبسط فوق رتبة الرجاء، فالهيبة أعلى من القبض، والأنس أعلى من البسط، وحق الهيبة الغيبة، فكلُّ هائبٍ غائبٌ، ثم يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الغيبة، وحق الأنس صحو بحق، فكلُّ مستأنس صاح، ثم يتفاوتون فيه بحسب تباينهم في الشرب، قال بعضهم: (أدنى محلِّ الأنس أنه لو طرح في **لظى** لم يتكدر)، وقال الجنيدي: (كنت أسمع **السري**[2] يقول: يبلغ العبد إلى حدٍّ لو ضرب وجهه بالسيف لم

---

(1) في حج: تحسين.

(2) هو أبو الحسن السري بن المغلس السقطي، بغدادي المولد والوفاة، كان إمام البغداديين وشيخهم في وقته، أخذ عن الكرخي وسمع الحديث من الفضيل، وروي عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق، وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد والتكلم في الحقائق والإشارات، كان أوحد زمانه في الورع وأحوال السنة وعلوم التوحيد. **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص69.

يشعر، وكان في قلبي منه شيء حتى بان لي أن الأمرَ كذلك)، ومع هذا فأهل الحق يَعُدُّونَ صاحب الهيبة والأنس لا زال في النقص، لأنه لم يزل فيه بعض إحساس، بخلاف من فوقه فلا هيبة ولا أنس، كما أنه لا شعور له ولا حس، عن أبي سعيد **الخراز**[1] أنه قال: تهت في البادية وكنت أقول:

أَتيه فلا أدري من التيه من أَنا * سوى ما يقولُ الناس فيَّ وفي جنسي

أتيه عن جِنِّ البلاد و إنسها * فإن لم أجد شخصا أتيه على نفسي

قال: فسمعت هاتفا يقول:

أيا من يرى الأسباب أعلى وُجوده * و يفرح بالتيه الدني و بالأُنس

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة * لغبت عن الأكوان والعرش والكرسي

وكنت بلا حال مع الله واقفا * تُصَانُ عن التذكار للجن و الإنس

وأما **التلوين**[2] والتمكين: فالأول: لأصحاب الأحوال والثاني: صفة أرباب الحقائق، فما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل تمكن. قال بعضهم:

مازلت أنزل من وِدَادك منزلا * تتحير الألباب عند نزوله

وصاحب التلوين أبدا في زيادة، وصاحب **التمكين**[3] وصل ثم اتصل، ويظهر لك الفرق بين موسى ونبينا عليها الصلاة والسلام، فإن موسى لما رجع من سماع الكلام غطى وجهه وأمسك أنفه، لئلا

---

(1) اسمه أحمد بن عيسى، وهو من أهل بغداد، صحب ذو النون المصري وسريا السقطي وبشر بن الحارث. من أئمة القوم وجلة مشايخهم، قيل أنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، مات سنة 279 هـ.**انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص228. **انظر:تاريخ بغداد**، ج4، ص276.

(2) تَلَوَّن الشخص: لم يثبت على خُلُقٍ. وقد وردت مادة (ل و ن) في القرآن الكريم تسع مرات بصيغ مختلفة. التلوين: هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة. وقيل: التلوين: عبارة عن انتقال من حال إلى حال، وتحول من وصف إلى وصف، وترقي من مقام إلى مقام. وقيل: التلوين: هو نعت إلهي، وكل نعت إلهي كمال. التلوين هو الصحيح في الكون، فإنه دليل على السعة الإلهية. **انظر**: الجرجاني، **كتابالتعريفات**، ص59، دار الكتاب العربي بيروت 2002م. **راجع**: موسوعة الكسنزان، ج19، ص375-385. مرجع سابق.

(3) التمكين: هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين. وليس المعنى بـ التمكين أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر، وإنما المعنى به: أن ما كوشف به من الحقيقة لا يتوارى عنه أبداً، ولا يتناقص بل يزيد. وقيل: التمكين: هو مقام الاستقامة

يرى أو يشُم أصوات الخلق وروائحَهم لتمكن الحال منه وغلبته عليه، بخلاف سيدنا محمد ﷺ، فإنه أسري به إلى العالم العلوي، وكشف له عن العجائب، وسمع كلام ربه ورآه ببصره عيانا، وكان منه قاب قوسين أو أدنى، ورجع من مسراه على الحالة التي أسري به عليها، لتمكنه من الحق، فلم يحجُبْهُ عن الخلق، بخلاف موسى عليه السلام كما علمت، وفي قصة يوسف مع زليخا والنسوة ما يدل له، فقد وقع للنسوة عند مشاهدة جماله ما لم يقع لها، لتَلْومِنهِنَّ و لتمكنها.

وأما **التجلي**[1]: فهو الظهور، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾[2] وفي الحقيقة هو رفع الحجاب عن الخلق لا عن الحق، و إلا فهو لا يَحْجُبُهُ شيء ولو حَجَبَهُ لَقَهَرَهُ، كيف وهو **القاهر** فوق عباده وهو الحكيم الخبير، وفي الخبر: ﴿ أن الله إذا تجلى بشيء خَشَعَ له ﴾ وفي رواية خَضَعَ له؛ ويقابله بالضدية الستر، فهو للعوام عقوبة لأنه حجاب مانع لهم، وللخواص رحمةٌ بهم، إذ لولا أنه يستر عنهم ما يكاشفهم به لتلاشوا، كما وقع لموسى عليه السلام حين سأل الرؤية قبل تمكنه، ﴿ قال ربي أرني أنظر إليك، قال: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ﴾، فلو كان في تلك الحال بوصف التمكين ما صعق، ويُبَايِنُهُ وصفُه ﷺ في مسراه، حيث كان منه أدنى من قاب قوسين، **فالأدنوية**[3] غير محدودةِ المقدار كما علمت، فهي صادقة بنفي موضوع البعد والقرب، فافهم.

و دخل بعض الفقراءَ البادية **فوافَى** حيا من أحياء العرب فأضافه شاب، فبينما الشاب في خدمة الفقير إذ غشي عليه، فسأل الفقير عن حاله، فقالوا له: بنت عم وقد علِقَهَا، فمشت في خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشي عليه، فمضى الفقير إلى باب الخيمة وقال: إن للغريب فيكم حرمةً وذِمَامًا، وقد جئت مستشفعا إليكِ في أمر هذا الشاب، فتعطفي عليه فيما به من هواك، فقالت المرأة: سبحان الله أنت سليم القلب، إنه لا يطيق شهودَ غبارِ ذيلي، فكيف يطيق [محبتي][4].

والثبات على صراط المستقيم. **انظر**: الجرجاني، ص59، مرجع سابق. **راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج19، ص498-508. مرجع سابق.

(1) تجلَّى الشيء: انكشف واتضح. وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم أربع مرات على اختلاف مشتقاتها. وفي الاصطلاح: إشراق ذات الله وصفاته، أو ما ينكشف للقلوب من أسرار الغيوب. وقيل: التجلي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب. وإنما جمع الغيوب باعتبار تعدد موارد التجلي، فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة، وأمهات الغيوب التي تظهر التجليات من باطنها: سبعة: غيب الحق، وغيب الخفاء، وغيب السر، وغيب الروح، وغيب القلب، وغيب النفس، وغيب اللطائف البدنية. **انظر**: الجرجاني، ص48، مرجع سابق. **راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج4، ص265-323. مرجع سابق.

(2) الآية 143 سورة الأعراف.

(3) في قاموس العرب لا تُوجَدُ كَلِمَاتٌ أو تَعَابِيرٌ مُطَابِقَةٌ أو ذَاتُ صِلَة. لكن يقصد بها المبالغة في الدنو.

(4) في مخ: صحبتي.

و أما عوام هذه الطائفة عيشهم في التحلي وبلاؤهم في ضده، ذكرَ بعضَ هذا القشيري مع اختصاره جدا، ثم نرجع لتتبع كلام المؤلف ﷺ فأقول: أحوالُ الذاكرين لا يدركها حصرا إلا واهبُهَا، ولا يحيط بها خَبَرًا إلا مانحُها، وعلى سبيل الإجمال، فذكر المؤلف ﷺ أن مراتب الشهود أربعة، كما أن مراتب الذكر على ما ذكر أربعة، مع ما فيه من التسامح في بعضها، ذكرُ الأفعال ثمذكرُ الأسماء ثمذكرُ الصفات ثمذكرُ الذات؛ فنتيجة ذكرِ اللسانِ: الحلول في مقام تجليات الأفعالِ، فيحصلُ له شهودُ أن لا فاعل في الحقيقة إلا اللهُ تعالى شهودا حاليا، ونتيجة ذكر القلب: النزول في مقام تجليات الأسماء، فينكشفُ له على خفايا أسرارها، ويقتبسُ سِرَّهُ من أشعة أنوارها، ونتيجة ذكر السر: الانغماس في بحر مقام تجليات الصفات فَتَخْلَعُ على روحه **خلعَ** كنت له سمعا وبصرا ويدا ورجلا وفؤادا ولسانا، فيكون هو هو، ونتيجة ذكر الروح التلاشي في مقام تجليات الذات العلية المنزهة عن الجزئية والكلية، فتضمحل إحساساته وتنقطع إدراكاته، فيقال ارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير، إذ مقام تجليات الذات كالشمس تعطي ناظرها ظلمةً، وهي هنا ظلمة العجز، وذلك عين الإدراك، فيزداد بظلمة عجزه حَيْرَةً، فيقول: اللهم زدني فيك تحيرا، وهي الحيرة المقبولة المنزهة من شوائب الخوض، فقد أدته حيرته هذه إلى العجز، وهو أوصله إلى المعرفة، وهي أفضت به إلى الإدراك الذي هو العجز عنه، فقال: العجز عن الإدراك إدراك،كما وقع لسيدنا أبي بكر[1]رضي الله عنه، و يأتي في المناجاة مزيد بيان لهذا إن شاء الله تعالى.

نعم، وبعض الأكابر انتهى تكلمهم على التجلي إلى الصفات، ولم يذكروا في الذات شيئا، وبعضهم كالمؤلف ذكر فيه ما تقدم ويأتي، وفي هذا المقام الذي حصلت فيه لصاحبه الأكملية التي هي ناشئة عن الفناء [عن الفناء][2] التي هي عين البقاء، يصح له الرجوع من سماء الحقوق إلى أرض **الحظوظ**، فيعطي لكل ذي حق حقه، ويوصل لكل ذي قسط قسطه، لا يُشغلُه في هذه الحالة شأن عن شأن، لا تحجبُه تفرقة بكثرتها ولا جمع بوحدته، لترقيه عن الفناء الأول الذي ينحجب فيه صاحبُه بالحق عن الخلق، بخلاف من فني عن الفناء وحصل له البقاء، فلا حَجْب له بالحق عن الخلق، ولا بالخلق عن الحق، فيجمع بين الضدين، وبالله التوفيق والهداية إلى معرفته على أقوم طريق بمَنِّهِ.

---

(1) هو عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي(51ق‌هـ/13هـ) ، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول اللهﷺمن الرجال، وأحد أعظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيدا من سادات قريش وغنيا من كبار موسريهم، وعالما بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، شهد الحروب واحتمل الشدائد وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ سنة 11هـ، فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير من العراق. مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف الشهر، له في كتب الحديث 142 حديثا. **انظر**: الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص102.

(2) في حج: ساقطة.

فالذكر بحركة اللسان ذكر موجب بفضل الله للمثوبة والتطهير، وبالقلب مفض للتلوين والتنوير، وبالسر موصل للثبوت والتمكين، وبالذات مؤد إلى الاستغراق في الوحدانية والتعيين، فإن ذكرتَه بشهود تجلي أفعاله منحك من جزيل مواهبه وأفضاله، وإن ذكرتَه بتجليات الأسماء أمدك بكمال الأنس به والهيبة منه والحياء وأغمرك بشهود الآلاء والنعماء، وإن ذكرتَه بصفاته ذكرك بأخذ صفاتك والبقاء في صفاته، فكنت في القرب منه وجودا بلا شهود و شهودا بلا وجود، فلا أنت أنت موجودا إلا هوهو مشهودا، وإن ذكرتَه بتجلي ذاته جملك بصفاته الجمالية وكملك بنعوته الجلالية الذاتية التي لا **تُرام** بتكييف ولا تُحَاوَلُ بتعريف، وكلام المؤلف هذا ﷺ قريب من كلام ابن عطاء الله ﷺ: (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت صفاته، وبوجود أوصافه على وجود ذاته، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه، فأرباب الجذب يُكْشَفُ لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره، والسالكون على عكس هذا، فنهاية السالكين بداية المجذوبين، لكن لا بمعنى واحدٍ، فربما التقيا في الطريق، هذا في ترقية وهذا في تدليةٍ)[1]، فقد علمت بهذا أيضا أنه دلهم بوجود آثاره شهودا على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه تعلقا على وجود صفاته، وبوجود صفاته تخلقا على وجود ذاته، إذ الأثر لابد له من مؤثر والاسم لابد له من مسمى، والوصف لا بد له من موصوف، لاستحالة وجود أثر بدون مؤثر أو اسم بدون مسمى أو وصف بدون موصوف، فيكونُ كلٌ قائمًا بنفسه، فالمسَبَّبُ لابد له من مُسَبِّبٍ، فشهود السالكين الاستدلال بالأثر على المؤثر، والمجذوبين على عكسِهم، والمجذوبون مَسْلُوكٌ بهم طريقُ البقاء والصحو، والسالكون عملوا على تحقيق الفناء والمحو، فحال السالكين ترقي وحال المجذوبين تدلي، وسيأتي طرف من الكلام على الفناء والبقاء عند ذكرِ المؤلفِ لهما إن شاء الله، والعذر لي في الخروج عن المقصود لسريان السهو لي مرات، ثم قال:

الحكمةالحادية عشرة

قالﷺ:

- **وعلامةُ ذكرِ الرُّوحِ فيكَ أن تَذْكُرَهُ بلا ذكرٍ، بأن لا ترى لذكركَ ذكرًا، لأن عدمَ وُجودكَ في وُجودِهِ ذكرٌ لم يَفتقِرْ لذكرٍ، وإن افتقرَ لذكرٍ فذلك غيبُ الذكرِ في الذكرِ ليسَ بذكرٍ على الحقيقةِ، وإنما الذكرُ الحقيقَيُّ هو حُضُورُكَ مع المذكورِ وهو يكفيكَ عَنْ ذِكْرٍ لَهُ فَافهمْ.**

قال الشارح:

تقدم للمؤلف ﷺ التنبيهُ على مرتبة ذكر الروح في المراتب الأربع التي تقدم ذكرُها، ونبه هنا على علامته فقال: وعلامة ذكر الروح إلى آخره، أي صفة ذكر صاحب هذا المقام ودلالة حلوله فيه واتصافه

---

[1] الحكمة الخمسون بعد المائتين.

به، أن يكونَ ذاكرا بلا ذكر، وذلك بأن يغيب في الذكر بالذكر عن الذكر، فلا يرى لنفسه ذكرا لاضمحلال وجوده في وجود مذكوره، وهذا هو الذكرُ الذي لا يحتاجُ موصوفُه إلى ذكرٍ، لأن الذكر يكون وسيلة إلى القرب من المذكور، واستبدالا للغيبة و الغفلة عنه بالحضور وقد حصل، فلا يُنَبَّهُ غير غافل وإن افتقر هذا الذاكر إلى ذكر، فهو لم يزل محجوبا في الذكر بالذكر وغائبا به عنه، وليس حينئذ بذكر على الحقيقة الروحانية كما علمت، إذ الذكر الحقيقيُ الروحانيُ الذي ليس لغيره عليه سلطان، هو دوام الحضور والاستغراق في شهود المذكور، مع قطع العلائق المناقضة لتحقيق المقام، فإذا دام وجودُه وصحا شهودُه وثبت له التمكين ورسخ قدمُه في حق اليقين، أغناه ذلك عن وجود التذكار، إذ سيآت المقربين حسنات الأبرار، فالذكرُ وسيلةٌ إلى الحضور مع المذكور، ومحو انتقاش ما سواه من الصدور، حتى لا يبقى إلا شهودٌ في وجود ووجود في شهودٍ، فحينئذ ترك الذكر هو عين حقيقة الذكر، و لكل مقام مقال، فافهم، ثم قال:

الحكمة الثانية عشرة

قالرضي الله عنه:

- **خيرُ الذكرِ ما ذُكِرَ عن فاقةٍ، وخيرُ الفاقةِ ما كان لهُ غِنًى.**

قال الشارح:

الفاقة والاضطرار والذلة والافتقار، أوصاف ذاتية لازمة لا تفارق موصوفَها بحال، غير أنها تُحْجَبُ عن صاحِبها بِحُجُبٍ نفسانيةٍ وخيالات وهمية حيوانية، فإذا كشفت حقيقتُها إلى أحد، كان ذلك الوقت خير أوقاته وأجلُّ أحواله في جميع لحظاته، لأنه يعرف بها حقيقة نفسه، وهي عين معرفته بربه، كما قال: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، من عرف نفسه عرف ربه، فلما كانت الفاقة والاضطرار والمسكنة والانكسار أوصافا ذاتيةً كما تقدم، ثابتةٌ في كل امرئ على الحقيقة وليس لأحد غنى عنها من الخليقة، صح أن تكونَ خيرُ الأوقات وأجل ما يُرْجَعُ ويُصَارُ إليه من الحالات، فخير الذكر ما كان بوجه الافتقار إليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[1]فالحق جل جلاله إذا علم من ذاكره صحة افتقاره إليه منحه بإقباله عليه، والفقر هنا والمسكنة من كل **الأغيار**، وحينئذ تكونُ هي الغنى به عن غيره، كما قال: (وخير الفاقة ما كان له غنى). قال بن عطاء الله: (فاقتك لك ذاتيةٌ وورود الأسباب مذكراتٌ بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض)، وقال: (خيرُ أوقاتك وقتٌ تشهد فيه وجودَ فاقتك ويردك إلى وجود ذلتك)[2]، قال بن عباد:(إنما أورد عليك الأسبابَ التي تضادُ وجودك، وبقاء وجودك ليذكرك بِذُلِّك، ما خفي عليك من وجود الفاقة الذاتية لك، والاضطرار اللازم لوجودك، فتُلاَزِمُ مُذَكِّرَكَ وتقومُ بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك و**طورك**، إلى أن قال: ولما لم تصل عقول العموم إلى ما تعطيه حقائق وجوداتهم،

---

(1) الآية 60 سورة التوبة.

(2) الحكمة 99-100.

سلط الحق عليها الأسباب المثيرة للاضطرار، ليعرفوا قهرية ربوبيته وعظمة إلهيته)[1]،وإنما كان خير أوقاتِكَ الوقتُ الذي تشهدُ فيه وجودُ فاقتك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاعُ نظرك عن الوسائط والأسبابِ الموجبة لبعدك وحَجْبِكَ، فهي لا محالةَ خيرُ أوقاتك، وهي مواسمُك وأعيادُك، وقال بن عطاء الله: (ماطُلِبَ منك شيء مثل الاضطرار ولا أسرعُ بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار)[2]، وقال: (الفاقة بسط المواهب إن أردت ورودَ المواهب عليك، صحح الفقرَ والفاقةَ لديكَ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين)[3]، أي إن تحققت بأوصافك أمدك بأوصافه، تحقق بِذُلِّكَ يَمُدُّكَ بعزه، تحقق بفقرك يَمُدُّكَ بغناه، تحقق بعجزك يَمُدُّكَ بقدرته، تحقق بِضُعْفِكَ يَمُدُّكَ بحوله وقوته. قال **أبو الحسن الشاذلي**[4] ﷺ: (وتصحيح العبودية يلازمه الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى، و أضدادُهَا أوصاف الربوبية فما لكَ ولها، فلازم أَوْصافَكَ وتعلق بأوصافه، وقل من بساط الفقر الحقيقيّ، يا غني من للفقر غيرُك، ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف غيرُك، ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرُك، ومن بساط الذل يا عزيز من للذليل غيرُك، تجدِ الإجابةَ كأنها طوع يديك، واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين).والاضطرار المطلوبُ منه أن لا يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة، والاضطرارُ والذلةُ موجبان لسرعة نُصرة الحق إلى عبده المتصفِ بهما، كما قال عز من قائل: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[5]، فالذلة أوجبتِ النصرةَ والعزةَ،كما قيل:

و إذا تذللت الرقاب تقربا * منها إليك فعزُّها في ذُلِّها

وكما قيل:

حين أسلمتني إلى الذال واللا * م تلقيتني بعين وزاء

الحكمة الثالثة عشرة

---

(1) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص254.

(2) المرجع السابق، ج1، ص311.

(3) المرجع السابق، ج1، ص33.

(4) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي(591هـ/656هـ)، نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية، الضرير الزاهد، نزيل الإسكندرية وشيخ الطائفة الشاذلية، وقد انتسب في بعض مصنفاته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، كان كبير المقدار عالي المقام، له نظم ونثر، ومن أصحابه الشيخ أبو العباس المرسي، حج مرات ومات بصحراء عذاب في مصر فدفن هناك، وتكلم فيه القابري، وقد انصب بعض الحنابلة إلى حربه فرد عليه وما هو من حزبه.**انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص458؛ **راجع**: د. عبد الحليم محمود، **أبو الحسن الشاذلي**.

(5) الآية 123 سورة آل عمران.

قالرضي الله عنه:

- **ذكرهُ في عدمِ العدَمِ وُجودٌ، وذكرهُ في وُجودِ الوُجُودِ عَدَمُ العَدَمِ هُناَ مفقودٌ ووجودُ الحقِّ فيهِ أبرزَهُ، ولولاَ مَنارُ الحقِّ فيهِ لم يخرجْ من العدمِ، سُبحانَ مَنْ أَظْهَرَ الظواهِرَ في السرائِرِ وأَخْفَى السَّرَائِرَ في الظَّوَاهِرِ.**

قال الشارح:

ما سوى الله عدم، وما له في الحقيقة من وجود، ولا موجود إلا الحق في تحقيق الشهود، فالذكر في عدم العدم انفراد بالوجود، وهو كما علمت ذكر لا يفتقر إلى ذكر، والذكر في وجود ما ظاهره من المكونات موجودا عدمٌ، وإن كان في ظاهر الحال مع ذكرٍ، لأن فراغ القلب من الأكوان الغيرية ذكرٌ وإنْ مع صمتٍ، وحشوه بالآثار الكونية، وهو الذي عبر عنه بوجود الوجود عدم للذكر، وإنْ مع وجوده في ظاهر الحال، لأن مدار الأمر عندهم على خلو الباطن وعمارتِهِ، وسُمِّيَ الكون عدما باعتبار ما هو عليه في الحقيقة عند أرباب الشهود، وبما يئول إليه عند العامة، وظاهر الوجود، وكذلك سائر إشاراته فيما هو من هذا القبيل، وهذه الأكوان التي عبر عنها المؤلف بالعدم لم تزل على عَدَمِيَّتِهَا، وما برز منها إلا نور الحق فيها، وقد اختلفت رؤية أهل الحق لهذه الأكوان، فمنهم من يراها أولا ثم يراه بعدها وهم السالكون انتهاءً، ومنهم من يراه قبلها وهم أهل الجذب، ومنهم من يراه معها وهم أصحاب التلوين في أثناء أحوالهم، وإذا تحقق لهم الشهود بَانَ لهم عدم ما سوى الحق تعالى حالا، ولكن انطباع الأكوان في مرايا القلوب هي تخيلٌ مِنْهَا ببادئي النظر أنها شيء موجود، كما يخيل للظمآن، قال تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[1] فكذلك هذه الأكوان لا حقيقةَ لها ولا ظاهرية منها ولا باطنية فيها إلا ما هو من الحق. قال ابن عطاء الله: (أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون، فإذا شهدته كانت الأكوان معك)[2]، ولا يخفى أَن للقلبِ وجهةً واحدة وما قابلها انتقش بانطباعه فيها، شِبْهَ ما ينطبع في المرآة مما يقابلها، فتوهم وجودِ صور الأكوان، حجابٌ عَدَمِيٌّ وتحقيق عدمها شهود وجودي، فالكون المعبَّرُ عنه هنا بالعدم مفقود من أصله ولولا وجود الحق فيه ما برز وظهر، ولو لا إنارة الحق له بأشعة أنوار وجوده وإشراقها عليه ما صح أن يكون له [ظاهرا][3] ولا [باطنا][4] ولبقي في ظلمة العدم السابق له، إذ إشراق شمس الوجود هو الذي أبرز ما هو مشهود، قال ابن عطاء الله: (الكون كله ظلمة و إنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف

---

(1) الآية 39، سورة النور.

(2) الحكمة الثامنة والأربعون بعد المئتين.

(3) في مخ: ظاهر.

(4) في مخ: باطن.

بشهود الآثار)[1]، وهذه الظروف يجب صرفُهَا لما يليق بها من كونِهَا راجعةً لنسبة الشُّهُودِ لمشَاهَدِهِ لا غير، فاعتقد كمال التنزيه، واحذر ما يوهمه التمثيل والتشبيه.

وبالجملة: فرؤيةُ وجودِ الأكوانِ أَيَّةً كانت، حجابٌ قهريٌ وشهودُها كَدَرٌ غَيْرَيٌّ، وإلا فالحق شهود عدمها الآن فلا وجود لها قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعونَ﴾[2]، وقال ﷺ: ﴿ أصدق كلمة قالت الشعراء: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ﴾[3]، قال بعض العارفين: (أبى المحققون أن يشهدوا غير اللهِ لِمَا حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية)، وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ: (إنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان، فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان، ونستدل به عن الخلق هل في الوجود سوى الواحد الحق)، قال الشاعر:

مذ عرفت الإله لم أر غيرًا * وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليومَ واصلٌ مجموع

فسبحان من أبدى ظواهر مكوناته باسمه الظاهر في أسرار وجوده، وستر باطن وجوده بعظمة قهريته عن شهوده، ومنشأُ هذا التسبيح ما تلاطم عليه من التجليات التي اقتضاها مَضْمَنُ هذه الجملة، ثم قال:

الحكمة الرابعة عشرة

قالﷺ:

- **أتطمعُ في الحضورِ مَعَهُ وأنتَ غائبٌ، أَتَدَّعِي القُرْبَ منهُ وأنتَ بَعِيدٌ، فَإِنَّ لذلكَ علامةً تَدُلُّ عليهِ وإلاَّ فشواهِدُ الامتحانِ لَكَ تَبِيدُ.**

قال الشارح:

أقول: الحضور مع الباري جل وعلا لا يكون إلا مع الغيبة عما سواه، والقربُ منه لا يكون إلا بالبعد عما عداه، فمن حضر معه غاب عن غيره، ومن دنا منه بَعُدَ عن غيره، فالحق تعالى غيور لا يرضى بمشاركة معية الغير له، و عنديتُه تقتضي نَفْيَ محاضرةِ عنديةِ الغيرِ، لبعد تناسب وصف الحق من حيث الوجودُ والقدمُ، ونعت الخلق من حيث الحدوثِ والعدمِ فالله حق وما سواه باطل، فإذا جاء الحق زهق

---

[1] الحكمة الرابعة عشرة.

[2] الآية 88 سورة القصص.

[3] **انظر**:البيهقي، **السنن الكبرى**، ج1، ص237، باب شهادة الشعراء ؛ **انظر**:**صحيح البخاي**، ج8،ص127. **وصحيح مسلم**، 524.

الباطل إن الباطل كان **زهوقا**، ووجودُهُ نورٌ وعدم ما سواه ظُلمةٌ، فهل يجامع النور الظلام، وهل من ثبوت للظلام مع النور، أم هل تستوي الظلمات الكونية الخَلْقِيَّةُ مع الأنوار الحقية في نفس الوجود، أم يتحققُ اجتماعُهُما في عين الشهود، وأيضا فالأكوان ظل عَدَمِيٌّ مقبوض بالفناء، والمكَوِّنُ نور وجوديٌّ له البقاء، ولا يستوي الظل ولا الحرور، فالكون ظل والوجود حرور، ولا ثبات للظل الكوني مع شمس الوجود الحقي، ولا مقاومة للظل مع مصادمة قهرية الحرور، فافهم.

فلا تطمع في التحلي بوصف قديم إلا بعد تخليك من وصف حادث، لوجود تحقيق الضدية الموجبة لبعد التناسب المنافي للعندية، وإياك ودعوى القرب منه وأنت في نعت أهل البعد عنه، وإياك ودعوى الحضور معه، وعلامة الغيبة عنه عليك لائحةٌ، ورياح البعد غاديةٌ رائحةٌ، فإن فعلت وإلا فشواهد الامتحان منك تبدي ما كان، فالمدعي للقرب مع البعد والمدعي للحضور مع الغيبة تُبِيدُه دعواه وتهلكه متابعةُ هواهُ، فوجود أوصافك دليل عدم تحليك بأوصافه، ووجود أوصافه فيك دليل عدم أوصافك منك، فافهم، ثم قال:

الحكمة الخامسة عشرة

قالرضي الله عنه:

- **فَكُنْ مَعَهُ بالفناءِ، يكنْ معكَ بالبقاءِ، لا تكنْ معهُ حيثُ كنتَ، بل كُنْ معهُ حيثُ كَانَ.**

قال الشارح:

الفناءُ سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاءُ قيام الأوصاف المحمودة، فإذا كان العبد مع ربه، فانيا عن أوصافه، كان معه ربُّه بالبقاء بأوصافه، أي إن تخليت من ذميم أوصافك واتصفت بالفناء عنها، [فكنت][1] مع مولاك فانيا، حلاك بحميد أوصافه فصرت به باقيا، فمقتضى أوصافك العدم والفناء، ومقتضى أوصافه ونعوته الوجودُ والبقاءُ، فإن عرفت نفسك بأوصافها، ألبسك **خِلَعَ** أوصافه، من عرف نفسه عرف ربه، ولا يعرفُ نَفْسَهُ حق المعرفة إلا بالتخلي من رذائل أوصافها، الذي هو ثمرة معرفتها، ولا يعرف ربه بما يليق به إلا بالتحلي بكمالات أوصافه، الذي هو غاية المعرفة به، لا مجرد المعرفة العارية من التخلية، والتحلية كما هي معرفة العوام المحجوبين بما هو في الدواوين والرسوم، فلا يعرف السوقَ إلا من تسوقه ولا التخلق إلا من تخلقه، ولا ترى نفسك في ميدان الحضور والشهود حتى تخرُجَ عن جميع الوجود، ولا تكون معه ما **كنت** في الكون، بل حتى تخرج عن كونك بأسره بوصف الفناء، وتكون مع ربك حيث

---

[1] في حج: وكنت. من الناحية اللغوية كلاهما صحيح، إلا أنه [فكنت] من ناحية الدلالة والمعنى والرسم هي الأبلغ من [وكنت]، من حيث قرب العبد من مولاه كما في العبارة، ويعد مثل هذا من جملة الإعجاز القرآني في الرسم.

كان بوصف البقاء، نعم وقد كنت وعدت بذكر تعريف الفناء والبقاء. قال الإمام القشيري[1]: (أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وبالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة، فإذا كان العبد لا يخلو عن هذين القسمين، فمن المعلوم أنه إذا لم يكن له أحد القسمين كان القسم الآخر لا محالة)، فمن فنى عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الخصالُ المحمودةُ، ومن غلبت عليه الصفاتُ المذمومةُ استترت عنه الصفاتُ المحمودةُ.

واعلم أن الذي به العبد، أفعال وأخلاق وأحوال، فالأفعال تصرفاته باختياره، والأخلاق **جبلة** فيه، ولكنها تتغير بمعالجته على مستمر العادة، والأحوال ترد على العبد على وجه الابتداء، لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال، فهي كالأخلاق من هذا الوجه، لأن العبد إذا **نازل** الأخلاقَ المحمودةَ بقلبه استترتْ عنه المذمومةُ، فينفي بجهده سفسافها، مَنَّ اللهُ عليه بتحسين أخلاقه، فكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه، مَنَّ الله عليه بتحسين أحواله بل بتوفية أحواله، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقالُ إِنَّهُ فنى عن شهوته، فإذا فنى عن شهوته بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته، ومن زهد في دنياه بقلبه يقال فنى عن رغبته، فإذا فنى عن رغبته بقي بصدق **إنابته**، ومن عالج قلبه فنفَى عنه الحسد والحقد والبخل و**الشح** والغضب والكِبْرْ وأمثالَ هذه من **رعونات** النفس، يقال فنى عن سوء الخلق، وإذا فنى عن سوء الخلق بقي **بالفتوة** والصدق، ومن شاهد القدرة في **تصاريف** الأحكام، يقال فني عن حُسْبَانِ **الحَدَثَانِ** من الخلق، فإذا فنى عن توهم الآثار من الأغيار بقي بصفة الحق، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار، لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا، يقال إنه فنى عن الخلق وبقي بالحق، ففناء العبد عن أفعاله الذميمةِ وأحوالهِ الخسيسةِ بِعَدْمِ هذه الأفعال، وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فنى عن الأفعال والأخلاق والأحوال، فلا يجوز أن يكونَ ما فنى عنه من ذلك موجودا، وإذا قيل فنى عن نفسه وعن الخلق فتكونُ نفسُهُ موجودةً والخلق [موجودين][2]، ولكن لا علم له بهم ولا به ولا إحساس ولا خبر، فتكونُ نفسُه موجودةً والخلق [موجودون، ولكنه][3] غافل عن نفسه وعن الخلق

---

[1] (377هـ-465هـ) عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك القشيري أبو القاسم، صاحب الرسالة والتفسير، الجامع بين الشريعة والحقيقة، صحب أبا علي الدقاق وأصله من أستواي من العرب الذين قدموا خرسان، توفي أبوه وهو صغير وقرأ الأدب في صباه، حضر إلى نيسابور ليتعلم الحساب لأجل قريته، فاتفق حضوره مجلس الدقاق فأعجبه كلامه ووقع في قلبه، فرجع عن ذلك العزم فقبله الدقاق وأقبل عليه وتفرس فيه فجذبه، أخذ الفقه فأتقنه ثم الأصول...عقد له مجلس الوعظ ببغداد فروى فيأول مجلس منه الحديث المشهور: ﴿ السفر قطعة من العذاب ﴾. فقام شخص وقال: لم سمي عذابا ؟ فقال: لأنه سبب فرقة الأحباب. فاضطرب الناس وتواجدوا وما أمكنه أن يتم المجلس.**انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص257؛ **راجع**: السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص21.

[2] في مخ: موجودون.

[3] في حج: موجودينولكن

غير محس بهم، وقد يُرَى الرجلُ يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهَلُ عن نفسهِ وعن أهل مجلسه هيبة، وربما يذهل عن ذلك المحتشمُ حتى إذا سئل بعد خروجه من عندِهِ [من][1] أهل مجلسه و هيئَاتِ ذلك الصدر وهيئَةِ نفسهِ، لم يمكنه الإخبار عن شيء، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[2]، لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة، ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس، وقلن ما هذا بشرا، ولقد كان بشرا، وقلن إِنْ هذا إلا ملك كريم، ولم يكن ملكا، فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه وتعالى، فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأي أعجوبة فيه، فمن فنى عن جهله بقي بعلمه، ومن فنى عن شهوته بقي بإنابته، ومن فني عن رغبته بقي بزهادته، ومن فني عن مشيئته بقي بإرادته، وكذلك القول في جميع صفاته، فإذا فني العبد عن صفته بما جرى ذكره يرتقي بذلك عن فنائه عن رؤية فنائه، وإلى هذا أشار قائلهم:

وقوم تاهوا فيه[3] بأرضٍ قفرٍ * وقوم تاهوا في ميدانِ حبهِ

فافنوا ثم افنوا ثم افنوا * وابقوا بالبقاء بقرب ربه

فالأول فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق، ثم فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق، فقد بان لك بهذا تحقيق ذوق الفناء والبقاء، وبهما يتبين الشهود و الوجود والصحو والمحو والحضور والغيبة، وهي متقاربة من حيث المعنى، [فنق][4] قلبك من أغياره، يذق لذيذ أسراره. ثم قال:

الحكمة السادسة عشرة

قالرضي الله عنه:

- **اذْكُرْهُ بذكرِ من لاَ يخفاهُ، يذكُرْكَ بذكرِ من لاَ يَنساهُ، اذْكُرْهُ بوصفِ المماتِ، يَذكرْكَ بوصفِ الحياةِ، اذكرْهُ بوصفِ الفناءِ، يذكُرْكَ بوصفِ البقاءِ، اذكرهُ بوصفِ الغيبةِ، يذكُرْكَ بوصفِ الحضُورِ، اذكُرْهُ بوصفِ الملِكِ، يذكرْكَ بوصفِ الملكوتِ، اذكرهُ بوصف العبوديةِ، يذكرْكَ بوصفِ الربوبيةِ، اذكرهُ بوصفِ الاتضاعِ يذكُرْكَ بوصفِ الارتفاعِ، اذكرهُ بوصفِ العدمِ،**

---

(1) في مخ: عن.

(2) الآية 31 سورة يوسف.

(3) في مخ: ساقطة.

(4) في مخ: صح.

يذكركَ بوصفِ الوجودِ، اذكرهُ بوصفِ ذكرِكَ، يذكرْكَ بوصفِ ذِكْرِهِ، اذكرْهُ بوصْفِ ما أنتَ فيهِ، يَذْكُرْكَ بوصفِ ما هو عليهِ، اذكرهُ بوصفِ لا أنتَ أنتَ، يذكرْكَ بوصفِ هوهو.

قال الشارح:

جميعُ ما ذكره هنا وما يأتي له بلصقه متقارب، وهو تصريح بما أجمله في الجملة التي قدمها، وقد أشبعنا الكلام عليه فيها، لأن مرجع هذه الجمل وإن طالت وتكررت للفناء والبقاء كما علمت، ومع هذا فهو متقارب المعاني متناسب المباني، وهو في النظر بعين التحقيق في جمله فرق دقيق، وسأحاذي ذلك بحسب الإمكان والله المستعان، فأقول: إن ذكرت ربك بذكر من علم شهودا أنه لا تخفى عليه منه خافية، ذكرك بإثبات ذلك [بحسب الإمكان][1]، وأمدك بدوام تحقيق شهود ما هنالك، فذكر مقام الإحسان نتيجتُه دوام الشهود، ورفع حجاب النسيان، وإن ذكرته بوصف من ماتت نفسه وفنيت شهواته، ذكرك بوصف من بقي به ودامت حياته، إن ذكرته فانيا عن الأغيار أبقاك به [ووجودك][2] اثار، أن ذكرته بوصف الذهول والغيبة واجهك بالحضور معه أُنسا وهيبة، إن ذكرته في ظواهر الملكية كشف لك بواطن الملكوتية، والذكر على بساط الذلة والافتقار في عبوديتك، أورثك الاحتضاء بوصف الربوبية، قال بن عطاء الله: (مطلبُ العارفين من الله تعالى الصدقُ في العبودية والقيام بحقوق الربوبية)[3]، فإن ذكرته بذلة واتضاع ذكرك بجلابيب العزة والارتفاع، وإن ذكرتَهُ بوصف ذكرك الحادث، ذكرك بوصف ذكره القديم، فاذكروني أذكركم، بل ذكره سابق لذكرك، فلولا سابقية اذكركم ما جاءت لاحقية اذكروني، فذكرُكَ الحادثُ فرع عن ذكرِهِ القديمِ، ولولا واردُ ذكرِهِ لك ما برز ذكرُكَ له، كأنه يقول: ذكرتكم فذكرتموني فافهم، فإن ذكرته بأوصاف ما أنت فيه من التفرقة الخَلْقِيَّةِ، ذكرك بما هو عليه من نعوته و كمالاته الجمعية الحقية، وإن ذكرته بوصف فنائك عن وجود إنيتك ذكرك بوصف بقاء **هُوَيَّتِهِ** السارية في عوالم الوجود، الظاهر إشراق شمسها على كل مشهود، فلولا هويته هو ما ظهرت إنيتك أنت، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا *ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[4]، فلولا دلالة شمس هوية الربوبية باستنارة حقيتها، ما ظهرت المكونات في ظل خَلْقِيَّتِهَا، وانظر قولَه إلى ربك ولم يقل إلى مد الظل، وكذلك قوله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾، فإنهما يدلان على أن المؤثرَ هو الدال على الأثر، كما أنه بداية أهل الجذب ونهاية السالكين من ذوي القُرْبِ، وقد مر طرف من هذا و يأتي تَمَامُه إن شاء الله تعالى، ثم قال:

---

(1) في مخ: ساقطة.

(2) في حج: وجودك.

(3) انظر: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص227.

(4) سورة الفرقآن، الآية 45-46.

الحكمة السابعة عشرة

قالرضي الله عنه:

- **اذكرهُ بوصفِ الكثرةِ يذكرْكَ بوصفِ الوحدةِ، اذكرْهُ بوصفِ الفرقِ يذكرْكَ بوصفِ الجمْعِ، اذكرْهُ بذكرِ الخلوَةِ يذكرْكَ بوصفِ الجلوةِ، إنْ ذَكَرْتَهُ بذكْرِ السِرِّ يذكرْكَ بذكرِ العلانيةِ، اذكرهُ بأنتَ المسيءُ يذكركَ بهو المحسنُ، اذكرهُ بوصفِ ذكرِكَ الحادثِ، يذكركَ بوصفِ ذكرهِ القديمِ.**

قال الشارح:

قد تقدم الكلام على الجمعية و التفرقة ويأتي في المناجاة إن شاء الله مستوفى، والوحدةُ قريبةٌ من الجمعية، ومع هذا فمرجع التفرقة والكثرة إلى الخلق، ومصير الوحدة والجمع إلى الحق، فالوحدة الانفراد بوحدانية الأحد والغيبةُ عن شهود كثرةِ الأغيارِ الكونيةِ شهودا ووجودا، إذا عرفت هذا علمت أن حصول الذكر من الذاكر في حال استتاره في مقام حِجَابِ الكثرة وسيلة إلى الحلول في مقام الوحدة، و أن الذكر في حال فرقية الخلق ذريعة إلى وصول الجمعية بالحق، وأن الذكر على الخلوة والاعتزال ينتج ثبوت ذكره في الجلوة **الملائية** والاتصالِ، بأن تكونَ دائم الخلوة به وإن كانت في الظاهر مع غيره جزاء وفاقا، فإن ذكرته سرا في نفسك رفعَ ذكرَكَ علاَنِيَةً من بين أبناء جنسك، كما قال: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1]، وإن اعترفت بالإساءة إليه و[بِذِلَّةٍ][2]، أقبلت بوجهك عليه وتضرعت في ذلك بين يديه، تَعَرَّفَ إِلَيْكَ بإحسانه وواجهك بإقباله وامتنانه، وإن [التحفت][3] بذكرك الحادث يُلْبِسْكَ رداء ذِكْرِهِ القديم، وينظر إلى هذا طرف خفي، قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا هو ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملء ذكرته في ملء خير منه، وإن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾[4] أو كما قال ﷺ.

نعم وقد كنت سألت الأستاذ المؤلف رضي الله عنه عن هذه المقادير المذكورة في الحديث من ذراع وشبر وغيرهما فقال: كل مقدار معروف لمن نسب إليه، من تقرب مني بقدر ذراعه الخلقي، تقربت منه بقدر باعي الحقي، وهكذا الأمر في جميع المقادير، وإياك وفهم التشبيه بالجارحة لاستحالتها عليه تعالى، وإنما هو تمثيل مقرب لفهم السامع، كما يقول القائل: من فعل فِيَّ شبرا فعلت فيه ذراعا، و ليس في الموضوع

---

(1) الآية 4 سورة الشرح.

(2) في مخ: شطب على الكلمة وبذلك تصبح العبارة: وأقبلت بوجهك عليه.

(3) في مخ: التحقق.

(4) الحديث رواه الشيخان بنحوه، وابن ماجة، والترمذي، **كتاب الدعوات** 49، باب132، حديث3603، ص581.

ذراع ولا شبر وإنما المراد المبالغة في توفية الجزاء، مع استحالة المسافة هنا من أصلها، فالتقرب من المخلوق تخليا بقدر ما يناسب حاله، والقرب من الحق إليه جزاء بحسب مقتضى جوده ونواله، فافهم، ثم قال:

الحكمة الثامنة عشرة

قالرضي الله عنه:

- **اذْكُرْهُ بالنفسِ الأمَّارةِ يذكرْكَ بالنفسِ اللَوَّامَةِ، اذكرْهُ بالنفسِ اللوَّامَةِ يَذْكُرْكَ بالنفسِ المُلْهِمَةِ، اذكرْهُ بالنفسِ المُلْهَمَةِ يذكرْكَ بالنفسِ المطمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ المرضَيَّةِ الكَامِلَةِ.**

قال الشارح:

مصطلح السادة الخلوتية في ترقيهم أن جعلوا لمريدي سلوك طريق المقربين سبع مقامات وقسموا النفوس إلى سبعة، لأن الحجبَ أيضا سبعةٌ، وإن كانت ترجعُ في التحقيق والتدقيق إلى سبعين أو سبعين ألفا كما يأتي، وهذا التقسيم والتعداد باعتبار أوصافها في كل مقام من مقاماتها فسموها وهي في المقام الأول: بالأمارة، وفي الثاني: باللوامة، وفي الثالث: بالمُلْهِمَةِ، وفي الرابع: بالمطمئنة، وفي الخامس: بالراضية، وفي السادس: بالمرضية، وفي السابع: بالكاملة؛ وهي في الحقيقة نفس واحدة، ومهمى حلت في مقام من هذه المقامات اتصفت بصفته وعرفت بعلاماته، وكانت محجوبة به عما بعده، فالأمارة: حجابها ظلمات الأغيار، واللوامة: حجابها مشاهدة الأنوار، والثالث: الملهمةُ الأسرارِ وهكذا، فالأمارة: محجوبة بظلمات الأغيار عن مشاهدة الأنوار، واللوامةُ: محجوبة بالأنوار عن الأسرار، وهكذا إلى آخر مقامات الكمال، ويلقنونه وهو في المقامالأول: لا إله إلا الله، وفي الثاني: الله، وفي الثالث: هو، وفي الرابع: حق، وفي الخامس: حي، وفي السادس: قيوم، وفي السابع: قهار، فإذا تحقق مقامُ كمَالِهِ وقَوِيَ على شهود جماله وجلاله، لقنوه أيضا الله الله، فأول تلقِينِهِمْ إياه هذا الاسم في مقام اللوم إشارة للوحدانية، وفي هذا المقام لِلْأَحَدِيَّةِ، وفي هذا المقام لو قيل بأنه اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ [به][1] أَجاب، وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ما بعد، كما قيل به، لموافقة ذكر الاسم مع تحلي ذاكره بصفات المسمى، كما هو النتيجةُ المقصودةُ عندهم، وتحقيق الترقي وكيفية التدريج منطو في صناديق أسرارهم، ومفاتِيحُهُ مقاليدُ أنوارِهِم، ولا يسع هذا المخْتَصَرَ بسطُ الكلام مع أننا لسنا بصدده، وإلا لأتينا فيه بما يليق بالحال،ومن أراده مطالعة فعلية **بالمصطفى البكري**[2]، وترقيا وذوقا وشهودا وتحليا ووجودا فعليه بالجد يجد، ولا يَصْرِفُهُ عن هذه المطالب قول من أغمي على بصر

---

[1] في مخ: ساقط.

[2] .هو الشيخ مصطفى البكري الصديقي الشهير بالقطب البكري، من عائلة ثرية كانت لها مكانة مرموقة في القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، من أكبر المشايخ والمفكرين الذين كان لهم دور كبير في نشر الطريقة الخلوتية وشيوعها في العديد من الأقطار العربية والإسلامية، ولد في دمشق 1099هـ/1688م، توفي بالقاهرة سنة 1162هـ/1749م.راجع: أعلام وشخصيات مقدسية، أ.د. حسن عبد الرحمان سلوادي، الشيخ مصطفى البكري الصديقي المقدسي الخلوتي، ص 197.

بصيرته، بحجاب غفلاته وغُطِيَّ عليه **بران** شهواته انه انقطع،﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، فالسيرُ موجودٌ في كلِّ زمانٍ والفتح حاصلٌ في كل آن، ويُذَادُ عنه من بدل وغير في الطريق، وهذه سنة مستمرة، قول الغافلين بانقطاع السير والسلوك، فمهما خرج شيخ مشار إليه به، إلا وقيل بانقطاعه بعده، وما أظن هذا القائل بهذا إلا أنه سلك به مسلك الترجمة على لسان إبليس، ليوقع خلق الله في ظلمات التلبيس والله الموفق، والخير باق إلى **التلاق**.

ثم نرجع للمقصود، قال: (إن ذكرته بالنفس الأمارة..الخ). سميت أمارةً لكثرة أمرها بالسوء، كما قال تعالى حاكيا عن الصِدّيقُ الأكبر: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[2]، وسميت الثانيةُ لوامةً: لكثرة لومها على صاحبها، كما أقسم الله بها حيث قال: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[3] أي على الخير ليته أكثر و على الشر ليته قَصُرَ، وسميت الثالثة ملهمة: لأنها أُلْهِمت فُجُورَها وتقواها، عرفت الحق حقا و الباطل باطلا، وكانت فيها قابليةُ التخلي عن الفجور و التحلى بالخيور، قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[4]، وسميت الرابعة مطمئنة: لقوله تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[5]، والخامسة والسادسة من قوله راضية مرضية، والسابعة سميت كاملةً: لكمالها وتمام تزكيتها، فكان لها الدخولُ في العبادِ للإرشادِ، ودخولُ جنةِ القرب وحضرة أهل الحبِّ.

وكان المؤلف ﷺ يشير إلى الحديث الذي تقدم ذكره وهو قوله ﷺ: ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّه فإذا أحببته كنت سمعَه الذي يسمع به وبصَرَهُ الذي يبصر به ﴾[6] الحديث. فمن ناداه بلسان اضطراره، وتقرب إليه **باللهج** بأذكاره، قربه إلى شهود أنواره، واختطفه من ظلمات أغياره، وإن ناداه من بساط الأنوار، وتملق له بلسان الافتقار، رفعه إلى بحبوحة أسراره، وأشهده خفايا عجائبِ أقداره، فعاين ما كان معلوما، إذ مقامه قبلُ علم اليقين وهنا عين اليقين، ومن هذا المقام إلى مقام الاطمئنان ومشاهدة الإحسان، الذي هو حقُّ اليقين بعد أن كان في عين اليقين، وإلى التمكينِ بعد ما كان في التلوينِ إلى آخرها، فإذا تم ترحيلُه وأنهاه إلى المقصود دليلُهُ، نودي إن إلى ربك المنتهى، وانظر بسرك إلى

---

(1) .الآية 14، سورة المطففين..

(2) الآية 53 سورة يوسف.

(3) الآية 2 سورة القيامة.

(4) الآية 8 سورة الشمس.

(5) الآية 27- 28 سورة الفجر.

(6) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:﴿ قال الله عز وجل: من أذل لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء الفرائض و ما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه إن سألني أعطيته و إن دعاني أجبته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته لأنه يكره الموت و أكره مساءته ﴾.**انظر**: مسند أحمد بن حنبل، مج7، ص365، حديث25661.

قوله تعالى حاكيا عن نبيه يونس عليه السلام: ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1]، فإنه ما أتم النفي بقوله لا إله حتى واجهه بالمحاضرة، فقال: إلا أنت بضميرِ الخطابِ الأخصِ من ضمير الغيبة، ومن الظاهر كما علمت، فَبَعَثَهُ وارد قهرية جلاله وحمله قوة شهود منته وسلطان جماله، أن قال سبحانك منزها له عما كان بصدده من نفي الكثرة و إثبات الوحدة، اللذين هما دليلا الإحساس بالفرقية والجمعية، إني كنت من الظالمين، وظلمه هذا الذي اعترف به من باب حسنات الأبرار سيآتُ المقربين كما أشرنا إليه.

وبالجملة: فكلام المؤلف صريح في أن من وقف على بساط هوبه ودعا ربه منه تكرم عليه بما فوقَهُ وقربه، فافهم. ثم قال:

الحكمة التاسعة عشرة

قالرضي الله عنه:

- **اذكرهُ بذكرِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، يذكركَ بذكرِ الرحمانِ الرحيمِ ملكِ يومِ الدينِ، [اذكره][2] بذكرِ إيَّاكَ نعبدُ، يذكرْكَ بذكرِ إياكَ نستعينُ، اذكرهُ بذكرِ اهدنَا الصراطَ المستقيمَ، يذكركَ بذكرِ صراطَ الذينَ أنعمتَ عليهمْ غيرِ المغضوبِ عليهمْ ولاَ الضَّالِينَ.**

قال الشارح:

قد علمتَ من المؤلف رضي الله عنه في غير ما موضعٍ الكلامَ في الذكر، ولكن في بعضه **تَجَوُّزٌ** لا حقيقةٌ الذكر على بابه المتبادَرِ منهُ كما هنا وكما يأتي له مِثْلُهُ، فَذَكَرَ في هذه الجملةِ ما تضمنته سورة الفاتحة واشتملت عليه، فقال: إن ذكرته بذكر الحمد لله رب العالمين، أي إن ذكرته بشهود أوصافه التي تُوجِبُ له أن يكونَ محمودا عليها حمدا يستغرق جميعها، وحَمَدْتَهُ بحمده لنفسه الدال على نعوت الكمال، واختصاصه بحقيقة أن الحمد لله، لاستحقاقه له واختصاصه به، واعترفت له بأنه رب للعالمين شهودا منك له بالوحدانية والمالكية، الوصفين اللذين تقتضِي حقيقَتُهُمَا كمالَ التصرف في مخلوقاته، الذين أُضِيفُوا له لإفادة نسبة المِلْكِيَّةِ، لأنه يربيهم وينمي أحوالَهم، فاسم الجلالة أفاد هنا الانفرادَ بالإيجادِ، ولفظ الرب أفاد الاختصاصَ بكمال التصرف في **مربوبه** وحصول الإمداد، ذكرُكَ هو بما هو عليه من أوصاف كماله من الرحمانية التي عمت الدنيا و الآخرة، و الرحيمية التي خصَّتِ الآخرةَ، والمالكيةِ المختصة به يومَ الجزاءِ حين ترتفع الأملاكُ المجازية، وينفرد هو بالملك الحقيقيّ في ظاهر الحالِ وباطِنِهِ، وذكرهُ لك بهذه الأوصاف، بِأَنْ يُفِيضَ عليك من مضمونها ما يقتضيه التحلي بها رحمانية و رحيمية، وما يُشْعِرُ به لفظُ المِلكِ نسبةً ما فيكونُ له حضٌ

---

(1) الآية 87 سورة الأنبياء.

(2) في مخ: اذكر.

من المُلْكِ اللائق بذلك المقامِ، بمحضِ الجودِ عليه والإنعامِ وهو الشفاعةُ، قال تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا﴾[1]، وإشارة إلى أنه يجازيه يوم الدين بما يجازي به المرحومين، وفيه أيضا إشعار بأنه يهب لهم من رحمته ورحمانيته، ما يوجب لهم أن يكونوا راحمين مرحومين، كما قال ﷺ: ﴿ يرحمُ الله من عباده الرحماء ﴾[2]، وقال: ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمان ﴾[3]. فلَمَّا أَنْ بذلوا له ما هو في وُسعهم وذكروه بشهوده له، أَثابهم بما يقتضيه وصفُه من **صوابغ** جوده، كأنه يقول: إن بذلتَ له ما هو منك جملك بما هو منه، وإن كان الكلُّ منه وإليه على الحقيقة؛ لأنه كما قيل: (من تمام فضله عليك أَنْ خلق ونسب إليك، فما قمت بحقوق عبوديتك إلا وحباك بما تقتضيه نعوت ربوبيته)، فإذا قلت إياك نعبد بأَنْ خصصتَه بإخلاص عبادتك إليه وحققت عبوديتَكَ في ذلك لديه، أمدك بِمُضَمَّنِ، أياك نستعين، فإياك نعبد تفرقةٌ من أوصاف العبودية، وإياك نستعين جمعية من نعوت الربوبية، لأن العبوديةَ صادرة من الخلق والإِعَانَةُ مَوْرِدُهَا من الحق، هذا ما يقع لأهل التفرقة والجمع، وأما من كان في جمع الجمع فهو فناء عن كلا الوصفين تفرقةً وجمعًا، فشهوده الاستغراقيُّ [غيبه][4] عن أن يفرق بين الحق والخلق، بل استغراقه في شهوده أبلغ من ذلك، فلا يتأتى منه كثرةٌ وتفرقةٌ مع غلبة سلطان حقيقة الوحدةِ والجمعِ، نعم لفظ الاستعانة أي طلب الإعانة تفرقة، وورود الإعانة ممن هي صادرة منه هي الجمعية. فافهم.

فإذا تحققت عبوديتُك لديه أمدك بالجمعية شهودًا إليه، وإذا وقفت على بساط افتقارك في هداية السبيل إليه ورغبت منه أن يُقْبِلَ بِكَ عليه، منحك [بما منح][5] به من أنعم عليهم ممن لم يغضب عليهم بعدم إقباله، ولم يضلوا بواسطة إِضْلاَلِهِ، فكانوا مهتدين مرضيًا عنهم، فكلام المؤلف في هذه الجملة باطنٌ محضٌ لا مدخل للظاهر فيه بوجه، فأولُها حمد و آخرها إنعام، فكَأَنَّ أولَهَا حمدٌ على إنعامِهِ اَخِرَهَا، والحمد هنا شهودٌاِسْمَائِيٌّ، ولفظ الرحمان الرحيم ملك يوم الدين شهودصفاتي، وقد علمتَ أن تجلي الصفاتِ أرفع من تجلياتِ الأسماءِ، فَكَان بمضمونه يدل على أن من ذكره بتجلي أسمائه رفعه إلى تجلي صفاته، هذه بدايةُ الأمرِ وخاتِمَتُهُ، وهو قوله: صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخره، يدل على أنه حصل لهم الإنعامُ بهدايتهم إلى الصراط المستقيم المأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

---

(1) الآية 87 سورة مريم.

(2) **انظر: صحيح مسلم**، ج3، كتاب الجنائز باب البكاء على الميت، ص39، الحديث: ﴿وإنما يرحم الله من عباده الرحماء﴾.**انظر: صحيح البخاري**، جنائز32.

(3) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء﴾، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. **انظر: سنن الترمذي**، كتاب البر والصلة، باب 16، ج4، حديث1924، ص323) .

(4) في حج: غيبة.

(5) في مخ: ممانح.

أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1]. وخصص ما عَمَّهُ لفظ الصراط بقوله: صراط الذين أنعمت عليهم، أي بهدايةِ قلوبهم إليك ودِلاَلَتِهِمْ بك عليك، فوصلوك محفوظين من **الغضب** عليهم بالصد والإدبار عنهم والطرد، مهتدين في سيرهم بقلوبهم وأسرارهم، لم يَضَلُّوا بالوقوف مع الأغيار، ولم تُشْغِلْهُمْ عن مشاهدة جمالِكَ أنوارٌ ولا أسرارٌ، فكانوا في نعيم النظر إليك والتمتع بالحضور لديك، فأول الفاتحة مَنُوطٌ بآخرها وآخرُهَا كالسبب في أولها وما بينهما مسافةٌ معنويةٌ، وهي العبادة المجَازَى عليها بالإعانة التي هي خلق القدرة على الطاعة بمعنى التوفيقِ، الذي هو خلقُ القدرةِ على الطاعة والحيلولة بينه وبين مواقعةِ المعصية، المؤدي إلى الهداية إلى أقوم طريق، الذي هو سببٌ في النعيم المقيم، بِنَظَرِ وجهه الكريم. فافهم.

واعلم أن بين الآية التي تقدم ذكرُها وبين الفاتحة مناسبةً تامةً، فانظرها بعين بصيرتك تجدها، وهذا ما يسر الله وألهمنا إياه، ذكرناه هنا، وقد كان بالقلب معان لم نُؤْمَرْ بإبدائها ولو ذُكِرَتْ لأَخْرَجَتْ إلى الطولِ، ويلوح إلى ما قدمه المؤلف من معنى آخر، قوله ﷺ حاكيا عن ربه: ﴿ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ﴾[2] الحديث والله أعلم. ثم قال:

الحكمة العشرون

قالرضي الله عنه:

- **اذكُرْهُ كَماَ كاَنَ مَعَكَ يذْكُرْكَ كَماَ كنتَ معهُ، لأَنَّ منزلتَكَ عندَهُ بمنزلتِهِ عندَكَ، يُنْزِلُكَ منهُ حيثُ أنزلتَهُ منكَ، لأنَّهُ يُنزِلُ العبدَ حيثُ أنزلَهُ مِنْ نَفْسِهِ، فانظُرْ منزلتَكَ مِنْهُ.**

قال الشارح:

يشير بهذا والله أعلم إلى قوله ﷺ: ﴿ من أراد أن يعرف منزلته عند الله، فلينظر منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه ﴾[3] أو كما قال، لأن الرب جل جلاله مطلع على أسرار عباده، خبير بها عليم بِخَفِيَّاتِ ما أكنته ضمائرهم، من تقديسه وتعظيمه وتمجيده، رقيب بأحوالهم و أعمالهم، وهو معهم بما كانوا معه، فما حل في قلوبهم من الأوصاف الحميدة له تعالى منحهم بمثلها، فما

---

[1] الآية 30 سورة فصلت.

[2] **انظر**: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مج2، ص479، حديث7249. **انظر**: **صحيح مسلم**، صلاة 38- 40. وأيضا: **سنن ابن ماجة**، أدب52.

[3] ﴿ من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه ﴾رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد و قال المملي والحديث حسن والله أعلم. **انظر**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج2، ص405، حديث10.

تعرفُ له وصفا وتثبته له إلا وحلاك به، فَمُشَاهِدُ أوصاف الكمال، تشرق عليه أنوارُهَا ويُكْشَفُ له عن مُغَيَّبَاتِ أسرارهَا، ومُعْتَقِدُ أضدادها تضرب عليه أستارها، و يُحرَمُ المواهبَ الإلهيةِ و أنوارَهَا، ومن عرف أن الله قريب منه قربه إليه و أدناه منه، جزاءً وفاقا، فكما كنت معه يكون معك، وحيث تنزلُه في سرك يكون حالُك معه في قربك، قال ﷺ حاكيا عن ربه: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء إن خيرا فخيرٌ و إن شرا فشرا ﴾[1] أو كما قال، وقال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾[2] فلو ظنوا به خيرا لخلصهم بحسن ظنهم به من **الردى، فالقرب** و**الإعظام** و**الإجلال** والهيبة والإكرام والإفضال، تفيدُ تَحْقِيقَ كمالِهَا لمعتقدها، وضِدَّهُ لمعتقد ضِدِّهَا، هذا و أنه لا أثر لمجرد الاعتقاد بل لثمرته، وهو الوقوف على **جادة** السبيل ومراقبة الجليل في المقام والرحيل، مثاله اعتقدت قربَه منك أنت بذلك جدير، إن أطعته فيما أمرك، واستحييت منه أن يراك فيما عنه [حذرك ونهاك][3]، وهكذا، قال ابن عطاء الله: (إن أردت أن تعرف قدرك عنده، فانظر في ماذا يقيمك)[4]، قال **الفضيل ابن عياض**[5]ﷺ: (إنما يطيعُ العبدُ رَبَّهُ على قَدْرِ منزلتِهِ مِنْهُ)، وقال أبو طالب[6]: (فإذا كان العبد لِنَظَرِ مولاهُ مُكَرِّمًا ولِجُرُمَاتِهِ مُعَظِّمًا و إلى محبوبه و مرضاته مسارعًا، كان الله عز وجل في آخرتِهِ لوجهِهِ ناظرًا مُكَرِّمًا و لشأنه مُعَظِّمًا و إلى مَسَرَّتِهِ من النعيم المقيم مسارعا والعكس بالعكس)، قال **وهب ابن منبه**[7] ﴿ قرأت في بعض الكتب المنزلة، يا

---

(1) رواه الترمذي، كتاب الزهد37، باب51،حديث2388، ص51. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(2) الآية 23 سورة فصلت.

(3) في حج: نهاك وحذرك.

(4) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص220.

(5) فضيل بن عياض ولد بخراسان ونشأ بالكوفة، سمع بها الحديث، ثم تعبد وانتقل إلى مكة ومات بها سنة 187هـ. وكان شاطرا يقطع الطريق، وسبب توبته أنه كان يعشق جارية، فبينما هو ذات يوم يرتقي الجدار إليها إذ سمع تاليا يتلو: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ فقال: بلى والله يا رب آن، قال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا مبتسما إلا يوم مات ابنه علي فقلت له في ذلك فقال: إن الله أحب أمرا فأحببت ذلك الأمر، وكان ولده علي شابا من كبار الصلحاء وهو من جملة من قتلته المحبة. **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص266. **انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص6.

(6) كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة صوفي متكلم واعظ سكن مكة ونسب إليها، وكان يستعمل الرياضة كثيرا حتى قيل أنه هجر الطعام زمانا واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضر جلده من كثرة تناولها، لقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريقة وأخذ عنهم ودخل البصرة وقدم بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدعه الناس وهجروه وامتنع من الكلام بعد ذلك، وله كتب في التوحيد توفي سنة 386هـ ببغداد ودفن بمقبرة المالكية وقبره هناك مشهور. **انظر**: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج4، ص303. **انظر**: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مج16، ص526.

(7) أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني، صاحب الأخبار والقصص، كانت له معرفة بأخبار الأوائل وقيام الدنيا و أحوال الأنبياء وسير الملوك، كان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابا، توفي سنة 116هـ بصنعاء اليمن وعمره تسعون سنة، وقد سمع يقول: مر رجل عابد على رجل عابد فقال: مالك ؟ قال: أعجب من فلان أن كان قد بلغ من عبادته فمالت به الدنيا، فقال: لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام. وقال: الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وماله الفقه. أسند الحديث

بن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يُصْلِحُكَ، إني عالم بخلقي، أكرم من أكرمني و أهين من هان عليه أمري، ولست بناظر في حق عبدي، حتى ينظر عبدي في حقي ﴾، فقد بان لك بهذا معنى كلامه ﷺ، و إن كلام ابن عطاء الله بالعكس من كلامه، فالمرجع واحد كما علمت، ثم قال:

المعرفة والمراقبة

الحكمة الحادية والعشرون

قالﷺ:

- **معرفَتُهُ بالمعارفِ توصيلٌ، ومعرفَةُ المعارفِ بِهِ تحصيلٌ، فاعرِفْهُ بِلاَ عرفانٍ يَعْرِفْكَ بلاَ وُجْدَانٍ، فإنَّ معرفتَهُ هي التي أوجدَتْ لَناَ المعارِفَ، ولولاَ ظُهُورُ معرفتِهِ ما ظهرَتِ المعارفَ، ووجودُ الحقِّ في المعارِفِ مَعرفةٌ، فلا تنظرْ إلى المعرفةِ دون المعرِّفِ، فإنَّ المعرفَةَ تَدُلُّ على الموصــوفِ والمُعَرِّفُ بِهِ عَرَفْتَ المعارِفَ.**

قال الشارح:

المعرفةَ عند العلماء هي العلم، فكلُّ معرفة علمٌ وكلُّ علمٍ معرفةٌ، فكل عالم عارفٌ وكلُّ عارفٍ عالمٌ، وعند هؤلاء القوم المعرفةُ صفةُ من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته، ثم صدَقَ اللهَ في معاملاتِهِ، ثم تنقى من أخلاقه الردية و آفاتِهِ الدنية، ثم طال بالباب وقوفُه ودام بالقلب اعتكافُه، فحظي من الله بجميل إقباله، وصدق اللهَ في جميعِ أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يُصْغِ بقلبه إلى خاطرٍ يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريًا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله في مناجاته، وَحَقَّ في كل لحظةٍ [إليه رجُوعه][1]، وصار مُحَدَّثًا من قبل الحق بتعريف أسراره، فيما يُجْرِيهِ من تصاريفِ أقداره، يسمى عند ذلك عارفا، وتسمى حالتُه معرفةً، فبقدْر أجنبيته عن نفسه تكون معرفتُه بربه، ومن أمارتها الهيبة من الله، فمن قويت معرفتُه قويت هيبتُه، قال ﷺ: ﴿ أنا أعرفكم بالله و أخوفكم منه ﴾[2]

وروى عن معاذ وأبي هريرة.. وروى عنه من التابعين جماعة. **انظر**: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج6، ص35. انظر: الأصبهاني، **حلية الأولياء**، مج4، ص23.

[1] في حج: رجوعه إليه.

[2] عن عائشة قالت: ﴿رخص رسول الله ﷺفي بعض الأمر فرغب عنه رجال، فقال: ما بال رجال آمرهم بالأمر يرغبون عنه، والله إني لأعلمهم بالله عز وجل و أشدهم له خشية ﴾.**انظر**: **مسند الإمام أحمد**، مج7، ص260، حديث24904. **راجع**: **موطأ الإمام مالك**، صيام/13. **راجع**:**صحيح البخاري**، أدب72، إيمان13، اعتصام5.

واعلم أن المعرفةَ هي دَعَامَةُ الدين، قال ﷺ: ﴿ إن دعامةَ البيتِ أساسُه ودعامةَ الدين المعرفةُ بالله واليقينُ والعقلُ **القامعُ**، قالت عائشة رضي الله عنها: بأبي أنت و أمي ما العقل القامع قال: الكف عن معاصي اللهِ، و الحرصُ على طاعةِ الله، والصبرُ على مقادير الله ﴾[1] أو كما قال، وأيضا أن المعرفةَ متفاوتةُ المراتبِ، ولذلك كلٌ يتكلم فيها على قدْرِ ما حَظِيَ منها، ويدل له حديث أنا أعرفكم بالله. سمع **الشبلي**[2] يقول: (ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى، ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار، ولا لأحد من الله فرار) وقال أيضا بعد أن سئل عن المعرفة: (أولها الله، وآخرها لانهايةَ لهُ)[3]، قال **أبو حفص**[4]: (منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل)[5].

ومُحَصَّلُمعناه: أن رجوع العارف إلى ربه يوجب له الغيبةَ عن غيره، كما أن العاقل إذا أهمه أمر رجع فيه إلى قلبه و تفكره، فيغيب فيه عن غيره، فإذا كان راجعا ذَهَلَ عن غيره. قال **الأنطاكي**[6]: (من كان بالله أعرفُ كان له أخوفُ)[7]. وقيل من عرفَ اللهَ صفا له العيش وطابت له الحياةُ، وهابَهُ كلُّ شيء،

---

(1) الأحاديث التي ذكرت في باب فضل العقل خرجها داود بن المحبر، وأودعها الحارث بن أبي أسامة في مسنده، فأوردها الحافظ ابن حجر في كتابه (المطالب العالية) ونبه عليها أنها موضوعة كلها، فليتأمل، وقال البوصيري: كل حديث في هذا الباب ضعيف بل موضوع لا يثبت منها شيء. **انظر**: الحافظ بن حجر العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، ج3، ص13-23.

(2) خرساني الأصل بغدادي المنشأ والمولد تاب في مجلس خير النساج، وصحب الجنيد ومن في عصره من المشايخ وكان عالما فقيها على مذهب الإمام مالك عاش 87 سنة، توفي سنة 334هـ ودفن في مقبرة الخيزران ببغداد، كتب الحديث ورواه، كان يقول: خلف أبي ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء،وقال: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب فإنك منه خلقت وفيه تعود ومنه تخرج، وإذا أردت تنظر ما أنت ؟ فانظر ما ذا يخرج منك في دخولك إلى الخلاء ؟ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز أن يتطاول أو يتكبر على من هو مثله. **انظر**:ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري، ج2، ص456.

(3) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج2، ص602.

(4) اسمه عمر ابن مسلمة الحداد، كان أحد الأئمة السادة، توفي سنة270 هـ، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، وكان حدادا فبينما غلامه ينفخ غاب فكره في ذكر محبوبه ففني عن الحس البشري، ونسي أن يخرج الحديد من الكير بالآلة فأخرجه بيده، فصاح الغلام: الحديد في يدك بلا آلة، فرماه به وخرج سائحا في البرية وهو يقول: شرط المحبة الستر والكتمان لا الافتضاح والإعلان. قال: من إهانة الدنيا أني لا أبخل بها على أحد، سئل مرة ما البدعة فقال: التعدي على الأحكام والتهاون بالسنن و اتباع الآراء والأهواء وترك الاقتداء والاتباع. **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص106.

(5) **انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص118.

(6) أحمد بن عاصم الأنطاكي، من أقران ابن الحارث والسري والمحاسبي، وكان الداراني يسميه جاسوس القلب لحدة فراسته، توفي سنة 239هـ، قال: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون. وقال: قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ ونحن نستزيد من = الفتنة. ومن كلامه: احذر الغيبة كما تحذر عظيم البلاء، فإنها إذا ثبتت في القلب أتتها أخواتها من النميمة والبغي وسوء الظن والبهتان وهي مجانبة الإيمان. **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص46. **انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص137.

(7) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص111.

وذهب عنه خوفُ المخلوقين، و أَنِسَ بالله تعالى، وقيل من عرف اللهَ ذهبَ عنه رغبةُ الأشياء، فكان بلا **فصلٍ ولا وصلٍ**؛ وقيل أن المعرفة توجب الحياةَ والتعظيمَ، كما أن التوحيدَ يوجبُ **الرضى والتسليمَ**، وبهذا تعرفُ بيان كلام المؤلف في المعرفة وإِنْ تَنَوَّعَ، ومُرَادُه هنا الكلامُ على أصل المعرفة والمعَرِّفُ والمعَرَّفُ لَهُ، كالاستدلال الآتي فأقول: ذكر المؤلف هنا أن الباري جل جلاله، جعل لعباده أدلةً موصلةً لهم إلى وُجودِ ذاته وكمال صفاته، وتقدس أسمائه، وجريان القدرة بواسطة أفعاله، لأَنَّ الأثر دال على المؤَثِّرِ، والصفة دالة على الموصوف، والاسم دال على المسمى، فكذلك هذا العالمَ دال على وُجود صانِعِهِ، فمعرفته بهذه المعارِفِ التي عُرِّفَ بها توصيلٌ منه إلى معرفته، كما هو مشهد السالكين، ونزه آخرين عن أن يعرفوا قبله شيئا يعرفونه به، وتحصل لهم الدلالة منه عليه، فلم يروا قبله موجودا أو يشاهدوا دونه مشهودا، بل رَأَوْهُ قَبْلَ مُكَوَّنَاتِهِ، فعرفوا به أفعالَه وأسماءَه وجميلَ صفاتِهِ، دلالةَ مؤثرٍ على أثرٍ، كما هو مشهدُ المجذوبين، وهذا معنى قوله: (ومعرفة المعارف به تحصيل). أي تحصيل ما هو حاصلٌ؛ إذ الفائدة في معرفته هو خاصةً ولا حاجة إلى معرفةِ غَيْرِهِ، فاعرفه معرفة من لا يرى معرفَتَهُ لفنائه عن شُهُوده، يعرفك بلاَ وُجْدَانٍ، لنفسك بقاءٌ بوجوده، فكان لمن عرفه قبل المعارف الفوزُ بالتوحيد الكمالي، والشهودُ الجمالي، فأولئك عرفوه بالخلق وهؤلاء عرفوا الخلق بالحق، فأولئك وصلوا إلى معرفته بالترقي و أما هؤلاء بالتدلي، فَعَرَفُوهُ به ثم بِهِ عُرِّفَتْ لهم المعارف، فلولا تعريفُهُ بنصب أدلةِ وجوده ومقتضياتِ ظُهُورِهِ وشهودِه، ما ظهر موجودٌ ولا عُرِفَ غائب ولا مشهود، فكيف تتوصلُ لمعرفة مُعَرِّفِكَ بما نَصَبَهُ من المعارف إليك، فاعْرِفْهُ بإسقاط الوسائط تعرفه به، ولا تَعْرِفْهُ بغيره ما استطعت، إذ لا يَحْسُنُ مِنْكَ معرفَتُهُ بمعارفه، لأنه هو الظاهر منها، فلولا ظهوره منها و إشراق شمسِ وجوده عليها ما ظهرت، فضلا عن أَنْ تَعْرِفَهُ، هذا مُحَصَّلُ كلامه إن شاء الله، ومثله من حيث المعنى دون اللفظ ما أشار إله بقوله:

الحكمة الثانية والعشرون

قالرضي الله عنه:

- **شتانَ بينَ من يُسْتَدَلُّ بهِ ومن يُسْتَدَلُّ بغيرِهِ، فإنَّ الدَّالَ عليه هو المدلولُ به، والمدلولُ به هو الدالُّ عليهِ، فاغتنمْ عيشــاً هنيئاً مريئاً لكَ ولا تُرِدْ عيشــاً بطرًا، حُجَّتُهُ عليكَ العيشَ الهنِيَّ يُحْمَدُ مَسَاغُهُ، والعيشَ البطَرَ الأَشَرَّ تُذَمُّ عواقبُهُ.**

قال الشارح:

فدل كلامه رضي الله عنه على أنَّ شهودَ الفريقين متباين ومَشْرَبُهُمَا متغاير، لبعد مقام من استدل بالصفة على موصوفها، الذي هو السبب في نَصْبِهَا، وبين من استدل بالموصوف على الصفة ابتداء إعطاء للأولية

حقَّها، و للآخرية حظَّهَا، بخلاف من عكس، وفي كلامه هنا وما تقدم ترجيحُ **الجذب**[1] على السلوك كما صرح به ابن عطاء الله، والذي تلقيتُهُ منه ﷺ ترجيحُ **السلوكِ**[2] على الجذبِ قائلا لتحقيق **السالكِ**[3] وتدقيقِهِ في حال سَيْرِهِ، لأنَّهُ يُنزِلُهَا أي المقاماتِ مقامًا مقامًا، ويذُوقُهَا حالاً حالاً، حتى يتقوى

---

(1) جَذَبَهُ: استلبه واستماله. جَذَبَ القلوب: كان موضع حب. جَذْبٌ في التصوف: حال من أحوال النفس يغيب فيها القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق ويتصل فيها بالعالم العلوي .ومجذوب في اصطلاح الصوفية: من جذبه الحق إلى حضرته وأولاه ما شاء من المواهب بلا كلفة ولا مجاهدة ولا رياضة. ويطلق أيضا على المجنون. والجذبة: هي تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعى منه. وقيل **الجذبة**: هي تقريب الحق بعض عباده إليه بالإرادة الحبية المهيئة جميع ما يحتاج إليه العبد في طي الأحوال والمقامات من غير كلفة السلوك والرياضة. والجذبة نوعان: وهي إما أن تكون من طرف الحق سبحانه وتعالى: وهي الجذبة الجلية . ويقال لها: التوفيق، ولا يمكن الوصول إلى الله إلا بها .وأما أن تكون من طرف العبد: وهي الجذبة الخفية، ويقال لها: الميل، والمحبة، والعشق، وغير ذلك. وللعلم فإن الجذب وحده من غير السلوك في الطريق المستقيم بامتثال أوامر الحق والاجتناب عن نواهيه لا نتيجة له أصلاً غير الدخول في حيز البله والمجانين. فغايته السلامة من مواطن الهلاك لسقوط التكليف به، كما في المطالب الوفية. وكذلك السلوك بامتثال الأوامر والاجتناب عن النواهي من غير جذب إلهي لا نتيجة له غير الدخول في حيز العلماء والعباد من أهل الظاهر القانعين بما يظهر عليهم من العلم والعبادة فيراهم الناس، فيحمدونهم على ذلك، فيرفعون أقدارهم ويكونون في باطن الأمر على رياء وعجب وكبر وحسد وغرور وغفلة وغيرها من أمراض القلب. قال بعض المحققين: لا يصح أن يقال في الأنبياء عليهم السلام سالكون ولا مجذوبون: لأن الجذب لا يكون إلا عن نفس، والسلوك لا يكون إلا في قطع عقباتها وهم عليهم السلام مطهرون من آثار النفوس بأول قدم. وفي الفرق بين الجذب والجنون يقول سعيد حوى: الجنون حالة مرتبطة بالدماغ أحياناً، بينما الجذب حالة مرتبطة بالقلب. انظر: د.عبد المنعم الحفني، ص62، مرجع سابق. انظر: الجرجاني، ص164،. راجع: موسوعة الكسنزان، ج4، ص178-195.

(2) السلوك: سيرة الإنسان وتصرفه. وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (12) مرة بصيغ مختلفة. والسلوك في الاصطلاح: هو عبارة عن الترقي في مقامات القرب إلى حضرات الرب تعالى شأنه، فعلاً وحالاً، وذلك: بأن يتحد باطن الإنسان وظاهره فيما هو بصدده مما يتكلفه من فنون المجاهدات، وما يقاسيه من مشاق المكابدات، بحيث لا يجد في نفسه حرجاً من ذلك. وقد عرف أبو حامد الغزالي السلوك بقوله: هو الدخول تحت تصرف ولي كامل الذات والصفات، ليربيه تربية تليق بحاله، ويرقيه مرتبة بعد أخرى إلى أن يوصله إلى الوحدة المطلقة، فحينئذٍ يتولاه الله تعالى فيستغني عن الخلق. وقيل: السلوك: هو تهذيب الأخلاق ليستعد العبد للوصول، بتطهير نفسه عن الأخلاق الذميمة مثل حب الدنيا والجاه، مثل الحقد والحسد والكبر والبخل والعجب والكذب والغيبة والحرص والظلم ونحوها من المعاصي، وبالنهج على الأخلاق الحميدة، = مثل العلم والحلم والحياء والرضا والعدالة ونحوها. أما عن السلوك والسير فهما في الحقيقة شيء واحد، يقع التغاير بينهما بحسب الاعتبارات فقط، والحاصل أن السير مخصوص بالباطن، والسلوك بالظاهر، والسير وهو في الحقيقة سفر من الخلق إلى الحق بالقلب والسير باطناً. وقد وصف بعضهم أهل السلوك: بأنهم الملوك، ولن يتم السلوك إلا بالانقلاب التام عن الأهل والأولاد والأموال إلى الله تعالى، كما قالوا:﴿ وإنا إلى رَبّنا لَمُنْقَلِبونَ﴾. **انظر**: الجرجاني، ص68،. **انظر**: **معجم المصطلحات الصوفية**، ص127. **راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج11، ص245-252.

(3) السالك: هو طالب الوصول والقرب من الله تعالى، لا يتنفس نفساً، ولا يتحرك حركة إلا وله نية صادقة في الله تعالى، حتى يكون حاضراً معه ﷻ، ولا يغيب جسداً ولا عزماً. وقيل: السالك: هو القائم بما طلب منه من الطاعات في الليل والنهار، والمتباعد عما نهى عنه من المعاصي والأوزار، والراجي جميل الوصال في حضرة الملك المتعال. وقيل السالك: هو العبد المتنقل بين أحوال الطريق ومقاماته. فإذا بلغ المراحل المتقدمة قيل له: الواصل. والسالكين في التربية الروحية القرآنية: هم رجال لهم ذوق ووجدان،

على تَحَمُّلِ أَمَانَةِ شهُودِ سِرِّ الألوهيةِ، المعنية بقوله تعالى من حيث الإشارة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾[1]، إذ الأمانة هي سر الألوهية كما قال: ﴿ ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ﴾[2].

نعم والجامع بين [ما له هنا][3] ولابن عطاء الله، وبين ما تلقيْتُه منه من أَرْجَحِيَةِ السلوك على الجذب، هو أن الخلافَ في حال الابتداءِ والانتهاءِ، فأما في الابتداء فيتفقان على أفضلية الجذب لعلو همة مَوْصُوفِهِ، وأما في الانتهاء للسالك ترقيا و**للمجذوب**[4] تدليا فيختلفان، فالذي عليه الأستاذ المؤلف

وحب لله وحنين إلى المعرفة، فالواحد منهم دائب الفكر، كثير الذكر، غزير الحلم، محب للعلم، كاره للجدل قليل المنازعة، سهل المراجعة، همته عالية، وعزيمته صادقة. وهم على أقسام وأنواع وأحوال ومراتب. **انظر**: معجم المصطلحات الصوفية، ص133، **انظر**: الجرجاني،، ص99. **راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج11، ص253-268. مراجع سابقة.

(1) الآية 72 سورة الأحزاب.

(2) ذكر في الإحياء، وقال العراقي لم أر له أصلا، وقال ابن تيمية هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ، وفي الذيل وهو كما قال ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي وبمحبتي وإلا فالقول بالحلول كفر، وقال الزركشي: وضعه الملاحدة، وقال السيوطي: أخرجه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه أن الله فتح السماوات لحزقيل- حزقيل اسم سرياني أو غبراني ومعناه عبد الله أو هبة الله - حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل سبحانك ما أعظم شأنك يا رب فقال الله: إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب العبد المؤمن الوادع اللين. وفيه إيماء إلى معنى قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾. **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص301. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ص255.

(3) في مخ: ما هنا له.

(4) المجذوب: هو من أعتقه الله تعالى من رق النفس. فجذبه إليه، فصار حراً، وألزم المرتبة حتى هذب وأدب وطهر وزكى. وقيل: المجذوب: من اصطنعه الحق لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهره بماء قدسه، فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب. وفي أقسام المجاذيب يقول الشيخ سعيد النورسي: قسم منهم: محفوظون عند الله، لا يضلون ولا ينساقون مع أهله. بينما قسم آخر منهم: ليسوا محفوظين عند الله، فلربما يكونون ضمن فرق أهل البدعة والضلالة، بل هناك احتمال أن يكونوا ضمن الكفار. وهكذا فلأنهم مجذوبون، سواء أكانوا بصورة مؤقتة أم دائمة، فهم في حكم مجانين طيبين مباركين، أي ينسحب عليهم حكمهم، ولأنهم مجانين مباركون طليقون في تصرفاتهم فليسوا مكلفين، ولأنهم غير مكلفين فلا يؤاخذون على تصرفاتهم. فمع أن ولايتهم المجذوبة محفوظة، يوالون أهل البدع، فيروجون مسلكهم إلى حد ما ويكونون سبباً سيئاً مشئوما في دخول قسم من المؤمنين وأهل الحق في ذلك المسلك. وعن صفاتهم يقول الشيخ محمد النبهان: المجذوب له صفات ثلاث: عقله صغير، نفسه كبيرة، قلبه طاهر، وهو غير مكلف، = المجاذيب لا يحملون سراً، وإذا حمّلتهم سراً يبيعونه بليرة أو ليرتين. أبعدوا عنهم، أعطوهم لأنهم لا يشتغلون، ولا تقولوا لهم ادعوا لنا. المجذوب لا كمال عنده، جربوه، إذا غضب يدعوا عليكم ولو أحسنتم إليه ثلاثين سنة، لو كان عنده كمال لكمّل نفسه، هذا مع أني أحب المجاذيب على الإطلاق. وفي الفرق بين المجاذيب والمجانين يقول عبد الوهاب الشعراني: الفرق بين المجاذيب والمجانين: أن المجانين كان سبب ذهاب عقولهم استعمال مطعوم كوني، لا يناسب مزاجهم، أو صخةعظيمة على عقله ونحو ذلك. وأما المجاذيب فكان سبب ذهاب عقولهم عظيم ما تجلى لقلوبهم من عظمة ربهم، فذهلوا عن تدبير أبدانهم وأحوالهم. وهم أيضا على أقسام وأنواع وأحوال ومراتب. راجع: موسوعة الكسنزان، ج4، ص195-206.

أَمْكَنِيَّةُ السلوك بخلاف الجذب، غير أن الجذْبَ أيسَرُ لتدلي صاحِبِهِ على ضياء نور **المشاهدة**[1]، والسالكُ مُتَرَقٍ بنور المجاهدة إلى المشاهدة، ولمِاَّ تَقَدَّمَ له الرزق الروحاني غيرُ مُصَرَّحٍ به قال: فاغتنم إلى آخره، أي فبادر في سفرك إلى اغتنام عيشٍ روحانِيّ **سائغٍ** مذاقُهُ، محمودةٌ عواقِبُهُ وأخلاقُهُ، تعرفْ به أوصاف نفسك، فتخرُجُ عَنْهَا مفارقا أبناءَ جِنْسِكَ، فتُلْزِمَهَا **مثوى** الفاقةِ والاضطرار، و تُسْكِنَهَا خِيَامَ الذِلَّةِ والافتقار، فإن عمَدْتَ إلى ضد ما مر، و أوردت نفسك من الرزق النفساني ما ضرَّ، فلبست من ذلك ثياب الإعجاب، وارتفعت في رَبْوَةِ الاستكبار على الأصحاب، كان ذلك حجةً عليك وخليقة تجر الوبَالَ إليك، فاللائقُ خروجُك عما يُغَطِّي شمسَ وُجودك، ويحول بينك وبين مطلُوبك، فتحوزَ الراحةَ الأبديةَ، وتفوزَ بالسعادةِ السرمديةِ، ثم قال:

الحكمة الثالثة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **لا تجعلْ مراقبتَكَ اتهاماً فيماَ ضُمِنَ لَكَ، ولْتَكُنْ مُرَاقَبَتُكَ اهتماماً بما طُلِبَ مِنْكَ.**

قال الشارح:

المراقبةُ سيأتي ذكرُهَا إن شاء الله عند قوله: خير المراقبة..الخ. و كأنه يقول: تشوفُ الإنسان إلى ما ضُمِنَ له وتُكُفِّلَ لَهُ بِهِ، وانتظارُهُ إليه وإِعْمَالُ نَظَرِهِ فِيهِ، اتهامٌ لمولاه جل جلاله وعدَمُ وُثُوقٍ به، كيف لا وهو يقول: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ

---

(1) المشاهدة: تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، وتطلق بإزائه على رؤية الحق في الأشياء، وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيئ. وتعني المحاضرة والمداناة، وقيل هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة، كأنه رآه رأي العين، وفي الحديث: أن تعبد الله كأنك تراه، وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال: فالأول منها الأصاغر وهم المريدون، = ويشاهدون الأشياء بعين العين ويشاهونها بأعين الفكر؛ والثاني الأواسط، وهؤلاء قال فيهم الخراز: الخلق في قبضة الحق وفي ملكه، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في همه غير الله تعالى؛ والثالث ما أشار إليه عمرو بن عثمان المكي: أن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت، فشاهدوه بكل شيء، وشاهدوا كل الكائنات به، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم وبه، فكانو غائبين حاضرين، وحاضرين غائبين، على انفراد الحق في الغيبة والحضور، فشاهدوه ظاهرا وباطنا، وباطنا وظاهرا، وآخرا وأولا، وأولا وآخرا، كما قال عز وجل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيئ عليم. وقيل: المشاهدة: هي رؤية الحق في كل ذرة من ذرات الوجود، مع التنزيه عما لا يليق به. والمشاهدة كما يقول ابن خلدون: هي أقصى مراتب الكشف وأعلاها، وهي المعرفة بالله تعالى وصفاته وأفعاله وأسرار ملكوته في أكمل رتب المعرفة، والمشاهدة : هي إكسير السعادة العظمى في الآخرة، وهي النظر إلى وجه الله الكريم. ويقول الشيخ أحمد الدردير: المشاهدة: هي أن يرى الله في كل شيء، فلا تحجبه رؤية الله عنها ولا يحجب بها عن الله. ويقال لصاحبها: من أهل الجمع والفرق، وهي أعلى المقامات. وللمشاهدة أقسام ودرجات ومراتب، وقد فرقوا بينها وبين المكالمة والرؤية والمكاشفة والمحاضرة والنومة...الخ. **انظر**: الجرجاني، ص171. **انظر**: معجم المصطلحات الصوفية، ص244،. **راجع**: **موسوعة**، ج12، ص260-297.

(2) الآية 60 سورة العنكبوت.

إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[1] وقوله ﷺ: ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصا وتعود بطانا ﴾[2] وقولهم الشك في الرزق كالشك في الرازق، ففي بعض الكتب المنزلة: ﴿ عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك، إنما أكرم من أكرمني و أهين من هان عليه أمري، ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي ﴾[3]. وقوله ﷺ: ﴿ فرغ ربك من أربع: الخلق والخلق والأجل والرزق ﴾[4] أو كما قال.

والعاقل لا يصرِفُ هِمَّتَهُ إلى ما هو مفروغٌ من تقديرِه، وليس في وُسْعِهِ عَكْسُ أَمْرٍ بِجِدِّهِ ولا تقصيرِهِ، بل العاقل من [يتوجه][5] بقلبه وقالبه إلى ربه، بتوفية حُقُوقِهِ ومَطَالِبِهِ، لأنهُ خُلِقَ لعبادَتِهِ طولَ حياتِهِ، ولا تنخلعُ **ربقَةُ** التكَالِيفِ من عُنُقِهِ إلى مماته، قال تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّامَا سَعَى ﴾[6] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِيمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِيإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[7].

وتتناول الآيُ و الأحاديثُ من حيث المعنى رزقَ الأرواحِ والأشباحِ، لأن الحق تعالى تكفل لعبيده بجميع ما يُصْلِحُهم، وأَمَرَهُم بتوفية الحقوق التي بها كلفهم، كما قال: ﴿ ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي ﴾، وتطلعُ الإنسان وتشوفُه في أعماله إلى ما يعود عليه نَفْعُه مِنْهُ، أو يدفع به ضَرَّهُ عنه، ارتقابَ مجازاة على ما تقرب به من أنواع الطاعات وفنون العبادات، وذلك قادح في عبوديته؛ قال بن عطاء الله: (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك). وفي الخبر عنه ﷺ أنه قال: ﴿ ما بال أقوام يُشَرِّفُونَ المترفهين ويستخفون بالعابدين، و يعملون بالقرآن ما وافق أهواءَهَم، وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، يسعون فيما يُدْرَكُ بغير سعي من القدر المقدور والأجل المكتوب والرزقِ المقسومِ، ولا يسعون فيما لا يُدْرَكُ إلاَّ بالسعي

---

(1) الآية 6 سورة هود.

(2) عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴾.**انظر:سنن الترمذي**، كتاب الزهد37، باب33، حديث3344، ص573.

(3) الأصباني، **حلية الأولياء**، مج4، ص27.

(4) وقد ورد ﴿فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والأجل ﴾، وقد قال تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾. **انظر: إحياء علوم الدين**، ج5، باب في ذكر الأدب ومكانه من التصوف، ص239. **انظر: مسند الإمام أحمد**، ج5، ص197.

(5) في مخ: يوجه.

(6) الآية 39 سورة النجم.

(7) الآية 56-57 سورة الذاريات.

من الجزاء الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبورُ ﴾[1]. وقال **إبراهيم الخواص**[2]: (العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كُفَيْتَ ولا تضيع ما كُلِّفْتَ)[3]. قال في التنوير في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾[4]. أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بِقِسْمَتِنَا، وهما شيئان، شيء ضمنه الله لك فلا تَتّهِمْهُ فيه، وشيء طلبه منك فلا تهملْهُ، وقال بعض: (أن الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة، فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا) قاله بن عباد. ثم قال ﷺ.

الحكمة الرابعة والعشرون

قال ﷺ:

- **خيرُ المراقبةِ محاسبةُ الأنفاسِ، وخيرُ المشاهدةِ ما خَفِيَ عن الوسواسِ، المراقبةُ وصلةٌ للزهادةِ، والزهادةُ وصلةٌ للمشاهدةِ، والمشاهدةُ وصلةٌ للمقاربةِ، إنْ رَاقَبْتَ رَبَّكَ عَرَّفَكَ بِهِ، وإن عَرَفْتَهُ زَهِدْتَ فِيماَ سِوَاهُ، أَشْهَدَكَ قُرْبَهُ فَكُنْتَ بِهِ وإِلَيْهِ.**

قال الشارح:

اشتمل كلامُه ﷺ هنا على المراقبة والمحاسبة والزهادة والمشاهدة والمقاربة، ونذكر ما قيل في كلٍّ. **فالمراقبة**[5]: هي علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه، واستدامتُه لهذا العلم بمراقبته لربه، وهذا أصلُ كلِّ

---

(1) تعقبه الحافظ ابن حجر وأورده في أمياله ولم يسمه بوضع بل قال: هذا حديث غريب أخرجه ابن منده في غرائب شعبة والراوي عن شعبة مجهول. **انظر**: ابن عراق الكناني، **تنزيه الشريعة**، ج2، ص304.

(2) إبراهيم بن أحمد الخواص، صحب أبا عبد الله المغربي دفين جبل طور سيناء سنة 299 ه، وكان من أقران الجنيد و النوري مات بالري سنة 291ه، وله سياحات ورياضات وتدقيق في التوكل، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض، وقال: مثل هذا لا ينقص التوكل لأجل الإعانة على ستر العورة وإذا رأيت الفقير بلا ذلك فاتهمه في صلاته. **انظر**: ابن الملقن،**طبقات الأولياء**، ص16.

(3) المرجع السابق، ص285.

(4) الآية 132 سورة طه.

(5) رَقَبَهُ: حَرَسَهُ وحفظه. ولاحظه وراعاه. راقب الله في عمله: خافه وخشيه. وردت هذا المعنى في القرآن الكريم (15) مرة على اختلاف مشتقاته. وفي الاصطلاح: المراقبة هي أول حال من أحوال أرباب القلوب. وقيل: المراقبة عند أهل هذه الطائفة: أن يصير الغالب على العبد ذكره بقلبه أن الله مطلع عليه على الدوام، فيخاف سطوات عقوبته في كل نَفَس، ويهابه في كل وقت. وقيل: المراقبة: هي علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير. وقيل المراقبة: هي أصل عظيم من أصول التقوى، وهو العلم بأن الله يسمع ويعلم ويرى، فإذا حصل هذا العلم في القلب وتوالى، فلم يعقبه غفلة وقوى حتى أثمر الحياء والهيبة والتعظيم للمولى، فالعبد حينئذ: مراقب. قيل: المراقبة هي القيام بحقوق الله سراً وجهراً خالصاً من الأوهام صادقاً في الاحترام، وهي أصل كل خير، وبقدرها تكون المشاهدة، فمن عظمت مراقبته عظمت بعد ذلك مشاهدته. وقيل: وفي الفرق بين المراقبة والمرابطة: المراقبة: هي ملاحظة لغرض التقويم، فهي من الأعلى إلى الأدنى، وقد يرافقها شيء من المحاسبة أو المعاتبة .وأما المرابطة: فهي ملاحظة لغرض الاتباع، فهي تكون من الأدنى إلى الأعلى، وقد يرافقها شيء من التوسل

خير، ولا يكاد يصل إلى هذه الرتبةِ إلا بعد فراغه من **المحاسبة**[1]، فإذا حاسب نفسه على ما أَسْلَفَ، و أصلح أحوالَهُ في الوقت، ولازم طريق الحق، و أحسن بينه وبين الله مراعاةِ القلبِ، وحفِظَ معَ الله الأنفاسَ، راقب الله في عموم أحواله، فيعلمُ أنه سبحانه عليه رقيبٌ ومن قلبه قريبٌ، يعلمُ أحوالَه ويرى أفعاله ويسمَعُ أقوَالَهُ، ومن تغافل عن هذه الجملةِ فهو بمعزل عن بدايةِ الوَصْلَةِ، فكيف عن حقائق القُرْبَةِ، وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾[2] ومن قوله ﷺ في آخر الحديث: ﴿ الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾[3] قال **الجريري**[4]: (من لم يحكِمْ بينه وبين الله التقوَى والمراقبةَ، لم يصل إلى الكشفِ والمشاهدةِ). كان لبعض الأمراء وزيرٌ، وكان بين يديه يومًا، فالتفت إلى بعض الغِلمان الذين كانوا وقوفا، لا لريبةٍ ولكن لحركةٍ أو صوت أَحَسَّ مِنْهُمْ، فاتفق أن ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالةِ، فخاف الوزير أن يتوهم الأميرُ أنه نظرهم لريبةٍ، فجعل ينظر إليه كذلك، فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على الأمير وهو أبدا ينظر إلى جانب، حتى توهم الأمير أن ذلك خِلْقَةٌ أو حولٌ فيه، فهذه مراقبةُ مخلوقٍ لمخلوقٍ، فكيف بمراقبة العبد لسَيِّدِهِ؛ وقال بعضهم: (من راقب

أو المناجاة. وللمراقبة عند أهل التربية أنواع وغاية وثمرات وعلامات، ومقامات ومراتب وخصال وحقيقة...الخ. **انظر**: **كتاب التعريفات**، ص167،. **راجع**: موسوعة الكسنزان، ج10، ص5-31.

(1) وردت مادة (ح س ب) في القرآن الكريم (110) مرة على اختلاف مشتقاتها. وفي الاصطلاح عند بعضهم: هي عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات، وتكون آخر النهار. وقيل: هي أن يحاسب الإنسان نفسه على كل عمل يأتيه، فيزنه بميزان الشرع، ويزنه بميزان الإخلاص، ويصلح حاله في الوقت إن رأى تقصيراً، يستغفر، ويتوب، ويعزم على أن يحسن فيما يستقبل من أعماله، ويلازم طريق الحق، ويحسن فيما بينه وبين الله، وذلك في مراعاة القلب. وقيل: من حاسب نفسه على اللحظات والخطرات، خفت في القيامة حسراته، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وكثرت في عرصات القيامة وقفاته، والأولى مرابطة النفس أولا بالمشاركة، ثم بالمراقبة، ثم بالمحاسبة، ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاينة، فهذه ست مقامات. وكان المحاسبي من أهل المحاسبة، وعاش في ضلال اسمه الحسيب، وكان يقول: بيني وبين الله علامة: إذا لم يكن الطعام عند الله مرضياً ارتقت منه إلى أنفي فورة، فلم تقبله نفسي. وطريقته كانت تسمى المحاسبية، وأساسها قوله: إن الإنسان ليس شيئاً بدون الله وليس له إلا ما يناله من رضوان الله، وإنه إن اتقى الله وقاه شر من دونه وإن صلح، صلح به الناس وإن فسد، فسد به الناس، وإن عدوه من نفسه طبائعه السيئة وأولياءه منها طبائعه الحسنة، وإنه لذلك محل صراع بين الاثنتين. والإنسان الأخلاقي المتدين هو الذي يقاتل بعضه ببعضه، ويستخدم أولياءه ضد أعدائه، فيقاتل الغضب بالحلم، والغفلة بالتفكير، والسهو بالتنبيه. والمحاسبة تكون على وجهين: محاسبة العبد فيما بينه وبين الله ﷻ، وهو سر في المطعم والملبس والمشرب . ومحاسبة فيما بينه وبين الخلق، وهو في الظاهر، وهو في الجوارح، في الأخذ والعطاء والمعاملة والمعاشرة وغير ذلك. انظر: معجم المصطلحات الصوفية، ص237،. راجع: موسوعة الكسنزان، ج5، ص385-391.

(2) الآية 52 سورة الأحزاب.

(3) حديث حسن صحيح روي من غير وجه نحو هذا عن عمر.**انظر**:**صحيح مسلم**، إيمان1.

(4) أحمد بن محمد بن الحسن الجريري نسبة إلى جرير بن عباد من كبار أصحاب الجنيد، مات سنة 311هـ، وأسند الحديث وهو من علماء مشايخ القوم، قال: ((ما مددت رجلي في الخلوة منذ عشرين سنة فإن حسن الأدب مع الله أولى))، اعتكف مرة بمكة ولم يأكل ولم ينم ولم يستند إلى حائط ولم يمد رجليه، فقيل له: بماذا قدرت على اعتكافك، فقال: ((علم صدق باطني فأعانني على ظاهري)). **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص144.

الله في خَوَاطِرِهِ، عصَمَهُ الله في جوارحه). سئل ابن هند: (متى يَهُشُّ الراعي غنَمَهُ بعصا الرعايَةِ عن مرَاتِعِ الهَلَكَةِ، فقال: إذا عَلِمَ أَنَّ عليه رقيبًا). وكان بعض المشايخ له تلامذة، فكان يخصُّ واحدًا منهم بإقباله عليه أكثر مما يُقْبِلُ على غيره، فقالوا له في ذلك، فقال: أنا أُبَيِّنُ لكم، فرفع إلى كُلِّ واحدٍ من تلاميذه طائرًا وقال له: اذبحه حيث لا يراك أحدٌ، ودفع إلى هذا أيضا طائرا وقال له: اذبحه حيث لا يراك أحدٌ، فمضوا ورجع كلُّ واحدٍ منهم وقد ذَبَحَ طَائِرَهُ، وجاء هذا بالطائر حيًا، فقال له:هَلاَّ ذَبَحْتَهُ، فقال له: أين أذبحُهُ، أمرتني أن أَذْبَحَهُ حيث لا يراني أحدٌ، ولم أجد موضعا لا يراني أحد فيه، فقال: لهذا أخُصُّهُ بإقبالي عليه؛ وفيه دخلت المحاسبةُ كما علمتَ.

وأما الزهادة[1]: فمن الزهد وهو أفضل ما أُوتِيَهُ المرء، قال ﷺ: ﴿ إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهدا في الدنيا ومنطقا فاقتربوا منه فإنه [يلقى][2] الحِكْمَةَ ﴾[3]، وقد اختَلَفَتْ آراؤُهُم فيه، فمنهم من قال: الزهد في الحلال ومنهم من قال في الحرام، لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى، ومنهم من قال: واجب في الحرام فضيلة في الحلال، فإن إقلال المالِ والعبدُ صابرٌ في حالهِ راضٍ بما قسم الله له، قانعٌ بما يعطيه، أَتَمُّ من تَوَسُّعِهِ وبَسْطِهِ في الدنيا، فإن الله تعالى زهد الخلق فيها فقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[4]، ومثله من الآي في هذا المعنى كثيرٌ، ومنهم من قال: ينبغي للعبد أن لا يختار تركَ الحلالِ بِتَكَلُّفِهِ، ولا يطلب الفضول مما لا يحتاجُ إليهِ، ويراعي القسمة، فإن رزقه الله تعالى مالا من الحلال شكره، و إن أوقفه على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضولُ المال، فالصبرُ أحسنُ بصاحبِ الفقرِ، والشكرُ أليَقُ بصاحبِ المالِ، وكلامُهُم في معناه على قدْر أحوالهم؛ قال **أبو عثمان**[5]: (الزهد في الدنيا أن تتركها ثم لا تبالي بمن أخذها)[6]وقيل (الزهدُ سَلْوُ القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك) وقيل: (الزهد عزوبُ النفسِ عن الدنيا بلا تكلف) وقال **الحسن البصري**[7]: (الزهد في الدنيا أن تبغضها وتبغض ما فيها

---

(1) الزهد: في اللغة: ترك الميل إلى الشيء. وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هو بغض الدنيا والإعراض عنها. وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة. وقيل: هو أن يحلو قلبك مما خلت منه يدك. وفي الحديث: ﴿ الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا: أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيما لو أنها أبقيت لك ﴾. **انظر: كتاب التعريفات**، ص97،. **راجع: موسوعة الكسنزان**، ج10، ص282-330.

(2) في حج: يلقي.

(3) **انظر**: المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج3، 6069. والبيهقي، **السنن الكبرى**، في شعب الإيمان.

(4) الآية 77 سورة النساء.

(5) أبو عثمان الحيري نسبة إلى الحيرة وهي قرية من قرى نيسابور وهي غير الحيرة القريبة من الكوفة في العراق، مات سنة 298هـ بنيسابور وقبره بها ظاهر مع قبر أستاذه الحداد يستقى به ويتبرك، وهو في وقته من أوحد المشايخ في سيرته، ومنه انتشر طريقة التصوف بنيسابور، وأسند الحديث. **انظر: الرسالة القشيرية**، ج1، ص120.

(6) المرجع السابق، ص326.

(7) الحسن البصري كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، كان من أجمل أهل البصرة حتى سقط من دابته فحدث بأنفه ما حدث، من كلامه: ما رأيت يقينا لاشك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت. وكان يقول: إذا

)[1]، وسئل بعضهم ما الزهد في الدنيا فقال:(ترك ما فيها على من فيها)، قال بعضهم: (إن الله يعطي الزاهد فوقَ ما يريدُ ويعطي الراغبَ دونَ ما يريدُ)، قيل: (إن من تكلم في الزهد وَوَعَظَ الناسَ ثم رَغَبَ في أموالهم رفع الله حب الآخرةِ من قلبه)، وقيل: (إذا زهد العبد في الدنيا وكل الله به ملكا يغرس الحكمة في قلبه)، فقيل لبعضهم: زَهَدْتَ في الدنيا، فقال: لزُهْدِهَا فِيَّ.

وأما المشاهدة[2]: فهي وجودُ الحق من غيرِ بَقَاءِ تُهْمَةٍ، وإِذَا أَصْحَتْ سَمَاءُ السر عن غيومِ السِّتْرِ، فشمسُ الشهودِ مشرقةٌ عن برج **الشَّرَفِ** النوري، ولا يصح للعبد المشاهدة وقد بقي له عرقٌ قائم، قالوا: (إذا طلع الصباحُ استُغْنِيَ عن المِصْبَاحِ) وهي أرفع من المحاضرة والمكاشفة، قال الجنيد: (المشاهدة هي وجودُ الحق مع فُقدانك)؛ وصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته، وصاحب المشاهدة ملْقًى بذاته، صاحب المحاضرة يهديه عقلُه، وصاحب المكاشفة يدنيه علْمُه، وصاحب المشاهدة تمحوه معرفَتُه.

وأما المقاربة: من القرب وهو مراتبٌ، أَوَّلُهُ القربُ في طاعته والاتصافُ في دوامِ الأوقاتِ بعبادته، والبعد عكسُه: وهو التدنس بمخالفته و**التجافي** عن طاعته، وهو مراتب أيضًا بعد عن التوفيق ثم عن التحقيق بل هو عين الأول؛ فأما القرب فقال عليه الصلاة والسلام مخبرا عن الحق سبحانه: ﴿ ما تقرب إلي المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى يحبني وأُحِبَّهُ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا، فبي يسمع وبي يبصر ﴾[3]. الخبر. فقرب العبد أولا قرب بإيمانه وتصديقه، ثم بإحسانه وتحقيقه، وقرب الحق سبحانه من العبد ما يخصُّهُ اليومَ به من العرفان، وفي الآخرة ما يكرمُه به من الشهُود والعيانِ، وفيما بين ذلك من وجوه اللطفِ والامتنانِ، ولا يكونُ قُرْبُ العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق، فهذا من صفاتِ القُلُوب دون أَحْكَامِ (إِحْكَام) الظواهِرِ والكَوْنِ، وقُرْب الحق سبحانه بالعلم

أشرب القلب حب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ كالجسد إذا استحكم فيه الداء لم ينجع الدواء. توفي بالبصرة سنة 110هـ وكانت جنازته مشهودة. وتبع الناس كلهم جنازته و اشتغلوا به حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر. وأغمي على الحسن عند موته، ثم أفاق فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم. وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين: رأيت كأن طائرا أخذ أحسن حصاة بالمسجد فقال: إن صدقت رؤياك مات الحسن، فلم يكن إلا قليلا ومات الحسن، ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما، ثم توفي بعد مائة يوم، روى الحديث عن خلق من التابعين، ومما رواه عن أنس بن مالك قوله: ﴿كان رسول الله ﷺيخطب يوم الجمعة إلى جانب خشبة يسند ظهره إليها، فلما كثر الناس قال: ابنوا لي منبرا له عتبتان، فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة إلى رسول الله ﷺقال: وأنا في المسجد، فسمعت الخشبة تحن حنين الواله، فما زالت تحن حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت ﴾،وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺشوقا إليه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه. وكان طويل الحزن حتى إذا رأيته حسبته حديث عهد بمصيبة. له وصية عظيمة الفائدة في كتابه الذي كتبه إلى عمر بن عبد العزيز في **حلية الأولياء**، ص136. **راجع**: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مج2، ص69.

(1) أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص326.

(2) **انظر**: ص68، ح22.

(3) **راجع**: أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج3، كتاب ذم الغرور، ص588.

والقدرة عام للكافة، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين، ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]، وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات، وقد تقدم ما فيه، ومن تحقق بقرب الحق **فَدَيْدَنُهُ** دوام مراقبته إياه، لأن عليه رقيبَ التقوى، ثم عليه رقيبَ الحفظِ والوفاء، ثم رقيبَ الحياةِ؛ و أنشدوا.

كَأَنَّ رقيبا منك يرعى خواطري * وآخرُ يرعى ناظري ولساني

فما رمقتْ عيناي بعدَكَ مَنْظَرًا * يسوءُكَ إلاَّ قُلْتُ قد رمقاني

ولا بَدَرَتْ من فِيَّ دونَكَ لفظةٌ * لغيرك إلاَّ عرجا بعناني

ولا خطرتْ في السر بَعْدَكَ خَطْرَةٌ * لغيرك إلاَّ قُلْتُ قد سمعاني

وإخوانُ صدقٍ قد سِمِعْتُ حَديثَهم * فامسكت عنهم ناظري ولساني

وما الزهد أَسْلَى عنهم غير أنني * وجدتك مشهودي بكل مكان

انتهى ملخصا من القشيري﵀، إذا عرفت هذا بان لك أن المؤلف ذكر مطلوبَيَّةَ الاهتمام بالأمر المطلوب، و الاحتفاظَ على الأمر المرغوب أولا، ثم ذكر هنا أن خير المراقبةِ محاسبةُ الأنفاس بأن يكونَ الإنسانُ بوابا على قلبه، مُحَاسِبًا لنفسه على أنفاسها فيما دخلت وفيما خرجت، فما كان من خير حمِدَ الله عليه وشكره، وما كان من شر لجأَ إلى الله واستغفره، لأنه مسئول عن خزائنِ أنفاسهِ فيما أنفقها، وهل هي إلاَّ ودائعٌ استودعها لا يوديها إلاَّ في مرضاةِ مَالِكِهَا. قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾[3] أي مهملا، وقال ابن عطاء الله: (ما من نفس تبديه إلا وله فيك قدَرٌ يمضيه)[4]. واعلم يا حبيبي أَنَّكَ إن حاسبت نفسك في أنفاسِهَا و خطراتِهَا ولحظَاتِهَا، حُزْتَ مَقَامَ المراقبةِ، فتكونَ ثالثَ حافظيكَ الكرام الكاتبين، رقيبا عليهم مكينا لديهم، وبذلك تُشْرِفُ على مقام المشاهدة التي هي بفضل الله نتيجةُ المجاهدة، والمشاهدةُ مراتبٌ أعلاهَا وخيرُهَا ما كان سِرَيًّا خَفَيًّا عن الوسواس المسلط على صدور عامة الناس، لأن شهودَكَ إِحْسَانِيٌّ ووارِدُك رحمانِيٌّ ومقامك عرفانِيٌّ، صرت من عبيده الأحرارِ الخُلَّصِ من شوائب الأغيار، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[5] أي ليس لك على قلوبهم تسلطٌ بالهواجس النفسانية، والنزعاتُ الشيطانيةُ، لاَ تُقَاوِمُ المشاهداتِ الرحمانيةِ والمنازلاتِ الربانيةِ.

---

(1) الآية 16 سورة ق.

(2) الآية 85 سورة الواقعة.

(3) الآية 36 سورة القيامة.

(4) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج1، ص110.

(5) الآية 42 سورة الحجر.

أمع الشمس للنجوم تجل * أم مع الصبح للظلام بقاء (1)

أي ليس مع شعاعِ شمس الوجود، بقاءٌ لظلام العدمِ من شهودٍ. قال تعالى: ﴿ فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾[2]، فالمراقبةُ وصلةٌ ووسيلةٌ للزهادة فيما سواهُ، والخروجُ عما عداه، والزهادة وصلة ووسيلة للمشاهدة، والمشاهدة وسيلة للمقاربة، أي لِأَعلاها، إذ هي مراتب كما مر، وذلك أمر صحيحٌ مجربٌ بميزانِ التدريجِ، صريح لا يخفى إلا على غيرِ أهلِهِ، ممن ينكر وجود الشيء من أصله، لأن المراقبةَ تفيد معرفةَ الأوصافِ الخَلْقِيَّةِ و الحقيةِ، فإذا **امتاز** له الأمر واتضح له الفجر، اشتاق إلى مشاهدة شمس عُلاَهُ وهي تبعثه على مزيد القرب و**التداني** وفي ذلك نتيجة الفوز بالأماني، هذا ما يدل له معنى قوله: (إن راقبت ربك عرفك، فإذا عرفك به وعرفته زهدت قطعا فيما سواه)، فإذا زهدت في السوى كَشَفَ عن وجود قربه منك، فتقربت به إليه، كما تقدم في معنى القرب.

فالمراقبة له تفيد المعرفةَ بجميل صـــفاته، وهي تفيد تَمَامَ الزهد في جميع مُكَوَّنَاتِهِ، وهو أي الزهد يُشْهِدُ القرب ويزيح الشَّوْبَ، فتكون والحالةُ هذه به وإليه، به ابتداءً وإليه انتهاءً، به فناءً وإليه بقاءً شهودًا وإليه وجودًا، به قيوميةً وإليه [بهِ][3] ديمومية، كما بدأكم تعودون، كما بدأنا أول خلق نعيده، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فافهم. ثم قال:

التدبيـر

الحكمة الخامسة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **كيفَ تُدبرْ معهُ و أنتَ مُدَبَّرٌ، فالذِي دَبَّرَكَ يُدبِّرُ لكَ، كيفَ تختارُ معهُ و أنتَ مختارٌ، فالذي اختارَكَ يختارُ لكَ، التدبيرُ والاختيارُ جُندانِ عَظِيمانِ مِنْ جُنُودِ الله، إنْ خرجتَ عنهما صِرْتَ حُرًّا لله ومَلَكْتَهُمَا، و إلاَّ فأنتَ عَبْدٌ لَهُمَا.**

قال الشارح:

---

(1) **مجموع مهمات المتون**، بيت من قصيدة الهمزية للبوصيري، ص99.

(2) الآية 81 سورة الإسراء.

(3) في مخ: ساقطة.

قد عرفتَ أن الله جل جلالُه، تكفل بأُمُورِ جميعِ مخلوقاته، ودبر مصالح كلِّ مُكَوَّنَاتِهِ، واختار ما أراد وجودَهُ على وَفْقِ مراده، وفرَغَ التدبيرُ، ونَفَذَ أَمْرُهُ وقضاءُه بالتقدير، فما الفائدةُ إذًا في تدبير ما لستَ له فاعلاً، ولا اختيار ما لستَ لهُ جَاعِلاً، سبق تدبيرُه ومضى تقديرُه، له الاختيار المطلق في جميع ما قضى، فلا يسعُكَ أيها المسكين إلاَّ السُّكُونُ تحت قهر سلطانه و الرضى، كيف تدبر مع مولاك الذي دبر أحوالَكَ و أتم صُنْعَكَ و**نوَالَكَ**، فالذي دبرك بالإيجاد يدبر لك بالإمداد، كيف تختارُ ما ليس في وُسعك تخصيصُه بالإرادة، وما لك في وقوعه من فائدة، فالذي اختارك بالإيجاد على وَفْقِ ما أراد يختارُ لك بالإمداد، فمالك ولتحصيله باجتهادٍ، جعل الله جندي التدبير والاختيار عظيمي المحنة والاختبار، إن خرجت عن فِتْنَتِهِمَا بالإعراض وأرحت نفسك من اتباع **الأهوية** الباطلة والأغراض، فُزْتَ بالراحة الأبدية و السعادة السرمدية وتحررت من رق أغيارِهَا ونجوتَ من همومها و أشرارها، وإن **أمعنت** نظرك في تلاطم أَمْوَاجِهَا، غرقت في بحر أُجَاجِهَا، كن عبدا لمولاك واخرج من سجن تدبيرك واختيارك واتباع هواك، فَسُكُونُكَ لِسِوَاهُ عبوديةٌ له، وهو لا يرضى أن تكونَ لغيره عبدا، ما أحببت شيئا إلاَّ كنت له عبدًا، ولا يرضى لك إلاَّ الحرية من رق الأغيار، إن جلست على كرسيِّ سلطان الوُثُوقِ، أَخَذْتَ **بعَنَانِ** كلِّ مخلوقٍ. فافهم.

سبقت مشيئتُه وتم أمرُه ونفذ حكمُه، فما للعبيد والتعَبُ، وما لمساكين الدنيا والنصبُ، وما هو إلاَّ فضولٌ وإلى تضييع نفائس العمُرِ في فلاة البطالة يئولُ، قال ابن عطاء الله: (أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك)[1] وقال **سهل ابن عبد الله**[2]: (ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم) وقال أبو الحسن الشاذلي: (إن كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا) أي التدبيرُ هو إسقاطُ التدبيرِ، فدبر أن لا تدبر واختر أن لا تختار، وهو عدم الاختِيَارِ، بالتسليم في سلاسل الأقدار في يد الله الواحد القهار. ثم قال:

الحكمة السادسة والعشرون

قال رضي الله عنه:

---

(1) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص60.

(2) سهل بن عبد الله التستري وهو أحد أئمة القوم وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الرياضات و الإخلاص وعيوب الأفعال، صاحب كرامات، لقي ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة، سكن البصرة مدة و أسند الحديث، وروي أنه أسلم على يديه خلق، ومما يروى أنه كان له جار مجوسي فلما احتضر استدعاه وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه. فدخل فإذا جفنة موضوعة تحت حش لدار المجوسي قد انفتح إلى دار سهل، فخرج وقال: يا شيخ ما هذا، قال: اعلم أنه منذ سنة انفتح كنيف دارك إلى داري و أنا كل يوم أضع تحته آنية كما رأيت ممتلئ نهارا فإذا كان الليل أخذتها فرميت ما فيها و أعدتها، ولولا أني مفارق ولست أطمع أن تتسع أخلاق غيري لك ما أعلمتك، فبكى المجوسي، وقال: والله ما كان حسن الخلق ورعاية الحال في دين إلا زانه، ويلي أنت تعاملني هذه المعاملة وتموت وأنا على ضلالي القديم، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ وداري هذه وقف على الفقراء. **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص234. **انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص306.

- **حركاتُكَ في الأنفاسِ رواحلٌ وأنفاسُكَ في الحركاتِ مراحلٌ، إنْ تحرَّكْتَ سَافَرْتَ وَإِنْ تَنَفَّسْتَ نَزَلْتَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ سَفَرٍ تُرِيدُ.**

قال الشارح:

هذه **استعارةٌ**، تضمنتْ أنَّ حركاتَ الإنسانِ في شؤونه و أعماله وتقلباته في كلِّ أحوالِهِ، رواحلٌ يطوي عليها مسافةَ العمُرِ، ويعثُرُ في قطع مفاوزها على الخير والشر، وأنَّ أَنْفَاسَهُ و تنفُّسَاتِهِ، مَرَاحِلٌ تسير به حتى تُرْسِي سَفِينَةُ عُمُرِهِ بالساحل، فالتحرك بالأعمال سفر، و التنفس نزولٌ، فليخترِ الإنسانُ لنفسه سفر النُّجُحِ والسلامَةِ، بحيثُ لا تعودُ عليه في أيام عمُرُهِ ملامةٌ، فالإنسان مسافر في قنطرة الدنيا إلى الآخرة، مفاوزُهُ أوقاتُهُ، ورواحله التي يركب عليها أنفاسه و خَطَرَاتُهُ، فإن قطعها في خيرٍ أَصَابَ وإن قطعها في شرٍّ نَدِمَ وخاب، والله وليُّ التوفيقِ.

ومَرْجَعُ هذا إلى ما تقدم له في المراقبةِ، إذ هي التي تبعث القلب على رعاية ما هو في رعايته، ومن جملتها الأنفاسُ والحركاتُ بل مدار الأمرِ عليها، لأنها لا تخلو حركاتُهُ من طاعةٍ فيُحْمَدُ أو معصيةٍ فَيُذَمُّ، وأنفاسُهُ كذلك لا يخلو صعودُهَا ونزولُها لمَ وبمَ، والمحاسبة أقرب لهذا من المراقبة، لأنك إن حاسبت نفسك على حركاتها و سكناتها و خطراتها ولحظاتها، انبَعَثَتْ إلى المراقَبَةِ والحمد لله. ثم قال:

الحكمة السابعة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **اختيارُكَ في الوجودِ مَنعٌ لعطاءِ المفقودِ، وتدبيرُكَ في المقسومِ لِحُسْنِ ظَنِّكَ بالمعدومِ، ونعمَ التدبيرُ ما دُبِّرَ لَكَ وَبِئْسَ التدبيرُ ما دَبَّرْتَهُ أنتَ، فتدبيرُهُ لكَ سابقٌ لتدبيرِكَ، ولا تجعَلِ الأَخِيرَ أولاً فَتَضَعُ الشَّيْءَ في غيرِ محلهِ، فإنَّ مِنَ المعلومِ أَنَّ الأخيرَ لا يسبقُ الأوَّلَ، وأنَّ خيرَ الاختيارِ ما اختارَهُ المُخْتَارُ، فاختَرْ لنفسكَ عَدَمَ الاختيارِ، فاختيارُ الحقِّ أَصْلٌ واختيارُ الخلقِ فرعٌ، إن صحَّ الأصلُ حَسُنَ الفرعُ وإلاَّ فالعكسُ.**

قال الشارح:

يقول: إذا عرفْتَ أن اختيارَ الحق وتدبيرَهُ سابقان لوُجُودِكَ، ولا يقعان إلاَّ على وَفْقِ مُراده لا على وفقِ مرادِكَ، فأي فائدة لك في تدبيرك واختيارك اللاحقين، بل ربما كان اختيارُكَ لِما يَحْصُلُ في الوجودِ منعا لعطاءِ ما هو مفقودٌ، وتدبيرُك فيمَا هو مُحَتَّمٌ مقدر مقسومٌ، دليل حُسن ظنك بالشيء المعدومِ، وما سوى الله عدم، فلا يَثْبُتُ للعاقل عليه قَدَمٌ، ونعم التدبير ما دبَّرَهُ المدبرُ وقدرهُ المقدرُ، لأنه من حكيمٍ خبيرٍ،

و**بئس** التدبيرُ تدبيرُك، أنت بعجزك وعدم علمك، فما كان من التدبير و الاختيار أسبقُ كان أولى و أحق، كيف وقد علمت سَبْقِيَّةَ تدبيره واختياره على تدبيرك واختيارك، فإن دبرت واخترت فقد وضعْتَ الأَشْيَاءَ في غير مَحَالِهَا، وارتكبت تَأْسِيسَ الأُمُورِ على غير مِنْوَالِهَا، فهيهات أنْ يُقَدَّمَ المؤخرُ ويُؤَخَّرَ المُقَدَّمُ، فما جف به القلمُ لزم وقوعُه وتَحَتَّمَ، وخير الاختيار ما اختاره الفاعل القادر المريد المختار، فاختر الراحة لنفسك، وما هي إلا في عدم التدبير والاختيار، و إن كان لابد من **مجَازٍ** تدبيرِك، فَادْخِلْ اختيارَ الحقِّ الأصلي على اختيارِكَ الفرعي، ليصح لك مَجَالُهُ ويَتِمَّ فَرْعُهُ ويحصُلَ كَمَالُهُ، فاختيار الحق أصل واختيار الخلق فرع، إن صححتَ الأصلَ بالاستسلام والانقيادِ، وعرفت أنه لا يقعُ إلا ما اختاره وأراد، صح فرعُ اختيارك بالإِضَافَةِ، وليس عليك فيه منْ بَأْسٍ، ولا مَخَافَةٍ لما فيه من التبري من الحول والقوة، وهو عين العبودية المحضة، وإن اعتمدت على اختيارك وراعيتَ ما هو في اقتدارك، صار ذلك قادحًا في عبوديتِكَ ومُخْمِدًا لنور بصيرَتِكَ، لما عرفت أنه لا يصح الفرعُ بدون أصلهِ فافهم، والله أعلم. ثم قال:

الحكمة الثامنة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **وُجُودُكَ في اختيارِ الحقِّ عدمٌ، ووجودُ اختيارِ الحقِّ فيكَ وُجُودٌ، إِنِ اخْتَرْتَ وُجُودَك في وُجودِ اختيارِ الحقِّ صَــمَمْتَ عَنْ فَهْمِ الحقائِقِ، وإِنِ اخْتَرْتَ وُجُودَ الحقِّ في وُجُودِكَ أَبْصَــرْتَ عَيْنَ الدَّقائِقِ، لأنَّ وُجُودَ الحقِّ فيكَ هو الذي أَظهرَكَ لَكَ، ولولاَ هو ما كُنْتَ أَنْتَ، فَهُوِيَّةُ الحقِّ هي التي أظهرَتْ لَكَ أَنْتَيَّتَكَ، وإلاَّ فلاَ أنتَ ولا أَنْتَيَّتُكَ.**

قال الشارح:

وُجُودُك في قهرية اختيار الحق عدم، ووجود سلطان اختيار الحق في عدمك وجود، فإن اثْبَتَ لك وجودا في وجود اختياره، وادعيت اختيارا في عظيم اقتداره، صممت عن فهم الحقائق الربانية، وجهِلْتَ سِرَّ العلوم العِرفَانِيَةِ، إذ لا اجتماع بين العدم والوجود، فوجودُكَ من أصلهِ عَدَمٌ ووجود الحق هو الوجودُ، فلا ثُبُوتَ لعدمك مع وُجُوده، وإن اخترت وجود الحق في وجودك، واثْبَتَّ وجودَ الحق في شهودك، أبصرت بنور بصيرتك دقائق الحِكَمِ، ورسخ منك على بساط التمكينِ القدمُ، لأن نورَ وجودِ الحقِّ في ظلمة عدمك، هو الذي أظهر لك وجودَكَ حتى كنت في الوجود، ويصدُقُ عليك اسم شاهدٌ ومشهودٌ، ولولا نورُ وجوده ما كنت أبدا، ومالك من عدم ولا وجود، فَهُوِيَّةُ الحق الساريةُ في باطنِ أنتيتك هي التي أظهرت لك انتيتك، ولولا سريان نور هُويته في انتيتك ما ظهرت أنت في الوجودِ، وما لأنتيتك في هذا العالم من شهود.

والمراد بالهوية: هو أي ضمير الغيبة المكنى به عما هو غائب عنك، وهو راجع إلى الحق، والمراد بالأنتية: هو أنت أي ضمير الخطاب المكنى به عما هو حاضر معك ومخاطب لك، وهو هنا راجع لك

أيها المخاطَبُ، فهوية الحق السارية في عوالم الخلق هي التي أظهرتهم لهم، وكشفت بنورها ظلمة عدمهم فافهم.ثم قال:

الحكمة التاسعة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **فَلاَ تَغْتَرَّ بظهُورِ الحقِّ فيكَ، فالذِي أَظْهَرَ الحقَّ فِيكَ هو الذِي أَغْنَاكَ عَنْ نَظَرِ ظُهورِ الحق لكَ، والحقُّ الظَّاهِرُ لَكَ هو البَاطِنُ فِيكَ.**

قال الشارح:

شهودك اضمحلال وجودك في وجود الحق بإظهاره، وظهور هوية الحق بنور وجوده في ظلمة عدمك باقتداره، فإياك إذا والاغترار بالوقوف مع مجرد شهود الظهور، فتكون ممن قال فيه ﷺ: ﴿**تعس** عبد الظهور ﴾[1]، فإنه أي الحق هو الذي أظهر نفسه بنفسه وأشهدك أنت ظهوره، فالحق هو الذي أنار ظلمة عدمك بنور وجوده، وهذا يغنيك عن نظر شهودك الذي لا مدخل له في شيء، فاكتف به وغب في شهوده، وابق بوجوده فانيا عن شهودك، خارجا عن وجودك، لأن الحق الظاهر لك بنور وجوده، هو الباطن فيك بسريان هويته في **كامن** شهوده، وهذه الجمل متقاربة، وفيما ذكرناه كفاية. ثم قال:

الحكمة الثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **لا تنظرْ لظهورِ أوليةِ الحقِّ في الخلقِ فإنها لا أخريةَ لها فليسَ لها أوليةٌ، هو الأولُّ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ، أوليةُ الحقِّ باطنةٌ في أخريتهِ، وأخريتُهُ باطنةٌ في أوليتهِ، فالظاهرُ من الخلقِ هو الحقُّ والباطِنُ من الحقِّ هو الخلقُ، سُـــبحانَ مَنْ أَظْهَرَ الحقَّ في الخلقِ والخلقَ في الحقِّ، ولولاَ الحقُّ ما كان الخلقُ ولولاَ الخلقُ ما ظهرَ الحقُّ، فَنُورُ أوليةِ الحق أغنَى عن انتهاءِ غايةِ الخلقِ، وغايةُ الحقِّ مَدارِكُ الحقِّ، ومدارِكُ الحقِّ لم تُدْرَكْ، فماَ بالُكَ بالأولِ والآخرِ والظاهرِ والباطنِ، فظاهرُ الخلقِ باطنُ الحقِّ، وباطنُ الحقِّ ظاهرُ الخلقِ، فالظاهرُ من الخلقِ هو الأولُّ والباطنُ في الخلقِ هو الآخرُ، لا أوليةَ لهُ حتى يظهرَ في أخريتِهِ ولا أخريةَ لَهُ حتى يَظهرَ في أوليتِهِ، سُبحانَ مَنْ ظَهَرَ لَناَ برموزِ حقائقِهِ واستَتَرَ عَنَّا بدقائِقِ حِكَمِهِ.**

قال الشارح:

---

(1) لم أقف عليه.

عادة المؤلف ﷺ أنه إذا تكلم في أسرار تجليات الأفعال و الأسماء والصفات والذات، يطيل فيها الكلامَ تلذذا بما أنعم الله به عليه، من جزيل الإنعام، وما واجهه به من شموس المعارف الربانية، و أفاض عليه من العلوم اللدنية و **الإلهام**، وقد أشبع الكلامَ هنا غاية الإشباعِ، وكشف عن وجهِهِ النقابَ والقناعَ، جزاه الله بإحسانه، و أفاض علينا من مواهب علوم عرفانه، وها أني أحاذي بعض ما قدرت عليه، وألهمت ببركاتِهِ الاهتداءَ إليهِ فأقول: تضمن كلامُه ﷺ أن من واجهه الحق جل جلاله وتقدس عزُّهُ وكمَالُهُ، بتجليات أسمائه الأول والآخر والظاهر والباطن، فليحسِنِ الأدب في تلقيها، ليتِمَّ له المرَامُ من ترقيها، أي أن أولية أزلية الحق لا آخرية تؤدي إلى انقضائها، وحيث لا آخرية تنتهي إليها غايتُها، فليس لتلك الآخرية أولية وليس لتلك الأوليةِ آخريةٌ، هو الأول في آخريته والآخر في أوليته الظاهر في باطنيته، الظاهر الباطن في ظاهريته، فالظاهر بنور وجوده من الخلق هو الحق، والباطن بسر شهوده من الحق هو الخلق، فسبحان من أنعم على خاصة عبيده بشهود نور وجود الحق، في ظلمة عدم الخلق، وتكرم عليهم بمعاينة الخلق في الحق، فلولا ظهورُهُ بعظيم صفاته ما ظهر على ظهر الوجود شيء من مخلوقاته، ولو لا إيجاد مكوَّنَاتِهِ ما ظهر الحق بنور تجلياته، يشهد لهذا قوله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل: (كنتُ كنزاً لَمْ أُعْرَفْ فأحببتُ أن أعرفْ، فخلقتُ الخلقَ لأعرفَ فَبِي عرفوني ﴾[1] أو كما قال.

فقبل إيجادِ المخلوقاتِ كان الله ولا شيءَ معه في الوجود، فيَعْتَرِفَ لهُ بوجودِهِ أو يقر بتوحيده، فنصب الأكوان مَظْهَرًا تشرق عليه شمس الوجود، ويظهر فيه شاهد ومشهود، فأوجد الخلق بعظيم قدرته وسلطانه، و**أفاض** عليهم من نور علمه وعرفانه فعرفوه بتعريفه، فلولا وُجُودُهُ هو ما كان [موجودا][2]، ولولا إيجاد ما كان مشهودا، فلو لا ظهور الحق ما ظهر الخلق، ولولا وجودهم ما ظهر حقٌ، ومع هذا فإنه دلهم به عليه، لأنهم شاهدوه به وعرفوه بتعريفه، فالمؤثر أوجد الأثرَ، والأثرُ دل على وجود المؤثرِ، إذ لا يوجدُ أثر بغير مؤثرٍ ولا يظهر مؤثرٌ بدون أثرٍ، فإن شاهدت نور أولية الحق في الخلق، أغناك عن إدراك انتهاء غاية الخلق، لأن غاية وجودِ الخلقِ جُعِلَتْ مدارِكُ للحق، ومدارك الحق لا تدرك لأنها لا نهاية لها، والمدارك متعلقَاتُ أسمائه المذكورةِ من الأولية و الآخرية والظاهرية والباطنية، وهذه كما علمت اقتضت بمدلولها الأوليةُ التي لا مبدأَ لها، و الآخريةُ التي لا انقضاءَ لهَا، والظاهرية التي لا بطونَ لها، والباطنيةُ التي لا ظهورَ لهَا، هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، الظاهر من كل شيء الباطن في كل شيء، والمخلوقاتُ التي جُعِلت مظهرا لا نهاية لها، فأفعاله التي لم تزل تأثيراتُها لا تزال في هذه الدار وبعد هذه

---

(1) ﴿كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني ﴾قال ابن تيمية: ليس من كلام النبيﷺولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والعسقلاني، لكن معناه صحيح مستفاد من قولهﷻفي سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي ليعرفون كما فسره ابن عباس ﷺ. **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص269. **انظر**: ابن عراق، **تنزيه الشريعة**، ج1، ص148.

(2) موجودٌ.

الدار، كما في نعيم الجنة وعذاب النار، فهل من نهاية لهما، فَمُدْرَكها لا نهاية له، والأولية كذلك لا بداية لها، فتكون انتهاءً لتلك الأولية، فهي مظروفة في آخريته، والظاهرية و الباطنية تَعَلَّقَ كل منهما بما يقتضيه من الملكية والملكوتية ظهورا لا انقضاء له، وبطونا لا انتهاء له لقدم أسمائه وصفاته وبقائها، فكذلك تجلياتُهُ قديمة باقيةٌ لا نهاية لآخريتها ولا بداية لأوليتها، وإذا عجزت عن إدراك مدارك الحق، فأسماؤه التي هي الأول والآخر والظاهر والباطن أولى بالعجز، نعم فإذا نظرت بنور بصيرتك وجدت قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن راجعة لبعضها بعضا، كأنه يقول: هو الأول الآخر الظاهر الباطن، فهي راجعة إلى شيء واحد، فحيث وجدت تجليات الأولية، ظهر في عالمها الثلاثة الأسماء معها وكذلك الباقي فافهم.

فظاهر الخلق هو باطن الحق وباطن الحق هو ظاهر الخلق كما مر، فالظاهر المشاهد من الخلق هو الأول و الباطن منه هو الآخر، فالظاهر شهود والباطن وجود، ظاهريته تدلك على باطنيته و باطنيته تدلك على ظاهريته، وأوليته توصلك لآخريته، و آخريته توصلك لأوليته، فالأسماء متعددة والمسمى واحد، وهي مشتبهة من حيث تداخلها، لأنه لا تنافي بين أسماء الله وصفاته لاتحادها في باطن الحال، ومرجعها للأحد المتعالي، لا أولية له مكيفة حتى توجد له آخرية، ولا آخرية له كذلك حتى تدرك له أولية، فسبحان من تنزه عن مماثلة مخلوقاته، وتعاظم في تعالي تجلياته، وأنعم علينا بفهم رموز إشارة حقائقه التي تضمنتها أسماؤه وصفاته و أفعاله، فكان ظاهرا في عز كماله، واستتر في باطنيته محتجبا بدقيق حكمته، فعجز الخلق من قهرية جلاله.

واعلم يا حبيبي أن مراد المؤلف ﷺ في الأولية و الآخرية والظاهرية والباطنية دقيق، وغزله لاسيما في هذا المحل رقيق، ليس كما يفهم على ظاهر التعبير ولا ما يلوح من صريح التصوير، ولولا إذنه لي في هذا ما حمت حوله، فالعذر مطلوب قبوله، فهذه الاستطاعة على قدر البضاعة، هذا وقد عرفت أن الحق نور وما سواه ظلمة، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[1] وقال في آية أخرى مشيرا لما هنا من حيث المعنى: ﴿ قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾[2] ولم يقل انظروا السماوات، فالظاهرية والباطنية تؤخذ من هنا، ويظهر لك قرب الفهم بمثال بحسب الحال، وذلك الليل والنهار، فالنهار مثال لوجود الحق، والليل مثال لما هو مشاهد من الخلق، فإذا نظرت بنور الوجود إلى ضياء النهار، وجدت الليل باطنا فيه و[مضطَلم][3] تحت قهرية سلطانه، وإذا نظرت لظلمة الليل وجدت النهار باطنا فيه، فلولا ضياء النهار ما وجد ليل، ولولا ظلمة الليل ما تميز ضوء النهار، فالنهار على كل حال ظاهر مظهر، وأولية الحق وآخريته مواجهتان بمقتضى الشهود والظهور عند كل أولية و آخرية، فأولية أزليته ممتدة بلا آخرية، وكذلك آخريته ليست مبتدأة بأولية ولا **مغياة** بآخرية، فالأولية والآخرية أمور نسبية تدل بظاهرها على البداية والنهاية،

---

(1) الآية 35 سورة النور.

(2) الآية 101 سورة يونس.

(3) **كذا**.لا تُوجَدُ كَلِمَاتٌ أو تَعَابِيرٌ مُطَابِقَةٌ أو ذَاتُ صِلَة، لعله مصطلم. **انظر**: ص20، ح7.

وعلى السبقية والتأخر من شيء لشيء، ولا بداية هنا ولا نهاية من أصلهما، فانتفى ما يتوهم من وجود الأولية و الآخرية لغيره، وإن كانت فتكون مسبوقة بعدم أو مختتمة به بخلافهما وصفا للحق، فالغاية منفية رأسا، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما[هو][1] عليه كان؛ قال ابن عطاء الله: (لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها إبصار، لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته)[2]، أظهر كل شيء بأنه الباطن، وطوى وجود كل شيء بأنه الظاهر،.فالظاهر اقتضى بتجليه بطون كل شيء، والباطن اقتضى ظهور كل شيء، فلا ظاهر ولا باطن ولا أول ولا آخر إلا الحق تعالى، ولا نهاية لأثر صفاته التي عبر عنها بالمدارك، لأن مؤثرها لا نهاية له فكذلك آثاره، فافهم. والله اعلم. ثم قال:

خرق عوائد النفس

الحكمة الحادية والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ لمنْ لم يخرقْ عوائِدَ نَفْسِهِ، كَيْفَ يَدَّعِي الوُصُولَ إلى معرفَةِ رَبِّهِ.**

قال الشارح:

عوائد النفس مألوفاتُها، وما اعتادته من اتباع الشهوات والركون إلى اللذات، و الحضوض النفسانية و الأهوية الباطلة الشيطانية، فمن زعم الوصول إلى الله والقرب منه، و التَنَعُّمَ بحضرته والسُكْرَ بخمر أهل محبته، من غير أن يخرق عوائد نفسه ويخرج عن مقتضى ما عليه أهل البطالة من أبناء جنسه، فزعمه باطل، وكذب في دعواه أنه واصلٌ، فالعجب منه في دعواه وهو عبد مملوك في قيود نفسه وشيطانه وهواه، **فهيهات** أن يُكرمَ بالوصول بطال أو ينالَ مراتب نالتها الرجال، لا يعرف الله إلاَّ من عرف حقيقة نفسه، وخرق عوائدها في معناهُ وحسه، وفارق مراداتِها وخرج عن حظوظها وشهواتها، فحينئذ يحق له بفضل الله **الإكرام**، ويجلل بجلائل الإلطاف والإعظام، فيكون ممن دخل حضرة الله على بابها، وقيد الشريعةَ والحقيقةَ بأسبابها، صدق حالهُ ومقالهُ وثبت شهودُه ووصالُهُ، وإن كان مع نفسه ساكنا وتحت أهويتها و مراداتها قاطنا، فما يبرق له من البوارق مما هو للعادات خارقا، يقطع بأنه استدراجات شيطانية و أمكار نفسانية، فاللائق في حقه أن يخافَ ويرغبَ من الله تعالى اللطفَ والصيانةَ، عساه أن يَمُنَّ عليه بإبدال شره خيرا وظلمته نورا، إنه كريم على من صدق **اللجا** إليه، جواد على من صدقت عبوديته لديه، قال ابن عطاء الله: (كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد)[3]، قال ابن عباد: (خرق العوائد بانكشافِ عالَمَ

---

(1) في مخ: ساقطة.

(2) الحكمة الثامنة والثلاثون بعد المائة.

(3) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص306.

القدرةِ، لا يكرمُ الحق به إلا من خرق عوائد نفسه وفني عن إرادة نفسه وحظوظها)[1]، فمن لم يصل إلى هذا المقام لا يطمع فيها، وإنما صورته صورة الكرامة، فينبغي له أن يخاف عند ذلك من **الاستدراج**[2] **والمكر**، ولا يحبُّ ذلك ولا يطلُبُه، فإن أحبه وطلبه فهو دليل على بقائه مع إرادته وحظوظه وعاداته، فكيف تُخْرَقُ العوائد لمن هذه عادته على سبيل الكرامة، وهل هذا إلا محال لا يستقيم، قال الشاعر:

تكونُ مريدا ثم فيك إرادةٌ * إذا لم تُرِدْ شيئا فأنت مريدُ

الحكمة الثانية والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **وَياَ عجباً من عبدٍ يفتقرُ لمعدومٍ ويستغني عن موجودٍ، لا تفتقرْ لمفتقرٍ وتستغني عَنْ غَنِيّ، فإنَّ الافتقارَ لمفتقِرٍ كعبادةِ وَثَنٍ.**

قال الشارح:

الله موجود وما سواه في الحقيقة معدوم، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[3]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[4]، وقال ﷺ: ﴿ أصدق كلمة قالتها الشعراء: ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطل

---

[1] **انظر**: المرجع السابق، ص306 .307.

[2] في اللغة استدرجه:خدعه حتى حمله على أن يفعل ما يريد؛ استدرج الله ﷻ الرجل: أمهله ولم يعجل عذابه، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين. وفي الاصطلاح الصوفي: يقول الإمام القشيري: الاستدراج: هو أن يريد الشيء، ويطوي عن صاحبه وجه القصد فيه، ويدرجه إليه شيئا بعد شيء حتى يأخذه بغتة.وعند الجرجاني هو: أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى، وقريبا من العقاب تدريجيا. وعند الشيخ أحمد بن عجيبة: كمون المحنة في عين المنة. وقد عرفها الشيخ القرضاوي بأنها: أخذ النعمة من المستدرج شيئا فشيئا وهو لا يشعر. وقيل: هو ما يكون على يد فاسق خديعة له ومكرا به، إذ يتم تضليل الشخص القائم بالفعاليات الخارقة، من خلال الإيحاء له بشكل غير مباشر، أن نجاح الفعاليات التي يمارسها إنما هو دليل على صحة المبدأ والهدف المعين الذي من أجله تمارس هذه الفعاليات، ويحصل ذلك بمساعدة أرواح سفلية شريرة لممارستها. وقيل: هو كل ما يظهر على يد مدعي الولاية، مع عدم الاستقامة. ومن صور الاستدراج ما ذكره الشيخ أحمد الرفاعي بقوله: إن الله تعالى ربما يزين أعداءه بلباس أوليائه وأصفيائه، حتى أنهم يغتروا بصفاء الأوقات، ويحسبون أنهم من أهل ولايته، فهذا من الله استدراج، وربما يزينهم بالعز والجاه والرياسة والمنزلة عند الناس، حتى يغتروا بثناء الناس ومحمدتهم، ويحسبون من أهل فضله، فهذا أيضاً من الله استدراج لهم. وكذلك ربما يزينهم بأنواع لطائف الحكمة، فيغترون بحسن بلاغتهم وكمال فهمهم وفطنتهم، ويحسبون أنهم أحاطوا بكل حقيقة علماً، فهذا لهم من الله استدراج. وربما يزينهم بلباس النعمة، ويغرقهم في أنواع النعم، فيغترون بحسن تجملهم وطيب عيشهم، ويحسبون أنهم على شيء من الله، فهذا لهم من الله استدراج، ولا يتركهم حتى يردهم إلى حقيقة معلومة. وفي الفرق بين المكر الاستدراج يقول الشيخ أبو بكر الشبلي: المكر في النعم الباطنة، والاستدراج في النعم الظاهرة.وكما يقع الاستدراج على الأولياء والعارفين، يقع على العلماء، والمجتهدين، والمذنبين، والمريدين. راجع: موسوعة الكسنزان، ج8، ص23-31.

[3] الآية 88 سورة النور.

[4] الآية 26 سورة الرحمان.

﴾[1]، فهلاك السوى وفناؤه وبطلانه عند أهل الحقيقة والشهود، وإن كان بمقتضى ظاهره في عالمَ الوجود، فإذا عرفتَ أن ما سواه معدوم، فمالك والافتقارَ لهُ والاعتمادَ عليهِ، واللَّجا عند مس الحاجة إليه، وحَطِّ رحالِ الاضطرارِ والفاقةِ لديه، فالعجب منك كيف يقع منك الافتقارُ لمفتقر مضطرٍ لا يقدر على شيء، وتستغني عن غني موجود قادر على كل شيء، فاحتياجك إلى غير مولاك وافتقارك له عبودية لذلك الغير، والحق لا يرضى بعبوديتك لغيره، قال ابن عطاء الله: (ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا، وهو لا يرضى أن تكون لغيره عبدا)[2]، فالافتقار للغني أولى، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[3]، وقال: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ﴾[4]، فهو المعطي والمانع والضار والنافع، فارفع **همتك** عن غيره وتوجه بقلبك لإكرامه وبره، و الالتفاتُ إلى غيره عند أرباب القلوب إشراك، ومالَهُ في سلطان ملكه من اشتراكٍ، قال ابن عطاء الله: (ربما دلهم الأدب على ترك الطلب...)[5]، فهذا طلب منهم لسيدهم، حصل لهم الحياء وحملهم الأدب على تركه، فكيف لا يستحي من له أدنى معرفةٍ أن يرفع حاجته إلى مخلوق سواه، قال ابن عطاء الله: (ربما استحى العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته، فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى أحد من خليقته)[6]، وقال: (لا تتعدى نية همتك إلى غيره، فالكريم لا تتخطاه الآمال)[7]، قال الأستاذ **أبو علي الدقاق**[8]: (من علامة المعرفة أن لا تسأل

---

(1) تم تخريجه في الحكمة رقم:9. البيت للشاعر لبيد بن ربيعة العامري، وهو:

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطل * وكُلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

(2) الحكمة العاشرة بعد المائتين.

(3) الآية 15 سورة فاطر.

(4) الآية 38 سورة محمد.

(5) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج2، ص28.

(6) **انظر**: المرجع السابق، ج2، ص67.

(7) **انظر**: المرجع السابق، ج1، ص138.

(8) قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في كتابه **الكواكب الدرية في تراجم الصوفية** ما ملخصه: الحسن بن علي الأستاذ أبو علي الدقاق النيسابوري الشافعي، لَسِنُ وقته وإمام عصره، كان فارها في العلم متوسطا في الحلم، محمود السيرة مجهود السريرة جُنيدي الطريقة سِرَيُّ الحقيقة، برع في الأصول وفي الفقه وفي العربية حتى شدت إليه الرحال في ذلك، ثم سلك في العمل وسلك طريق التصوف وأخذ عن النصر أباذي. قال الغزالي: وكان زاهد زمانه وعالم أوانه. من كلامه: من سكت عن الحق شيطان أخرس. وقال: من علامة الشوق تمني الموت على بساط العوافي كيوسف لما ألقي في الجب ولما أدخل السجن لم يقل توفني، ولما تم له الملك والنعمة قال: توفني. وكان كثيرا ما ينشد:

أحسنتَ ظَنَّكَ بالأيامِ إذْ حَسُنَتْ * ولم تُخْفِ شَرَّ ما يأتي به القَدَرُ

وسالمْتكَ الليالي فاغترتَبها * وعند صفوِ الليالي يحدثُ الكدَرُ

ومن كلامه: من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه لأنه خضع له بلسانه وأركانه، فإن اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله. وقال في قوله ﷻ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾، اذكروني وأنتم أحياء أذكركم وأنتم أموات تحت التراب، وقد تخلى عنكم

حوائجك قلت أو كثرت إلا من الله سبحانه، مثل موسى عليه السلام اشتاق إلى الرؤية فقال: رب أرني أنظر إليك، واحتاج مرة لرغيف فقال: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير).

حكاية: ذكر الإمام أبو القاسم القشيري﵁، أن بعض الفقراء كان يأتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما يطوف ما شاء الله، ويخرج من جيبه رقعةً ينظر فيها، فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات، فجاء بعض من يرمقه، ونظر في الرقعة فإذا فيها فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا، فكأَنَّ الرَّجُلَ أصابتْهُ فاقةٌ فصبر ولم يُظْهِرْ حَالَهُ لمخلوق حتى مات[1].

حكاية أخرى: وقيل لبعض الفقراء نراك حافيا لم لا تسأل نعلا يقيك الحفا، فقال: [مدامس][2] بالحبال وحبس عين الشمس بالعقال، ونقل ماء البحر بالغربال، أهون علي من موقف السؤال، و ارتجائي من المخلوقين النوال، ثم أخرج القائل له من باب المدينة وأنهاه إلى صخرة منقورة، فإذا عليها مكتوب، كُلْ من كَدِّ يمينك وعرق جبينك، ذكره ابن عباد [3]. وبالجملة **فكمياء** الأكياس الاستغناء بالله عن الناس. ثم قال:

الحكمة الثالثة والثلاثون

قال ﵁:

- **اخرُجْ من سجنِ وُجُودِ فَقْرِكَ وَدَعْوَاكَ إلى فَضاءِ غِنَى رَحْمَةِ رَبِّكَ وَمَوْلاَكَ، والبَسْ حِلباباً من التقوَى، واتركْ هواكَ لمنْ خلقكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ في أَيِّ صُورةٍ ماَ شاءَ رَكَّبَكَ.**

قال الشارح:

الأقارب والأحباب والأصحاب. وقال: البلاء الأكبر أن تريد ولا تراد وتدنو فترد إلى الطرد والإبعاد. وأنشد عند قوله ﷻ: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾.

جُنّنَّا بليلى وهي جُنَّتْ بغيرنا * وأخرى بنا مجنونةٌ لا نريدها

وقال الشيخ أبو المظفر القشيري حدثنا والدي الأستاذ أبو القاسم رحمه الله قال: كنت في ابتداء وصلتي بالأستاذ أبي علي، عقد لي المجلس في مسجد المطرز فاستأذنته وقتا للخروج إلى نيسابور فأذن لي وكنت أمشي معه يوما في طريق مجلسه فخطر ببالي ليته ينوب عني في مجالس أيام غيبتي فالتفت إلي وقال: أنوب عنك أيام غيبتك في عقد المجلس، فمشيت قليلا فخطر = ببالي أنه عليل يشق عليه أن ينوب عني في الأسبوع يومين فليته يقتصر على يوم واحد في الأسبوع، فالتفت إلي وقال: إن لم يمكني في الأسبوع يومين أنوب في الأسبوع مرة واحدة، فمشيت قليلا فخطر ببالي شيء ثالث فالتفت إلي وصرح بالأخبار عنه على القطع. وكان الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله لا يستند إلى شيء، توفي سنة 405 هـ. **انظر: شذرات الذهب**، ج3، ص180. **راجع: البداية والنهاية**، ج12، ص13. **انظر**: ابن عساكر، **تبيين كذب المفترى**، ص226.

[1] **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج2، ص68.

[2] في حج: لمس.

[3] ذكره بالمعنى. **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج2، ص68.

الافتقار لغير الله سجن العسر، والغنى بالله فضا اليسر، ودعوى الإنسان أن مقدوراته تحصل بأسبابه عين الخسر، فالفلاح والفوز في الرضى، والتفويض والصبر وتقوى الله في الخروج عما سواه، فالذي أنعم عليك بالإيجاد وسواك على أحسن مرادِ، عدلك في التركيب والتصوير وأمدك بالألطاف والتقدير، ضَمَّنَ هيكلك الإنساني من أوصافه العلية، فكنت درة العوالم العلوية والسفلية، فاجعل تقواه أجمل ثيابك، والغنى به أعظم أسبابك، واترك مرادك في مراده، واختيارك في اختياره وتدبيرك في تدبيره، فإن جميعَ ما هو منك يكون سجنا لك، فالذي أوجد الخلق أمد بنعمه ورزق، فالراحة في ترك الاهتمام ثقة بما سبق [أمام][1]، وسيأتي الكلام في التقوى مستوفى، عند قرب المناجاة إنشاء الله. ثم قال:

الحكمة الرابعة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **اخْرِقْ عَوائِدَ النَّفْسِ تُخْرَقُ لَكَ عوائدُ الحِسّ، واتْرُكِ التَّفَكُّرَ في الحظُوظِ بالأمسِ، يُشْــرِقْ في قلبكَ أنوارَ المقاماتِ الخمسِ.**

قال الشارح:

خَرْقُ المربي عوائدَ نفسه وخروجُهُ عن حظوظها وشهواتها، والإعرَاض عن جميع مراداتها نتيجة الإكرام له من الله تعالى، بانكشاف عَالَمِ القدرةِ وظهوره على مكنونات مُغَيَّبَاتِهِ في معناه وحسه، فيشاهد بفضل الله العجائب ويطلع على الغرائب، لأنه لما خرق عوائد نفسه و أخرجها من تحت ظل هواها، لاطفه مولاه بخرق العادات، وأجرى على يديه صحيح الكرامات جزاءً وفاقا، فلا تخرق العوائد لمن لم يخرق من نفسه العوائد، و إن وقع على غير ذلك فلا يومن غالبا من المكر والاستدراج كما مر ويأتي نحوه، فإن خَرَقْتَ عوائدها بالرياضة والمجاهدة، وكنتَ مكابدا لها محاسبا مراقبا، تخلتْ عند ذلك من ذميم أوصافها، واتصفتْ بحميدها، وأَعْظَمُ ماَ يُكْرَمُ به حصول الاستقامة، ومعها لا حاجة للكرامة، وإن تركت أيضا التفكر في حظوظها النفسانية وشهواتها الحيوانية، ولم يكن قلبُكَ مشغولا بما [هو][2] ماض من أحوالك وما هو آت، أَشْرَقَ في ملكوت قلبك أنوارُ الخمس مقامات، واحتمل قوله: المقاماتُ الخمسُ، أن تكون الصلواتُ الخمسُ، فيكتسب في كل صلاة يصليها أنوار القرب من ربه جل جلاله، فلا يزال له التقرب كما قال ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل: ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ﴾[3]، وأَجَلُّهاَ الصلاةُ كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[4]، فإقامتها حفظُهَا

---

(1) كذا في مخ، وحج.

(2) في مخ: ساقطة.

(3) ذكر سابقا في الحكمة رقم 24.

(4) الآية 45 سورة العنكبوت.

وصيانتُهَا مما يناقضُهَا، فيصدق عليه عند أدائها أنه ممن قال الله فيه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[1]، والصلاةُ مقامٌ و أي مقامٍ، لأنها محلُّ الوقوف ومناجاةُ الحق تعالى كما قال ﷺ: ﴿ لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل ﴾[2]، أي ما التفت إلى غير من يناجيه؛ ويحتمل الخمس مقامات من السبع المعهودة في الطريق الخلوتي، أي بقصد عدم اعتداده بالمقام الأول لأنه محل ظلمات الأغيار، ولأن بعضهم لا يعتد به مقاما ولا يسمى عنده مقاما، إلا ما كان يكسبه بما تقتضيه الرياضة والمجاهدة، وهذا مقام لعموم الناس، والثاني لقربه من الأول لأنه مقام تلوين، وهو دني بالنسبة لما بعده لا محالة، فاعتبر مقامات الكمال بداية ونهاية، وهذا الاحتمال أقرب والله أعلم. ثم قال:

الحكمة الخامسة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **لاَ تجتهدْ في المطلوبِ منهُ بَلِ اجتهِدْ في المطلُوبِ منكَ، لا ترغبْ فيماَ تُريدُهُ منهُ بلْ ارغَبْ فيماَ يُريدُهُ منكَ، الرغبةُ والاجتهادُ جُندانِ مُصطَفَانِ، إنْ قُمْتَ فِيهِمَا بما أَقَامَكَ الله نُصِرْتَ وأَصابَ رَأْيُكَ وكَانَ سَعْيُكَ مَشْكُورًا، وإلاَّ خابَ أَمَلُكَ وكَانَ سَعْيُكَ مَثْبُوراً.**

قال الشارح:

تكفل الله لعبيده بمصالحهم الدنيوية، وكلفهم بأداء حقوقه الدينية،فالأحق عليهم الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة فيما طلبه منهم، كما أنه يحق عليهم أن يرغبوا في تحصيل ما أراده منهم، لا فيما طلبوه منه وأرادوه، كما قال: خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك، وخير ما تريده منه ما أراده منك، فاجتهادهم ورغبتهم فيما أراده منهم، وطلبه عين السعادة، ومآله إلى شكر السعي والحسنى والزيادة وبذل الوسع والطاقة منهم فيما فيه مرادهم ورغبتهم، مما هو مقدر لهم مقسوم ومضمون لهم محتوم، قادح في عبوديتهم، إذ من حق العبد أن ينصح لسيده بالمبادرة في حقوقه، والمسارعة لها من غير أن يلتفت إلى الأشغال التي تلهيه عنه أو يكرهها منه، وقد تكفل له سيده بمصالحه بأجمعها، وكلفه بخدمته بقدر وسعه، فوقوفه في مصالح نفسه ورعايته لحظوظه، قادح فيه كما هو مشاهد في الحس من أبناء الجنس، فكيف بالحق والخلق، ومع هذا فما طلبه الحق وأراده منا، نفعه بأجمعه عائد إلينا، كيف وهو الغني عن كل ما سواه، فحتم علينا من أوامره ما يعود نفعه علينا، أخذ منا ليهب لنا فله الحمد.

---

(1) الآية 40-41 سورة النازعات.

(2) لم أقف عليه.

واعلم أن الرغبة والاجتهاد في عالم الأرواح والشهود، جندان عظيمان مدركان بعين **البصيرة**[1]، مصطفان مهيآن لنصرة المرء لأحدهما، فإلى أيهما مال وقعت الغلبة ورجحت القوة، لكن إن كان قدومه على المرغوب منه والمجْتَهَدُ فيه لله بالله نصر على أعدائه الباطنة و أصاب عين الصواب وكان سعيه في حركاته و سكناته مشكورا لكونه اجتهد في المطلوب منه ورغب في المراد على مقتضى مراد الحق منه، وإن قمت في نصرة الضد وعملت على مقتضى ما فيه مرادك و مطلوبك دون مراد الحق و مطلوبه منك كنت خاذلا للجندين المطلوبين منك قائما في أداء حقوق شهواتك النفسانية و مراداتك الحيوانية، ولم تحز منها إلا المحتم المقدور، مع أنك ألقيت نفسك في غرور، قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾[2]، وقال على لسان نبيه ﷺ: ﴿ عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾[5]، قال ابن عطاء الله: (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك)[6].

فالاجتهاد والرغبة في مراد الحق عين الفلاح، وفيما هو مضمون للخلق تحصيل حاصل، لا يؤدي إلى سداد ولا يفضي إلى صلاح، قم بحقوقه يقم بحقوقك، نعم وقد يلوح لك من قول كلام المؤلف جندان..الخ، إنهما جندان لا غير (1)[7]، بل مراد الحق و مطلوبه من الخلق في ناحية عن يمين القلب، ومطلوب الخلق ومرادهم في ناحية عن شماله، وكل منهما طالب للنصرة، وأنت خبير بأن الله قال: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[8] فافهم. ثم قال:

العلم والفهم والعبادة

---

(1) .البَصِيرَةُ عَقِيدَةُ القلب. قال الليث: البَصيرة اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقيق الأَمر؛ وقيل: البَصيرة الفطنة، تقول العرب: أَعمى الله بصائره أَي فِطَنَه؛ وفي حديث ابن عباس: أَن معاوية لما قال لهم: يا بني هاشم تُصابون في أَبصاركم، قالوا له: وأَنتم يا بني أُمية تصابون في بصائركم. وفَعَلَ ذلك على بَصِيرَةٍ أَي على عَمْدٍ.وعلى غير بَصيرة أَي على غير يقين.وفي حديث عثمان: ولتَخْتَلِفُنَّ على بَصِيرَةٍ أَي على معرفة من أَمركم ويقين.البَصيرة: الثبات في الدين. **انظر**:ابن منظور،**لسان العرب**، ج4، ص65.

(2) الآية 20 سورة الحديد.

(3) **انظر**: أبي نعيم الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصبهاء**، مج4، ص27.

(4) الآية 20 سورة الشورى.

(5) الآية 19 سورة الإسراء.

(6) الحكمة الخامسة.

(7) (1) .الوجه هو كذلك .فمراد. (كذا في الهامش من النسخة الحجرية)

(8) الآية 7 سورة محمد.

الحكمة السادسة والثلاثون

قال ﷺ:

- **لاَ تَجعلْ عِلْمَكَ عِلمَ الحظُوظِ فَتُحْرَمَ الفَهْمَ فيهِ عنِ الله، وخَيْرُ العِلْمِ العلمُ بِالله، وخيرُ الفَهْمِ فيهِ عنِ الله ولله.**

قال الشارح:

نهى المؤلف ﷺ عن أن يقصد بالعلم غير الله، من الحظوظ النفسانية والرياء والمباهاة و**الفخر**[1] **والخيلاء**[2] والتعاظم والتعالي به عن الغير، فإنه والحالة هذه ليس بعلم، كما سيذكره المؤلف، فخير العلم ما نفع، وذلك العلم بالله، وهو النور المحمدي والميراث النبوي، وخير الفهم ما **تُلُقِيَّ**[3] عن الله وكان مرجعه إلى الله، والعلم بالله هو ما قارنته الخشية منه والسكينة والوقار، قال ﷺ: ﴿ تعلموا العلم وتعلموا مع العلم **السكينة** و**الوقار**﴾[4]، وقال: ﴿ خير العلم ما قارنته الخشية ﴾[5]وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[6]، إلى غير ذلك من الآي والأحاديث.

وخير العلم العلم بالله وصفاته وأسمائه، لكن به يحصل الهدى والنور الذي تنشرح به الصدور، فتنبعث الجوارح إذ ذاك إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وبقدر المعرفة به يكون الأدب معه و**الوجل**، ولذلك نرى أحوال المتعبدين مختلفةً، وما ذاك إلا لكون معارفهم [متباينةً مختلفةً][7]، أولها خوف ورجاء،

---

(1) الفخر في اللغة هو التباهي، وقد وردت مادتها في القرآن الكريم 5 مرات على اختلاف مشتقاتها، منها قوله تعالى:﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. يعرفها الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله بقوله: الفخر هو الصولة على من هو فوقك. ويقول الشيخ أبو جعفر القايني في هذا الصدد: سمعت والدي يقول: إن الرجال يفخرون بأربعة أشياء، لكنهم لا يعرفون معناها، وهي: الحسب والغنى والعلم والورع. وقد ظنوا أن الحسب شرف النسب، والحسب هو الخلق الطيب، وظنوا أن الغنى كثرة المال، والغنى هو غنى القلب. والعلم نور يلقيه الله في قلب العبد. والورع هو الامتناع عما حرم الله. **انظر**: **موسوعة الكسنزان**، ج17، ص244-246.

(2) وفي التنزيل العزيز:﴿ إن الله لا يُحِبُّ كل مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾؛ فالمخْتال: المتكبر؛ قال أَبو إسحق: المخْتال الصَّلِف المتَباهي الجَهُول الذي يَأْنَف من ذوي قَرابته إِذا كانوا فقراء، ومن جِيرانه إِذا كانو كذلك، ولا يُحْسن عِشْرَتَهم ويقال: هو ذو خَيْلة أَيضاً؛ وفي الحديث: من جَرّ ثوبه خُيَلاءَ لم ينظر الله إِليه؛ الخُيَلاء والخِيَلاء، بالضم والكسر: الكِبْر والعُجْب، وقد اخْتال فهو مُخْتال.**انظر**: لسان العرب، ابن منظور، ج11، ص228.

(3) أي.ما كان فتحا من الله.

(4) روي عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ:﴿تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تعلمون منه ﴾رواه الطبراني في الأوسط. **انظر**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج1، ص114، حديث9.

(5) **انظر**: **سنن الدارمي**، مقدمة 29،60 باب من قال العلم الخشية وتقوى الله.

(6) الآية 28 سورة فاطر.

(7) في مخ: **مختلفة متباينة**.

ثم قبض وبسط، ثم هيبة وأنس، ثم جمالٌ و**جلال**، فلا يزال العالم بالله يترقى في درجات العلم به، والفهم عنه، والمعرفة له والقرب منه، حتى يكونَ فانيًا باقياً، فهذا والحمد لله هو العلم النافع، لا مجرد العلم بالأحكام مع إهمال ثمرته، وهي الاتباعُ الكفيل بفضل الله لصاحبِه بالانتفاع، قال ابن عطاء الله: (العلم النافع الذي يبسط في الصدر شعاعه، ويكشف به عن القلب قناعه)[1]، وقال: (خير العلم ما كانت الخشية معه)[2]، وقال: (العلم إن قارنته الخشية فلك وإلاَّ فعليك)[3]، وسيأتي للمؤلف مزيد بيان لما تقدم. ثم قال:

الحكمة السابعة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **لاَ تَجعلْ عِبادتَكَ عبادةَ المنتظِرِينَ، إنْ أُعطُوا تَعَبَّدُوا و إنْ مُنِعُوا تَدَبَّرُوا.**

قال الشارح:

الناس في عبادة المولى جل جلاله علىأحوال، فمنهم من يعبده ويتقيه على وجهِ **الخوفِ** منه والرغبةُ فيما عندَهُ، فهذا حال الأبرار، ومنهم من يقصد بعبادته التقرب منه والتحبب له ونيل مرضاته وهذا حال المقربين، والفرق بين الفريقين جلي، وأحوالُ كلِّ فريقٍ مختلف، والمطلوب من الجميع الخروج من قصد ما يناقض العبوديةَ المحضةَ، فكل غرض من الأغراض غير الله تعالى حرف، فإذا وضع العابد قدمه في سبيل الله، وجمع همته في حسن التوجه إليه، وصحب التأدب معه، فلا ينبغي له أن يجعل نصب عينيه جزاء عاجلا أو آجلا، لأنه والحالة هذه أجير، إن أعطي أجره ازداد في الخدمة والنصيحة وكان في عبادته ذا **قريحة**، وإن منع من ذلك **تدبر** حالُه وتغير وقته ومآله، لفوت ما قصده من الحظ النفساني، الذي كان يراقبُه ويخدُم لأجله، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾[4]، وكل ما سوى الله حرف، وأي حرف لأن الباري جل وعلا غيور، فإذا نظر في قلب عبده ووجد فيه انتقاش صورة كونية، وإن كان بالنسبة لبعض العموم حسنة، لا يرضى بذلك ولا يحب له أن يقف على ما هنالك لأنه عبدُ قَصْدِهِ وهواه، قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾[5]، فخير العبادة ما يبتغى بها وجه الله تعالى، قال ابن عطاء الله: (لا تطلب أجرا على عمل لست له فاعلا.)[6] وهو كذلك، لأن الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وطلبك الجزاء على عمل لم تعملْهُ

---

(1) الحكمة الحادية والثلاثون بعد المائتين.

(2) الحكمة الثانية والثلاثون بعد المائتين.

(3) الحكمة الثالثة والثلاثون بعد المائتين.

(4) الآية 11 سورة الحج.

(5) الآية 23 سورة الجاثية.

(6) الحكمة الثانية والعشرون بعد المائة.

غرض ردي، فمن تمام فضله عليك أن خلق ونسب إليك، فاحمده أن جعلك من أهل خدمته، واشكره أن مَنَّ عليك بوصف أهل قربته. ثم قال:

الحكمة الثامنة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **العلمُ والفهمُ والعبادةُ صُوَّرٌ وأَرواحُهاَ الإخلاصُ وهو روحُ الأعمالِ، وَرُوحُ الإخلاصِ الغَيْبَةُ فِيهِ.**

قال الشارح:

الأعمال من حيث هي كائنة ما كانت صور قائمة، ولابد للصور من أرواح، إذ لا تتم صورة بدون روح، وأرواح الأعمال وجود الإخلاص فيها، وهو تصفية العمل من شوائب العلل، وإخلاص كلُّ أحد على قدْر حاله، وبحسب مقامه كما مر، وأيضا فلابد للإخلاص الذي هو روح الأعمال، من روحٍ يكملُ بِهِ حالَهُ، وما ذاك إلاَّ خلوصه من شائبة الخطر الكامنة فيه، وهي رؤيَتُهُ، أي شهود المخلص أنه مخلص، فروح الإخلاص الغيبة فيه عن شهوده وعدم استشعار وجوده، يشهد لما قدمته قوله ﷺ: ﴿ الناس هلكى إلا العالمون و العالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر ﴾[1]، أو كما قال، فبان بهذا الحديث أن ثمرة العلم العمل، وثمرة العمل الإخلاص، وثمرة الإخلاص سلامته من الخطر، وما هي إلا في الغيبة عنه، والخروج منه بالتبري من رؤية الحول والقوة والتحقق بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، وكيف لا تكونُ رؤية الإخلاص خطرا وفيه رؤية النفس بأَنَّ لها نسبةً في إيجاد[3] العملِ والإخلاصِ فيهِ، وهذا مناقض للعبودية أيضا، ولا يخفاك أن رؤيةَ النفس تستدعي عيوبا، كالرياء والعجب وحب المدح والسكون إلى الخلق وغيرها، وهذا عين الإعراض عن الحق، فكان خطرا لتشعب علله وعظم خلله، فالواجب على السائرين إلى الله أن لا يحطوا رحالهم إلا في مَحَالِّ الأمن من الخطر، وأن لا يجعلوا مثواهم إلا فيما صفا من شوائب الكدر. ثم قال:

حقيقة الأسباب

الحكمة التاسعة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

---

(1) **انظر**: الزبيدي، **اتحاف السادة المتقين**، 495/8.

(2) الآية 96 سورة الصافات.

(3) بمعنى جعله يجده بنفسه لا بربه.

- **لا تتوهمْ أَنَّ الأسبابَ مُوَصِّلَةٌ للمُسَبِّبِ، بَلْ الأَسْبابُ شُرِعَتْ للتفويضِ، إِنْ صَحَّ التفويضُ صَحَّ السَّبَبُ وإلاَّ فالسَّبَبُ سَلْبٌ، وَمَنْ تَوَهَّمَ وقال بِسُنِّيَّتِهِ فَليفَوِّضْ فِيهِ الأَمْرَ لمالِكِهِ، فمنْ لم يُعجبهُ التَّوَكُّلُ والتفويضُ فَأَجْرُهُ عَلَى مُوجِرِهِ.**

قال الشارح:

تكلم الناس في التوكل، وكل قال فيه على قدر حاله، عن سهل ابن عبد الله أنه قال: (علامة المتوكل ثلاثة: لا يسأل، ولا يرد، ولا يحبس)، وعنه أيضا أنه قال: (أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي مولاه، كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير)[1]، قيل **لحاتم الأصم**[2]: (من أين تأكل، فقال: ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون). واعلم أن التوكل محله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي توكل القلب، بعد تحقق العبد أن التقدير بيد الله سبحانه، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر شيء فبتيسيره، روي أن رجلا جاء إليه ﷺ على ناقة له فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل، فقال: ﴿ أعقلها وتوكل ﴾[3]، سئل ابن عطاء الله عن حقيقة التوكل فقال: (أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها)، وشرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشبي: (هو طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية، فإن أعطي شكر و إن منع صبر)[4]، إذا عرفت هذا علمت أن المؤلف ﷺ قصد بهذه الجملة معنى ما تقدم في التوكل، يقول إياك وتوهم أن للأسباب مدخلا في جلب نفع أو دفع ضر، أو أنها ذريعة لحصول أمر من الأمور، بحيث أن تقولَ بقلبك لولا وجودُها ما حصل، فهذا

---

(1) **انظر**: الرسالة القشيرية، ج1، ص416.

(2) حاتم الأصم من أهل بلخ بخرسان، عرف بالزهد واشتهر بالورع، صاحب مواعظ وحكم، أسند الحديث، قدم بغداد في أيام أحمد ابن حنبل واجتمع معه، قيل لما دخل بغداد اجتمع إليه أهلها فقالوا: أنت رجل أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى؟ فقال: معي ثلاث خصال بها أظفر على خصمي، أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا أخطأ، وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه. فبلغ ذلك أحمد بن حنبل، فقال: سبحان الله ما أعقله من رجل. وقال: لي أربع من النسوة وتسعة من الأولاد فما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم، وقال أبو بكر الوراق: حاتم الأصم لقمان هذه الأمة، قيل: جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسألة فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت، فقال لها حاتم: ارفعي = صوتك، وأرى من نفسه أنه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت: لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الأصم. ومن أقواله: ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول له: آكل الموت وألبس الكفن وأسكن القبر. وقال: لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه، وكلامك يعرض على الله تعالى فلا تحترز. قال: تعهد نفسك في ثلاث مواضع، إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك. **انظر**: ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج4، ص161. **انظر**: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج2، ص26.

(3) رواه الترمذي عن أنس وقال غريب؛ والبيهقي وأبو نعيم وابن أبي الدنيا عن أنس أنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قالﷺ: ﴿اعقلها وتوكل﴾ يعني الناقة. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1،ص161 .

(4) أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص418.

توهمباطل لا أثر له أصلا، بل الأسباب واقعة على وفق مراد مسببها كائنة ما كانت، ولا تَوقُّفَ للمسبب على وجود السبب، بل الأمر واقع بسبب أم لا، غير أن هذه الأسباب جعلها الحق تأنيسا لضعفة العقول من الخلق، ممن حجب عن شهود جريان المقادير بالحق، إذ من الخلق من هو قوي ومنهم من هو ضعيف، فضعيف عباده تمسك بسبب ضعفه، واعتمد على ما عاينه مما جرت الحكمة الإلهية بوقوعه عند حصول عنديته، فالمسَبَّبَاتُ واقعة عند الأسباب لا بها، لتخلفها عن الأسباب تارات وحصولها عندها أخرى، فلو كانت بالأسباب ما تخلفت عنها، فلما رأينا أنها تقع مرة وتتخلف أخرى، علمنا عدم تأثير السبب في المسَبَّبِ تحقيقا، فيجب على ذلك الضعيفِ اعتقاده خروجا عن مذهب القدرية، **مجوس هذه الأمة** كما علمت، وأما قوي العبيد فرأى ببصر بصيرته نفي التأثير بالكلية، وارتفعت رؤيته عن رؤية الأسباب إلى شهود مسببها، فكان يرى أن المتصرف في الأشياء هو الحق، القادر المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فتوكل إذ ذاك عليه وفوض الأمر فيما سن وشرع من الأسباب إليه، تحققا بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَأَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[1]، وبقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[2] فتوكل عليه إذ ذاك حق التوكل، ورأى أن ما يعالجُه من الأسباب اتباعا للسنة التي سنها ﷺ حيث قال: ﴿ السبب سنتي والتوكل حرفتي ﴾[3]،فأخذ منه الضعيف مشرب قوله سنتي فكان في ضمن قوله ﷺ: ﴿ طوبى لمن كانت فترته إلى سنة ﴾[4]، وأخذ القوي مشرب قوله: ﴿ التوكل حرفتي ﴾[5]، فورث منه حرفَتَهُ تعلقا بقوله ﷺ: ﴿ المؤمن القوي عند الله خير من المؤمن الضعيف ﴾[6]، كما ورث ذلك الضعيف السنة وسلك بها على جادة ضعفه اعتمادا على ظاهر قوله: ﴿ السبب سنتي ﴾[7]، ولم يطمح بصرُه إلى لُباب السنة التي هي حرفته ﷺ، التي هي **قراره** وعليها في كل الأحوال مداره، فلما أن تمسك هذا القوي بالحرفة تيسر له حصول السنة، فكان آخذا بكلا الأمرين، فادخل التوكل على الله والتفويض للفاعل المختار، على السبب الجاري على وفق ما اقتضته أيدي الأقدار، قال ﷺ: ﴿ لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا ﴾[8]، وقد علمت أن الطير لا تسبب لها في شيء أصلا، حتى أنهم قالوا تطير من غير قصد لها لمحل معلوم تريده، وإنما هي طائرة حتى تحل حيث أراد الله دون مراد منها، وهذا

---

(1) الآية 64 سورة الواقعة.

(2) الآية 17 سورة الأنفال.

(3) لم أقف عليه.

(4) لم أقف عليه.

(5) لم أقف عليه.

(6) عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز و إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾. **انظر**: **صحيح مسلم**، ج8، كتاب القدر ص56.

(7) لم أقف عليه.

(8) **انظر**: **سنن الترمذي**، ج4، كتاب الزهد، باب 33، حديث2344، ص573.

حالها، فإذا كان ذلك كذلك، فالتمثيل بالطير في الحديث يشير إلى التوكل الخاص كما هي عليه، فيصح التوكل ممن اتصف بصفاتها خارجا عن التدبير والاختيار، متحركا بيد مجاري الأقدار، فمثل هذا الدنيا كُلَّهَا له دارا، كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: ﴿ الدنيا دارُ من لا دار له. ﴾[1]، وفي معنى آخر يقتضيه باطن الحديث، لأنه في معنى أن من خرج من الدنيا بقلبه وأعرض عنها بخالص لبه، كانت له دارا ومسكنا وقرارا، [فحيث][2] يضع قدَمَه ذلك المحلُّ دَارَهُ فافهم.

نعم والسبب كما تقدم لا يُوجَدُ مُسَبَّب بوجوده ولا ينعدم بانعدامه، فقد يحصلُ الوجودُ مع الوجودِ، والوجودُ مع العدمِ، و العدم مع الوجود، فحينئذ قصور الهمم عن تتبع الأسباب أولى اتكالا على ما سبق، قال ابن عطاء الله: (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار)[3]، إذا عرفت هذا علمت أن حصول المسببات بفعل الله وإرادته لا مدخل للأسباب فيه، بل هي واقعة عندها لا بها، فمن توكل على الله حق توكله وفوض أمره إليه كانت حقيقةً محضةً، ومن أدخل التوكل والتفويض على أسبابه، فقد مزج الشريعة بالحقيقة وهي حالة محمودة، لأنها لا تنافي مقام التوكل بل هي عمل بالطرفين، ومن عرَّى سَبَبَهُ عن التوكل والتفويض فأجره على الله، ومصيبته جرت له من نفسه، لأنه دخل الأمر على غير بابه، وعلق مقدورات القادر بحادث أفعاله وأسبابه، فحكمة جعل الأسباب للإيناس وسكون اضطراب ضعفة عامة الناس. ثم قال:

الحكمة الأربعون

قال رضي الله عنه:

- **لا تجعلِ الدنياَ أكبرَ هُمومكَ لأنها أهونُ على الله من أدنىَ أُمُورِكَ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ الله في السراءِ وإليهِ مَرجِعُكَ في الضَرَّاءِ.**

قال الشارح:

جعل الله تعالى هذه الدار قنطرة للعبور عليها إلى الدار الآخرة، ولأجل أن يتزود المرء منها لآخرته فهي كالوسيلةِ، والمقْصِدُ الآخرةُ، كالوضوء ليس مرادا لنفسه بل للصلاة، لاسيما وقد وصفه الله جل جلاله بما يوجب نَقْصَهَا وضعة قدرها وقلتها، وأنها دارُ غرور، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[4]، وقال: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى﴾[5]، وقال بعد وصف

---

(1) **انظر: مسند الإمام أحمد**، ج7، ص104. حديث السيدة عائشة رقم:23898.

(2) في مخ: حيث.

(3) الحكمة الثالثة.

(4) الآية 39 سورة غافر.

(5) الآية 77 سورة النساء.

زينة الدنيا وشهواتها: ﴿ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1] إلى غير ذلك من الآي، وقال ﷺ: ﴿ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا جرعة ماءٍ ﴾[2]، وقال ﷺ:﴿ منذ خلق الله الدنيا لم ينظر إليها ﴾، وقال ﷺ: ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما ﴾[3]، وفي رواية إلا ما كان فيها لله، وقال عيسى ابن مريم: ﴿ الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها)[4]، وقال سيدُنا **علي ابن أبي طالب** ﷺ وكرم وجهه: (لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى، لكان على العاقل أن يؤثر ما يبقى على ما يفنى) فكيف والأمر بالعكس.

هذا وإن هذه الدار عرفت بالفناء وتوالي **الأكدار**، وتعاقب الحوادث والأشرار، فلا تصفو منها ساعة بل ولا لحظة، لمن ميز حالها وحقق نقلتها وزوالها، فمن كانت هذه حالَه كيف يُهتم بشأنه، أم كيف يصرف النظر إليه **ويعتكف** العاقل عليه، بل الواجب عليه أن يجعل اللهَ هو أكبرَ همومه، ولا يسكن في هذه الدار إلى غيره، ولا يعرف إلا إياه، فإن واجهه فيها بإنعامه شكره على ذلك ليقيده بزمامه، وإن امتحنه ببلاء رجع إليه بالاضطرار، وتعلق إليه بالاستكانة والاحتقار، فلا يزال مراقبا لمولاه سراء وضراء، فلا تخلو عن هذين الأمرين ولا تعرو عن هذين الوصفين، فإن أُفِيضَتْ على المرء **سوابغُ** النعم، خَشِيَ من مكر مولاه وتقلبها بالنقم، وإن أُرْخِيَتْ عليه ستور المصائب والأكدار، قابل ذلك **بالسكون والاصطبار**، ورجا انجلاء ظلامه، ولا يسوءُه طولُ مُقامه، فَعَمَّا قليل فَجْرُ فَرَجِهِ طالع، وظلام شدته **منجل هالع**، ولا تسمح نفس زكت أحوالها، إلى شيء ذمه ولعنه ربها، ولم ينظر إليه منذ خلقه، بل لا يطيب قراره إلا فيما فيه رضاه، ولا يعرف من الوجود سواه، قال ابن عطاء الله: (وأنه لابد لهذا الوجود أن تهدم دعائمه، وأن تسلب **كرائمه** فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى..)[5]، أشرق نوره وظهرت تباشيره فصُرف عن هذه الدار **مُغْضَيًّا**، وأعرض عنها **مُوَلِّيًّا**، فلم يتخذها **وطنا** ولا جعلها سكنا.

وفي بعض الآثار أنه ﷺ مر على **سخلة** ملقاة ومعه بعض أصحابه، فقال لهم: ﴿ أتدرون لم طرح هذه أهلها، فقالوا: يا رسول الله: لهوانها عليهم، فقال: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها ﴾[6] أو كما قال. ولو لم يكن فيها إلا هذا الحديث لكان كافيا في ذمها ومهيجا على الزهد فيها، ومعرفا **بخستها** ودناءة قدرها، فمن عاش فيها حذرا **فطنا** مشمرا على ساق جده، باذلا جهده بوسعه **وكده**، بذر فيها

---

(1) الآية 14 سورة آل عمران.

(2) روي على عدة وجوه. **انظر: سنن ابن ماجة**، ج2، حديث4110، كتاب الزهد، ص1377. **انظر**: ابن حجر، **المطالب العالية**، ج3، حديث3172، ص173.

(3) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب14، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب.

(4) **انظر**: ابن قتيبة،**عيون الأخبار**، مج2، ج6، كتاب الزهد، ص328.

(5) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج2، ص200.

(6) **انظر: سنن الترمذي**، كتاب الزهد، باب 13، حديث2321، حديث حسن.

من صالح أعماله، وجهد رغبة من صفو أحواله، ذاق من نعيمها ألذ مذاق، وأمن **الفزع** يوم يكشف عن **ساق**، فيا له من كيس دان نفسه بالمحاسبة، وعمل لما بعد الموت على وجه المراقبة، سعد بالفوز والرضا، ولم يلاقه عتب ولا ندم على ما مضى؛ وأما من نظر إلى ظاهر **غرتها** قادته ببهجتها إلى الاغترار، وصرفته عن باطن حقيقتها محلَّ الاعتبار، فضيع عُمُره في **خذْ وهاتِ**، ولم يتفكر فيما مضى ولا ما هو آت، لم يحصد من مزرعة دنياه إلا الندامة، ولم يذق من طعمها لذة ولا كرامة، فما أعجَبَهُ من عاجز متبع هواه، وهل مع **البطالة** والتضييع يعطى مناه، وهل هو إلا مسكين دنياه، إلا أن يتفضل عليه بمحض جوده مولاه، فالدنيا مزرعة الآخرة، فمن يزرع خيرا يحصد رغبة، ومن يزرع شرا يحصد ندامة، فالزهد فيها كما قال ﷺ: ﴿ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تتعب القلب والبدن ﴾[1]، ومع هذا فإن رغبَتَهُ فيها تحجُبُهُ عن الآخرة، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له، ورغبته في الآخرة تحجبه عن الله و تأتيه الدنيا وهي صاغرة، ومن رغب في الله رفعه عنهما إليه، وجعل الدارين طوع يديه، فاختر أيها المحب ما شئت، فأنت له عبد فما يحب لك ربك إلا رشدا. ثم قال:

آفة الرضا عن النفس

الحكمة الواحدة و الأربعون

قال رضي الله عنه:

- **ومن أعجبِ العجبِ أن تكونَ عن نفسكَ راضياً وعن رِضَى رَبّكَ مُغْضَيًّا، إنْ أَرضيتَ نَفسكَ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وإن أسخطتَ نفسكَ أرضيتَ رَبَّكَ، الرِّضَى عَنِ الله في عينِ سخطِ النفسِ وِحْدَةٌ، والرضَى عن النفسِ في عينِ سخطِ الله كَثْرَةٌ، إنِ استوحشْتَ من النفسِ شاهدتَ الوِحْدَةَ، وإن استوحشتَ لَهَا شاهدتَ الكثرةَ، فالوِحْدَةُ تُغني عَنِ الكَثْرَةِ، والكثرةُ لا تُغْني عَنِ الوِحْدَةِ، والكثرةُ والوحدةُ ميزانَانِ بِأَيِّهِماَ رَجَحْتَ أَقَمْتَ.**

قال الشارح:

جعل الله تعالى هذا الهيكل الإنساني معدِنا للخير والشر، وهيأه للنفع والضر، وضمَّن **كورة** عالمه لطيفتي النفس والروح، فكَأَنَّ برزخ الروح عالما علويا، وبرزخ النفس عالما سفليا، فإن زجفي عالم الأنوار العلوية كان روحانيا، وإن هوي في سجين ظلمات كدرات الطبائع السفلية كان نفسانيا، فما غلب عليه من العالمين سمي به ونسب إليه، وعمل بمقتضى ما اشتمل عليه، فإن سرى بسره في العالم العلوي الروحاني، كانت أوصافه حميدةً ربانية، وإن هوى به في ظلمات الطبيعة وأُسري به في ليل القطيعة، اكتُسِيَ بأردية

---

[1] رواه القضاعي عن ابن عمر وورد بألفاظ أخر. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص532. **انظر**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج4، ص157.

الأوصاف النفسانية، **واحتوشته زبانية** الأهوية الشيطانية، فلا يزال في أسرهم **ووثاقهم**، مقيدا بسلاسل مخالفتهم ونفاقهم، إلا إذا منت عليه أيدي الألطاف فيُرْجَعُ به إلى سبيل الإنصاف، إذا عرفت هذا الفرق بين عالمي الروح والنفس، فالعجب منك كل العجب كيف ترضى عن نفسك **الماكرة النكارة**، أو تسكن تحت سجين صخرتها، وإنها لخبيثة أمارة، شأنها الميل إلى الراحات والشهوات، ودأبها التخلق بالأخلاق المذمومات، تهيجها أرياح الأهوية الباطلة، وتحرك سفينة عزمها الدعاوى الكاذبة، شأنها التولي والإعراض لطلب الحظوظ السفلية و**الأغراض**، ربها يطالبها بإقبالها عليه ويعاملها بالإحسان كي ترجع إليه، ويزعجها بأسواط الامتحان ليرقيها من حال إلى حال ويلبسها مواهب الإجلال، ومع هذا فهي عن أنعمه الظاهرة والباطنةِ موليةٌ مدبرةٌ هاربةٌ، تسير القَهْقَرَى خلودا لأرض طبائعها الكاذبة، إن وافقتها واتبعت **هواها**، وصدقتها في دعواها، ونظرت إلى وجه محاسنها بعين الرضى، أسخطت ربك بمخالفتك له و إدبارك عنه، وكنت مغضيا لبصر بصيرتك عن عيوبها، رضى مولاك في عين سخطها وسَخَطُهُ في عين رضاها، لخبثها بعدم الإصغاء لرشادها، ربك يدعوك إلى الخروج عنها والترقي من عالم كثرتها إلى وحدانيته، [وهي على العكس، فوحشتك من كثرتها دليل أنسك بوحدانيته][1]، واستيحاشك لها بالميل إلى مألوفاتها وعوائدها، دليل انخراطك في سلك حيواناتها وشهود كثرتها، و**التهافت** في ظُلمات حيرتها، فشهود عالم كثرتها حجاب ظُلْمَانِيٌّ عن نور وجود وحدانيته، وشهود جمال جلال صمدانيته، وشهود شمس وحدانية الحق، مغن عن شهود كثرة الخلق، فمقامك حيث أقامك، إن رجحت كفة الوحدانية كنت بها، وإن رجحت الكثرة النفسانية أقمت فيها، فالروح تقودك بأزِمة النور إلى علوي عالمها وشهود نور باريها، والنفس تسحبك بسلاسل شهواتها و أغلالها إلى سجين أهويتها و**أنكالها**، وتوحشك من وحدته بكثرة مألوفاتها، وتوقعك في أبحر **تلف** عاداتها، إن أنست بها استوحشت [منه وإن استوحشت][2] منها أنست به، فالرضى عنها أصل كل شر، والسخط عنها أصل كل خير، قال ابن عطاء الله: (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة و يقظة وعفة عدم الرضا منك عنها)[3].

وبالجملة: فالرضى عنها موجب لحسن الظن بها، وستر عيوبها و التغافل عن قبائحها، وعدم الاهتبال بما صدر منها والنصرةُ لها، وتمكينُها من حظوظها وعدم الرضى عنها موجب لكشف عيوبها واتهامها وتفقد أحوالها وعدم النصرة لها، فالغفلة عن أحوالها تلقيه في **مفاوز** شهواتها، وهي تَعرضُه لأن تفترسَهُ **سباع** مراداتها، وذلك يفرق وحدانية وجوده في تفرقة شهود كثرتها، فيكونُ برزخه عياذا بالله في سجين و أسفل **سافلين**، **واليقظة** تطلعه على خبايا عيوبه وتذهب بليل قطيعة ذنوبه، فتشرق عليه شمس

---

(1) في حج: العبارة ساقطة.

(2) في حج: العبارة ساقطة.

(3) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج/1، ص/132.

حضرة القدس[1]، وتخلع عليه أردية الهيبة والأنس فيكون والحمد لله متوجا بتاج العزة والجلال، متجملا **بوشاح** العظمة و**الجمال**، أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين و الصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وأولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، مَنَّ الله علينا بما به مَنَّ عليهم، ولا حرمنا مما به أكرمهم إنه جواد كريم، فبان لك أن مآل أمرِ عدم الرضى عن النفس اليقظة، وهي توجب الوحشةَ من الغير، وهي رأس كل خير، والرضى عنها موجب للغفلة، المؤدية للأنس بالأغيار الموثرة لمآثم الأحزان و الأكدار، قال ﷺ: ﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾[2]، فهم نيام الغفلات، فلو ماتوا عن أنفسهم وخرجوا عن أهويتهم لانتبهوا وانتفعوا بيقظتهم، وفي هذا كفاية لمن عقل أو ألقى السمع وهو شهيد، ولو لا خشية الإطالة لسقنا في هذا المحل ما **يَثْلُجُ** له الصدر، ويَعْذُبُ بحلواته **الصَّبْرُ**. ثم قال:

الحكمة الثانية والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **إنْ قَنعتَ بعلمكَ ورضيتَ عن النفسِ فأنتَ جَاهِلٌ، وإن لم تقنعْ بعلمكَ وأَسختَّ نفسكَ فأنتَ عالِمٌ، عِلمُكَ مع عدمِ الاتباعِ جهلٌ، وجهلُكَ مَعَ اتباعِ الأمرِ علمٌ، ماَ العلمُ مَعَ اتباعِ الهوَى بعلمٍ، ولا الجهلُ مع اتباعِ الأمرِ بِجَهْلٍ، إنْ أَرَدْتَ أَنْ تَخْرُجَ عَنْ جَهلكَ، فاصحَبْ مَنْ لاَ يَرضَى عَنْ نَفسهِ ويُريدُ منكَ ما يُريدُهُ لِرَبّه.**

قال الشارح:

العلم النافع هو العلم بالله وأسمائه وصفاته، وهو يبعث بنوره على العمل به، والتأدب بآدابه، والاتباع لما شَرَعَ وبين في سنته ومحكم كتابه، وذلك يقتضي الوقوف عند حدوده والدخولَ في ربقة تكاليفه وقيوده، وهو يفضي إلى تنوير القلب والبصيرة بالعيب، وكشف ما حجب من الغيب المزيل بكرم الله غيهب الشبهات و**الريب**، فليس مجردُ العلم مقصودا لذاته، بل هو وسيلة إلى العمل به، والعمل مقيد بالاتباع، ليحصل به كمال الانتفاع، فتنوير الباطن ينتج معرفة خبائث النفس، فيوجب تصفيتها في المعنى والحس،

---

(1) حضرة القدس: مصطلح صوفي يقصد به بسط الأنس، محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والملاطفة. وقيل: شهود المعاني الملكوتية. ويعبر عنها أيضا بالفتح. يقول أبو العباس التجاني عن الحضرة القدسية هي: ((في غاية الصفاء لا تقبل التلويث بوجه من الوجوه، فإن دخلها غاب عنه الوجود كله فلم يبق إلا الألوهية المحضة، حتى نفسه تغيب عنه، ففي هذا الحال لا نطق للعبد ولا عقل ولا وهم ولا حركة ولا سكون ولا رسم ولا كيف ولا أين ولا حد ولا علم، فلو نطق العبد في هذا الحال لقال: لا إله إلا أنا سبحاني ما أعظم شأني،لأنه مترجم عن الله ﷻ)). **انظر**: موسوعة الكسنزان، ج6، ص 31-32، مرجع سابق.

(2) هو من قول علي كرم الله وجهه.**انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص353. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص432. **انظر**: الألباني، **السلسلة الضعيفة**، ص102.

وعدم الرضى عنها في كل أحوالها، واتهامها و التبري من حولها وقوتها في سائر أعمالها، حتى تدخل في قيود العبودية، وتستسلم لقهرمان أحكام الربوبية، فلا نسبة لها إذا في علم ولا عمل، وبهذا تنقطع عنها مواد الشرك ودواعي العلل، فالقانع بمجرد العلم مع الرضى عن النفس وغض الجفون عن عيوبها جاهلٌ، وغير القانع بمجرد العلم حتى يضم إليه ثمرة العمل مع السخط عن النفس واتهامها وتتبع عوراتها عالم، فالاتباع للأوامر والنواهي علم، وترك الاتباع والعمل بالعلم جهل، وإن كان العامل في الواقع جاهلا وغير العامل في الواقع عالما، فلا جهل مع الإتباع ولا علم مع عدمه، فإن أردت أيها المحب الخروجَ من ظلمات جهلك وتنادي أنك بالواد المقدس، أرم بنعلك فاصحب من الإخوان في الله من لا يقع منه الرضى عن نفسه، ولا ركون له إليها في معناهُ وحسه، ولا يريد منك بصحبته لك إلا ما يريده منه مولاه، ولا يرغبك في شيء سواه، إن ظفرت به فاسلم أمرك إليه واعتكف بكليتك عليه، واحفظ خزائن أسرارك لديه، قال ﷺ: ﴿ من ظهرت عدالته وجبت أخوته ﴾[1] أو كما قال. فما العلم مع الرضى عن النفس بعلم يهتدى به، ولا الجهل مع السخط عنها بجهل لا يبالى به، بل هذا عين العلم وذلك عين الجهل، ففائدة الصحبة بشرط الانقياد والاقتداء، وبذلك يحصل الإمداد والاهتداء، وهذا منه ﷺ شروع في الصحبة.

حقيقة الصحبة

الحكمة الثالثة والأربعون

قال ﷺ:

- **لا تصحبْ مَنْ لاَ يُحَسِّنُ لَكَ الفضائلَ ولا يُقَبّحُ لَكَ الرَّذَائِلَ، واصْحَبْ مَنْ يُرِيكَ قُبْحَ أَفعاَلِكَ ويُحَقّرُكَ حُسْنَ أَفعالكَ، والصاحبُ من لاَ يرضَى لغضبكَ ولا يغضَبُ لرضاَكَ، واصحبْ من يرضَى في عينِ الغضبِ ويغضبُ في عينِ الرّضَى.**

قال الشارح:

أشبع المؤلف ﷺ الكلام على الصحبة غاية الإشباع قصد التحري [فيمن][2] يقع بصحبته الانتفاع واجتناب ضده، وسَنُنَبّهُ في كل محل بما يقتضيه الإمكان، فأقول ومن الله أرجو بُلُوغَ المأمول: الصحبة عندهم في هذا الطريق أمر أكيد، حتى كاد أن لا يتم سفر مريد إلا به، ولا يَنْتُجُ سعيُ مستفيدٍ إلا بِأَحْكَامِ أدبه، قال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَمَعَنَا﴾[3]، وقال حكاية عن ابتداء حال كليمه موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام، هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا إلى آخر القصة،

---

(1) لم أقف عليه.

(2) في مخ: من.

(3) الآية 40 سورة التوبة.

وعنه ﷺ أنه قال: ﴿ متى ألقى أحبائي. فقال أصحابه: بأبينا أنت وأمنا أولسنا أحباءك، قال: أنتم أصحابي، أحبائي قوم آمنوا بي ولم يروني أنا إليهم بالأشواق [لاكثر][1]﴾[2].

والصحبةُ على ثلاثة أقسام صحبةٌ على من فوقك: وهي في الحقيقة خدمةٌ؛ وصحبةٌ مع من دونك: وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة وعلى التابع بالوفاق والرحمة؛ وصحبة الأكفاء والنظراء: وهي مبنية على الإيثار والفتوة. فمن صحب شيخا فوقه في الرتبة فأدبه ترك الاعتراض عليه وحمل ما يبدو منه على وجه جميل، وتَلَقِّي أحوالَهُ بالإيمان به، فإذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك في حق الصحبة أن لا تنبهه على ما فيه نقصان في حالته؛ صحب رجل **إبراهيم بنَ أدهم**[3] فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل: أو رأيت في عيبا فنبهني، فقال إبراهيم: إني لم أَرَ بك عيبا لأني لاحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك ما رأيت، فسل غيري عن عيبك. وفي معناه أنشدوا:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما أن عينَ السُّخط تبدي المساويا(4)

قال **الكتاني**[5]: صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا فوهبت له شيئا ليزول ما في قلبي فلم يزل، فحملته إلى بيتي وقلت له ضع رجلك على خدي ففعل، واعتقدت أنه لا يرفع رجله من خدي حتى يرفع الله من قلبي ما كنت أجده، فلما زال من قلبي ما كنت أجده، قلت له: ارفع رجلك الآن؛ قيل **لذو**

---

(1) كذا. زائدة في الحديث الوارد (لأكثر) .

(2) عن أنس قال قال رسول الله ﷺ:﴿متى ألقى أصحابي ؟ متى ألقى أحبابي، فقال بعض الصحابة: أو ليس نحن أحباؤك؟ قال: أنتم أصحابي، ولكن أحبابي قوم لم يروني و آمنوا بي أنا إليهم بالأشواق ﴾. **راجع**: المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج12 و 14، 34583 و 37913.

(3) إبراهيم بن أدهم البلخي، كان من أبناء الملوك والمياسير، ولد بمكة وطافت به أمه على الخلق وسألت الدعاء له أن يكون صالحا، خرج متصيدا فأثار ثعلبا وإذا هو في طلبه هتف به هاتف: ((والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت))، فنزل عن دابته وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبته فلبسها وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه، ثم دخل مكة ثم الشام لطلب الحال، وكان يأكل من عمل يده، صحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض، وتوفي بالجزيرة في الغزو، وحمل إلى صور مدينة بساحل الشام على ساحل البحر فدفن بها سنة 161هـ، وأسند الحديث، قال إبراهيم لشقيق: ((علام أصلتم أصولكم؟ فقال: إذا رزقنا أكلنا و إذا منعنا صبرنا، فقال إبراهيم: هكذا كلاب بلخ إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت، إنا أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا حمدنا وشكرنا)) . **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص5. **انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص27.

(4) **انظر**: أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج3، ص57.

(5) أصله من بغداد، صحب الجنيد والخراز. والكتاني نسبة إلى عمله، هاجر إلى مكة ومات بها مجاورا سنة 322هـ، من أقواله أنه نظر يوما إلى شيخ أبيض الرأس واللحية يسأل، فقال: هذا رجل أضاع حق الله في صغره فضيعه الله في كبره. **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص166.

النون[1]: من أصحب، فقال: من لا تكتمه شيئا يعلمه الله منك، وقال بشر ابن الحارث: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار؛ أوحى الله إلى موسى عليه السلام: كن يقظانا **مرتادا** لنفسك **أخدانا**، وكل من لا يواتيك على مسرتي فارفضه ولا تصحبه، فإنه يقسي قلبك وهو لك عدو، وأكثر من ذكري تستوجب شكري والمزيدَ من فضلي؛ قال أبو بكر الطمستاني: (اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبتكم إلى صحبة الله عز وجل). من رسالة القشيري ملخصا[2].

فقد بان لك بهذا أن كلام المؤلف يحوم في الصحبة إلى صحبة من هو فوقك، فهي مشيخة أو قريب منها، وسيأتي الكلامُ على المشيخة مُصَرَّحًا بها، والصحبة لها دليل من الكتاب وقد مر، ومن السنة من حيث المعنى ما ورد عنه ﷺ أنه قال: ﴿ لو يعلم الناس في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بالليل وحده ﴾[3]، فإذا كان السفر الحسي بهذه المكانة، فالسفر المعنوي في ظلمات الأغيار أشد احتياجا وأحق في طلب الإعانة، وقال ﷺ: ﴿ التمسوا الرفيق قبل الطريق ﴾[4] أو كما قال، بل لا بد للمسافر في سبيل التقرب إلى الله تعالى من دليل ناصح، عرف السبيل واطلع على خباياه، وسلكه وعلم سهله ووعره، واستفاد نفعَهُ وضَرَّهُ، و أدرك خيرَهُ وشره، كما أنه لابد له من زاد وهو التقوى، وراحلة وهي الهمة، ورفقاء وهم إخوانه الطالبون مطلبه، وسلاح وهو ما يأمره به رفيقه ودليله من الأسماء ويصفه له من نافع الدواء، ولا بد له من **الإذعان** له والتسليم، واتباع أمره ونهيه، والانقياد لحكمه وعدم البحث عن أحواله، واعتقاد أنه أعرف بالله من أهل زمانه، وليحذر الاعتراض عليه لا باللسان ولا بالقلب، فإذا عثر على هذا الترياق فليشمر بالجد على ساق، ويبذل في معاملة الظاهر والباطن وسعه ما أطاق، وليقل بخالص عزمه لهمته السباق السباق.

ومعنى كلام المؤلف رضي الله عنه، (لا تصحب في سفرك من كان غشاشا، لا يحسن لك العمل بالفضائل، ولا يقبح لك ما ذم من قبيح الرذائل)، قال ﷺ: ﴿ من غشنا فليس منا ﴾[5]، كان من شرط الصحبة النصيحة وخلوص المحبة الصحيحة، فمن لا يرغبك في التحلي بالفضائل، ولا يحملك على التخلي من

---

(1) أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصري الصالح المشهور أحد رجال الطريقة، كان أوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا، وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن الإمام مالك، وكان أبوه نوبيا وقيل من إخميم، شيخه في الطريقة شقران العابد، توفي سنة 245هـ بمصر ودفن بالقرافة الصغرى. **انظر**: ابن خلكن، **وفيات الأعيان**، مج1، ص315.

(2) **انظر**: الرسالة القشيرية، ج2، ص461.

(3) **انظر**: مسند الإمام أحمد، ج2، ص210، حديث5556.

(4) رواه الطبراني في الكبير وابن أبي خيثمة والعسكري في الأمثال والخطيب في الجامع. وكلها ضعيفة لكن بانضمامها يقوى فيصير حسنا لغيره، وفي قوله تعالى حكاية عن آسية من سورة التحريم: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ما يشير للجملة الثانية في الحديث ((.. والجار قبل الدار)) . **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص204.

(5) انظر: **سنن الترمذي**، كتاب البيوع 12، باب74، حديث1315. وهو حديث حسن صحيح.

الرذائل فليس بصاحب، ولتصحب من **زكت**[1] نفسه وصلح معناهُ وحِسَّهُ، استنارت بنور المعرفة بالله بصيرته، وصَحَتْ من سحب الآثار الكونية سريرته، **صقلت** مرآة قلبه، وامتزجت محبتك له **بزلال** حبه، ترى في صقيل مرآته ما في باطنك من العيوب، فتشتغُل بتنقيتها وتتنصل من الذنوب، تبصر به علل الرياء و الإعجاب، فتحتقرَ أعمالَكَ وتستصغر أحوالَكَ، وتعمَلَ على تمزيق الحجاب، والصاحب من لا يرضيه غضبك ولا يغضبه رضاك، بل يرضى لله ويغضَبُ لله، فما فيه رضا الله يرضيه وما فيه غضبُهُ يغضبُهُ، ولا يراعي ظواهر الأمور، والصاحب من يغضب في عين موجبات الرضا ويرضى في عين موجبات الغضب ويرضى في عين الرضا ويغضب في عين الغضب على ما اقتضاه الحال، فما كان فيه نفع مريده يعمل عليه، لأن الناس مختلفوا الحال ومتباينوا القلوب، فمنهم من إذا رأى من أستاذه الرضا عنه في أعماله وأحواله يضره ذلك لطمأنينته به، وسكونِ نفسه إليه فيقع له الرضا عن نفسه وهو داء عضال، فهذا وإن حسنت حاله وصلحت لله أعماله دواؤه في الإعراض عنه، و إظهار عين السخط له ليحتقر أعمالَه ويستصغر أحوالَه فيزداد نشاطُه ويشتد مع الله ارتباطُه، ومنهم من كان حالُه بالعكس بأن كان يعمل بموجبات الغضب عنه، وظهرت لإمَامِهِ أمارات التقصير منه، ومع هذا إن أحس منه بالغضب والإعراض يتولد في باطنه **الكسل** أو **القنوط** وذلك من أعظم الأمراض، فدواؤه إظهار الرضا عنه والانبساطُ في وجهه بقصد إيلافه واجتلابه، عساه أن يتلافى حالَه بصالح اكتسابه، ومنهم من يُصْلِحُهُ وقوع الأمر على ظاهره الرضا في عين الرضا والغضب في عين الغضب لقرب طبائعهم من التصفية وسهولة بواطنهم للتزكية.

وقد شاهدنا من المؤلف ﷺ معاملة المريدين بجميع هذه الأحوال، كل بما يناسب حالَه، القوي يعامله بحسب ما تقتضيه قواه، والضعيف على قَدْرِ ضعفه، ولا يعرف منه باطن حاله إلا أرباب القلوب بخلاف غيرهم، فلا يفهمون له غضبا ولا رضا ولا يجعلون له معنى صحيحا، بل ينكرون عنه بعض الأحوال على مقتضى ما يظهر لهم بديهة، بحسب ذوق أمزجتهم الفاسدة والعياذ بالله، وإلا فهو مراعي للأليق و الأصلح، وهذه أحواله ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون على تخلفي بعده ومفارقتي في هذه الدار وَفْدَهُ، فياليتني مت قبل هذا وكنت فِدَاءَه، ويا طول حزني على بقائي وراءَه، ولكن كلٌّ آت قريبٌ فأفوزُ باجتماعي بالحبيب. ثم قال:

الحكمة الرابعة والأربعون

---

(1) الزَّكاةُ الصلاحُ.ورجل تقيٌّ زَكِيٌّ أي زاكٍ من قوم أَتْقياء أَزْكِياء، وزَكَّاه الله، وزَكَّى الرجل نفسَه إذا وصفها وأَثنى عليها.والزَّكاةُ زَكاةُ المال معروفة، وهو تطهيره،.وقوله تعالى: وتُزَكِّيهم بها؛ قالوا: تُطهِّرُهم. وقيل: الزَّكاةُ صفوةُ الشيء.قال تعالى: خيراً منه زَكاةً؛ أَي خيراً منه عملاً صالحاً، وكذلك قوله ﷻ: وحناناً من لدُنَّا وزَكاةً؛ قال: صلاحاً. في قوله ﷻ: ولولا فضل الله عليكم ورحمتُه ما زَكا منكم من أَحد أَبداً ولكن الله يُزَكِّي من يشاء؛ وقرئ ما زَكَّى منكم، فمن قرأَ ما زَكا فمعناه ما صلح منكم، ومن قرأَ ما زَكَّى فمعناه ما أَصلح، ولكن الله يُزَكِّي من يشاء أَي يُصلح، وقد تكرر ذكر الزَكاةِ = والتَّزْكِيةِ في الحديث، وأَصل الزَكاة في اللغة الطهارة والنَّماء والبَرَكةُ والمِدْح وكله قد استعمل في القرآن والحديث. **انظر**: ابن منظور،**لسان العرب**، ج14، ص358.

قال رضي الله عنه:

- **صُحبتكَ لجاهلٍ ساخطٍ عن نفسهِ خيرٌ من صُحبتِكَ لعالمٍ راضٍ عن نَفْسِهِ.**

قال الشارح:

تقدم أن أصلَ كل خير السخط عن النفس و أن أصلَ كل شر الرضى عنها، وحينئذ إذا وجدت أيها المريد إنسانا بصيرا بعيوب نفسه ساخطا عنها في معناهُ وحسه، مع أنه غير عالم بالأحكام ولا في العلوم الشرعية بقدوة ولا إمام، فاصحبه وانْتَمِ إليه وَعُضَّ بنواجذ باطنك عليه، أولى لك وأحق بالصحبة من عالم مطلع على الأحكام الشرعية، متبحر فيها مع جهله بعيوب نفسه و إهماله لها، لا يأمرها بمعروف ولا ينهاها عن منكر، تقوده بزمام شهواتها حيث أحبت، فصحبة هذا العالم الذي رضي عن نفسه لا فائدة فيها، فلتحذره كل الحذر، فالركون إليه يعود بشر لسريان الطباع، والتخلق بأخلاق من طال لك معه اجتماع، فلما كان للصحبة تأثير في التخلي والتحلي، رَغَّبُوا في صحبة من بَصَّرَهُ الله بعيوب نفسه، وكان ساخطا ليستفيد منه من صحِبَهُ من أحواله، كما حذروا من صحبة من كان جاهلا بعيوب نفسه، راضيا عنها، لئلا يكتسب منه من صحِبه مثل ما هو من داء الرضا عن النفس، فهو كالمجذوم يجب الفرار منه وإن كان عالما في ظاهر حاله، كما يجب الدنو من غيره وإن كان جاهلا في ظاهر حاله، بل العلم المعتبر العلم بالله كما تقدم، وقد عرفت أن من عرف نفسه عرف ربه، أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، ومعرفة النفس بأوصافها معرفة لله بأوصافه، فحينئذ لا علم مع جهل النفس ولا جهل مع معرفتها، وخير الفريقين من كان عارفا بالوجهين.

ومراد المؤلف ما إذا وجدت عالما راضيا عن نفسه، وجاهلا ساخطا عنها، فمن تصحب منهما، وقد مر قريبا ثمرة هذا، وكلام المؤلف صريح في أن الصحبة وسيلة للانتفاع بمداواة الصاحب لمصحوبه، ومن كان مريضا لا يستطيع مداواة نفسه فهو عن مداواة غيره أعجز، قال ابن عطاء الله: (لأَنْ تصحبَ جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه...)[1]، فأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه، و أي علم لعالم يرضى عن نفسه، ثم بين ثمرة العلم بقوله:

الحكمة الخامسة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **العالِمُ بالأحكامِ مَعَ تَرْكِ العَمَلِ بِمقتضـاَهاَ جاهلٌ من حيثُ هو، والجاهلُ بالأحكامِ مَعَ العملِ بِمقتضَاهَا عالِمٌ من حيثُ هو .**

---

[1] **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج1، ص137.

قال الشارح:

تقدم له غيرَ ما مرة أن ثمرة العلم العملُ بمقتضاهُ، الذي هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي، فالعامل بمقتضى لسان العلم عالم و إن كان في غاية الجهل، والعالم بالأحكام مع تركه العمل بما اقتضاه علمه جاهل وإن بلغ في العلم غايةً، فلا علم ولا جهل، إذ مدار الأمر على الاتباع فهو العلم على الحقيقة، إنما يخشى الله من عباده العلماء، وأنت خبير بأن الشريعة أقوالُه ﷺ، والطريقةُ أفعاله، والحقيقة أحوالُه، فمن عرف أقوالَه و أهمل اتباع أفعالِه فقد أهمل نفسه عن **الجادة**، فالشريعة زاد مُبَلِّغٌ للطريقة، فمن لا زاد له لا يستقيم له سفر، ومن له زاد ولم يسافر به فقد فاتته آثارُه ﷺ، لأنه لم يَسْلكْها، وأخلاقُه التي هي الحقيقة أحرى بالفوت مع إهمال العمل، فالعلم وسيلة للعمل، والعمل وسيلة للتخلق بأخلاقه ﷺ، وإن مَن الله على بعض عبيده، اختارهم لقربه من غير علم، فكانوا عاملين، الله **يجتبي** إليه من يشاء ويهدي إليه من **ينيب**. ثم قال:

الحكمة السادسة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **الصاحبُ اثنانِ صاحبٌ يُرَغِّبُكَ في الله وصاحبٌ يُفَكِّرُكَ في الملاَهِي، نِعْمَ الصَّاحِبُ مَنْ إِذَا رَأَيْتَهُ ذَكَّرَكَ رَبَّكَ وإذا تكلمَ على الله دَلَّكَ، وَبِئْسَ الصَّـــاحِبُ مَنْ إِذَا رَأَيْتَهُ لِلْحُظُوظِ ذَكَّرَكَ وَإِنْ تَكَلَّمَ في الملاَهِي فَكَّرَكَ.**

قال الشارح:

انحصرت الصحبة على ما ذُكر في شخصين وارتبط حكمها بوصفين، فمن لاحت عليه لوائح الأنوار و أشرقت في باطنه شموس المعارف الربانية والأسرار، أُلقي على ظاهره رداءُ المجاهدة، وعلى باطنه إزار المشاهدة، كانت سِمَتُهُ تذكر في الله وترغيبك في آلائه ونعماه، انصبغت ظواهره بقرب الفرائض والنوافل، فصار مرآه ومشاهدة ذاته تذكرةً للغافل، كيف لا والحق تعالى يقول على لسان نبيه ﷺ: ﴿ ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ﴾[1] الحديث، وفي بعضها كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا؛ فمن لبس خِلَعَ قرب النوافل، و فنت صفاته واضمحلت مكوناته في صفات مولاه، وما بقي له في الوجود والشهود سواه، صار حقا في حق، فإذا تخلى عبد من عبيده بالفناء عن صفاته الذميمة، وتحلى بالبقاء بصفات مولاه الحميدة، كان إذ ذاك لا يقابله غافل إلا تيقظ، و لا ساه إلا تذكر، ولا معرضٌ إلا **ازدجر**، قال في الرحمانية:

---

[1] **انظر**: **صحيح البخاري**: رقاق38. **راجع**: أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ج3، كتاب ذم الغرور،ص588.

سَمْتُكَ يا أَوَّاهُ * من رآك ذكر الله

أي لأن أقواله وأفعاله وحركاته و سكناتِه كلُّها حق في حق، لا يتكلم إلا بحق ولا يفعل إلا حقا ولا يدل إلا على حق، وإلى مثله يشير قوله ﷺ: ﴿ أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ﴾[1] فالصحبة السرية ثابتة لمن هذا حاله، والخلة التقريبية تأييده وكماله، إن عثرت على هذا فلا تبغ به بدلا، و أما من ظهرت على وجهه **دياجي** ظلمات الغفلات، والانهماك في حظوظ النفس واتباع الشهوات، دأبه التكاسل عن الطاعة وتضييع ما أنعم الله به عليه من البضاعة، فَفِرَّ منه فرارك من الأسد، ولا تصحب ممن هذا وصفه أحدا، فوسمه يدعو إلى ما عليه رسمه، فخُلطَتُه داءٌ عضال لا فائدة فيها بحال، لأنه يذكر بحاله الزائف النفس هواها ويهيج **نهمتها**[2] على شهواتها وحظوظها ودعواها، ويلهيها عن ربها الذي خلقها فسواها، قال ﷺ: ﴿ المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ﴾[3].

وقال **الأخضري**[4]:

---

(1) رواه ابن عبد البر في جامع بيان فضل العلم 2/ 90، وقال (وهذا الكلام لا يصح عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –)، وقال الحافظ ابن حجر (رواه عبد بن حميد في مسنده وفيه راوٍ ضعيف جداً، ورواه الدارقطني في غرائب مالك، وفيه من لا يعرف، ورواه البزار وفيه كذَّاب، ورواه القضاعي في مسند الشهاب له، وفي إسناده كذَّاب)، ثم نقل الحافظ عن أبي بكر البزار قوله: هذا الكلام لم يصح عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ونقل قول ابن حزم: هذا خبر مكذوب موضوع. التلخيص الحبير 4/ 190 – 191، وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر الحديث (هذا الحديث لم يروه أحد من أهل الكتب الستة وهو ضعيف) تحفة الطالب ص 166..

(2) النَّهَمُ، بالتحريك، والنَّهامةُ: إفراطُ الشهوةِ في الطعام وأَن لا تَمْتَلِئَ عينُ الآكل ولا تَشْبَعَ، وقد نَهِمَ في الطعام،وفي الحديث: مَنْهومانِ لا يَشْبعانِ: مَنْهومٌ بالمالِ، ومَنْهومٌ بالعِلمِ، وفي رواية: طالبُ عِلمٍ وطالبُ دنيا.ونُهْمٌ صنمٌ، وبه سمي الرجل عَبدَ نُهْمٍ.ونُهْمٌ اسمُ شيطانٍ، ووفد على النبي ﷺ حيٌّ من العرب فقال: بَنُو مَنْ أَنتم؟ فقالوا: بنو نُهْمٍ، فقال: نُهْمٌ شيطان، أنتم بنو عبدالله. **انظر**: ابن منظور،**لسان العرب**، ج12، ص593.

(3) رواه أبو داود والترمذي وحسنه وغيرهم من حديث أبي هريرة به مرفوعا، قال الزركشي: فأخطأ ابن الجوزي فأورده في الموضوعات. **انظر**: الأسرار المرفوعة ص304.

(4) ولد العلامة الشيخ عبد الرحمان الأخضري عام 918هـ /1512م بقرية بنطيوس ولاية بسكرة في أسرة أشتهرت بالعلم والتقوى عبر قرون عديدة، ومن أشهر الذين أخذ عنهم العلم عمر بن محمد الكماد المشهور بالوزان، وهو من أبرز علماء قسنطينة في القرن العاشر الهجري، أما شيخه في الطريقة الشيخ الخروبي المتوفى سنة 963هـ بالجزائر، كما أرسله والده إلى تونس، حيث لبث فيها عدة سنين بالزيتونة يتتلمذ على مشائخها وعلمائها، قضى حياته في التعليم والكتابة في زاوية عائلته بنطيوس ونواحيها، حيث اجتمع حوله ثلة من طلاب العلم الذين كان يطلق عليهم اسم الإخوان، وكانوا يتوافدون إليه من قسنطينة وواد ريغ، وتفلفال دائرة تكوت ولاية باتنة، والزاب بسكرة وقراها، وكان يذهب في الصيف إلى الهضاب العليا سطيف ونواحيها للأصطياف، فأدركته الوفاة في كجال سنة 953هـ – 1544م، ترك العديد من الكتب والتصانيف والمنظومات فاقت في مجموعها الثلاثين، منها: منظومة السراج في علم الفلك. وكتاب الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء في الحساب والفرائض. وأزهر المطالب في علم الأفلاك والكواكب. والسلم المرونق في علم المنطق. والقدسية في التصوف. والجوهر المكنون في صدف الثلاث فنون في المعاني. والبيان والبديع.واللامية في التصوف والإرشاد الديني، وارئية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومتن الأخضري في العبادات، ومنظومة

فَصُحْبَةُ الأَخْيَارِ للقلب دوَا * تزيدُ للمرءِ نشاطاً وقُوَا

وصحبةُ الأشرارِ للقلب عمَا * تزيدُ للقلب السقيم سقمَا(1)

وقال غيره:

عَنِ المرءِ لا تَسئَلْ وَسَلْ عَنْ قرينِهِ * فإنَّ القرينَ بالْمُقارَنِ مقتدي(2)

فالصاحب تسري طبائعه في جِبِلاَّتِ قرينه. **وبالجملة:** فالحذرَ الحذرَ من صحبة أهل الدنيا المنهمكين في معاملاتها، فإن مخالطَتَهُم رأسُ الهموم، ونتيجة لنار السَّمُوم، لأنهم فانون في قربها سكارى بحبها، لا يدعون إلا لها ولا يدلون إلا عليها، وهي رأسُ كُلِّ خطيئة، كما قال ﷺ: ﴿ حب الدنيا رأسُ

أزهار المطالب في علم الاسطرلاب. وغيرها من الكتب والنظومات التي ضاعت للأسف، ومن أهمها كتاب في التاريخ والتوحيد والنحو. لقد تمكن العلامة الأخضري من اكتشاف قبر النبي خالد بن سنان العبسي والعثور عليه بطريقة الكشف أي السر والتربيع– التربيع هو علم لإظهار الخبايا والكنوز، وهو فرع من علم الفلك قديما – وقد أعد في ذلك قصيدة طويلة يؤكد فيها نبوته، والتي مطلعها:

سر يا خليلي إلى رسم شغفت به * طوبى لزائر ذاك الرسم والطلل

راجع: د.أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ص507 – 510. **راجع:** فوزي مصمودي، **العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري شخصيته ومواقفه وآثاره**، موفم للنشر الجزائر 2008م. **راجع:** عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، بوزيان الدراجي، بلاد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2009م

(1) منظومة قدسية الأخضري مخطوطة لدى الباحث. وهي أرجوزة طويلة، يقول بعضهم أنها أرجوزة في طبيعة النفس، نظمها الأخضري سنة 944هـ/1537م، وعدد أبياتها 357 بيتا، وقيل 345 بيتا، وقد شاعت هذه الأرجوزة وذاع صيتها بين طلاب العلم والتصوفة وعاهدوها بالحفظ والمدارسة في الزوايا والمعاهد، والمنظومة تعالج موضوع التصوف والوعظ والإرشاد الديني والأخلاقي، حيث تناولت آداب السلوك، ونقد وفضح المتصوفة الزائفين والمشعوذين الكذابين المندسين في صفوف المتدينين، وكما حظيت المنظومة بشهرة واسعة، نالت عناية بعض العلماء بالشرح، كشرح الحسين الورتلاني صاحب الرحلة، وشرح الولود بن محمد الزريبي الأزهري المتوفى سنة 1343هـ/1925م، وقال عنه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي أنه شرح نفيس. مطلع القصيدة:

يقول راجي رحمة المقتدر * المذنب العبد الذليل الأخضري

بحمد رب العالمين أبتدي * ثم صلاته على محمد

انظر: عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، بوزيان الدراجي، ص 133-136، المرجع السابق.

(2) هذا البيت لطرفة ابن العبد يأتي عادة مع بيت آخر وهما:

إذا كنت في قوم فاصحب خيارهم * ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

فالبيت الثاني في معناه شبيه بقول أبي العتاهية:

اصحب ذوي الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب إلى القرين

وينسب البيتان أيضا إلى عدي بن زيد كما ذكر الماوردي في **أدب الدنيا والدين**، وفي الحديث الشريف: ((إنما المرء بخليله فلينظر امرؤ من يخالل)). **انظر:** حسن سعيد الكرمي، **قول على قول**، ج1، ص25.

كلِّ خطيئة ﴾[1]، لكن يستثنى منهم من زال حبها من قلبه فلا بأس بقربه، وأنت خبير بجميع ما مر من أحوال أهل الدنيا، لا يقوم الفقير من بينهم إلا مهموما مكروبا معلولا معطوبا، فمن كان هذا حالهم يتعين الفرار منهم لأنهم مجذومون بداء حبها، لقوله ﷺ: ﴿ فر من المجذوم فرارك من الأسد ﴾[2]، ولا جذام أعظم من رأس الخطايا، وعلى كل حال فالضعيف لا تليق به إلا مخالطةُ من تذكره في الله رؤيتُه، أو يزيد في علمه منطقُه وإلا فلا. قال ابن عطاء الله: (لا تصحب من لا يُنْهِضُكَ حاله ولا يَدُلُّكَ على الله مقاله)[3]. ثم قال:

الحكمة السابعة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **إياكَ وصُحبةُ المداهِنِ، إنْ جَلَسَ مَعَكَ حَسَّنَ لَكَ القَوْلَ وَإنْ فارَقَكَ أَفْشَى ماَ تَقُول .**

قال الشارح:

المداراة مأمور بها كما قال ﷺ: ﴿ أمرت بمداراة الناس ﴾[4]، و**المداهنة** ضرب من الغش، ولذلك كانت منهيا عنها، فحذر المؤلف من صحبة المداهن وهو الذي يظهر لك حاله خلاف ما يبطن، وعلامته أنه إن جلس معك يقدم بين يديك لذيذ أقواله، ويصطفي أمامك أحسن أفعاله، وإن فارقك بدل وغير، فلا يقول في غيبتك إلا شرا ولا يذكر عنك خيرا، ويفشي لأعدائك أسرارك، ويهتكُ بين حسادك حُرْمَتَكَ و أستارك، فحذاري من صحبته فحذاري، وما هو إلا مَثَلُ وصف المنافقين فلا يجدي صُحبتُه خيرا، ولا تدفع شرا، فالبعد ممن هذا وصفُه راحةٌ، والتجافي عن غروره صيانةٌ وسماحةٌ، قال ﷺ: ﴿الوحدة خير من الجليس السوء **والجليس الصالح**[5] خير من الوحدة ﴾[6]. ثم قال:

---

(1) قال بعضهم موضوع ومنهم ابن تيمية..وقد رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري.. وتعقبه شيخ الإسلام ابن حجر بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن والإسناد حسن إليه، وهو عند أبي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من الحلية من قول عيسى عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في (مكايد الشيطان) له، من قول مالك بن دينار. وقال أبو زرعة كل شيء يقول الحسن فيه قال رسول الله ﷺوجدت له أصلا ثابتا. **انظر**: العجلوني،**كشف الخفا**: ص412. **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص188.

(2) **انظر**: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج3، ص190.

(3) الحكمة الثالثة والأربعون.

(4) **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص480.

(5) وقديما قال الشاعر:

ما عاتب المرءَ الكريم كنفسه * والمرءُ يُصلحه الجليس الصالح

(6) رواه الحاكم وأبو الشيخ والعسكري عن أبي ذر رفعه. وثبت في صحيح البخاري وغيره لو يعلم الناس ما الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده. وترجم البخاري بقوله: العزلة راحة من خلاط السوء. وذكر حديث أبي سعيد رفعه. يأتي على الناس زمان

الحكمة الثامنة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **لا تصحبْ من لا يكونُ عن عيوبكَ غَمُوضًا وفي أحوالكَ رَمُوضًا، ولا تصحبْ من إذاَ رَأَى منكَ الإحسانَ قَرَّبَكَ وإذا رأى منكَ الإساءة أَبْعَدَكَ، بَلِ اِصْحَبْ من لاَ يرى لإحسانكَ مُكافأةً ولا لإساءتكَ مُعاداةً، الصاحبُ من تكونُ عندهُ كَماَ كُنْتَ، وَيَكُونُ عندكَ كَماَ كاَنَ، مَن لاَ تَزيدُ عندَهُ بالطاعةِ ولا تَنقُصُ بالمعصيةِ هو الصَّاحِبُ المحقُّ، من لم تَصْحَبْهُ الغَيْبَةُ عَنْ أَفعالِكَ لم يَصلُحْ للتدريجِ في أحوالِكَ، من لم تَكُنْ عِنْدَهُ كَمَنْ لاَ عندَهُ ليسَ بصاحبٍ، من لم يحفظْكَ في الغيبةِ لم يَحْتَرِمْكَ في الحضُورِ.**

قال الشارح:

أدب الصحبة غض البصر عن عيوب صاحبه، والتغافل عن قبيح أحواله كائنةً ما كانت، فمن كان على العكس فليس بصاحب، ولا تليق بينك وبينه مواصلة ولا تقارب، ولا تصحب من يزيدُه إحسانُك قربا ووُدًا، وإساءتُك طردا وبعدا، بل اصحب من لا يدنيك بجميل أحوالك، ولا يقصيك بقبيح أعمالك، إن أحسنت وعملت بموجبات الرضا عنك لا يكافيك، وإن أسأت وعملت بموجبات السخط عنك لا يعاديك، فكلا الأمرين عنده سواء، لأن وصفَهُ إلهي رحماني، فالصاحب المرَغَّبُ في صحبته من تستوي عنده رتبتك، لا تلون له بحال ولو اختلفت منك أنواع الأعمال، لأن وصلتَهُ إلهية ومحبتُه ربانية، شهوده في الأعمال يقيني، وحبه في الله تمكيني، لا يزيد بإحسان ولا ينقص بعصيان، لا يرى للطائع فضلا عليك وإن كان في الإحسان ما كان، وكنت أنت بالإساءة ما كنت، لأنه مصطلم في الغيبة عن أعمالك، فانيا عن شهود تلوثات بشريتك وأحوالك، حقق شهود التحريك والتسكين، وسلم الأمر فيهما لرب العالمين، فلم يبق له اعتراض ولا يعمل على موجب إقبال أو إعراض، استوى عنده غيبتُك وحضورُك، مُعْطِيٌ حق صحبتك في وِرْدِكَ و صُدُورك، احترامه لك في الغيبة كالحضور، لأنه لا يضرب بين أهل الحب في الله برزخ ولا سور، فمن لم يَرُدَّ حق صاحبه بحفظ الحرمة في غيبته، لم يحترمه في حضرته ولم يصدق معه في صحبته، فحق الصاحب أن يستوي عنده حضورُك وغيبتُك، فالحاضر كالغائب والغائب كالحاضر، يجمع شتات كثرتهم بحبل وداد وحدانية سيدهم، فلا بعد ولا مسافة ولا قطيعة ولا مخافة، فافهم.

فالصاحب المحِقُّ من غاب وصف سخطه في عين رضاهُ، وعينُ رضاهُ في عين سخطه، لا تدرك له حقيقة ولا حال، ولا يحاط بكنه مراده بحال، غائب وهو حاضر ومدبر وهو ناظر، يرقى محبوبَه

خير مال المسلم غنم يتبع بها عسف الجبال ومواقع القطر = يفر بدينه من الفتن. وثبت حديث المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص445.

من دقائق أطواره، ويدرجَه في مفاوز أسفاره، آخذا بيده في كل بساط، منــزه السر عن وصفي **القبض**[1] **والانبساط**[2]. ثم قال:

الحكمة التاسعة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **ليسَ الصاحبُ مَنْ قَرَّبَكَ وأَدناكَ، بَلْ الصَّاحِبُ مَنْ أَهَّلَكَ لحضْرَةِ رَبِّكَ وفيهاَ أفناكَ، ليسَ الصاحبُ مَنْ يُفْتَقَرُ لَهُ في السُّؤَالِ، وخيرُ الصاحِبِ مَنْ يُغْنِيكَ قَبْلَ السُّؤَالِ، الصُّحْبَةُ مَعروفَةُ البَيْنِ مجهولةُ الأَيْنِ، لا تُعرَفُ إلاَّ بِمَحْوِ العَيْنِ، قُربةُ الصُّحبةِ مَشهودَةُ الآثَارِ مَغموضَةُ**

---

[1] في اللغة: القبض: هو ضيق الصدر، القبض والبسط عند الصوفية: هما حالتان بعد ترقي العبد من حالة الخوف والرجاء. وفي الاصطلاح الصوفي: يقول ابن عجيبة **القبض**: حزن وضيق يعتري القلب، إما بسبب فوات مرغوب، أو عدم حصول مطلوب، أو بغير سبب. وقيل: إنه عبارة عن حال الخوف في الوقت. فإن الأسف في الماضي، والخوف والحذر في المستقبل. والقبض للمعنى الحاصل في الوقت. وبعضهم نزع في القبض إلى نتائجه فقال: القبض وارد يرد على القلب يوجب إشارة إلى عتاب أو زجر باستحقاق تأديب. وقال بعضهم: القبض حال ينتجه الخوف، وقد يكون الخوف مشعوراً به وقد لا يكون. وعن أسباب القبض وعلاجه يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلي: أسباب القبض ثلاثة: ذنب أحدثته، أو دنيا ذهبت عنك، أو شخص يؤذيك في نفسك أو عرضك. فإن أذنبت فاستغفر، وإن كنت ذهبت عنك فارجع إلى ربك، وإن كنت ظُلمت فاصبر واحتمل. هذا دواؤك وإن لم يطلعك الله على سبب القبض فاسكن تحت جريان الأقدار فإنها سحابة سائرة. يقول الشيخ أحمد بن عجيبة: القبض والبسط يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار، فالعوام إذا غلب عليهم الخوف انقبضوا، وإذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا.والخواص إذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا، وإذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا. وخواص الخواص استوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الأحوال، لأنهم بالله ولله لا لشيء سواه. **انظر**: الجرجاني، ص140،.**راجع**: موسوعة الكسنزان، ج18، ص4-32.

[2] في اللغة بَسَطَ الشيء: نشره،.بَسَطَ اليد: مدَّها. وردت لفظة بسط في القرآن الكريم 25 مرة على اختلاف مشتقاتها. يقول ابن عجيبة: **البسط**: هو فرح يعتري القلب أو الأرواح، أما بسبب قرب شهود الحبيب، أو شهود جماله، أو بكشف = الحجاب عن أوصاف كماله وتجلي ذاته، أو بغير سبب. وعن آثار البسط وموجباته يقول الشيخ أحمد زروق: البسط يوجب انتشار الحرارة في البدن، فيستدعي استرسال النفس مع ما يلابسها، وذلك متضمن سوء الأدب في الحركات والتصرفات، إذ لا يمكن معه حفظ الحرمة لوجود الطيش الباعث على الحركة بغير اختيار، فلا يقف على حد الأدب مع ذلك إلا من كان متمكن النفس في الأدب، محققاً بحقائق حفظ الحرمة، قد غمس قلبه في بحر الهيبة. وفي أسباب البسط وحق العبودية فيه يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلي: من كان في البسط فلا يخلو أما أن يعلم سبباً أو لا يعلمه، فالأسباب ثلاثة:**السبب الأول**: زيادة الطائع، أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة. **السبب الثاني**: زيادة في دنيا: بكسب، أو كراهة، أو هبة، أو صلة. **السبب الثالث**: بالمدح والثناء من الناس، وإقبالهم عليك، وطلب الدعاء منك، وتقبيل يدك. فإذا ورد عليك البسط من أحد هذه الأسباب، فالعبودية تقتضي أن ترى النعمة والمنة من الله تعالى عليك في الطاعة والتوفيق فيها وبتيسير أسبابها، واحذر أن ترى شيئاً من ذلك من نفسها أو حظها، وأن يلازمك الخوف، خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون ممقوتاً، هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى. وأما الزيادة من الدنيا، فهي نعم أيضاً كالأولى، وخَفْ مما بطن من آفاتها. وأما مدح الناس لك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما سرى عليك، وخف من الله أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس إليك. وأما البسط الذي لا تعرف له سبباً فحق العبودية ترك السؤال والإدلال.**راجع**: موسوعة الكسنزان، ج3، ص197-216.

المنارِ، لاَ تُفهمُ إلاَّ بِسِرِّ الأَنْوَارِ، السِرُّ في الصُّحْبَةِ عينٌ بلاَ أَيْنٍ وأَيْنٌ بِلاَ عَيْنٍ، عينُ الصاحبِ في المصحوبِ كَفناءِ الطالبِ في المطلوبِ.

قال الشارح:

مجرد التقريب والإدناء، لا يوذن بكمال الصحبة ولا يقضي بتمام المحبة، بل يُوجِبُهَا تقديس سرك من أغياره، وتقوية باطنك بأنواره، حتى تقوى على حمل أمانة الشهود، وتفنى في الحضرة عن كل موجود، فَمَنْ مَنَّ عليك بِعِتْقِ **مُهجتك** من عبودية الغير، واستخلص رَقَبَتَكَ إلى مولاك، وحررك في حسك و معناك، هو الصاحب السبب في كل خير، وقد وجب عليك بمقتضى الشريعة الثناءُ عليه بإحسانه، وبمقتضى الحقيقة الرجوع إلى الله بشهود منته و**امتنانه**، ومن لا يُنْعِمُ عليك حتى تَبْسُطَ إليه يدَ السؤال ليس بصاحب كمال، بل الصحبة الكمالية والخِلَّةُ الجمالية هي التي تجود بفيض نوالها، وَتَسْقِى من وابل زلالها جميعَ من بانت من باطن أسراره أوصافَ الفاقة والاضطرار، ولاحت عليه سمة المسكنة لله والاحتقار، يُعطي النوال بقدر لسان الحال، ولا يتوقف على سؤال.

واعلم يا حبيبي أن أهل المحبة في الله، حالهم في هذه الدار كحال أهل الجنة في تلك الدار، الأمر بينهم شفاف لا حجاب بينهم، فلا يُحجب بعضهم عن بعض بشأن، ولا يقطع وصلتهم بعد مكان ولا زمان، ولا يقع لأحدهم شيء في قلبه إلا ويقضي على وَفْقِ المراد.قال تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾[1]، فكذلك أهل المحبة الإلهية، لا يفتقر المحب إلى أن يسأل عن محبوبه، كما لا يفتقر صاحب نعيم الجنة أن يسأل شيئا يتنعم به، كيف لا والرب جل جلاله نظم جواهر قلوبهم في سلك حبه، فكانت وصلتُهُم باطنيةً سريةً، حجبتها عن الإدراك أصداف البشرية، ولذلك قال: الصحبة معروفة البين مجهولة الأين، لا تعرف إلا بصحو العين، فالبين ظاهرها فربما يكون معروفا، و**الأين** باطنها، فلا يدرك سرها إلا بصحو عين بصيرة المحبوب بالفناء عن كل مطلوب، فقربة الصحبة مشهودة آثارها، مخفية في الأسرار أنوارُها، لا يكشف حجابها ولا يزول نقابها إلا لأهلها و أصحابها، فالسر المودع في أسرار المحبين ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره، وصلهم موجود وفصلهم مشهود، لو اطلعت على بواطن المحبين لوليت منهم فرارا ولمُلِّئْتَ منهم رعبا، أسرارهم **باهرة** و أنوارهم قاهرة، خُلِع على أهل جنة الحبُّ في الله خِلْعَةَ جلاله، وتوجوا بتاج عزه وجماله، فلا وصلُهم ينافي فَصْلَهم ولا فصلَهم يناقض وصلَهم، تباينت ذواتُهم واتصلت صفاتهم، قربهم في بعدهم وبعدهم في قربهم، انقطعت إشارة المحب لمحبوبه و فنت صفاته في مطلوبه. قال القائل:

---

(1) الآية 71 سورة الزخرف.

ولما تَصَفَّيْنَا المحبةَ بيننا * فصرنا ومن نهوى كشيء واحد

وقال غيره:

فإذا قيل من تهوى فقل * أنا من أهوى ومن أهوى أنا

ولا يخفاك ما في كلام الأستاذ ﷺ عنه، من إطلاق الصحبة في آخر كلامه على المحبة التي هي أساسُها، لأن الصحبةَ ظاهرةٌ آثارُها، والمحبةَ مخفيةٌ أسرارَهَا، فالصحبة **كالصوان**، والمحبة لُبابه، والمحبة حَبُّ والصحبة ترابه، فلا ينبت حَبُّ الحب إلا في تُرب الصُّحْبِ.

هذا وقد تكلم الناس في المحبة على قدر أذواقهم فيها، وعبروا عن سرها بحسب شربهم من خمرها، قال **القشيري**[1]: (قال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: إيثار المحبوب على جميع المصحوب. وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: محو القلب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته. وقيل: مواطأة القلب لمرادات الرب. وقيل: خوفُ تركِ الحرمة مع إقامة الخدمة. وقيل: استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من محبوبك، وقال سهل: الحب معانقة الطاعة و مباينة المخالفة. وسئل الجنيد عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب؛ أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب، والتغافل بالكلية عن ذكر صفات نفسه و الإحساس بها، وقيل: المحبة الموافقة، وقيل: صفة المحبة أن تكسب كلك لمن أحببت فلا يبقى منك شيء لك؛ قال الشبلي: سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب. وقال ﷺ: ﴿ المرء مع من أحب ﴾[2] فهو مع الله. وقيل: المحبة أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول؛ وقيل: المحبة الإيثار للمحبوب. وقيل: المحب من لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر. وقالوا: وليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده، وإذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب. وفي معناه ينشد:

إذا صفت المودة بين قوم * ودام ودادهم سنح الثناء

وقيل: المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك، قال **النصرباذي**[3]: المحبة مجانبة السلو على كل حال. وأنشد:

---

(1) **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج2، ص615-620.

(2) **انظر**: **سنن أبي داود**، ج4، ص333.

(3) إبراهيم بن محمد النصرباذي – نسبة إلى نصرباذ بنيسابور– شيخ نيسابور والمحدث المؤرخ وما كان مختصا به من علم الحقائق، كان لايفارقه المحبرة والمقلمة والبياض، فقيل له في ذلك فقال: ربما سمعت شيئا، من جمال أوغيره حكمة فأثبته. خرج في آخر عمره إلى مكة وحج وأقام بالحرم مجاورا ومات بمكة سنة 367 هـ ودفن بقرب الفضيل، كتب الحديث الكثير ورواه وكان ثقة. **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص26. **انظر**: السلمي، **طبقات الصوفية**، ص484.

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوةً * فإني من ليلى لها غيرُ ذائِقِ

وأكثرُ شيءٍ نِلْتُهُ من وِصَالِهَا * أماني لم تَصْدُقْ كلمحة بَارِقِ

وقال غيره:

غرستُ لأهل الحب غصنا من الهوى * ولم يكن يدري ما الهوى أحدٌ قبلي

فأورَقَ أغصانا و أينَعَ صَفْوَةً * وأعقب لي مُرًّا من الثمر المجلي

فكان جميع العاشقين هواهم * إذا نسبوه كان من ذلك الأصل

وقيل: الحب أوله **ختل** وآخره قتل؛ وقيل: في معنى قوله ﷺ: (حبك الشيء يعمي و يصمي)[1] أي يعمي عن الغير غيرة، وعن المحبوب هيبة.

إذا ما بدا لي تعاظمتُهُ * فاصدر في حال من لم يرد

جمعت وفرقت عني به * ففرد التواصل مثنى العدد

قال الجنيد: كل محبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك المحبة. وقد حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال لهم: من أنتم، فقالوا: محبوك يا أبا بكر، فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا، فقال: إن ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي.

وقد علمت ما في كلام المؤلف مع هذا من المناسبة، ولذلك أوردته تلذذا به وإيضاحا لكلام المؤلف به، وإلا فهو عريض وفيما ذكرناه كفايةٌ، ومن أراد أن يذوق من صرف زلالها، فليمت شوقا وليقبر بترب نعالها، فافهم. ثم قال:

حقيقة الورد والواردات

الحكمة الخمسون

قال رضي الله عنه:

- **اخْرُجْ عن حُظوظِ نفســـكِ إلى وارداتِ رَبّكَ، فإن الحظوظَ النفســـانيةِ تُفضِـــي بِكَ إلى الأوصافِ الرَّدَيَّةِ، والوارداتُ الإلهيةُ تَسْرِي فِيكَ بالأوصافِ المُحَمَّدَيَّةِ.**

قال الشارح:

---

[1] لم أقف عليه.

قد علمت أن النفس سفلية لا **تروم** من متبعها إلا الخلود إلى رعوناتها، واتباع شهواتها ونيل حظوظها و مراداتها، وفي ذلك من **سفاهة** العقل ما لا يخفى، وقد رغب المؤلف ﷺ في الخروج عن سجن الحظوظ النفسانية، والإعراضُ عن المرادات الحيوانية إلى فضاء الواردات الربانية والإلهامات الرحمانية، فشأن الحظوظ الهوى في **دركات** اتباع **الشهوات** و**الركون** إلى ما ذُم من المألوفات، والسكون إلى ما اعتادته من العادات وردي الصفات.

والواردات الإلهية علوية تعلو بهمة صاحبها إلى سماء الحقوق، حتى تسري بسره إلى المراتب العلية وتقطعه عن كل مخلوق، فيكتسب أوصافا محمدية حميدة و أخلاقا إلهية مجيدة، تقوده بأزمة نورانية وتشهده مشاهد عرفانية، فالواردات عبارة عما يرد على القلوب من حضرة علام الغيوب، كالزهد والصبر والتوكل والرضا القناعة وتحمل الأذى وغير ذلك، فدأبه أن أنعم الله عليه بها الاستسلامُ والسكونُ، حتى يضع في قلبه سرير المملكة فيصير له جبلةوملكة، وما هي أي الواردات إلا رسل الله إليك، دعاك بها ليتفضل عليك، ويخزن أسراره لديك، فبادرها بالقبول وأجب المنادِي بالرحول، فما يرد من قِبَلِ الحق جل جلاله يسمى واردا، وما يرد من قبل النفس يسمى هاجسا، مطلب الوارد علوي نوراني، ومناخ الهاجس سفلي ظلماني، فالخروج من ظلمات النفوس والارتحالُ من منازل **النحوس** متعين على كل **عاقل**، لولا التخلي والتحلي ما كان واصل.ثم قال:

الحكمة الواحدة الخمسون

قال ﷺ:

- **لاَ تتوهمْ أَنَّ وارداتِ الحق من أعمالِكَ، وإنَّمَا هي من مَوَاهِبِ رَبِّكَ، الوارداتُ من الله على القلوبِ تَلُوحُ وعَرْفُهاَ على الأُنُوفِ يَفُوحُ .**

قال الشارح:

فضل الله تعالى وإكرامه ومواهبه وإنعامه، لا يكون حصولها لمن أُفيضت عليه بِتَعَمُّلٍ ولا اجتلابٍ ولا تَحَيُّلٍ ولا صالِحَ اكتسابٍ، بل تُقْبِلُ من حضرة ربانية وموهبة سلطانية، لا تُنَالُ بأعمال ولا تُقاد بحبال، وإنما تنشأ غالبا عند التعرض لنفحات الرحمة، كما قال ﷺ: ﴿ إن لله نفحات تعرضوا لنفحات الله فهي بمثابة الوقوف بالباب وقرعه ﴾[1]، فمن لازم قرع باب فُتح له وتهيأ حاله، فمواهب الواردات تأتي من باب الكرم والجود، لا تُوقف لها على سبب ولا بذل مجهود، فإن أُكْرِمَ باطِنُكَ بوارِدٍ أَشْرَقَتْ على ظاَهِرِكَ منه

---

[1] عن أنس ابن مالكﷺ عن رسول الله ﷺأنه قال: ﴿اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات الله عز وجل فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم ﴾.**انظر**: الإمام الحافظ ابن عبد البرالقرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ج5، ص339.

شواهدُ، وإن لاحت على قلبك منه لوائحُ، شُمَّتْ عليك من **نسمات عَرْفِهِ** روائح، فما دُفِنَ في غيب السرائر، نُشِرَ ولابد على أرض الظواهر. ثم قال:

الحكمة الثانية والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **أَصْـــلُ الواردِ من الأورادِ، ولولاَ الوِرْدُ ما كان واردٌ، لا تَطْمَعَنَّ في الوارِدِ وأنتَ مَعَ مُرَادِكَ، وإنَّمَاَ يَحْصُـلُ الوَارِدُ بتركِ المرَادِ، إن صَـدَقْتَ مَعَ الحقّ في الوارِدِ يَنْتُجُ لَكَ الوارِدُ في الإمدادِ، الوارِدُ صَيْدُ الحقّ فِيكَ والوِرْدُ صَيْدُ الحقّ مِنْكَ، إنْ وَرَدَ عَليكَ الوارِدُ فالحقُّ مِنْكَ يُرِيدُهُ وَإنْ صَدَرَ منكَ وِرْدٌ فالحقُّ لَكَ يُعِيدُهُ .**

قال الشارح:

تقدم أن الوارد ما يرد على القلب من حضرة الرب، ذكر هنا أن أَصلَه الغالبَ عليه وُجوده عند الورد، وهو ما يقع بكسب الإنسان، من عبادات ظاهرة ومعاملات باطنة، فاقتضى الأمرُ الربانيُّ والحكمةُ الإلهيةُ، أن مواهب الله و أفضالَهُ وعطايَاه ونوَالَه، لا تصبُّ أمطارُهَا ولا تُورِقُ أشجارُها ولا تَيْنَعُ ثمارُها إلا في قلب عبد تعرض لنفحاته، وتهيأ بقلبه وقَالَبِهِ، في معاملاته مع الوقوف على بساط الافتقار إليه جل جلاله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾[1]، فمن وقف بين يدي سيده، موقف الافتقار وخرج من سجن العزة بنفسه والاستكبار، انفجرت عليه من أرض أوراده ينابيعُ واردَاتِه وأَمْدَادِهِ، ولا يحضا بها إلا من خرج عن جميع مراداته متبرئا من روية حركاته و سكناته، لأن الصدق مع الله تعالى في أداء وظائفِ العبوديةِ، وعدم التطلع للأنوار الشهوديةِ، يُنتجُ الإكرامَ بالواردات والإحضاءَبفيضِ الإمداداتِ الإلهيةِ، فما ورد عليك وارد إلا وكان صيدا لك من قبل الحق جل جلاله، يطلب منك رَدَّهُ له بشهود، إنه منه بمحض فضله لا بأسبابك وجميل اكتسابك، وما صدر منك وِرْدٌ إلا وكان صيدا للحق منك، أي أورد عليك الوارد لتصطَادَهُ، عالما بأنه منه ورجوعه إليه، وجعل الورد صيده منك أي مرادُه منك، لما فيه من العبودية له، وهو يعيد لك نفعَه وثمرتَه، فكانت نتيجة الورد والوارد كلاهما لك، فأرسل عليك الوارد لتكون به عليه واردا، فيكون الوارد سببا للورد الذي هو حق الحق منك، فثبت بهذا أن الوارد رسول من الحق إلى الخلق، يبعثهم على وظائفِ عبوديتهم له التي هي مطلبُه منهم، فيرفعُه إليه بالقبول ويعيد نفعَه إليهم بعد أخذه منهم، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، فالوارد مطلبك من الحق، والورد مطلب الحق منك، وخير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك، وطلبك للوارد حظ نفساني، وإن كان في الحقيقة هو في نفسه نوراني، لأنه قادح في العبودية ومكدر لصفاء الأنوار الشهودية، وقد علمت أن المطلوبَ منك الخروجُ عن مرادات النفوس،

---

(1) الآية 60 سورة التوبة.

لتصلح لدخول حضرة الملك القدوس، ومعاملتُك بفضل الله لا تخلو عن وارد، وبروز العمل منك أعظم شاهد، فلولا باعث الوارد ما تحركت للورد، فالحق طلب منك الورد وتكفل لك بالوارد، ولا يَجْمُلُ منك ملاحظة مطالبك التي مَنَّ بها عليك، بل اللائقُ وجودُ مطالبِ ربك **المكنونة** إليك، فالورد يكون بين واردين، وارد يتقدمُه فيكونُ سببا في انبعاث العبد لحركات القرب من الرب جل جلاله، ووارد ينشأ عنه بسبب التعرض لنفحة الله به، فالباب المشار إليه بالقرع هو باب الورد، فما وقف امرؤ على باب أوارد العمل لربه، إلا و أفاض عليه كرما منه بأنواع واردات قربه، وفي قوله صيد الحق إلى آخره إشارة إلى أن الوارد الآتي من قبل الحق، صيد عزيز لا يظفر به إلا من جد واجتهد في طلبه، وسكن بقلبه وقالَبِه عن الاضطراب، وقطع المفاوز المعنويةَ، كما يقع لصاحب الصيد الحسي سواء بسواء، حتى سمعنا منه ﷺ في قائم حياته يقول: الصيد العزيز هو الوارد، فإذا نزل يكون على هيئة الوحش أو الطائر، فإذا وقعت من الإنسان حركة ظاهرة طار وفر على عادة الوحش، وكثيرا ما يذكر هذا عند تمام **الحضرة**[1] في شأن سكون

---

[1] في اللغة الحضرة من الحُضورُ: نقيض المغيب؛ والحضرة مكان الحضور ذاته،. أما في الاصطلاح الصوفي: عرفها الشيخ الشعراني: ((الحضرة: هي شهود مخصوص، فالعبد ما دام يشهد أنه بين يدي الله والحق تعالى يراه فهو في حضرته، فإن حجب عن الشهود فقد خرج من الحضرة ولو كان في جوف الكعبة)). والحضرة كما يعرفها الباحث محمد غازي عرابي: ((هي مجموعة طقوس للمريدين، يكون على رأسها شيخ عارف بالطريقة، يقود الحفل، وينبه على كل ما من شأنه أن يشوش إمكان الوصول إلى لحظة الصفاء العلوية هذه، هذه هي حضرة السلوك))، وهي في الحقيقة الركن الهام في طريق الصوفية، وهو اجتماعهم على ذكر الله عز وجل تحت إمارة الشيخ أو وكيله المسمى بالمقدم، يبدء بتلاوة القرآن الحكيم، ثم تنشد أناشيد من أقوال المشائخ العارفين وأشعارهم، ثم تقوم الجماعة للذكر، ويبقون على حالة الذكر حتى يأذن الشيخ أو الوكيل بختامها، وبعد ذلك يقرأ أحد الإخوة بعض آيات القرآن ويتم تفسيرها من قبل الشيخ أو وكيله. والحضرة منقولة ومتوارثة عن كبار المشائخ وهي مقررة في كتبهم، ومظهر من مظاهر التصوف في سلوك طريقهم، نجد ذلك عند الشيخ أحمد الرفاعي والجنيد والجيلالني والشعراني والخاتمي والقشيري وغيرهم، الأصل فيها: ((الذين يذكرون الله قياما وقعودا))، والاصطلاح على كيفيتها هو من باب البدعة الحسنة عندهم. أما عن الحركة التي تصحب مجالس الذكر عندهم، هو أن الروح من طبعها السمو والتعالي عن صفات البشرية، فمت صفت روحه من شوائالأغيار، وطهرت من دنس الأوزار، كان قريبا من العالم الروحاني، وحينما يقرأ العبد القرآن أو يذكر الله تستمد الروح من ذلك طاقات فعالة عالية، فتكتسب قوة وصفاء، فتهتز في الجسم، = وتضطرب شوقا، وهذا هو السبب في الحركة الناتجة من حالة الذكر، فتكاد الروح أن تلتحق بعالها السماوي الروحاني، لولا احتباسها في ظلمات هذا الجسد من شهوات وكدورات وقيود وغيرها ولذلك نجد كثير من أهل الذكر لا يقدرون على تثبيت أنفسهم لشدة اضطراب أرواحهم في أجسادهم، وانفعال نفوسهم، وربما غابوا عن إدراكهم، وسبحت أرواحهم في عالم الملكوت، وقد قال بعضهم: أن سبب اضطراب الإنسان بالصوت الحسن أن الروح تتذكر لذيذ الخطاب يو: ((ألست بربكم)) حين أخرجت من صلب آدم وخوطبت بذلك فتحن لما تتذكر ذلك. ومن الأمور المسلم بها، أن الإنسان يتأثر بالكلمة الطيبة، ويهتز للصوت الرخي، ويطرب للنغمة الحلوة والإيقاع الموزون، ويأسره المنظر الجميل، ولا يدري كيف تتم هذه الأمور في نفسه؟ وأين محالها في ذاته؟ فإن أراد التعبير عنها باللغة الموضوعة = للتخاطب جاء تعبيره ناقصا، وتخونه العبارة إذا أراد إذا أراد أن يفصح عما يشعر به إفصاحا واقعيا لأنها أمور لا تنال إلا بالذوق، ويقف الحس أمامها مبهوتا حائرا، قد لا يستطيع ضبط نفسه عن ذلك التأثير فتصدر عنه أصوات أو حركات دون إرادته، وقد ينتقده الآخرون عليها، وينفعل بذلك ولكنه لا يملك التحكم بمشاعره وانفعالاته، وهذا ما عبر عنه (الوجد والتواجد) وهي الحالة التي يغيب فيها الذاكر عن عقله وعن احترام الناس واعتبار أهل المجلس، فيقوم ويقعد ويدور وربما يسقط على الأرض على حسب قوة استعداده. ولذلك نجد بعض العلماء نهى عن

الذاكرين وسكوتهم آخِرَهَا، ويظهر من باطن أمرهم أن المرادَ بالسكون والسكوت حتى قالوا: كما يصطاد الهر الفأرة، أو كالطير الحاضر بالقلب، أي السكون به والسكوت، لأنه هو الذي به تُتَلَقَّى الواردات، فيطلب فيه أن يكون على أكمل الحالات، وفي جعلهم ارتقابَ الوارد آخر ذكرهم، إشعار بأن الوارد إنما يكرم به من توجه إلى الله ببعضِ أوراده، فهو كالجزاء، ومع هذا فالذي بعثهم على العمل هو الوارد، لكن الواردَ الأولَّ جاء لتحريكهم في الطاعة، والثاني يشير بالجزاءِ وقبولِ العملِ وحصول ثمرته، **فافهم**. ثم قال:

الحكمة الثالثة والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **لاَ تَزْدَرِ بطالبِ الوِرْدِ وإن لم يَظهرْ لكَ وارِدُهُ فَإِنَّ الوَارِدَ كامنٌ في الوِرْدِ، فَالصَّحْوُ يَكشِفُ قِناعَهُ، من لَمْ يَرَ وَارِدَهُ وارداً عليهِ لَمَ يَظهَرْ لَهُ وارِدَ وِرْدِهِ، فإنْ وَرَدَ عليكَ وارِدٌ فَكُنْ أَنت لورودِهِ عليكَ مُرِيداً، فَبِنُهُوضِكَ للوردِ تَظْهَرُ مَوارِدُهُ، وَبِنَقْضِكَ للعهدِ تَفْقِدْ مَعَاهِدَهُ .**

قال الشارح:

عباد الله المخصوصون أبرار ومقربون، ولكل حال بها يعرف وصفة بها يتميز، فمن رأيته طالبا لوجود الأوراد ومثابرا على أداء ما عليه من الاستعداد، من غير أن ترى عليه أمارات عرفانية ولا واردات ربانية، فلا **تزدري** بحاله ولا تحتقرن ماهو فيه من أعماله، فلولا حلول وارد الهداية بقلبه ما انبعثت جوارحه بطاعاته وكسبه، فالوارد على كل حال موجود لكنه مستتر عنك غير مشهود، فلو صَحَتْ بصيرتك من سحائب أغيارها، لوجدت الوارد كامنا في الورد وهو السبب في وجوده، مثال ذلك: الرياح تأتي لسوق السحاب، ثم يتكرم الله بالمطر من السحاب، فالسبب في إثارة سحب الأعمال رياحُ الواردات الإلهية التي أقبلت بالهداية والتوفيق، فإذا تم نظام السحاب وتراكم، فترى **ودق** ثمرات الواردات يخرج من خلاله، أي من خلال أنواع الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾[1]. فهي من حيث المعنى مشيرة إلى ما قدمناه.

ومن أقامه ربه في وظائف طاعاته وأوراده، و أمده بمعونته و أَمْدَادِهِ، لكنه مقيد عن شهود ورود وارداته الإلهية، فهو محجوب بصدوده عن شهود منته تعالى، فعدم رؤيتك لورود واردات أعمالك دليل على عدم صدقك في توجهك و أحوالك، وإن أنعم عليك ربك بواردات إلهية فتلقها بوجه القبول، وأجب

ذلك إلا على من كان مغلوبا على ذلك كما جاء في قدسية الأخضري، أما غير المغلوب لا يجوز له ذلك لأنه يتنافى مع أدب الوقار والخشوع مع ذكر الله تعلى والله أعلم**راجع**: موسوعة الكسنزان، ج 6، ص 5-14، مرجع سابق.**راجع**: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، الشيخ يوسف خطار محمد،ج1، ص171-192، دار التقوى دمشق 2003م. راجع: عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، بوزيان الدراجي، ص 133-208.

(1) الآية 43 سورة النور.

الداعي وأطع الرسول، فالإعراض عنها بَعْدَ وُجودها إساءة أدب، وَتَطَلُّبُهَا بالأعمال مجرد عناء وتعب، فإن عملت بمقتضى ما جاء به الواردُ، ظهرت لك من مكنونات سره مشاهدُ، وشربت من عذب زلاله أصفى موارد، وإن عملت على غير القصد وعرجت في عقبات نقض العهد، فقدتَمَعَاهِدَ إتيانِهِ وحُرِمْتَ ورود مِنَّتِهِ وامتنانه، عهد إليك ربك بإحسانه وكرمه عليك بامتنانه، فنقضه منك في تركك له ونسيانه، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، فالوارد كما مر رسول الله إلى من واجهه، يأمر وينهى، ويُذَكِّرُ من يغفل أو يسهى، فالنهوض إلى تلقي أوامره ونواهيه بالقبول كفيل بإظهار ما خفي من جليل الموارد وخطير المشاهد، وعدم النهوض نقض عهد وفقد مُعاهد، فمن أوفى استوفى، ولما كان الواردُ نورانيا علويا، لا ينزل في أمكنة تباين حالُه وتناقض منوالُه. ثم قال:

الحكمة الرابعة والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **فَطَهِّرِ القلبَ والسِّـــرَّ من الأغيارِ لورودِ الواراداتِ والأنوارِ، فإنَّ الوارِدَ مُلْكُ الحقِّ والأنوارَ أعوانُه، إنْ طَهُرَ القلبُ والسِّـــرُّ لِنُزُولِهِمَا غَيَّرَ المِلكُ ماَ بِهِماَ، إنَّ المُلُوكَ إذاَ دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهاَ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً و كَذلكَ يَفعلُونَ.**

قال الشارح:

قد علمت في عالم الحس والمشاهدة، أنه إذا ورد عليك ملك من الملوك تبادرُه بالقبول والإقبال، وتقدس بيتك له وتزينه لنزوله في غاية الكمال، فملك الحق أولى بهذا و أحق، لأن واردات الحق جل جلاله سلطنة ربانية عظيمة، ومملكة إلهية جسيمة، تأتي بجنود أنوارها، وترد على القلوب بهيبة عظمة سلطان أمانة أسرارها، وذلك يقتضي تطهير قلبك من أغياره، وتقديس سرك من شوائب أسراره، ليصلحه بعد إفساده ويقوي جيوش جنوده بإمداده.

فالإشارة بالآية واضحة من حيث المعنى، فالملوك هي الواردات، والقرية هي القلب لمن كان في مقام القلب، أو السر لمن كان فيه، والإفساد هو مطلق التغيير وإلا فهو إصلاح، وأهلها الأعزة قبل ورود الملوك، النفس وجنودها، فإذا ورد وارد من حضرة قهار خضع لجلاله كل جبار، وذل بعد العزة والاستكبار، لا يصادمه شيء إلا **دمغه** لأنه حق، فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، قال ابن عطاء الله:(ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت، فرغ قلبك من الأغيار يملاه بالمعارف والأسرار)[1]، وقال:(متى وردت الواردات الإلهية إليك هُدمتِ العوائد عليك،

[1] **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج2، ص92.

و إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)[1]، وقال:(الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغه، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)[2]. ثم قال:

الحكمة الخامسة والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **الواردُ من الحقِّ حقٌّ وحقُّ الحقِّ مُواجهتُهُ، إنَّ وَجْهَ الحقِّ بانَتْ بَشَائِرُهُ في السِرِّ، فَكُنْتَ أَنْتَ له مُجيباً، حَقُّ الحقِّ منهُ هو الحقُّ منكَ، وحقُّ الحقِّ منكَ هو حقُّ الحقِّ منهُ، لن تَحِقَّ الحقَّ إلا وأنت مُحِقٌّ ولاَ أنتَ مُحِقٌّ إلا أن تُحِقَّ الحقَّ .**

قال الشارح:

الوارد الآتي من قبل الحق جل جلاله حق إفضالي وعطاء كمالي، وحق الحق أوجب عليك مواجهَتَه وقبُولَه وإكرامَه ونزولَه، فإذا بانت في سرك بشائرُ أسراره، وبزغت في عالمَ ملكوتك شموس أنواره، تحتم عليك إجابتُه وإكرامُه و إجلالُه وإعظامُه، فالوارد حقك من الحق والورد حق الحق منك، فإنما أرسل إليك الوارد لتكون به عليه واردا، فاقتضى الوارد وردا واقتضي الورد ورودا، وبورود الوارد عليك، ورد عليه ما منه إليك، ورجع ما منك عائدا عليك، فحق الحق الورد وحق الخلق الوارد، وفي حقيقة الأمر الحال واحد، لأن الوارد كامن في الورد والورد كامن في الوارد، فلولا الوارد ما كان ورد، ولولا الورد ما لاح وارد، وما ظهر عليه من علامة ولا شاهد، وحق الحق الواجب عليك هو تعظيم الأمرين و إجلال **الشعيرتين**، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[3]، وقال: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾[4]، ولا يكون منك تحقيق الحق إلا إذا كنت محقا، ولا تكونُ محقا إلا إذا حَقَّقْتَ الحق بأن تَرُدَّ ما منك إليه، وتُرْجِعَ ما منه عليه، لله الأمر من قبل ومن بعد، إليه يرجع الأمر كله، فإن الوارد اقتضى منك ورودا، والورد اقتضى منك غيبةً عنه وشهودا، فافهم. ثم قال:

الحكمة السادسة والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **وخيرُ الوارِدِ ماَ وَرَدَ عليكَ في الصلاةِ، لأنَّ الصلاةَ المفروضةَ قُرَّةُ العَيْنِ وأصلُ عمادِ الدينِ، لقولهِ عليه الصلاةُ والسلامُ: جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاَةِ.**

---

(1) المرجع السابق، ص104.

(2) المرجع السابق، ص104.

(3) الآية 32 سورة الحج.

(4) الآية 30 سورة الحج.

قال الشارح:

لَوَّنَ الله تعالى الطاعاتِ، وَنَوَّعَ أجناسَ القرباتِ، لاختلاف ما تضمنتُه من الواردات، لأن الواراداتِ الإلهيةَ مختلفة الورود، ليست على حالة واحدة، فلذلك تنوعت الطاعات ليكون لكل نوع منها ما يقتضيه حال وارده، وأجل الواردات ما يرد في الصلاة مطلقا، ثم ما يقع في الصلاة المفروضة لأنها أعظم القربات، فكذلك وارِدُها يكون أحسنَ الواردات، لأنه يعطي الساكن حرمة المسكن والنازلَ حرمة المنزل، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾[1]، فَإِنَّ لداخلِ الحرمِ حرمةً زائدة على غيره، وإن **جَلَّ** ذلك الغير فالصلاة من حيث هي أَجَلُّ القُرَبِ لا سيما الصلاةُ المفروضةُ التي قال فيها ﷺ: ﴿ منزلة الصلاة من الدين منزلة الرأس من الجسد ﴾[2]، وقد علمتَ أن الحواس كُلَّهَا في الرأس، فلا شهود ولا سمع ولا شم ولا ذوق إلا بما احتوى عليه منها، ولا يكونُ غذاءُ البدن إلا منه، فكذلك الصلاة أفعالُها وأقوالُها، حركاتُها و سكناتُها على اختلاف أنواعها، أغذيةٌ لبدن الدين، ومقويةٌ لقلبه وهو اليقينُ، فزيادتُه بكمالها ونَقْصُهُ بِنَقْصِهَا، كيف لا وقد اشتملتْ على سائر العبادات، قوليةً وفعليةً، بدنيةً وقلبيةً، اجتمع فيها ما تفرق في غيرها، من استقبال وتكبير وتلاوة وقيام وركوع وسجود ورفع منهما، وتسبيح واستغفار فيهما، وثناء وتشهد وجلوس له، وصلاة عليه ﷺ وعلى آله، ودعاء وسلام وغير ذلك، فما تنوعت أقوالُها و أفعالُها، إلا وقد تباينت وتعاظمت أذواقُها و أحوالُها، ولذلك كانت **قرةَ العين**، قال ﷺ: ﴿ حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرةُ عيني في الصلاة ﴾[3]، قال ابن عطاء الله: (لما علم الحق منك وجودَ الملل، لون لك الطاعاتِ، وعلم ما فيك من وجود الشره، فَحَجَّرَهَا عليك في بعض الأوقات ليكونَ همُّكَ إقامةَ الصلاة لا وجودَ الصلاة.)[4]، فما كلُّ مصل مقيمٍ، وانظر إلى قوله من دنياكم المتقدم في الحديث المار، كيف أضافها إلى غيره ولم يضفها إلى نفسه المكرمة، وما ذاك إلا تبريا منها وتزهيدا فيها لخسة قدرها وجلالة قدره، وكذلك حبه للنساء والطيب، ليس كحب غيره الذي هو الميل الطبيعي والشهوة النفسانية والحظوظ الحيوانية، بل هو منزه عن ذلك ومقدس مما هنالك، وما أحب النساء إلا لأجل ما يقع من التناسل والتوالد كما قال ﷺ: ﴿ تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم ﴾[5]، ألا ترى إلى قوله: تناكحوا تناسلوا فإنه أرشد مريدُ النكاح أن يكون غرضُه صحيحا، وهو قصد التناسل الذي يقع به تكاثر الأمم، وتكثيرُ سواد أمة محمد ﷺ، وذلك من أعظم المزايا، فإنه ﷺ يباهي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بكثرة أمته، ويَدخل عليه من السرور بذلك، ما لا يُقَدِّرُ قدْرَهُ ولا يُكَيِّفُ أمره، وما كان بهذه المثابة كيف

---

(1) الآية 97 سورة آل عمران.

(2) لم أقف عليه.

(3) **انظر:سنن النسائي**، مج4، ج7-8، ص61، **انظر:مسند الإمام أحمد**، ج3، ص581.

(4) الحكمة الثامنة عشر بعد المائة.

(5) انظر: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص380.

لا يحبه محبة إلهية، ويَرْغَبُ فيه ويدل عليه دلالة ربانية، وفيه وجه آخر، وهو أنه ﷺ عالم بغلبة الهوى وميل النفس إلى الشهوات، وأعظمُها شهوة النساء، حتى كاد أن لا يقدر جلُّ الناس على الصبر على النكاح، فرغب فيه ﷺ لأجل كفِّ النفسِ عن الوقوع فيما لا يليق، ودفعِ التشويشِ عن البشرية بقدر ما تطيق، وسرُورُه في سلامة أمته من مخالطة الذنوب، ومقارفة الآثام والعيوب، فمحبته هذه ليست لنفسه المكرمة بل لغيره كما يدل له قوله ﷺ: ﴿ لست كأحدكم إنما أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ﴾[1].

وحبه للطيب لما فيه من إدخال السرور على الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن، ولأن الروائحَ الطيبةَ تألفُها النفوس وتسكُن إليها، ضدَّ الكريهة لأنها توجب النفور و التفرق، وهو مهمته ﷺ في ائتلاف أمته واجتماعِها، وأكره شيء اختلافُها وافتراقُها، ولقصد الإرشاد لاستعماله، وإلا فهو ﷺ غني عن التطيب في نفسه، فقد ورد أن عرقَه أجل أنواع الطيب، حتى كان بعض أصحابه تزوج فأعطاه شيئا من عرقه فكان إذا مر ببعض **سكك** المدينة يبقى ريحه فيه بعد مروره فيعرفُهُ كلُّ من مر على تلك السكة، لِعظَم طيبه ومباينته لجميع أنواع الطيب، وقد شوهد من طيبه ﷺ ما لا يحصى كثرةً[2].

وقوله ﷺ: ﴿ جعلت قرةُ عيني في الصلاة ﴾، أي لأجل ما تنوع فيها من القربات، وما اشتملت عليه من أنواع التعبدات، فإنه عليه الصلاة والسلام لا يزال في التجليات و التحليات، بحسب ما تقتضيه

---

(1) **انظر**: **مسند الإمام أحمد**، ج3، ص321، حديث10316.

(2) .منها حديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، أَنَّهَا قَالَتْ : "كَانَ عَرَقُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ ، أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ الأَذْفَرِ ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا ، وَأَنْوَرَهُمْ لَوْنًا ، لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ . " قَالَ : بِمَعْنَى صِفَتِهِ الأَشْبَهِ وَجْهَهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، يَقُولُ هِنْدٌ : فِي أَعْيُنِنَا أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ . راجع دلائل النبوة لأبي نعيم.الأصبهاني. وقد ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه: [الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية]، (المطبوع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر) ، ص: 207 -220 ما نصه ملخصا: ((فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وإن لم يمس طيبا ، قال أنس ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الإمام أحمد... = وروى الطبراني قصة الذي استعان به صلى الله عليه وسلم على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شيئ فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال مرها فلتطيب به فكان إذا تطيبت به شم لأهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين. وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر في طريق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم = من هذا الطريق رواه أبو يعلى وغيره، وروي نحوه عن جابر بن عبد الله. ... وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب أم لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها. وقد ورد مما عزاه القاضي عياض للأخباريين ومن ألف في الشمائل الكريمة أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة...وفي هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه صلى اللهخ عليه وسلم، قال شيخ الإسلام ابن حجر قد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعدا = الأئمة ذلك في خصائصه صلى الله عليه وسلم، ونقل النووي عن القاضي حسين أن الأصح القطع بطهارة الجميع وبهذا قال أبو حنيفة رضي الله عنه كما قال العيني، ....)). وقد شاهدت شريطا على قناة إقرأ الفضائية يتضمن شهادة خبراء العطور والروائح على خروج وانبعاث رائحة مسكية طيبة من الروضة الشريفة تباين وتخالف جميع العطور والروائح المعروفة بل هي أطيبها جميعا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أقوالُها وأفعالُها، من تكبير و تحميد وتلاوة وركوع وسجود، لأَنَّ لكلِّ جزءٍ منها ذوقا خاصا وشهودا وتجليا ارفع من الذي قبله، حتى يخرجَ من صلاته ولا ينفتل ﷺ من الصلاة وإن خرج في ظاهر الحال منها، فالمصلي مطلقا هو أو غيره لا يزال يناجي ربه جل جلاله، ويخاطبه ما دام فيها مقبلا عليه متوجها بكليته إليه، فدخول الصلاة من غيره ﷺ فناء وخروجه منها بقاء، وأما هو ﷺ فقد كان بقاؤه دائما لا فناء يعقبه، فلا يزال باقيا في الصلاة وفي غيرها، وكل ما يجده غيره ويشاهده فمن بركته ﷺ؛ نعم. ولا يخطر ببالك أن أقوالَ الصلاةِ و أفعالَها على وتيرة واحدة في التجلي، بل كل شيء له تجل خاصٌ به، فالتكبير وإن تعدد واتحد نوعُه فتجليه مختلف، فلا يزال المصلي يجد لكل تكبيرة شهودا، ويدرك لها وجودا، غير ما وجده لما قبلها حتى يُتِمَّ، وكذلك أفعالُها وغيره من أقوالها، فللتكرير فائدة خاصة لأهل الخصوص، وهي ترقيهم في أنواع التجليات بحسب تلقيهم، وفائدةٌ عامةٌ لمن دونهم، وهي أن من فاته استحضار معنى ما تقدم في أول صلاته، من أقوال و أفعال يجده بعد ذلك، فلا يفوتُه سرُّ الصلاة بأسرها، كما قال الفقهاء، وتدرك الصلاة بركعة لا أقل أي فضلُها وكونُها في الوقت، والإشارة تقتضي زيادةً على ذلك، وهي أَنَّ من فاته جُلُّ صلاته بالغيبة عنها، وحضر في أقلها، الصادقِ بركعة، يتكرم عليه ربُّه باندراج ما فاته تحت ما أدركه، فالركعةُ الواحدةُ تعمُّ جميعَ ما فاته من ركعاته لاتحاد النوع، وكل ركعة وإن تباين شهودا كما مر، وكيف لا تكون الصلاةُ عمادَ الدينِ وقد جعل للرسول ﷺ فيها قرةَ العين، وما يجدُه وارثوه من ترقيهم من التلوين إلى التمكين من أثره وسره ﷺ، لأنه قد لبسها كالأثواب، وفتح فيها ما غلق عن غيره من الأبواب، فكان مَنْ بَعده سالكا مسلكه داخلا مدخلَهُ، يَشْرَبُ من بقايا شرابه ويحظى بنصيب من مشاهداته واقتدائه، ولا يزال إماما للمصلين حتى إلى الآن، كما شاهده بعضهم عيانا، لا يتلبس بقربة الصلاة وغيرها إلا وهو إمامه ﷺ وافهم قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].ولا تعرض بقلبك عن صدر الآية زعما منك أنه ارتفع أمرها، الله الله فأهلُ الخصوص ما زال فيهم ولا يزال، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة **ضنكا**، ولا ترضى لنفسك **سفساف** الأمور الذي لا طائل تحته، مما يجزم به أهل **الحجاب**، فاسمع الكلام من الحق و ألبسْ الخلع من يد سيد الخلق ﷺ، فافهم. ثم قال:

مقاصد الصلاة

الحكمة السابعة والخمسون

قال رضي الله عنه:

---

[1] الآية 33 سورة الأنفال.

- **القيامُ لَها شـوقٌ والقيامُ بِها صـدقٌ والقيامُ فيها ذوقٌ، من قامَ لَها قامَ بوظائفِ العبوديةِ، ومن قامَ بِها قامَ بِحقوق الربوبيةِ، ومن قام فيهاَ قام بِحَقِّ الأُلُوهَيَّةِ .**

قال الشارح:

الصلاةُ المجردةُ عن الإقامةِ لها أو بها أو فيها، لا يعتد بها ولا قرةَ للعين فيها، ألا ترى أن الحق جل جلاله إذا مدح الصلاة في كتابه إنما يمدحُها بوصف الإقامة،كما قال: والمقيمين الصلاة. وأقيموا الصلاة. وأقام الصلاة. والمقيمي الصلاة. وأقم الصلاة لذكري وغير ذلك، وإذا ذكرها في معرض الذم جردها من لفظ الإقامة كما قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[1] إلى غير ذلك، إذا عرفتَ هذا عرفتَ أن الصلاة المقامةَ لا تخلو عن ثلاثة أحوال: إقامة لها، وإقامة بها وإقامة فيها، فالأول حال العامة، والثاني حال الخاصة، والثالث حال خاصة الخاصة، فالإقامة لها: إقامة بوظائف العبودية مع الغيبة عن الأنوار، والإقامة بها: إقامة صدق في الأعمال من الربوبية بالإخلاص و التبري من الحول والقوة، والإقامة فيها: إقامة بأداء حقوق الألوهية مع التلذذ بواردات الأعمال الوجودية، فالباعث الأول شوقي، والثاني صدقي، والثالث ذوقي، فالشوق يحمل على الصدق، والصدق يحمل على الذوق، ثم فناء وبقاء كما يأتي، وفي هذه المراتبِ الثلاثِ، اجتمعت مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، فنتيجة علم اليقين الشوق، ونتيجة عين اليقين الصدق، ونتيجة حق اليقين الذوق، فأولها مقام الإسلام، وثانيها مقام الإيمان، وثالثها مقام الإحسان، ثم غيبة في الشهود عن الوجود، ثم في الوجود بالوجود عن الوجود كما قال:

الحكمة الثامنة والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **الصلاةُ ميادينُ الأرواحِ وغيبةٌ عَنِ الأَشْباَحِ .**

قال الشارح:

إذا أكرمت الصلاة بالصيانة من الأغيار وأقيمت على **متن** الاستقامة والاقتدار، كانت بحمد الله ميادينَ أغذيةٍ روحانيةٍ، وتنعما بمشاهدات رحمانية، يغيب صاحبُها في رياض جنتها عن إحساسه و أفعاله، ويفنى عن بشريته و أحواله، تصطلمه أيادي المواجهة بأنوارها، و**تغمده** ألطاف المشاهدة بأسرارها، فتملق إلى مولاه بكلامه، وتنعم بمزيد إفضاله و إنعامه، أخذ من شهوده ما غيبه عن وجوده، ووقف فيها على بساط التكليم، وزج بسره في سرادقات الهيبة والتعظيم، فسمع من لذيذ الكلام ما هيج اشتياقَه و أوجب

(1) الآية 4 سورة الماعون.

هيمانه واستغراقه، فكان بفضل الله موسى زمانه وكليم عصره و**أوانه**، سكره بالصعق فناء، وإقامته بالصحو بقاء، دام سماعُه وحلا انتزاعه، لا يشوب صفو عيشه كدر، ولا يغيب عن شهوده بغير. ثم قال:

الحكمة التاسعة والخمسون

قال ﷺ:

- **خُذْ من صـــلاتكَ ما يُريحُ قلبكَ من الأغيارِ ويصـــرفُ ســـرَّكَ للجبارِ لقوله عليه الصـــلاة والسلام: أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلاَلْ .**

قال الشارح:

أمر ﷺ المصلي أن يأخذ من صلاته ما تحصل به راحة قلبه من الأغيار، وينقيه من الشوائب الكونية و الأكدار، لأنه إذا صفت مرآة قلبه من أغيارها، وزكت نفسه وخلصت أحواله، وتمكن شهوده وانفرد وجوده، انصرف وجه سره للجبار جل جلاله، وخرج من قيوده وانفرد في وحدته بمعبوده، تكونُ إقامته في الصلاة أَحَدِيَةً، وتجلياتُه متزايدة أبديةً، نال فيها مناه، واستراح من موجبات عناه، واستدل المؤلف لما ذكره بقوله ﷺ:﴿ أرحنا بها يا بلال ﴾[1]يعني الصلاةَ.

فالرسول عليه الصلاة والسلام، علم من أحوال أصحابه ﷺ غايةَ الكمال، ودوامَ ترقيهم إلى مولاهم في كل حال، وقد كان حالُ الصلاةِ أجلَّ وأنفعَ، ومقامُها في القربات أعظمُ و أرفعُ، وكان في الصلاة من قرة العين ما يغمر وجودهم ويقوي شهودَهم، لأنها جمعت من أنواع التقرب ما تفرق في غيرها، حتى كادت أن تُحِيطَ بجميعه، فباشتمالها على جُلِّ أنواع التقربات تُوجِبُ لمن أقامها بصدقٍ، استهلاك أوصافِ التلونات في أَحَدِيَّةِ التجلياتِ الإلهية، ومن كان بهذه المكانة، كيف لا يكون راحةً أبديةً وقرةَ عينٍ سرمديةٍ، فهي والحمد لله جنةٌ لمن تيقظ لها، قال تعالى في وصف أثمار الجنة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[2].

فالأرزاق الروحانيةُ و التجلياتُ الرحمانية، لا تزال تتزايد عنهم وتتكاثر، ومصافاتهم بمحبوبهم تتوالى في التعالي و تتضافر، يقتطفون من أزهارها ويستضيئون بأنوارها، ويتنعمون بأسرارها تنعما تشابهت أذواقُهُ، وتباينت موائدُه وأرزاقه، فلا ينسيهم ما هم فيه من النعيم المقيم، إلا مشاهدة وجهه الكريم، فهم في صلاتهم والحالة هذه أهل الجنة حقا، فازوا بها عمن سواهم سبقا.

وقد كنت أسمع من الأستاذ المؤلف ﷺ كثيرا ما يقول مشيرا إلى الصلاة: ذلك يوم **التغابن**، فالإشارة إلى صفوف الصلاة واجتماع الجماعات، وتغابنهم من حيث الوقوف في الظاهر على بساط واحد

---

(1) **انظر:سنن أبي داود**، ج4، كتاب الأدب باب في صلاة العتمة، حديث4985، ص296.

(2) الآية 25 سورة البقرة.

والتعبد بنوع واحد، وقد تشابهت أبدانهم في التحرك والاجتماع، واختلفوا بالتغابن في الشهود والانتفاع، فالجماعة في هذه الدار كالحشر في تلك الدار، فمنهم من هو في ظل ظليل، ومنهم من كان في تضليل، لا يخفاك حالهم تعرفهم بسيماهم، ثم قال:

الحكمة الستون

قال رضي الله عنه:

- **لا تجعلْ صلاتَكَ صلاةَ مُتَمَتّعٍ وَلْتَكُنْ صلاتُكَ صلاةَ مُوَدّعٍ، لاَ تكن صلاتُكَ صلاةَ من يبقَى بعدهاَ ولتكُنْ صلاتُكَ صلاةَ من لاَ يَرجِعُ إليهاَ .**

قال الشارح:

أي لا تجعل أكبر همك من صلاتك، التمتعَ بما يرد عليك من أذواقها والتنعمَ بلذائذها، فإنه حالٌ مناقضٌ لوصف العبودية، ومكدر للتقربات الشهودية، فحبك النعم حجاب عن المنعم، هذا و أن الحق تعالى **غيور** لايحب أن يرى في قلب عبيده الميلَ لسواه، والركونَ إلى من عداه، وما جعل من التنعمات السرية و الإكرامات الخيرية إلا جوائز أفضاله وعوائد نواله، والمقصدُ وجهُهُ الجليل؛ ولتكن صلاتُك صلاة من ودع حبيبَهُ، واغتنم منه عند المفارقة حَظَّهُ ونصيبَه، يملأُ من رؤيته أوعية أسراره، ويستضيء في ظلمة الفرقة عنه بأشعة أنواره، لا يغيب عنه طيف خياله، ولا تأفَلُ عن سويداء قلبه شمس كماله، وفي كلام المؤلف الإشارة لقوله ﷺ: ﴿ اجعل صلاتك صلاة مودع ﴾[1] أو كما قال، ولا تكن صلاتُك مدرجةً في نية البقاء بعد الفراغ منها، بل اللائقُ أن تجعلَها في شهودك آخر صلواتك التي لا ترجع إليها، ولا يكون لك استشعار حياة بعدها، فطول الأمل مرغوب عنه ولو في الخير، وقد عرفت أن الإنسان إذا استشعر قرب أجله، وصح في قلبه قصر أمله، لا شك و أن أحوالَه تحسُن ويكون توجهُهُ إلى ربه صادقا على الوجه الأكمل، فإذا كان في الصلاة التي هي أجل القربات مشاهدا أنها آخر عهده بها، وأنه مقبوض قبل عوده إليها، أداها غاية الأداء، واحترس بحضوره فيها من جميع الأعداء، لانقراضِ الدنيا من نظره، وخروجِ كلِّ الخلق من قلبه، بل ربما يستشعر أن يقبض وهو في نفس تلك الصلاة، فماذا ترى في وصف من هذا شهودُه، فلا تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين، بخلاف من طال أملُه، فتكونُ صلاتُه في حال غفلةٍ واهتمامٍ والتفاتٍ، فتتراءى له شِرَكُ مستقبل أزمنته، وهي أعظم شيء في محنته، جرب تصب، ليس الخبر كالمعاينة، ويحتمل كلامُه معنى آخر، وهو أنه رغب من المصلى أن لا يكون له التفات إلى صلاته وإحساس

---

[1] عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله علمني وأوجز قال: ﴿إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه وأجمع اليأس عما في أيدي الناس ﴾. **انظر: سنن ابن ماجة**، ج2، ص1396، حديث4171، كتاب الزهد، الباب15.

بإيقاعها، بل يكون فانيا عن شهودها باقيا في وجودها، فلا يكون له شهودٌ لدخولها حتى يرى خروجا، ولا خروج حتى يشاهد لها رجوعا، مدخلُه عين مخرجه ومخرجُه عين مدخله.

نعم ومشاهدة العمل وبقاؤُه في نظر فاعله، دليل على عدم قبوله، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، فإذا صليت صلاة وغاب عن نظرك وجوُها [دليل][1] رفعها إليه، وإن بقيت في نظرك فالأمر بالعكس، وكذلك غيرُها من أنواع الطاعات. ثم قال:

الحكمة الواحدة والستون

قال رضي الله عنه:

- **ولتكن قرةُ عينكَ في الصــلاةِ لا بالصــلاةِ لقوله** ﷺ: **جُعلت قُرةُ عَيني في الصــلاةِ. ولَم يقلْ بالصلاةِ .**

قال الشارح:

تقدم دليله و أعاده ليرتب عليه ما يأتي بعده، أي فلتكن قرةُ عينك وهناءُ قلبك ومطمحُ نظرك، بما تشاهدُه من المواجهات الربانية والمكافحات العرفانية و التجليات الرحمانية، والمشاهداتِ الإحسانية والمقامات الإيقانية في الصلاة لا بنفس الصلاة، فتكونُ قرةُ عينك فيها بجماله لا بها، لأنه قال: جعلت قرةُ عيني في الصلاة، فجعلها ظرفا لقرة العين وبساطا لحق اليقين، فمجردُ صورتِها وظيفة عامة العاملين، ومشهد أسرارها ولوائحُ أنوارها مطمح نظر المخلصين، إذ لا يفارقهم التلوين، وأما شهودُ وِجهةِ جلاله برسوخ قدم التمكين **فمهيع** خاصة المقربين، فالرسول ﷺ نبه على أن قرةَ عينه جعلت في الصلاة لا بالصلاة، فلا تَقَرُّ عينُه إلا به جلت عظمته، لا بما يرد عليه من أسرارها أو فيض من أنوارها، كلا وهو السر والنور الذي لا مزيد عليه، ولا عروج لمرتقي إلا بما لديه، كيف تكون له قرة عين بما توالى من بركاته وتكاثر من عظيم نفحاته، بل لا تَقَرُّ عينه إلا بمولاه، ولا تركَنُ نفسُه المكرمةُ لشيء سواه، تشتاق الصلاة إليه ولا يشتاق هو إليها، فإذا دخلها أنست به ولا أنس له إلا بمولاه.

نعم وفي قوله جعلت قرةُ عيني في الصلاة، إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام لما رأى أن الصلاة بساطا للتلقي ومعراجا للترقي، وشاهد ما يفتح الله فيها على قلوب المصلين، وما يورده على أسرارهم من مزيد اليقين، وتفاوت رتبهم في التجلي والتمكين، كان ذلك له قرةَ عينٍ لفرحِهِ بما يزيد من الخيرات على أمته ﷺ، إذ هو الوالدُ الروحاني على الحقيقة، ألا ترى أن الوالد تكونُ قرةُ عينه بما يصلح بحال ولده أكثر من نفسه، فالرسول ﷺ أولى بذلك، قال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾[2]، فهو الأب

---

[1] في حج: كان ذلك دليلا.

[2] الآية 6 سورة الأحزاب.

النوراني الروحاني الذي ثبتت أبوته لكل موجود، إذ هو السبب في وجودها، فكما أنه درة الوجود الأول هو خاتمة الوجود الآخر، لأنه السبب في الشفاعة العامة التي بها تميز لكل إنسان مستقره، فالبداية دليل النهاية، فكان هو ﷺ مفتاح الدنيا والآخرة، فلولا وجودُه الأول ما كان موجودٌ، ولو لا وجودُه الآخر بالشفاعة ما استقر أحد في منزله، فكذلك الاستقرار والوجود المعنوي فهو السبب في الخيراتِ وضِدِّهَا، فمن سعى على جادة مرضاته سعد وأصاب، ومن **نَكَبَ** عنها شَقِيَ وخاب، عافانا الله من الخذلان بمنه وكرمه، فهو آدم عالم الأرواح فافهم.

فبان لك مما تقدم أن قرة عينه ﷺ ليست كقرة عين غيره، كما تعلمه من قوله ﷺ: ﴿ حسنات الأبرار سيآت المقربين ﴾[1]، فمن كانت قرة عينه بما يلوح له فيها من، الأنوار أو يتحف به من أنواع الكرامات والأسرار، فهو في الخطر المحض، لأنه لا زال في أودية الكائنات، وهل يصح شهودُه ولم يصف وروده، بل لا زال مُطالبا بالنقلة من ذلك و الإعراضُ عما هنالك، فإن وقفت همته عند كون من الأكوان صيح به من ملكوته، إياك والاغترارَ إياك إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر، وكل ما سوى الله فتنة، كل شيء هالك إلا وجهه، فمن كانت قرة عينه بها أي بما يرد على قلبه فيها مما يكرم به أهل المعاملات تأنيسًا لهم وتقويةً لعزائمهم، فما هو إلا محض زادٍ وحسنُ استعداد، تشتد به عزائمُ ضعفاء اليقينِ، لعلهم يتوصلون به إلى الرسوخ والتمكين.

فانظر رحمك الله بعين قلبك إلى هذا السيد، ما أعلا همتَّهُ و أَجَلَّ مقامَهُ وارفَعَ شُهودَه ومرامَه، جعلنا الله من حزبه بمنه، فإن قمت بأنواع الصلاة الثلاث، حزت الفرقية والجمعية وجمعية الجمع كما أشار له بقوله:

الحكمة الثانية والستون

قال رضي الله عنه:

- **فإن قُمتَ فيهاَ وَبِهاَ ولَهاَ فأنتَ القائِمُ حَقًّا .**

قال الشارح:

أي إذا أقمت صلاتَك على أَتَمّ مراتِبها الثلاث المتقدمِ ذكرُها، فأنت القائم بحقيقة حالِها المحافظ على شروط صحتها عند أهل التحقيق، وكمالها إذ هذا مقام كمال يتأتى معه مشاهدة كلِّ حالٍ، لا يُشغله شأن عن شأن، فلا يُشغله القيام لها عبوديةٌ بشوق، ولا القيام بها ربوبيةٌ بصدقٍ، ولا القيام فيها ألوهيةٌ بذوق، اجتمع له المقاماتُ الثلاثُ وكانت في طوعِ شهودِه وفي قبضة حده و محدوده، فمقام الإقامة لها

(1) لم أقف عليه.

إسلام وظيفة الظواهر، ومقام الإقامة بها إيمانٌ بتصديق الضمائر، ومقام الإقامة فيها إحسانٌ بمشاهدة السرائر، فالعبودية فرق و الربوبية جمع والألوهية جمع الجمع كما مرت الإشارة إليه آنفا، ثم قال:

الحكمة الثالثة والستون

قال رضي الله عنه:

- **واختر من مقاماتِ الإقامةِ الإقامةَ فيهاَ، لأنَّ إقامتَكَ فيها خُروجٌ عن كَونِكَ إلى مُكَوِّنِهاَ، وإقامتُكَ بِهاَ اعتمادٌ عليهاَ، وإقامتُك لَها شُهُودٌ لِلْمِنَّةِ فِيهاَ، فإقامتُكَ في الصلاةِ فناءُ الشهودِ فِيهاَ، فافنَ عن شُهودك في مشهودِكَ، فإن الشاهدَ دَالٌ على المشهودِ، وإن كنتَ بالمشهودِ دَلَّكَ على الشاهدِ، فكن بالمشهودِ لا بالشاهدِ، إنْ شاهدْتَ الإقامَةَ شاهدْتَ الصلاةَ، وإن شاهدتَ الصلاةَ شاهدتَ نَاصِبَهَا، وإن شاهدتَ ناصبَهاَ فَنِعِمَّتِ الصلاةُ هِيَّ .**

قال الشارح:

إقامة الصلاة على الإطلاق أمر مطلوب ومقصد إلهي مرغوبٌ، وقد مر أن لهَا ثلاثة أوجه، لها وبها وفيها، فالمختار من هذه الثلاثة الإقامةُ فيها، لما فيه من الخروج عن فرقيةِ الأكوانِ إلى جمعية المكَوّنِ، والخُلوصُ من خطر التلون إلى سلامة التمكن، فلا يُشَاهِدُ الحَقَّ جلت قدرتُه حق الشهود إلا من خرج فانيا عن كلِّ ما في الوجود، ففضلُ الإقامة فيها ظاهر لما فيه من الفناءِ حالاً والبقاءِ جلالاً وجمالاً، فالإقامةُ بها: اعتمادٌ عليها من حيثُ رؤيةُ أفعالِه وشهودُ حركاتِه وأحوالِه، والإقامةُ لها: شهودٌ للمنة فيها من حيث شهودُ ما يُواجَه به من الأنوار، ويُكرَم به من الملاطفة والأسرار، فقد علمت أن أجلَّ المقاماتِ الإقامةُ فيها: لما فيه من الفناء في الشهود غيبةً ومحوا، والبقاء بالمشهودِ إحساسًا ومحوا؛ فافن عن شهودك تخليا وابق بمشهودك تحليا، فإن الشاهدَ مما هو منك أثر دال على المشهود، فإن كنت باقيا بالمشهودِ الذي هو المؤثرُ، دلك على الشاهد الذي هو الأثرُ، فاعرِفِ المشهود بأوصافه الوجودية، يدلُّك على الشاهِدِ بأوصافه العَدَمَيَّة، لتكونَ باقيا بالمشهود جل جلاله لا بالشاهد الذي هو أثر أفعاله أو متعلقُ وصْفِ كماله، فإن شاهدت مجازي أثرِك وهو الإقامةُ، أشهدك حُرُمَاتِ الصلاة وإن عاينتَهَا أشهدَك وجودَ ناصِبِهَا ومُصَوِّرِهَا فيها، فإذا تمكن منك شهودُ ناصِبِهَا فَنِعِمَّتِ الصلاةُ هي، لما فيها من الخروج عن الخلق وانفرادِ بالملكِ الحق، فبان لك أن شهُودَ الإقامةِ نتيجتُه المعاملةُ، وشهُودُ الصلاةِ نتيجتُهُ المواصلَة، وشهودُ ناصبِ الصلاةِ نتيجتُه محوُ آثارك بالفناءِ ومحوُ أسرارك بالبقاء، فوصلَةُ الصلاة أعظم الصِلاَتِ، وقُربتُها أعظم القربات، يشهد لجلالة قدرها من حيثُ الظاهر خصوصيتُها من بين سائر العبادات، بأن فرضت في العالم العلوي، وذلك إشعار بعلو منزلتها وجلالة قدرها، وهذه إشارة لعلو بساطها من حيثُ باطنُ الأمرِ، فإن من أقامها علتْ رتبتُه وارتفعت درجتُه على قدر ارتفاعها في عالم فرضيتها، وإن حجب عن هذا الشهود صاحبُها، فهو في الحقيقة سماويٌّ علويٌّ لا أرضيٌّ سفليٌّ، فافهم.

ويدل لعظمها أيضا وجوبُها طول العُمُر، وفي كل الحالات من قيام وقعود واضطجاع وبالطَّرْفِ وبالقلب على حسَبِ الاستطاعة كما علمت بخلاف غيرها، وكذلك اشتمالُها على جواهر الطاعات القولية والفعلية البدنية والقلبية، فهي من حيثُ الصورةُ كالصدفة وما انطوت عليه جواهرٌ، وامتازت أيضا على غيرها بأنَحْرُمَ حَالَ التلبس بها جميعَ الأشياءِ إلا بما هو من جنسها، فكانت حرما لا يدخُلُهَا إلا مُحْرِمٌ مغتسل من أدرانه معرضا عن جميع أقرانه وأكوانه، فتجردٌ من ثياب مخيطِ العلائق، ومُحيط الأنس بالخلائق عازما على طوافِ كعبةِ حضراته، والوقوفِ بمعرفةِ عرفاتِه، مع سعيه بين صفاء الصفا ومروة العهود حين ألست بربكم بالوفاءِ، وكانت مناسكُه مصحوبةً للاغتسال من جنابة غفلاته، يتعاهدها مرة بعد مرة مجتنبا لما عهد من لذائذ شهواته، حتى يتم له طواف الإفاضة في فضاء تجلياته بعد الفناء عن كلياته، فيرجعُ إذ ذاك من سماء حقوقه الحقية، إلى أرض **الحضوض** بوفاء الحقوق الخَلْقية إذ هو التحليل الأكبر، الذي يُباح بعده كلُّ شيء، فهو كالسلام من الصلاة، ولولا خوف الإطالة، لبسطنا الكلام في الصلاة على طِبْقِ أفعال الحج ظاهره وباطنه، وفي الإشارة ما يكفي اللبيبَ عن العبارة، ثم قال:

الحكمة الرابعة والستون

قال رضي الله عنه:

- **فعظمْ منْ أنتَ تُناجيهِ يَعْظُمُ في قلبكَ سِــرُّ حُضــوره، فالعظمةُ لا تكونُ إلاَّ لِلْعَظِيمِ والإهانةُ لا تكونُ إلا لِلَّئِيمِ، ولا تكن لِما أهانَهُ الله مُعظماً ولا لِما عظمَهُ مُهيناً .**

قال الشارح:

الصلاة محل المناجاة وموطنُ **الملاطفة والمكافحات**، يقف فيها العبد بين يدي ربه، ويتفضل عليه فيها بمزيد قربه، فيناجيه بكلامه ويتملق له بإنعامه، فليكن تكبيرك تعظيما حقيقيا يصغر معه ما سواه، فلا يوجد في قلبك عداه، فهو العظيم الذي يوقف بين يديه على بساط الهيبة والتعظيم، ويناجى في خلوة الجلال والتفخيم، فمن أدرك بقلبه مناجاتِه عَذُبَ في سره جميعُ حركاتِه و سكناتِه، وما يُحِبُّ الانتقال من صلاته ولا يستطيع الخروجَ منها، قال ﷺ:﴿ لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل ﴾[1]، أو كما قال، فلو عرف المصلي جلالةَ قدرِ من يناجيه وهو ربُّه جل جلاله، ما قدر على **الانفتال** عنه، بالالتفات إلى غيره بظاهره أو سره، ألا ترى أن الإنسان إذا كان بين يدي ملك من الملوك كيف يكونُ حالُه معه، فلا يرفع بَصَرَهُ إليه حياء، ولا يلتفت إلى غيره ولا يكلم من سواه، وما دام بحضرة الملك لا تتحركُ له جارحةٌ ولا يكونُ شغلُه إلا بحفظ الأدب مع الملك، وتلقى ما يرد عليه من قِبَلِهِ، فبمراعَاةِ حقوقِ الأدب معه، وتعظيمِ حُرمَتِهِ يكونُ احترام الملك له، ورفعُ المنزلةِ عندَه، هذا مخلوق في مخلوق، فما بالك بالخالق تعالى إذا **ناجاه**

(1) لم أقف عليه.

عبدُه في صلاته وحفظ حرمة معاملاته بأداء حقوقه القلبية، فإنه يكافيه من فضله ما يليق بأفضاله، ويعظمه بقدر تعظيمه و إجلاله، فإن عَظَّمْتَ الحقَّ في حال مناجاتِه، عَظُمَ في قلبك سرُّ حضراته، فالإعظام والإجلال لا يستحقُّهُمَا إلا العظيمُ وصفا ذاتيا، وما ذلك إلا الحقُّ تعالى، والإهانةُ وتركُ المبالاة وعدم الاهتبال والالتفات، لا تكون ولا تليق إلا باللئيم وهو الخلق، فتعظيم الحق عنايةٌ سابقةٌ، وتعظيم الخلق جنايةٌ لاحقةٌ، اللهم إلا من كانت حُرماتُ الحق و شعائرُهُ فيه، فإنما يعظُمُ لأجلها، فمن أكرمَكَ أكرم فيكَ جَميل وصفه، وإلا فأين أنت والإكرامُ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1] ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[2]، فملك الملوك أجل من أن يعظم معه سواه، إذ هو حقٌّ وما سواه باطل، فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فوجودُ الغيرِ عند دعوى تعظيمه، دليل على عدم ثُبُوتها، فلو أشرقت شمس الحق لذهب ليل ظلمة الخلق،فنزه سرَّكَ من رؤية غيره يمدُك بخيره،**وإياك أن تعظِّمَ ما أهانه الله أو تهينَ ما عظمه الله، فإن فعلت وعكست الحقائق، فقد وضعت الشيء في غير محله،** ثم قال:

الحكمة الخامسة والستون

قال رضي الله عنه:

- **وإن أقمتَ بصورةِ الصلاةِ ونَسَيْتَ مُصورها فيهاَ فتلك صلاةُ الغافلينَ، فاغتنمْ مِنْ صلاتِكَ الدُّخُولَ فيهاَ بصدقٍ والخروجَ منهاَ بِصدقٍ، وقُلْ رَبِّي أَدخلنِي مَدخلَ صدقٍ وأخرجنِي مَخرجَ صدقٍ .**

قال الشارح:

الاكتفاء بمجرد إقامة صورة الصلاة، وتشييدِ ظاهِرِهَا من غير مراعاةِ ناصِبِها وواضعها، علامةٌ دالةٌ على الغفلة المذمومة، فتلك الصلاةُ **بزمام** النسيان مزمومةٌ، فالسهو في الصلاة عن المصور تعالى **قادح** في العبودية، وحجابٌ عن الصفات الشهودية، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[3]، وكذلك **الكسلُ** دليلٌ عن **الوهن** في الدين والفشل، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾[4]، فلكلٍّ دليلٌ، فالسهو عن الصلاة موجبٌ **للويل** الذي هو الهلاكُ، والسهوُ عن نَاصِبِهَا أشد هلاكا وأعظم إشراكا، لأن الصلاةَ بيتُ الله **حَجَّرَهَا** من الشرِكَةِ فيها، فلذلك لم يبح لمصلٍ أن يُدخل غيره فيها، فإن رأى ما سواه في حرمه استوجب من أدخلَهُ **الملقتَ**، لأنه ضيع المكانَ

---

(1) الآية 32 سورة الحج.

(2) الآية 30 سورة الحج.

(3) الآية 4 سورة الماعون.

(4) الآية 142 سورة النساء.

والوقتَ، قال تعالى في معرض المدح: ﴿ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[1]، فصورة الصلاة ظرف وإقامتُها للذكر فيها، فالغفلة فيها عنه مضادةٌ لما وضعت له ونصبت لأجله، فادخلها بصدق يدخُل قلبك بحق، فالواجب عليك اغتنامُ صلاتِك بأن تدخلها بصدق، وتخرج منها بصدق، فدخولُها بصدق هو الفناء فيها، والخروج منها بصدق هو البقاء بصفات ناصبها، كما قال مستدلا بالآية الكريمة: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾[2]، فالمدخل الإدخال والمخرج الإخراج، أي أدخلني في صلاتي إدخال صدق بالفناء عن رؤية حولي وقوتي، ونسبة الأفعال إلى الذي هو تفرقة، واخرجني من صلاتي مخرج صدق بالبقاء على ما واجهتني به من أوصافك الكمالية و نعوتك الجمالية الجلالية، حتى أبقى في انفرادي بك في كل أحوالي الذي هو الجمع، وتمام تفسيره مأخوذ من قوله:

الحكمة السادسة والستون

قال رضي الله عنه:

- **وخيرُ الفناءِ أن تفنَى في صـــلاتكَ، لأنَّ دُخُولكَ فيها فناءٌ عَمَّا بَقِيَ منكَ، وخُرُوجُكَ منهاَ بقاءٌ بِحضـرةِ ربك، إن دخلتَ فيهاَ خرجتَ لَهُ، وإن خرجتَ منها دخلتَ عليه، فاخرجْ على ما أنتَ فيهِ إليهِ وادخلْ فيماَ أنتَ عليهِ إليهِ .**

قال الشارح:

الدخول لحرمات الصلاة بصدقٍ، فناءٌ عما بقي من العلاقات الغيرية، والخروجُ منها بصدقٍ بقاءٌ بالكمالات الخيرية، وحين كان المدخلُ الصدقُ فناءً والمخرجُ الصدقُ بقاءً، فالصلاة هي مُعَشَّشُ الرواحِ، وإليها ينبغي الغدوُّ والرواحُ، فالفناء فيها بتحريم ما كنتَ عليه هو خير الفناء، والخروجُ منها مرتديا بجليل ما لديه هو أجل البقاء، إن دخلتَ إليها خرجت بالفناء عن قفصِ حظوظك إليه، وعكفت بكليتك عليه، وإن خرجت منها لابسا خِلَعَ **حَلَيّهَا وحِلاَهَا** دخلت بالبقاء عليه، فالخروج الأول دخول منك إليه، والثاني منه إليه، الأول من أدناسك وأنفاسك، والثاني من شهودك وإحساسك، فاخرج عن محيط ثيابك وتجرد عن محيط أهويتك وأسبابك، واغتسل من جنابة أغيارك، والبس جلباب أسرارك، إحرامكُ بالدخول إليه فناء، ومناسكُك تودُّدٌ وتكرمٌ ونيل منا، وتحليلك من تطوف حضراته فناء عن الفناء، وهو عين البقاء بجميل صفاته، فلا يزالُ داخلُ الصلاة بصدقٍ في صلاة وإن خرج منها، لأن الدخول بصدق يوذن بالخروج منها بصدق، وذلك عينُ البقاء فيها، فما **حَتَّمَ** الإقبال والدخول حتى حرم الإعراض والذهول، فلا ينبغي للعاقِلِ أن يجعلَ صلاتَه محلا لقضاء **أوطاره**، و**مَعْدِنًا** لخواطره و أفكاره، بلِ اللائقُ أن تكونَ **قبر** أَقْبَارِهِ،

---

(1) الآية 14 سورة طه.

(2) الآية 80 سورة الإسراء.

تُعْرَضُ عليه حقيقة جنته أو ناره، يقلب فيها سبيكة قلبه من دنس أغيارها، وينقيها من خبائث غشها و أشرارها، فلا يُخْرِجُهَا من[كير][1] المجاهدة إلا لِجَنَّةِ المشاهدة، فافهم. ثم قال:

المؤمن بين الخوف والرجاء

الحكمة السابعة والستون

قال رضي الله عنه:

- **فالمؤمنُ بين أَمرينِ خوفٌ ورجاءٌ، إن خافَ ذاقَ وإن رجاَ شـــاقَ، خوفُهُ لاَ يَحْجُبُهُ عن رجائِهِ ورجاؤُه لاَ يَحجبُهُ عن خوفهِ، ذوقُهُ في الخوفِ يُرجيهِ وشوقُهُ في الرجاءِ يُهنيهِ.**

قال الشارح:

(1) في حج: كبير.

الخوف و**الرجاء**[1] حالتان تتواردان على القلب وتتعاقبان عليه بتعاقب أسبابهما، فللخوف موجباتٌ وللرجاء موجباتٌ، قال تعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[2] وقال: ﴿ يَخَافُونَ يدعونرَبَّهُمْ

---

[1] رجاه: أمله، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم 23 مرة على اختلاف مشتقاتها. وفي الاصطلاح الصوفي يقول الشيخ ابن عباد الرندي: الرجاء: مقام شريف من مقامات اليقين، وهو يبعث على الاجتهاد في الأعمال. وعرفه الإمام القشيري عدة تعريفات منها: الرجاء: هو توقع الكرم بشاهد الندم. وهو: سرور الفؤاد بحسن الميعاد. وهو: تطلع الإنعام مع توقع الانتقام. وهو: ترويح القلب لضمان الغيب. وهو: رؤية الموعود بعين التوحيد. وقيل: الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب. وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى. وقيل: الرجاء: هو ارتياح لانتظار ما هو محبوبٌ عنده، ولكن ذلك المتوقع لا بد له من سببٍ حاصل. ولا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يُتردد فيه، فأما ما يُقطع به فلا، إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها؛ لأن ذلك مقطوع به عند طلوعها وغروبها، ولكن يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه. وقيل: الرجاء هو إسكان القلب بحسن الوعد، وهو من جملة مقامات الطالبين وأحوالهم، والفرق بينه وبين التمني، إن التمني يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد، وبعكسه صاحب الرجاء، فالرجاء محمود التمني معلول. أما أقسام الرجاء ثلاثة: رجاء في الله، ورجاء في سعة رحمة الله، ورجاء في ثواب الله. وأنواعه أيضا ثلاثة: رجل عمل حسنة، فهو يرجو قبولها. ورجل عمل سيئة ثم تاب، فهو يرجو المغفرة. والثالث الرجل الكاذب يتمادى في الذنوب ويقول: أرجو المغفرة. وللرجاء عند المحققين أنواع ودرجات وعلامات، ومقامات وفوائد، وحد وحقيقة...الخ. أما من حيث تلازم الخوف والرجاء يقول الشيخ عبد القادر الكيلاني: لا يكون رجاء بلا خوف ؛ لأن من رجا أن يصل إلى شيء خاف أن يفوته، وحسن الظن بالله تعالى معرفته بجميل صفاته، ثم أمل به من حيث هو لا من حيث العبد علماً منه بأن من صفاته محسن، كريم، رحيم، لطيف، رؤوف. وحسن الظن بالله تعالى تعليق الهمم على ما سبق من نظر العناية، ونظر القلب إلى الرب بلا تطميع للقلب ولا تمنيته الأرواح. وطمع العامة نهايات، أكثر أسبابه صدق عليه اسم الرجاء، ومتى انخرمت عليه أكثر أسبابه فاسم الطمع أولى به من اسم الرجاء. والرجاء بلا خوف أمن، والخوف بلا رجاء قنوط. ويقول الشيخ نجم الدين الكبرى: من ترجح خوفه على رجائه وقع في زمهرير الأفكار، ومن ترجح رجاؤه زل عن الصراط في جحيم الاغترار، وصفة الحق العدل شديد العقاب ذي الطول، فعقابه أوجب له جناح الخوف، وفضله أوجب له جناح الرجاء. ويقول الشيخ عبد العزيز الديريني: = مثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة، فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف، يداوى بالآخر، حتى يرجع إلى حد الاعتدال. ويقول الشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي: الرجاء لا يتحقق إلا مع الخوف، كما أن الخوف لا يتحقق إلا مع الرجاء، فهما متلازمان؛ لأن الرجاء بلا خوف أمن في الحقيقة، والخوف بلا رجاء قنوط في الحقيقة ويأس من رحمة الله. ولهذا قال بعض أهل الحقيقة: الخوف والرجاء كزوجي المقراص لا يفيد أحدهما، مع وجود الآخر. وقال أكثرهم: هما كجناحي الطائر متى اعتدلا وتساويا طار طيراناً تاماً، ومتى زاد أحدهما عن الآخر اختل طيرانه ونقص، ومتى = ذهبا بالكلية سقط وصار كالميت والمذبوح. أما عن مواطن تغليب الرجاء على الخوف وبالعكس، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: لا بد من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح، ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن؛ لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد أنقضى وقت العمل، فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل، ثم لا يطيق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه. ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى، ليكون محباً للقاء الله تعالى، ومن أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه. وفي أفضلية العمل بالرجاء على الخوف ويقول أيضا: العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف؛ لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، والحب يغلب الرجاء. يقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو. ويقول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: خف الله خيفة لو جئته معها ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جئته معه بذنوب الثقلين لرحمك. **راجع**: **موسوعة الكسنزان**، ج9، ص161-180.

[2] الآية 16 سورة السجدة.

مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[1] وقال ﷺ: ﴿ لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يلج اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد أبدا ﴾[2]، وقال ﷺ: ﴿ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ﴾[3].

فالخوفُ: معنىً مُتَعَلَّقُهُ في المستقبَلِ، لأنه إما أن يخشَى هجومَ أمرٍ مكروه أو فواتِ أمرٍ محبوب، ولا يكون هذا إلا في أمر سيحصل في المستقبل، وقد فرض الله على عباده أن يخافوه، فقال: ﴿ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[4]، وقال: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[5]، ومدح المؤمنين بالخوف فقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[6]، وهو على مراتبَ: خوفٌ وخشيةٌ، وهيبةٌ. فشرط الخوف الإيمانُ قال تعالى: ﴿ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[7]، وخشيةٌ وشرطها العلمُ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[8]،وهيبة وشرطها المعرفة قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾[9].والخوفُ سوط الله يسوق به قلوب أحبابه، حتى يُولِجَهُمْ بإزعاجه على بابه، وقد اختلفت أقوالُ العلماءِ بالله في الخوف، كل على قدْرِ شربه، قال أبو حفص:(الخوف سراج القلوب به يبصر ما فيه من الخير والشر)[10]، وقال أبو علي الدقاق:(الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف)[11]، وقال **الدمشقي**[12]: (الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما

---

(1) الآية 50 سورة النحل.

(2) رواه الترمذي بلفظ آخر، كتاب الزهد، باب8، حديث2311، ص555. قال عنه هذا حديث حسن صحيح.

(3) متفق عليه عن أنس مرفوعا، وفي الباب عن أبي هريرة وجماعة، ورواه الحاكم عن أبي ذر وزاد فيه: ولما ساغ لكم الطعام والشراب. **انظر**: العجلوني،**كشف الخفا**، ج2، ص202.

(4) الآية 175 سورة آل عمران.

(5) الآية 51 سورة النحل.

(6) الآية 50 سورة النحل.

(7) الآية 175 سورة آل عمران.

(8) الآية 28 سورة فاطر.

(9) الآية **28** سورة آل عمران.

(10) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**،ج1، ص344.

(11) المرجع السابق.

(12) أبو عمرو الدمشقي وهو من أجل مشايخ الشام، عالم بعلوم الحقائق، صحب أبا عبد الله الجلا وأصحاب ذي النون المصري، رد على من تكلم في قدم الأرواح والشواهد، مات سنة 320هـ، من أقواله: ((التصوف رؤية الكون بعين النقص بل غض الطرف عن كل ناقص ليشاهد من هو منزه عن كل نقص))، وقوله: ((كما فرض الله على الأنبياء إظهار الآيات والمعجزات ليؤمنوا بها كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يفتتن الخلق بها))، سئل عن حديث النبيﷺ: ﴿ صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته﴾، فقال: أشار إلى استواء الحال أي لا ترجعوا عن الحق بإفطار ولا تقبلوا عليه بصوم ليكن صومكم كإفطاركم وإفطاركم كصومكم عند دوام حضوركم)). **انظر**:الحافظ الأصفهاني، **حلية الأولياءوطبقات الأصفياء**،ص346. **راجع**: ابن الملق، **طبقات الأولياء**، ص83.

يخاف من الشيطان)[1]، وقال **ابن الجلا**[2]:(الخائف من تَأْمَنُهُ المخَوِّفَاتُ)[3]، وقيل: ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه بل الخائف من يترك ما يَخَافُ أن يعذب عليه، قيل للفضيل: (مالنا لا نرى خائفا ؟ فقال: لو كنت خائفا لرأيت الخائفين، إن الخائف لا يراه إلا الخائفون وإن الثكلى هي التي تُحِبُ أن ترى الثكلى)[4]، وقال **يحي ابن معاذ**[5]: (مسكينٌ ابنُ آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لدخل الجنة)[6]، وقال **شاه الكرماني**[7]: (علامة الخوف الحزن الدائم)[8] وقال **أبو القاسم الحكيم**[9]: (من خاف من شيء هرب منه ومن خاف الله هرب إليه)[10]، وقال **معاذ ابن جبل**[11]: (المؤمنُ لا

---

(1) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص345.

(2) أبو عبد الله بن الجلا، بغدادي الأصل أقام بالرملة ودمشق – الرملة مدينة عظيمة بفلسطين بين القدس ويافا – مات بدمشق سنة 306هـ، وكان ورعا وكان مذهبه في سفره التوكل والتجريد، كان يقول: ((إن في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وابن الجلا بالشام))، من أقواله: ((من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد لا يرى إلا واحد))، ولما مات ابن الجلا نظروا إليه وهو يضحك فقال الطبيب: إنه حي ثم نظر إلى مجسته فقال: إنه ميت، ثم كشف عن وجهه فقال: لا أدري أهو ميت أم حي. وكان في داخل جلده عرق على شكل .لِلَّه.**انظر**: **طبقات الأولياء**، ص81.

(3) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**،ج1، ص345.

(4) **انظر**: المرجع السابق،ج1، ص345.

(5) يحي ابن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، تكلم في علم الرجاء وأحسن الكلام فيه، وكانوا ثلاثة إخوة وكلهم كانوا زهادا، خرج إلى بلخ و أقام بها مدة ثم رجع إلى نيسابور ومات بها سنة 258هـ، وروى = الحديث، سمع يقول: ((من استفتح بابالمعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين))، وقال: ((الصبر على الخلوة من علامات الإخلاص))، وقال: ((طلب العاقل للدنيا أحسن من ترك الجاهل لها))، وقال: ((أجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين)) وقال: ((الفوت أشد من الموت لأن الفوت انقطاع عن الحق والموت انقطاع عن الخلق)). **انظر**: **طبقات الصوفية**، ص107.

(6) **انظر**: الرسالة القشيرية، ج1، ص345.

(7) شاه ابن شجاع، كان من أولاد الملوك. وكان من أجل الفتيان وعلماء هذه الطبقة، وله رسالات مشهورة والمثلثة التي سماها:« مرآة الحكماء » مات قبل 300هـ، سمع يقول: ((لأهل الفضل فضل ما لم يروه فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية مالم يروها فإذا رأوها فلا ولاية لهم)). **انظر**: ابن الجَوْزي، **صِفَة الصفوة**، ج4، ص67.

(8) **انظر**: الرسالة القشيرية ج1، ص345.

(9) لم أقف على ترجمته.

(10) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية** ج1، ص345.

(11) صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺوبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضيا ومرشدا إلى أهل اليمن وأرسل معه كتابا إليهم يقول فيه: ((إني بعثت لكم خير أهلي)) ، فبقي في اليمن إلى أن توفي النبيﷺوولي أبو بكر وعاد إلى المدينة، ثم كان مع أبو عبيدة في غزو الشام ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذا وأقره عمر مات سنة 18هـ، وكان من أحسن الناس وجها ومن أسمحهم كفا، له 157

يطمئنُّ قلبُه ولا تُسَكَّنُ روعتُه حتى يُخَلِّفَ جسر جهنَّمَ)[1]، وقال بشر ابن الحارث:(الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب متق)[2]، وقال أبو عثمان:(آفة الخائف السكونُ إلى خوفه لأنه أمنٌ خفيٌّ)[3]، وقال الواسطي:(الخوف حجاب بين الله وبين العبد)[4] ومعناه والله أعلم، إن الخائفَ متطلع لوقت ثان، وأبناء الوقت لا تطلع لهم للمستقبل، وحسنات الأبرار سيآت المقربين، وقال بعضهم: (الخائف يَهرَبُ من ربه لربه). وقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿ قلت يا رسول الله الذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويزني ويشرب الخمر قال: لا. ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه ﴾[5].

وقال **ابن شيبان**[6]: (إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه)، وقيل:(الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام. وقيل: الخوف حركة القلب من جلال الرب). وقال أبو سليمان: (ينبغي للقلب أن لا يكونَ الغالبُ عليه إلا الخوفَ فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد. ثم قال: يا احمد بالخوف ارتفعوا فإذا ضيعوه نزلوا)[7]. وقال **الواسطي**[8]:(الخوفُ والرجاءُ زِمَامَانِ على النفوس لئلا تخرُجَ إلى رعوناتها)، وقال:(إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فَضْلَةٌ لرجاءٍ ولا خوفٍ)[9]، ومعناه إذا اصطلمتِ شواهد الحق الأسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان.

والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية، وقال الحسن بن منصور: (من خاف من شيء سوى الله تعالى، أو رجا سواه، أغلق عليه أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة من كل شيء،

حديثا توفي عقيما بناحية الأردن ودفن بالقصير المعيني بالغور، ومن كلام عمر: ((لولا معاذ لهلك عمر)) ينوه بعلمه. **انظر**: الزركلي، **الأعلام**، ج7، ص258.

(1) **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص346.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص346.

(5) رواه الإمام أحمد والترمذي.

(6) إبراهيم بن شيبان الحجة القِرْمِسَينيُّ – قرميسين مدينة من جبال العراق قريبا من همذان – له مقامات في الورع والتقوى يعجز عنها الخلق إلا مثله، صحب أبا عبد الله المغربي وإبراهيم الخواص، وكان شديدا على المدعين متمسكا بالكتاب = والسنة لازما لطريقة المشايخ والأئمة وأسند الحديث. كان يقول: ((من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص)) ، مات سنة 330هـ. **انظر**: **طبقات الأولياء**، ص21.

(7) **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص349.

(8) أبو بكر محمد بن موسى الواسطي خرساني الأصل، من (فَرْغانة) – كورة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان– عالم كبير الشأن، من قدماء أصحاب الجنيد والنوري، وهو من علماء مشايخ القوم، لم يتكلم أحد من أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالما بالأصول، وعلوم الظاهر، مات بعد = 320هـ. من كلامه: ((الخوف والرجاء زمامان يمنعان العبد من سوء الأدب)). **انظر**: **طبقات الصوفية**، ص302 . **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص151.

(9) المرجع السابق، ج1، ص352.

وحجب بسبعين حجابا أيسرُهَا الشك، وأن مما أوجب شدة خوفهم فكرتُهم في العواقب وخشيةُ تغير أحوالهم)[1]، قال تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًاالَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَصُنْعًا ﴾[3]، فكم من مغبوط في أحواله انعكست عليه الحال، وشقي بمقارفة قبيح الأعمال، فَبُدِّلَ بالأنس وحشةً، وبالحضور غيبةً، وأنشد أبو علي الدقاق:

أحسنتَ ظنكَ بالأيام إذْ حَسُنت * ولم تَخَفْ سوءَ ما يأْتِي بهِ القدَرُ

وسالمتكَ الليالي فاغترتَ بهَا * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقيل لما ظهر على إبليسُ ما ظهر، **طفق** جبريلُ و ميكائيلُ عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله إليهما مالكُما تبكيان كُلَّ هذا البكاءِ، فقالا: يا ربنا لا نأمنُ من مكْرِكَ، فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تامنا مكري. وحكي عن السري السقطي أنه قال:(إني لأنظر إلى أنفي في اليوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافُهُ من العقوبة)[4]، وقال أبو حفص:(منذ أربعينَ سنةً اعتقادي في نفسي أن الله تعالى ينظر إلي نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك)، وقال حاتم الأصم:(لا تَغْتَرَّ بموضعٍ صالح، فلا مكانَ أصلحُ من الجنة ولقي فيها آدم ما لقي، ولا تغترَّ بطول العبادة، فإن إبليس بعد طولِ العبادة لقِيَ ما لقِيَ، ولا تغترَّ برؤية الصالحين، فلا شخصَ أكبر من المصطفى ﷺ لم ينتفع به بعض أقاربه [وأعداؤه][5])[6]، وسُئل الشَبْلَيُّ: لم تصفر الشمس عند الغروب؟ فقال:(لِأَنَّهَا عَنْ مَكَانِ التَّمَامِ فاصفرَّتْ لخوف المقام)[7]. وكذا المؤمنُ إذا قَرُبَ خُروجُه من الدنيا اصفر لونُه لأنه يخافُ المقام، فإذا طلعتِ الشمسُ طلعَتْ مبيضة كذلك المؤمن إذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق؛ ويحكى عن **أحمد بنِ حنبلَ**[8]

---

(1) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص350.

(2) الآية 47 سورة الزمر.

(3) الآية 104 سورة الكهف.

(4) **انظر**: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص71.

(5) في حج: ساقطة.

(6) ((لا تَغْتَرَّ بموضعٍ صالح فلا مكانَ أصلحُ من الجنة ولقي فيها آدم عليه السلام ما لقي، ولا تغترَّ بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طولِ العبادة لقِيَ ما لقِيَ ولا تغترَّ برؤية الصالحين فلا شخصَ أكبر من المصطفى ﷺ لم ينتفع بلقائه أعداؤه و بعض أقاربه، ولا تغترن بكثرة العلم فإن بلعم – بلعم بن باعورا من علماء بني إسرائيل – كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي)) . **انظر**، **الرسالة القشيرية**، ج1، ص352.

(7) ((لِأَنَّهَا عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام)) . **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص354.

(8) **ولد** في بغداد سنة 164هـ وكان إمام المحدثين، صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، وقيل أنه كان يحفظ ألف ألف حديث، وكان من أصحاب الإمام الشافعيﷺ وخواصه إلى أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل. ودعي إلى خلق القرآن أيام المعتصم فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على

أنه قال: (سألت الله ربي عز وجل أن يفتحَ علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت: يا رب على قَدْرِ ما أطيق فسكن ذلك).

وأما **الرجاءُ**: فإنه حالةٌ مقبولةٌ محمودةٌ، لكنْ ينبغي أن يكون عليها العبد عند سفره إلى الآخرة، أو يرجعُ إليها عند غلبة الخوف عليه خشيةَ القنوط، وأما في حال الصحة فالخوفُ وما ضاهاهُ أولى، لأَنَّ به يكونُ **الإدلاج** وهو إلى الترقي أعظم سلمٍ ومعراجٍ، قيل من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1]، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ عن جبريلَ عليه السلام قال: ﴿ قال ربكم عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئا غفرت لك على ما كان منك، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلهن مغفرة فاغفر لك ولا أبالي ﴾[2]، وعن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ يقول الله تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة شعير من إيمان، ثم يقول: اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من **خردل** من إيمان، ثم يقول: وعزتي وجلالي لا أجعل من آمن بي ساعة من ليل أو نهار كمن لم يؤمن بي ﴾[3].قيل الرجاءُ تعليقُ القلب بمحبوبٍ سيحصل في المستقبل، وبالرجاء عيشُ القلوب واستقلالُها، والفرق بين الرجاء وبين التمني: أن التمني يُورِّثُ صاحبَه الكسل، ولا يسلك طريق الجُهْدِ والجِدِّ، وبعكسه صاحب الرجاء،فالرجاءُ محمودٌ والتمني معلولٌ، قال ابن عطاء الله:(الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنيةٌ)[4] وهذا من حيث المعنى كقوله ﷺ: (**الكيس** من **دان** نفسه – أي حاسبها – وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسَهُ هواها وتمنى على الله الآماني)[5]، قال شاه الكرماني:(علامة الرجاء: حسن الطاعة)[6]، وقال **ابن حبيق**[7]: (الرجال ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو

الامتناع وكانت مدة حبسه 28 يوما، أخذ عنه الحديث البخاري ومسلم، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع، توفي سنة241هـ ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب وقبره بها مشهور، حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألف، وقيل أنه أسلم يوم مات عشرون ألفا من النصارى واليهود والمجوس وقيل ستون ألف. **انظر**: ابن خلكان، **وفيات الأعيانوأنباء أبناء الزمان**، ج1، ص63.

(1) الآية 110 سورة الكهف.

(2) رواه الإمام أحمد ابن حنبل عن أبي ذر بلفظ آخر، مج6، ص217، حديث20994.

(3) رواه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ آخر عن أبي سعيد الخذري، ج1، كتاب الإيمان، ص117.

(4) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص225.

(5) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم والعسكري و القضاعي والترمذي وقال حسن عن شداد بن أوس مرفوع، وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري،وقال سعيد بن جبير: ((الاغترار بالله المقام على = الذنب ورجاء المغفرة))، وفي الحديث رد على المرجئة وغثبات للوعيد. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص178.

(6) **انظر**: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص356.

(7) عبد الله بن خبيق بن سابق الأنطاكي، وهو من زهاد الصوفية، أصله من الكوفة، وطريقته في التصوف طريقة النوري وأسند الحديث، من أقواله: ((إنما هي أربع لا غير: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك. فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحل، وانظر

المغفرة، والثالث الرجاءُ الكاذب يتمادى على الذنوب ويقول: أرجو المغفرة، ومن عرفَ نفسَه بالإساءة ينبغي أن يكون خوفُه غالبا على رجائه)[1]، وقيل:(الرجاء ثقة الجود من الكريم)، وقيل:(الرجاء رؤية الجليل بعين الجمال)، وقيل:(هو قرب العبد من ملاطفة الرب)، وقيل:(السرور بالفوائد بحسن الميعاد)، وقيل:(هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى).

ما تعلق به الغرض من تعريف الخوف والرجاء، وأشبعت الكلام فيه ليأخذ مطالع هذا التعليق حظَّهُ ونصيبَهُ من حلوان أذواقهم، عسى أن تحملَه داعية أشواقهم، وكان جلُّ ما نقلتُه هنا من رسالة الإمام القشيري بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى، وأما ما يتعلق بكلام المؤلف ﷺ، فأقول وعلى الله أُعَوِّلُ: فالمؤمن ينبغي له أن يكونَ في برزخ التوسط بين الأمرين، واقفا على بساط الحالين، متمسكا في ترقيه بكلا الحبلين، وذلك الخوف والرجاء، فإذا حصلت له حالة الخوف من سطوات الرب جل جلاله ذاق طعم الوَجَلِ واصطلم تحت **قهرمان** جلاله عز وجل، وإن حصلت له حالة الرجاء وتعاظمت عليه مشاهدة سَعَةِ رحمته تعالى، وما تضمنتهُ من الآلاء والنعماء، هيجه ما رآه فاشتاق إلى اللقاء وكره المقَامَ في هذه الدار والبقاء إذ هي سجنه، قال ﷺ: ﴿ الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه ﴾[2] أو كما قال، وحيث كانت كذلك فلا يَلَذُّ بها عيش من شاهد وُسْعَ رحمته تعالى، ولا تحجبه حالة الخوف بعظيم جلالها عن حالة الرجاء بعظيم جمالها، ولا العكس بالعكس، فذوقه من ثمرات خوفه يوجبُ له حسنُ الرجاء، وشوقه إلى مخدرات رجائِهِ يهنيه فوزا بالمنَى، لأنه ثابت بين مركزي الخوف والرجاء، فإلى أيهما شاء لجا، عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاستويا ﴾[3] أو كما قال، وقال بعضهم:(الخوف والرجاء هما كجناح الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا نقص أحدُهُمَا وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت)؛ وقيل:(من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حملها على الخوف **قنط**، ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة).

قلت والإشارة بعموم قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4] ففروا إلى الله تتضمن ما مر، وتفيد الفرار إلى الله من السكون إليهما والدخول تحت ظلهما، فقد جعلهما الله تعالى

لسانك لا تقل به شيئا يعلم الله تعالى خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوى به شيئا من الشر، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع من الخصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت))، وقوله: ((من أراد أن يعيش غنيا في حياته فلا يسكن الطمع قلبه))، وقوله: ((لا تغتم إلا من شيء يضرك غدا، ولا تفرح بشيء لا يسرك غدا)). **انظر**: ابن الجَوْزي، **صِفَةُ الصفوة**، ج4، ص280.

[1] انظر: **الرسالة القشيرية**، ج1، ص357.

[2] رواه الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين بلفظ: ﴿ الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا خرج من الدنيا فارق السجن والسنة ﴾، ج4، ص315، كتاب الرقاق.

[3] **انظر**: السيوطي، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، 133.

[4] الآية 49 سورة الذاريات.

للسائر إليه بمثابة النار والماء للصانع، لولا حرارة النار الذي هو الخوف ما خرج خَبَثٌ، ولولا [إبراد][1] السبيكة في الماء الذي هو الرجاءُ ما نفعَ **لَبْثٌ**، فلا تصفو سبيكة القلب من أدرانها وتتقدس من أدناسها إلا بدفنها في لهب نار الخوف تارة، وغمسها في ماء الرجاء أخرى، حتى إذا زكت أحوالُها وكَمُلَ منوالها استحقت مكان ذلك تنويرا، و أبدلت مكان المعول تشهيدا، واستراحت من [كيد][2] المجاهدة وصارت حُلَّةٌ للتجمل والمشاهدة، فافهم. ولك فيه وجه آخر وهو أن الله تعالى جعل علقة القلب معلقةً بين عمودي اليمين والشمال، وجعل لليمين ملَكًا يكتب الحسنات وللشمال ملكًا يكتب السيآت، فإذا التفت إنسان القلب إلى جهة اليمين، واجه نهار الرضى بنسيمه واتسع فضاء الرحمة أمامه في ضياء نعيمه، وإن توجه إلى جهة الشمال، قابله ليل السخط بظلامه فخاف المقت من خلفه وأمامه، فلا يزال **يتدحرج** بين الأمرين ما لم يَرْجَحْ أحد الحالين، فإن استوى حالُه فذلك، وإن رجح إلى أي جهة غلبت تلك الحالةُ عليه وكان محكوما بها [عليه][3]، وكون ملك اليمين أمينا على ملك الشمال كما روي ذلك عنه ﷺ إشارةً، والله أعلم إلى أنَّ رحمةَ الله تَغْلِبُ غَضَبَهُ كما قال: ﴿ إن رحمتي تغلب غضبي ﴾[4] لأن مؤونة بناء الجنة تخرج على باب اليمين ومؤونة النار على باب الشمال، فالجنة أثر الرحمة وهي توجب قوة الرجاء، والنار أثر الغضب وهو يوجب شدة الخوف، فالعبد سائر في سبيل عُمُرِهِ بين علمي الخوف والرجاء، فما غلب عليه حُكم له به، وإلا فهو منتقل من حال إلى حال حتى ينتهي إلى الفناء على كل حال، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[5] تجدْ شواهد الحق و أدلتَهُ مركوزةً في هذا القالَب الإنساني بأسرها إذ هو عالم أكبر كما قال:

دواؤك منك وما تشعر * وداؤك منك وما تبصر

وتحسب أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر

واعلم أن بعثَ الإنسان من بطن أمه بمثابة بعثه من قبره، وزمنُ صباهُ إلى بلوغه الحُلُمَ بمنزلة سعيه إلى حشره، فإن بلغ الحُلُمَ نُصِبَ ميزانه ووُضِعَ على كاهليه، فكفة الحسنات منسدلة على جهة اليمين، وكفة السيآت منسدلة على جهة الشمال، وكان قلبه بمثابة لسانَ الميزان يرجح إلى إحدى الكفتين، فإن رجحت إحداهما مال إليها و إلا فهو في الاستواء، وكان الزمن الذي بعد البلوغ كَجِسْرِ الصراط يسلكُه على وَفْقِ أعماله ويمر عليه بحسب أحواله إن خيرا فخيرٌ و إن شرا فشرٌ، وكما أن له قبرا بعد موته الحسي، يكون له مقر في مقام الفناء بعد الموت المعنوي، وكما أَنَّ له جَنَّةً مؤجلةً كان له هنا جنةٌ معجلةٌ وهي

---

(1) في حج: إطفاء.

(2) في مخ: كير.

(3) في مخ: إليه.

(4) **انظر**: العلي الغفار، **مختصر العلو**، تحقيق الألباني، 92. **انظر**: السيوطي، **الدر المنثور**،6/3.

(5) الآية 21 سورة الذاريات.

حضرة الرب، وأعظمها نظر وجهه الكريم في جنة الحضور والنعيم، غير أن النظرَ هنا قلبا وهناك بصرًا، هذا إن كان سعيدا سلك صراط عُمُرِهِ على الاستقامة، وإن كان بالعكس فأعظمُ عذابه كثافة حجابه، عافانا الله مما أدرك به أهل سخطه، وجعلنا من أهل رضَاهُ ولُطفه بمنه وكرمه، قالت **رابعة العدوية**[1]:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة * فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

قال ﷺ:﴿ المؤمن كخامة الزرع وقال كالنخلة تقوم مرة وتقع أخرى ﴾[2] أو كما قال. فإذا هبت رياح الرجاء حركت ورقة قلبه إلى جهة اليمين، و إذا هبت رياح الخوف حركتها إلى جهة الشمال، فلا يزال كذلك حتى تتم أيامه ويتحقق بالخاتمة مقامُه، نسأل الله تعالى الختم على السعادة والحسنى والزيادة إنه كريم جواد، ثم قال:

الحكمة الثامنة والستون

قال رضي الله عنه:

- **واعلم أن الخوفَ خوفانِ خوفٌ يُخرجُكَ من القنوطِ وخوفٌ يُنجيكَ من السـقُوطِ، والرجاءُ رجاآنِ رجاءٌ يُنسيكَ أُمنيةَ المعهُودِ ورجاءٌ يكشفُ لَكَ عَيَنَيَّةَ الشُّهُودِ، والرجاءُ ما خيفَ فيهِ العقابُ والخوفُ ما رُجِيَ فيهِ الثوابُ، فكن في خوفكَ لإحسـاَنِ ربّكَ راجياً وكن في رجائِكَ لِخوفِ عذابِهِ لاَقَياً .**

قال الشارح:

كلامه في الخوف والرجاء المحمودين وقد قسم كلا إلى قسمين: فأحد الخوفين ما يخرج صاحبَه من وصف اليأس و القنوط، والآخر: ما ينجو به موصوفه من نعت السقوط، وذلك بمزجهما برجاء إحسانه وتفضله وامتنانه، حتى إذا واجهته العناية الربانية وقابلته الأيادي الرحمانيةُ، فكان خوفه إحسانيا وشهوده إيقانيا، نجا بفضل الله من المخافة والخطر، وكان حالُه في خوفيه هيبةً **وحذرا**، فلا يهجم عليه الخوف بسلطانه إلا بِقَدْرِ ما تقتضيه رتبة إيمانه، وكذلك الرجاء رجاآن أحدُهما: أن تنسى به تَمَنِّي ما عُهِدَ، والآخر أن يكشف لك به عن معاينة ما شوهد، لأنك إن رجوتَ ما فيه حظاً للنفس كان ذلك قادحا في المعنى والحس، فالرجاء أن لا ترجى كما أن الخوفَ أن لا تخافَ، وإن كان ولابد فاجعل في خوفك شهود إحسانه

---

(1) الصالحة المستورة من أعيان عصرها فضلها مشهور، ماتت سنة 135هـ دفنت بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور، أتاها رجل بأربعين دينارا فقال لها تستعينين بها على بعض حوائجك، فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت: هو يعلم أي أستحي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟ قالت لسفيان: إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل. **انظر**:ابن الجَوْزي، **صِفَة الصفوة**، ج4، ص27.

(2) **انظر**: **مصنف ابن أبي شيبة** 21/11. **انظر**: المتقي الهندي، **كنز العمال** /729.

و إنعامه، وفي رجائك معاينةَ سطواتِ انتقامه، فإذا صح لك هذا الوصف آمنك الرجاءُ والخوفُ، وكان ملك اليمين مصافحا لك في كل حين، وكان ملك الشمال حذوك كالخيال،لأنهما يتعطلان عن الكَتْبِ لخروج أمرك عن حد الجزاء بالكسب، وكان حالُك في دنياك بمثابةِ من وضع في قبره تحار العقول في أمره، وكما أن الكَاتِبَيْنِ يقفان على شفير قبرك و لا يكتبان شيئا، فكذلك هنا يُوْنِسَانِكَ رعايةً لحرمتك ورفعا لقدرك لا غير، كيف لا وهما إنما وكلا بِكَتْبِ ما أُرِيدَ به المجازاةُ، وأنت أُخرجت عن جميع الأمنياتِ، فهيهات أن يكتبوا لك أو عليك شيئا، هيهات، لأن قيامتك قد قامَتْ وعينُك في قبر انفرادك بوحدانية الله نَامت، عجبا من ميت يمشي على وجه الأرض منزهُ الروحانية عن حد الطول والعرض، لا يرى غيرا ولا يخاف شرا ولا يرجو خيرا، لا يخوفه تهدد ولا يرجيه تودد، فنيت بشريتُه وإرادتُه حتى صار مرادُ الحق له مرادا، فتحقق أنه ليس له من الأمر شيء، فَطُويتْ له مسافة عوالمه طي من مات قبل أن يموت، وحوسب قبل أن يحاسب ووزن قبل أن يوزن، وجاز الصراط ودخل جنته وشاهد منته، فقال: ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوءُ من الجنة حيث نشاءُ فنعم أجر العاملين ﴾[1]، فخوفُ من كانت هذه حالُه هيبةٌ وجلالٌ، ورجاءُ من هذا نعتُهُ حياء وأنسٌ وجمالٌ، لا يُنَغَّصُ عيشُ روحانيته بكدَرٍ ولا يَشُوبُ شرابُ سره بغيرٍ، خفيت عن الإدراك أحوالُه وغابت عن التكييف أعمالُه، تراه خائفًا وهو في بساط الرجاء، وتحسبُه في وسمِ الرجاءِ وهو خائفٌ، لا يحجُبُهُ شأن عن شأن، وكل نفس هو في شأن، تنوعت أرزاقه واتسعت عن العقول القاصرة أخلاقُه، روحاني شفافٌ يُرى ظاهرهُ من باطنه وباطنُه من ظاهره، يزداد الناظر فيه حيْرَةً، تنتقش في مرآته الأشياءُ من غير حلول، وعن صقالَتِهِ لا يتحول ولا يزول، فهو في هذه الدار بمثابة الجنين في بطن أمه، لا يضره حرٌّ ولا يُدركه ضرٌ، يدخُل عليه رزقُه من أعماق صُرَّتِهِ، وانعطف عليه الرحم بقدرته، فهنيئا له في الدارين، لا يخرج إلا لمتسع الشهود و أنوار الوجود،وألفاظ المؤلف متقاربة في المعنى، وما لاح لنا فمن بركاته ولله الحمد، ثم قال:

الحكمة التاسعة والستون

قال رضي الله عنه:

- **إن احتقرتَ الصغائرَ من الذنوبِ قابَلَكَ فيهاَ بعدلِهِ فَلاَ مَنْجاَ، وإن استعظمتَ في خوفكَ الكبائِرَ فإنَّاَ في عفوِ الله كالهباَءِ، لاكبيرةَ مَعَ الاستغفار والخوفُ يَصحَبُهاَ وَلاَ صغيرةَ مَعَ الإصرارِ والرجاءُ يشمَلُهاَ .**

قال الشارح:

(1) الآية 74 سورة الزمر.

انقسمت الذنوبُ بمجرد النظر إلى وصفها على قسمين: صغائرَ وكبائرَ، هذا إن صدرت على وجه اتباعِ الشهواتِ، والركونِ إلى الهوى والوقوع في المخالفات لا غير، أما أن أنظم إلى ذلك شيءٌ من احتقار الصغائر أو استعظام الكبائر، فالحكم فيها شيء آخر، وذلك أن الإنسان إذا عمل ذنبا صغيرا واحتقر حاله، وقَصَرَ نَظَرَهُ عن أن يراعي عظمةَ مولاه وجلالَه، قابله المولى بقهرية عدله وسلطانه، وحجب عنه بهجة إحسانه ومِنَّةَ غفرانه، فكان بقدرة الله كبيرا بعد أن كان صغيرا، عدلا من الله تعالى لكونه احتقر الذنب واستصغره، ولا رجعَ إلى قدْرِ المعْصَيِّ ولا نَظَرِهِ، فكان عاقبةُ أمره إلى الخطر، وقيل له في زائف رجائه لا منجا من الله إلا إليه ولا **وِزْرَ**، وإن صدر منه ذنب كبير على وجه سوابق القضاء والتقدير، فأعقبه في قلبه عظيم الخوف والوجل، وقَوِيَ في شهوده سلطانُ الله عز وجل، فعظمت عليه هيبة الله جل جلاله، وعلم أنه قَصَّرَ وساءت حالُه، يواجهه المولى بجعل كبيرها صغيرا وعظيمها حقيرا، فكانت بفضله متلاشيةً في جنب غفرانه **كالهباء**، فلا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار، فالمضر للمرء غفلتُه عن ربه، واحتقار مخالفاته وذنبه، التي هي نتيجةٌ نشأت عن استصغار الذنب واحتقار جلال الرب، فلو عرفَ العبدُ ربه وملأ من مهابَتِهِ الخوفَ منه لُبُّهُ، لقابله بما يليق بجلاله ولم يواخذْهُ بقبيح أفعاله **تطولا** منه وفضلا، كيف لا وهو إلى ذلك لازال ولا يزال أهلا، فلا تتوهم أن في الذنوب كبائرَ وصغائرَ على الخصوص إلا ما يقتضيه ظاهر الشرع، وأما باطِنُهُ فالمنظور إليه حَالُ المذْنِبِ مع من عَصَاهُ، ويُعَامَلُ على وَفْقِ ما عنده، فلا يلومن العبدُ المسكينُ إلا نفسه، فرب صغيرة تتعاظم ورب كبيرة تتصاغر، وذلك بحسبِ حال فاعلها وشهودهِ إياها، فإن الله تعالى ينظر في قلب عبده عَقِبَ ذنبه، فإن وجد فيه استعظامَ المخالفة وشديدَ الاكتراثِ بها، تجلى عليها بجميل صفاته وأقسم على غفرانها بحياته، وإن وجد فيه احتقار ذلك واستصغار ما هنالك تجلى عليها بعدلية صفاته، وحكم على فاعلها بوجوه توجب الانتقام، لأنه تعالى يُنْزِلُ العبد منهُ حيث أنزلَهُ العبدُ من نفسه، واستعظامُ الذنوب واحتقارُها بنسبةِ شُهُود المعصى، فلو شاهده عظيما لعظمت عليه المخالفةُ على كل حال، ولا يرى فيها كبيرا ولا صغيرا، لأَنَّ المعْصَيَّ كبِيرٌ، فلو شاهده بالعكس كان جميعُ ذنوبه عظائمَ في المعنى والحس، وتأمل قولَهُ:

وعين الرضى عن كل عيبٍ كليلةٌ * كما أن عين السُّخْطِ تبدي المساويا

فلو نظر هذا المسكين إلى وُسْعِ عفو الله وكرمه ما عظم عنده ذنب، ولو نظر إلى شديد **بطشه** وعظيم سلطانه ما صغر عنده ذنب، قال ابن عطاء الله:(لا صغيرة إن قابلك عدله ولا كبيرة إن واجهك فضله)[1]، وقال يحي بن معاذ ﷺ: (إن وضعَ عليهم عدلَه لم تبق لهم حسنةٌ، وإن قابلهم فضله لم تبق لهم سيئة)، ومن دعائه ﷺ: (إلهي إن أحببتني غفرت سيآتي وإن مقتني لم تقبل حسناتي)، وما أحسن قول سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ في دعائه ومناجاته:(واجعل سيآتِنا سيآتِ من أحببتَه، ولا تجعل

(1) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص166.

حسناتِنا حسنَاتِ من أبغضتَه، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك)، وقال ابن عطاء الله:(لا يعظمُ الذنبُ عندكَ عظمةً تصدُّكَ عن حُسْنِ الظن بالله تعالى، فإن من عرف ربَّهُ استصغر في جنب كرمه ذنبَه)[1]، قال ابن عباد:(عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما: أن يعظمَ عنده عظمةً تحمله على التوبة منه والإقلاعِ عنه وصِدْقُ العزم على أن لا يعود إلى مثله، فهذه عظمةٌ محمودةٌ وهي من علامات إيمان العبد)[2]، قال **عبد الله بن مسعود**[3]ﷺ: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فأطاره) والثاني: أن يعظم الذنب عنده عظمةً توقعه في اليأس والقنوط و تُوديه إلى سوءِ الظن بالله، فهذه عظمةٌ مذمومةٌ قادحةٌ في الإيمان، وهي شرٌ عليه من ذنوبه، وسبب ذلك وجودُ جهله بصفة مولاه المحسنِ الجوادِ الكريمِ، قال في التنوير: واعلم أنه لابد في مملكته من عبادهم نصيب الحلم، ومحل ظهور الرحمة والمغفرة، ووقوع الشفاعة وافهم ما قال رسول الله ﷺ: ﴿ والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون الله تعالى فيغفر لهم ﴾[4]، وقوله ﷺ: ﴿ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ﴾[5]، وجاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال له: يا سيدي كان البارحةَ بجوارنا من المنكرات **كيت وكيت** وظهر من ذلك الرجلِ استغرابٌ أن يكون هذا، فقال: يا هذا كأنك تريد أن لا يُعصى اللهُ في مملكته، من أحب أن لا يُعْصَى اللهُ في مملكته، فقد أحب أن لا تظهر مغفرتُه، وأن لا تكونَ شفاعةُ رسول الله ﷺ، وكم من رجل كثرت إساءته، وذلة مخالفته أوجِبَتْ له الرحمةُ من ربه،[فكن][6] له راحما وبقدر إيمانه وإن عصى عالما. وفي الخبر عنه ﷺ: ﴿ لولا الذنب خير للمؤمنين من العجب ما خلا الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا ﴾[7]، أي لأن العجب ينشأ عن رؤية النفس والرضى بأحوالها وهو أقبح الأحوالِ، والخوفُ والحزنُ والقلقُ نتيجة عدم الرضا عن النفس واستعظامُ مخالفتها لمولاها العظيم فيورثُها الاحتقار والاستكانة وهو أجل الأحوال، فبهذه النسبةُ ظهرت خيريةَ الذنبِ مع وجودِ التوبةِ على الطاعة مع الإعجاب، فافهم، وأطلنا الكلام في هذا لأنه محل الحاجة إليه كما علمت، ثم قال:

---

(1) **انظر**: المرجع السابق، ج1 ص164.

(2) المرجع السابق.

(3) صحابي جليل من أكابرهم فضلا وعقلا وقربا من رسول الله ﷺ، وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله الأمين ﷺ وصاحب سره ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، يدخل عليه في كل وقت ويمشي معه وولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها سنة 32هـ، وكان قصيرا جدا وكان يحب الإكثار من التطيب، له848حديثا. **انظر**: الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص137.

(4) **انظر**: **صحيح مسلم**، توبة 11، 9. **انظر**:**سنن الترمذي**، جنة، 2، دعوات 98.

(5) **انظر**: **سنن بن ماجة**، زهد 38. **انظر**:**سنن أبي داود**، سنة21.

(6) كذا، ولعله فكان.

(7) **انظر**: الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، 440/9.

الحكمة السبعون

قال رضي الله عنه:

- **قليلُ عملٍ مع المخافةِ يتزايَدُ إمدادُهُ، وكثيرُ عملٍ مع الرَّجاءِ يتضـاعَفُ خُسْـرَانُهُ، لا تعملِ العملَ وأنتَ تَرْجُو عليهِ، ولا تترُكِ العَمَلَ وأنتَ تَخافُ فيه، واعملِ العمَلَ من غيرِ رُؤيةِ مُجازاةٍ، واتركِ العملَ من غيرِ خَوْفِ مُبالاةٍ.**

قال الشارح:

يقول: إن مازج خوفٌ عظمةَ الباري جل جلاله، وشهودَ سلطانه صالح الأعمال، نتج منها المضاعفة لها والتكثير لِأَمدادها وإن قلت في عالمِ الحس إعدادها، لكون ذلك ناشئا عن رؤية التقصير، والرب تعالى بذاتِ صدور عبيده خبير، وإن خالطَ العملَ الصالح شهودَ وجوده والاكتراث بكثرة وروده، أورث ذلك رجاء المجازاة الذي هو نتيجة الاعتماد على الطاعات، فكانت تلك الأعمالُ قليلةَ الإمداد وإن كانت في الواقعِ كثيرةَ الأعداد، ومشهدُ المقربين غيرُ هذا، لأنهم يرونَ أنَّ طلبَ المجازاةِ قادحٌ في العبودية لمولاهم، الذي عملوا لأجله وتاهوا في حبه، فمشهدُهُم إحسانيٌّ و عيانهم إيقانيٌّ، فرغبتهم من سيدهم العوضَ على أعمالهم رؤيةٌ منهم لأنفسهم، ونسبةُ [العمل][1] لها وإثباتٌ لحولها وقوتها، وهذا يناقض ما هم عليه من الشهود و ما هم فيه من الوجود، فهذه الحالة وهي العمل على وجهِ الرجاءِ والخوفِ تنافي رتبتَهَمْ وتباين قربتهم، إذ مقامهمُ الإخلاصُ ودوام الاختصاصِ، لا يبتغونَ عوضًا، ولا يقصدُونَ بأعمالِهم غرضًا ما سوى الرضا منه عنهم، وخواص الخواص منهم يرون أن قصد الرضا عنهم بسبب أعمالهم قادحٌ وعيبٌ فادحٌ، بل يشترطون الخروج عن رؤية النسبةِ والإضافة رأسا، بشهودهم أَنْ لا هو إلا هو، فما لهم من أعمالٍ محضُ تفضُّلٍ بتقدير المتعالِ، إذ هي خلقُه كما قال: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] شهودًا حاليا، بخلاف السادة الأبرار فإنهم عاملون على قصد المجازاةِ وهو غيرُ مضرٍ في حقهم كما ورد، حسنات الأبرار سيآت المقربين، فإذا عرفت هذا علمتَ أن العملَ على الرجاءِ والتركَ على الخوفِ، شأنُ الأبرار، وشأنُ المقربين الخروجُ عن الوصفين بالكلية، فلا يريدون بالعمل ثوابا ولا يخافون بالترك عقابا،لتمحضِ عبوديتهم له تعالى، وصحة وثوقهم بما تقدم لهم عنده وشاهدوهُ بنور يقينهم، لا سيما وقد اطلعوا على خيبة الرجاء عن العمل، فوجدوها ناشئةً من مادةِ الإعجاب به والاعتمادِ عليه، كما وجدوا ذلك في كبد الخوف، فارتحلوا من حيث نزلوا، وخافوا في موجبات الرجاء ورجوا عند موجبات الخوف، علما منهم أن ذلك ليس هو من تدبيرهم ولا من تقديرهم، ألا إلى الله تصير الأمور،فصيروها إليه حالا، وشاهدوا أنهم

---

(1) في مخ: للعمل.

(2) الآية 96 سورة الصافات.

تماثيلُ لا حقيقة لوجودها عند التحقيق، ولا حركاتَ لها ولا سكناتَ إذا نظرت بعين التدقيق، قال ابن عطاء الله:(لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا)[1]، وهو واضح كما مرت الإشارة إليه في الآية الكريمة، ثم قال:

العلم والعمل والخشية

الحكمة الواحدة والسبعون

قال رضي الله عنه:

- **صَحَّ العملُ إن قارنهُ العلمُ، وصَحَّ العلمُ إن قارنهُ العملُ، لا عملَ لعاملٍ إن لَم يصحبهُ علمٌ ولا علمَ لعالِمٍ إن لَم يصحبْهُ عَمَلٌ، اعملْ ماَ شِئْتَ فَإِنَّكَ بالعلمِ مُطالبٌ، واعملْ[2]ماَ شئتَ فإنك عَنِ العملِ مُجاوبٌ .**

قال الشارح:

أشبع المؤلف رضي الله عنه الكلام في هذا المحل والذي يليه، وقد مر التنبيه عليه فيما سلف في الصحبة، وسنمر عليه هنا بما أمكن إن شاء الله فأقول: يشير به والله أعلم لقوله ﷺ: ﴿ الناس هلكى إلا العالمون و العالمون هلكى إلا العاملون والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر ﴾[3] أو كما قال.

فالعلم مقدم على العمل والعمل تابع لهُ، فلا يصحُّ عملٌ بدون علم، والعلم واجب لا لنفسه بل هو وسيلة للعمل به، فلا صحة للعمل بغير علم، ولا ثمرة للعلم بغيرِ مقصدِهِ وهو العمل، فالعمل بغير علم كالسير على غير الجادة، قل أن ينجو من هو كذلك من الوقوع في بعض المهالكِ، والعلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر، وكمستوقدِ سراجٍ يستضيء به غيره ولا ينتفع هو به لكونه أعمى، فالعالم وإن كثرت علومه فلا ينجيه إلا العملُ به، والعامل وإن تنوعت أعماله فلا بد من ممازجة العلم له، فالعالم مسئول عن العمل، والعامل مطالب بالعلم في ابتدائه زادا، والإخلاصُ في أثنائه معادا، فلا علم للعالم إلا بالعمل به، ولا عمل للعامل إلا أن يسلك جادة العلم به والإخلاص فيه، ثم الخروجُ عن رؤية الإخلاص كما مر وأشار بقوله:

الحكمة الثانية والسبعون

قال رضي الله عنه:

---

(1) الحكمة الثانية والعشرون بعد المئة.

(2) في حج: واعلم.

(3) **انظر**: الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، 495/8.

- **العلمُ إن لَمَ تصحبْهُ الخشيَةُ فهو جهلٌ، والجهلُ إن صحبتهُ الخشيةُ فهو عِلْمٌ .**

قال الشارح:

إلى أن خيرية العلم في مقارنته للخشية من جلال الله تعالى، والهيبة من عظيم سلطانه والتعظيم لشعائره، والوقوف عند حدوده ومشاهدة اطلاعه ووجوده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1] وقال ﷺ:﴿ تعلموا العلم وتعلموا مع العلم السكينة والوقار ﴾[2]، وقال: ﴿ خير العلم ما قارنته الخشية ﴾[3] أو كما قال. فالعلم إن لم ينتجْ الخشية والمخافة من الله تعالى جهلٌ محضٌ، ولو علِمَ صاحبُه لأبصر حاضرَه وراقب ناظرَه، وجلس على بساطِ لا تخفى منكم خافية، الموجبُ له الخوفَ والهيبةَ والحياءَ والإجلالَ، وبقدر العلم الحقيقي يكونُ التعظيم، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب، ولا يخفى أن أولي الألبابِ هم أربابُ الخشية من الله، الذين لاح لهم من نور علمهم طالع التوفيق، فاستضاءوا به واهتدوا وابصروا رشدَهُمْ فسلكوه، وغَيَّهُمْ فتركوه، فعلمهم هذا أوجب لهم المعرفة، قال ﷺ: ﴿ أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه ﴾[4] أو كما قال. فبقدر العلم به والمعرفة له تكون الخشية منه، فمن لا خشية له لا معرفةَ عنده ولا علم، ومن اتصف بالسكينة والوقار، وصحبته الخشيةُ والذلةُ والاحتقارُ، فهو والحمد لله عالم بالله عارف له، ولا يضُرُّهُ والحالَةُ هذه جهلُهُ بالأحكام **المقلقِلة** بالألسنَةِ والأقلام، لثبوتِ الثمرةِ المقصودةِ من العلم، فهذا وأشباهُهُ همُ المعنيُون في مخاطبةِ سيدهم قوله: ﴿ اتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وبقوله:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[5].

فالهداية الإلهيةُ أوقفتهم على بساطِ المعاملةِ وتقلبهم فيها بالمجاهدةِ،**اقتدح** لهم أشعة أنوار العلم به، فأبصروا سبيلَهُ المستقيمَ وسلكوا بإرشاده على المنهج القويم، فأناخوا رواحلهم في ربوة الإحسان، وفازوا من معيته بما أوجب لهم الاطمئنان، فهؤلاء علمهم به دلهم عليه، ومعرفتهُمْ له وجهتهم إليه، فدلالتهم به عليه وسيرهم منه إليه، دعاهم بلا واسطة فأجابوه حبا وشوقا، وحباهم جمعا وفرقا، فلهم السبقُ في الوصولِ والفوزُ بالمأمول، وقال ﷺ: ﴿ ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه ﴾[6] أو كما قال.فمعرفة اللهِ والعلمُ بهِ موجبانِ للشوقِ الموجبِ للخدمةِ المثمرةِ للذوقِ، فما عبدوه حتى عرفوه بقَدْرِ إمكانهم، وتوجهوا إليه بحسبِ نور إيمانهم، وصاروا في حضرة عنديته على وُسْعِ إيقانهم، فمن حصل له العلم بالله انتفى عنه اسم

---

(1) الآية 28 سورة فاطر.

(2) روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه ﴾ رواه الطبراني في الأوسط. **انظر**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج1، ص114، حديث9.

(3) الدارمي، مقدمة /29، 60 باب من قال العلم الخشية وتقوى الله.

(4) **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص231. انظر:**الجامع الكبير المخطوط**،ج2، ص786.

(5) الآية 69 سورة العنكبوت.

(6) **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص302.، **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة** 302.

الجهل تحقيقا، فهذه العلومُ المسطرةُ شريعةً وحقيقةً، ما نبعت إلا من جداول المعرفةِ باللهِ والعلمِ بهِ، خرجت منه للدلالة عليه، وما كَدَّرَ صَفْوَ بعضها إلا سَبْخَةُ أراضي القلوبِ الظلمانيةِ، فاكتسبتِ الكدرَ من ذلك المستقر، وإلا فهي في نفسها في غاية الصفاء، فعند انكشاف الظلمةِ على قلب المرء تظهرُ له حقائق الأمور فلا يجد باطلا. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(1)، وقال: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾(2)

فظلمةُ الجهلِ به سترتْ أنوارَ شهودِهِ، وغيبت البصائر عن إدراكِ شمسِ وجودهِ، فانقسمت الخلق على قسمين وافترقوا فريقين، مهتدٍ وضالٍ ومرتحلٍ وحَالٍّ، ولو علموا ما افترقوا، ولو شاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، فالمرحومون هم أهلُ العلمِ به والمعرفةِ لهُ والمحبةِ فيهِ والتوكلِ عليه والرجوعُ إليه، فلا جهل مع العلمِ بالله والخشيةِ منه والإعظامِ له، ولا علم مع العكس، وأشار المؤلف ﷺلتمام ما قدمناه فقال:

الحكمة الثالثة والسبعون

قال ﷺ:

- **ليس العلمُ كُله علماً، وإنَّما العلمُ بالله هو العلمُ، وليس الجهلُ كلهُ جهلاً، وإنَّما الجهلُ بالله هو الجهلُ، أتظنُّ أنكَ بالله عالِمٌ وأنتَ في الحقيقةِ جاهلٌ، ولَو كنتَ في علمكَ مُخلصــاً لكانَ عملكَ لله خالصاً .**

قال الشارح:

لا يخلو العلمُ منْ أن يقودَ صاحِبَهُ إلى سواء السبيل، أو ينفلت به في تضليل، فإن اهتدى به صاحبُه إلى معرفة ربه بتحقيق مقامات قربه، فعثَرَ على مكنُون أسرارِ علومِه القيومية، وتجلياته الديمومية المشرقة من سماء الأفعال والأسماء والصفات، وانهلك في قهرية الفناء في الشهود، وغاب عن الوجود، كان هذا والحمد لله عالما بالله عارفا به، إن نظر فله وإن أشار فإليه وإن قال فبه وإن تحرك فمنه وإن سكن فإليه، كلُّ أحواله بالله وإلى الله ومن الله وعلى الله، فمن كانت هذه حالُه كان عالما، وإن كان في ظاهر الأمر جاهلا، لأن علْمَهُ **لَدُنِّيّ** تلقاه من حضرات العندية وظفر به من تنزلات الصمدية، لا يقال في حقه كيف ولا من أين، لكونه واجهتْه العناية الربانية، واكتنفته الالطافات الإحسانية، فَبَخٍ له ثم **بَخٍ**، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾(3).

---

(1) الآية 85، سورة الحجر.

(2) الآية 191 سورة آل عمران.

(3) الآية 65 سورة الكهف.

سمعت الأستاذ المؤلف ﷺيقول: دخل سيدُنا إبراهيم بن أدهم إلى مسجد وكان في يقينه أنه عرف جميعَ أهلِ دائرةِ التصرف، فوجد رجلا ملتفا في حصيرٍ فركضه برجله وقال له: قم تحضَر مجلس الشيخ عبد الرزاق، فأجابه من غير أن يراه ببصره أصلا: دعني يا إبراهيم فإني أقرأ على الرزاق لا على عبد الرزاق. فعلم إبراهيمُ عدم إحاطته ببحر الولاية، وأدرك وُسْعَ سُبُلِ اختصاص الحق جل جلاله لمن اختصه بواسطةِ سالفِ العنايةِ، وعلم أن من الخلق من حاله مع الله بلا واسطةٍ ولا وسيلة، بل بمحض تفضله عليه اختصه، وكان أنيسَه ودليلَه، كما قال ﷺ: ﴿ إن من أمتي لمحدثين وإن عمر لمنهم ﴾[1]، كما يشهد له قوله ﷺ حاكيا عن ربه: ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ﴾[2]. فهذا و أمثاله ممن اتصف بقرب النوافل، هو الذي يصح عليه إطلاق اسم العلم ويعني به ويشار به إليه ويستدل به عليه، ويحق له أن يكون سبيلا للاهتداء وقطبا للاقتداء، إذ هو ترجمانُ الحق وخاصتُه في الخلق، كان عنده من العلم الظاهر مادة أم لا، إلا ما لابد منه فلا غناء لأحد عنه، ولولا وجودُه فيه ما تقرب به إليه فافهم.

وأما من كانت علومه مقاليةً نقليةً وفهومُه جبلياتٌ عقليةٌ، لا شك أنها تفضي به إن لم تداركه العناية وتخلدُهُ إلى سجين المماراة، وتزج به في بحار المباهاة والشهوات، فهيهات أن يقالَ لموصوفِهَا عالمٌ، هيهات لأنه جاهلٌ من حيث جهلُه بربه، فلو كانت له نسبةٌ في العلم لعلم نفسه أولا ثم عرفَ ربه، لأن من عرف نفسَهُ عرف ربه، أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، فمحالٌ أن يعرفَ الإنسان ربه بأوصاف كماله ونعوت جماله دون معرفة نفسه بأوصافها الدنية، وتخليه من نعوتها الردية، حسبما يقتضيه التخلي والتحلي، قال ابن عطاء الله:(لا يخرجك من الوصف إلا شهودُ الوصف)[3].

فعلمُ **المربّي**[4] نَفْسَهُ واطلاعُه عليها وعثورُه على مغيبات دقائقها ومكنونات حقائقها هو العلمُ، إذ هي عالمٌ عظيم لا يحاط بكنه حقيقته، فمن أطلعه الله عليه وأراه ملكوتِهِ كان عالماً حقا، إذ عيوبُ المربي يجدُها فيه لا في بواطن الكُتُب والدفاتر التي أفنى عُمُرَهُ في البحث عنها، والتطلع على مُغَيَّبَاتِ فهومها و مكنونات رسومها، قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[5]، فلو علم نفسَهُ وأبصر ما في عالَمِهَا من الظلمة والنور والحقائق والشرور، لأغناه ذلك عن مشاهدة غير ما فيه، كما قال ﷺ: ﴿ المؤمن بنفسه في شغل شاغل عن الناس وهذا هو دأب الوارثين من الأكياس ﴾[6]وهو معنى قولِ المؤلف: ليس العلم

---

(1) **انظر**: الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، ج7، ص259.

(2) الحكمة 46، 24، 34، ص/ ؟.

(3) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج2، ص160.

(4) كذا، قد يكون المرئ.

(5) الآية 21 سورة الذاريات.

(6) لم أقف عليه.

كله علما وإنما العلم بالله هو العلم، أي يعلمون بالله لا بعقولِهِمْ ووسَائِطِ **حَدَسِهِمْ** ونقولِهم، فالعلم بالله علمٌ وعكسه جهلٌ، وكذلك قوله: ليس الجهل كله جهلا..الخ، فمن ظن أنه عالمٌ عارفٌ بواسطةِ خصوص مجرد الأحكام، دونَ معرفتِهِ بمولاه وعِلْمِهِ به فهو مغرور، وبه عياذا بالله ممكورٌ، بل هذا جهلُهُ مركبٌ، ولو كان عالما لكانت علُومُه بالله وفهُومُه عن الله وإيصالُها إلى الله وتقبُلُهَا من الله، ولكانت معرفتُه حقيقيةً وإدراكاتُه دقيقيةً علويةَ المقامِ محمودةَ المرامِ، أعمالُه خالصةٌ وأحوالهُ **قالصة**، لأن من علم أن أُمُورَهُ مشهودةٌ وتصرفاتَهُ الظاهرةُ و الباطنةُ منقودةٌ من ناقد بصير عليمٍ خبيرٍ، لا يقدر أن يعاملَهُ بعملٍ زائفٍ، ويصير طُولَ عُمُرِهِ من الرد عليه وعدم القبول منه خائفً، إذ كلُّ ما يروج من سكك أعمال عبيده هو ناقدُها بل هو خالقُها، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(1)، وقال: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(2)، وقال: ﴿ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾(3)، وقال: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(4) إلى غير ذلك من الآي.

وقد عرفتَ أن مقامَ الإحسانِ حقيقٌ بالشهودِ والعيانِ، يقتضي الانبعاثَ من صاحِبِهِ على دوامِ الهيبة والجلال، ويحمِلُهُ على عدم التخليط وتزييف الأعمال، قال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾(5)، وقال: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(6)، فمن كان بحضرة الجليل جل جلاله، لا يَسَعُهُ شَوْبُ أعمالِه بالعلل، ولا يمكنه أن يبقى فيها من خلل، ثم أشار إلى ما يَخْتَبِرُ به العالمُ علمه، و العامل عملَه، هل هو سالم مقبول أو مدخول معلول، فقال:

الحكمة الرابعة والسبعون

قال رضي الله عنه:

- **فانظرْ لعلمكَ ما يُقارنُهُ، وانظر لعملكَ ما يقارنُهُ، فإن قارنتِ الخشـــيةُ العلمَ فتلكَ نتيجةُ العَمَلِ، وإن قارنتِ الثقةُ العمَلَ فتلكَ نَتِيجَةُ العِلْمِ .**

قال الشارح:

---

(1) الآية96 سورة الصافات.

(2) الآية 14 سورة الملك.

(3) الآية 18 سورة الحاقة.

(4) الآية 3 سورة الأنعام.

(5) الآية 9 سورة الزمر.

(6) الآية 28 سورة فاطر.

أقول هذا من المؤلف ﷺميزانٌ صحيحٌ، يتضحُ به حقيقة كلا الأمرين، العلم والعمل، إذ جَعَلَ العلم للعالم مَحَلَّ نظر، فإن كشفَ عن صاحِبِهِ قناعَ الجهالة وخرج به من سجينالغواية والبطالة، كان بحمد الله نافعا ولموصوفه من بين أبناء جنسه رافعا، يشاهدُه بنورِهِ حاضِرَهُ، و**يكافح** ناظِرَهُ فيورثه المهابة والخشية، ويوقظه من سنة الغفلة والغشية، وكذلك العملُ إن قارنته الثقة بالله والاعتمادُ عليه وتفويضُ الأمورِ فيهِ إليهِ، والتبري من الحول والقوة ظفر بالنتيجة النافعة له، وكان بفضل الله مرجو القبول والنفع به في الحال والمآل، وإلا فلا كما سينص عليه، فالعمل تظهر ثمرته بأمارات العلم بالله والخروج عما سواه، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[1] وقال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[2]، فتقوى الله أورثتِ العلمَ، والمجاهدةُ فيه أورثتِ الهدايةَ إليه، فهذه نتيجةُ العملِ المعجلةُ، وتحتها نتائجُ يقصر عن حصرها اللسان، وتظهر ثمرة العلم بالعمل به، فمن لا عمل له لا علم عنده وإن تضلع في العلوم وتوغل في **الرسوم**، وكانت علومُهُ مع عدم العمل بها شبيهةً بالسموم والعياذ بالله، وقد تقدم ما يوضحه هذا ويأتي مثله إن شاء الله.
ثم قال:

الحكمة الخامسة والسبعون

قال ﷺ:

- **إن أردتَ تصــحيحَ العملِ فثقْ بالله عندَ وُجُودِ العِلَلِ، وإن أردتَ صِــحة العلمِ فتوكل على الله في كُلِّ هَمٍّ، من لَمَ يصــحبْهُ التوكُّلُ في عملِهِ لا تصــفُو له قدمٌ في عبادةِ رَبِّهِ، ومن لم يثق بالله في علمهِ لَمَ يقدرْ على السيرِ لِمطلوبِهِ .**

قال الشارح:

من الأعمال ما هو سالم من الشوائب التي تكدره، ومنها ما هو مدخول معلول، لأنه يَعْرِضُ له ما يكدره، كالماء في أصل فطرته زَكيٌّ ويَعْرِضُ له حكم مقره، كما قالوا الماء على لون إنائه، فإذا أراد العاملُ تصحيحَ أعمالِهِ وتصفيَتِهَا، فليخرج عنها تبريا ولينتقل منها **تحريا**، حتى يكون فيها دائما ثقته بالله مشاهدا، إن تحريكَه وتسكينَه بالله شهودا ذوقيا يدركُه ويعرفُ حقيقتَهُ من حل في مقام تجليات الأفعال، فإذا صح له هذا الشهودُ وخلص له هذا الورود، كان في سره كالجبل الراسي لا تحركه رياح، وما على باطنه في الخير والشر من **جناح**، لأنه سلم من الاعتماد على أعماله وتبرأ منها في كل أحواله، لا ينقص رجاءُهُ بزلل ولا يزيد بحسن عمل، لشهوده أن جميعَه منه وإليه.

---

[1] الآية 69 سورة العنكبوت.

[2] الآية 282 سورة البقرة.

وكذلك العلم شرط صحته وجود التوكل على الله تعالى فيه عند كل هم يَهُمُّ به، أو خطرة تخطُر له، أو لمحة تلوح عليه، فكما أن سائر ضياء النهار لا يَعْرِضُ له شيءٌ في سبيله إلا ويعرفُه ويدركُه ببصره، فكذلك سائرُ القلب، بإشراق شمس العلم والمعرفة يَنْقُدُ جميع ما يواجهه ويمر عليه لمطلوبه، ببصر بصيرته ويذوقُ طعمَه بسليم سريرته، الحكمة على لسانه ناطقةٌ والأنوار على وجهه شارقةٌ، فمن عرى عملُه عن التوكل والتفويض للباري جل وعلا، كان مُعَرَّضًا لِشَوْبِهِ بالكدر وإلقائه في شبهات الخطر، لما يَصْحَبُهُ من العلل ويداخلُهُ من الخلل، لأن النفس قد لاحت حظها ورامت نصيبهاَ وفرضهَا، وذلك عينُ الإشراك المؤدي لصاحبه إلى مفاوز الهلاك، فلا يصفو في الطاعة له قدم، فلا هو دخلَ الوجودَ ولا خرج من العدم، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1]، فلا يرجو لقاء المحبوب في هذه الدار إلا من صَفَّا معاملتَهُ من شوائب الشرك وخرج عن الأغيار، ومن لم تصْحَبْهُ الثقة والاعتمادُ على الله في تلقي علومه ومعارفه منه، ولم تتفجر له ينابيع فهومه عنه، لم تظهر له سرج أنواره ولم يتضح له اَعلامُ أسراره، يتعذر عليه سيرُهُ للمطلوب ويتعسرُ وصولهُ للمرغوب، إذ شعاع أنوارِ علومه بمدد أنواره وخطواتِ سيره وتَقَرُّبِهِ بسابقات نافذ أقداره فافهم، ثم قال:

الحكمة السادسة والسبعون

قال رضي الله عنه:

- **الثقةُ والتوكلُ إن قارنَهما التفويضُ، فتلكَ عينُ الحقائقِ وإلا ففيهماَ فتنةٌ .**

قال الشارح:

الوثوق بالله وتحقيق حصول ما بيده والتوكل عليه وتفويضُ جميعِ الأمور فيهما إليه، شأن أهل التوفيق ودأب أهل الوجود والتحقيق، فمن أُعِينَ على الأخذ بعرى الثقة والتوكل، وَرَقَى بقدم التفويض على سلم المعاملة والتبتل، كان على بصيرة من أحواله ولم يعقه ما عاق غيرَهُ من أشكاله، ومن انحلت **حبوة** عزمه ورمدت عين فهمه، وادعى الاكتفاء بالوصفين دون تفويض، كان مفتونا منحطا في حضيضٍ، إذ روحُ التوكل والثقة على الله وبالله تفويض الأمور إليه، وبه يصلح له الوثوق بما لديه، وإلا فمن أين له ذلك، فهذا ميزان يتميز به صحة الثقة بالله والتوكل عليه من العكس، فالتغافل عن نظر بواطنهما شأن النفس لأنها تتطلع إلى ما لا فائدة لها فيه، وتدبر عما يصلحُهَا من كل حال، والتفويض هو معيار ذلك وبه يتبين ما هنالك، ثم قال:

الحكمة السابعة والسبعون

قال رضي الله عنه:

---

[1] الآية 110 سورة الكهف.

- **فكن بالله في علمكَ يَزُلْ عنك جهلُكَ وكن به في قولكَ يَطُلْ عنده ذكرُكَ، وكن به في عملك يُنْتِجُ لَكَ فكرَكَ .**

قال الشارح:

إذا أنعم المولى جل جلاله على عبد من عبيده، وحل فكاك روحانيته من ربقة تقييده، فشاهد علومَهُ من الله، فعلم به وأدرك فهومَهُ عنه فأبصر به، زال عنه بفضله غيهبُ الجهالة واستنارت به سريرته لا محالة، فكانت أقوالُهُ به إرشادا وأنفاسُه منه أَمْدَادًا، يطول إذ ذاك في حضرة العندية ذكرُهُ ويرتفع في العالم العلوي قدرُهُ، يثنى عليه الكونُ بأسره وينفعل بأمره، وإن كانت أعمالُهُ بالله شهودًا أنتجت له فكرا ووجودا، لسلامتها من الشوب النفساني والحظ الحيواني، تورثُ تخليةً وتنتجُ تحليةً، فحاصل هذه الجبلة أن يكون المرقى بالله في علمه وعمله وقوله، وإن صحت له هذه الرتبةُ كان **زاجا** في أبحر حضرات الشهود في كل أحواله، مباينا لأمثاله ممن قصرت بصيرته عن هذا، لأنه اكتنفته الهوية فكان بها على الإطلاق، إن أردتْهُ فشمر على ساق، ثم قال:

الحكمة الثامنة والسبعون

قال رضي الله عنه:

- **لا تقنعْ من علمكَ لأن تكون عالِماً ولكن اقنع من علمكَ لأنْ تكونَ عاملاً، ولا تقنع من عملكَ لأن تكون عاملاً بل اقنع من عملك لأن تكون مخلصـــاً، ولا تقنع بإخلاصـــك أن تكون مخلصاً لأن المخلصين على خطرٍ، ولكن اقنع بإخلاصك أن تكون عنه غائباً .**

قال الشارح:

فالعلم والعمل والإخلاص بمجردها لا تكفي صاحبها ولا ترفع بساط مقاربها، حتى ينضافَ إليها ما يكمل مرامِها ويعلي منصَبَهَا ومقامَهَا، كما قال ﷺ: ﴿ الناس هلكى إلا العالمون و العالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر ﴾[1]، فالعلم بمجرده لا فائدة فيه حتى يصحَبَهُ عمل، والعمل لا **جذوى** له حتى يُشَيَّدَ دَعَائِمَهُ بالإخلاص، والإخلاص هو عينُ الخطر لشهود المخلص من نفسه أنه في أعماله مخلصٌ، فقل أن يسلَمَ له عمل مع هذا الاستشعار، فيدخل عليه العجبُوالاستكبارُ، فيرى لنفسه حولا وعلى غيره طَوْلاً، فالمخلص له من شائبة الخطر أن يغيب عنه بشهود مجرى سفينة أعماله في بحار أحواله، وهذا معنى قولهم: الإخلاص أن تفنى عن شهود الإخلاص، فما دام

---

[1] **انظر**: الزبيدي، **اتحاف السادة المتقين**، 495/8.

للنفس شركة في أي وجه في العمل قل أن ينجو من الخطر والوَحَلِ، قال جل جلاله على لسان نبيه ﷺ: ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركتُهُ وشركُه ﴾[1].

والتفات السائر في حال سلوكه إلى غير مولاه، قادح في عبوديته كائنا ذلك الغيرُ من كان كما عرفت، والمؤلف رضي الله عنه في كل رتبة رقى صاحبها إلى أعلاها وأرشده إلى **مولاها** كما هو أدب الترقي حتى أوصله إلى بساط التلقي، وإن إلى ربك المنتهى، كأنه يقول: المقصود أمامك فلا تقنع بالعلم ولا العمل ولا الإخلاص بأن تتخذها وطنا، بل اجعلها سلما للصعود، وكواكبَ موصلةٌ لشمس الوجود، فافهم، ثم قال:

الحكمة التاسعة والسبعون

قال رضي الله عنه:

- **العلمُ بالله والعملُ واردانِ من واردات الحقِّ، إن أَقَمْتَ بِهما أقامك الله لِخدمته، وإن تركتَهُماَ أوكلك الله إلى غيرِه.**

قال الشارح:

إذا أنعم الله على عبد بنعمة العلم والمعرفة به والفهم عنه والتلقي منه، وأوقفه على بساط إخلاص العمل له وإفراد التوجه إليه والاستناد عليه، فليعلم أنهما واردان يردان عليه من قبل الحق تعالى، فإن قام بهما ووضعهما في محلهما وحررهما من رق شهود الغير معه، أثابه المولى بأن يقيمه لخدمته ويستخلصه لقربته ويجعله من خاصة المقربين من أهل حضرته، وإن عكس الأمر ولم يفوض ذلك إلى سيده أوكله إلى غيره، فكان عبدَ هواهُ غرضا لسهام أعداه، جعلنا الله بِمَنِّهِ وكرمه ممن سلك سبيل النجاة في الحياة وبعد الممات إنه جواد كريم، ثم قال:

الحكمة الثمانون

قال رضي الله عنه:

- **الإشارةُ في العلم مقرونة بالتعبير، فإن عَبَّرَ فيه بِما أُشير إليه غابَ تلويحُهُ، التلويحُ في الإشارة غيبٌ في العبارةِ، ما أشير به إليه عَبَّرَ عنه فيه، وما عَبَّرَ عنه فيه أُشير به إليه، التلويحُ غيبٌ في غيبٍ، ما فُهم منه بالإشارة ظهر في سِرِّ العبارةِ، عبارةُ الحقائقِ مغموضةٌ في الدقائقِ لا تُفْهَمُ إلا بقطع العلائقِ.**

قال الشارح:

---

[1] **انظر: مسند الربيع ابن حبيب**، ج1، ص 17.

يقع في كلامهم ﷺ من الرموز مالا يفهمه إلا هم، كما قالوا كلام الأخرس لا يفهمه غيرُ أمه، غير أن بعضَ الأمور أدق من بعض وأخفى، أوضحُها وضوحا نسبيا التعبير ثم **الإشارة** ثم التلويح، فيأخذ المعبَّرُ له من العبارة ما يغنيه عن الإشارة، ومن الإشارة ما يكفيه عن التلويح، ثم منه على ما هو أغمض منه بإشارة [العارف][1] في علومه العرفانية و فهومه الربانية و تنزلاته الرحمانية، مقرونة بزمام التعبير لا تفهم إلا به، فإن عبَّرَ عما تلاطم عليه من أمواج بحار مواهبه بكأس يعذب مذاقه ويذهل شاربه إشراقه، كانت عبارته خفيةً لا إدراك لها لأنها إشارة من بساط الهيبة والأنس، فلا تسمع إلا مجرد الهمس، فإن أشار إلى ما عبر عنه وعبر عما أشار إليه، غاب في رمز التلويح تعبيره عمن هو في مقام أحط من مقام المعبَّر، لأن كلَّ مقام له مقالٌ يفهم به ويعبر عنه منه.

فالتلويح في قالب الإشارة مغيب في صورة العبارة، فالعلم المشار به إلى حقيقته معبر عنه بنفس واسطة الإشارة به فيه أي في العلم أي في سره، وما عبر عنه من أسرار تلك التلويحات مشاربها إليها، فَتَحَصَّلَ أن نفس التلويحِ والحالةُ هذه غيب مكنون في غيب، لا يدركه إلا من تقدست سريرتُهُ من كل عيب، وما يفهم من التلويح بما أودع في هيكل الإشارة ظهر بشعاعه في سر العبارة، فالتعبير عن **مخدرات** الحقائق الربانية والمعارف **الصمدانية**، لا يتسلط على التقاط فهم مكنون جواهرها إلا بقطع علائق الأصداف النفسانية، والخروج عن الأوصاف البشرية الحيوانية، قال تعالى ﴿ذلك لمن كان له قلب إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[2] أي واع وإلا فكلُّ إنسان بل حيوان له قلب.

وتقريب ما تقدم أن العارف الكامل المعرفة، يعبر لمن هو دونه على حسب مقام المعبر له، فإما أن يكون مريده في مقام الإسلام أو الإيمان أو الإحسان مثلا، فإن كان في الأول فبساط فهمه التعبير، ومن كان في الثاني فبساط إدراكه الإشارة له على حسب ما عنده من التنوير، ومن كان في الثالث فبساط شربه ومهاد قربه التلويح، ففهم الأول علم يقين، وفهم الثاني عين يقين، وفهم الثالث حق يقين، فمقام القلب الإدراك بالتعبير، ومقام السر الفهم بالإشارة، ومقام الروح التلويح والإيماء، إذا عرفت هذا علمت أن من كان حالُهم لاشك يغيب عمن سواهم، مقالُهُم حتى [يغيبَ][3] عنهم بعضُ رموزهم، وما ذلك إلا لِسَقَمِ فهم السامع، فأسرارهم مصونة وعلومهم مكنونة في صدف صدورهم، لا يساومها إلا من دخل سوقهم ببضاعة التحقيق، وكان نصب عينيه نور الاعتقاد والتصديق وأفضيت عليهإمدادات ربه في مصباح التوفيق.

---

(1) في مخ: الغارف.

(2) الآية 37 سورة ق.

(3) في مخ: **يغاب**.

وبالجملة: فحسب من لم يفهم رموزهم ولم يفتح كنوزهم، التسليم وحسن الاعتقاد والتبري من شبكة الانتقاد أسلم وأليق،فالتسليم عناية و الانتقاد جناية، ألا ترى إلى قوله عليه السلام: ﴿ فخذوا ما تعرفون ودعوا ما لا تعرفون ﴾[1] أو كما قال، فإنه أمر بأخذ ما فهم وقبوله، وترك مالم يفهم من مقوله، ولم يأمر بالرد ولا **بالتعنيت** والصد، إذ مجرد ترك ما لا يعرف أَسَدُّ ذريعة وأسلم صيانة من العناد والقطيعة، خشية أن يكون المتكلم مصيبا والسامع مريبا، جعلنا الله ممن صَدَّقَ بالغيب فأصاب حتى يحشر في زمرة الأحباء. ثم قال:

الحكمة الواحدة والثمانون

قال رضي الله عنه:

- **اخرقْ العوائدَ من سِـــرِّك تُخرق لك التجلياتُ لربك، فالتجلياتُ مَظنةُ الأرباحِ ومَواطنُ الأرواحِ وغيبةٌ في الأشباحِ.**

قال الشارح:

عوائد النفس معروفة، والركون إليها والطمأنينة بها والإقامة فيها أمور مخوفة، كانت النفس في أي مقام من المقامات [كانت][2] وعوائدُها في كل مقام بحبسه، فمن كان في المقام الأول: وهو مقام ظلمات الأغيار،[كانت][3][عوائدُها][4] أمور ظلمانية تحجبه عما بعده، ومن كان في المقام الثاني: وهو مقام الأنوار [فعوائدُها][5] فيه حجب نورانية تحجبه أيضا عما بعده، ومن كان في المقام الثالث: وهو مقام الأسرار [فعوائدُها][6] فيه حجب أسرارية تحجبه عما بعدها، وهكذا كل مقام حاجبٌ من هو فيه عما فوقه إلى السابع، إذا عرفت هذا بان لك أن من كان في مقام الأسرار ورام النُّقْلَةَ منه إلى مقام تجليات الرب، وميادن المشاهدات والمكافحات والقرب، فليخرق عوائد أسراره وليخرق حجبها بأشعة أنواره، حتى تسطع عليه شموس التجليات وتشرق على سره بأنوار تجليها الفعالي و الأسمائي و الصفاتي والذاتي، فلا يبقى فيه متسع لغيره ولا موقع لشره ولا لخيره، إذ ما سوى اللهِ جل جلاله باطل وهو الحق، فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان **زهوقا**، فإذا رسخ قدمه في مقام الأسرار و أريد به الرفع إلى ما فوقه، كوشف بتجليات الأفعال ثم بالأسماء ثم بالصفات ثم بالذات، وتمكينِ كل مقام بحسب تجليه واستعداد صاحبه،

---

(1) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج8، ص165. وأيضا: المتقي الهندي، **كنز العمال**، 31263.

(2) في حج: ساقطة.

(3) في مخ: ساقطة.

(4) في مخ: فعوائدها.

(5) في حج: كانت عوائدها.

(6) في حج: كانت عوائدها.

ومقام تجلي الذات بالعجز عن الإدراك كما قيل: العجز عن درك الإدراك إدراك، فمتى كان للسالك جولان في أحد التجليات الثلاث، فهو محجوب به عن تجلي الذات وتجلي الذات محجوب في نفسه بنفسه، فلا يدرك له حال ولا للعقول و الأسرار فيه مجال، مثاله على سبيل التقريب أَنَّ الشمسَ إذا سطع شعاعها في شيء وقابل ذلك الشيءَ شيءٌ آخر كان من نورها عليه شيءٌ، فهو كمقام الأفعال وذلك الشيء الذي أشرقت عليه الشمس بمثابة مقام الأسماء، وبروزها ونفوذها في العالم العلوي بمكانة مقام الصفات، ومشاهدة قرصها بمثل تجلي الذات، فلا يُدرك لها ناظرُهَا حقيقةً ولا يعرف لها كنها ولا دقيقة، فكلما ازداد لها تأملا زادت ظلمته واشتدت بالعجز عن الإدراك حيرته، فمن رد بصره عليه خاسئا وهو حسير وعلم أنه عاجز غير قدير، انتفع بشعاعها وجال بصرُه في أودية اتساعهما، ومن حاول إدراك **كنهها** وعمد إلى معرفة حقيقتها أعوزته عن ذلك [سرادقات][1] الجلال، وكان في سره وعلانيته تلوح عليه أنواع **الخبال**، فالتجليات السابق ذكرُها مظنة أرباح المواجه بها، وفوزه بالفوائد، كيف لا وقد خرقت من سره بالإعراض و الإغضاء عنه العوائد، وهي أي التجليات موطن الأرواح أي عالَمُهَا و برزخها تسرح فيه حيث شاءت لأن لها الإطلاقَ عن القيود، كما أن لها الاستغراقَ في الشهود لا تحجبها أجسام كثيفة ولا أعراضٌ أو أسرار لطيفة، لها النفوذ في الأشباح الكونية بسرها والتصرفُ في العوالم بخاصية ما أودع في سر جوهرها يطيق الروح المحمدي والسر الصمدي من التجلي ما لا تطيقه الأكوانُ حتى ما يكون بينه وبين بارئه ترجمان، ومن كانت هذه حالُه أعجزت الأنامَ أحوالُه، وهذا كالشاهد لما قدمه [بلصقه][2] يقول بلطيف إشارته، إن أردت هم رموزنا فاخرق عوائد نفسك واخرج عن مألوفاتها تعثر على كنوزنا، فالتاجر الجبان محروم والجسور مرزوق وسلع الحق غالية لا توضع إلا في الأفئدة التي من غَيره خاليةٌ.فافهم، ثم قال:

المعرفة والمشاهدة

الحكمة الثانية والثمانون

قال رضي الله عنه:

- **كُنْ في المعرفة لله وبالله ومن الله، فالمعرفةُ لله هي صـــدقُ الطلب منك له، والمعرفةُ به هي حسنُ المعاملةِ منه لك، والمعرفةُ من الله هي شهود المِنَّةِ منه له .**

قال الشارح:

قسم المعرفة إلى ثلاثة أقسام: لله وبالله ومن الله، فأما كون المعرفة لله: فهي أن لا ترى في الوجود غيرَهُ، فيصدُقُ طلبكَ منه وتستغني به عمن سواه، متحليا بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى

(1) في مخ: **صرادقات**.

(2) في مخ: يلصقه.

اللَّهِ﴾[1]، والمعرفة به: أن تشهدَ ما أُفِيضَ عليك من سوابغ حسن معاملته، صادرا منه ومتفضلا به، أي أنه لم يُعَامِلْكَ إلا بالحسن، كما قال ابن عطاء الله:(.. وهل عودك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا مننا)[2]، وقد عرفت أن الحق جل جلالُهُ جميلٌ لا يولي إلا جميلا، وما يتخيل لنا من الضد فبحسب ملائمة الطبع وعدمها، وسقم شوم عدم الرضا هو الذي أوجب السخط عما قدر وقضى، قال **البصيري**[3]:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

وأما **المعرفة منه تعالى**: فهي شهود وجودِ المنة منه، أي من أَفْضَالِهِ وتطوله وعظيم نواله وردها إليه، فهو المعطي والآخذُ متحليا بقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[4]؛ إذا تقرر هذا فكن أيها الأخ في معرفتك التي أنعم الله بها عليك عارجا على درجاتها الثلاث، لله وبالله ومن الله، فكونها لله يوجب صدق الطلب، وكونها بالله يوجب إفراده بدوام الرَّغَبِ، وكونُها من الله توجب شهودَ المنةِ وحسنَ الأدبِ،فالقسم الثاني والثالث متقاربان وهما ناشئان عن شهود الآلاء والنعماء، وإلى ثمرة المعرفة أشار بقوله:

الحكمة الثالثة والثمانون

قال رضي الله عنه:

- **ولا تكن معرفتُكَ كمن لا معرفةَ لَهُ .**

قال الشارح:

يقول: المعرفة المقصودة معرفة الله تعالى على وجه يقع به العلم والحلم، والهيبة والحياء، والإعظام والإجلال وتعظيم شعائره و حرماته، والدأب على مرضاته، لأن أعرفكم بالله أشدكم هيبة وحياء منه، والمعرفة التي لا توجب هذه الأوصافَ الحميدةَ، ولا تنتج لصاحبها التحلي بها والتخلي عن أضدادها وما كان مثلها **كَلاَّ** معرفةً، فمن عرفَ الله حق معرفته أورثته دوام الانفراد به، وشهودَ أَحَدَيَّتِهِ في فردانية صَمَدَيَّةِ أزليته، شهودا يخرج به عن السوى ويتخلى به عن الدعوى، يخرج بها عن نفسه في معناهُ وحِسِّهِ، كما قال:

---

(1) الآية 15 سورة فاطر.

(2) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج1، ص142.

(3) محمد ابن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شاعر حسن الديباجة مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني اسويف بمصر أمه منها وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون، ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية ووفاته بالإسكندرية، له ديوان شعر، وأشهر شعره البردة ومطلعها: **أمن تذكر جيران بذي سلم**.. شرحها وعارضها كثيرون، و الهمزية ومطلعها: كيف ترقى رقيك الأنبياء..، وعارض بانت سعاد بقصيدة مطلعها: إلى متى أنت باللذات مشغول.. **انظر**: الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص139.

(4) الآية 123 سورة هود.

الحكمة الرابعة والثمانون

قال رضي الله عنه:

- **وحقيقةُ المعرفة أن تعرف نفسك، من لم يعرفْ نفسَهُ لَم يعرفْ رَبَّهُ، أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه، أَعْرِفْ رَبَّكَ بالعجز والتقصير يَعْرِفْكَ رَبُّكَ بالقدرة والتشهيرِ، أعرف نفسك بعدم التَّخيير يعرِفْكَ رَبُّكَ بإسقاطِ التدبيرِ، اعرفْ نفسَكَ بالذُلِّ والافتقارِ يَعْرِفْكَ رَبُّكَ بالعزّ والوقارِ، اعرف نفسك بالفناءِ والاحتقار يَعْرِفْكَ رَبُّكَ بالبقاءِ والانتصارِ.**

قال الشارح:

أقول: تكلم المؤلف رضي الله عنه على المعرفة وأجاد فيها كما مر ويأتي، وأوضح حسبما تراه،**فالمعرفة هي**: العلم لغة، واصطلاحا معرفة المعروف على ما هو عليه، لكن لا يعرفُ اللهُ حق معرفته إلا به و إلا فلا سبيل، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[1]، أي ما عرفوه حق معرفته كما لبعض، قال القشيري:(وعند هؤلاءِ القومِ المعرفةُ صفةُ من عرفَ الله سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صَدَقَ الله في معاملاته ثم تنقى من أخلاقه الردية وآفاته الدنية، ثم طال بالباب وقوفُهُ ودام بالقلب اعتكافُه)[2]، فحظي من الله بجميل إقباله وصدقَ الله في جميع أحواله، وانقطع عنه **هواجس** نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله في مناجاته،وحَقَّ في كل لحظةٍ إليه رجوعُه، وصار مُحَدِّثًا من قبل الحق بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفا، وتسمى حالتُهُ معرفةً.

وفي الجملة: بمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفتُهُ بربه، وأنت خبير بأن المؤلف رضي الله عنه تكلم في المعرفة بحَسَبِ حاله، فجعلَ طريقةَ المعرفةِ الحقيقيةِ أن يعرف الإنسانُ نفسَهُ معرفةً حقيقيةً، توجبُ التخلي عن خسيس مذموم أوصافها والتحلي برفيع محمود أوصافه جل وعلا، فما يَخْلَعُ من نفسه نعتا من نعوتها إلا ويتحلى بضده، وبِقَدْرِ معرفته بنفسه تكون معرفتُهُ بربه، لأنه ما يعرفُ وصفا منها إلا ويتباعد عنه، وبتباعده من **زي** نفسه يكون قربه من ربه، والقرب يوجب المعرفةَ لا محالةَ، فمن لم يعرف نفسه بأوصافها لم يعرف ربه بأوصافه، قال ابن عطاء الله:(لا يخرجك من الوصف إلا شهودُ الوصف)[3]، أي لا يخرجك من وصف نفسك الحادث إلا شهود وصفه القديم، فَأَعْرَفُ الناس بأوصاف نفسه أعرفهم بكمالات ربه، فمن عرف نفسه بوصفي العجز في أحواله والتقصير في كل أعماله، أَثَابَهُ ربُّه بضديهما وهو القدرةُ على ما فيه رضاه، وأشهره ونشر ذكره وعلاه، وإن عرف نفسه بالخروج عن الاختيار و التبري من الحول والقوة

---

(1) الآية 91 سورة الأنعام.

(2) انظر: أبو القاسم القشيري، **الرسالة القشيرية**، ج2، ص601.

(3) الحكمة الحادية والأربعون بعد المئتين.

فيما يجري به تصاريف الأقضية الإلهية والأقدار، أورثه سيده الراحة من تَعَبِ التدبير وأشهده حقيقة كونه على كل شيء قدير، وإن عرفتها بنعتي الذل والافتقار إليه أقامك مولاك في بساط العز عنده والوقار لديه، وإن عرفتها بوصف الفناء عنها والاحتقار لها شهودا أفادك ربك وصف البقاء به والانتصار لك وجودا، ثم قال:

الحكمة الخامسة والثمانون

قال رضي الله عنه:

- **إن عَرَّفْتَهُ به عَرَّفَكَ بك، و إن عَرَّفَكَ بك أَبْصَرَكَ نَفْسَكَ، وفي أَنْفُسِكُم أَفَلاَ تُبصرون.**

قال الشارح:

الناس في معرفة الله تعالى وشهود وجوده على ضربين، فمنهم من عرف الله به وتوصل به إليه، ومنهم من عرفه بواسطة مخلوقاته،فالمسْتَدَلُّ به عليه المجذوبون، من أول جذبهم وحصول قربهم ومنهل ورودهم في شربهم ما شاهدوا غيره فعرفوه به، والسالكون عرفوه بواسطة دلالة آثار مكنوناته في مظهر شهود تجلياته الفعلية، وواسطة سلم العبرة والفكرة، فتوصلوا للصانع بمصنوعاته، فحال السالكين **ترقي** وحال المجذوبين **تدلي**، فالسالك مريد والمجذوب مراد، وفي الحقيقة كلاهما مراد، ولولا أن الحبيب أراده ما استعمل قربه ولا أورادَه.فإن كنت أيها الأخ من أول القسمين و احتظيت بأول النعمتين، فعَرَفْتَ مولاَكَ بِهِ فناءً عرفك بك بقاء، فأبصرت نفسك في بساط العدم والفناء وعاينت ربك على كرسي القدم والبقاء، فلم تَحْجُبْكَ وحدتُه عن كثرتك ولا كثرتك عن وحدته، فقلت متدليا مهتديا بقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، فأبصرت نفسك بعين العدم، كما أبصرت ربك بعين الوجود، قال ابن عطاء الله:(اهتدى السائرون إليه بأنوار التوجه، والمجذوبون لهم أنوار المواجهة، فبداية السالك نهاية المجذوب..)[2]، وهذا معنى ما جرى على ألسنة بعض أهل العصر من قولهم: بدايتنا نهاية عبد القادر، إذ هو رضي الله عنهسالك والقائل مجذوب، والسالك أمكن منه على ما حققه الأستاذ المؤلف رضي الله عنه فلا إشكال فيه والحمد لله، ثم قال رضي الله عنه:

الحكمة السادسة والثمانون

قال رضي الله عنه:

---

[1] الآية 21 سورة الذاريات.

[2] **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج1، ص186.

- **إنْ أَبصرتَ نَفْسَكَ بالعيوب أبصرك رَبُّكَ بالغيوبِ، وإن أبصرتَهَا بالاعتبار أبصرك بعين الاستبصارِ، من لم يُبصر نفسَهُ بنفسهِ لَمْ تظهر له حكمةُ رَبِّهِ، اعرفْ نَفْسَكَ بنفسكَ تعرفْ قَدْرَ رَبِّكَ .**

قال الشارح:

قد قدم المؤلف ﷺأن معرفة النفس بأوصافها تنتج معرفة الحق بأوصافه كما قال هنا: إن أبصرت نفسك فكشفت عن مكامن ما فيها من الغيوب واشتغلت بتنقيتها وتهذيبها،[أطلعك][1] ربك عن مكنون ما خفي وستر من العيوب، فَرُقَّيْتَ على سلمها في دُرَجِ تقريبها، وإن أبصرتها بعين ما تضمنته من عظيم موجب الاعتبار **حباك** ربك فَبَصَّرَكَ بتحقيق المعرفة به فَبَصُرْتَ عين الحقائق **بأنسان** عين الاستبصار، فمن جعل الله له في قلبه نورا حتى أبصر خباياه بنفسه، وقدسه من رذائل دَنَسِهِ، كانت الحكم الإلهية مرآه والأسرار الربانية مطمَحَ نظره ومرماه، فتسلط بقدرة الله على إِبْصَارِ نفسه بنفسه ومعرفتها بها حق المعرفة، فبذلك كانت معرفته بالله جليةً، ووجوده لصفات كمالاته تحلية، ومن لم يعرف نفسه بنفسه لا جرم إنها تخفى عليه حكمة الله فيه وفي غيره، لأن من عرف نفسه بأوصافها تخليا عرف ربه بأوصافه السنية تحليا كما مرت الإشارة إليه، وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[2] أي على نفسه من نفسه بصيرة، كما لبعض المفسرين ما يرشد إلى معنى ما تقدم، وفي كلام المؤلف قرب مناسبة لقول ابن عطاء الله:(تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب، أولى من نظرك إلى ما حجب عنك من الغيوب)[3]، أي فكما أن البصر المحشو **بالأقذاء** لا يتأتى منه نظر حتى يزول عنه ذلك وينقى مما هنالك، فكذلك القلب المنقوشُ فيه صور الآثار الكونية و الأغيار، لا يتأتى منه شهودٌ ولا يفرق بين العدم والوجود، حتى يُقَدَّسَ من أدناسه ويُبْنَى على الصحة من أساسه، فافهم، ثم قال:

الحكمة السابعة والثمانون

قال ﷺ:

- **حَقُّ الحق فيك كامنٌ في نفســـك، إن عرفتَ حقيقةَ النفس بأَنَ لك حقُّ ما تتنفس فيه، فالأنفاسُ مقاديرٌ تدخلُ وتَخرجُ بِقَدْرِ: خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فقدرهُ تقديراً وَكُلَّ شيءٍ عندهُ بِمقدارٍ.**

قال الشارح:

---

(1) في مخ: أبصرك أيضا في الهامش.

(2) الآية 14 سورة القيامة.

(3) الحكمة الثانية والثلاثون.

حقُّ الباري جل جلاله وارتفع مجدُه وكمالُه، مضروب على عامة عبيده وخاصتهم، وكامن في سرائر الكل، ومنطوية عليه ملكوتيتهم، ولا يخرج عن ذلك شيء، فمن أبصر نفسَهُ بنور المعرفة بربه وأدرك حقيقتها العَدَمَيَّةَ، بان له واتضح ظهورا واتضاحا لا خفاء معه، حقُّ وَقْتِهِ ومقداره وعرف مدخلَه ومخرجَه ومصدرَه وقرارَه، فحاسب أنفاسه وجَانَبَ إفلاسَه، فكان بواب قلبه في كل أحواله، لا يعزب عنه مثقال ذرة من أعماله، فما كان مقبولا لِلْمَلِكِ ومرتضى له أدخله وما لم يَلق إدخاله طرده وأهمله، إذ القلب بيت الرب جل جلاله، فهو غيور أن يرى فيه ما لا يرتضيه، والأنفاس خزائن مكنونة و أصداف مصونة، كلُّ صدفة منهايراعى باطنها ما فيه، إن كان جواهرَ أعمالٍ حسنةٍ فبخ لها و إلا فالعكس، ومن علم أن أنفاسَه ولحظاتِه وحركاتِه وسكناتِه محصيةٌ مقدرة، كيف يسعُه أن يهملها بعدم مراعاة مدخلها ومخرجها، فالرقيب أقرب من حبل الوريد كما عرفت، فبان بهذا أن قَدْرَ نَفَسٍ واحد لا تقوم له الدنيا بحذافرها، كما قال ابن عطاء الله: (ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له)[1]، وقال: (ما من نفس تبديه إلا وله فيك قدر يمضيه)[2]، أي فما فات منه لا يُجْبَرُ خلَلُهُ بثمنٍ، وما أدركت منه لا قيمة له كيف يُترَك أو يُغْبَنُ، فالباري جل جلاله خلق عبيده وقدر أقواتهم و أرزاقهم المعنوية كالحسية والباطنة كالظاهرة، وخلق كل شيء وقدره تقديرا، وكل شيء عنده بمقدار، والأشياءُ شاملةٌ لما ظهر وبطن كالأنفاسِ والخواطرِ واللحظاتِ، **والهَمَاتِ واللَمَاتِ** وغير ذلك كلها محصية مقدرة، ظروف لما تدخل به ولما تخرج، فكان على العاقل أن يعرفَ أنها محصيةٌ عليه أعمالُه ومشهودةٌ منه أقوالُه وأفعالُه، وأنه غير متروك سدى، فمالَهُ والإهمالُ ومالَهُ وتضييعُ أوقاته وأحواله في قيل وقال، فقد قال جل جلاله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[3]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[4]، وغير ذلك وأعظم ما يتعظ به قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[5]،وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[6] فمن كان الرب تعالى عليه لبلمرصاد وهو معه بغاية القرب، بحيث لا تخفى عليه منه خافية، كيف يغفل أم كيف يحيد عن السبيل أم كيف يذهل، وما توفيقي إلا بالله، فما شاء الله كان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فالمراقبةُ تنتج المقارَبَةَ، والمقاربةُ تثمر المحاضَرَةَ، ومن كان الرب حاضِرَهُ و ناظِرَهُ كان في جميع أحواله حافظَه وناصرَهُ، جعلنا الله ممن عرف واتبع رشده وأنصف بِمَنِّهِ وكرمه، ثم قال:

الحكمة الثامنة والثمانون

---

(1) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج2، ص95.

(2) الحكمة الثانية والعشرون.

(3) الآية 36 سورة القيامة.

(4) الآية 4، سورة القمر.

(5) الآية 4 سورة الحديد.

(6) الآية 16 سورة ق.

قال رضي الله عنه:

- **الحق منه لك ما أَخَذَ منك له، والحقُّ منك له ما أَخذ منه لك، وخيرُ ما بِعتَهُ ما اشـــتراه منكَ: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لَهم الجنة .**

قال الشارح:

مراد المؤلف والله أعلم: أن ما طلبه الحق من عبده وأخذه منه هو حق العبد الراجع إليه والعائد منه عليه، إذ هو تعالى غني فمتى طلب منه مطلبا أو أراد منه مرادا إلا وهو يريد أن يعطيه عوضَه ويُفيض عليه ما يغمُرُ مرادَه وغرضَه، ومتى أنعم عليه بنعمة إلا وهي مجردة عن غرض له منه، بل هي محض إفضال وخالصُ جود وتكرم ونوال لا لشيء يعود، فهو الغني عمن هو مَغِيبٌ ومشهود، وتدريج كلام المؤلف يظهر من قوله: بعد خير ما بعته ما اشتراه منك، كما استدل له بالآية الكريمة إذ لا يخلو الشخص من طلبه من الحق أو طلب الحق منه، وخير الصفقتين ما كان مطلبا للحق منه، كما قال: (خيرُ ما بعتَهُ ما اشتراه هو منك)، فإنه ما أخذ منك إلا ما هو له، ويريد بأخذه إعادته عليك، ورِجْعَتَهُ ثمنا ومثمونا إليك، قال ابن عطاء الله: (خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك)[1] قال ابن عباد: (إن كان ولا بد من الطلب منه فاطلب ما هو طالبه منك، من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك، لأنك حينئذ تكون به وله ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تأخير، وأما إن طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل في ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الأدب في الطلب إلى أن قال: ومن دعاء أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه: اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لي بالسؤال، فاجعل سؤالي إليك سؤال مجابك ولا تجعلني ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ، بل يسأل القيام بواجب حقك. ومن دعائه أيضا: اللهم إني أسألك منك ما هو لك و أستعيذك من كل أمر يسخطك، اللهم ولا تشغلني شغل من شغله عنك ما أراده منك إلا أن يكون لك، اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكر من لا يريد بذكره إلا ما هو لك، اللهم اجعل قصدي إليك ما هو لك ولا تجعل قصدي ما أطلبه منك)[2].

وأنت خبير بأن كلام المؤلف نص في هذا المعنى، إذ صفة بيع النفس منه و إسلامها هي وما لها إليه بالقتل في سبيله، أوجب الحياة الأبدية والإقامة في التنعمات السرمدية، فكذلك من باع منه نفسَهُ حتى قُتلت بسيف محبته أورثه ذلك الإقامة الديمومية، في جنة حضراته والتنعم بتجلياته، فبانت لك الخيرية المحضة فاغتنمها تسعد كما سعدوا وتحظى بوجد ما وجدوا، وقال ابن عطاء الله: (ليس المحب الذي يرجو من محبوبه غرضا ولا يطلب منه عوضا، فإن المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له)[3] ولا يخفاك

---

(1) **انظر**:ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص221.

(2) **انظر**:المرجع السابق، ج1، ص222.

(3) المرجع السابق، ج2، ص161.

أن من ادعى محبتَه تعالى يَحْرُمُ عليه أن يقع له غرض من الأغراض، أو يَحِلَّ في قلبه إرادة غرض من الأغراض، قيل في المعنى:

من لم يكن بك فانيا عن حظه * وعن الهوى و الأنس و بالأحباب

فلأنه بين المراتب واقف * لمنال حظهِ وحسنِ مآب

وقال آخر:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة * ضعيف هوى مرجى عليه ثواب

وقيل أوحى الله إلى عيسى عليه السلام أني إذا اطلعت على قلب عبد فَلَمْ أَجِدْ فيه حُبَّ الدنيا والآخرة ملأته من حبي، ثم قال:

الحكمة التاسعة والثمانون

قال رضي الله عنه:

- **سُبحان من ستر الخصوصيةَ بظهور بشرية الأشباحِ في قالب الأرواح،إذ لا ظهور لِسِرِّ الخصوصيةِ إلا من حيثُ دلالةُ الظاهر عليهاَ، ولولا ظهور البشرية ما ظهر سِرُّ الخصوصية، لأن الظاهر منشورُ الباطن، وما في السرائر يَرشَحُ على الظواهر.**

قال الشارح:

الخصوصية تحقيق المعرفة بالله، وكمال التحلي بجميل جليل أوصافه، وتحمل أمانة أسراره، والقدرة على تجلي عظيم سلطان أنواره، وهي بين الله وعبده لا تدرك إلا بحسن الظن وكمال الاعتقاد و التبري من **العناد والانتقاد**، فسبحان من حجب سر خصوصية روحانية أهل المعرفة به، وسترها في هيكل بشرية أشباح الإنسانية عن إدراكها لعامة خلقه، فلولا ظهور البشرية بمثليتها ما برز سر الخصوصية من ملكوت باطنيتها، أظهر كل شيء بأنه الباطن، وأبطن كل شيء بأنه الظاهر، فالظاهر مظهر للباطن والباطن مظهر للظاهر، فإن عنوان الباطن ومنشوره أي دليله هو الظاهر، فلولا الظاهر ما اطُّلِعَ على باطن، ولولا الباطن ما بان ظاهرٌ، وإن الإناء بما فيه **راشح**، كما أن الوزن بما غلب في إحدى الكفتين راجح، لكن احتجبت الخصوصية بظهور البشرية، فإن الظاهر من الشخص وجودُ الحاجة والافتقار و الذلة والمسكنةِ والاحتقار وغير ذلك من أوصاف البشرية التي هي محل اشترك النوع الإنساني، كالأكل والشرب وورود الأعراض

البشرية عليه أوجب الاشتراك، ونفى بظاهره دعوى الاختصاص، وقول المؤلف يرشح، يفهم أن سر الخصوصية لا يظهر من صاحبه إلا بالرشح، وإلا فالخصوصية مُحْتَجَبَةٌ بجوهريتها في قالب صدفة البشرية، فلولا حلول خاصية الجوهرية في باطن الصدفة البشرية ما خرجت عن حيوانيتها، ولما شرفت على جنسها، و إشراق الخصوصية على ظاهر البشرية له أمارة تدل عليه، وهو الاتباع والمسارعة لمسالك الخير والانتفاع والهرب مما يلهيه عن ربه، ويبدل الوصل بالانقطاع، قال بن عطاء الله:(ما استُودِعَ في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر)[1]، وظهرت بعظم الربوبية في إظهار العبودية، كما قيل: السيرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره، وقال أبو طالب: (حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن)، وقال ﷺ: ﴿ لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴾[2] ولابد من ظهور ثمرات محبة الله على عبده من **اللهج** بذكره وغير ذلك، وإلا فلا ظهور بل تكونُ مخفيةً في قالب المثلية، قال تعالى: ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[3]، ألا ترى أن أكله الطعام ومشيه بظاهره أوجب لهم وجود المثلية، التي حجبتهم عن شمس الرسالة التي هي تحجبها أجرام، وإنما سترها عن أعين المشركين ما كان على قلوبهم من الأوهام، ومثل الرسل من ورث منهم حظا ونصيبا، فخصوصيتهم محتجَبَةٌ في سُرادقات الهياكل الإنسانية، قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[4]، فتأمل قوله وجعلنا..الخ. فإن نور الإيمان والهدى قلبي سِرِيٌّ لا يلهمُهُ ولا يرشد إليه إلا من سبقت له من الله سابقية خير، فإنه يقذف في سويداء قلبه من نور المعرفة المقسومة له ما يدرك به نور الهدى والرشاد، وإلا فلا سبيل إلى معرفة الخصوصية كما علمت ذلك بالمشاهدة، قال ابن عطاء الله: (لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية)[5]، وكلام المؤلف من حيث المعنى كقول بن عطاء الله: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيثُ الدليلُ عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصلَه إليه)[6]، وقد قيل أن معرفة **الولي** أصعب من معرفة الله لوجود المثلية في الخلق وعدمها في الملك الحق، ومن كان حاملَ المسك يفوح عليه ما يشم من رائحته أحب أم كره، ومع هذا فالأرواح تقضي بالإئتلاف أو الاختلاف، كما قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها أي هناك ائتلاف أي هنا، وما تناكر أي هناك اختلف أي هنا، فالخصوصية روحانية لا تدرك إلا بالخاصية الروحانية التي سبقت من التعارف في عالم الأرواح، فالألفة بين أهل الله قديمةٌ وضدُّهَا بين غيرهم كذلِكْ، وإنما جعل الله سبحانه هذا التكليف والسعي في الأمر الذي يوجب الألفة،

---

(1) الحكمة الثامنة والعشرون.

(2) **انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج2، ص225. **انظر:تفسير القرطبي**، ج12، ص103.

(3) الآية 7 سورة الفرقان.

(4) الآية 122 سورة الأنعام.

(5) الحكمة التاسعة والأربعون بعد المئتين.

(6) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية**، ج 2، ص5.

ونهى عن ضده لما يترتب عليه من الثواب والعقاب حكمة حكيم، وإلا فالأمر القديم كاف، والله أعلم، ثم قال:

الحكمة التسعون

قال رضي الله عنه:

- **إن صَــحَّ منك الظاهرُ أشــرق لك الباطنُ، من لم تكن بدايتُهُ مُحرقةً لم تكن نِهايتُه مشــرقةً، فظاهر البداية عنوانُ النهاية، من لم تكن له بدايةٌ لم تَنْتُجْ له نِهايةٌ، فكون البدايةِ في الظاهِرِ عُبُودَيَّةٌ وكونُها في النهايةِ خُصُوصِيَّةٌ .**

قال الشارح:

وقوف العبد على قدم الصدق في العبودية، وتوفيةُ ما طُلب منه لحقوق الربوبية، علامة لصحة ظاهره، إذ هو مقام الإسلام، وبتحقيق هذا المقام يشرق باطن العبد بنور الإيمان، فمن شمر على ساق الجد واستعمل نفسه بغاية الجهد، فكانت بدايتُه هذه محرقةً لشهواتِهِ و**أوزاره**، كانت نهايتُه بحمد الله منتجةً مثمرةً لإشراق شمس أنواره، فظاهر البداية المطَالَبُ بتصحيحها توفيةُ أحكام العبوديةِ أداءً لوظائفِ الربوبية، ونُجْحُ باطن النهاية مشاهدةٌ ومحاضرةٌ وخصوصيةٌ، فصحةُ ظاهرِ البداية دليل على كمال النهاية، وكلام المؤلف رضي الله عنه مناسب لما ذكره ابن عطاء الله حيث قال: (من علامات النُّجْحِ في النهايات الرجوعُ إلى الله في البدايات)[1]، وقال: (من أشرقت بدايتُه أشرقت نهايتُه)[2]، أي من أشرقت بدايته بالمكابدة والمجاهدة، أشرقت نهايته بالمقاربة والمشاهدة، وقال: (البدايات مَجْلاَةٌ للنهايات)، فبان بهذا أن البدايةَ هي عينُ النهاية، كما قال ﷺ: ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.. ﴾[3]، فالنية بدايةٌ والعمل على وِفْقَهَا نهايةٌ، ألا ترى أن نُجْحَ العمل الذي هو النهاية مقرون بشرط صحة النية التي هي البداية، وفي الحقيقة البداية هي النهاية، مثال ذلك كلمتا الشهادتين، بهما البِدَاءَةُ وبهما النِّهَايَةُ حياةً وموتًا فافهم، فأولُّهُ توحيدٌ وآخرهُ تجريدٌ، أوله إسلام وآخره إحسان، وأوله عبوديةٌ وآخرهُ خصوصيةٌ، أولهُ التوجهُ إلى الله في التعبد بالاستعانة وآخرُهُ وجودٌ وتحملُ أمانة، وقال ابن عطاء الله: (من كانت بالله بدايته كانت إلى الله نهايتُه)[4] أو كما قال ضي الله عنه ويشير إلى ما تقدم للمؤلف قول الشاعر:

---

(1) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص117.

(2) **انظر**: المرجع السابق، ج1، ص118.

(3) رواه الشيخان.

(4) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج2، ص198.

بقدر الكد تُكْتَسَبُ المعالي * ومن رام العلا سهر الليالي(1)

ثم قال:

الحكمة الحادية والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **سُـــبحان من اختار أقواماً وخص كُلاًّ منهم بِما شـــاء، فقومٌ أقامهم لِخدمته وقومٌ أَمَدَّهُمْ بِخصوص عنايتهِ، وقومٌ خصصهم بِحضور مُشاهدته .**

قال الشارح:

هذا من المؤلف رضي الله عنه رجوع عن ظاهر قوله قبلُ: من كانت بدايته..الخ، وذكر هنا أن جميعَ عبادهِ في خصوص إرادته، ومقتضى ما سبق فيهم من مشيئته، والكل في اختياره وتدبيره، خصص منهم من شاء بما شاء كما شاء، وأنعم على أقوام اختارهم واصطفاهم إنعاما متباينا بأن جعلهم ثلاثة أقسام: فقوم اختارهم لخدمته واستعملهم في ميدان دوام معاملته، فهم في تحملها دائبون وفي أدائها إليه آيبون، وقوم أمدهم في بساط خصوص ما سبق لهم من العناية بالإعانة، وقدس أسرارهم غَيْرَةً منه عليهم وصيانة، وقوم **اجتباهم** واختصهم لِحَضَرَاتِهِ وشهوده، وغيبهم بفقد غيره في عين وجوده، ثم أنه رضي الله عنه سمى الأقسام الثلاثة وعين مقاماتهم فقال:

الحكمة الثانية والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **فإقامةُ الأخيارِ لعبادة رَبِّهم مقامُ زهدٍ وإيمانٍ، وإقامةُ الحاضرين بِحسن استعدادهم لربِّهم مَقَامُ مِنَّةٍ وإحسانٍ، وإقامةُ الخاصة بشهود تَجَلِّي الحقِّ لَهم مقامُ قربٍ واطمئنان.**

قال الشارح:

---

(1) تتمة الأبيات:

بقدر الكد تكتسب المعالي * ومن طلب العلا سهر الياليِ
يغوص البحر من طلب اللآلي * ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير كد * أضاع العمر في طلب المحال

منح الرب جل جلالُه المختارين لعبادته المقَامِين في خدمته بخصوصية الزهد فيما يَشغلهم عنه، الذي هو موجب لراحة القلب والبدن كما قال ﷺ: ﴿ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ﴾[1]، كما خصصهم بكرامة الإيمان به، الذي هو **فردوسُ** المقاماتِ الثلاثِ، فأوجب لهم التصديقَ بالغيب وانتفى عنهمُ الشَكُّ والوهمُ والريْبُ، فرسخت أقدامهم في العبادة على بساط التمكين، وداوموا عليها حتى أتاهم اليقينُ، وتكرم على الحاضرين معه المراقبين له في كل أحوالهم بحسن استعدادهم له، وإخلاص المعاملة له وصدق التوجه إليه، والعبوديةِ المحضةِ بين يديهِ، بأن أشهدَهَمْ مِنَّتَهُ و إحسانَهُ فأورثهم شكر نعماه، فهم في شهود آلاء [النعماء][2] دائمون، فجنتهم عرفانيةٌ وأرزاقهم فيها بكرةً وعشياً إحسانيةٌ، وأنعم على خاصة الخاصة بشهود تجلي الحق على سرائرهم، وكشف الْحُجُبَ بينه وبين ضمائرهم، فجعل مستقرَّهَمْ في مقام صدق في حضرة العندية عند مليك مقتدر، فمقامهم والحالة هذه مقام قرب ودنو منه من غير اتصال ولا انفصال، واطمئنانٌ في كل الأحوال، لهم القدم الصدق والطمأنينةُ بالملكِ الحقِّ، شهودهم حقٌّ يقين ورسوخهم في غاية الطمأنينة به والتمكين، قال ابن عطاء الله: (قوم أقامهم الله بخدمته وقوم اختصهم بمحبته، كلاًّ نُمِدُّ هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا)[3]، ففيه مناسبةٌ لكلام المؤلف رضي الله عنه، قال يحي بن معاذ رضي الله عنه: (الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة). ثم قال:

الحكمة الثالثة والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **الحقُّ منك ما قارنه الحقُّ منه وإلا فهو باطلٌ، إن خرجت عن نظر الخلق إليه دخلت في نظر الحق عليه، فاخرجْ عَمَّا أنت ناظِرُهُ منكَ إلى ما هو ناظرُكَ منه، ولا تَغْتَرَّ بشهود الخصوصيةِ منك فإنَّ الخصوصيةَ لِمُخَصِّصِهاَ .**

قال الشارح:

ما أفاء الله به على عبده بوجه من وجوه المعاملة، فلا يخلو من أن يقارنَهُ و يمازجَهُ شهودُ الحق و إرادة العبودية له أو لا، فما قارنه الحق منه فهو حقٌ وعبوديةُ صدقٍ، وما لم يقارنُه الحق منه فهو باطلٌ لكونه تمحض، إنه مراد نفساني وغرض حيواني فلا يغني عن صاحبه شيئا، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(1) رواه القضاعي عن ابن عمر وورد بألفاظ أخر. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص532. **راجع**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج4، ص157.

(2) في حج: والنعماء.

(3) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص212.

نَسْتَعِينُ﴾[1]، فالعبادة والاستعانة إن خصتا به كانتا حقا وإن روعي فيهما شرك ما كانتا باطلا، وأنت أيها المحب إن راعيت رشدك و أعرضت عن غير مولاك، فأفردْتَه بالوجهة إليه **فقنعت** بنظره إليك وعناية اطلاعه عليك لَبَّاكَ بالإدخال إليه، وحقق إليك خصوصية الإقبال عليه، إذا عرفت هذا فاخرج عن رؤية حولك وقوتك إلى شهود حوله وقوته، **[ولتستغن عن رؤية حولك وقوتك إلى شهود حوله وقوته]**[2]، ولتستغن عن نظرك إلى ما هو منك و إليك، بما هو ناظرك منه ومراقبك فيه وسائلك عنه ومعينك عليه وحاضرك لديه، تسترح من شبكة الالتفات إلى غيره،فإن تمت لك هذه النعمة فحصلت على حالة الانفراد به وخلوص المراد إليه، كنت صاحب خصوصية وولاية وذا تقرب وعناية، فإياك والركونُ إلى تلك الخصوصية، واحذرِ القناعةَ بها والالتفاتَ إليها والوقوفَ عندها، فالاستقرار في مستقر شهودها والتلذذ بِبَرْدِ وجودها من الأغيار، وهو والحالة تلك علامة اغترار، فالخصوصية منه و إليه وأنت مطالب في كل أحوالك بالرجوع إليه، فإلباسُهُ إياك حُلَّةَ تخصيصه لا نسبة لك في إيجادها ولا حول ولا قوة لك في إمدادها، فهي أبدا لمخصصها، وحين كان ذلك كذلك فمالك وشهود الخصوصية والالتفات، بل الواجب رد الأمر فيها لناصبها للسلامة من معاطبها، وما هي إلا بفضل الله ومحض جوده، قال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[3]، وقال: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾[4] فالفرح الذي أرشد إليه هو الفرح بقيد شهوده من الله ولله، فافهم، ثم قال:

الحكمة الرابعة والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **إن أَشْهَدَكَ قُرْبَكَ منه أشهدكَ بُعدَهُ منك، وإن أشهدك بُعده منك أشهدك قربكَ منه، إذ لا قُرب في بعده لمن أَبعده، ولا بُعد في قربه لمن قَرَّبَهُ، والعجزُ عن إدراكه إدراك .**

قال الشارح:

يقول: مشاهدة العبد من نفسه أنه قريب من ربه وأنه متصف ومتحلي بصفاته، قرينةُ دليلُ البعد عنه، ومُشاهدتُهُ بعدِهِ منه دليلُ قربه منه، فمتى شاهد إثبات القرب فهو بضده، ومتى شاهد البعد فهو في القرب، لأن أوصاف الحدوث مضادةٌ لأوصاف القدم، وحينئذ فلا قرب لبعده لمن هو موضوع في قالب الحدوث، ولا بعد في قربه لمن قربه، فإن سلَبَهُ أوصافَهُ الحادثَةَ وحلاَّه وستره بأوصافه القديمة فكانت جوهريةً إنسانيةً مستهلكةً في جمال صدفةٍ **لاهوتيتهٍ**، فكان بشريا روحانيا، قُربه في بعده وبعده في قربه، متوسطا

---

(1) الآية 5 سورة الفاتحة.

(2) في مخ: عبارة ساقطة.

(3) الآية 105 سورة البقرة.

(4) الآية 58 سورة يونس.

بين وَصْفَيِ القدم والحدوث، انطوت بينه وبين محبوبه مسافة بعد المناسبة، المعبر عنها في الحديث بالحجب السبعين، فلا بعد له حتى يقرب ولا قرب له حتى يبعد، غيبته في حضوره وحضوره في غيبته، جامع بين الضدين ومشار إليه بالوصفين، فسراج معرفة من ثبت القرب من ربه بعد الفناء عن الفناء عن نفسه بعد البقاء، والصحو من شربه الحيرة في أودية العجز عن الإدراك، فيخرُسُ عجزا عن النطق **دَهْشًا** من جلال الملك الحق، فيقول بلسان حال روحانيته: العجز عن الإدراك إدراك، كما أرشد إليه الصديق ﷺ بقصد الإفادة لمن أنعم عليه بمثل ما تكرم عليه به، وإلا فهو في غاية القرب وكمال المعرفة الموجبين لصمته وكلل لسانه عن إظهار الدعاء لما عَمَرَ به باطنه من الهيبة والجلال والحياء، كما قالوا: من عرف الله **كَلَّ** لسانُه، فلا جرم أن ظلمة العجز عن الإدراك محلُّ الهدوِّ والسكون، فافهم، ثم قال:

الحكمة الخامسة والتسعون

قال ﷺ:

- **فالواجبُ في حقك النقلةُ من الكون لِمُكَوِّنِهِ، فإنَّ وُجودَكَ في الكون ظلمةٌ، وانعدامُكَ في الوجود حجابٌ، فاخرجْ عن كَوْنِهما لِمُكوِّنِهما وإلا فأنت مقيدٌ بسلاسلِ الأوهام.**

قال الشارح:

قد عرفت أن الكون بأسره عدمٌ وهو ظلمةٌ، والحق جل جلاله وجودٌ وهو نورٌ، كما قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] فالواجب عليك والمتَحَتِّمُ في حقك، النقلة والارتحال من ظلمة الكون إلى نور مكونه، وذلك بالجهاد في سبيله حتى تقتل بسيف المحبة، فتموت قبل أن تموت كما قال: موتوا قبل أن تموتوا وتقوم قيامتك، كما قال: من مات قامت قيامته وتدخل جنتك كما قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2] وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[3]، وقد فسر الإحسانَ من عرفَه وهو عليه الصلاة والسلام فقال: أن تعبد الله كأنك تراه الحديث، فالإحسان يقتضي الشهود، والحسنى حضرة الخلود، فنعيمهم في جنتهم مزيد النظر إلى وجهه الكريم، وهو أجل ما معهم من النعيم المقيم، فبقاء الإنسان في الكون ظلمة وهو عدم، وانعدامه في نور الوجود حجاب عن المكون، فإن دخلت ظلمة الكون بأشعة نور الوجود، خرجت بنور اليقين عن كونهما أي العدم والوجود لمكونهما، فكنت به وإليه ومنه وعليه وإلا فأنت مكبل بقيود سلاسل الأوهام الغيرية، كما قال بن عطاء الله: (ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن

---

(1) الآية 35 سورة النور.

(2) الآية 46 سورة الرحمان.

(3) الآية 26 سورة يونس.

توهم موجود ﴾[1]، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] أي الآن، كما هو شهود أهل المعرفة به تعالى وإلى هذا المقام يشير الصديق ﷺ بقوله: (كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان)، ولا حجاب عن الله على التحقيق، بل الحجاب هو توهمُ أن في الوجود غيرَه، فالعاقل لا يرضى لنفسه البقاء في قيد سلاسل الأوهام، إذ لو حجبه شيء لحصره، والحصر مقتضاه القهر وهو القاهر فوق عباده، فتَحَصَّلَ أنه لا وجود لشيء سواه حالا ومآلا، وما كان حاله العدم ونفي الوجود عنه من أصله، لا يليق البقاء في قيد توهم وجوده كما قال:

الحكمة السادسة والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **تخيلاتُ السِـــرِّ بالأمورِ المبطلاتِ من أكبر عوائدهاَ المذمومات، فاخرج عنها وإلا فأنت مُكَبَّلٌ بأوهامِ فَلاَسِفِيَّتِهاَ .**

قال الشارح:

يقول: إذا عرفت أن الكون عدمٌ وظلمةٌ **محضةٌ**، وما كان هذا حاله فهو باطلٌ، فتخيلاتُ أوهامه و**توهمُ** وجوده في سرك من أعظم عوائد النفس، التي اعتادت الركونَ إليها والأنسَ بها المذمومات، بكونها تلهيك عن مطلوبك وتشغل سرك عن مرغوبكَ، فالبقاء في يد الأغيار الباطلة عارٌ والخروج عنها إلى نور مكونها وموجدها شأن الخاصة الأحرار، فإن فعلتَ وبادرتَ إلى الخروج كما أُمِرْتَ، صادَفْتَ وجه الصواب وزال بينك وبين مطلوبك ما كان من الحجاب، وإن خالفت الأمر وبقيت في ظلمات الأوهام تَشَكَّلَتْ لك وتوهمتَ أنَّ ثَمَّ أوديةً وآكامًا وسهلاً و**أعلامًا**، فظننتَ أنها أمورٌ وجوديةٌ وأشياءٌ شهوديةٌ، قُيِّدَتْ في **كَبْلِ** توهم **فلاسفيتها** المنعدِم من أصله، وما هو في الحقيقة إلا كالسراب، قال تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[3]، ألا ترى أن سعي الضمآن إلى السراب بقصد الشراب ربما يكون سببا في زيادة هلاكه، ولا يُدْرِكُ لَهُ ما يفرج عنه غمًّا، فالضمآن هنا من فقد شرب ماء العلم بالله والمعرفة به، وأما من ورد وارتوى منهما وكان على بصيرة من أمره، تحقق حقيقة الحال وأدركها من غير تحول ولا انتقال، فدام له نور الوجود واستغرقه ما ووجه به من الشهود. ثم قال:

الحكمة السابعة والتسعون

قال رضي الله عنه:

---

(1) الحكمة السابعة والثلاثون بعد المئة.

(2) الآية 88 سورة القصص.

(3) الآية 39 سورة النور.

- **ليس من الخاصة من استقام ظاهِرُهُ، بل من الخاصة من إذا نَهَض للعبودية استدامَ، وإذا قام بِحق الربوبيةِ استقامَ .**

قال الشارح:

استقامة الظاهر بمجردها لا تحصل بها خصوصيةٌ للمتصف بها، وإنما الخصوصية الحقيقية ثابتة لمن إذا نهض إلى أداء مطالب العبودية لله تعالى ثَبَتَ ودامَ، وإذا توجه إلى القيام بآداب حقوق الربوبية استقام، فبان لك أنه لابد من مجموع الأمرين، استقامة الظاهر والباطن، فاستقامة الظاهر ودوامُهَا عبوديةٌ مشهودةٌ، واستقامة الباطن بالآداب الباطنية مع الربوبية عنايةٌ وخصوصيةٌ موجودةٌ، واحترَزَ رضي الله عنه باشتراط الأمرين عن فقد أحدهما ووجود الآخر، وذلك يناقض تمحض العبودية لله تعالى كما قال بن عطاء الله: (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه)[1]، وقال: (ربما رزق الكرامة من لم تكن له استقامة)[2]، أي الظاهرة بمجردها، وإما أن أُقِيمَ على المنهاج القويم والصراط المستقيم، فما يبرز على يديه من خوارق العادات يسمى كرامةً سالمةً بحمد الله وفضلِهِ من سِمَةِ المكرِ والاستدراجِ وإلا فلا، ومع هذا فالخصوصيةُ خلقٌ لمخصصها، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[3]، كيف رتب الاستقامة على توحيده، إذ توحيد الحق بالإخلاص إليه أصلٌ، والاستقامةُ فرعٌ تُنْبَنَى عليه، ثم قال:

الحكمة الثامنة والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **والارتحالُ من كونٍ إلى كونٍ كَالْمُقَهْقَرِ الذي سار منه عاد إليه، رِحلتك من الكون إقامةٌ فيه، وإقامتك فيه رحلةٌ منه، والرحلةُ هي انتقالُكَ من وصفٍ إلى وصفٍ.**

قال الشارح:

عملُ المرء على قصد الجزاء والثواب مما يُذَمُّ به وعنه يُعَابُ، يكون والحالة هذه سائرا في ظلمة الأغيار الكونية كائنة ما كانت، ولو كانت أنوارا، لأن ما سوى الله غيرٌ تجب عليه الرحلة منه، فإن كان كلما انتقل من وصف حل في غيره، وكلما باين حالا اتصف بمثله، كان كحال من هو راجع في سيره مقهقرا في أمره لأنه مهما انتقل من كون نزل في مثله، فهو بمثابة حمار الرحى، المكان الذي ينتقل منه هو الذي يعود إليه بجامع أن اسم الكونية شامل له فلا فرق بين مقامه وارتحاله، فرحلته من الكون الأول إلى الكون الثاني إقامة فيه وعكسه، وإنما الرحلة أن يخرج عن جميع الأغيار الكونية إلى مكونها، قال بن عطاء

---

(1) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص276.

(2) المرجع السابق، ج2، ص35.

(3) الآية 30 سورة فصلت.

الله: (لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون، وإن إلى ربك المنتهى)[1]، وانظر إلى قوله ﷺ: ﴿ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ﴾[2]. فافهم قوله عليه الصلاة والسلام فهجرته إلى ما هاجر إليه، وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم والسلام.

ومع هذا فالرحلة والانتقال من وصف إلى وصف تعاب الإقامة فيه والدوام عليه، و إلا فالسير إلى الله تعالى لا يكون إلا بالتنقل من حال إلى حال أرفع منه، تنقلا قلبيا وتخليا وتحليا سريا، فالانتقال من مقام إلى مقام ومن حال إلى حال كله وإن تباينت مراتبه وقلت مناصبه، فهو أكوان تجب الرحلة عنها والتنقل منها، وإن إلى ربك المنتهى، ثم قال:

الحكمة التاسعة والتسعون

قال رضي الله عنه:

- **رَجَى السَّائرين إليه كي لا يُبقيهم في الخوف، وَخَوَّفَ المحبين له كي لا يُوَطِّنَهُمْ بالرجاء، قبضَ السالكين إليه كي لا يَختطفهم البسطُ، وبَسَطَ الواصلين له كي لا يُوحشهم القبضُ، أَنَّسَ المطمئنين به كي لا تَصطلمهم الهيبة، وأَمْكَنَهُمْ من الهيبة منه كي لا يفترسهم الأُنس، جَمَّلَ الكاملينَ بالحضرة معه كي لا يَفُوتُهُم الجلالُ وجلَّلَهم بالقرب منه كي لا يَحجُبَهُم الجمالُ: كُلاً نَمُدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاءِ ربك وما كان عطاء ربك محظوراً.**

قال الشارح:

تقدم للمؤلف رضي الله عنه في صدر الكتاب ذكرُ هذه الأحوال ونبهنا عليه هناك بما أمكن، وسأذكر هنا طرفا يُقَرِّبُ مرامه إن شاء الله. فأقول: إن أحوال السائرين إلى الله تعالى لا تحصى كثرةً ولا تنحصر كيفيةً، ولكن اصطلح القوم رضي الله عنهم على بعضها وذكروا منها الخوفَ والرجاءَ والقبضَ والبسطَ والهيبةَ والأنسَ والجلالَ والجمالَ، ففي المقام الأول والثاني الخوف والرجاء، وفي الثالث القبض والبسط، وفي الرابع الهيبة والأنس، وفي الخامس الجلال والجمال، فكل مقام يُسَمَّى فيه بما يناسبه وهي قريبة من بعضها بعضا بحسب الظاهر، وأرباب الأحوال التدريجية يعرفون تفرقتها ويدركون تمييزها، فكل مقام له مقالٌ، وقد بين المؤلف رضي الله عنه هنا حكمة تعاقب هذه الأحوال على من تأهل للاتصاف بها، حيث قال: رجى السائرين له في أول سلوكهم بما يفتح عليهم من موجبات الرجاء لطفا بهم ومِنَّةً عليهم، كي لا يطولَ مُقَامَهُمْ

---

[1] **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص147.

[2] صحيح البخاري (1/ 20)

في حالة الخوف، وأزعج المحبين له المستغرقين في شهود آلائه ونعمائه، لئلا يطيب لهم التلذذ ببرد الرجاء فتقف هِمَمُهُمْ عند ما يلوح لهم، وقبض قلوب السالكين له في تَوَسُّطِ سلوكهم بليل موجبات القبض، وفلق فجر السر لأجل أن لا يختطفهم وارد نهار البسط، لما فيه من غلبة حاله حتى يخشى على صاحبه من سوء الأدب فيه، لأن القبضَ أدبُ صاحبِهِ السكونُ في ليلهِ والتسليمُ لسلطان واردِهِ، وله ثلاثة أسبابٍ: ذنبٌ مرتكبٌ، أو مصيبةُ دنياَ، أو ظالمٌ يؤذيه، فالعبودية في هذه الأسباب الرجوع إلى العلم مستعملاً له كما أمرك، أما الذنبُ فالتوبةُ والإنابةُ وطلبُ الإقالةِ، وأما في مصيبة الدنيا فالتسليمُ والرضى والاحتسابُ، وأما في إذاية الظالمِ فالصبرُ والاحتمالُ، وقد يكون القبض بلا سبب أصلا، فإن لم تعلم له سببا مما تقدم، فالأدب فيه السكونُ عنِ الأقوالِ والأفعالِ والإراداتِ، فإن فعلت فعن قريب يذهب ليلُكَ ويطلُعُ نهارُكَ، أو يبدو نجمٌ تهتدي به أو قمرٌ تستضيءُ به أو شمسٌ تبصر بها، والنجوم نجوم العلم، والقمر قمر التوحيد، والشمس شمس المعرفة، والتحرك في الليل مظنة العطب، فهذا حكم الأدب في القبضين جميعا.

وأما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلمَ له سببا أم لا، فالأسباب ثلاثةٌ: زيادة الطاعة أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة، والسبب الثاني: زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو وصلة، والسبب الثالثُ: بالمدحِ والثناءِ من الناسِ و إقبالِهِم عليكَ وطلبُ الدعاءِ منك وتقبيلُ يديك، فإذا ورد عليك البسط من أحدِ هذه الأسبابِ فالعبوديةُ تقتضي أن ترى النعمةَ والمِنَّةَ من الله عليك، واحذر أن ترى شيئا من ذلك لنفسكَ، وحَصِّنْهَا أن يُلازمَهَا الخوف من سلبِ ما بهِ أنعمَ عليكَ فتكونَ ممقوتاً، هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى، وإما الزيادة من الدنيا فهي نعمةٌ أيضا كالأولى، وَخِفْ مما بطن من آفاتها، وأما مدح الناس إليك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك، وَخَفْ من الله تعالى أن يُظهرَ ذرةً مما بطن منك فيمقتك أقربُ الناس إليك، وأما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال و**الإدلال والصولةِ** على النساء والرجال، اللهم إلا أن تقول: سَلِّمْ سَلِّمْ إلى المماتِ، فهذا آداب القبض والبسط في العبودية جميعا إن عقلت والسلام؛ انتهى كلام الشيخ أبي الحسن نقله ابن عباد، ذكرته بالمعنى في القبض، وفي البسط باللفظ لحسنه وفقده من غيره، ولذلك أوردته مطولا لمناسبته لكلام المؤلف في القبض والبسط، وبهذا التقرير فيهما يُعْرَفُ الأدب الذي يُعْمَلُ عليه في الأحوال التي بعدهما كلٌ بما يليق به كما قال: بسط الواصلين إليه بما أشرق عليهم من شموس المعرفة والعلم به، كي لا يوجب الوحشة لهم القبض لو أقاموا في ليله، إذ القبضُ محل الوحشة وأُنْسُ المطمئنين به الساكنين لجميع أقداره المتمكنين **بالثوى** في مقام المعرفة كي لا تصطلمهم وتهلك أحوالَهم وتقطعَ أوصالهم الهيبةُ منهُ وشهودُ عظمته، كي لا يفترسهم الأنس به ويختطفَهم من محل التمكين فيفترسهم بالرد إلى التلوين، وجَمَّلَ الكاملين الذين زكت أنفسهم وطهرت أسرارهم وكملت بالتطوير اقتباسا من شمس الألوهية أقمارهم بتاج جمال الحضور معه والقرب منه والاستواء على عرش الجبروتية لديه، لئلا يفوتَهُم جلالُه وإعظامُه فلا يشهدونه، وجللهم برداء كبريائه وإزار عظمته على بساط غاية القرب والدنو منه، كي لا يَحْجُبَهُم الجمال فيبقون في التلذذ تحت

ظلاله فتفوتَهَمْ مشاهدة جماله، فهذه أحوالهم رضي الله عنهم في حال ترقيهم إلى كمالهم، فيكونَ منتهى سيرهم إليه في سدرة المنتهى، فيغشى سدرتهم من أنوار جماله وجلاله مما لا يطيقه إلا أرباب التمكين، و**تزيغ** منه أبصار أهل التلوين، فسبحان من أنعم على عبيده وأمدهم بنعيمه وكمال مزيده.

نسأله سبحانه أن يسلك بنا سبيل النجاة في الحياة والممات، وأن يمنحنا بما به منحهم إنه جواد كريم، فإمداده غير مقطوع وإعطاؤه غير محظور ولا ممنوع كما قال: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[1]، وفي هذه الآية إشارة إلى معنى ما تقدم له وزيادة، إن الفضل بيده يوتيه من يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وصنيع المؤلف كثير في مثل هذا كما علمت، وقد ذكر المؤلف ما يقرب من كلامه السابق كالإيضاح له حيث قال:

الحكمة المائة

قال رضي الله عنه:

- **فَتَحَ باب الرجاءِ وأورد عليكَ واردَ الخوفِ فيه كي لا يضطرب جأشُكَ ويسكنَ، وكشف لك وجه القبض لئلا تأنس بغيره، وَوَجْهَ البسطِ لئلا تستوحِشَ منه، وواجهك بالأنس وأقبل عليك بالهيبةِ كي لا تتمكنَ وتتلونَ، وأفناك في الجمال ثم أبقاك في الجلال كي لا تسكنَ لغيره.**

قال الشارح:

من حكمة الباري جل جلالُه وحُسْنِ مُعَامَلَتِهِ، مع من أحسن مُعَامَلَتَهُ وتوجه إليه قاصدا محاضرَتَهُ، أنه يفتح عليه من موجبات الرجاء ما يَحْمِلُهُ على الشوق والطرب، ويُوَسِّعُ ميدان سره فيرغبُ، ثم يَتَدَارَكَهُ بلطفهِ فيوردُ عليه واردَ الخوف حفظا له وصيانةً من أن يسكُنَ **جأشُه**تارةً وتارةً يضطربُ، فيبقى قلبُهُ مدعما بدعامتيَ وارديِ الخوف والرجاء، كما قال ﷺ: ﴿ لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاستويا ﴾[2] أو كما قال، ثم إن دام لك هذا الحالُ وثبت لك هذا المنوالُ، يكشفُ لك قناعَ وجهِ القبضِ ليحفظكَ من الأنسِ لغيرِهِ والاستنادَ لشيء سواهُ، فلا تزالُ ساكناً في ليله وهِمَّتُكَ مقيدةٌ في [نَيْلِهِ][3] حتىَّ يكشفَ لك فجرَ البسطِ عن وجه نهاره وتُشْرِقَ عليكَ شمسُ أنواره فتزولَ وحشَتُكَ منه الموجبةُ لبعدكَ عنه، ثم إنه يواجِهُكَ بما يوجبُ لك حالُ الأنسِ بهِ، ويُثْبِتُ لك القرب والدُنُوَّ منهُ، فإذا **رتعت** في أزهاره وطابت لك أذواقُ

---

(1) الآية 20 سورة الإسراء.

(2) **انظر**: السيوطي، **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، 133. **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، 296.

(3) في مخ: طيله.

ثماره، فوقفت في لذيذ عيشه وبَرْدَ ظلاله، وقنعتَ بمباديءٍ لاحت لك من ألوية كماله، فبينما أنت كذلك إذ أقبل عليك سلطانُ الهيبةِ والحياءِ **فَتَدَكْدَكَتْ** منه جبالُكَ وكادت أن تنقطعَ حياءً وهيبةً منهُ **أوصالُكَ**، لأنك شُغِلْتَ عنه بالنعيمِ وأرحتَ مطيتكَ فيما هبَّ لك من النسيم، فأوجبَ لك وَجْهَ الهيبةِ منه حَفِظَ السِرَّ من التمكين الذي يعقبه تلوينٌ، ثم أن علم منك قوة تمكينِكَ والسَّلاَمةَ من عيب **وصم** تلوينِكَ، هجمَ عليكَ الفناءُ عنكَ فغبتَ في شهود جماله ثم بقيتَ بوجود الجلال، فأورثَكَ حَالَ الفناءِ في جماله عمَّنْ سواهُ، وحالَ البقاءِ به في عظمَتِهِ وجلاله، إن شاهدتَ فردانيتَهُ في عِزِّ رتبةِ أحديتِهِ الأزليةِ الصمدانيةِ فكنتَ بهِ وإليهِ ومنهُ وعليهِ وفيهِ ولهُ، فلا ترى في الخليقةِ غيراً تسكنُ إليهِ فناءً، ولا أحدا تعتمد عليه بقاءً، فكان حالُكَ منتهيا إلى الجمالِ فيوجب لك الاستغراقُ الفناءَ، وإلى الجلال فيوجبُ لك البقاءَ، فإذا تَوَارَدَا عليك استوَى حالُكَ[فيهما][1] وكانا لك كجناحَيِ الطائرِ فكنت فانياً باقياً، فلا فناؤُكَ يحجُبُكَ عن البقاءِ ولا بقَاؤُكَ يحجُبُكَ عن الفناءِ، لثبوت انفرادك به وسكونك له ورجوعك إليه بعد طمأنينيتك به، فهذا كمالُكَ بحسب الترقي في مقامات السبع بتدريج السادة الخلوتيةِ، وأما بحسب التجلي فلا نهاية للكمال، لأن فوق كُلِّ كمالٍ كمالاً حتى ينتهي الكمالُ إليه تعالى وهذا معنى قولِهِمْ: السلوك ينقطعُ والتجلياتُ لا تنقطعُ ولو بعد الموتِ؛ فالسلوك هو الترقي في المقامات وهي معدودةٌ محمودةٌ، وأما التجلياتُ فبمثابة نعيمِ الجَنَّةِ لا نفادَ لهُ ولا انقطاعَ، فافهم. ثم قال:

حقيقة الكون

الحكمة الحادية بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **خَلَقَ الكونَ لأجلِكَ ثم أبرزكَ الحقُّ منهُ، ثم أراد نقلتَكَ منهُ إليهِ، فاخرُجْ عَمَّا خُلِقَ لأجلكَ إلى ما خلقتَ من أجلهِ.**

قال الشارح:

[1] في حج فيها.

هذا مأخوذ من قوله ﷺ: ﴿ الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ﴾[1] أو كما قال ﷺ، فالكونُ ما سوى الله تعالى، وهو مُكَوَّنٌ لا لنفسه بل ليكون علماً دالاً على مُكَوِّنِهِ، فهو مخلوق للإنسان، بمعنى أنه يستدل به على مُؤَثِّرِهِ، كما قال على لسان نبيه ﷺ: ﴿ كنت كنزا لم أُعْرَفْ فأحببت أن أُعْرَفَ فخلقت الخلق لِأُعْرَفَ فبي عرفوني ﴾[2]، فبان بهذا أن الكونَ خُلِقَ للإنسانِ وهو **جوهرٌ** من جواهرِهِ، فلما أن أراد الله اختصَاصَهُ واصطِفَاءَهُ بمعرفته والعلمِ به، أبرزه منه وسلطَنَهُ فيه، فكانت له السيادةُ عليه بأجمعِهِ، وكانت الأرضُ فِرَاشَهُ تُنْبِتُ معاشَهُ، والسماءُ له سقفاً مرفوعاً تضيءُ شمسُهَا نهارا فَتُمَكِّنَ من السعي في منافعه الدينية والبدنية، ويهتدي بكواكبهَا ليلا في ظلمات البر والبحر، ويعرفُ بقمرهَا عددَ السنينَ والحسابَ، وجميعَ الأملاكِ تخدمُهُ وتجري في مصالحه، من حِفْظٍ لبدنه وكَتْبٍ لأعماله وَجَرٍّ لأرزاقه، حتى إِنَّهَا لا تُهْمِلُ من أمره شيئا سواءً كان الذي له أو عليه منه أو إليه، ولا تزالُ معه كذلك حتى يستقرَّ في داره، ومع هذا فالكونان الدنيا والآخرةُ خُلِقَتْ من أجله، فالدنيا مزرعةٌ للآخرة والآخرة يَحْصِدُ فيها ما زرع في الدنيا، وهي محلُّ جزائه على وِفْقِ ما صنع، فهما محلان لا غيرُ يَنْزِلُهُمَا بسره إِنْ عَقَلَ، وينتهي إلى ربه، كما قال: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾.

فالواجبُ عليكَ الارتحالُ من منزلٍ خلق لأجلكَ وما خُلِقْتَ من أجله، وما ذاك إلا مولاكَ، فالآخرةُ جُعِلَتْ لك لا لترغبَ فيهَا، بل لتُزَهِّدَكَ في الدنيا وتَرْغَبَ فيما عنده، حتى إذا رغبت فيما عنده كان ذريعةً ووسيلةً إلى رغبتِكَ فيه، فهو يقودُكَ إليه ويَدُلُّكَ بآلائه ونعمائه عليه، فلو وَقَفَتْ هِمَّةُ الإنسانِ مع الأولى لَحُجِبَ بها عن الثانية وهي الآخرةُ، ولو وقف مع الثانية لحجب بها عن مولاهُ الذي خلقه لأجله وسوَّاهُ، فلا تَقْصُرْ همتُكَ يا حبيبي عند غيره فتكونَ عبد هوَاكَ، مسجونا في حبائل دنياكَ أو في **شِرَكِ** أُخراكَ، فتكونَ عبدا لهما لمحبتك فيهما، وهو غيورٌ لا يرضى أن تكونَ لغيره عبدًا قال ابن عطاء الله: (ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا، وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا)[3]، وقد جعل الله تعالى عبيدَهُ قسمين: فمنهم من قاده إليه بإحسانه، ومنهم من جَرَّهُ إلى الإقبال عليه بسلاسل امتحانِهِ، ففي كلٍّ من الأمرين ترحيلٌ له من الاستيطان في غير حَضْرَتِهِ، والسُكْنَى في غير جنته، وجعلنا الله بمنه وكرمه ممن كان به و إليه إنه جواد كريم. ثم قال:

الحكمة الثانية بعد المائة

---

(1) لم أقف عليه.

(2) **راجع**: ﴿كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني ﴾ قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي والعسقلاني، لكن معناه صحيح مستفاد من قوله ﷻ في سورة الذاريات ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي ليعرفون = كما فسره ابن عباس ﷺ. **انظر**: **الأسرار المرفوعة**، ص269. **انظر**: ابن عراق، **تنزيه الشريعة**، ج1، ص148.

(3) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج2، ص98.

قال رضي الله عنه:

- **إنْ عَرفتَ حقيقةَ الكونِ تحقَّقَ لك المكوّنُ، فكنْ في الأكوان بالمكوّنِ ولا تكن مع المكوّنِ بالأكوانِ.**

قال الشارح:

معرفةُ الإنسان حقائقَ الأشياءِ الكونيةِ بنعوتِهَا التي لا تَنْفَكُّ عنها، و أوصافِهَا الذاتيةِ التي لا تفارقُهَا، تُثْمِرُ معرفةَ مكوّنِهَا حق المعرفة، لما يلزمُ على معرفةِ أوصافِ القِدَمِ التي هي نعتُهُ تعالى، من نفي ثبوتها للحادث ووجودُ ضدها له، فإذا حققت شهود أوصاف الحادث، أخرجتْكَ إلى شهود أوصاف القديم، كما قال ابن عطاء الله: (لا يخرجك من الوصف إلا شهود الوصف)[1]. فتحقيقُ الكون الوقوفُ على ماهيته و إدراكُ حقيقتهِ من الافتقار إليه حالا، والفناءُ له حالا ومآلاً، فإذا نظرْتَهُ بعين من لا يراه تلاشَى وذهبَ، فلا يبقَى إلا المكَوّنُ، وحينئذ فالواجب أن تكون في مشهد الأكوان الظلمانية بنور وجود مُكَوّنِهَا، واجعله دليلَكَ ابتداءً و أنيسَكَ فناءً ووارثَكَ بقاءً، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، إن تجلَّى على قلبك باسمه الأول أثمر لك شهودَ أَوَّلِيَّتِهِ قبل كُلِّ شيء فكنت به، و إن تجلى عليك باسمه الآخِرِ نتجَ لك شُهُودُ آخريتِهِ بعد كل شيئ فكنت إليه، وإن تجلى عليك باسمه الظاهر فَنِيَّتْ في شهود ظاهريته جميعُ الأغيارِ الكونيةِ، ولم يبق إلا وُجُودُهُ بصفاته الأزلية، وإن تجلى عليك باسمه الباطن بَقَيْتَ به وكُنْتَ تشاهدُ مَا وَاجهَكَ من الأكوان الغيرية بإظهار باطنيته فيها، أظهر كُلَّ وصفٍ بطونَ ضِدِّهِ وأبطن كلَّ نعت ظهورَ ضدِّهِ، وفي معنى كلام المؤلف ما قاله ابن عطاء الله: (أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شاهدته كانت الأكوانُ معك)[2]، . مثالُهُ أَنَّكَ إذا قابلت قرص الشمس بوجهك كان الظلُّ خلفَكَ تابعا لك حيث كنت، وإذا أدبرت عنها بوجهك كان الظل أمامك وأنت تابع له، حيث كان لا قدرةَ لكَ على إمسَاكِهِ، فالشمسُ عبارةٌ عن وجه الحق جل جلاله والظلُّ عبارةٌ عن الأكوانِ، فافهم المثال يظهر لك الحال ويزول عنك الإشكالُ، فإذا كنتَ معَ الأكوانِ حاضرًا و إلى بهجتها ناظرا كنت معها مقيدًا بسلاسِلِ اتباعها لتلونِكَ بتلونها، كيف لا و أنت والحالة هذه محجوبٌ بها عن مشاهدة مُكَوّنِهَا، وإن شاهدت المكَوّنَ كانت معكَ بأجمعهَا تابعةً سامعةً لكَ طائعةً. ثم قال:

التلوين والتمكين

الحكمة الثالثة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

---

[1] الحكمة 73،84.

[2] المرجع السابق، ج2، ص182.

- **ما فتح لك باب التلوين إلا أرادَ منكَ وَصْــلَةَ التمكينِ فاخرج عَمايَتلونُ إلى ما يَتَمَكَّنُ، إن تَلَوَّنَتْ بَشَرِيَّتُكَ تَجَنَّسَتْ خَواطِرُكَ، [فالتَّلَوُّنُ][1] ما يظهر في الباطن ويختلفُ، والتمكين ما يُثمر في الباطن ويُعْرَفُ، إن أَثْمَرَ لك الاجتهادُ تلويناً أعقبته المداومةُ يقيناً، إن صـــح منك اليقينُ أعقبَهُ الإيمانُ تَمكيناً.**

قال الشارح:

إذا واجهَ الحقُّ تبارك وتعالى عبدا من عبيده في أثناء سيره إليه بأشعة أنواره، مما تثمره المجاهدة والمكابدة والرياضة للنفس، يكونُ قلبه يتلون، فتارة تلوح في باطنه شموسُ معرفته وتتوالى عليه دلائل قربته، فتكونُ خواطرُهُ ربانيةً وإلهاماتُهُ رحمانيةً، وتارة بعكس ذلك، فلا يزال كذلك حتى يَغْلِبَ خيرُهُ على شره ونوره على ظلمة طبيعته ونهار وصلته على ليل قطيعته، فيتمكن من الأوصاف المحمودة ويثبت له نور المعرفة بربه ثباتا لا يتخلف بحال، فما دام في حال بدايته فشأنه التلوينُ، وإن داوم على التقرب إلى سيده بأنواعِ قُرَبِ النوافل أحبه وأدناه وتكرم عليه و أولاه، فيكونُ حالُه تمكينيا بعد أن كان تلوينيا، فمطلقُ المجاهدة والرياضةِ مظنة التلوين، والترديد في الأحوال بين محمودها ومذمومها، فإذا دام له الاجتهاد في الطاعة والمثابرةُ عليها ثبت ما هو حق وانتسخ ما هو باطل، فيكونُ روحانيا بعد أن كانت أحواله بشريةً تارةً وروحانيةً أخرى فتغلبُ روحانيتُه على بشريته، وتمكينُه على تلوينه، فالتلوين هو ما يظهر في عالم القلب تارة ويبطن أخرى، وهذا معنى اختلافِهِ أي تعاقُبُهُ وتوارُدُهُ، والتمكينُ ما يثبتُ في السر ويُعرَفُ رسوخُه بأنوار اليقين الذي هو نتيجتُه الإيمانُ الذي هو سُلَّمٌ للشهود والعيان، فالتلوين في مقام الإسلام، واليقين في مقام الإيمان، والتمكين في مقام الإحسان، إن تلونتِ البشريةُ في عالمِ اختلافاتها تجنست الخواطرُ وتنوعت بخيالاتها، فاخرج من ربقة الترديد والتلوينِ إلى فضاء اليقين والتمكين، ولا ترض لنفسك البقاءَ في سجن الأغيار الذي هو مقرُّ الامتحانِ و الأكدارِ، فما دمت في التلوين كنت كمن هو في تِيهٍ لا يعرف أين يتوجه، فإذا لاح له لائحُ معرفةٍ ذهبَ على وِفْقِهِ، وإذا خفي عليه الشاهدُ وقف في ظلمة حِيرَتِهِ وربما رجع على عَقِبِهِ إن لم يَلْطَفِ الله به، وصاحب التمكين طلعت على قلبه شمس المعرفة به تعالى ولا تعتريه حيرةٌ ولا يخفى عليه أثر ولا يَشْكُلُ عليه أمرٌ، فهو على نور من ربه فائزٌ، وإلى أول درجات الكمال حائزٌ؛ لكن يا حبيبي ما فتح لك ربُّكَ باب التلوين لتسكُنَ فيه ولا لتقيم بهِ، وإنما هو ذريعةٌ إلى التمسك بوصلة التمكين، فهو قنطرة لابد من عبورها للمريد، ويَجُوزُهَا بجائزة المداومةِ على الطاعة ومصاحبة **التجريد**، وبها يثمرُ اليقينُ الذي هو أولُّ لوائح التمكين. ثم قال:

الحكمة الرابعة بعد المائة

(1) في حج: التلون.

قال رضي الله عنه:

- **إن أشهدك بِرَّهُ في التلوين أشهدك قربه في التمكين، وإن أشهدك قربه في التمكين أشهدك جلاَلَهُ في التبيين، وإن أشهدك مقام التلوين فَسِرُّ التمكين أفناك عنه.**

قال الشارح:

فرق بين الأبرار والمقربين وسبَبُهُ اختلافُ المشرب وتنوع المشهد، فالأبرار يمازج نورَهُمْ ظلامٌ، ويخالط صحَّتَهُمْ ضروبٌ من الأسقام، فلا يصفو لهم موردٌ حتى يخرجوا بالترقي إلى مشاهد المقربين، ولا يحجبون عن تلوينهم منهزمين حتى لا يسموا أبرارا، بل هم قوم غالِبُهُم خيرٌ وطالعهم نورانيٌ، غير أنه لَمَّا إنْ مازجه ما كدر صفوه و أَوْجَبَ له التلوينَ سُمِّيَ به، ومشهد المقربين شهودُ ووجودُ صفاءٍ ووفاءٍ، فناءٌ وبقاءٌ لا يعتريهم من الأحوال ما يزول به تمكينُهُمْ، ولا يخامر قلوبَهُمْ ما يكدر أسرارهم ويوجب تلوينهم، مشهدهم إحسانيٌ ومشربهم إيقانيٌ، فإن أشهدك ربُّكَ مشهد الأبرار وعاينت منه لطفه وبره، حيث ترقيت من ظلمتك الطبيعية إلى مقام التلوين فأوجب لك الشكر لنعيمه ورفعك إلى مقام تكون فيه من أهل التمكين، ونزه سرك رأسا من توارد موجبات التلوين، فإن مَنَّ عليك وأوضح لك شهود تمكينه إياك، فكنت بشعاع اليقين داخلا في ربوة التمكين، واجهك بشهود جلاله وعظمته في التبيين، فأوجب لك ذلك فناءً عن الفناءِ وفناءً في عينِ البقاءِ، فإن أشهدك بعد كمالك وشهودِكَ لجمالِكَ وجلالِكَ مقامَ تلوينات البشرية، ورجعت من سماء الحقوق الحقية إلى أرض الحظوظ [الخلقية][1]، فَسِرُّ ما سبق لك من التمكين أفناك عنه، أي عن التلوين، فالتلوين بعد التمكين وشهود الجلال والجمال لا تأثير له لما سبق من الفناء، فشهود مقام التلوين غير الحلول فيه، بل رجوعٌ إليه لأجل آداء الحقوقِ المعبر عنه بأرض الحظوظ، فالحظوظ بالنسبة لغيره لا له هو، وأما هو فمات قبل أن يموت وخرج عن حظوظه رأسا فافهم. ثم قال:

الحكمة الخامسة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **فسبحانَ من أظهر تلوينات البشرية في سر غَيْهَبِ الخصوصيةِ ثُم غيبها في الفطرة الأصليةِ ثُم أفناها في الصفة الأَحَدَيّةِ ثم مكنها، فالحقيقةُ الأزليةُ بالحقيقة الأزليةِ.**

قال الشارح:

عادةُ المؤلفِ رضي الله عنه أنه إذا ذكرَ من عجائب الأسرار الإلهيةِ والحقائق الربانية، التي اختصَّ بها أهلَ القربِ منه والمعرفةِ والعلمِ بهِ، أن يذكرَ تسبيحا وتَنْزِيهًا عَقِبَهُ، كالتعجب من عظيم ما مر، كما قال: سبحان

(1) في حج: الخلقية.

من أظهر. وأبدى حالاتِ تلويناتِ البشريةِ علامةً على افتقار الهياكلِ الإنسانيةِ، وقهرها تحت عرش سلطان المقاديرِ الربانيةِ وأبطنَ وطوى سر ما انطوت عليه من المحامد الكمالية، في سر غيهبحَدَسِ الخصوصية، ثم زَجَّ بها في غيب الفطرة الأصلية التي أخذ عليها العهدَ يوم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، فتميزتِ الخصوصيةُ متمحضةً، ثم أعيدت في ظلام حجاب المثليةِ التي موجبُهَا تلونُ الأحوال البشرية، ثم أفناها في الصفة الأَحَدِيَّةِ بعد الفناء في صفة الوحدانية، لأن الأحدية أبلغ، فشهود الوحدانية يوجبُ الفناءَ الأولَّ، وشهود الأحدية يوجب الثاني، ثم بعد الفناء في الصفة الأحدية والغيبة عن كلِّ الكلِّ والتلاشي، مكنها و أثبتها في وجود الحقيقة الأزلية وهو البقاء، فشهود الحقيقة الأزلية والتمكينُ منها يوجبُ البقاء الذي هو مقام الجمعيةِ والتفرقةِ، فلا جَمْعُهُ يحجبُهُ عن فرقه ولا فرقهُ يحجبُهُ عن جمعه، كثرةٌ في وحدةٍ ووحدةٌ في كثرة، فلا وحدتُهَا تنافي كثرتَهَا ولا كثرتُها تنافي وحدتَهَا، وقولنا: التي أخذ عليها العهد.. الخ؛ إشارةٌ إلى أن الله تعالى أنزل عبيدَهُ منَازِلَهُمْ، وأحلهم مقاماتهم في سابق علمه، ثم أبرز ذلك إلى الوجود يوم أخذَ العهدَ عليهِمْ، فبقَدْرِ سرعتهم في الجواب بقولهم: بلى، وطوعهم تكون خُصُوصِيَّتُهُمْ، فالسابقون السابقون أولئك المقربون، فالخصوصيةُ ثبتتْ من هناكَ وتَمَيَّزَتْ، ثم أعيدت في عالمِ غيبِهَا، وظهرت في الأصدافِ الإنسانيةِ التلويناتُ البشريةُ، وتدنستِ النفسُ عن فِطرتها الأصليةِ، فكانتْ جَوْهَرِيَّتُهَا منحجبةً تحت ما علاها وسترها من الأوصاف البشرية، فإذا مَنَّ الله على أحد من عبيده بالتخصيص ألهمه ذِكْرَهُ وأوقفه على حدودٍ توجبُ صقالةَ مرآة قلبه من الصدى، فلا يزالُ كذلك حتى يرجِعَ حالُه إلى ما انتهى إليه سابقا أزلاً كَمَالُهُ، فلا يتعدى ما قسم له من النور المحمدي لأن الخصوصيةَ ناشئَةٌ من النور المحمدَيِّ المنقسم من قبضة كوني محمدا، كما قال: إن الله قبض قبضة من نوره وقال لها: كوني محمدا، فلا يزال قسم الأرواح التي سبق التخصيص في ترق [وتدلي][2] إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فالنورُ المحمدَيُّ لا زالَ في أمةِ الإجابَةِ لا يفارقُهُمْ أبدًا، ظهر أثرُهُ على البعضِ وخفِيَ في البعض، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[3]، فالإشارةُ إلى ما استَوْدَعَ من نور روحانيته عليه الصلاة والسلام في أسرار أهل ملته الذين هم أهل الخصوص، وهذا النورُ بالنسبة إلى الروحانية، و إنشاءُ تنويرِ السر وترقيه إلى حالة كماله بمثابةِ **عَجْبِ الذَّنَبِ** للجسم، فلولا ما أودع الله تعالى من هذا النور المحمدي في لطائف الأرواح، ما كان خصوصٌ ولا تم خلوصٌ، فما كان الله ليعذب أهل الخصوص بنار الطبيعة السفلية والحُجُبِ النفسانيةِ وأنت مُودَعٌ فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأهل الخصوصية شهودُهُمْ ما اشتملت عليه من

---

(1) ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾ الآية172 سورة الأعراف.

(2) في حج: وتدل.

(3) الآية 33 سورة الأنفال.

الكمالاتِ حُدُودُهُمْ، ودَأَبَ من دونهم الاستغفارُ فأولئك مقربونَ، وهؤلاء أبرارٌ و**لنشن العِنَانَ** خشيةَ الخروجِ عن المقصود والله دائمُ الوجودِ. ثم قال:

الفناء وحقيقة الزهد

الحكمة السادسة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **مَتَى أفناك في وجود الحقّ غيبك عن وجودكَ، ومتى أخفاك عن وُجُودِكَ أشـــهدك وجودَهُ، فكن بما شـــاهدتَهُ منه في الوجود لا بما يَشـــهدهُ منكَ في المفقود، لأنَّ المفقودَ غيبٌ في المشهود، ولا يظهرُ الموجودُ إلا بظهور المفقود.**

قال الشارح:

تقدم معنى الفناءِ والبقاءِ كثيرًا فطالعه في محاله، وقال هنا: متى غلب عليك الشهودُ حتى أفناك عن حِسّكَ وغيبكَ عن الوجود بأسره حتى فارقتَ جنسكَ، فاعلم أنه غيبك بنور وجوده عن أن ترى لك وجودا أو تُثْبِتَ لذاتك شهودا، لأن وجودك حجابٌ مضروبٌ عن إدراك وجودهِ، فإذا طلع شاهد الحق بنور وجوده اضمحلت الآثار الكونية وتلاشت الخيالاتُ الغيريةُ، فلا يبق لصاحب الفناءِ إلا شهودُ الحق بالحق، وإلا فمتى أثبت لنفسه شهودا كان له وجودا وهو ينافي الفناء الذي يزعمه، لأن الفناء يغيبه عن وجوده ويلزم منه عدم علمه بحاله وشهوده، ومتى أخفاك عن وجودك بالفناء عنه وانسلاخك منه أشهدك وجودَهُ به لا بك، إذ خروجُكَ عن أوصافك الفانية يدخلك على أوصافه الباقية، وتخليكَ عن الأخلاق البشرية يورثُكَ التحلي بالكمالات الروحانية، فكن حينئذٍ معه بما تشاهِدُهُ به ومنه من أنوار الوجود لا بما هو مستعار إليك مما هو منعدمٌ ومفقودٌ، فظلمةُ تكوين ليلِ وجودِكَ بساط لمظهر شمس نهار وجوده، فلولا وجودُك ما ظهر لك وجودُه، ولولا بُطُونُهُ فيكَ ما كنت أنت ولا أَنْتَيَّتُكَ، فَهُوَيَّتُهُ هي التي أظهرتك لك، وإلا فلا سبيل لبروزك أنت ولا شهود لأنتيتِكَ، وهو الأول والأخر والظاهر والباطن، فالأول إيجادا، والآخر إمدادا، الظاهر شهودا والباطن وجودا، هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، هو الظاهر بباطنيته والباطن بظاهريته، أوليتُهُ سابقة لكل شيء و آخريتُهُ باقيةٌ بعد كل شيء، أحاطت أوليتُه وآخريتُه بكل شيء واكتنفتْ ظاهريتُهُ وباطنيتُهُ كلَّ شيء، فما بين الأولية و الآخرية والظاهرية والباطنية لسواهُ من وجودٍ ولا لغيره من شهود، فأوليته دالة على آخريته وآخريته دالةٌ على أوليته، وظاهريته دالة على باطنيته، وباطنيتُهُ دالة على ظاهريته، فأوليته الأزلية مضروبةٌ في آخريته الديمومية، وظاهريتُهُ المشهودة مضروبة في باطنيتِهِ الموجودَةِ فافهم. ثم قال:

الحكمة السابعة بعد المائة

قال ﷺ:

- **خُذْ من الدنيا ما يفنيكَ ومن الآخرة ما يبقيكَ ومن الله ما يُغنيكَ ومن الزهد ما ينقلُكَ عنه، خذ من الدنيا ما يُزَهِّدُكَ فيها، إن نظرت إلى ظاهر غُرَّةِ الدنيا حَقَرْتَهَا وإن نظرت إلى عبرة باطنِهَا اسْتَقْذَرْتَهَا، فالنظر إلى ظاهرها يَضُرُّ والنظر إلى باطنها يُدِرُّ.**

قال الشارح:

خذ من العالَمِ الدنياوي ما يؤولُ إليه أمرُهُ ليفنيكَ عنه وينقلُكَ منه، ومن العالَمِ الأخراوي ما يُقْدِمُكَ إليه ويوقِفُكَ عَلَيْهِ ليبقيك به، فَإِنْ وقفتْ قدمُكَ في بساط الآخرة وخَلَفْتَ الدنيا وراءَ ظهركَ، فأقبل على مولاك وازهد في أخراك كما زهدت في دنياك، وخذ من كمالاتِهِ ما يُنْسِيكَ فيهمَا ويغنيكَ عنهُمَا، إذ هما أكوانٌ غيريةٌ، والوقوفُ عند الكون والافتقارُ إليه قادحٌ في العبودية، وإن ثبت لك مقامُ الزهد فيما سواهُ والخروجُ عما عداه، فخذ من باطن زهدِكَ الزهدَ فيه والغيبةَ عنهُ، وسيأتي لكلامه ما يَكْمُلُ به مَرَامُهُ في الزهد، فاستعن على رحلتك من الدنيا وانتقالك بقلبك عنها بموجبات الزهد فيها، وذلك إنَّ تأَمُّلَكَ في ظاهر زهرتها وبادي غُرَّتِهَا يوجب لها الحقارة، لأن جميعَ طيباتِها وحلاواتِها على التمام آيلة إلى المرارة كما قال ﷺ: ﴿ الدنيا زهرة ذابلة و**لُعَاعَةٌ** حابلة ﴾[1]، أو كما قال، وقال: ﴿ ما من فرحةٍ إلا ووراءها ترحةٌ﴾[2]، لأنَّ أُمُورَهَا كُلَّهَا مزدوجةٌ، ما من خير في ظاهرها إلا وهو حابل بشر من باطنها، زيادتها نَقْصٌ وعطاؤُهَا منعٌ ورخاؤُها شدةٌ وسِعَتُهَا ضَيْقٌ.

وبالجملة: فالأمرُ بآخره و آخرُ الدنيا وما انطوتْ عليهِ الفَنَاءُ، وما كان هكذا فالواجبُ على العاقل الزهدُ فيه و إعراض القلب عنهُ، وقد علمت أن كسوفاتِ الفناءِ لائحةٌ على هذه الدار بدليل ما انطوت عليه واشتملت من الأكدار، فظاهرها غُرَّةٌ زَاهِرَةٌ وطلعةٌ باهرةٌ يقف عند بهجتها من لا عقلَ له ولا فهمَ، ويَنْفُذُهَا إلى باطن حالها من له بصيرة نورانيةٌ فتنقلب غُرَّتُهَا غرورًا وأُلْفَتُهَا نُفُورًا، حتى إذا بَاطَنَ حالَها وأدرك مآلها اسْتَقْذَرَهَا وعافها، كما وقع للمؤلف رضي الله عنه من انكشَافِهَا في صورةِ شابةٍ جميلةِ المنظرِ طيبةِ الريحِ، وعرضت نفسها عليه فأعرض عنها، فأبدت له باطِنَهَا و أظهرت حقيقتها، فوجدهَا عجوزًا شمطاءَ زرقاءَ باديةَ الأنيابِ مُنْتَنَةَ الريحِ، فكان زُهْدُهُ في غُرَّتِهَا أورثَهُ الاطلاعَ على باطِنِهَا ورؤيةِ حقيقَتِهَا، وأَثْبَتَ له كمال الزهد الذي هو عين الفلاح، فهذا ابتداء حاله ﷺ و أرضاه وأسعدنا به و الاجتماع به يوم لُقَاهُ. آمين.

---

(1) لم أقف عليه.

(2) **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص240.

واعلم: يا حبيبي أنَّ الوقوفَ مع ظاهر الدنيَا واستحسَانَ بهجَتَهَا والتلذذَ بزهرَتِهَا، يَضُرُّ القلوبَ ويَصُدُّهَا عن معرفةِ علامِ الغيوبِ، كيف لا والدنيا خَمْرُ إبليسَ وعلى بابِهَا يدخلُ على العبادِ الخَلَلُ في طاعتهم وفي أحوالهم **التلبيسُ**، كما قيل: الدنيا نهرُ طالوتَ فمن عَبَرَهَا طائفا نجا **[وفضل أهل الحجا]**[1]، ومن اغترف يسيرًا لحقَتْهُ السعادةُ وكانت عاقِبَتُهُ إلى الزيادةِ، ومن انكبَّ على الشرب منه، أورثَهُ الفَشَلَ و أعقَبَهُ حرمانَ الشهادةِ في سبيل الله بكَبْلِ الوهن والوجل، وكثيرا ما أسمع من المؤلف في مجالس وعظه وتذكيره حاكيا عن شيخه سيدنا **ابن عزوز**[2] ما نصه: الدنيا حيةٌ فما دام رأسُهَا بِهَا تَعْطِبُ من حَاوَلَهَا وإن قُطِعَ رأسُهَا حَلَّتْ للأكل. ويعنُونَ برأسِهَا حُبَّهَا، فمن زال عنه حبها لا تضره كيفما عمل بها كما هو شأن الأكابر رضي الله عنهم، كلامه بالمعنى، وفي تمثيلِهِمُ الدنيا بالحية ورأسُهَا بحبها دليل على امتزاجها بالسم وأعظمُهُ في رأسها وذَنَبِهَا، لأن العلماء أباحوا أكلها بعد قطع رأسها وذَنَبِهَا بهيئة مخصوصة وكيفية معلومة، حتى قالوا بقطعها بضربة واحدة خشية سريان سُمِّهَا عند شدة **غَيْظِهَا** لسائر جسدِها فيحصُل الضرَرُ لآكِلِهَا من حيث لا يشعُرُ، فليعلمُ الواقفُ على مثالهم وعلى كيفية ذبحها أَنْ يعمل في خروجه منها على التَحَيُّلِ في قَطْعِ طَرَفَيْهَا بدايةً ونهايةً، ويحذَرَ أن **تَدُسَّ** لهُ حُبَّهَا في غير مظانه ولا يشعر بذلك، فيظن أنه زهدها وخرج حُبُّهَا من قلبه وحصل له الأمنُ من **غوائلها**، والأمر بخلاف ذلك بل لابد من محاولة الزهد فيها **بسياسةٍ** وكياسةٍ، وأن يُوَطِّنَ النفسَ على ترك شهواتها وعدم المبالاة بحظوظها، وأن يُخْرِجَهَا من عاداتها و أهويتها شيئا فشيئا، حتى يصير لها تركُ العاداتِ طبيعةً لا تتضرر به، وحين يَسْتَحْكِمُ في قلبه هذا يَتَيَسَّرُ له الزهدُ فيهَا، ويُكَوِّنُ لهُ مقامًا معتدا به، وأما الأحوال التي ترد على القلوب بغتةً فلا تحصل الطمأنينةُ بها إلا بعد ثُبُوتِهَا ورُسُوخِهَا، فمن أنعم الله عليه بالزهد فيها بموهبة ربانية في واردات رحمانية وثبتت له، كان له السبْقُ في ميدانِ الجهادِ الأكبرِ وفاز بالأمن من هموم الأمر الأخطر، إذ حب الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة، وكما قال **ابن عاشر**[3]:

---

(1) كذا ولكن يبو أن الجملة منقطعة لا علاقة لها بما سبق وبما لحق.

(2) الولي والقطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز، ولد بالبرج قريبا من مدينة طولقة من صحراء مدينة بسكرة في حدود سنة1170هـ-1756م وتوفي سنة 1233هـ-1817م. **راجع**: محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج2 ص482.486.

(3) سيدي أبومحمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري نسبا الأندلسي أصلا الفاسي منشأ ودارا، كان رحمه الله تعالى عالما عاملا ورعا عابدا متفننا في علوم شتى، كان ذا معرفة بالقرآت وتوجيهها وبالنحو والتفسير والإعراب والرسم والضبط وعلم الكلام، وبعلم الأصول والفقه والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وعلم المنطق والبيان والعروض والطب وغير ذلك،، ألف تآليف عديدة منها منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، العديمة المثال في الاختصار وكثرة الفوائد والتحقيق وموافقة المشهور ومحاذاة مختصر الشيخ خليل والجمع بين أصول الدين وفروعه، له رسالة عجيبة في عمل = الربع المجيب في نحو مائة وثلاثين بيتا من الرجز، وله تقاييد على العقيدة الكبرى للسنوسي، وله طرر على شرح الإمام أبي عبد الله محمد التنسي لذيل مورد الظمآن في الضبط، وله مقطعات في جمع نظائر ومسائل مهمة من الفقه والنحو وغيرهما، ومن نظمه رحمه الله وكان يكثر من ذكره عندما تكثر عنده الأسئلة الفقهية:

رأس الخطايا هو حب العاجلة * ليس الدواء إلا في الاضطرار له

فاضطرارك إلى الله تعالى على قدم الصدق في العبودية والاستكانة، وسيلةٌ إلى الإعانة على قطع قاتِلِ سُمِّهَا والنجاةِ من دسائس هَمِّهَا وغَمِّهَا وذلك بدخول النور في القلب، ودخوله في القلب له علامة تدل عليه وهي كما قال ﷺ: ﴿ إذا دخل النور في القلب اتسع و انفسح وانشرح فقيل له: هل لذلك من علامة فقال: التجافي عن دار الغرور والإنابةُ لدار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ﴾[1]، أو كما قال، فإذا ثَبَتَ هذا النورُ في القلب انْتَسَخَ ظِلُّ حُبِّهَا منه ورجع شَرُّهُ خيرا وضُرُّهُ نفعًا، فينقلب سُمُّهَا أي الحيةِ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين لتذكيته لها **بِمُدْيَةِ** اتباع الشرع وإجهازِهِ على علائِقِهَا بالقطع، فكان محَلُّ الضِرَارِ الإِدْرَارُ، لأَنَّ نظرَ باطنها هو الذي يُوجبُ حقارتَهَا وقذَارَتَهَا الموجبين للإعراض عنها، الموجب للزهد فيها الموجبِ للراحةِ الأبديةِ والنِّعَمِ السرمدية، كما قال عليه الصلاة والسلام: ﴿ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تتعب القلب والبدن ﴾[2] أو كما قال.

وبالجملة: فلما كان حب الدنيا هو رأسُ كلِّ خطيئةٍ فإزالةُ ذلك الحُبِّ وحَسْمُ مادَّتِهِ بسيف الإعراض عنها والرغبةِ عن **حطامها** هو رأس كُلِّ حسنةٍ، كيف لا تكونُ الرغبةُ فيها داءً وهي محشوةٌ بالأكدار مملوؤة بالأغيار، تُكَدِّرُ صفاءَ القلوبِ وتُفَرِّقُ بين المحِبِّ والمحبوبِ كما هو مشاهدٌ مرئيٌ، فاستغرابُ ما يقع فيها من الأكدار وانتظار فروغ ما انطوت عليه من الأغيار يناقض وصف العقلاءِ لأنه ولا بد منه يكون لِتَحَتُّمِ وقوعه، قال ابن عطاء الله: (لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها)[3]، قال ابن عباد: (فمن ضروريات الدنيا

يزهدني في الفقه أني لا أرى * بسائل عنه غير صنفين في الورى

فزوجان راما رجعة بعد بتة * وذئبان راما جيفة فتعسرا

ومنه في مدح مختصر ابن الحاجب وشرحه التوضيح:

خليلي خليل قد شغفت بحسنه * وتوضيحه صبحا يزينه حاجبه

وآليت لا آلوه شرحا لغامض * من الود يرضاه خليل وحاجبه

ومنه في الكتابة على طريق اللغز:

لله في خلقه من صنعه عجب * حقائق كاد في الوجود تنقلب

كلم بعين ترى لا الاذن تسمعها * خاطبها حاضر وأهلها ذهبوا

أصيب بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة ضحى يوم الخميس ثالث ذي الحجة الحرام من عام 1040هـ-1630م رحمه الله تعالى. **انظر:** الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من = علوم الدين لابن عاشر، العلامة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي، ص3-4،.دار الفكر بيروت 2011م.والتي تسمى عند العامة **بميارة الكبرى.**

(1) **انظر**: الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، ج7، ص258. انظر: السيوطي **الدر المنثور**، 325/5.

(2) رواه القضاعي عن ابن عمر وورد بألفاظ أخر. **انظر**: العجلوني،**كشف الخفا**، ج1، ص532. **راجع**: المنذري، **الترغيب والترهيب**، ج4، ص157.

(3) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص111.

وُجْدَانُ المكارِهِ والمشاقِ فيها فتقعُ الأكدار بسبب ذلك)[1]، وأيضا فحاصلُ الدنيا أمورٌ وهميةٌ انقادت طبائع الناس إليها، وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة نَقْصِهَا و**تَعِلَّتِهَا**، فتجاذبوها بينهم فتكَدِّرُ عَيْشَهُمْ ولم يحصلوا على كُلِّيَّةِ أغراضِهِمْ كما قيل:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على أنهم فيها عراة وجوع

أراها وإن كانت تحب(2) فإنها * سحابة صيف عن قريب تقشع(3)

ثم قال وفي بعض الحكايات المنقولة عن **جعفر الصادق**(4) ﷺ أنه قال:(من طلب ما لم يُخْلَقْ أتعب نفسه ولم يُرْزَقْ، فقيل له: وما ذاك، فقال: الراحة في الدنيا) وفي معناه أنشدوا:

تطلبُ الراحة في دار العنا(5) * خاب من يطلبُ شيئًا لا يكونُ

وقال بعض البلغاء: (ملتمس السلامة في دار المتالف و المعاطب **كالمتمرغ**[6] على مزاحف الحياتِ و مدَابِّ العقارب) وقال ابن مسعود ﷺ: (الدنيا كُلُّهَا غُمُومٌ فما كان فيها في سرور فهو ربح)[7] وقال الجنيدي ﷺ: (لستُ أَسْتَبْشِعُ ما يردُ عليَّ من العالَمِ لأني قد أَصَّلْتُ أصلا وهو أنَّ الدنيا دارُ هَمٍّ وغمٍّ وبلاءٍ وفتنةٍ و أن العالَمَ كُلَّهُ شَرٌّ، ومن حُكْمِهِ أن يتلقاني بكل ما أكره فإن تلقاني بكل ما أحب فهو فَضْلٌ و إلا فالأصل هو الأول) وقال أبو تراب ﷺ: (يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثةَ أشياء [وليست][8] هي لكم، تحبونَ النفسَ وهي لهواهَا، وتحبونَ الروحَ والروحُ لله، وتحبون المال والمالُ للورثة، وتطلبونَ اثنَيْنِ ولا تجدُونَهُمَا، الراحةُ والفرحُ وهما في الجنة)[9]، فالواجبُ على العبدِ أن لا يُوَطِّنَ على الراحة في الدنيا نفسًا، ولا يركَنُ فيها إلى ما يقتضي فرحًا وأنسًا، ويعملُ على قول النبي ﷺ فيما روى عنه

---

(1) المرجع السابق.

(2) في مخ، و حج: قليلا.

(3) قالها سفيان الثوري. **انظر**: ابن عبد البر القرطبي، **بهجة المجالس**، ج3، ص292، باب ذكر الدنيا.

(4) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، من أجلاء التابعين، أخذ عنه الإمامان أبو حنيفة ومالك، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. وكان تلميذه أبو موسى جابر ابن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة، مولده ووفاته بالمدينة سنة: 148/80هـ. **انظر**:ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**،تحقيق: د. إحسان عباس، مج1، ص327. **انظر**: الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص126. **انظر**: الحافظ الأصبهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، مج3، ص192.

(5) في مخ: الفنا.

(6) التمَرُّغُ التَّقَلُّبُ في التراب.وفي حديث عَمّار: أَجْنَبْنا في سفَر وليس عندنا ماء فتمَرَّغْنا في التراب؛ ظَنَّ أَنَّ الجُنُبَ يحتاج أَن يُوَصِّلَ الترابَ إِلى جميع جسَده كالماء. **انظر**: ابن منظور،**لسان العرب**، ج8، ص450.

(7) **انظر**: **عيون الأخبار**، مج2، ج6، ص330، كتاب الزهد.

(8) في كل من حج و مخ: وليس.

(9) **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الصوفية**، ص148.

أبو هريرة رضي الله عنه: (الدنيا سجن المؤمن.)[1]، فبتوطين العبد على المحن في دنياه، يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه، كما قيل:

يمثلُ ذو اللُّبِ في لبهِ * شدائدَهُ قبل أن تنـزلا
فإن نزلت بغتة لم تَرُعْهُ * لِمَا كان في نفسه مَثَـلاً
رأى الأمرَ يَفْضِى لآخرهِ * فَصَيَّرَ آخـره أولا
وذو الجهلِ يَا مَنُ أَيَّامَـهُ * وينسى مَصَارِعَ من قد خلا
فإن دهمته صروفُ الزمان * ببعض مصائبه أَعْوَلاَ
ولو قدم الحزم في نفسه * لعلَّمَهُ الصبرَ عندَ البَلاَ

ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾[2]، وقال علي ﷺ: (الصبر مطيةٌ لا تكبُو . أي لا تعثر . وسيف لا ينبو)[3]، وقال ابن عباس ﷺ: (أفضل العدة الصبرُ عند الشدة)[4]. كلامه ببعض اختصار وأوردته ها هنا بطوله لمسيس الحاجة المتعلقة بكلام المؤلف إليه. ثم قال:

الحكمة الثامنة بعد المائة

قال ﷺ:

- **إن اعتبرتَ ظاهرهَا رغبَّكَ فيهَا، وإن اعتبرت باطنها أَحْقَرَكَهَا، فخذ ما يُحَقِّرُكَهَا ويُرْغِبُكَ عنها.**

قال الشارح:

نظرُ المربي إلى ظاهر زهرة الدنيا موجبٌ لرغبته فيها وإقباله بكليته [عليها][5]، فيقع له في باطنه من الحرص عليها ما يوجبُ له التعبُ والنصبُ ظاهرا وباطنًا، فالظاهر بالسعي على جمعها بجوارحه، وأما الباطنُ فباهتمامه بها وتعلق قلبه بشأنها، فلا يزال كذلك تاعبُ القلب والقالَبِ حتى يحكم الله بينه وبينها.

---

(1) **المستدرك على الصحيحين**، رواه الحاكم النيسابوري بلفظ: ﴿ الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا خرج من الدنيا فارق السجن والسنة ﴾، ج4، ص315، كتاب الرقاق.

(2) الآية 137 سورة الأعراف.

(3) **انظر**: القيرواني، **زهرة الأداب وثمرة الألباب**، ج1، ص81. والكبوة السقطة والنبوة عدم الإصابة، ويقولون: لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة.

(4) **انظر**: الراغب الأصفهاني، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، ج4، مج2، ص504، وقد أورد القول على أنه قول النبي ﷺ.

(5) في مخ: عنها. وفي حج: علهيا.

وأما اعتبارُهُ باطِنَهَا ونفوذُ بصيرتِهِ إلى ما اشتملت عليه من شرها فيوجبُ له ذلك حقارتَهَا الناشئَةَ عن تلاشيهَا في الشهود واضمحلالهَا من أصلها في الوجود، فلا يصفو على من وقف على بساط التأمل والفكرة فيها قدمٌ، ولا يُفرِحُهُ وجودُهَا ولا العدَمُ، إذ هي مَحَلُّ الأكدار ومَعْدَنُ الشرور والأخطار، آيلة للغير ومُشْتَمِلَةٌ على **الكدر**، فإن كانت هذه حالتُهَا فمالك والرغبةُ والتنافسُ فيها الكائِنُ أصلا لِكُلِّ شرٍّ، لأن الرغبةَ فيها منبعُ الخبائثِ، **كالحسدِ والحسد والغل** والغش والغضب و**الكبر والرئاسة والتقاطع** و**التخاصم والتهارج**، وأمثالُ ذلك من الأحوال الرديئة والأوصاف الخبيثة، ويقطَعُ أصلها ويحسِمُ مادَّتَهَا الرغبةَ عنها والزهدَ فيها، فَتُبَدَّلُ صفاتُهُ السيئةُ حسناتٍ، فما نبت بالحرص والرغبةُ فيه يُقْطَعُ في الزهد والرغبةِ عنه، كما يُثْمِرُ له تحليا بدل تخليه من أوصافه، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[2]. وأعظمُ نتائجِ الزهدِ راحةُ القلبِ والبدنِ التي لا توجدُ بطرفيها ولو عند ملوك الدنيا، فالملوك على الحقيقة هم الزهاد الذين فاقوا جميع من ساد، وقد تقدم الكلام من المؤلف على مثل هذا آنفا وإنما أعدت التنبيه عليه تأدبا. ثم قال:

الحكمة التاسعة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **خُذْ من الزهد فيها ما يُزَهِّدُكَ فيه، ليس الزاهد من زهد الدنيا بل الزاهدُ مَنْ زهدَ الزُّهْدَ.**

قال الشارح:

يقول: الزهدُ في الدنيا والرغبةُ عنها وإن كانَ خصلةً حميدةً لكنهُ لا مطلقًا، بل هو أول قَدَمٍ يَضَعُهُ المريد في الطريق فتصح له الإرادة بصحته، حتى إذا ثبت فيه قيل له: جَعْلُ الزهد مطمحَ نَظَرِكَ ونُصْبَ عَيْنَيْكَ مُكَدِّرٌ لصفاء الإرادة التي بينك وبين مرادك، بل اختر أن تزهدَ الزهدَ وتخرُجَ عنه بالكلية، بأن لا ترى أنك زاهدٌ أصلا، لأنَّ زاهدَ الدنيا الخارجَ عن حطامِهَا مع بقائه في ملاحظة زهدهِ ووقُوفَهُ مع وُجْدِهِ ليس بزاهد، ولا يصحُّ له اسم الزهد حتى يتخلى على رؤية الزهد، وهكذا كلُّ مقام لا يُعْتَدُّ به حتى يُجَرِّدَ نفسَهُ من **سجاف** رؤيته، كالإخلاص وغير ذلك، لأنه والحالةُ هذه باقٍ مع نفسِهِ عاملٌ على حظُوظِهَا، ونسبةِ الأحوالِ والمقاماتِ إليهَا، وذلك قادح في العبودية المقتضية **للحرية** من الأوصاف بالكلية، لأنك وإن كنت زاهدا فلست بعارف كما قال:

الحكمة العاشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

---

(1) الآية 95 سورة الأعراف.

(2) الآية 70 سورة الفرقان.

- **لَيس العارفُ مَنْ إذا زَهَدَ عَرَفَ الحقَّ، بل العارفُ من إذا عرفَ الحقَّ تركَ الزهدَ، ليس الشأنُ أن تزهدَ الزهدَ بل الشأنُ أن تَغيبَ عن رِؤيَتِهِ.**

قال الشارح:

لأن المعرفةَ أرفعُ من الزهد، لأن متعَلِّقَهَا شهودُ الحق جل جلاله وإعظامُهُ وإجلالُهُ، فإذا زهد هذا الشخصُ في الدنيا فإن مجرد زهده فيها لا يوجبُ له كمالَ المعرفةِ بالحق تبارك وتعالى، لأنه لم يزلْ في الكثرة محجوبا بها عن وَحْدَتِهِ، وإذا عرف الحقَّ بأوصافه الكمالية وشاهدَهُ بأوصافه الجمالية زهد فيما سواهُ وسقط من عينه كلُّ ما عداه، لأن معرفتَهُ بربه تُثْبِتُ له الغيبَةَ عن جميعِ الأغيارِ، ورؤيةَ أنه زاهدٌ شهودٌ غيريٌّ يناقض مقامَ المعرفةِ المقتضيةِ، إنه لا مشاهدةَ له لغير مَشْهُودِهِ، ولا إدراكَ له لغير معرُوفِهِ وموجودِهِ، فافهم. ثم قال:

الحكمة الحادية عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس المرادُ منك أن تفنَى عن مرادكَ، بل المرادُ منك أن تبقى بمراد ربك.**

قال الشارح:

تقدم الكلامُ على هذا والذي بعده وأعاده للإيضاح قائلا: إن فناءَكَ عن إرادتِكَ لا توجبُ لك الوفاءَ بعبوديتِكَ، بل حتى تَضُمَّ إليها البقاءَ بمراده، لأن الأولَّ تَخَلٍّ من أوصافك، والثاني تَحَلٍّ بأوصافه، والتخلي أصلُ التحلي، فلا تكونُ فانيا عن الإرادة حق الفناء حتى يَثْبُتَ لك البقاءُ بمراد ربك فتكونَ بهِ وإليهِ في كل أحوالك ومنه وعليه في جميع أعمالك، فالفناءُ تَخَلٍّ من أوصافك والبقاءُ تحلٍّ بأوصافه، فاخرج من أوصافك بالتخلي يُمِدُّكَ بأوصافه بالتحلي، فاخرج عن مرادك فناءً يَمُدُّكَ بمراده بقاءً، ولا تكونُ خارجًا عن مرادك حتى تكونَ بمراده. ثم قال:

الحكمة الثانية عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس القصودُ منك أن تغيبَ في الغيوب، وإنما المقصودُ منك تنقيةُ العيوبِ، ليس المرادُ تخليةُ الأغيارِ بل المراد تحلية الأسرارِ.**

قال الشارح:

تَطَلُّعُ المربي إلى إدراك ما حُجِبَ عنه وسُتِر من المغيبات خروجٌ عن المقصودِ والمرادِ منهُ، لأنها أَيْ المغَيَبَاتُ إن كَشَفَ له عنها مع عدم تنقية عيوبه التي هي نتيجة الاستقامة على الطاعات لا عبرة بها، بلِ

الأَهَمُّ في حقه تنقيةُ عيوبه أولا، ثم إن أنعم الله عليه بكشف بعض المغَيَّبَاتِ، وأكرمه بالإطلاع على أسراره الخفيات حمد الله وعلم أن ذلك منه وإليه، وليحذرِ الوقوفَ عندهُ و الإعجاب به والسكونَ إليه والاعتمادَ عليه، فإنه خلقٌ من خلق الله أكرمه به ليقوَى يقينُهُ ويَشُدَّ بتأييدهِ **يَمِينُهُ**، ولا يأمنُ مكر الله في ذلك، فعسى أن يكونَ مدسوسًا بالمكر والاستدراج، فَيَعْسُرَ في مداواته إذا تَمَكَّنَ العلاجُ، وربما كانتِ الكرامَةُ لمن لم يكنْ حالُهُ ثابتٌ على أساس الاستقامة، فتخرجَ حينئذٍ عن كونها كرامةً من حيثُ استدراجُ صاحِبِهَا، واغترَارُهُ أَنَّهُ على حالة حميدة، ولولا كونُهَا محمودةً ما أُكْرِمَ بما أكرم به، وهو والعياذُ بالله في مصداق قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وأهل المعرفة بالله خارجون عن شهود الأحوال وفانون عن وجود الأعمال، باقون بالله الكبير المتعال، لا عبر لهم بشيء لأن سفنَ قلوبهم في بحر حقائقه ثابتةٌ في غاية التمكين، **مَرْسَيَّةٌ** كالجبال مما معهم من أنوار اليقين، لا يزيدون بشهودٍ ولا ينقصون بعدمٍ ولا وجودٍ كما قال الصديق ﷺ: (لو كشف الغطا ما ازددت يقينا)، وقد روي عن علي ﷺ وكرم وجهه نحوَ هذه المقالةِ، لأنهما رضي الله عنهما لمِاَّ أنْ حَصَلَ لهما كمالُ التمكين ونهايةُ مقاماتِ اليقين، ووقفا على **ربوة** الكمال ودام لهما الاتصالُ، تنزهتْ منهما السرائرُ عن أن يعتريها زيادةٌ فأحرى النقصُ، لأن ما كان قابلا للزيادة كان قابلا للنقص، وقد تبرؤوا من ذلك حتى عبروا من بساط المعرفة بالله بقولهم العجز عن الإدراك إدراكْ، مثلُ كلام المؤلف قول ابن عطاء الله: (تشوفُكَ إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب)[2]، والعيوبُ الباطنيةُ التي أُمِرَ السالكُ بتنقيتها كثيرةٌ منها، العُجْبُ و الكبْر والخيلاء والرياء والرئاسة والغضب وسوء الخلق والحقد والحسد والغرور والغش والخديعة وحب الجاه وحب المال والتفاخرُ والتقاطُعُ والتهارُجُ وأمثال ذلك مما هو مناقض للأوصاف الحميدة، فإذا كان السالكُ والحمدُ لله جادا في صقالة مرآة قلبه من أدناس عيوبها شيئا فشيئا، عاملا على تهذيب سريرته كان على خير، مُكاشفًا أو محجوبًا، وقد مر التنبيه على مثل هذا فراجعه إن شئت.

واعلم أن المرادَ المهِمَّ تحليةُ الأسرار بالصفات الحميدة عقب التخلي من الأوصاف الذميمة، لأن التخلي تطهيرٌ من قبيح الرذائل، والتحلي تنويرٌ بحميد الفضائل، ولا يتم أمر التحلي إلا بالتخلي، فتخليةُ السر من أغياره الكونية شرطٌ في صحة تحليته بالأسرار الإلهية، إذ الحق تبارك وتعالى لا يتجلى على قلب محشو بصور الآثار الكونية حتى يتخلى منها، فإذا تخلى واجهَهُ وعليه تَجَلَّا، فليس المقصودُ مجردُ تخليةِ الأغيارِ بل حتى ينضافَ إليها ويعقُبَهَا تحليةُ الأسرار. ثم قال:

الحكمة الثالثة عشرة بعد المائة

قال ﷺ:

---

[1] الآية 182 سورة الأعراف.

[2] الحكمة الثانية والثلاثون.

- **ليس الأهمُّ أن تترك الكونَ، بـل الأهم أن يتركـك الكونُ، لا تتركِ الكونَ إلا من حيـثُ يتركُكُ، فلا تتركُهُ بترك من لا يتركُهُ.**

قال الشارح:

يقول: ليس الأمرُ الأهمُّ والمقصدُ الأعظمُ عند أرباب القلوب، أن يتركَ المريدُ في أول درجاتِ ترقيهِ الأكوانَ ويتخلَّى منها رأسًا، ويَتَجَرَّدَ من أسبابه الطبيعية لهُ المُنْغَرِسَةُ **جِبِلَّتُهُ** في أرض عوائِدِهَا، لأنه لا يقدرُ على ذلك ولا يتيسر له ما هنالك، بل لا يكونُ خروجُهُ منها وانحرافُهُ عنها إلا بعد مشاهدةِ تركِهَا إيَّاهُ وانحيازِهَا عَنْهُ، وتلك علامةٌ يعرفُهَا من سلكَ الطريقَ وعرفَ خبايَا النفُوسِ، لأنها ربما كانت في الأسباب وتَرْغَبُ من صاحبها النُّقْلَةَ إلى التجرد منها وهي كاذبةٌ، أو كانتْ في التجَرُّدِ فَتَتَطَلَّعُ إلى الأسبابِ وتَنْحَطُّ من سمائها إلى أرض أسبابها، فلا يعرفُ حقَّهَا من باطلها إلا من له بصيرةٌ بها كما عرفت، بلِ الأولى والأحقُّ أن يَتْرُكَ المريدُ التَّلَبُّسَ بالأكوان بترك من لا يحاول تركها ولا يريدُ إلا ما أراده الله منه فيها، فَمُقَامُهُ حيثُ أقامَهُ، وهذا حالٌ يلائمُ الأدبَ وتركَ الاختيارِ والتدبيرِ والطلبِ، فإن أقامه الله في الأسباب وظهرت عليه أماراتُ الإذن فيها، بِتَيَسُّرِهَا عليه من غير شغلٍ مانعٍ له من أداء الحقوق منها، وكانت له ذريعةً إلى نفع خلق الله بها، ودامتْ طاعَتُهُ وصفَتْ أوقاتُهُ فليستْ حينئذ هي بأسباب مذمومة، بل يُطْلَبُ منهُ البقاءَ فيهَا حتى ينقُلَهُ الله منهَا بالكليةِ أو البعضيةِ، والوسائلُ بمقاصدها، والمدارُ على توجُّهِ القلبِ إلى الله تعالى ولا عبرَةَ [بالقَالَبِ][1]، ومن كان في ميدان المعاملة **تشخُصُ** نفسُهُ إلى محاولة ضِدِّ ما هو فيه دائمًا، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، قال ابن عطاء الله: (إرادتُكَ التجريدَ مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية)[2]، وقال بعضهم: تركتُ الأسبابَ كذا كذا مرةً فعدتُ إليها فتركتني مرةً فلم أعد إليها، وإلى هذا يشيرُ المؤلفُ بما تقدم له من قوله: فاترُكْهُ بترك من لا يتْرُكُهُ. ومحاولةُ الإنسان الأمورَ والدخولَ فيها بالنفس ذريعةٌ إلى التَّعَسُّرِ والتوجهُ إليها بالله نتيجةُ التَّيَسُّرِ، قال ابن عطاء الله: (ما تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك، ولا تعسر مطلب أنت طالبه بربك)[3]، أي لأن النفسَ سُفْلِيَّةٌ تحاولُ إدراكَ سماءِ العُلاَ مع الخلودِ إلى الأرضِ السابعة السُّفْلَى، ومن كانت هذه حالُهُ من أين له أن يُدْرَكَ أمَلَهُ، ولذلك كان دأبهم رضي الله عنهم مخالفتَهَا أو اتهامَهَا ومراعاتِهَا، ولا يزالُونَ ملاحظينَ لها من طرفٍ خفيٍ حتى إنَّهَا لو دعتْهَمْ إلى طاعةٍ تدبرُوا عاقبتَهَا، فلا يقبَلُونَ منها نصيحةً حتى تتميز فاسدةً هي أم صحيحةً، فكان المؤلفُ يقول: لا تتركِ الأكوانَ التي أنت **ملتبسٌ** بها بتسويلات نفسانيةٍ ودعاياتٍ شهوانية، بل اتركها بترك من تركها بالله ولله، وكانت هجرته من

---

(1) في حج: بالغالب.جبل.

(2) **انظر**: ابن عباد، **غيث المواهب العلية بشرح الحكم العطائية** تحقيق د. عبد الحليم محمود، ج1، ص54.

(3) **انظر**: المرجع السابق، ج1، ص117.

الله وإلى الله، فلا أَخْذَ لهُ ولا تَرْكَ إلا بالله ولله، وهذا شأن أرباب الهِمَمِ العليَّةِ الخارجين عن الدنيا والآخرة بالكلية، ثم قال:

الحكمة الرابعة عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **استعرْ منهُ ماهو آخذُهُ منكَ، وخُذْ من عاريَتِهِ ما يريدُ نزعهُ منكَ، وإلا فأنتَ عاريةٌ متى أرادَ نَزْعَكَ.**

قال الشارح:

الأمرُ عند أربابِ البصائرِ بغايته، ونظرُهُمْ في بدايته نافذ إلى نهايته، فلذلك صار في شهودهم جميعَ ما هو في وجودهِمْ عاريةً مؤداةً ومنحةً مردودةً، فأخذوا جميعَ نعمهِ الإجاديةِ و الإمدادِيَةِ بعَيْنِ رَدِّهَا إليه وأخذها منهم، فاستعاروا منه ماهو مفقودٌ، وأخذوا من يده ما هو منزوعٌ منهم وإليهِ راجعٌ ومردودٌ، فكان وجودُهُمْ فقدًا وأخذُهُمْ ردًا، فلم يُفْرِحْهُمْ العَطَاءُ ولم يُحْزِنْهُمْ المَنْعُ، لرؤيتهم نفسَ المنعِ عنهُ عينُ العطاءِ، فجعلوا الأخير من قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1] أولا، فشاهدوا عند العطاء إنا إليه، وعند المنع إنا لله، بمظهر إنا لله الملكَ وإنَّا إليهِ الملكُوتَ فافهم.

فالأزمنةُ والأمكنةُ ظروفٌ زائلةٌ بما فيها، فالعاقلُ نظرهَا بعين التلاشِي والزوالِ، والأحمقُ ما واجهَهَا منهُ عقلٌ ولا بالٌ، وهل في هذه الدار أمرٌ يدل على البقاء أو شيءٌ يشهدُ على الدوام، بل هي **بحذافرها** راحلةٌ زائلةٌ فانيةٌ الآن، فما كان هذا حالُهُ كيف يُطْمَئَنُّ إليه، أم كيفَ يعكفُ عاقلٌ عليهِ، ألا ترى إلى العالمِ العُلْوَيِّ والسُفْلَيِّ وما فيهما من الوجود تارةً والعدم أخرَى [والتزين][2] تارةً والتَّجَرُّدِ أخرى، وإلى نفسِكَ وإلى أحوالِهَا، أنفاسَهَا وألفاظَهَا وألحاظَهَا وحركاتِهَا وسكناتِهَا وما يعتريها من الإعراض، فهل عاد إليك بعضُ ما ذهبَ عنكَ، شاهدتَ شيئا مما فُقِدَ منكَ كانت والله كالغَرَضِ **تنتضله** بنات **الدهر** بحوادث سهامها، حتى إذا أصابته بسهم في مقلته سقط ميتا ولا يدري متى يُصَابُ فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ومن كان في نفسه عاريةً كيف يملكُ، فمتى أرادَ مالِكُهُ أَخْذَهُ وما بيده أَخَذَهُ، ومتى أرادَ نَزْعَهُ نَزَعَهُ، لله الأمر من قبل ومن بعد ألا إلى الله تصير الأمور، وانظر إلى قوله جل جلاله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[3]، فإنها تضمَّنَتْ وجودًا بين عَدَمَيْنِ نِسْبَيَّيْنِ، فالعارفونَ طمحَ نظرُهُمْ عن هذه المرتبةِ الوسطى التي **شَغُفَ** بها غيرهم جهلاً منهم، وكان لأولئكَ

---

(1) الآية 156 سورة البقرة.

(2) في حج: والتنزيل.

(3) الآية 55 سورة طه.

قَدَمُ الصدقِ، وحصل لهم في هذه وفي تلك الفوزُ والسبقُ، كيف لا وقد ماتوا قبل أن يموتوا وارتحلوا قبل أن يرتحلوا، وجعلوا هذه العاجلةَ موضعَ قدم والأخرَى وضعُوهَا في الأُخْرَى، وكانت هذه صراطُهُمْ إلى جنتهم وهي حضرة ربهم، فيا فوزهم في الدارين جعلنا الله منهم بِمَنِّهِ وكرمه. ثم قال:

استعدادات التربية

الحكمة الخامسة عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **إنْ أردت استقامَةَ أحوالكَ فاستَعِدَّ للتربية بحسب إمكانك، واخترْ لتربيتك من لا تَطْرُفُ عيناهُ عنك.**

قال الشارح:

فالناس إلى سيرهم إلى ربهم على قسمين: أبرارٌ و مقربون، وكلام المؤلف مع السائرين على منهاج المقربين، يقول: من أراد تنميةَ أحوالهِ وتصفيةَ شوبِ أعماله، والسَعِيَ في جادة قويمةٍ، والتخَلّي من صفاتٍ ذميمةٍ والتحلّي بأوصافٍ حميدةٍ، فليتهيأ بالاستعداد وليقف على ساق الجِدّ والاجتهادِ، وليَضَعْ في حِجْرِ التربية نَفْسَهُ، وَيَكِلُ إلى مُرَبّيهِ بحسب وُسْعِهِ معناهُ وحِسَّهُ، وَ لْيَصْطَفِ لتربيَّتِهِ وتدريجِ أحوَالِهِ من كان ذا بصيرةٍ نافذةٍ ومعرفةٍ تامةٍ كاملةٍ، فارغًا من تأديب نفسه لابسًا خلعةَ كُنْتَ سمعَهُ وبصَرَهُ ويدهُ ورجلَهُ، يستوي في مداواةِ وتَطَلُّعِ أحوال مريدهِ، الباطنِ والظاهرِ، الغائبِ والحاضرِ، الفعلِ والخاطرِ، صاحبُ ذوقٍ سليمٍ وعلمٍ كاشفٍ مستقيمٍ، جالسٌ على كُرْسَيِّ الكمالِ خبيرٌ بكمالاتِ النفوسِ وتزكيَّتِهَا من عيوبها في كل الأحوال، ليسَ لشمس معرفته من أفول ولا يعتري قلبَهُ من غفلة ولا ذهولٍ، يُجِيبُ كُلَّ طالب ويُعْطِي كُلَّ راغبٍ، لا تَشْغَلُهُ الكثرةُ عن الوحدةِ ولا الوحدةُ عن الكثرةِ، يُراعيك ويحفظُكَ في الغيبة كالحضورِ و**يَكْلَأُكَ** في الوردِ والصدورِ، فمن ليس له أبوةٌ ولا كفالةٌ ولا نسبٌ، ففي صغرهِ لا يأمَنُ من الضَيْعَةِ والعطبِ، ولا بد له وسائر الطريق من رفيق، قال ﷺ: ﴿ لو يعلمُ الناس في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بالليل وحدهُ ﴾[1]أو كما قال. فمن كان في ظلمة أغياره ولم تَلْحَظْهُ أشعة أنواره، لا قدرة له على السير إلى مطلوبه دونَ رفيقٍ، ولا اهتداءٍ له في معرفةٍ ولا طريقٍ، إذ لا يخلو السبيلُ من أمور مخوفةٍ وعقباتٍ **كَئُودَةٍ** معروفةٍ لا بد فيها من الخبير، مع الوقوف على بساط الجد والتشمير، ومع هذا فلا بد لك من حفظ الأدب معه ظاهرا وباطنا معتقدا أنه أعرفُ أهل زمانِهِ، وأكملُ أهل عصرِهِ وأوانِهِ، تكونُ بين يديه ميتًا بين يَدَيْ غاسلٍ، يقلبك كيف يشاء ويوجهك إلى حيث شاءَ، لا يتحرك منك باطنٌ ولا ظاهرٌ ولا يتحولُ عنهُ وجهٌ منكَ ولا خاطرٌ، فإن كنتَ معه كما وصفتُ وأسلمتَ قيادَكَ إليه على نحو ما ذكرتُ، غسلَكَ بماءِ أسرارِهِ

---

(1) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، 112/2.

وألبسك حُلَلَ أنوارِهِ وأدرجَكَ في أرديةِ الكمالِ وآزركَ بعظمة الجلالِ، يحملُكَ على الأعناق وينادِي خلفَكَ بلسان الاقتداء اللحاقَ اللحاقَ، تصيرُ عبرةً للناظر ويَتَّعِظُ بذكرك الغائبُ والحاضرُ، يصونُ أسرارَكَ في أرض الحفظ إلى يوم اللقاءِ، وَيَعْقُبُ فَنَاءَكَ الدوامُ والبقاءُ، تحيَى في الدارين حياةً أبديةً وتستريحُ من العناء راحةً سرمديةً، ونتيجةُ متابعة الأشياخ والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم، اكتسابُ ما هم عليه من الكمالات السريةِ والتحلي بالصفات البِريَّةِ، [وبالإعتراض][1] عليهم ولو بالقلب يقعُ الحرمانُ ويُضْرَبُ سُورُ الصَدِّ على غيهب الخسرانِ، فالمخالفةُ والشِّقَاقُ تقودُ إلى الافتراقِ ولو على حَقٍّ، فانظر إلى موسى مع الخَضِرْ عليهما السلام كيف اشترط عليه في بداية الصحبة بينهما كما حكى الباري جل جلاله عنهما بقوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[2] فبدايتُهُ اقتداءٌ واتباعٌ ونهايتُهُ اهتداءٌ وانتفاعٌ، وانظر إلى الخَضِرْ كيف شرط عليه عدمُ السؤالِ والاعتراضِ، قال تعالى حاكيا عنه: ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[3]، فلما كان من الخَضِرْ في ظاهر الأمرِ ما يباينُ ما يئول إليه أمر موسى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حكم بما اقتضاهُ ظاهرُ الحال ونسيَ ما ألزمَهُ الخَضِرْ من اقتراح السؤال، فكان ظاهرُ الاعتراضِ قاطعًا للوصلة ومُفِيتًا للأغراضِ، وكان أمر الله قدرا مقدورا، ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[4] الآيات، ولم يراع كونَهُ معذُورًا لكونِ موسى بصدد الرسالة وسياسة الخلق إلى الملك الحقِّ، إذا عرفتَ ما أفضَى به الإعتراضُ من قطعِ البينيةِ وإيجابِ الفرقةِ، فالحذرَ الحذرَ منهُ ولو بالقلب، قالوا فمن قال لشيخه لم ولو بقلبه لا يفلح، وقالوا عقوق الأستاذ لا توبَةَ له، ففي الخبر عنه ﷺ أنه قال: ﴿ الشيخ في قومه كالنبيُّ في أمته ﴾[5] أو كما قال، ومن خالف شيخَهُ لم يبق على طريقته، دليلُ ذلكَ في الشاهد أَنَّ سالكَ الطريقِ الحسيةِ إذا حَكَّمَ عقلهُ وأعرض عن الخبيرِ، الضلالُ والهلاكُ إليه أقربُ، قال ﷺ: ﴿ التمسوا الرفيقَ قبل الطريقِ ﴾[6] أو كما قال، فمن أخذ الجادةَ **تِلْوَ**[7] رفيقٍ عارفٍ نصيحٍ سلكَهَا وعرفهَا وأدركَ معالِمَهَا، كان جديرا بإبلاغ من اقتدى به واتبعَهُ. قال الأستاذ أبو علي الدقاق: (بُدُوُّ كُلِّ فُرْقَةٍ المخَالَفَةُ) يعني به من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعتِ العَلَقَةُ بينهُمَا وإن جمعتِ البقعَةُ بينهُمَا، فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم

---

(1) في حج: وبالإعراض.

(2) الآية 66 سورة الكهف.

(3) الآية 70 سورة الكهف.

(4) الآية 78 سورة الكهف.

(5) **انظر**: المتقي الهندي، **كنز العمال** /42633، وأيضا: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص22. **انظر**: تنزيه الشرعة لابن عراق، ج1، ص207. **انظر**: الشوكاني، **الفوائد المجموعة** /488 و 286. **انظر**: السيوطي، **الدرر المنتثرة**، /98.

(6) ألتمسوا الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق **راجع**: الطبراني، **المعجم الكبير**، 319/4. **انظر**: لابن حجر، **لسان الميزان**، 170/72،3/1. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، 205/1.

(7) التاء واللام والواو أصلٌ واحد، وهو الاتّباع. يقال: تَلَوْتُه إذا تَبِعْتَه. ومنه تلاوةُ القُرآن، لأنّه يُتْبِع آيةً بعد آية. **انظر: لسان العرب (14/ 103)**

اعترضَ عليهِ بقلبه فقد نقضَ عقد الصحبةِ، ووجبَتْ عليه التوبَةُ؛ حكي أن **شقيقا البلخي**[1] وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد فَقُدِّمَتْ **سُفْرَةٌ** وشاب يخدم أبا يزيدٍ، فقالا له: كل معنا يا فتى، فقال: أنا صائم، فقال أبو تراب كل ولكَ أجرُ صومِ شهرٍ، فأبى، فقال: شقيق كل ولك أجر صوم سنة، فأبى، فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله، فأُخِذَ ذلكَ الشَّابُ بعد مدة بسرقةٍ وقطعت **يده**[2]؛ قال **أبو عبد الله الرازي**[3]: سمعت أبا عثمان الحيري يصف **محمد بن الفضل البلخي**[4] ويمدحه، فاشتاق إليه وخرج إلى زيارته فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما اعتقد فيه، فرجع إلى أبي عثمان فسأله فقال كيف وجدته، فقال لم أجده كما ظننت، فقال لأنك استصغرته، وما استصغر أحد أحدا إلا حُرِمَ فَائِدَتَهُ، ارجع إليه بالحرمة، فرجع إليه عبد الله وانتفع بزيارته.

إذا عرفت هذا فبحارُ قلوب الأشياخ لا تُسْلَكُ إلا بسفن الأدب والاحترام لهم، وتحريكُهَا برياح المحبةِ وصحةِ اليقينِ، محفوظةً ومذللةً بملاح المعرفةِ، وشراعاتُهَا أنواعُ القربات، ومرساها بَرُّ الشريعة، جعلنا الله ممن ركب فسلم، وصَحِبَهُمْ فغنم إنه جواد كريم. ثم قال:

الحكمة السادسة عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **فالمربي لا يعرفُ قدره إلا ربي، إن أمكنكَ الوصــولَ إليه فَأَسْــلِمْ قُيُودَ أمورِكَ لَدَيْهِ، ولا تُبْدِ منكَ إليه ما تُرِيدُ إلا من حيثُ يبدي إليكَ ما يريدُ.**

قال الشارح:

يقول: الأشياخُ شَتَّى والعارفونَ قليلونَ، وأهل التربية منهم أمراء يسيرون، سَتَرَتْ شموسُ خصوصيةِ أرواحِهِمْ أصدافُ مثليةِ بشريةِ أشباحِهِمْ، فلا يعرفُ أحدٌ للمربي قدرًا ولا يستطيعُ أن يحيط به خُبْرًا، لأنهم

---

(1) من مشايخ خرسان، له لسان في التوكل، صاحب إبراهيم ابن أدهم وأخذ عنه الطريق، وهو أستاذ حاتم الأصم، توفي سنة 153هـ، قال حاتم الأصم قال لي شقيق البلخي: اصحب الناس كما تصحب النار خذ منفعتها واحذر أن تحرقك، أسند الحديث، وصحب إبراهيم ابن أدهم. **راجع: صفة الصفوة**، ج4، ص159. **انظر:وفيات الأعيان**، مج2، ص475. مراجع سابقة.

(2) **انظر**:ابن الملقن، **طبقات الأولياء**، ص401.

(3) أبو محمد الرازي الأصل، النيسابوري المولد والمنشأ، صحب أبا عثمان الحيري و الجنيد ومحمد بن الفضل وغيرهم، مات سنة 353هـ وهم من مشايخ نيسابور في وقته، وله في الرياضات ما يعجز عنها إلا أهلها، كتب الحديث الكثير ورواه وكان ثقة وأسند الحديث. **انظر: الرسالة القشيرية**، ج1، ص181. **انظر:طبقات الأولياء**، ص139. مراجع سابقة.

(4) محمد بن الفضل ساكن سمرقند، بلخي الأصل، أخرج منها بسبب المذهب، فدخل سمرقند ومات بها سنة319هـ وهو من أجلة مشايخ خرسان – وخرسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشمل على = أمهات المدن منها: نيسابور و هراة و مرو و بلخ وسرخس وخوارزم..فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا أيام عثمان رضي الله عنه سنة 31هـ – وأسند الحديث. **انظر**: ابن الملقن، **طبقات الصوفية**، ص212. **انظر: الرسالة القشيرية**، ج1، ص 129.

غيبٌ في غيْبٍ، [غَيْبٌ][1]مخدرٌ في حجب جلال الألوهية المنزهةِ عن الكيفيةِ والتقييدِ والإطلاقِ، لابسون خِلَعَ (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبَّهُ فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الذِي يسمعُ به وبصره الذي يبصرُ به ويدَهُ التي يبطِشُ بهَا). الحديث، فمن كانت هذه صفَاتُهُ فكيف يُدْرَكُ لَهُ كنهٌ أم كيف يُعْرَفُ له قدرٌ، ولذلك قال: فالمربي لا يعرف قدره إلا ربي، ونعوتُ الكاملين غيبيةٌ سِرّيَةٌ لا يلوحُ منها علمٌ إلا لمن حَظِيَ بنصيبٍ من نورهم، ألا ترى إلى قول الجنيد: (من رآني في بدايتي قال صِدّيقٌ ومن رآني في نهايتي قال زنديقٌ) وذلك واضِحٌ.

إذا أربابُ البداياتِ سالكُونَ سبيلَ الجِدِّ والاجتهادِ، وهي أمورٌ ظاهرةٌ على من اتصف بها فَيُنْسَبُ إلى الصِدّيقيةِ، وأهلُ النهاياتِ سائحونَ في فضاء التجلياتِ الإلهية ومنغمسونَ في بحار العلوم العرفانيةِ، أعمالهُمْ سريةٌ خفيةٌ لا تشاهدُ أعمالهُم ولا تُدركُ أحوالهُم، لا يُحْجَبُ عليهمْ شهودٌ ولا ينقطعُ لهم وجودٌ، غيبتُهُم في حضُورهم وحضُورُهُم في غيبتهم، إن تحرَّكُوا فهم الساكنونَ وإن سكنوا فهم المتحركونَ، فأفلاكُ قلوبهم في عالم الجبروت سابحةٌ ما لها من قرار، وترى الجبالَ تحسبُهَا جامدة وهي تمر مر السحاب، فنتائجُ جميعِ الفوائدِ في العالم العلويّ والعالم السفليّ المُلْكيّ و المَلَكُوتيّ [سائرةٌ][2] بسِرّ سرّهَا في جواهرِ الأجرامِ الحسيةِ والمعنويةِ، كما يُدرِكُهُ مشاهدةً ذَوُو الاستبصار، فمن طلعتْ شموسُ أنوارِهِمْ على ملكوت سره بواسطة التعرُّضِ بالاعتقاد وحسن النية فيه، نتجتْ فوائِدُهُ وتنوعتْ موائِدُهُ وتكاثرتْ بالإمداداتِ عوائدُهُ، ومن حُجِبَ بغيهب الجهل أو سوءِ الاعتقادِ أو مسته نارُ الحسدِ في سبخة العنادِ، حُرِمَ الإمدادَ وصادَفَ سبيلَ الطرد والإقصاءِ والإبعادِ، عافانا الله من الوقوع في أوليائه وأنعم علينا بالانضمام في سلك زمرة أصفيائه، ومن أجلِ إرخاء أستار البشريةِ على مخدراتعرائسهم قال: فالمربي لا يعرفُ قدره إلا ربي؛ وقد يلوحُ للمريد في باطنه من أنوار مربيه ما يحمله على حسن الاعتقاد، فيظنُّ أنه أدركَ قدرَ مربيه، كَلاَّ والله لا يعرف له قدرا ولا يحيط بأمره خُبْرًا حتى تفنى ذاتُهُ في ذاته وصفاتُهُ في صفاته، فلا يَشْهَدُ لنفسه عينا ولا أثرا، وحينئذ يرجعُ إلى البقاء فلا يرى دونه غيرًا، فيدخلُ في مقام العجز عن إدراك حقيقته وذلك عينُ الإدراكِ، وإن خاض بسره في ملكوت خصوصيته فهو عند أهل الحق ضربٌ من الإشراك، لأن الإنسانَ الكاملَ هو الروحُ الأعظمُ الذي قال فيه جل جلالُه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3]، ألا ترى إلى تعليمه جل وعلا نَبَيَّهُ الأدبَ في رَدِّ الأمر إليه، وما ذلك إلا ليورثَ عنه ما فيه سلامةٌ ونجاةٌ، لأنَّ التربيةَ روحانيةٌ سريةٌ يودعُهَا اللهُ في صَدَفَةِ بشريةِ من شاءَ، و الأمورُ الروحانيةُ لا سبيل إلى معرفة حقائقِهَا لأنها من أمر الله تعالى، فالمربي الكاملُ العارفُ بمسالك الطريق المتقنُ لأحوالها، سهلِهَا وجبَالِهَا نفعِهَا وضَرّهَا مائِهَا وظَمَائِهَا، وما يعرضُ للمار عليها بمثابة الروح للجسد، فالروحُ

---

(1) في حج: ساقطة.

(2) في مخ: سارية.

(3) الآية 85 سورة الإسراء.

ممتزجٌ بجميع أجزاء الجسد دقيقه وجليله، لا يعزبُ عنه منه مثقالُ ذرةٍ في سماء سره ولا في أرض ظاهره شيءٌ، فكذلك الإنسانُ الكاملُ سَرَتْ روحانيتُهُ في صدفة المِلكِ وجوهرية الملكُوتِ، فيه قوامُ العالمِ العلويّ والسفليّ، فلا يصدرُ شيءٌ إلا عن علمه وبأمره، وإلى هذا يشير الأستاذ **سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري**[1] بقوله: (لو خَفِيَتْ عنّي من مريدي شعرةٌ ما حَسِبْتُ نفسي مربيًا)، وقد تكرر منه القسمُ لمن عاندَهُ ونفَى عنهُ التربيةَ أنه مربيًا، والباعثُ له على الحلفِ إظهارُ الحقّ وإخمادُ الباطلِ، لأنَّ أهلَ التربية في زمانه مستمدون من سِرّهِ مَنْ بَعُدَ منه ومن قَرُبَ، ومقتبسون من أشعَّةِ أنوارهِ بواسطة مواهب الله الجاريةِ على قلبه، ومن ذلك البساطِ تنقسم الإمداداتُ والمواهبُ إلى من فيه قابليةٌ إلى تحمُّلِ الأمانة، فهم كالوكلاء والنائبين عنه، فإذا توجَّهَ بِهِمَّتِهِ إلى شيءٍ انعزل عن التصرف فيه من سواه، وقد صادمه بعض من لم يطلع على أحوال الكُمَّلِ وما هم مُنْطَوُونَ عليه من الكمالات التي لا تقاسُ، فظن أن التربية أمرٌ ظاهرٌ يُدْرَكُ بإحاطته الحواسّ، بل هي ملكةٌ غيبيةٌ مُودَعَةٌ في أسرار مَنِ اختصَّهُم الله [بذلك][2] ومنحهم معرفةَ حقائقِ دقائقِ ما هنالك، غير أن أهل الحق شرطوا للتربية والترقية من تربى وترقى على يدي طبيب عارف كاملٍ، فرغ من تأديب نفسه وخَلُصَ حالُهُ في معناهُ وحِسّهِ، ذي بصيرةٍ نافذةٍ وعلمٍ صحيحٍ يُرْشِدُ به مريدَهُ ويَدُلُّ لله على سبيل شريعته من يهديه، وقد تعاطى التربيةَ في زماننا هذا أناسٌ كثيرون بعد خروجِ الأستاذ المؤلف رضي الله عنه من هذه الدارِ اعتمادا منهم على مجرَّدِ إقبالِ الخلق عليهم، وإشارتهم بالأصابع إليهم من غير

---

(1) هو الغوث الأكبر والمربي الأشهر، الجامع بين الشريعة وطريقتها والولاية وحقيقتها، ولد مابين سنتي 1126 و1142هـ/1714م، 1729م. في بلدة قبيلة آيت اسماعيل من عرش قشطولة أرض القبائل جرجرة، ويعرف أيضا بنسبته إلى زواوة وإلى الأزهر، يتصل نسبه بإدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن ابن فاطمة بنت رسول اللهﷺ ، وبعد أن تعلم بزاوية الشيخ الصديق بن أعراب (بآيت إيراثن)، توجه إلى المشرق حوالي سنة 1152هـ-1739م. وساقته المقادير إلى مجاورة الأزهر الشريف صغيرا، حيث ظل مدة طويلة قدرها بعضهم بثلاثين سنة وقدرها بعضهم بربع قرن، ومن أساتذته في الأزهر سالم النفراوي وعمر الطحلاوي وحسن الجداوي والعمروسي، وتلقى تعاليم الطريقة الخلوتية على يد الشيخ، سيدي محمد بن سالم الحفناوي المصري المتوفي سنة 1181هـ-1767م، وبعد مدة وجهه شيخه إلى السودان لنشر الأوراد ونفع العباد، وقد أقام ست سنوات في دارفور بالسودان ليقري السلطان، ثم أمره بالرجوع إلى مصر، فرجع وألبسه الخرقة وأذن له في التربية وتعليم خلق الله بما هم مطالبون به، ثم أمره شيخه بعد أن دعا له دعوات بالرجوع إلى وطنه وقريته (آيت اسماعيل) لبث العلم وتربية الخلق ونشر أفكاره وطريقته بين أهل بلاده وأسس زاويته هناك، كان ذلك حوالي سنة 1177هـ- 1763م، فأخذ عنه الجم الغفير وسلك على يده الكثير، وذلك سنة 1183هـ-1769م. واشتهر أمره في القطر الجزائري، وأتاه رجال كثيرون، قدم منهم من قدم، وانتشر ورده بين الناس، ولم يزل يعمر قلوبهم بالله إلى أن لقي الله تعالى في آيت اسماعيل فأقبر بها، ونقله أهل الجزائر ذات ليلة خفية إلى ضريحه بقرب الحامة، ففطن أهله لنقله وعزموا على رده وآل الأمر إلى النزاع، وانفصلت النازلة بوجوده في قبره عندهم أيضا، فسمي من يومئذ بأبي قبرين، الأول في جرجرة والثاني في = الجزائر، وكلاهما مزار متبرك به، توفي رحمه الله سنة 1208هـ-1794م. **انظر**: الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مرجع سابق، ص457-474. **انظر**: د.أبو القاسم سعد الله **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1 ص514. 516.

(2) في مخ: لذلك.

أن يكونَ لجُلّهِمْ شهودٌ ذوقيٌ ولا وجودٌ حقيٌّ، فضلا عن السلوكِ ولا عن الحلولِ في مقامات الملوك الله الله.

فالواجبُ على من تمشْيَخَ واقتدَى الناسُ به أن ينصحَ نفسَهُ أولا، فينظرَ في أحواله السريةِ ويَزِنُهَا [بميزان][1] الشريعة ويَنْقُدُ خبايَاهَا نقد **صيارِفِ** أهل الحقيقةِ، فإن وجدَ فيهِ قابليةً لما أُدُّعِيَ عليه ونَسَبَ من الكمالات إليه، فلا بأسَ بانتصابه إلى الإرشاد لسواء السبيل، وأن يدعو الخلق إلى مولاهم الجليلِ بحسب ما عنده من النور، مراعيا لحاله هائبًا من ربه مشاهدا لجلاله معتقدا في شهوده، إن الإقبال من الخلق ليس عليه بل على الحقِّ الذي فيه، محققًا أنه كالظرف للشيء المظروف، قاطعا بسيف الإعراض كلَّ التعلقاتِ والالتفاتاتِ والأسبابِ، موقنا أن ذلك ليس من قِبَلِهِ ولا من عمله بالاكتساب، بل هي مواهبُ الملك الوهابِ، وإن نقد نفسَهُ وراعَى أحوالَهَا فلم يجد في باطنها ما يُثْبِتُ له الإماميةَ، فالواجب عليه أن ينصحها بالسعي في تزكيتها وتصفية عيوبها، وإخراجها من سِجِّينِ ظلماتِ أهويتها وخبائث ذنوبها، ويُرَحِّلَهَا من سجن الاغترار بكلام المقتدين به إلى فضاء أنوار [الراحات][2] الأبديةِ، فإنه أعرفُ بنفسه منهم، ولا يعتمدُ على مدحهم له وثنائهم عليه، فإنهم [يمدحونه][3] بما يظنون فيه وإن الظن لا يغني من الحق شيئا، قال ابن عطاء الله: (الأحمق من ترك يقينه لظن ما عند الناس)[4]، وقال: (الناس يمدحونك بما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها﴾[5]، ولا عجبَ ولا غرابةَ في رجوعه تلميذا لمن هو أعرفُ بالله منهُ فضلا عن تلامذته، ولا يَجُرُّ منه خوفُ ضياعِ رئاسَتِهِ فيهم ومشيخته عليهم، لأن مقتضى الإيمان النصيحةُ لقوله ﷺ: ﴿ الدين النصيحة ﴾[6]،﴿ من غشنا فليس منا ﴾[7]، والشيخُ لا يكونُ غَشَّاشًا لأنه طبيبٌ لابد له من معرفة الدواء لكل داءٍ، وإلا فلا سبيل له إلى تعاطي مداواةِ العبيد من **حَدَسِهِ** دون معرفةٍ ولا إتقانٍ، وحَقُّهُ التسليمُ إلى من هو أولى منه، ويجبُ عليه الفرحُ بذلك حين إذ كفاهُ المئونَةَ وطَوَّقَهَا غيره، قال بعضهم: لا أعدِلُ بالسلامة شيئًا. وهذا لِمَا لَمْ يكن أهلا لحملِ الأمانةِ وآدابها إلى مستحقيها، وتدارَكَهُ ربُّهُ بصرف محنتها إلى غيره، وجب عليه الشكرُ على نعمةِ عافيتِهِ هو وإصابةِ غيرِهِ وجهَ الحقِّ طبيبًا ومطبوبًا، والكلام مع من هو في التربية والتسليك لا غيرُ، وأما من هو في بَثِّ الأورادِ وإيصالها إلى مُسْتَحِقِّيهَا مع خروجه عن دعوَى ما ليس له بأهل، فلا يَعْتَرِضُ عليه ولا يُنْكِرُ عنه ذلك إلا جهولٌ مطلقًا وصل أو لم يصل، ولا يُشْتَرَطُ فيه كمالُ التخليصِ، لأنه ليس كلُّ من ثبت تخصيصُهُ كَمُلَ تخليصُهُ، وليس ذلك إلا

---

(1) في مخ: بموازين.

(2) في مخ: الرحات.

(3) في مخ: يحمدونه.

(4) **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص329.

(5) المرجع السابق ص327.

(6) رواه الشيخان.

(7) رواه الترمذي، كتاب البيوع12، باب 74، حديث 1315، ص606، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

شرطُ كمالٍ لا غيرُ، وقوله: إن أمكنك الوصولُ إليه فاسلم قيودَ أمورك لدَيْهِ، نَصٌّ ظاهرٌ في أنَّ معرفةَ المربي صعبةٌ لا يهتدى إليها إلا من سلك اللهُ به سبيلَ الهدايةِ والتوفيقِ، وليس ذلك ممكن(**ممكناً**)لكلِّ من توجَّهَ لسلوك جادةِ المقربينَ، لأن منهم من يعثرُ على مربيه ويجدُ في حاله من يُرَقِّيهِ، ومنهم من لا يمكنهُ ذلك لفقده أو لفساد عَقْدِهِ عياذًا بالله.

يقول: إذا أمدك الله بالهداية والتوفيق وسلك بقلبك جادَةَ الصدقِ والتصديقِ، يَسَّرِ لك أسبابَ معرفَةِ مُرْشِدِكَ ودليلِكَ، وأوضحَ لك بعضَ ما يقوي زادَكَ في مقامك ورحيلك، فتعلمْ علمَ اليقينِ أنه كبريتُكالأحمَرُ الذي تصفوا به **عناصِرُكَ الأرْبَعُ** من حُبثها وفسادها، وترتفعُ سلعتُكَ بين أهل الله من انحطاطها وكسادها، فالواجبُ عليكَ حينئذٍ إسلامُ أمركَ إليه، وعكوفُ قلبِكَ وسركَ عليه، لا تلتفتُ إلى غيره ولا تستَمِدُّ إلا من سره، فيكونُ سببًا في وجودكَ ويتكفلُ بشهودِكَ، فأَوَّلُ فتحكَ ومبدأُ معرفتكَ عثورُكَ على كنزِهِ وأنوارِهِ، وأَوَّلُ ترقيكَ ذوقُكَ من ينابيع أسراره، فهو بابُ الله الأكبرُ إلى المريدين، وسُلَّمُ صعودِ المترقينَ إلى سماء المعالي.

وقوله: ولا تبد منك إليه ما تريد إلا من حيث يبدي إليك ما يريد، كالبيان لما قبلَهُ كما كانت هذه عادتُهُ ﷺفي هذا التأليف غالبا، أي إذا وقفت بتأييد الله وإرشاده على بساط معرفة المربي، واهتديتَ للوقوف على بابه فاسْلِم كلياتِ أمورك إليه دقيقِهَا وجليلِهَا، ولا تُدَبِّرْ معهُ أمرًا ولا تجعل لك مع اختياره لك اختيارا، لأنه أعرفُ بمصالحك منك وأدرى، فالأب الجسمانيُّ لا يفتقر إلى دلالة أحد على مصالح ولده التي يحتاج إليها الولدُ، ولا يتوقفُ نظرُهُ في جلب نفعٍ أو دفعِ ضرٍ على غيره، بل هو أدرى لأحوال ولده منهُ ومن غيره، فكذاك الأب الروحاني لا **مِرْيَةَ** في أنه عارفٌ بمصالح مريده السرية والجهرية حالا ومآلا، ولا يزالُ يدفعُ عنه الأوصافَ والعللَ التي تُشِينُهُ تخليا، ويُلْبِسَهُ خِلَعَ ما يُزَيِّنُهُ تحليًا، يُفيضُ عليه من ينابيع الأرزاق الربانية، ويغمرُ وجودَهُ بمشارب الأذواق الروحانية، لا يبدي ولا يُظهرُ له مريدُهُ مرادًا حتى يُفِيدُهُ به قبلَ سُؤَالِهِ إرشادا اغترافا من بحر قول الله ﷻ على لسان رسول الله ﷺ: ﴿ عبدي أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يُصلحك ﴾[1] الحديثَ، فمن أطاع مُرَبِّيهِ بامتثال أموره وجَانَبَ مخالفَتَهُ في وَرْدِهِ وصُدُورِهِ، كان كفيلا له بالمراد من غير إعلامٍ ولا استرشادٍ، فإذا ترك المريدُ مرادَهُ في مراد مُرَبِّيهِ وخرجَ عن اختيار نفسه وتدبيرهَا رضًا باختياره له وتدبيره، كان أقربَ إلى الأدبِ وأسلمَ من مواقع العَطَبِ لأن مراداتِ المربي دائما لا تكونُ لمريده إلا روحانيةً علويةً بخلاف مقاصدِ المريدِ، فقد تكونُ بمقتضَى ما تَئُولُ إليه نفسانيةً سفليةً، فالفرق بين الأبوة الروحانية والجسمانية ظاهرٌ لا خفاء فيه، ولله دَرُّ القائل:

أقدمُ أستاذي على حقِّ والـدي * وإن نالني من والدي العزُّ والشرفُ

---

(1) **انظر**: الأصفهاني، **حلية الأولياء**، مج4، ص27، رواه وهبة بن منبه.

فذاكَ مربِّي القلبَ والقلبُ جوهرٌ * وهذا مربي الجسمَ والجسمُ من صدفٍ(1)

فشتان بين من يراعي ظاهرك وبين من يراعي باطنَكَ، فالإنسانُ بروحه لا بمجرد جسمِهِ إنسانٌ، إذا عرفت أنَّ حقَّ مربيكَ وطاعتَهُ أَوْجَبُ وآكدُ من حق والدك الجسماني، فإسلامُ أمرِكَ إليهِ وتركُ اختيارِكَ في اختياره وتدبيرك في تدبيره، هو محضُ توكلٍ وتفويضٍ واعتمادٍ على الله عز وجل، إذ الأستاذُ وسيلةٌ موصلةٌ إليه والمقصدُ والغايةُ هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(2)، فانظر لباطن الآية بعين فِكْرَتِكَ وتَدَبَّرْهَا تَجِدْ فيهَا العجائبَ، ألا ترى إلى أنه قرعَ أسماع المخاطَبِينَ ونَوَّهَ عليهم بخصوصية النداء عنهم باسم الإيمان، فالتفتوا إليه بأحداق قلوبهم مسترشدين له فأمرهم بالتقوى [التي هي](3) السمعُ والطاعةُ اجتنابًا وامتثالاً ظاهرًا وباطنًا، ثم أرشدهم إلى ابتغاء وطلب الوسيلةِ إليهِ والدالةِ عليهِ، وبَيَّنَ لهم ثمرةَ انعقادِ البيعةِ إليهَا وفائدةِ الاقتداءِ بِهَا وهي صِحَّةُ المجاهدة فقال: وجاهدوا في سبيله، فكما أن الجهادَ الأصغرَ الذي هو جهادُ الكفرةِ لا يستقيمُ إلا مع إمامٍ عارف ذي مكانةٍ وثباتٍ، فكذلك الجهادُ الأكبرُ الذي هو جهادُ النفوسِ لا تحصلُ فائدتُهُ التي هي الفلاحُ والفوزُ بالمطلوب إلا بعد انعقادِ بيعةٍ وتصحيحِ ربطةٍ مع إمامٍ توفرت شروطه وانتفتْ موانعُهُ، يصحُّ به الاقتداءُ وينتجُ معه الاهتداءُ، ينصرُ جيوش إيمانكَ على الأعداء ويستخلصُ بهجتَكَ من أوصاف الرَّدَاءِ، وانظر أيضا إلى قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(4)، والغلظةُ هي القوةُ والشدةُ في الدين، وهي لا تتم إلا مع إمامٍ، والكفار الذين يلونَ الإنسانَ في باطن الآية هي أعداؤُهُ الباطنَةُ من النفس والهوَى والشيطانِ وما انْضَمَّ لهم وانتظَمَ في سلوكِهِمْ، كأنه يقول في معنى مجموع الآيتين الكريمتين: يا أيها المؤمن حَلِّ إيمانكَ بِحِلْعَةِ التقوى واصحبْ وسيلةً تُبَلِّغُكَ إِلَيَّ وتَدُلُّكَ في سبيلكَ عَلَيَّ، تصحُّ لك معها المجاهدةُ وتثمرُ منها نتيجةُ المشاهدَةِ، وذلك عينُ الفلاحِ **فافهم**. ثم قال:

الحكمة السابعة عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **واطلب شيخكَ من حيثُ هوهو، ولا تطلب نفسكَ من حيثُ هي هي.**

قال الشارح:

---

(1) **انظر: مجاني الأدب في حدائق العرب**، ج/ ؟، ص/ ؟.

(2) الآية 35 سورة المائدة.

(3) في مخ: الذي هو.

(4) الآية123 سورة التوبة.

أي لا تكونُ لك إرادةٌ صادقةٌ، حتى تكونَ لك هِمَّةٌ سابقةٌ **تَجُوسُ**[1] بها خِلاَلَ الديارِ، وتدركُ بها من شيخكَ ما تَضَمَّنَهُ الإظهارُ والإضمارُ، تطلبُهُ من حيثُ سريانُ هُوَيَّتِهِ فيكَ، ومشاهدةُ إشراقِ شمسِ سِرِّهِ عليك، يتزايدُ منها شجرُ إيمانِكَ ويَنْتَسِخُ من نورها ظِلُّ أكوانك، فترى عند ذلك الحقَّ حقًّا والباطلَ باطلاً، فتحذرُ أن تطلبَ معهُ غيرًا من الأغيار الكونية معنىً ولا حسًا، وتخرجَ من وجود هُوِيَّتِكَ فلا ترى جسمًا ولا نفسًا، فإذا جاء حقُّ وجودِ الأستاذِ في باطنِكَ زهق باطلُ شهودِ نفسكَ، فشهودُكَ لِهُوِيَّةِ شيخِكَ الساريةِ في عوالمكَ بقاءٌ، وخروجُكَ عن مراداتِ نفسِكَ وغيبوبتك عنها فناءٌ، فاخرج عن سجين مشاهدةِ نفسكَ إلى فضاء مشاهدة شيخك، فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

فالشيخُ هيكلٌ نورانيٌّ تغيبُ عند مشاهدَةِ طَيْفِهِ وخيالِهِ الخواطرُ والشواغلُ والهواجسُ، فاطلُبْهُ وراقِبْهُ في أَوَّلِ سلوكِكَ إلى المطلوب، فيه السعيُ والوصولُ إلى المرغوبِ، ولذلك حَثُّوا على تخييل صورتِهِ للمريد السائر في الطريق للفوائد التي يُتْحَفُ بها المريدونَ من حصول صورته أمام المريد، واغتفروا مُطَالَبَةُ حُصُولِ شَخْصِهِ في صُلْبِ العباداتِ لما فيه من المنافع التي تعُودُ على من أَنْعَمَ عليه بذلك، لأن له دخلا في تربية المريد و مؤانَسَتِهِ في طريقه، ودلالتِهِ السائرِ إلى المطلوب دلالةً سريةً وجهريةً، فالجهرية هي: قوله للمريد افعل لا تفعل، عند إخباره له بما يرد عليه من الخواطر يقظةً أو ما يقعُ له منامًا، والسريةُ هي: حصولُهُ للمريد في حال أثناءِ سلوكِهِ عندَ حلولِهِ في مشاهدة الروحانياتِ، المعَبَّرِ عنها عندهم بعالَمِ المثالِ الذي تُشَاهَدُ فيه روحانيةُ سيدنا محمد ﷺ، فيظُنُّ مُشَاهِدُهَا لقوَّةِ شُهُودِهِ أَنَّهُ عايَنَ ذاتَهُ المكَرَّمَةَ بعين رأسه، والحقُّ أنه ما عاينها بذلك ولكنْ شاهَدَ الروحانيةَ لا غيرَ، كما وقع لأصحاب النبي ﷺ حين أتاه جبريلٌ في صورة آدمي بمحضر جمع من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فسأله ما الإيمانُ والإسلامُ و الإحسانُ، الحديثَ المشهورَ، فشاهدوهُ والحالةُ تلك في سِنَةٍ وقعتْ لهم حَتَّى أَتَمَّ سُؤَالَهُ، الذي [هو][2] مَضْمَنُهُ وثَمَرَتُهُ تعليمُهُمْ كما أخبرهم ﷺ أنه جبريلٌ أتاكم ليعلمكَمْ دينَكَمْ، ولا تُشَاهَدُ الروحانياتُ إلا بالسر لأن الحواس موقعها إدراكُ المحسوساتِ، وكما وقع لشخصٍ جاءَ إلى سيدنا **مصطفى البكري**[3] وأخبَرَهُ بأنه رأى ذاتَ المصطفَى

---

(1) الجَوْسُ: مصدر جاسَ جَوْساً وجَوَساناً، تردّد.وفي التنزيل العزيز: فَجاسُوا خِلال الدِّيار؛ أَي تردّدوا بينها للغارة،وقال الزجاج: فجاسوا خلال الديار أَي فطافوا في خلال الديار ينظرون هل بقي أَحد لم يقتلوه؛ وفي الصحاح: جاسوا خلال الديار أَي تخللوها فطلبوا ما فيها، كما يَجُوس الرجلُ الأَخبار أَي يطلبها، وكذلك الاجْتِياسُ. والجَوْسُ: طلب الشيء باستقصاء. **انظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، ج6، ص43.

(2) في حج: ساقطة.

(3) هو قطب الدين مصطفى بن كمال الدين، يتصل نسبه بأبي بكر الصديق ﷺ، ولد بدمشق سنة 1099هـ-1687م، مات والده وهو من العمر ستة أشهر فكفله ابن عمه أحمد ورعاه في داره قرب البيمارستان النوري، أخذ العلم على مجموعة كبيرة من علماء عصره في شتى الفنون، ولازم الأستاذ عبد الغني النابلسي ت 1143هـ- 1730م وقرأ عليه التدبيرات الإلهية وفصوص الحكم وعنقاء مغرب ومواضع من الفتوحات المكية للشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي وقرأ عليه شيئا من الفقه، أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ مراد المرادي ولقنه الذكر ودعا له. ترجم له الشيخ اسماعيل النبهاني في كتابه: **جامع كرامات الأولياء**، والمرادي في: **سلك الدرر**. ويقال إن من أعظم كراماته كثرة مؤلفاته نظما ونثرا مع اشتغاله بالطريق والأسفار في الأقطار وأنواع

ﷺ يقظةً بعين رأسه، فقال له: هل كان معك حين الرؤيةِ أحدٌ، فقال: نعم، فقال له: هل رآه معك، فقال: لا، فقال له: ما شاهدته إلا بعين قلبك ولو شاهدته بعين رأسك لشاهده جليسُكَ، فاطمأن ذلك الشخص بكلام الشيخ وقال له: جزاك الله خيرا كنت تائها فدللتني على الطريق.

إذا عرفت هذا علمتَ أنهم جعلوا تخييل صورةِ النبي ﷺ صورةَ الشيخِ للمريد في حال ذكره، شبكةً يصطادُ بها وارداتَ الحقِّ جل جلاله، وبتمكنهَا من القلب ورسوخها فيه يتقَوَّى ويقدرُ على حمل أمانة أسرار تجليات الجليل تبارك وتعالى، فأول ما يكرم به المجتهدُ حصول صورةِ قدوته و انتقاشها نَصْبَ عينيه حتى تتمكن منه فيرى أنه هو، ولا يرى لنفسه ولا لغيره عينا ولا أثرا، فإذا تم له ذلك وحظي بسر ما هنالك، قادته تلك الصورةُ وأخذت بعَنَانِ قلبه حتى تُوقِفَهُ على صورته ﷺ المباركةِ، فتنفتحُ له جَنَّةُ حضرته عليه الصلاة والسلام، فيشاهدُ فيها من النعيم الروحاني والكمالِ الإيماني ما لا يقومُ له قدرًا ولا يُؤَدِّي له شكرًا، فبينما أنت في نعيمك وسرورك ومملكتك و**حُبُورك**، إذ غشيك نور الحضرة الإلهية فغيبك عما أنت فيه من الحضرة المحمدية، فَتَنْصِبُ على سرك سحائبُ **الأَفْضَالِ** ويواجهُكَ سيدُكَ بما لم يخطر لك على بال، فلا تزالُ في شهودِكَ الإحساني ووجودِكَ العيانيّ مختطفٌ عن كل أغيارك، زاجًا في أبحر تجلياتك وأنوارك ملهمًا مخاطبًا، فتصيرُ للتجلي طورًا وللتحلي نورًا، فإذا تمكنَتْ منكَ التجلياتُ وقامت بقلبك التحلياتُ فُقْتَ من غشية الفناءِ إلى صحو البقاءِ، (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)، فارْجِعْ حينئذ من سماء الحقوق إلى أرض الحظوظ، فلا يُشْغِلُكَ شهود الحق على حقوق الخلق ولا عكسِهِ، فأولها وحدانيةٌ، وثانيها جمعيةٌ جمعيةٍ، ثم لا تشغِلُهُ هذه عن هذه ولا هذه عن هذه، فهذا هو النعيم المقيمُ جعلنا الله من أهله بِمَنِّهِ، وقد طال بنا الكلام هنا فأفضى بنا إلى الخروج عن المقصود من تتبع كلام المؤلف، فالعذرُ لنا من حيثُ الذهولُ والفائدةُ في الكلِّ موجودةٌ.

تنبيه: تقدم لنا الإشارة إلى حديث جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين، وأنهم شاهدوه في حال السِنَةِ **الفهوانية** بعين قلوبهم، فهذا مقتضى كلامِ من وقفتُ عليهم، والذي يظهرُ والله أعلمُ أنهم لما كانوا بحضرة شمس الوجود سيدنا ﷺ الذي أعطاه الله من كمال النهاية ما لا تدركُ له غايةٌ، أن قَدَرَ على رؤية ذاته الجليلة في هذه الدار بعين رأسه، لا جرم أنهم اقتبسوا من شمسه عليه الصلاة والسلام

العبادات والاجتماعات مع الناس، حيث أن تآليفه تقارب المائتين وأحزابه وأوراده أكثر من ستين، منها شرحه على الهمزية و شرحه على حزب الإمام الشعراني وشرحه على قصيدة المنفرجة للنحوي وشرحه على قصيدة الإمام أبي حامد الغزالي، وله اثنتا عشرة مقامة واثنتا عشرة رحلة وسبعة دواوين شعرية وألفية في التصوف، ومؤلفات في الحديث وفي الرحلة والتراجم والسير ومن مؤلفاته أيضا الفرق المؤذن بالطرب في الفرق بين العرب والعجم والسيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد وهذان التأليفان من أعجب ما ألف، ويعني بهذا الأخير الذين يزعمون أنهم من الصوفية ولا يتقيدون بالأحكام الشرعية، وقد كتبت عنه تآليف في ترجمته آخرها كتاب الدكتور كرم أمين أبو كرم المطبوع = بأبوظبي سنة 2003م تحت عنوان: الشيخ مصطفى البكري – فلسفته الصوفية ورسائله. **انظر**: عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، ص: 26- 45.

ما قدروا به على مشاهدة روحانية جبريل عليه السلام بعين رؤوسهم، في صورة كرامة من الله لهم وما ذلك على الله بعزيز، فكذلك الوارثون لهم لا مانع من أن يُكْرَمُوا بحظٍ وافرٍ مما أُكْرِمَ به غيرُهمْ، من تحقيق الشهود وتكاثُفِ ما لطُفَ لقوة الوجود فافهم. ثم قال:

حقيقة الشيخ المربي وشروطه

الحكمة الثامنة عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **فالشيخُ من بَصَّرَكَ بعيوبكَ ثم أنقذكَ منهَا.**

قال الشارح:

أي فالشيخ المربي الذي تثقُ به، وتعتمدُ في سيرك إلى مطلوبك على معرفته وتهتدي بدلالته، هو الذي له بصيرةٌ نافذةٌ وذوقٌ سليمٌ وعلمٌ مستقيمٌ وميزانٌ صحيحٌ، يَنْقُدُ دنانيرَ أحوالكَ، ويزنُ جواهرَ خواطِرِكَ وأعمالِكَ، فما كان منها خالصًا أَثْبَتَهُ وأَبْقَاهُ، وما كان منها مشوبًا رَدَّهُ وألقَاهُ، يُعَرِّفُكَ بِخَفِيَاتِ عُيُوبِكَ ويُنْقِذُكَ من خبائث خُطُوبِكَ، فإذا وجد فيكَ عيبًا بَصَّرَكَ به وَعَرَّفَكَ منشَأَهُ لتكونَ من الوقوع في مثله على حذر، وبالتخلي منهُ والخروجِ عنهُ على بصرٍ، والعيوبُ التي يجب التخلي عنها والتحلي بأضدادها لا تنحصرُ بالعدِّ، بل بالتقريبِ والحدِّ، وهي كلُّ ما حَجَبَكَ عن مطلوبِكَ، أو أبطَأَ بك عن مرغوبِكَ فهو عيبٌ، وهي باعتبار المتصف بهما أقسامٌ، منها حُجُبُ الذنوبِ وهي: ظلمانيةٌ يتصفُ بها من كان في المقام الأول، الذي هو مقامُ النفسِ الأمارةِ، وذلك كالكِبْرِ والعُجْبِ والرِيَّاءِ والسُمْعَةِ والحَسَدِ والغِشِّ والمكْرِ والخديعةِ والرئاسةِ وغير ذلك؛ أو نورانيةٌ وهي لأهل المقام الثاني: [وهي التي][1] تسمى النفسُ اللوامةُ لكونها تلومُ صاحبَهَا بعد الوقوع فيما نُهِيَ عنه، مالَكَ فعلتَ، وفيمَا أُمِرَ به، مالكَ لو أكثرتَ، وهذا دأبُهَا، وسُمِّيَتْ حجبُهَا نورانيةً لرِقَّتِهَا وخفة كثافتها، فترى الحق حقا والباطل باطلا ولا تقدرُ على التخلي عن الباطل ولا على التحلي بالحق، لكونها لا زالت في التلوين، ومن حجبها الرياءُ الخفيُّ: وهو إخفاء العمل ثم محبة اطلاع الخلق عليهِ ليحمدُوهُ على فعلهِ، تمنيًا في أثناء العمل لا في ابتدائهِ، أن لو اطلعوا على إخفائه وإخلاصه، وهو خطرٌ، كما قال ﷺ: ﴿ المخلصون على خطر عظيم ﴾[2] أو كما قال، ومنها محبةُ الجاهِ ورفعُ الذِّكْرِ وإقبال الخلق، والعمل طمعا في الجزاء وخوفا من العقوبة ومثلُ ذلك، وكل مقامٍ حُجُبُهُ بالنسبة لما بعده، كالملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة، فالأول حُجُبُهُ ظلمانيةٌ أَغْيَارِيَّةٌ، والثاني نورانيةٌ، والثالث أسراريةٌ، والرابع كماليةٌ وهكذا، وكل مقام له مقالٌ، فحسنات الأبرار سيآت المقربين، فمن كان

---

[1] في حج: وهو الذي.

[2] **انظر**: الفتني، **تذكرة الموضوعات**، /200.

في الأول فهو محجوبٌ بظلمات الأغيار عن مشاهدة الأنوار، ومن كان في الثاني فهو محجوبٌ بالأنوار عن مشاهدة الأسرار، ومن كان في الثالث فهو محجوبٌ بالأسرار عن الكمال وهكذا، كل مقام حجابُهُ أَكْثَفُ مما بعده وأدقُّ وألطفُ مما قبلَهُ، وهي أمور نسبيةٌ وهي بُعْدُ المناسبة كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: ﴿ إن بين العبد وربه سبعين حجابا أو سبعين ألف حجاب من نور وظلمة فلو كشفها لأحرقت سَبَحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه ﴾[1] أوكما قال، وهذه هي الحجب التي حَجَبَتْ أبصار القلوب عن مشاهدة علام الغيوب، ولا يقطعهَا أي الحجبَ إلا من سلك طريق المقربين، فلا يزال يتخلى عنها و**يمرقهَا** ويقطعُ عقباتِهَا شيئا فشيئا حتى يخرُجَ عن آخرِهَا، وإن إلى ربك المنتهى، كما يقع للحاج في طريقه، فلا بد له من رفاق وسلاح وزاد ومطية وخبيرٍ بالسبيلِ يدله على الطريق ويُعَرِّفُهُ معالِمَهُ إلى أن يبلُغَ به المقصودَ، فالخبيرُ هو الأستاذ العارف، والمطية هي الهمة الباعثةُ والإرادة الصادقةُ والقصد الصحيحُ، والزاد هو التقوى لقوله: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)، والسلاح: هي الأسماءُ التي يُلَقِّنُهُ أياها خبيرُهُ ليرهبَ بها أعداءَهُ السريةَ، ويستعينُ بها على قطع المسافة المعنوية، والرفاقُ هم إخوانُهُ الطالبون مطلبه، فلا يزالون كالحاج يقاسون شدائد الطريق ويركبون مشاقه ومتاعبه شيئا فشيئا، وأمامَهَمْ إِمَامُهُمْ حتى يصل بهم إلى ميقات الإحرام، فيتجردون من ثياب العلائق ويغتسلون من دَرَنِ الشهوات ومازجة الخلائقِ، ويَلْبَسُونَ جلابيب المهابةِ والاحتقار تخليا، ويَتَرَدُّونَ بأردية الاستكانة والافتقار تحليا، فيلبون بتلبية خبيرهم، ويَجِدُّونَ في قصدهم لمطلوبهم ومسيرهم، خارجين عن الأغيار، ليس لهم دون حرم بيته وقوفُ عرفاتٍ معرفتُهُ ومشاهدتُهُ مثوًى ولا قرارًا، حتى إذا دنوا من بيته ولاحت لهم معالمُ حضرته صمتُوا عن التلبية إجلالا، وقدموا بين أيديهم همما وأحوالا، فلا تسمع إلا همسا، فمن عرف الله كَلَّ لسانُهُ ولا يلبي ويجابُ حاضرٌ ولا يدعَى سامعٌ ناظرٌ، فيُطْعَمُونَ في حضراته ويشربون من **زمزمَ** خَمْرَاتِهِ، ويخرجون لرُقيِّ الجبل حتى تغشى أبصارَ بصائرهم ظلمةُ العجز عن إدراك ماهية **عرفاتِ**معرفته، والخوفُ والوجلُ، ثم يفيضون من سماء حقوقهم إلى أرض حظوظهم، فيباح لهم ما كان ممنوعا ويُدْفَعُ إليهم ما كان مقطوعا، وهكذا حال السائر حتى يبلغَ المقصودَ والله ذو الفضل والكرم والجودِ، فنرغب منه أن يَمُنَّ علينا بكمال الحجين بِمَنِّهِ وكرمه لارب غيرُهُ ولا مَرْجَوَّ سواهُ. ثم قال:

الحكمة التاسعة عشرة بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **والشيخُ من إذا تَدَبَرْتَ فيه فَكَّرَكَ، وإذا نظرتَ إليه ذَكَّرَكَ.**

---

[1] الحديث رواه أبوالشيخ، قال في المختصر سنده ضعيف، وقال ابن الجوزي لا أصل له، وروى الطبراني بإسناد جيد بلفظ: حجابه النور..الخ. **انظر**: محمد بن علي الشوكاني، **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، تحقيق عبد الرحمان بن يحي المعلمي اليماني، كتاب الصفات، حديث16، ص450.

قال الشارح:

يقول: الشيخُ الذي ينفعُ المريدين اتِّبَاعُهُ والاقتداء به، هو من إذا تدبرت أحوالَهُ السريةَ فكرك فيه وأيقظك من سِنَةِ غفلتك عند [إلى][1] حضورك معه، وإذا كنت في وصف رَقَّاكَ إلى ما هو أرفعُ منه كائنا ما كان، وبه ترتقي إلى معالي أمورك وتهتدي إلى مقاماتك وقصورك، فلا يزال فكرُكَ فيه وتحصيلُكَ خيالِهِ لكَ سراجًا، ودوامُ مراقبته لترقيكَ معراجا، حتى يَحِلَّ بك على مُنَاخِمنهلهم وورودهم، فَتُرْوَى من سر سرهم **رَيًّا** لا ظماءَ بعدَهُ، والشيخُ من إذا نظرت إليه ذَكَّرَكَ، أي إذا نظرت إليه بعين الوقار والاستكانة والافتقار، ذكرك بعد النسيان وألبسكَ ثوب العرفان، قال في الرحمانية: (سمتك يا أواه من رآك ذكر الله)، فسمة العارفين المشرقةُ على أَسِرَّةِ وجوههم تُذَكِّرُ من رآها وتوقظ من عنَاهَا لما انطوت عليه من الكمالات السرية، فتشرقُ على ظواهرهم شموسُ بواطنهم فلا يقابِلُ شمسُ حقيقتهم شيءٌ إلا وأضاءت أكوانُهُ وامتلأت أوانيه و كيسانُهُ، كيف لا وقد كانت قلوبهم أوعيةً للأنوار ومحلا للتحلي والأسرار، لهم من الهَيْبَةِ والجلالةِ ما ينفعُ مُشَاهِدَهُمْ لا محالةَ، صاروا عبرةً للناظر وتذكرةً للغائب عنهم والحاضر، فمن شاهد خيالَهُمْ بقلبه فَكَّرُوهُ، ومن نظر إلى ظواهرهم ذَكَّرُوهُ، فإلى مِثلهم تُشَدُّ الرحالُ وعلى سُلَّمِهِمْ يُعْرَجُ ومنهم تُكْتَسَبُ الآمال، و من كانت هذه أحوالهم لاشك أن معرفتَهَمْ والوقوفَ ببابهم هو عينُ الفلاح، قد كانت [شموسُهُم][2] ساريةً في عوالم القلوب مُسَلِّكَةً جاذبةً لكل محبٍ ومحبوبٍ، ومن شرط الانتفاع **و**الاستسلام والاتباع كما لا يخفى، وإلا فمن أين وللفكرة والتذكرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[4]، ومعلوم في الظاهر أنَّ كُلَّ إنسان له قلبٌ وله سمعٌ من غير تمييز لأحد على أحد، بل المراد قلبٌ واع كما عرفتَ، ومن هنا ظهرت حكمةُ الله فيمن أراد بهم خيرا، بأن جعل لهم قلوبا يفهمون بها وآذانا يسمعون بها وعيونا يبصرون بها بخلاف غيرهم، كما قال لهم: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[5] فلتكن يا أخي من القسم الأول و إن الله لمع المحسنين، ألا ترى إلى نور سيد الوجود ﷺ وما جاء به من النور الإلهي، وانطوى عليه من الحكم والعلوم والمعارف والحجج الباهرة كيف كان الأمر فيه، فمن ألهمه الله رشده حجبت عنه البشرية وانكشفت له الخصوصية، فعاين من الكمالات ما أوجب له السعادة والحسنى والزيادة، ومن جعله تائها في أودية الغفلات جعله في أكنة من أن يفقه أو يعتبر أو يتفكر ويتدبر، مكبولا في قفص البشرية لا يرى إلا أثرها ولا يعاين إلا ظلامها [وغبارها][6]، فأوجب له المخالفة وعدم الموالفة فاتخذ إلهه هواه فأضله ذلك وأعماه، فكذلك الولاية

---

(1) في حج: ساقطة.

(2) في حج: ساقطة.

(3) الآية 37 سورة ق.

(4) الآية 9 سورة الزمر.

(5) الآية 179 سورة الأعراف .

(6) في حج: وغيارها.

خصوصية سرية لا شاهد لها في الخارج ولا دليل يدل عليها إلا حسن الظن وكمال الاعتقاد، فمن حسن ظنك به وكمل اعتقادك فيه كان ذلك موجبا لانتفاعك منه واتباعك، إذا عرفت هذا علمت مصداق قولهم: شرط المحبة اتباع المحبوب، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ﴾[1]، وقد جاءت امرأة لسيدنا ﷺ فقالت له: اعذرني يا رسول الله فإن لي قلبا واحدا، فقال لها عليه الصلاة والسلام: أنت في حل من أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحبه، ففهم عنها ما انطوت عليه، وأشار لها بالمقام الذي انتهت أحوالها إليه، فكذلك الشيخ مع تلامذته كما في الخبر: الشيخ في قومه كالنبي في أمته.

فمن أبصر رشده واستكان إليه، وكسر ميزانه وعزل عقله وتجاهل لديه، وعرج في سلم ترقيه عليه، لا جرم أنه ينفع به حاضرا وغائبا مطلوبا وطالبا، تظهر له شموس أنواره في مشكاة السريرة، ويشاهد خصوصيته بعين البصيرة، يقتبس قمره من ذلك ويتكمل حاله بحسب ما هنالك، فهذا شأن من انتمى إلى أهل الكمال وانتسب إلى الواصلين من الرجال، فافهم تصب، ثم قال:

الحكمة العشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ومن شرط الشيخ أَنْ لا يكونَ غَشَّاشًا من غشنا فليس منا، ومن شرط الشيخ أن يكونَ شـــفَّافًا كالمرآة يُرَى فيه كُلُّ جميلٍ وقبيحٍ، ومن شـــرطه أن تَرَى فيه عيوبَكَ وتَنْظُرَ فيه خواطِرَكَ.**

قال الشارح:

أي من شرط صحة مشيخة الشيخ وثبوتِ الإماميَّةِ له والاعتمادِ عليه في إرشاده، أن يكون ناصحا مُنَزَّهًا عن وَصْمَةِ **الخِلابَةِ** والمداهنة والغِشِّ، هذا معنى قوله: ومن شرط الشيخ أن لا يكون غشاشا، من غشنا فليس منا كما في الخبر، وهذا معلومٌ ضرورةً إذ من شرط النُجْحِ بالمطلوب والظفر بالمقام المرغوب، السعيُ إليه خلف خبير عارف ناصحٍ خالٍ عن الغشِّ، وما يقطعُ طريقَهُ لا يعزُبُ عنه منه مثقال ذرة، كما أن من شرطه أن يكون شفافا خاليا من كَدَرَاتِ أدناس النفس الشهوانية، مقدسا عن الأحوال الحيوانية، ترى فيه جميلَ أحوالك و قبيحَهَا، وتزن بميزانه سقيم الأعمالِ والخواطرِ وصحيحها كالمرآة، وتمثيلُهُ بالمرآة بديعٌ، ألا ترى إلى أنه من شرط المرآة أن تكون شفافةً مقفولةً عن جميعِ الأغيارِ، مُنْسَدَّةً من جهة واحدة مقابلةٍ بالوجه، فكذلك لا يثبتُ لك رؤيةُ أحوالك في مرآة شيخك إلا إذا كان صقيلَ القلب من أدناسه، سالمَ السريرةِ في جميع أنفاسه، منسدا من ناحيةٍ منفتحًا من أخرى، أي منسدا من جهة الخلق ومنفتحا من وِجْهَةِ الحقِّ، لا يَشْغَلُهُ عنه من الكثرة شاغلٌ، لا ينظرُ إلا إليه ولا يدلُّ إلا عليه، تلاشت أمامَهُ جميعُ

---

[1] الآية 31 سورة آل عمران.

الأكوانِ الغيرية واضمحلت منه، ولابد من مقابلةٍ، أي من توحيد وجهته وجعله قُبَالَةَ عين القلب ونَصْبِهَا، فهو قبلةُ المريدين وكعبةُ المصلين، فمن حاد عنه بشيء من شخص قلبه واستدْبَرَهُ ولو بيسيرٍ دخل عليه الخللُ، كما عرفت من حال المرآة، وأيضا لابد من احتفاظك بالمرآة وحذركَ من وضعها في الأرض خشيةَ أن يَذْرُو عليها الريحُ الترابَ ونحوَهُ، فكذلك شيخُكَ لابد من رفعه وحمله بعين الإعظام والإجلال، وتَوْقَيَتُهُ من أن يصيبَهُ من أرض حظوظك ما يوجب له نوعا من الأدناس، أو يذروا عليه من رياح هواك فتنكدر مرآتُهُ بعد مشاهدتك لصفائها، فَتَنْقُضَ عهودَكَ بعد وفائِهَا عياذا بالله.

ومع هذا فوخامةُ ذلك راجعةٌ إليك ووبالُ كدرها مردودٌ عليك، وإلا فالمرآة من حقيقتها البقاءُ على حالها، والكدرُ وصفٌ طارِئٌ ضررُهُ راجعٌ للناظر لا غيرُ، فكذلك الشيخُ مرآةٌ للمريدين يشاهدون فيه حُسْنَ أحوالهم وقبيحَهَا سقيمِهَا وصحيحِهَا، فما كان من خير أثبتوه وما كان من شَرٍّ أزالوه، كما إذا جعلت المرآة قُبَالَةَ وجهك فإنك تزيل ما يَشِينُ وتثبت وتبقي ما يزينُ.

وقد توفرت شروطُ المشيخة بحذافيرها في هذا السيد المؤلفِ ﷺوأرضاه باطنُ الأوصاف وظاهرُهَا، جربها السالكون على يديه وأثبتها العارفون منهم لديه، أغنتهم خيالاتُهُ السريةِ بكل شهودٍ، و أغمرتهم **أياديه بأنواع التنَزُّلاتِ في الفقد والوجود، ناصحا عارفا شفافا، كاملا مكملا واصلا موصلا، جميلَ الظاهر والباطنِ، ليس الخبرُ كالمعاينة، جعلني الله والمحبين من أهل وداده، وأفاض علينا وعلى المسلمين من زلال فيوض أمداده فإنه الجواد الكريم.**

نعم وقد قالوا: الشيخُ مرآةُ مريده، فمثلوا الشيخ بالمرآة لأن المرآة لا يشترط فيها إلا الصقالةَ وصفا ذاتيا، والتلميذُ بالمقابل لها، فما عاينَهُ المقابِلُ للمرآة في داخلها هو عين ما انطوى عليه، والمرآةُ منَزَّهَةٌ عن ذلك لا يشوبُهَا شيءٌ ولا يداخلُهَا أمرٌ، وينطبعُ فيها ما يواجهُهَا ويقابلُهَا، فليحذر المريدُ من تبرئة نفسه من أنواع النقص، وإثباتها لقدوته حسبما ينطبعُ له في مرآته، فإن ما شاهَدَهُ في المرآة هو عينُ ما انطوى عنه حالُهُ قطعا، فالمثالُ في غاية الوضوح والإفادةِ عقلا وتجربةً ومشاهدةً بالحس والعادةِ، ويحتمل وجها آخر وهو أن قلب المريد يكون كالمرآة، إن صقله من أدناسه ونَقَّاهُ من خيالاتِ أوهامِهِ وأنفاسِهِ، وسدَّ مسامَّهُ عن الأغيار وقابل به وِجْهَةَ الأنوارِ، صرف إليه بصر بصيرته ونفد ما تكون في عالم سريرته، راقبه بالصيانة ورعاه بالمحافظة والإبانة، ينقيه من وجهتي الدنيا والآخرة فناءً، ويَسُدُّ أحد الوجهتين على غير الله بقاءً، كل شيء هالك إلا وجهه، فلا يشاهدُ في مرآة قلبه بعد مراعاتِهِ والتبويبِ عليه وصيانته موجودًا غير الله، كما وقع ذلك لبعضهم، فكان أولَّ ما فتحَ اللهُ به عليهِ أَنْ جَعَلَهُ بوابًا على قلبه زمانًا طويلا، فحكى ذلك لقدوته، ففرح له بذلك وشكر نعم الله على ما هنالك، فأعقبه من الفوائد والفتح وخَرْقَ العوائدِ ما لا تفي به العبارةُ، ولكن يكفي عنهُ الإيماءُ والإشارةُ فافهم.

وقد ركبتُ البحر للحج في عامنا هذا، وهو عام ثمانية وستين ومائتين وألف(2168هـ–1851م) في مركب الريح، ففتحَ اللهُ من المثُلِ السريةِ المتعلقةِ بأمرِ الطريقِ السلوكيةِ ما يَسُوغُ أن نذكرَ بعضَهُ هاهنَا، ونفشي طرفًا منه لإفادةِ الطالبِ، وذلكَ أنَّ راكبَ بحرِ الحقيقةِ يحتاجُ سيرُهُ لمطلوبه إلى مركوبٍ وهي الهِمَّةُ السليمةُ من كلِّ وصمٍ يَشِينُهَا ويُوقِعُ الريبَةَ فيها، ولا بد له من رياحٍ وهي المحبةُ والهوَى والشوقُ الباعثُ، ولابد له من **نَواتيت**[1] وهم إخوانُهُ المهيجونَ لهُ على مطلوبه القاصدون مقصدَهُ، فلهم دخلٌ في تسيير المركب مع رئيسه، فهم أعوانٌ وهو الكلُّ بحسب الحقيقة، وشراعاتٌ وهي أعمالُهُ الصالحةُ، فيتعرضُ بها لنفحاتِ مولاهُ عسى أن تَهُبَّ ريحُ نفحةٍ من نفحات الرب جل جلاله، فتنقُلُهُ من مقام إلى مقام، ولابد له من رايسٍ وهو القدوةُ العارفُ الذي ركبَ البحرَ وعرفَ معاطِبَهُ ونَجَاتَهُ، فيسيرُ بسفينة مريدهِ في بحرِ الحقيقةِ في ظلمة أغيارِه، كما يسيرُ به في شموس أنوارِه، كُلَّمَا هَبَّتْ ريحٌ عرضَ لها الشراعَ حتى يَحْصُلَ لمريدهِ كمالُ المطلوبِ ويَظْفُرَ بالمراد، فكنتَ والحالةُ هذه مراقبًا لأحوال الرايسِ وأُشَاهِدُ في وجهه حُسْنَ الحالِ وقُبْحِهِ، فإذا رضيَ سيرَ المركب وقصدَ السبيلَ تظْهَرُ عليه أمراتُ الرضَى بذلك، وإذا رأى العكسَ انقبضَ، فكذلك القدوةُ مع المريدين السائرين، يرونَ في وجهه جميعَ ما عليه الحالُ من غير التباسٍ ولا إشكالٍ، وفي هذا من المثُلِ ما تركتُهُ خوفَ الإطالةِ، وقد كتبتُ هذا المحلَّ في المسجد الأنورِ تجاهَ روضتِهِ عليه الصلاةُ والسلامُ بِقَصْدِ التبرُّكِ **والاستمدادِ** منه، كما كتبتُ بعضَ ما قَبْلَهُ في المسجد الحرام كذلك ولله الحمدُ فالله يكتبُ السلامة في السفرين، ويجعلُ النجاة في ركوبِ البحرينِ بِمَنِّهِ وكرمِهِ. ثم قال:

الحكمة الحادية والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **والشيخُ من إذَا حَضَرَ غَيَّبَكَ، وإذَا غَابَ أَحْضَرَكَ.**

قال الشارح:

أي الشيخُ الثابتُ على بساط المعرفةِ، الجالسُ على كرسَيِّ الاستقامةِ، الناظرُ بنور اليقين، إذا حظرَ معكَ أيُّهَا المريدُ غَيَّبَكَ عن إحساسك ذهولاً عنهَا، وإذا غابَ عنكَ أحظركَ مع مولاكَ وأشهدكَ حُسْنَ معنَاكَ، فإن حضر أفناكَ وإن غابَ أبقاكَ، فمن كانت هذه حالُهُ هو سيدُكَ ومولاَكَ، فحضورُهُ شهودٌ وغيبَتُهُ وجودٌ، فحضورهُ فناء وغيبتهُ بقاءٌ، فحضورهُ تخليةٌ وغيبتُهُ تحليَةٌ، فحضورهُ صحوٌ وغيبتُهُ مَحْوٌ، فحضورُهُ ذهولٌ وغيبَتُهُ **وُصُولٌ**، فحضورُهُ **وِصَالٌ** وغيبتُهُ كمالٌ، فحضورُهُ في قلبكَ عنايةٌ وغيبتُهُ استغراقًا في الشهود غايةٌ، فالتمسْ لتربيتِكَ من حضوره زيادةً في الاستغراق، وغيبتُهُ ضياءٌ و إشراقٌ، متحليا مع المريدين، تجعلُهُ مصداق قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[2]، فلا غيبتُهُ تحجُبُ عن حضوره ولا حضورُهُ يحجُبُ

---

(1) في حج: نواتيه.

(2) الآية 4 سورة الحديد.

عن غيبته، يربي أطوارَكَ ويقضي **أوطارَكَ**، يتكفل لك بالمطالب ويُفِيضُ عنكَ جزيلَ المواهبِ، فهو للقلوب بمثابة الشمس في تنميتها للعالم السفلي مع سيرها في العالم العلوي، إن أشرقتْ على ظاهرِهِ أفادتِ النباتاتِ والمعادنَ صفًا، وإن سرت تحت العالم السفلي أنمتها من باطنها، فلا تزال في التنمية ظهورا وخفاء كما هو في الشاهد، فهي في الحالتين نافعة دافعة، إن ظهرت في عالم الشهادة أفادته ضياء، وإن بطنت في عالم الغيب أورثته زيادة ونماء، ثم قال:

الحكمة الثانية والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **والشيخُ منْ إذَا تَكَلَّمَ أفادَكَ، و إذا صَمَت أَشْهَدَكَ.**

قال الشارح:

أي فالشيخُ الواصلُ إذا تكلم لمريده بالإرشاد أفاده علوما ومعارفَ، إذا صمت عن التكلم أشهده غيوبا ونفى عنه من باطنه ظلماتٍ وعيوبًا، ففي الحالتين مرشدا ناطقا وصامتا، لأنه تَرْجُمَانُ الحقِّ ودليلُهُ يُرشِدُ ويهدي بحول الله وقَوَّتِهِ **الزَّائغَ** الضَّالَ، ويَرْحَلُ بهمته ونفوذِ بصيرتِهِ المتنَاسِ الحالِ، فلا تَكَلُّمُهُ ينافي سُكُوتُهُ ولا صَمْتُهُ ينافي تكلمُهُ، يجيبُ قبل السؤال ويُعْطِي قبل إرادةِالنوال، هَمَّتُهُ عَلَيَّةُ المرام تصريحًا وإشارةً وتلويحًا، وعبارةً يداوي المريدين بهمته السارية فيهم، ويضيءُ على مُكَوِّنَاتِ بواطنؤهِمْ بشموسه المنتشرة عليهم، فلا يزالون يَحْدُونَعِيسَ العُشَّاقِ، حتى يَنْزَلَ بهم مُنَاخَ الإشراقِ، وإن إلى ربك المنتهى، قلت:

دعاني للهدَى إمامٌ أجبتُهُ	*	**فصرتُ على مَتْنِ الهوَى نترنَّمُ**
يكلمني سرا وجهرا بسره	*	**ويغمُرُني جودًا عن الحق نفهَمُ**
أضاء بشمسه العوالمَ كُلَّهَا	*	**ففي الحس والمعنى وبالذُّلِ أُقْسِمُ(1)**
ينادمني شُرْبًا يروقُ مذَاقُهُ	*	**ففي السكرِ غيبَةُ أصولٍ أنعمُ**
فَمَازَجَنِي حُبًّا فكنْتُ إناءَهُ	*	**وخامَرَنِي قربًا عليهِ أُسَلِّمُ**
فأثنى عليهِ والثناءُ جزَاؤُهُ	*	**واشكرُ نعمةَ الدلالَةِ نُكْرَمُ**

وكلامُ المؤلفِ قريبٌ من حيثُ المعنى من قول ابن عطاء الله: (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله)[2]، فالكاملُ من الرجال لا يَخْلُو من الدلالة في جميع أحواله، إرشادا بمقاله أو إنهاضًا وحملاً بحالِهِ، فأهلُ البداياتِ دلالتُهُمْ مقاليةٌ ومن سواهم تطوراتُهُمْ حاليَةٌ. ثم قال:

الحكمة الثالثة والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس الشيخُ من إذَا رَآكَ تَمَلَّقَ، وإنَّمَا الشيخُ من إذَا رَآكَ تَحَرَّقَ.**

قال الشارح:

أي: فالشيخُ الكاملُ شأنُهُ النصيحةُ وعدمُ المدَاهَنَةِوالغِشِّ، حتىَّ تحملَهُ مداهنَتُه مع المريدين على التملق لهم فيفضي ذلك بهم إلى حالة الرضى عن أنفُسِهِمْ في كل أحوالها، والظنُّ أنها على حَقٍّ في أقوالها وأفعالها، وذلك داءٌ عضالٌ عياذا بالله، بل الشيخ من إذا رأى مريدَهُ أظهر له ضربًا من التَحَرُّقِ، وأعرضَ عن التَزَيُّنِ لهُ بوصف المداهنة والتملُّقِ، فلا **مَلَقَ** إلا للوالدين كما في الخبر، لأنهم جعلوا أمَارَةِ الكمالِ الرضَى في عين الغضب والغضبُ في عين الرضى، فتكونُ أحوالُهُ مع المريدين خَفَيَّةً، يظهر من الكمال آثار الغضب عند موجباتِ الرضَا، وتستبينُ دلائلُ الرضَى عند تَوَقُّعِ موجباتِ الغضَبِ، فمن كان من المشايخ بحال العجز عن إدراك حاله، في صمته وحالةِ أقواله وأفعالهِ فهو الذي تتعينُ صحبتُهُ والربطُ معَهُ، لأنَّ صِفَاتَهُ إلهيةٌ يراعي مصالح مريدِهِ ومنافِعِهِ سواءٌ كان في موجبات الغضب أو الرضى، إذ مدارُهُ مرادُهُ على ترقية نفس المريد وتزكيَّتِهِ بأي وجهٍ كانت، فالتملق عينُ الغِشِّ الذي تقدم ذكره ومن غشنا فليس منا، لأن المرَادَ اختبَارُ حالِ المريدِ، وعن تصفيةِ عناصرِهِ من رَدَيّ أوصافِهِ، وغرسِ طباعِهِ الحسنَةِ في بساط التَّبَاتِ واليقينِ والرسوخِ والتمكينِ، والتَمَلُّقُ له ينافي ذلكَ، بل التَحَرُّقُ في وجهِهِ وإظهَارُ **العُبُوسِيَّةِ** لهُ وإن كان على

---

(1) في مخ: أتسم أو نتسم.

(2) الحكمة الثالثة والأربعون.

حالةٍ توجبُ الرضَا عَنْهُ، والحمد لله على صالح أعماله وسني أحواله أولى به، هذا غالبُ الحالِ، وقد يكونُ الأمرُ مع بعض المريدين جاريا على النادر، فلا يليق به التحرُقُّ فربما يكونُ لهُ داءٌ يوجبُ قُنُوطَهُ وانقطَاعَهُ والعياذ بالله، فهذا يعملُ معه قدوته على ما يليق له، إذ فائدةُ الأمرِ ونَتِيجَتُهُ جَبْرُ القلوبِ وتَصْفَيَّتُهَا من العيوبِ.

والحاصلُ أن كلامَ المؤلف أَغْلَبِيٌّ من حيثُ الواقِعُ كما شاهدناه، يعامل المريدين معاملة الطبيب مع العليل من غير تملقٍ بل بإعراضٍ وإعراضِ تَحَرُّقٍ، فيثمر ذلك سقوطَ النفسِ من عين المريد، وشهودَ [أنه][1] في التفريطِ والتقصيرِ، وذلك يحمله على الزيادة إلى أمامٍ وهو عين الفلاح، بخلافِ حالِ من تَمَشْيَخَ من غير كمالٍ، فحالُهُ ضَعِيفٌ، مدارهُ على جلب القلوب له وعكوفُ النفوس عليه، من غير مبالاةٍ بحال مريده زيادةً ونقصًا، والعبرةُ عندَهُ بإقباله عليهِ والخشيةِ من إدباره عنهُ، وإن كان في ذلك خيرٌ وهو التوالفُ وعدمُ التنَافُرِ والتخَالُفِ فما فاتَهُ من التزكيةِ أكثَرُ مما حَصَلَهُ بالتأْلِيفِ، ولكن كلُّ مقامٍ له مقالٌ والحمد لله على كل حالٍ، والكلام مع من هو في السلوكِ والترقّي، فيراعي مسلكَهُ ما يُخَلِّصُ به سبيكةَ قلبه بِأَيِّ أمر كان، كما يعملُ الصائغُ بالمعادن عند التصفَيَّةِ والتخليصِ لها بمسِّ النارِ، وضربِهَا بمعولٍ يليقُ بِهَا حتى يكمُلَ حالُهَا إلى بلوغ حدِّ المقصودِ منهَا، ولا يزيدُهَا مَسُّ النَّارِ وضربُ المِعَاوِلِ إلا حُسْنًا، فكذلك قلبُ المريد بين يدي أستاذه العارفِ، لا يزدادُ بِمَا يعامِلُهُ به إلا تزكيةً وتصفيةً، قال في الهمزية:

لو يمسُّ النُضَّارَ هونٌ من النا * ر لما اختار للنضار الصِّلاَءُ

والنُضَّارُ هو الذهب، فلو لم يكن في سبكه بالنار تخلِيصُهُ وتصفيتُهُ وردُّهُ إلى فطرته ما سُبِكَ منها، فكذلك سبائكُ القلوب العمل فيها على التخليص لا غيرُ، والله وَلِيُّ الهدايةِ والتوفيقِ. ثم قال:

الحكمة الرابعة والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **والشيخُ من أشهدَكَ غَيْبَتَهُ، وسَتَرَ عليكَ حُضُورَهُ.**

قال الشارح:

أي: فالشيخُ الكاملُ من أفادَكَ غَيْبَتَهُ في الشهود، وحجبَ عنكَ حضورَهُ في الوجود، يغيبُ عنك وهو حاضرٌ ويَحْضُرُكَ وهو غائبٌ، يَحْضُرُكَ بروحانيته وهو غائبٌ، و يستَتِرُ عنك بخصوصيته وهو حاضرٌ، فَغِيبَتُهُ في طَيِّ حُضُورِهِ وحضورُهُ في فَلَكِ غيبَتِهِ، يُفِيدُكَ نتيجَةَ الحضورِ وهو غائبٌ ويحجُبُ عنكَ ثَمَرَةَ الوجودِ وهو حاضرٌ، وفي كل ذلك لهمتِّكَ رافعًا ولحظوظك وهواجسِكَ و رعوناتِ نفسِكَ دافعًا، فإمدادَاتُهُ عليكَ سائِحَةٌ وغُيُوثِ أَسْرَارِهِ عليك غاديةٌ رائحةٌ، سواءٌ حضورُهُ معكَ وغيبتُهُ عنك، فاغتنم محبةً من حضوره غيبةً

(1) في مخ: أنهما.

وغيبتُهُ حضُورٌ، فلا غيبَتُهُ تنافِي حضُورَهُ ولا حُضُورُهُ ينافِي غيبتُهُ، إن حَضَرَكَ غَيَّبَكَ وإن غابَ عنك أشهَدَكَ، فحضورُهُ يفْنَى وغيبتُهُ تبقى، فحضوره إشهادٌ وغيبتُهُ إمدادٌ، فحضورهُ تخليةٌ من الرذائل وغيبتُهُ تحليةٌ بضروب الفضائلِ، تشهدُهُ في الغيبة وتفقدُهُ في الحضور، يذيقُكَ في الغيبة كؤوسَ أسراره ويستُرُ عنك في الحضور شموسَ أنواره، يُرِيكَ من خصوصية روحانيته في الغيبة ويحجُبُ عنك في سُرَادِقِ بشريَّتِهِ في الحضور، إن وجدتَهُ فكُنْ معه كما كانَ معك، وأن تَفْنَى خيالَهُ في الغيبة أعظمُ مما ترتقِبُهُ في الحضور، تستفدُ من شهوده في الغيبة الفناءُ ومن استتاره في الحضورِ البقاءُ، فافهم. ثم قال:

الحكمة الخامسة والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **المُرَبِّي من أَرْبَى لك الفوائدَ وخرقَ لك من نفسِكَ العوائدَ، من لم تُخْرَقْ لك على يده الستورُ لا تَرِدْهُ فإنَّهُ غُرُورٌ.**

قال الشارح:

يقول: المربي لأطوار القلوب من أربى وزاد لك يا مريدُ جليلَ الفوائدِ و أفاضَ من ينابيع قلبك على سِرِّكَ **أرواقًا**، وقدم لك من الأرزاق الروحانية موائدَ وخرقَ لك من نفسكَ عوائدَ، فتستبدِلُ مكانَ السيئَةِ الحسَنَةَ، وتنخَلِعُ منسلِخًا من قبائح عيوبكَ مشاهدًا لخفيات غيوبك، فتخلَّيْتَ إذ ذاك وتحلَّيْتَ، وما علم أنَّ خرقَ العوائدِ من النفس هو حملُهَا على مفارقَةِ مألوفاتِهَا، والتحَمُّلُ بمشاق الجوعِ والسهرِ والذكرِ والفكر والمجاهدة والمكابدة والرياضة وإسقاطِ الحظوظ والجاه المذمومِ وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، والاتصاف بأضدادها وهي الأوصافُ الحميدةُ، وذلك يكونُ بيدَيْ طبيبٍ عارفٍ ناصحٍ يُرَبِّيكَ شيئًا فشيئًا ويُخَلِّيكَ منها وصفًا وصفًا، ويُحَلِّيكَ بأضدادها خلقا خلقا، حتى تأخُذَ طرفًا من خلعةِ سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وذلكَ بطرحِ نفسكَ بينَ يَدَيْ مُرَبِّيكَ، وجَعْلِهَا في قبضته مستسلمًا لهُ معتَقِدًا كَمَالَهُ على أبناء جنسهِ، خالياً عن **وصمة** الإنكارِ عليهِ في أمرٍ مَا قَلَّ أو جَلَّ، جازمًا بأنه على السداد، قائمًا على ساق الجِدِّ في هديِكَ والإرشادِ، لا تخالفْ أمرَهُ ولا تَتَطَلَّعْ خُبْرَهُ، فهذا إن رافقتَهُ في سيرك لمطلوبكَ وكنتَ على هذه الحالة معهُ يُرْجَى لك الوصُولُ به لمرغوبك، فبالصدق معهم تصلُ إلى الصديقية، والعكسُ بالعكسِ، فإرباءُ الفوائدِ نتيجَةُ خرقِ العوائدِ، وذلك لا يتم إلاَّ بالرياضة والمجاهدة والمكابدة للنفس على يَدَيْ من عرف حقائقَهَا، وأدرك خفياتِ دقائقِهَا، فإن عملتَ على ما ذكرتُ وسعيتَ على **منهاج** ما سطرتُ، فطالب نفسك بمزيد الإخلاص وارْجَ من فضل مولاك الخلاصَ، فمن رافقْتَهُ وصدقْتَ مع الله ومعهُ فلم تُخْرَقْ لك على يده عوائدُ الحُجُبِ والسُّتُورِ لا تصحبْهُ فإنه غُرورٌ، نعم، وإياك والتعلُّقَ بمجرد ظاهر

---

(1) الآية 4 سورة القلم.

كلام المؤلف ﷺ من غير حمله على ما يليق به فإنه فيه نوعُ خفاءٍ، وذلك أن من تعلق بظاهره إنْ عمِلَ على بعض ما تقدم، تتشوفُ نفسُهُ إلى الفتح وتطَّلِعُ إلى الكشوفات والمغيبَاتِ، فإن لم ير شيئا حملَ شيخَهُ على القصور في الوَصْلِ واعتقد في زعمه أنه ليس من الفحول، وليس كذلك، بل المدارُ على صدق التوجه إلى الله معه والاقتداء به، بعد العزم والتصميم والتحقيق أنه على بصيرة من أمورك، وما قُسِّمَ لك على يديه يلحقُكَ، فمن جَدَّ وجَدَ، والوجودُ في الوقت الذي يريدُ لا في الوقت الذي تريدُ، والشيخ وإن حرص لا يَصِلُكَ على يديه إلا ما قُسِّمَ لك، فهو باب الله الأعظمُ الذي تصعَدُ منه أعمالُكَ، وتأتيك عنه تُحَفُكَ وأحوالُكَ، فأما أن يُعَجِّلُ أو يؤخِّلُ، وأما أن يظهر أو يخفى، لأن من السالكين من لا يليق به المكاشفةُ لضعف حاله عنها، فهي أمانة لا يقدر على حملها كُلُّ الناس، فيلطف الله به ويجعلُهُ في كنف ستره وحصن حجبه وهو أليق به، لكنَّ المكاشَفَ مع لطف الله به أمكنُ والمحجوب مع تأييد الله أَأْمَنُ، لأن من كثرت في سيره أنوارُهُ تنوعت أفكارُهُ ومن لا فلا، فالحجاب حينئذ أسلمُ، وحيث كان ذلك كذلك فأين للمريد وجهُ النقد في شيخه عند تأخر فتحه وبُطْوِهِ عنه، بل لا يُطَالِبُ شيخَهُ بعد **العقد** فيهِ والربط معه بشيءٍ أصلاً، ونيته حينئذ تكفيه.

فكلامُ الأستاذ المؤلف محمولٌ على ابتداء الأمر والسعيِ فيه على بصيرة عند أخذ البيعة وإرادة السير، فيختارُ من توفرت فيه شروط التسليك والتوصيل، وأما بعد الأخذ في السير على يديه، فلا يتشَوَّفُ لشيءٍ بل يَتَّهِمُ نفسَهُ ويحملها على النَّقْصِ، ويخوفها تارةً و يُرجيهَا أخرى ويُحَذِّرُهَا من الانتقاد في أمر المشايخ، لأن قلوبَهُمْ هي أبوابُ الله لا تُفْتَحُ إلا لمن رَضَوْا عنه وتَوَجَّهُوا إليه وأقبلوا عليه، ولا يخفَى على اللَّبِيبِ أن **الاستشرافَ** على الخصوصية قادحٌ في العبودية، فمقام الأستاذ جليلٌ عن إرادته والدلالةُ عليهِ.

وبالجملة: فالمريدُ يطالبُ نفسَهُ بالصدق مع مربيه وجعلها في حِجْرِ تربيته والمفتاحُ بيد الفتاحِ وما على المربي إلا أن يدُلَّ كما أنه ما على الرسول إلا البلاغُ، وتُأْخَذُ ثمرةُ ما تقدم من قول. ﷺ: ﴿ إنما أنا قاسم والله يعطي ﴾[1]، إذ المعطي هو الله وإيصال الأقسام السابقة لمستحقيها أزلا صادرةٌ لهم على يديه عليه الصلاة والسلام، وكذلك الوارثون له فهم نوابٌ مقسطونَ أخذوا حَظًّا من العصمة بواسطة غَرْفَةٍ من بحر قوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[2]، وقد كان دأبُ أهل المعرفة أنهم يبحثون أولا عن الحالِ وثبوتِ الوصول والكمال، فإذا ظفروا أَحْرَمُوا خَلْفَهُ وكَبَّرُوا، فالالتفاتُ بقلوبهم لغيره قادحٌ في مأموميته وهو نفس الخلل في الاقتداء، ومن ذلك يقع التخلف لبعض السالكين على بعضٍ، مع اتحاد الشيخ واتفاق العمل والزمان والمكان.

---

(1) رواه الشيخان.

(2) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾الآية 6 سورة التحريم .

فاللهَ اللهَ يا أخي من الالتفات والبحث في أحوال إمامك بعد اقتدائك به وشروعك في السير خلفه، والتوجه لإمام غيره مع وجوده وتوفر شروط الاقتداء به، فكما أن المنظورَ إليه في الصلاة الاقتداءُ الكليُّ قولا وفعلا واعتقادا، فكذلك الاقتداءُ بأئمة السير والسلوك إلى مالك الملوك، بل هو أولى وأحقُّ لصحة وقوع الصلاة فذًّا هناك وعدم صحتها وتأتيها هنا إلا للنادر القليل، وأين القليل في هذه الأزمنة التي غلب فيها اتباعُ الهوى وعمَّتِ بالدعاوي الباطلة الدعوى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فما عَطَّلَ المريدين على الوصول إلا العللُ الناشئةُ في قلوبهم وأكثرها النَّقْدُ في أئمة هديِهِمْ، جعلنا الله ممن سَلَّمَ فَسَلِمَ وفاز بسرهم فغنم بمنه وكرمه. ثم قال:

الحكمة السادسة والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **الكيِّسُ من الرجال من أشهدَكَ منهُ الفضائِلَ وعنْ أَفْضَالِكَ أنت متغافلٌ.**

قال الشارح:

فالكيس ضد العجز كما فسره به سيدنا محمد ﷺبقوله: ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ﴾[1]، ومعنى دان نفسَهُ أي حاسبها، أي فالكيسُ العارفُ الحَاذِقُ حذاقةً سريةً، الفطن فطنةً ربانيةً، الذي فاق أقرانَهُ من الرجال الأكابر، هو الذي أشهدك منه أنواعُ الفضائلِ [بل][2] وأطلعَكَ من سرائر القلوب، وكشفَ لك مكنونات الغيوبِ على **طائِلٍ**، فشاهدت أسرارَهُ واقتبست أنوارَهُ، فأضاءت مصابيحُ ملكوتيته في فؤادك، وشربْتَ من إمداداته [الغيبية][3] ما أوفى بمرادك، فاكتسبت من فضائله وحسنِ عوائدِهِ ما تتزينُ به و تتوشَّحُ وتَرْشُدَ به وتَرْشَحُ، فتكونَ إنسانا روحانيا وهيكلا رحمانيا، تُقْتبس منك الأسرارُ وتستفيدُ العبيد والأحرار، ومع هذا فذلك الكيس الذي أطلعك على بعض ما يَشهدُ لك بالخصوصية ويوجب لك معه صدق العبودية، متغافلٌ (متغافلا: حال) عن أَفضالك ومتزاهدٌ (متزاهدا حال) في أحوالك حسبما تقتضيه قوانين التربية الاصطلاحية، فإنهم يُظهرون للمريد من أحوالهم ما يناسب حالَهُ، كما شاهدناه في الأستاذ المؤلف قدس الله سره، فإنا كنا نشاهد أحوالا سِنِيَّةً يقظانيةً أو منامية فيداخلُنَا من الفرح بها ما يناسب المقامَ، حتى إذا قدمناها له بالحكاية والإخبار، قل أن يُظْهر الفرح والاكتراثَ والمبالاةَ بها، وإنما يتغافل و يتزاهد فيها، وما

---

(1) **انظر: مسند الإمام أحمد**، ج4، ص24 . **انظر**: البيهقي، **السنن الكبرى**، ج3، ص369. و**مستدرك الحاكم**، ج1، ص57.

(2) في مخ: ساقطة.

(3) في حج: الغيبة.

ذلك إلا ليُقِلَّ فَرَحَنَا بها وتسقُّطَ من أعيننا، فنزداد في الخدمة أو نثبتَ في المقام، فجزاه الله خيرا من خبير وإمام، لقد عجزت النسوة أن يلدن مثله بعده.

نعم، وقد عرفتَ أن مدار الطريق على قطع العلائق من القلب **رأسًا**، وعدمُ تغافل الشيوخ عن إحسان مريدهم وأَفضالهم موجبٌ لإعجابهم بأحوالهم وأعمالهم، وذلك عين تِيهِهِمْ وإهمالهم، فعملُ الكُمَّلِ من الرجال مع مريده على إسقاط المقامات والمنازل العلية من عينه، ليحصل له صدقُ العبودية مع الربوبية، وإن كان تشوفُ النفوس في أول بدايتها إلى المنازل والكرامات غيرُ مُضِرٍ، فلكل مقام مقالٌ، إذ حسنات الأبرار سيئآت المقربين، والأكابر إشاراتهم عليةُ المرْتَقَى، كما قال في الهمزية:

رامقا طرفَهُ السمَاءَ ومَرْمَى * عينٍ من شأنِهِ العلوُّ العَلاَءُ

وقد كانت عادةُ المؤلف ﷺكثرة الإرشاد لإخوانه، لا سيما عند اجتماعهم عليه في الزيارة في المواسم والأعياد، ومن جملتها بقوله لهم: يا معشر الإخوان صححوا أوانِيَّكُمْ، ومن جاء بنية رجع بها، ومن رشح إيناؤُهُ فلا يلومن إلا نفسه، ومرادُهُ بالأواني النياتُ، فمن صحت نيته تمت أمنيته ومن لا فلا، وتارةٌ يقع منه في معرض الزجر العام والمرادُ الخصوصُ لمن كشف له عن سريرته بنافذ بصيرته، أيها الإخوان صرنا ذئابا في ثيابٍ، ثم يختم مذاكرته ووعظَهُ بالبشائر العظيمة والتحف الجسيمة أقله عنده مغفرة الذنوب، لأنه يقول: ليس غرضُنَا في الاجتماع مجردُ المغفرة فهي شيء سهل، بل الغرضُ فتحُ البصائرِ واستنارةُ السرائر ونحو ذلك، وما ذلك إلا تحذيرا وتبشيرا ليُقْلِعَ المسيء عن إساءته وطغيانه، ويزداد المحسن في إحسانه، والله ولي التوفيق. ثم قال:

الحكمة السابعة والعشرون بعد المائة

قال ﷺ:

- **فالشيخُ المعتنَى به من إذا رمقَ خجلت له القلوبُ، وإذا تَنَفَّسَ تَفَتَّقَتْ له الغيوبُ.**

قال الشارح:

أي: فحالُ الشيخ الكامل الذي يجبُ عليك الاعتناءُ به، والتوجهُ إليه والوقوفُ ببابه والاستغناءُ به عن أشكَالِهِ وأضرابِهِ، هو الذي إذا رمقَ ببصر بصيرته عوالِمَ القلُوبِ أخجلَهَا، وإذا لَمَعَ بَرْقُ أنواره على الأَكِنَّةِأوجلها، تَحُدُثُ عند مكافحته الخشيةُ والمهابةُ لما عليه سِرُّهُ من الجلالة الإلهية والسلطنة الربانية، فإذا داخل القلوبَ من جنود أنواره كثر زهرتها، وتغير من الباطل إلى الحق حالُهَا، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1]، فإفسادُهُمْ هو عينُ الإصلاحِ وقهرُهُمْ

[1] الآية 34 سورة النمل.

هو نفسُ الفلاحِ، كما أن الشيخَ الذي يجب الاعتناءُ به والاقتداءُ به والاهتداءُ بهديه، هو الذي إذا تنفس بأنفاسٍ ربانية وتجلى بتجليات رحمانية على رَتْقِ القلوب فَتَقَ رَتْقَهَا، وعن العيوبِ أوجبَ كشفَهَا وخرقَهَا، لأن القلوبَ محجوبةٌ عن ربها بسبعين حجابا أو سبعين ألف حجاب من نور وظلمة كما قال ﷺ: ﴿ إن بين العبد وربه سبعين حجاب – وفي رواية– سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سَبَحَاتِ وجهه ما انتهى إليه بصرُهُ من خلقه ﴾[1]أو كما قال.

والمرادُ بالحجب الموانعُ التي تمنعُ البصائر عن الشهود، وتَحْجُبُ القلوبَ عن اليقظة والوجود، فلا يزالُ يُرَقِّيَكَ بأنفاس كماله ويُرَحِّلَكَ بإخلاص حاله ويَدُلُّكَ على ربك بسره ومقاله، حتى تَعْرَفَهُ حق معرِفَتِهِ وذلك غايةُ المرادِ، فإن توجهت إلى الأغيار الكونية بهمته أو إلى الأسرار العينية بجلالة قهريته أزال لَيْلَهَا ورواقها واطلع شمسهَا وبَيَّنَ أسواقها، اقتباسا من قوله ﷺحاكيا عن ربه ﷻ: ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾[2] الحديثَ. فمن كان هذا تَحَلِّيهِ يكون أعظمَ مما تقدم للمريدين تخليه وعليهم تحليه، فأنفاسُهُ شهبٌ ثاقبةٌ ليس لها دون الله حجابٌ، فافهم. ثم قال:

الحكمة الثامنة والعشرون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **من شأن الشيخ المعتنَى به أن يكونَ لرَبِّهِ عارفًا ولِهُمُومِ مُريدِهِ صارفًا.**

قال الشارح:

أي: شأنُ الشيخِ و دأبِهِ وعادتِهِ وثمرةِ الاعتناءِ به والقصدِ إليه، أن يكونَ لربه عارفا ولهموم مريده وعوائقِهِ صارفًا أيْ قاطعًا، فالمريدُ في سفره له مقصدٌ لا بد له منه، وله في ذلك السفرِ مهماتٌ وهمومٌ تعطلُهُ وتقطعُهُ، فالمقصدُ هو الوصولُ إلى الله ﷻ، ويحتاجُ إلى من عَرَفَهُ وعلِمَ دقائِقَهُ وأدركَ حقائِقَهُ، لا يعرفُكَ به إلا من عَرَفَهُ ولا يوصلُكَ إليه إلا من وصَلَهُ، إذ لا يعرفُ السوقَ إلا من تسوَّقَهُ، ولا يُرافِقُ في علم السيرِ ويدلُّ عليه إلا من تَحَقَّقَهُ، فالسبيلُ مُشْتَمِلٌ على همومٍ ومهماتٍ، والدليلُ العارفُ يرفعُ لك المهماتِ ويَحْفَظُكَ عن الملماتِ، فإن وجدت من هذه صفتُهُ فعليك به، وأَلْحِقْ أَثَرَهُ حتى يوصِلَكَ إليه ويوقِفَكَ عليه. ثم قال:

الحكمة التاسعة والعشرون بعد المائة

---

[1] الحديث رواه أبو الشيخ، قال في المختصر سنده ضعيف، وقال ابن الجوزي لا أصل له، وروى الطبراني بإسناد جيد بلفظ: حجابه النور..الخ. **انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، كتاب الصفات، حديث16، ص450. مرجع سابق.

[2] **انظر: صحيح البخاري**: رقاق38. **راجع: إحياء علوم الدين**، ج3، كتب ذم الغرور، ص588. مرجع سابق.

قال رضي الله عنه:

- **لَيْسَ من شــأن الشَّــيْخِ أن يُزَهِّدَكَ في الدنيا ويُرَغِّبَكَ في الآخرة، بل الشــأنُ منهُ أن يُفْنِيَكَ عنهُمَا ويُبْقِيَكَ مع مالِكِهِمَا.**

قال الشارح:

يقول الأشياخُ لهم مراتبُ ومقاماتٌ، وكلُّ من له مقامٌ يدل عليه ويُرشِدُ بالدلالة إليه، والمرادُ من الشيخ الكاملِ توصيلُ مريده إلى أعلى المراتب، وحفظه من الملمات والمعاطب، فمن دلك على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وجعل ذلك نهايةَ المعرفةِ وتمامِ الوصلةِ فليس بشيخ، وإنما الشيخُ الذي يلبسُكَ جلباب الفناء عن الدنيا والآخرة، ويُحَلِيكَ بحلية البقاء مع مالكهما، فالدنيا حجابٌ عن الآخرة والآخرة حجاب عن الله تعالى، فمطمحُ نظر **الأبرار** الوقوفُ على ربوة الزهد في الدنيا والرغبة في ثواب الآخرة، و**المقربون** مطالبون بالخروج عنهُمَا معا والتنقُّلِ منهما، كما وقع لبعضهم في معرض التوفيق على رشده، لو وقفت مع الأولى وهي الدنيا حجبناك عن الثانية وهي الآخرة، ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا، فانظر إلى الفرق بين الأبرار والمقربين، فالشيخُ **البَارُّ** لا تتعدى دلالتُهُ إلى ما ليسَ له من المقامات، وإنما دلالتُهُ و إرشادُهُ إلى الزهد في الدنيا، والمقربُ لا يقتضي حالُهُ ذلك ولا يطاوعُهُ إرشادُه إلى ما هنالك، بل معظمُ غرضه ومبلغُ قصده رحلةُ مريده من الأغيار الكونية رأسا، لأنها بوضعها ظلمة وهو لا يدل من اقتدى به على ما هو غيرٌ، بل يدل على الفناء عنه والانسلاخ منه، حتى لا يرى له وجودا ولا يُعَايِنُ له شهودا، بل نهايتُهُ وصاليةٌ وغاياتُهُ كماليةٌ، فناء بالتخلي وبقاءٌ بالتحلي، فناء بالفقد وبقاء بالوُجْدِ، فناء بالغيبة وبقاء بالهيبة، فناء عن الشهود وبقاء بالوجود، يرى أن ما سوى الله حجابٌ، فمن دلك على الدنيا فقد أعناكَ، ومن دلك على الآخرة فقد أَلْهَاكَ، ومن دَلَّكَ على الله فقد أَغْنَاكَ، من دَلَّكَ على الدنيا فقد خانَكَ وقطعَكَ، ومن دَلَّكَ على الآخرة فقد أَلْهَاكَ ومنعك، ومن دلك على الله فقد هداك ومَتَّعَكَ، فالوقوفُ مع الكون من حيثُ هو حجابٌ مانعٌ عن رب الأرباب، والكامِلُ من الرجال لا يرضى بما يَحْجُبُ مريدَهُ وإن كان من الخيرات ما كان، كما قال ابن عطاء الله: (كلما وقفت همة سالك عند كون من الأكوان إلا ونادتها حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر)[1]، والشيخُ لا يهنأ له عيشٌ ولا يطيبُ له قرارٌ حتى يُفْنِيكَ عمَّا سوى الواحد القهار.

تنبيه: اعلم يا أخي أن أحوالَ السالكينَ ومقاماتِهِمْ مختلفةٌ متباينةٌ، وارتحالُهُمْ في سيرهم لمطلوبهم جارٍ على قانون السير والسلوك إلى ملك الملوك، فربما كانت بعضُ العلل لبعض المريدين أدويةً لبعض والعكسُ، والخبيرُ العارفُ يدل مُتَّبِعَهُ على ما يليق به بحسب مقامه، فمن كان من المريدين في أول سلوكه لا يتأتى له الخروجُ عن الأكوان بالكلية، وإن حرص على ذلك هو أو قدوتُهُ، حتى يقطَعَ بعضَ المفاوز شيئا فشيئا تارة

(1) الحكمة العشرون.

بتارة، فغذاء الرجال لا يَسِيغُهُ الأطفال، بل لا يزال يُرَحِّلُهُ من كون إلى كون ألطَفُ منه، ومن حال إلى حال أشرفُ وأرفعُ منه، حتى يُغَيِّبَهُ عن الأكوان بأسرها، أسرارها وأنوارها أحوالها ومقاماتها بحسب ما يقتضيه ترقيه، فصاحبُ البداية أدويتُهُ علَلُ أرباب النهاية، ألا ترى إلى أن من كان في المقام الأول يداوى بالأدوية المقوية لجيش أنواره، ومن كان في الثاني يعالج بالأدوية المهيجة لينابيع أسراره وهكذا، فتكون مداواته بما بعده حجابا ولا يكون ذلك قادحا، لأنه آخذٌ بعنان همته مُرَغِّبٌ لها، حتى تستغرقَ في مقام العِشْقِ والهيمَانِ، فيفضي به ذلك إلى الفناء عما سوى المحبوبِ، وذلك يفضي إلى البقاءِ بالمطلوب.

فقد بان لك أن لكل مقام مقالاً ولكل ميدانٍ مجالا، فالأستاذُ المؤلف بصدد الكلام مع من هو متوسطٌ أو في الكمالِ عما علمت، أما أرباب البدايات فلهم **المعالَجَةُ والمخادَعَةُ** للنفس، فَكُلُّ **شيء** يرحِلُّهَا من مقامها ويُرَغِّبُهَا فيما بعده، حتى قالوا لا بأس بخداع النفس بالمقامات والكرامات، لأنه يعسُرُ عليهَا الفناءُ والغيبةُ عنهُ والارتحالُ منهُ، إلا بعد الأخذ بالتدريج فافهم. ثم قال:

الحكمة الثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس الشيخُ من يبيحُ لك المباحاتِ، إنما الشيخُ من يقيكَ فيهِنَّ التعلقاتِ، ليس الشيخُ من يُرَغِّبُكَ في المستحسناتِ، بلِ الشَّيْخُ من يُزَهِّدُكَ في التعلقاتِ، ما الشأْنُ منه أن يُحَسِّنَ لك ظواهرَ الطاعاتِ، بل الشأنُ منهُ أن يُرِيحَكَ فيها من الخيالاتِ.**

قال الشارح:

المريدونَ على أَضْرُبٍ وكلٌ يعملُ على ما يليقُ بحاله، فمنهم من يليقُ به التَجَرُّدُ عن الأسبابِ والانقطاعُ بالكلية إلى الملك الوهاب، ومنهم من لا يُسَاعِدُهُ ذلك لضعف حاله عن الصعود إلى رَبْوَةِ التجرُّدِ وخَلْعِ رِبْقَةِ الأسباب من عنقه، أو لقوة باعثه وشدة عزيمته وصحة ربطته مع مالكه، فلا يوثر في باطنه من أسبابه ما يشوشُعليه قلبا ولا يكدر له لُبًّا، ومنهم من له الأسبابُ بدايةٌ والتجردُ نهايةٌ وعكسُهُ، والأمرُ مختلفٌ باطنا كالاختلاف ظاهرًا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[1]فاختلافها في الظاهر دالٌّ **بالأحروية** على الاختلاف في الباطن، فإذا كان ذلك كذلك فالأمر والحمد لله يحتاج إلى من يحقِقُّ حقائقَهُ، ويكشفُ خباياهُ ويُبَيِّنُ دقائقَهُ، وهو الشيخُ الكاملُ العارف بكمالات القلوب وأدويتها، فيصف لكل داء دواءٌ ويعطي لكل ذي حَقٍّ حَقَّهُ، فإن كُنْتَ أيها السالكُ من أهل الأسباب والمعاملات بالاكتساب، فما شيخُكَ من يبيحُ لك إباحةً مطلقةً عن القيود، بل شيخُكَ من يقي قلبَكَ ويحفظَهُ من التعلقات به والاستناد له والاعتماد عليه، فتكون في أسبابك داخلا على باب

(1) الآية 22 سورة الروم.

الإذن، محروسا بعناية التوكل، جالسا على كرسي التفويض، حاكما على أولها بآخرها، ناظرا لباطنها من ظاهرها ولظاهرها من باطنها، فتكونُ في قبضة القهر والتلاشي والفناء، فلا ترى لأفعالك تأثيرا، فَقَطْعُ العلائق القلبية من قلبك، وإعراضُهُ بعدم الالتفات لها والمبالاةُ بها، هو شأنُ من سلك الله به سبيل الهداية والتوفيق، فشيخُكَ من قطعَ عنك العلائق وأخرجك من سجن رؤية الخلائق، كما أنه ليس الشيخُ من يُرَغِّبُكَ ويَحُثُّكَ في الأفعال المستحسنات، ويدلُّكَ على مجرد عملها والوقوفِ معها، بل الشأنُ من الشيخ العارف من يرفعُ قدمَكَ من بساط شهود الأعمال، ويقطعُ نِيَاطَ قلبك عن التعلق بالأحوال، فتعملُهَا بظاهرك وتتخلى عنها بباطنك، وقد قال بعضُ العارفين لبعض المريدين: بماذا كان يأمركم شيخُكُمْ. فقال له: كان يأمرُنَا بكثرة الأعمال ورؤية التقصيرِ.فقال له: قد أمرَكَمْ بالمجسوية المحضةِ، أفلا أمركُمْ بالغيْبَةِ عنها في شهود مُجْرِيهَا ومُرْسِيهَا، فرقَّاهُ **بترياقه** [وشفاه][1] من علة كامن نفاقه، فشيخُهُ لقصورِهِ عنْ درجةِ الكَمَالِ رَغَّبَهُ في كثرة الأعمال، ولم يراع صَفْوَ كدر الأحوال، حتى وافاه من أنعم الله به عليه بالهداية إلى التبري من الحول والقوة، والخروج من رؤية الأفعال ونسبتها إلى فضاء مجريها شهودا و مرسيها وجودا، فشيخُكَ من زَهَّدَكَ في الأعمال مع وجودهَا، و أخرجك عن الأحوال مع ورودها، فمقامُ الأول ينظرُ من طرف خفي إلى مقام الأبرار، ومقام الثاني مطمئِنٌ إلى المقربين الأخيار، ولذلك يقول المؤلف ﷺ: (ليس الشيخ من يحسن لك ظواهر الطاعات، وإنما الشيخ من يريحك فيها من الخيالات)، أي: فالأعمالُ الصالحةُ تنقسم بالنظر إلى فاعلها إلى قسمين: فَمَنْ قنعَ بصوابِهَا وقشورِهَا كان محجوبًا بذلك عن نورها، ومن نفدَتْ هِمَّتُهُ إلى باطنها ووقفت بصيرته على حد صدورها أدرك بحول الله مظهر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، فذهبت عن قلبه خيالاتُهُ وأوهامُهُ، وزالت عن بصر بصيرته أَكِنَّتُهُ وظلامُهُ، فنظر لأفعاله بعين الحقيقة، وشاهدَ أنَّ ما سوى الله باطلٌ، وأنها خيالاتٌ وهميةٌ لا وجودَ لحقيقَتِهَا، بل حقيقتُهَا الفناءُ والتلاشي والذهابُ في الحال والمآل، كما قال ﷺ: ﴿ أصدق كلمة قالها الشاعر **لبيد**[3]:

ألا كلُّ شيء ما خلاَ اللهَ باطلُ * وكل نعيمٍ لا محالةَ زائلُ

﴾. أي فالنعيم الدنيويُّ زائلٌ حقيقةً والنعيم الأخرويُّ زائلٌ حكمًا، لأن أرباب القلوب لا يرون نعيمًا في هذه الدار وفي تلك إلا التمتُّعُ برؤية محبوبهم والسَّبْحُ في رياض حَضَرَاتِهِ وما سوى الله متلاشٍ وذاهبٌ، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[4]، أي: إلا وَجْهُهُ الْمُظْهِرُ لهذه الأشياء الكائنِ مَحَلًا

---

(1) في حج ساقطة.

(2) الآية 96 سورة الصفات.

(3) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري من هوازن قيس، كان من الشعراء المعدودين في الجاهلية، ومعلقته هي الرابعة في المعلقات، ولم ينظمها لأمر أو لحادثة وإنما نظمها بدافع نفسي، فمثل بها في تصويره أخلاقه ومآتيه، الحياة البدوية الساذجة والبدوي الأبي النفس العالي الهمة. **انظر**: الزوزني، **شرح المعلقات السبع**، ص97.

(4) الآية 88 سورة القصص.

لظهور أوليته و آخريته ظاهريته و باطنيته إيجادا وإمدادا جمعا وانفرادا فهو باقٍ غيرُ زائلٍ ولا هالكٍ، إذ لولا بقاؤُهُ بآخريته فيها ما ظهر زوالُهَا ولا تلاشيها، فالنهارُ يظهر بوجود الليل والليل يَظْهَرُ بوجود النهار، فالأكوانُ بوضعهَا ظلمةٌ والحقُّ جل جلاله نورٌ، فظهورُ ظلمةِ الكونِ بإشراقِ شمسِ الحقِّ فيه، قال ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] قال ابن عطاء الله:(الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه)[2].

وبالجملة: فإطلاق المؤلف ﷺ التعلقاتِ على الالتفاتَاتِ والوقوفُ مع المستحسناتِ، فيه نوع ترقٍ وتدريجٍ بحسب الإشارةِ في غاية الإفادةِ، و هو قريبٌ من بعضهِ بعضا فعليك به تستفيد. ثم قال:

الحكمة الحادية والثلاثون بعد المائة

قال ﷺ:

- **ما الشَأْنُ أن يُخَلِيَّكَ في استقامة الظاهر، بل الشأنُ أن يُحَلِّيَ قلبكَ بترك الخواطرِ.**

قال الشارح:

أي: ليس شأنُ كاملِ الأشياخِ العارفِ بحقائقِ الأمورِ، أن يتركَكَ يا مريدُ مكبولا في شبكة الاستقامة على الأعمال الظاهرة، من غير سعيٍ منه في **بَهْرَجِتَهَا** وتخليصِهَا من شوائبِهَا القادحة فيها، بل الشأنُ منه أن يُحَلِّيَ قلبَكَ بحلية الخروج عن اختلافات الخواطر الرديَّة، حقيقةً لأرباب البداياتِ وحُكْمًا لأرباب النهاياتِ، فتحليةُ الظواهر مركز أقدام الأبرار وتحليةُ البواطن مَعْشَشُ أرواح المقربين، فلا يقف لهم نظرٌ إلا في برزخهم كالأرواح، عالَمُهَا ملكوتيٌّ في هذه الدار وفي تلك، فلا تزالُ أهلُ المقاماتِ الروحانيةِ في نفوذٍ لبصائر بصائرهم إلى [مَكْنُونَاتِ][3] ملكوت الأسرار الباطنة، إلى أن يرجع إليهم طَرْفُهُمْ **خاسئا** وهو **حسير** من حضرة العجز عن الإدراك إدراكٌ، فالشيخُ العارف لا يقنع لمريده بمجرد الوقوف على استقامة ظواهر الأعمال دون الظَّفَرِ بمكنونات حقائقِهَا ومغيبات أسرارها ودقائقها، ثم يُخْرِجُكَ من سجن ما يقع لك فيها من الخواطر الالتفاتية والتلذذات النفسانية القادحة في العبودية المحضة، كيف والعبوديةُ تحريرُ البواطن والأسرار من الأغيار الكونية والأكدار، ورؤيةِ العملِ وجولانُ الخواطر فيها، فمشاهدةُ إثباتِ وجودها منك شَوْبٌ نفسانيَ ّ وغرض حيوانيٌّ، وإلا لخرجتَ عنها بالكلية، فاسترحتَ راحةً أبديةً وتنعمتَ نِعْمَاتٍ سرمدية، قال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[4]، فإخلاصُكَ العملَ له هو التَبَرِّي من

---

(1) الآية 35 سورة النور.

(2) الحكمة الرابعة عشرة.

(3) في حج: مكونات.

(4) سورة البينة، الآية 5.

شهود حولك وقوتك فيه والتحلي بحوله وقوته، ثم خروجُك عن الشهودِ استهلاكًا في أُحْدَيَةِ الوجود، ثم وجودٌ في شهود وشهودٌ في وجود، فالأول فناءٌ والثاني فناءٌ عن الفناءِ والثالثُ بقاءٌ، فافهم. ثم قال:

الحكمة الثانية والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **من لم يُرَحِّلْكَ من الظاهر إلى الباطن، ومن الباطن إلى ما بطنَ فيه، ليس بدليلٍ.**

قال الشارح:

أي: فالشيخُ الكاملُ من يسافر بسر مريده من ظواهر الأمور إلى ملكوت بواطنِهَا، ثم ينقُلُهُ من بواطنها إلى حَدَقَةِ ما بطن فيها، فعالَمُ الظواهر مشهدُ المحبوبينَ، وباطنُهَا مشهد المكاشَفِينَ، وباطنُ باطنها مشهدُ الفانين، فأول تدريجات السائر حلُولُهُ في مقام إدراك ظواهر الأعمال وتحسينُهَا، ثم رحلتُهُ إلى شهود بواطِنِهَا والاطلاعُ على خبايا مُغَيَّبَاتِهَا، ثم استغراقُهُ في باطن باطنها، وهو الإشراف على مكنون شهود مجريها ومرسيها، وذلك سرُّ سِرِّ الأعمالِ إدراكًا للباقي وُجُودًا وغيبةً للفاني شهودًا، فمن صحبك في رحلتك حتى أخرجك من أخطارك الثلاثِ هو الدليلُ العارفُ، فَعَضَّ عليه بنواجذ صِحَّةِ رَبْطِكَ معه، ومن لم يكن له معك ذلك فليس هو بدليل ولا معرفة له بالترحيل، فَخُذْ حِذْرَكَ من غروره واحتفظ من ظِلِّهِ وحَرُورِهِ، فالسبيلُ يحتاجُ إلى مخبر ودليل، ومن لم يَسْلُكْهَا فهو معذورٌ بجهله والله ولي الهداية والتوفيق. ثم قال:

الحكمة الثالثةوالثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **الدليلُ من دَلَّكَ على الله بالله و إلا فاجتهدْ في طَلَبِهِ.**

قال الشارح:

يقول: ليس كلُّ من انتصبَ للدلالة وتعريف السبيل بمخبر ودليل، وإنما الدليلُ الذي تُرَاعَى دلالتُهُ وتُحْفَظُ عنه إشارَتُهُ، من دلك على معرفة الحق بالحق وأخرجكَ من مفاوز علائق الخلق، دلالتُهُ ربانيةٌ وتدريجاتُهُ عرفانيةٌ، علمُهُ لَدُنِيٌّ وحالُهُ رحمانِيٌّ، لا يرضى بوقوف قدم قلبك على ظل الأغيار الكونية، ولا يستقرُّ بسرك في أودية الأنوار العينية، كلما وقفت همتُكَ على طالع من أنواع الشهود، ناداك من ورائها في أذن قلبك أن الذي تطلبُ أمامَكَ إنما هي فتنَةٌ فلا تكفر، كما قال ابن عطاء الله: (ما وقفت همة السالك عند كون من الأكوان إلا ونادته حقائقها أن الذي تطلب أمامك إنما نحن فتنة فلا تكفر)[1].

---

[1] **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص107 مع اختلاف في اللفظ.

والعارفُ من المشايخ لا يدل مريدَهُ على الحق بالخلق، هذا إن كان سالكا وأما إن كان مجذوبا فدليلُهُ هو الحقُّ جل جلالُهُ بحذف الوسائط بينه وبينه، وليس كلُّ السالكين دلالتهم على الله بالله من أول حالٍ، بل حالُ الابتداءِ يسْتَدِلُّ على المؤثر بالأثر، إلى أن يتمكن من سره شهودا ويدركُه في قلبه وجودا، فَيَحُلُّ في تجلي الأفعال، فحينئذٍ يَعْلَى بهمته إلى تجلي الصفاتِ فيشاهدُ صفاتَ الحقِّ بالحقِّ في مظهر مدارك الخلق، ثم إلى مقام تجليات الأسماء، فلا يكون لمن ترقى من مقام تجليات الأفعال إلى ما فوقَهُ شهودٌ إلا لله بالله لغلبة الحقيقة عليه، فيشهدُ أَنَّ جميعَ ما يواجهُهُ حقٌّ باطنٌ في خلقٍ، فيكونُ إنسانيَّ الذاتِ روحانيَّ الحقائق والصفات، فدلالةُ المريد تكونُ على قَدْرِ حالِهِ في إدارته وإرشاده على حسب قَوَّتِهِ في إمداده، قد علم كل أناس مشربهم، فهم في قربهم على وِفْقِ شُرْبِهِمْ، فَسُكارى الشراب ليسوا على حال واحد في [نشاطهم][1] وطربهم، فكذلك أهل هذا الشأن شهودهم مختلفٌ، كما أن نور الأبصار مختلف فنورُ البصائر كذلك، والدلالة من الدليل العارف تكون بقدر ما يُطيقه المدلولُ ليَتَكَمَّلَ حالُه ويصفو مآلُه، فإن وجدت يا مريدُ من سَمَتْ همته وكانت دلالتُهُ على الله بالله ظَفِرْتَ به واحتظَيْتَ بقربه، وأن لا تجدُهُ فانهضْ وشَمِّرْ وَجِدَّ واجتهِدْ في طلبه، لأن من كان في شِرَكِ الخلق لا يستطيعُ الدلالةَ على الحقِّ، لأنه يَعْبُرُ المقام الذي هو فيه وإن اجْتَلَبَهُ ولابد وتصنع به لا يثبت له كما قالوا: تعرفُ عقول الرجال في تصانيفهم وتصاريفهم، ومن ادعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان، وحيث وصل التنويرُ وصلَ التعبيرُ، فمن جلس على بساط الأُحْدِيَةِ واستهللت صفاتُهُ في الصفات الصَّمَدِيَّةِ، وكانت جمعيتُهُ في الحضرة العنديةِ، تفيضُ من قلبه ينابيعُ أسراره وتُشْرِقُ على ظاهره مكنوناتُ أنواره، فيرى مريدَهُ جوهَرَةَ ملكوتِ الوحدانيةِ في صدفةِ مُلْكِ الأغيار الكونية، فَيُطْوِي له معالمَهَا إلى أن تفنى وتتلاشى فلا يرى إلا الله بالله شهودا، ثم الغيبةُ عنه فناءً عن فنائه الأول، ثم يرجِعُ إلى إحساسه ويخوضُ في بحره على قَدْرِ انغماسه قائلا: يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي، هذا حالُ أهل الكمال في سيرهم مع مَرْقَاهُمْ في عالم سرهم، وأما غيرهم فلا قدرة لهم على السير في **زاخر** بحار الحقيقة أصلا، ولا يناسبهم إلا اتباعُ العارفين المدركين، وذلك أسلم لهم ولمريديهم والله المستعان. ثم قال:

شروط المريد وآدابه

الحكمة الرابعة والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **من أين لك المعرفةُ حتى تعرفَ الدليلَ، لأن الدليلَ لا يُسْتَدَلُّ عليه إلا بالمدلول عليهِ.**

قال الشارح:

[1] في كل من حج، و مخ: نشاتهم.

قد عرفت أن الخصوصية أمر سري باطني مكنون في أصداف البشرية، ومنحجب في خفايا الأكنة السرية، والدلالة الصادقة لا يدركها بفضل الله إلا أهل الهمم السابقة، فالدليل العارف كامن كمون الزبد في اللبن لكثرة أمثاله وتعدد أشكاله، إن هو إلا بشر مثلنا فلا نستطيع معرفة الدليل لعدم ما يدل عليه، ونفس الدلالة حال رباني لا وجود له في الخارج حتى يدرك فيعرف صاحبها، فلا تعرف الدليل حتى تعرف وجود دلالته، وذلك أمر خفي لا مجال للعقل فيه إلا بحسن الظن وجميل الاعتقاد، وكان الأستاذ المؤلف رضي الله عنه كثيرا ما يقول، معرفة الولي أصعب من معرفة الله ﷻ، لأن معرفة الله ﷻ لها دلائلُ وبراهين تدل عليه بخلاف الولي، وقال ابن عطاء الله: (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية)[1]، والخصوصية أمر سري لا إدراك لها ولا دليل يدل عليها دلالة قطعية، وإلا فشيء في الجملة كائن والحمد لله، أي ليس الدلالة على الخصوصية لها براهين قاطعة تدل عليها لوجود المثلية واحتمال حصول النقص، بخلاف صفات الحق جل جلاله فكلاهما منتف، فالدلالات عليه قطعية وآثاره أنواره بخلاف الولي، فالمثلية والكثرة أوجبتا احتمال عدم الخصوصية و**الأثرة** وما ذلك على الله بعزيز، فالدليل لمن سلك بسره سبيل الهداية هو الله ﷻ، يدل من اصطفاه على معرفة دليله المصاحب له في مقامه ورحيله، ولا يعرف الدليل إلا بمعرفة مظهر دلالته، ومظهر الدلالة أمر صعب إلا لمن يسره الله عليه ببراءة سره من **اختلاجات** القلب وتلاطم أمواج الخواطر المانعة من سير سفينة القلب في بحر الحقائق الربانية في نهار العلوم العرفانية، وقد ينعم الله على بعض بإدراك حقيقة الدلالة، فيكون من أنواع المجذوبين ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم والله أعلم، ثم قال:

الحكمةالخامسة والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس المريدُ من يريدُ لنفسه، وإنما المريدُ من تُرَادُ منه نَفْسُهُ، الإرادةُ منكَ لنفسكَ قبيحةٌ و إرادةُ الله منكَ نَفْسَكَ حسنةٌ، فلتُرِدْ لنفسك ما يريدُهُ رَبُّهَا منها وإلا فأنتَ لستَ بمرادٍ.**

قال الشارح:

يقول: الإرادة بحسب من يَتَّسِمُ بها ويتعلق بأسبابها على ضربين، وتنقسم بحسب الباعث والوارد إلى قسمين، فإرادةُ الإنسانِ الأمرَ لا يخلو من أن يكونَ بقصدٍ ربانيّ أو بقصد نفساني، والباعثُ على ذلك يَدُلُّ على سِرِّ ما هنالك، والخاطرُ الحَالُّ في القلب أولا هو الذي ينتهي إليه الأمرُ آخرًا، وإن كان يكمُنُ ويخفَى عَمَّنْ لا حذاقَةَ سِرِّيَةَ عنده، ولا **ذوقاً** صحيحاً يُمِيزُ به الخبيث من الطيب، فيعملُ عليه ويدركُ الحالَ والمآلَ الذي ينتهي الأمر إليه، فالمريدُ إن دخلَ الأمور بنفسه لا بربه وطلَبُهَا لنفسه وقصدِ حصول غرضه

(1) الحكمة الثامنة بعد المئة.

وحظه فليس هو بمريد، ولا ينتظمُ في سلك الإرادة، وإن حاولَ أمورَهُ ودخلَهَا بربه واستعانَ به، وقصدَ التقرب إليه خارجا عن حظوظه ومراداته فهي الإرادةُ الحسنةُ التي تُحْمَدُ عاقبتُهَا، ويكونُ مآلُهَا إلى خير؛ لأن إرادتَكَ أيها الإنسانُ نفسُكَ وسعيُكَ في حظوظها واتباع أغراضها، ركونٌ إلى الهوى الذي نهى الله ورسوله ﷺعنه إذ قال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(1)، وقوله ﷺ:﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ﴾(2) أوكما قال.

فنهيُ النفس عن هواها واتباعِهَا في مراداتها ونَيْلِ شهواتها، متعينٌ على من أراد دخول جنةِ هذه الدار إذ هو واقفٌ بين يديه غاديا رائحا إليه، يوجبُ له دخولَ الجنة المعجلة التي تورثه الراحةَ الأبديةَ والتنعماتِ السرمديةِ، التي لا حظ للنفس فيها بل هي للروح المحمَّدَي، وأما اتباعُ النفس في إرادتها و أهويتها فهو موجبٌ لإيثار نارِ الشهواتِ وتراكم الكَدُرَاتِ على القلب والظلماتِ، ولا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، وانظر للحديث الشريف حيث يقول: ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ﴾، وما لاحَ إليه سِرُّهُ فإنه يقول بمضمون باطنه: العارفُ من حاسب نفسَهُ عن جميع أغراضها محمودةً أو مذمومةً، ولاحَظَّ ما بعد موتها عن شهواتها ومراداتها، وذلك هو النعيمُ الروحاني المقدس عن الشوب النفساني والغرض الحيواني، عاملا بقوله ﷺ: ﴿ لن يرى أحدكم ربه حتى يموت ﴾(3)، فكما أنه لا يراه في تلك الدار الباقية إلا بخروجه من سجن هذه الدار الفانية، فكذلك لا يراه ولا يشاهدُه في هذه الدار ما دام في شبكة علائقه [مُكَبَّلاً](4) بِشِرَكِ [حياةِ](5) شهواته حتى يموت بالخروج عنها والترقي من دَرَكِهَا، فالعاملُ على ما بعدَ موته الاختيارية أو الاضطرارية كيسٌ والعاجزُ ضِدُّهُ، ومن أراد أمرا بغير مراد ربه بل بمراد نفسه ونَيْلِ حَظِّهَا فليس بمريد، فضلا عن أن يكون مُرَادًا، ولو عقلتَ وعن ربّكَ فَهِمْتَ لَأَدْخَلْتَ إرادتَهُ القديمةَ الأزليةَ على إرادتك الحادثةِ الدَنِيَّةِ، فتكونَ به وإليه ومنه وعليه، فتُدْخِلَ أمورَكَ بصدق وتُخْرِجَهَا بصدقٍ، وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق، فلا تزالُ تعاني نفسَكَ وتعالجَهَا حتى تتحمل شهودا [أبقته](6) إرادة الله لا إرادتُك، فتستريحُ من تعب إرادتكَ واختيارِكَ وتدبيرِكَ، وترى العونَ من الله لكَ وتيسيرَ أسبابكَ وتُفْتَحُ لك أبوابُكَ، فلا تزالُ كذلك حتى تفنى عن مرادك وتبقى بمراد ربك، فتكونُ والحمد لله مرادا خارجا عن إرادتك بأسرها وجودا وشهودا، فإن كنت على هذا الوصف كانت نفسُكَ منك مرادةً مسلوبًا عنها، تدبيرُهَا واختيارُهَا متبرِّئَةً من تعب حولها وقوتها في شهود مجراهاومرساها،

---

(1) الآية 40-41 سورة النازعات.

(2) **انظر: مسند الإمام أحمد**، ج4، ص24. و البيهقي ج3، ص369.

(3) **انظر: صحيح مسلم**، الفتن ب19 رقم 95، **انظر:مسند أحمد بن حنبل**، ج5، ص433.

(4) في مخ: مكبولا.

(5) في مخ: حيات.

(6) كذا في: حج.

قال ابن عطاء الله: (ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أن طالبه بنفسك)[1]، فاختر لنفسك ما يختاره ربها لها فتكون مختارا مرادا محفوظا وبالعناية ملحوظا. ثم قال:

الحكمة السادسة والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **فاحترم مُرَبِيَّكَ إنْ أردت التربيةَ تجتني منهُ كلَّ ما تريدُ.**

قال الشارح:

قد علمت مما مر أن المشايخَ هم مفتاحُ كلِّ خيرٍ، وعلى أيديهم تدخُلُ الإمداداتُ الإلهية، ومنهم تُسْتَمْنَحُ الإلطافاتُ السريةُ، لا سيما أهل **التربية** منهم، ممن له مكانةٌ في ترقية المريدين وتزكية قلوبهم وأسرارهم وإفاضة إمداداتهم وإشراق أنوارهم، وملاكُ الأمرِ في حسن الأدب معهم ومراعات كراماتهم وإجلالهم وتوقيرهم، حسبما هو معلوم بين أهل الأدب و**السَّيْرِ** والسُّلُوكِ مع الرب جل جلاله، فمن نظر إلى **مربيه** بعين الاحترام والإجلال نال بغيته في الحال والمآل، واجتنى منهُ ثمراتِ معاملاتِهِ وتنعم على يديه بضروب نفحاته، لأن الله تعالى يراعي قلوب المريدين وينقدُهَا فإن وجد فيها الأدب مع أوليائه والاحترام لأصفيائه أفاض فيها ينابيع أسراره، وملأها بشموس أنواره، وإن وجد فيها غيرَ ذلك مَقَتَ صاحبَهُ ولم ينل مرغوبَهُ ولا مطالبَهُ غَيْرَةً من الله تعالى على أوليائه، لأنهم نُخْبَتُهُ من عباده وخاصَّتُهُ في بلاده، فهم شموسُ العالَمِ وكواكِبُهُ وأقمارُهُ، ومن أسرارهم تَزْخَرُ بُحُورُ مواهبه وتشرقُ أنوارُهُ، فمنهمُ الربْحُ وضدُّهُ، فالاعتقادُ فيهم عنايةٌ والانتقادُ فيهم جنايَةٌ، فعليك باحترامهم وإجلالهم وإكرامهم، وتَمَسَّكْ بالظن الجميل في عوامهم أحرى خواصَّهَمْ، لأنهم أقمارُ الفَلَكِ الروحاني ولا يستقيمُ سَيْرُ سِرِّهِ إلا في فضاء حقائقهم، حتى إنَّهُ ينكشِفُ لبعضِهِمْ على حقيقته الروحانية أنه هو المِلْكُ والملكُوتُ، وأَنَّ إمدادات الكُلِّ جاريةٌ على يَدَيْهِ وأن لا شيءَ سِوَاهُ، كما يقع لأهل مقام الفناء الأول بخلاف صاحب البقاء، فإنه أَجَلُّ من هؤلاء لنظرهم لِلْحَقِّ والخَلْقِ لا يَشْغَلُهُمْ شأنٌ عن شأنٍ، فلا الوحدةُ تَحْجُبُهُمْ عن الكثرةِ ولا الكثرةُ تحجُبُهُمْ عنِ الوحدةِ، نعم وأولياء الله هم حُرُمَاتُهُ وشعائِرُهُ المشارُ إليهم بقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ... ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ. لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[2]، فتعظيمُ الحرماتِ كفيلٌ بالخيرات، وتعظيمُ الشعائِرِ نتيجتُهُ تَقْوَى القلوب، لا مجردُ تقوى الظواهرِ جزاءً وفاقاً، لأن محلَّ التعظيم والإجلال القلبُ، فكانت فائدتُهُ ترجعُ إلى ذلك المحلِّ الذي بَدَتْ منه، ثم أَنِسَ أهلُ المعاملات بوعده الكريم فقال: لكم فيها أي: في التقوى منافع إلى أجل مسمى، فمنهم من له جزاؤُهُ في تعظيم الشعائر مُعَجَّلاً في الحال، ومنهم من تأخر له في المآل، كما ضمن الإجابةَ بالوقت الذي يريدُ لا بالوقت الذي

---

[1] **انظر**: ابن عباد، **مرجع سابق**، ج1، ص117.

[2] الآية 30- 33 سورة الحج.

نُريدُ، فبعضهم بفتح بصيرته وإصلاح سريرته تصفيةً للباطن واستقامةً للظاهر، فلا يزالُ احترامُهُمْ وتعظيمُهُمْ آخذًا بعنان القلوب حتى يُنيخَ رواحلهَا لدى البيتِ العتيقِ، التي هي كنايةٌ عن حضرة علام الغيوب، ثم إن مطالبَ الناس مختلفةٌ وأغراضَهَمْ متباينةٌ، فمنهم من همته عليةُ المرام ومنهم غير ذلك، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه، فمن هاجر إليهم لغرض نالهُ ببركاتهم كائنا ما كان، يشهد له سر قوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[1]، أي لكل أمة وجماعة جعلنا غرضا في قلوبهم هم محصلوه، جعلنا الله ممن حَسُنَ قَصْدُهُ وسَلِمَ وفَازَ وَفْدَهُ بِمَنِّهِ وكرمه آمين. ثم قال:

الحكمة السابعة والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تَحْسِبَنَّ التربيةَ أنت تُقِيمُهَا وإنما هي لصاحبها فريدٌ، لا تَفْقِدَنَّ مربيك وهو في الوجود، فإن فقدتَهُ فالفقدُ منك إليك يعودُ، إن فقدتَ نفسكَ في وجود مربيكَ فلكَ السبقُ لكل مشهودٍ.**

قال الشارح:

يقول: إياك ودعوى إقامة التربيةِ من نفسك لنفسك من دون صاحبها، فإن صاحبها الوارثُ لها القائمُ في مقامها فردٌ لا تستقيمُ التربيةُ لأحدٍ دونَهُ، فالمريدُ بمثابة الرضيع والمربي بمثابة الأمِّ المرضعة، فالولدُ لا يستقيمُ له حالٌ بدون رضاعِ أُمِّهِ ولا كفالتِهَا وتدريجِ أحوالِهِ منها، فإن كانت الأمُّ ذاتَ لبنٍ غزيرٍ وهي صحيحةُ المزَاجِ كان الولد في تربيتها على أحسن أحواله، فكذلكَ الشيخُ المربي إن كانت أسرارُهُ دافقةً وأنوارُهُ شارقةً يكونُ مَرْبَاهُ بتلك الصفةِ، كما قيل: إن الرضاع يغيرُ الطِّبَاع أي يغيرها إلى الحُسْنِ والجودة إن كان سليمَ الفطرةِ زَكِيَّ السرِّ وبالعكس إن كان الضدُّ، وإياك أن تفقد مربيك بإدبارك عليه وإعراضك بقلبك عنه، وهو على ظهر الوجود فإنه هو الشاهدُ والمشهودُ، ألا ترى أنَّ الرضيعَ إن كانت أُمُّهُ موجودةً يفقدُ في وجودها كلَّ موجود ولا يركنُ إلى غيرها أصلا، بل لا يرى إلا هي، حتى أنه إذا عاين ما ليس بإنسان من الحيوانات وغيرها ظنه أمه وذلك لغيبته عمَّا سواهَا، فكذلك المريدُ مع مُرَبِّيهِ ينبغي له بل يجب عليه أن لا يرى سوى أستاذِهِ ولا يطمَحُ بنظره إلى غيره، فهو أَوَّلُ درجاتِ حصولِ الوحدانِيَةِ في قلب السالكِ وبذلك يصلُ إلى وحدانِيَةِ الجليل جل جلالُهُ، فمن عَمِلَ على هذا نال فائدةَ صحبَتِهِ وانتفع بوصلته وقربته حقَّ الانتفاع، وعَمَّتْ شُمُسُ أنواره كلَّ البقاع، ومن التفتَ إلى غير مُرَبِّيهِ في وُجُودِهِ ورأى غَيْرَهُ في عالَمِ شهودِهِ فَقَدَهُ وهو في عالَمِ مظْهَرِ الوُجُودِ، وَحَرُمَ مَدَدَهُ ونُودِيَ عليهِ بالإعراض والصدود عياذا

---

[1] الآية 67 سورة الحج .

بالله، وذلك أنه يشتغِلُ قلبُهُ ويتعلقُ خاطرهُ بغيره فَيَتِيْهُ إذ ذاك في أودية الفكرة في أحوال قدوته راغبا في التطلع عليها، الموجِبِ لهُ الوَسْوَسَةُ المؤدَيَّةُ للطعن فيه والانتقاد عليه، فيراعِي بقلبه من هو أفضلُ منه ليستمد من أسراره ويستضيءُ بأنواره، فتدركُهُ الحَيْرَةُ في مفاوز المثليةِ فَيُحْجَبُ عن خصوصية إمامه بشُومِ نقده عليه، فلا يرى أثرًا فيرومُ بعد ذلك الاقتداءَ بغيره زعما منه أنه ينفعُهُ ويكفُلُهُ وليس كذلك، إذ لا يُكْفَلُ إلا من هو يتيمُ الأب، وهذا الذي الْتَفَتَ إلى غير قُدوته مع وجودِهِ، فإنما يُتْمُهُ من عدم عقله وهو عين الخسران، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن فعلتَ ما به أُمرت واجتنبتَ ما منه حُذِّرْتَ فذاك، وإن لم تفعل فوبالُ أمركَ راجعٌ إليك والفَقْدُ حينئذٍ منك مبدؤُهُ وإليك يرجِعُ ويعودُ، فالفقدُ هو عدم النفع به والاستمداد منه ولو كان على ظاهر الوجود، وعكسُهُ هو عين الفلاح به والفوزُ ولو كان في عالَمِ الفَقْدِ، فإن فقدتَ نفسك بعزلها عن جميع مُرَادَاتِهَا، وجعل عَنَاتِهَا بِيَدِ قدوتك، وكنتَ فانيا عنها في وجود مُرَبِّيكَ، فلك السبقُ والقدمُ الصدقُ في كل ما هو مشاهدٌ موجودٌ، لكونك خرجت عن سجن كثرةِ أغيارك إلى فضاء شهود أنوارك، وتخليت عن قفص السواءِ وكَبْلِ الأوهام والدعوى، وخرجت عن حظِّ نفسك والهوى إلى ما فيه راحتُكَ الأبديةُ ونِعَمُكَ السرمديةُ، فمتى وجد المريد نفسَهُ فَقَدَ مُرَبِّيَّهُ، ومتى فقدهَا وجده كما قيل: لا يخرجك من الوصف إلا شهود الوصف؛ أي لا يخرجك من وصف نفسك إلا شهود وصف قدوتك، هي بما يليقُ بدناءتها وهو بما يقتضيه كماله، إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون، فملكُ التربية إذا حَلَّ بسلطانه في بساط قلب مريده، وتمكن منه أفسد مملكتَهُ هواهُ، وأخرجهُ من قيوده ودعواه، وكانت جنودُ إيمانه أعزةً بعد الذلة والقهر، وجنودُ الضد أذلةً بعد العز والنصرِ، فإذا صَلَحَتْ مملكة القلب بعد فسادها غَلَتْ سِلَعُهُ من بعد كسادها، وذلك شأن الملوك فافهم.

وهذا من المؤلف ﷺ إرشادٌ إلى التمسك بذيْلِ المربي، يسلُكُ المريد خلفَهُ الجَادَّةَ السِرِيَّةَ، متبرئا من حوله وقوته، ملقيا قِيَادَهُ إلى من تسبَّبَ في وجوده من ظلمة العدم إلى نور الوجود، وأن لا يفقدَهُ وهو في الوجود ويحتجبُ عنه وهو مشهودٌ، فترْكُ الاقتداء رأسا أو تركُهُ مع مُرَبِّيهِ لا يفيدُ صاحبُهُ شيئا ولا يعود عليه بنفع، بل لا بد من ربط قلب المريد بقلب إمامه ابتداءً ودواماً كما في الصلاة، وذلك أن منِ اقتدى بإمام ودخل معه في الصلاة وجب عليه البقاءُ معه إلى تمام صلاته والفراغ منها، فإن رجع إلى إمام غيره مع وجود صحة الاقتداء به، أو رجع إلى الفَذَيَّةِ والحالةُ هذه بَطَلَتْ صلاتُهُ، فكذلك المريد السائر في طريق السير والسلوك إلى ملك الملوك، إن ربط نيته بإمام في التربية وأحرم خلفه بقصد التزكية لزمَهُ البقاء في قِيَادِهِ حتى يفوزَ بفتحه وإمدادِهِ، ويَخْرُجُ عن أَهْوِيَتِهِ وهواجسه وشهواته ومراده، ولا يلتفت إلى غيره من الأشياخ ولا إلى السير وحده من غير قدوة أصلا كالفذ، ما دام مربيه على ظهر الوجود فإنه لا يَنْتَفِعُ بغيره أصلا ولو الخَضِرْ، فإن خرج قدوتُهُ من الدنيا فله حالتان: وذلك أنه لا يخلو من أن يكون في نور الوجود أو لا، فإن كان في نور الوجود بأن خرج من ظلمة أغياره إلى شهود أنواره وقطع من الطريق بعضَهَا وعرف جُلَّ معالِمَهَا، فله أن يسير منفردا دون خبيرٍ إذ خبيرُهُ تخلَّقَ به وتعلَّقَ، وما حُجِبَ عنه منه إلا البشريةُ وهي لا

مَدْخَلَ لها في التَسْلِيكِ، وإنما هو بالروحانية السرية السارية في عالم الأرواح الْمُحْتَجَبُ بملكوتيته عن جواهر الأشياخ، فأنفاسُ مُسَلِّكِهِ تكفِيهِ في حياته وموته، لأنه لا يُتْمَ بعد بلوغ، وما قارب الشيءُ يُعْطَى حُكْمَهُ ومن ناهز الحُلُمَ كان بمثابة من احتلمَ، فكذلك من قارب الوصول حاز الوصول بحول الله وقوته، لأن بقية أحواله ووصاله تكاد أن لا تكون إلا جذبًا، أي كالجذب لسهولة الأمر، ومن كان باقيا في أحشاء أَمَّارَتِهِ أو أمعاء لَوَّامَتِهِ أو بين **وَرَكَي** مُلْهِمَتِهِ وفقد أستاذَهُ، فله حينئذ وعليه أن يطلب بهمته ويستمدَّ منه أن يُرشدَهُ إلى من يُكْمِلُ أحوالَهُ ويُخَلِّصُ بقايَاهُ، فإنه لا طاقة له على المسير في فيافيالقفار دون خبيرٍ لعدم قدرته على الوِحْدَةِ التي قال الرسول ﷺفيها: ﴿ لو تعلمون في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بالليل وحده ﴾[1] أو كما قال؛ فليلُ الجهل بالحال هو الليل المؤدي صاحبَهُ إلى الوقوع فيما تُخشى عاقِبَتُهُ من المهالك، ولذلك قال: التمسوا الرفيق قبل الطريق أي قبل الشروع فيها، أما بعد سلوك أعظمها ومعاينة جُلِّ أحوالها، و تراءى ما إليه المنتهى بحيث لا تخفى عليه آثارُ قصده فله أن يسير وحده.

كما علمت فقد بان لك بهذا وجهُ الفرق بين الحالتين، نعم وقد يلوح لبعضٍ من كلام الأئمة كالأستاذ قدس الله سره أن الكامل من الرجال يُسَلِّكُ المريدين ولو بعد وفاته وأنه على إطلاقه، بلا فرقٍ بين المبتدي ومن هو مُقاربٌ للنهاية كما قال:

يرقي ويربي عند موته حبي * كيف ما كان حيا(2)

أقول والحمد لله: الأمرُ كذلك ولكن ترقية المريدين على قَدْرِ أطوارهم وصفاء أسرارهم، وليسوا على وتيرة واحدة، لأن غذاء الرجال لا يُعطى للأطفال، فالمبتدئُ الذي لم يزل في كَبْلِ البشرية لا يستفيد ولا تتم له الاستفادة إلا من ورائها لأنه محجوبٌ بها ولا بد له من افعل لا تفعل، ومن مُناولَةِ دوائِهِ في ظاهر الحسّ والمشاهدة، وأعظمُ ذلك ما يُعايِنُهُ من المجاهدة والمكابدة، إذ عليه الإخبارُ للقدوة بجميع خواطره ووقائعه، وهو يدُلُّهُ بالمقال ويخبره بالحال ويُلَقِّنُهُ الأسماءَ اللائقةَ بمقامه، وذلك لا بد له منه في السبيل بخلاف غيره، فإنه يستفيد من سر أستاذه بالواسطة وبغيرها لزوال الكثافة على قلبه، وصيرورته شفافا لا يحجبُهُ بعدٌ ولا فَقْدٌ، ولكن الاستفادةُ الحاصلةُ لكل مريد لا سبيلَ له إلى تحصيلها إلا بواسطة قدوته إذ هو السببُ، فكذلك التكفُّلُ بشهوده كما قال في الرحمانية:

كل خير جاءك * تراه من شيخك

---

(1) **انظر: مسند الإمام أحمد ابن حنبل**، ج2، ص86-112.

(2) لم أقف على قائله.

كل [نقص](1) جاءك * من نفسك الموذيا(2)

مثال ذلك: الصبيُّ يتركه أبوه في بطن أمه فكمالُهُ من غذاء أبيه السري، من غير استناد إلى واسطة يَتَكَمَّلُ بها، فإذا خرج إلى الفضاء احتاج إلى من يُدرجُهُ ويُرشدُهُ في مسالكه الظاهرة، بقصد الكفالة والقيام بالأحوال الحسية لا غيرُ، وأما إمداداتُهُ التي هي سببٌ في زياداته فسيرانُهَا للولد إنما هو بواسطة الأب، فكذلك من حيثُ المعنى صبيُّ الطريق فافهم. ثم قال:

الحكمة الثامنة والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **أقامَكَ ربُّكَ للحركات واختارَ منك الســـكناتِ، فَخُذْ من الحركات ما يُسَـــكِّنُكَ ومن السكناتِ ما يُحَرِّكُكَ.**

قال الشارح:

بعد أن فرغ من الكلام على التربية، شرع في الكلام على ما أقام به الجليل جلَّ جلالُه عبيدَهُ فيه وما أرادَهُ منهم، والمعنى أن الله ﷻ أقام العبيد على بساط التحرك في طاعاته واتباع مرضاته، وما أوجدهم إلا إلى ذلك، قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(3) وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾(4)، فلينظرِ العاقلُ إلى ما أقامَهُ رَبُّهُ فيه وطلبَهُ منه، وما ذاك إلا عبادَتَهُ مع الإخلاص فيها و التبري من الحول والقوة منها، ولَمَّا كانَ كُلُّ متحركٍ لا بد له من سكونٍ، قال: واختار منك السكنات أي: لا يكونُ سكونُكَ في حركاتك المطلوبة منك فعلا وتركا إلى غيره، بل طلب منك أن تُحَرِّكَ فُلْكَكَ ظاهرا وباطنا وتُسَيِّرَهُ في طاعاته، واختار منك في نفس التحركِ السكونِ إليه والاعتمادِ عليه والطمأنينَةَ به، فتكونُ شمسُ أعمالِكَ الظاهرةِ والباطنَةِ لا تزالُ سائرةً في فَلَكِهَا العُلْوَيِّ، إلى أَنْ تَنْتَهِيَ إلى مَحَلِّ غيبُوبَتِهَا عنكَ بالإعراض عنها، فتقِفَ عند عرشِ عظمةِ الجليل جل جلالُه ساجدةً حتى يُؤذَنَ لها بالسيرِ في وقتٍ آخر، فذلك الوقوفُ بين يديه والسجودُ له، هو السكونُ عن التَحَرُّكِ والاضطرابِ المناقضِ لوصفِ العبوديةِ، إذ لا يتحركُ العبد بشيءٍ إلا وفيه رضى سيده، ولا يسكُنُ إلا فيما يختارُهُ له ومِنْهُ وإلا فليس بعبد على الحقيقة، ولذلك قال: واختار منك السكناتِ، إذ هي كالنهايةُ والخاتمةُ للعمل والطابعُ

---

(1) في مخ و حج: شر.

(2) **انظر**: الشيخ عبد الرحمان باش تارزي، **المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية**، تصحيح الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص19.

(3) الآية 56 سورة الذاريات.

(4) الآية 5 سورة البينة.

عليه، كما قال: ﴿ إنما الأعمال بالخواتم ﴾[1] والأمر بآخره، فإذا كان آخر الحركة في الطاعة مغياً بغاية السكون إلى مُجْرِي سفينَةِ المرءِ في بحر أقداره، ومرسيها على بَرّ اقتدارِه، كان الأمرُ آيلاً إلى النجاةِ والفوزِ بأعلى الدرجات، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[2] هو باطنُ قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، فهو كالْمُخَصِّصِ لعمومه والموضح لمفهومه، ألا ترى أنه قال: مخلصين له الدين حنفاء، فالعبادة بوضعها تضمنت أنواعَ التحرك في الطاعة كائنةً ما كانت، فهي كالجسد والإخلاصُ كالروح فيها، فيه قوامُ الجسد واستقامتُهُ إلى التحرُّكِ في الطاعة، وقوله: حنفاءَ، خاتمة الأمر وغايتُهُ، فمن كان **حنيفًا** في أعماله وإخلاصه، مائلاً عما سوى ربه في كل أحواله، كان مَقَرُّ روحِهِ في عليين وبرزَخُ خاصَّتِهِ المقربين بوصف السكونِ في عالم الفناء عنها والبقاء به، هذا ما لاح لي والله أعلم بالمراد، وإذا كان ذلك كذلك فخذ حظَّكَ ونصيبَكَ من حركاتك، ما يوجبُ لك وصفَ السكون وهو شهودُ أنه ﷻ هو الذي حرَّكَكَ وإليها بعثَكَ، ولولاهم ما كنت في ميدانِ من سافَرَتْ سُفُنُهُمْ في بحر المعاملات، وإنما تُحَرِّكُهَا بواسطة ريحِ أقداره ﷻ وهدايتِهِ وتوفيقِهِ، ولتتزود في سكناتك بزاد رفعِ الهمة إليه والانقباضِ عن غيره، لتَنْبَعِثَ من سكونك الرُّهْبَيَ إلى تَحَرُّكِكَ الرُّغْبِيَ، فلا تزالُ **متبخترا** بين مرساةِ الرَّهب وبحر الرَّغب، حركاتُكَ رغبةٌ وسكناتُكَ رهبةٌ، بدايتُكَ في التحرُّكِ منبعثةٌ بوجود الرغبةِ فيه، ونهايتُكَ في السكونِ مقيدةٌ بوصف الرهبةِ منه والإجلالِ له. كما قال:

الحكمة التاسعة والثلاثون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **حركاتُكَ في الأنفاس مقهورةٌ وسكناتُكَ في الحركاتِ مقدورةٌ، فَخُذْ من الحركات ما قُهِرَ منك ومن السكنات ما قُدِّرَ لكَ.**

قال الشارح:

يعني: أن حركاتِ المربي حال التلبس بأعماله في ظروفِ الأنفاسِ مقهورةٌ، وليس استقرارُهَا فيها وتكونُهَا تحتها اختياريًا لها، بل كلٌ منهما تحت سلطانِ القهرِ، فالحركاتُ بإدخالها وجعلها مظروفًا والأنفاسُ بالإدخال فيها وجعلها ظروفًا، كما أن سكناتِكَ في جوهرية طاعتِكَ وحركاتِكَ مقدورةٌ فهي بقدرِهِ وتحريكِهِ، فالتحريكُ به ومنه والتسكينُ منهُ وإليه، وقهر العظمة محيطٌ بكليهما كلٌ بما يناسبُهُ، قال ﷻ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾[4]، أي: وله ما سكن واستقر في ليل المعصية **خِذْلانا** وفي نهار الطاعة توفيقا، له

---

(1) **انظر**: **صحيح البخاري**، قدر5، رقاق33.

(2) الآية 5 سورة البينة.

(3) الآية 56 سورة الذاريات.

(4) الآية 13 سورة الأنعام.

ما سكن في ظلمة الأغيار عدلا وفي ضوء الأنوار فضلا، له ما سكن في ظلمة الغفلة وما استقر في شعاع اليقظة، له ما سكن في ظلمة الوقوف مع الشهود وما استغرَقَتْهُ واصطَلَمَتْهُ أنوار الوجود، والكُلُّ بقهريته وقدره، فالواردُ مقهورٌ والانفعالُ مقدورٌ، قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[1] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[2].

هذا وقد ذكر المؤلف هذه الجملةَ بقصد أن لا يغيب من أقامَهُ ربه في حركات الطاعة، واختار منه السكناتِ تحت ظل أقداره، والتسليمُ له في كل أحواله في شهود ذلك، فقال له: ارفع رأسك فإن الأمر منه وإليه، ولا تعتمد على حركاتك في صَدَفِ أنفاسك فإنها مقهورةٌ مسخرةٌ، فخذ أيها الإنسانُ من حركاتك شهودَ القهريةِ الجليلةِ منه تعالى حتى لا تراهَا، واخرج من سجن ملاحظَتِهَا إلى التحقُّقِ بناصِيَهَا مجراها ومرساها، ولتأخذ من سكناتك في نهاية أمرك في أعمالك وشهودِ أحوالكَ ما قُدِّرَ لك، مراعيًا أنك في الحركات مقهورٌ، وفي السكنات لا تَحْصُلُ إلا ما هو مقدورٌ، وهذا مقام من هو في مشاهدة تجلي الأفعال، فشهودُهُ الحقيقي أنه يرى لا مُحَرِّكَ ولا مُسَكِّنَ إلا الله تعالى شهودًا ذوقيًا، يَفْضِي بصاحبه إلى الإشراف على ما وراء ذلك من شهود الْمُحَرِّكِ والْمُسَكِّنِ عيانا، فيستريحُ من تعب شهود نسبة الأفعال إلى نفسه، ورؤية أنَّ لها حولا وقوةً وليس كذلك، وفي [هذه][3] الشهودِ تتنعم الروح بالجولان في رياض الآلاء والنعماء، كما هو مَعْشَشُ أرواح من حَلَّ في هذا المقام حَقَّ الحلول ووصلَ لهُ غايةَ الوصولِ، ومنه الارتحالُ إلى تَجَلِّي الأسماء تقُودُهُ إليه لوائحُ اسمِهِ المُنعِمِ والمنانِ، فينغمسُ بروحانيته في شهود المنة ويغرقُ في بحر الإحسان، فتفيضُ على سره أنواعُ الفكر ويذوقُ نعيمَ شهودِ الموثرِ بعد ما كان محجوبا عن الموثرِ بالأثر.

ثم قال:

الحكمةالأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **الحركاتُ والسكناتُ خزانتانِ من خزائن القدرةِ في أيهمَا صرفتَهُمَا وجدتَّهُمَا.**

قال الشارح:

والمعنى: أن حركاتِ المربي في أنواع تصرفاته ابتداءً، وسكناتِهِ عند انقضاء ذَرَّاتِهَا انتهاءًا، إنما كان مصدرهما بقدرة الله ﷻ إيجادا وإمدادا من خزائن قدرته وإرادته، فكلُّ الحركاتِ والسكناتِ مُخْتَزَنٌ في خزائن علم الله، مُقَدَّرٌ جميعُهَا تحت قهرِ قدرتِهِ وتخصِيصِ إرادتِهِ، قال ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا

---

(1) الآية 49 سورة القمر.

(2) سورة الفرقان، الآية 02.

(3) في حج: هذا.

نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[1]، ومن الأشياء المخزونة في عالَمِ ملكوتِ العنديةِ خَزْنَتَا الحركاتِ والسكناتِ، وما ينزلُ على الشخصِ شيءٌ منهُمَا حركةً وسكونًا، إلا بقدرٍ معلومٍ وقضاءٍ محتومٍ على وِفْقِ ما سبقَ له في علم الله قبل إيجاده، وما تعلق به إلا علمُهُ تعالى، ثم عند تصويره في رحم أمه يقعُ عليه علمُ الْمَلَكِ حينَ قوله: ما الرزقُ ما الأجلُ، فيجابُ بما يقتضيه الحالُ في ذلك الوقت، ثم يَرُدُّهُ تعالى إلى خزانَةِ غَيْبِهِ، فلا ينزلُ منهُ شيءٌ إلا بقدرته وإرادته وعلمه بما شاء كما شاء فيما شاء، فحركاتُ الإنسان وسكناتُه بالمعنى الأَعَمِّ، طاعةً أو معصيةً أو مباحةً أو خارجةً عن تعلق الحكمِ الشرعي بها، كالواقعةِ ممنُ رِفعَ القلمُ عنه من الثلاث، كُلُّهَا محصيةٌ مقدرةٌ معلومةٌ لِرَبِّهِ مَخْزُونَةٌ عنده كما هو مخزونُ سائرِ مقدوراتِهِ من المطر والريح وغيرهما، ولا ينزلُ شيءٌ منهما إلا بكيل معلوم وقطر [محدود][2] محتومٍ على وِفْقِ ما هو مقسومٌ، فعند إيجاد الأرواح أوجد معها أَعْرَاضَهَا كُلَّهَا كائنةً ما كانت، وبعد استقرارها في أجسادها تفضَلَّ عليهَا بإمداداتِهَا المخزونَةِ لأجلهَا، حركاتٍ وسكناتٍ وخطراتٍ ولحظاتٍ، وكلُّ ما هو مُلتبسٌ به أو يلتبسُ من أنواع التصرفَاتِ حَكَمَهُ حَكِيمٌ، وحيثُ عرفتَ أيها الإنسانُ أنَّ أحوالَكَ كُلَّهَا عليكَ معدُودَةٌ، وحركاتِكَ وسكناتِكَ الواقعَةُ منكَ مشهودةٌ، فاصرفْ جميعَهَا فيما يرضيه عنك ولا تَصْرِفْهَا فيما لا يرضيه، فإن ربك عليك لبالمرصاد، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[3]، فالظاهرُ من الآية أن من عمل شيئا يرى جزاءَهُ خيرًا كان أو شرا، وأن الضميرَ من يره راجعٌ لمثقال الذرة بمعنى جزائِهِ والذي يظهر من حيثُ عمومُ المعنى، إن الله تعالى هو الذي يرى ذلك، فمن يعمل مثقال ذرة من الخير وقعت عليه رؤية الله تعالى حالَ التلبُّسِ بعملِهَا ومن الشر كذلك، فتكونُ الآيةُ مطابقةً لمعنى حديثِ الإحسانِ: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فيحصلُ من فائدة العلم بهذا شهودُ أنَّهُ يراكَ في كل حالٍ، فاحذر يا أخي أن يراك حيثُ نهاكَ أو يَفْقِدُكَ حيثُ أمرَكَ، فإنه لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، فجميعُ ذراتِ [خزانتي][4] وجودِكَ مَحْصَيَّةٌ عليك، موكولةٌ لك عند إرسالها إليك ففي أي شيءٍ صرفتهُمَا وجدتَهُمَا، أتحسبُ أنك تُتْرَكُ سدًى كلاَّ ولا نفسٌ واحدٌ، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[5]، بل جميعُ الحركات والسكنات محصيةٌ طاعةً كانت أو معصيةً، ملفوفةٌ في خِرَقِ أنفاسك شاهدةٌ لك أو عليك بنزاهتك أو أدناسك، فأنفاسُك الصاعدةُ أو النازلةُ عليك معروضةٌ تَجِدُهَا عنده مدخرةً موجودةً بما فيها، فنفسُ الطاعة يصعدُ إليه مبهرجاً بضيائه وأنواره لابسا خلع مرضاته وأسراره، ويُشَيِّعُهُ كالروح الطيب ملائكةُ السماوات العلا، فَتُدَّخَرُ لك في عليين حتى تُوافيها باللُّحُوقِ بها، فيحصلُ لك من السرور والفرح عند موافاتها ما لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ ولا تُدركُ غايَتُهُ

---

(1) الآية 21 سورة الحجر.

(2) في مخ: معدود.

(3) سورة الزلزلة، الآية 07-08.

(4) **كذا**.

(5) الآية 36 سورة القيامة.

وأمرُهُ، لأنها خزائنُ الرحمةِ إليكَ أُرْسِلَتْ، وإلى ذلك المحلِّ رجعت، كما قال: قدِّمْ مَالَكَ أَمَامَكَ يَسُرُّكَ اللحاقُ به، أي قدم ما هو لك نفعه عليك عائد، يسرك اللحاقُ به لأنه مُرْبَى عنده متزايد إليه، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، فالعلويُ يصعد إلى العلا والسفلي بعكسه، فَنَفَسُ المعصية يخرجُ له ظلمةٌ كالدخانِ فَيَصْعَدُ قليلا، تُشَيِّعُهُ ملائكةُ السفلى فينادَى بهم ردوه إلى سجينٍ وأسفل سافلين، كالروح الخبيثِ، فَيُرَدُّ إلى من حيثُ بَدَا، فَيُدَّخَرُ هناكَ حتى يوافيه فيرجحُ حالُهُ برجحان أنفاسِهِ المخزونةِ المدخرةِ المكنونةِ، فما غلب عليه منها كان معه جزاء وفاقا، وما توفيقي إلا بالله جعلنا الله من أهل رضاه الفرحين به عند لقاه بمنه وكرمه. ثم قال:

الحكمة الحادية والأربعون بعد المائة

قال ﷺ:

- **الأنفاسُ مزارعُ الرحمانِ، إن سُـقِيَتْ ماءَ المحبَّةِ حَصَـدْتَ أفضـلَ محصـودِهَا وإلا فاتك وقتُ إبَّانِهَا.**

قال الشارح:

شبه المؤلف ﷺ الأنفاسَ بالمزارع التي هي محلُّ الحروثِ، أي فأنفاسُكَ مزارعُ رَبِّكَ استخلفَكَ فيهَا فينظرُ بما تَبذُرُ زَرْعَهَا وبما تسقيها، فإن زرعتها بأنواع الطاعة وسقيتها بماء محبته وإخلاص العمل لأجله، وأخرجت من سِرِّكَ شوب الشرك والإعجاب بها، فُزت بحصاد أضعاف ما بذرتَ، وحصلتَ على طائلٍ من منافِعِهَا وبركَاتِهَا، فإن لم تَبْذُرْهَا وتسقها فاتك وقتُ إبَّانِهَا لفوات أوانها، لأن كُلَّ نَفَسٍ من أنفاسك بمثابة الوقت المؤقَّتِ للحرث، فإذا مضى وقت الزراعة فاتَ زرعُ وثمرةُ السَّنَةِ بأسرها، فكذلك النَّفَسُ الواحِدُ إنْ مَضَى مُهْمَلاً من بذر الطاعةِ أو مزروعًا بالمعصية، فاتَ الوقتُ بما فيه وذهبَ النَّفَسُ المقدورُ بما عليه، ولم يمكن تَدَارُكُهُ بشيءٍ أصلا إلا بفضل الله فإنه على غير عِلَّةٍ والله ذو الفضل العظيم، قال في الحكم: (ما من نفس تبديه إلا وله فيك قدر يمضيه)[1]، وما من نَفَسٍ يخرجُ من المربي إلا وهو كالخاتمة له، فالعُمُرُ خزانةٌ والأنفاسُ أجزَاؤُهُ، ولا يدري المرءُ من أجزاءِ عُمُرِهِ في خزانتِهِ شيءٌ أَوَ هذا النَّفَسُ آخِرُهَا قال في الهمزية:

كلُّ يومٍ ذنوبُهُ صاعداتٌ * وعليهَا أنفاسُهُ صُعَدَاءُ

وكذلك حسناتُهُ تَصْعَدُ للعرضِ، فمنها ما هو مقبولٌ ومنها ما هو مردودٌ، فليحذرِ الأمر أن يكون هذا النَّفَسُ الخارجُ في الحال هو خاتمةُ أنفاسِهِ، فَلْيُخَلِّصْهُ مما يُزَيِّفُهُ [وينقيه][2] مما يكدره، فبذرُ الطاعةِ

---

(1) الحكمة الثانية والعشرون .

(2) في مخ: وينقهبما.

المسقيُّ بماء المحبة ومجرد القُرْبَةِ، نتيجتُهُ التقريبُ ومصافَاةُ الحبيبِ، من يزرَعُ خيرا يَحْصِدُ رغبة ومن يزرعُ شرًا يَحْصِدُ ندامةً، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، فمالُ الإنسانِ ما مَلَّكَهُ الله وخَوَّلَهُ أَيَّاهُ، من جميع ما استودعَهُ في حسه ومعناهُ ظاهرُهُ وباطنُهُ قلبُهُ وقالِبُهُ، فكلُّ شيء أودعَهُ الله في عبيده إنما قصَدَ منهُمْ وطلَبَ حفظَهُ أو صَرْفَهُ فيما يليقُ به، فمزارعُ الأنفاسِ كبقاعِ الأرضِ منها ما هو طيبٌ ومنها ما هو خبيثٌ، فما سُقِيَ بعذبِ ماءِ نِيلِ المحبةِ الإلهيةِ وأشرقتْ عليه شمسُ معرفته، نبت على وِفْقِ المرادِ منهُ والمقصودِ بهِ، وإن سُقِيَ بِأُجَاجِ مِلْحِ بحرِ الشهواتِ، وأُرْخِيَتْ عليه أوديةُ ظلمةِ الغفلاتِ لم يَنْبُتْ منه شيءٌ أو خَرَجَ نَكِدًا لا نفعَ فيهِ، ولا ثمرةَ لهُ، قال ﷻ: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2]، فالماءُ على لون إنائِهِ، أي فكما أن الماءَ ينزِلُ طَيِّبًا زُلَالاً وينتقلُ حالُهُ إلى ما اقتضَاهُ مَحَلُّ نزولِهِ من عذوبةٍ وضدِّهَا، فكذلك الأنفاسُ والإمداداتُ الآتية من قبل الحق إلى الخلق، تأتي إليهم على فِطرتِهَا الأصلية كما خُلقوا على فطرتهم الأصلية، وتخرجُ بكسوة الأوعية القلبية حسنا وقبحا صفاءً وكدرًا نفعًا وضرًا، ألا ترى أن ماء مطر [النيسان][3] ينزلُ من عالم واحد في وقت واحد، ينعقد [جوهرا][4] في أجواف الأصداف ويستحيلُ سُمًّا في أفواه الحيات، فسبحان من خصص ما شاء بما شاء كما شاء، وإلى ذلك يشير من حيثُ المعنى قوله ﷺ: ﴿ الولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ﴾[5] أو كما قال، فكذلك ما قذفَتْهُ فحولُ واردات القدرةِ الإلهية في أوعية أرحام القلوب والسرائر، لا تخرجُ بعد التطوير المقدورِ إلا وعليها كسوة ما برزتْ منه خيرا أو شرًا، لا يُسأل عما يفعلُ وإليه يرجِعُ الأمر كله بدايةً ونهايةً. ثم قال:

الحكمة الثانية والأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **الأرواحُ مغانِمُ الرحمانِ، وشــرَابُهَا ماءُ الحضْــرَةِ، إن بقيْتَ بربّكَ غنِمْتَ شــرابَهَا وإلا فاتَكَ نَعِيمُهَا.**

قال الشارح:

---

(1) الآية 261، سورة البقرة .

(2) الآية 58، سورة الأعراف .

(3) في مخ: النسان.

(4) في مخ: جوهر.

(5) **انظر: صحيح مسلم**، قدر/25.

ذكر المؤلفُ هذا الفصلَ للفرق بين ما قدمه بلصقه من الإشارة، كسقي مزارع الأنفاس بماء المحبة الذي هو مقام المحبة والشوقِ والهيمانِ، الواقعِ من صفات النفس الملهمَةِ في المقامِ الثالث، الغالبُ عليه حالُهَا: **جَنْحًا** مفرِطًا وشوقا **مقلقا** وهيمانا **مغدِقًا** وسرًّا **مُدْفِقًا**، وبَيَّنَ هناك: أن غذاء النفس وهي في مُقَامِهَا ذلك النافعُ لها المشدِّدُ لعزيمتها: المحبة وما تعلق بها، وأرشد هنا أن فوق ذلك المقام رابع المقامات، الذي خَلُصَتْ فيه النفسُ من شَوْبِهَا النفساني وحظِّهَا الحيواني، لعلو همة صاحبها، وصفاء عناصره من أكدارها، وكمالُهَا في تزكيتها وأطوارِهَا، فصارت روحانيةً علويةَ المرام، غلب عليها حالُ الاطمئنان به والسكون إليه والرضى بأقداره، واستغرقَتْ بمشاهدة مشهودها، وتحققت بِمَوْجُودِهَا وظفرت بمقصودها، فالأرواح في هذا المقام مغانمُ ربها، جذبها إليه وقربها منه، وأفاض عليها من ينابيع فضله، ما أرواها وقدَّسَهَا من دنس بشرية النفوس، وقهر شهواتها وهواها، إن سُقيت بماء حضرةِ الجليل أشرقتْ شُمُوسُهَا وتبرجتعروسُها، متحققا صاحبُهَا بحضرة العندية، متنعما بوصلة المعية، لقلبه من أجله انكسارٌ، وعلى عذب عذوبة المواصلة والمعية اصطبارٌ، على وجهه **رواقُ** قوله: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي؛ وعلى بصر بصيرته: وهو معكم أينما كنتم؛ ماتت نفسانيتُهُ بالفناء وحَيِيَتْ روحانيتُهُ بالبقاء، لا تشرَبُ روحُهُ من غير زلال الحضرة الإلهية قطرةً، ولا تلتفت إلى غيره بلحظةٍ ولا خَطْرَةٍ، فإن بَقَيْتَ بربك أيها الإنسان وحُزت بين يديه مقامَ الاطمئنانِ، أشرقت على سرك خِلَعُ رحمانيته وأتحَفْتَطرف إحسانيته، مقامكَ روحاني ومشهدُك إيقاني وخلقك رحماني، مَدخلك الأشياء بصدق ومخرجُكَ منها بصدق قائلا في كل أحوالك بلسان حالك أو مقالك: وما فعلته من أمري، لأن جميع أمورك به ومنه وإليه وفيه وعليه، صادقا عليك قوله ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾[1] خرجتَ من سجن نفسانيتك إليه، ودخلت في فضاء روحانيتك عليه، فغذاؤك وأنت في هذا المقام التنعمُ في رياض حضرته، والشربُ من خمورها والتبختُرُ بين قصورها، روحُ روحانيتك منك مجذوبةٌ ومعقولاتُكَ عنك مسلوبةٌ، حققت الشهود وأدركت الوجود، إن قلت فيه وإن أشرت فله، وإن دللت فعليه وإن عملت ففيه، وإن ابتدأت فعنه وإن انتهت فإليه، فإن بقيت بربك فانيا عن غيره، غنمت صفوَ مشهدِهَا وشرابِهَا من كدره، وإلا فاتك ما أُشير إليه من النعيم، وعُذبت بنار الفَقْدِ وعدم الوَجْدِ العذابَ الأليمَ، لكونك لا زلت مع فقد النعيم في مقام المحبة الذي هو غالبُهُ، والتشوقُ واللهفُ الموجبان لشديد الألم كما قال: وإذا اشتاقت نفسٌ وجدت ألما بالشوق **الْمُعْتَلِجِ**، فبين المقام الثالث والرابع مباينةٌ كثيرةٌ كما بين النار والثلج، فالمحبة نارٌ تُفني وتُحرق من الباطن ما سوى المحبوب، ولا تنتهي بالتلَهُّبِ حتى تقفَ على المطلوب، والطمأنينةُ إدراكٌ يحصلُ به بَرْدُ حقِّ اليقينِ لما فيه من تحقيق الوَجْدِ وكمالِ التمكينِ.

ثم قال:

الحكمة الثالثة والأربعون بعد المائة

---

[1] الآية 18 سورة الكهف.

قال رضي الله عنه:

- **ليس الشـأنُ أن تُطوى لك العوالِمُ فتكونُ أقربَ إليهَا منْكَ، بَلِ الشَّـأْنُ أن تُطوى لكَ الدُنْيَا فتكونُ الآخرَةُ أقربَ إليكَ مِنْكَ.**

قال الشارح:

الطيُّ على أقسام متعددة وذلك بحسب مقامات السائرين، فالسائرُ في فلوات الأرض في عالَمِ الحس والمشاهدة الكائنُ في عالم الملك، فَطَيُّهُ انزواءُ الأرضِ وقربُهَا له حتى يصلَ المقصودَ بسرعةٍ أو لا **[تنزوى]**(1) المسافةُ بنفسها، ولكن تزيدُ خُطْوَتُهُ زيادةً معنويةً يَحْصُلُ بها مرادُهُ في أقرب وقت بلا تكلُّفٍ ولا مشقَّةٍ تَلْحَقُهُ، أولا يكونُ شيءٌ منهما، بل المكانُ المقصودُ يرتفعُ لهُ ويسافرُ إليه عكسَ الفريقين السابقين، كما يُكرمُ الله بهذه الأنواعِ بعضَ خواصِّهِ، والمؤلفُ بصدد رفعِ الْهِمَّةِ عن مراعاةِ الطَيِّ بأنواعِهِ المذكورةِ وغيرِهَا، قائلا: ليس شأنُ من صَدَقَ في عبوديته لربه وعَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ، وسافر إليه في شعاع شمس نهار العلم به، أن يراعي ما يقع له في سبيله أو يقف عند ما يلوح له في رحيله، من طي مسافة العوالم الكونية وتنوع المقامات الغيرية، حتى يكونَ المقصودُ منها أقربَ إليه من نفسه، بل شأنُهُ أن تطوى له الدنيا بأسرها وتتلاشَى عنهُ وتذهَبَ في نظرِ بصيرَتِهِ، ويشاهِدَهَا بعينِ الفناءِ حالاً حتى تكونَ الدارُ الآخرةُ أقربَ إليه منه، لأنه في نفسه دنيَا يَجِبُ عليه الرحلةُ حتى من نفسه في معناهُ وحسِّهِ، فأولُ درجاتِ السائرين إلى الله تعالى في فلوات العالم الملكوتي، ارتحالُهُ بقلبه من هذه الدار إلى تلكَ فيصدقُ عليه قوله ﷺ: ﴿ الدنيا **[خطوات]**(2) المؤمن ﴾(3)، والعوالِمُ الدنيويةُ يجعَلُهَا عالَمًا واحدًا يضعُ في قنطرتها قَدَمَ وجودِهِ، ويضعُ القدمَ الآخرُ في مستقر آخرته وعالَمِ شهودِهِ، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾(4)، وقال ﷺ: ﴿ الدنيا دار من لا دار له ﴾(5)، يسكنها من لا عقل له، ألا ترى أن الله ﷻ جعلها متاعًا وهو بموضوعه يدل على الزوال والتحول والانتقال كما قال ﷺ: ﴿ الدنيا زهرة ذابلة ولعَاعَةٌ حابِلَةٌ﴾(6)، فالزهر الذي مَثَّلَ به عليه الصلاة والسلام تُدْرِكُهُ بالمشاهدة سريعُ الذبولِ، فالدنيا كذلك بهجةٌ رونَقُهَا قريبَةُ الغيبوبَةِ والأُفُولِ، فالعارفون رحلوا منها قبل أن يرتحلوا وخرجوا منها قبل أن يخرجوا، عرفوا أنها ليست بمستقر ولا دار، وأن الآخرة هي دار القرار وموطنُ الاستقرار، فعاشوا في دنياهم أضيافا غرباءَ متحليين بقوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ عش في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل واعدُدْ نفسك من أهل

---

(1) في مخ: تتزوى.

(2) في حج، ومخ: خطوة.

(3) **انظر: تنزيه الشريعة**، ج2، ص402.

(4) الآية39 سورة غافر .

(5) **انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل**، 71/6 .

(6) لم أقف عليه .

القبور ﴾[1]، فالمسافر وإن طال سفرُهُ لا يحصُلُ له ركونٌ إلى شيءٍ ولا يطيبُ له ثَوَاءٌ في محلٍ سِوَى وَطَنِهِ، فكذلك مسافِرُ هذه الدار إن عرفَ أنه مسافرٌ حقَّ المعرفة، تَنْطَوِي لهُ مسافَتُهَا بالتلاشِي والذهابِ حتى يستوحشَ منها ويطولُ عليه البقاءُ فيها، ويشتاقُ إلى الرحيل منها رغبةً في محل قراره وشوقا لمسكنه وداره، فقد اشتمل هذا الحديثُ المتقدمُ على ثلاثةِ مراتبَ، **الأولى**: شهودُ الإنسانِ غُرْبَتَهُ في هذه الدارِ، فلا يأنسْ إلا بربه ولا يسكُنْ إلا إليه ولا يُعَوِّلْ إلا عليه، كما أن الغريبَ لا يزالُ منقبضًا على الناس فلا يسكنُ قلبُهُ إلى أحد ولا يخالط أحدا. و**الثانية**: شهودُ أَنَّهُ عابرُ سبيلٍ، فلا يتخذُ هذه الدارَ وطنًا ولا يشتغل فيها بشيء أصلا، ولا يصحَبُ منها إلا ما يُبَلِّغُهُ لمقصودِهِ، أو يبقَى معَهُ في محلِّهِ بعد انتهاء سفره وقضاء وطره، فمقامُهُ الاغترافُ من قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[2]، فحقُّهُ أن يجعل الليل والنهار محلين لزراعة أعماله وتخليص أحواله، فمن يزرع خيرا يَحْصَدْ رغبةً ومن يزرع شرا يَحْصَدْ ندامَةً. و**الثالثة**: أن يَعُدَّ نفسَهُ من الموتى وهي أرفَعُهَا، وذلك أن من حسب أنه ميتٌ، يسكُنُ قلبُهُ وقالبُهُ عن الاضطراب ولا يقعُ له تنعمٌ من هذه الدار بطعام ولا شراب، انفرد بربه كما ينفرد المقبور في قبره، فكذلك صاحب هذا المقام يحسبُهُ الجاهلُ بحاله في قصره وهو في **دهليز** [قبره][3]؛ فيا لهم من أناس ما أحلى شمائلَهُمْ وأعذَبَهَا، وأقوَى دلائلَهُمْ وأغزَرَهَا، قال ﷺ: ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ﴾[4]، فكيف لا يكونُ كيسا من مات قبل أن يموت وحاسب قبل أن يحاسب، فالسابقون في هذه الدار السابقون في تلك، قال ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَفِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[5]، أي: فالسابقون لأبناء جنسهم في معناهُمْ وحِسِّهِمْ، رُكْبَانًا على مطايا هممهم سائرين في نهار يقينهم، هم السابقون إلى جنة التنعم بربهم[6] والتلذذ بصفو مشربهم، وإلى هذا المعنى يشير قوله ﷻ: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[7]، لأن السَبقية المعتبرةَ هي ما تكونُ ناشئَةً عن قوة الإيمان لا بسبْقِ التقدم في الزمان، فمن كان أقوى إيمانا كان أسبقَ وإن تأخر زمانًا، وأنت ترى أقواما يحصلُ لهم السبق ولا سبب له إلا التأييدُ من الله والصدقُ، وكلام المؤلف قريب من كلام ابن عطاء الله حيث قال: (الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى

---

(1) **انظر**: **صحيح البخاري**، رقاق3 . **انظر**:**الترمذي**، زهد25 .

(2) الآية 62 سورة الفرقان .

(3) في حج: قهره.

(4) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم والعسكري والقضاعي والترمذي وقال حسن عن شداد بن أوس مرفوع، وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري، وقال سعيد بن جبير الأغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة، وفي الحديث رد على المرجئة وإثبات للوعيد ..**انظر**: العجلوني،**كشف الخفا**، ص178.

(5) الآية 11 سورة الواقعة .

(6) بمعنى التنعم برؤية ربهمأ أو التنعم بخيرات ربهم وهكذا.

(7) الآية 10 سورة الحشر .

تكون الآخرة هي أقرب إليك منك)[1]وقوله: (لو أشرق نور اليقين لرأيت أن الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها)[2].

فالدار الدنيا باعتبار تأملها وتحقيق شهودها، تُعطى للناظر لها توهم وجود ولا وجود لها في الحقيقة، بل هي كما قال جل جلاله: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾[3]، فالغافلُ لا يزالُ متوهمًا وُجُودَهَا تتراءى له في مرآةٍ كالسراب، ما قَرُبَ الماشي إليه إلا زاد إلى أمامٍ، ولا ينتبه إلى إدراك حقيقته فيستريح من تعب ابتغاء الذي لا يغني عنه شيئا، والعاقل رَمَقُهُ بطرفه، فأدرك عدم وجوده بديهةً فاستراح من طلبه فوجد الله عنده، فحصلت له النهايةُ عند أول البداية، فهذا هو الطيُّ لمسافة الدنيا لا الطيُّ المعهودُ للمسافات الحسية الذي لا يُؤْمَنُ معه من مكرٍ واستدراجٍ، كما وقع لبعض الأكابر رضي الله عنهم ففروا منه إلى ربهم خائفين من باطن أمره، لأن حقائق الأمور مُغَيَّبَةٌ عند بارئها لأن قوة معرفتهم بربهم أوجبت لهم شدةَ الخوف من عظمته وسلطانه، وأثبتت لهم الحياءَ منه والفرارَ عن مساكنة ما تلذ به أعينهم أو تستطيبُهُ أنفُسُهُمْ، لأنهم عبيدٌ خُلَّصٌ والوقوف مع الأغيار عند العبيد عارٌ،﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، فَسَّرَ هذا بقول: فلا تعلم نفس، غير هؤلاء الطائفة ما أخفي لهم في سرائرهم وانطوى في عالم ضمائرهم، من قرة العين بشهود فاطرهم وأنس حاضرهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه. ثم قال:

الحكمة الرابعة والأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **وخذ من الطَيِّ طَيَّ الأنفاسِ فإنَّ بِطَيِّهَا تُطْوَى الدَّارَانِ.**

قال الشارح:

يقول: إذا رغبت في الطيِّ فخذ لنفسك أنفعَهُ، وما ذاك إلا طَيُّ الأنفاسِ أي النفوسِ، وذلك بتزكيتها وتهذيبها وتصفية عناصرها بالمخالفاتِ والرياضاتِ وتدريج أحوالها، فإذا طويت أيها الإنسانُ عوالمَ النفوسِ وخرجت من ظلماتها إلى أنوارها، ومن سجن خيالاتها وأوهامها إلى رَحْبِ أسرارها، واسترحْتَ من التطلعِ لنعيمِ الدارينِ فقد حُزْتَ الرَّاحَةَ الأبديةَ والنِّعَمَ السَّرْمَدِيَّةَ، كيف لا وقد كُنْتَ في طَيِّكَ هذا مُحَقِّقَ العبوديةِ الصرفةِ لرَبِّكَ، خارجًا عن جميعِ الأغيارِ، لَمْ يُشْغَلْ بالُكَ عنه رجاء جنةٍ ولا خوفَ نارٍ، تعلق باطنُكَ بجمالِ شهودِهِ وسَكَّنَ جأشُكَ عن الاضطراب بوجوده، إن تحركت فأنت الساكنُ وإن سكنت

---

(1) **انظر**: الحكم العطائية، الحكمة السابعة والثمانون، ص 26، بيت الحكمة الجزائر، الطبعة الثانية.

(2) **انظر**: المرجع السابق، ص 37..

(3) الآية 39 سورة النور .

(4) سورة السجدة، الآية 17.

فأنت المتحرك، فُلْكُكَ دائما سيارٌ وزمانك كُلُّهُ نهارٌ، أزيلت عنك بالطي أغيارُهُ، وأشرقت على عوالمك شموسُهُ وأنوارُهُ، رَحَلْتَ من مسافة السِّوَى وقطعتَ مفاوزَ [الدعاوى والهوى][1] نزلتَ في مقام العندية محبوبا، واختطفَتْكَ أيادي المعية مطلوبًا، فَطَيُّ الأنفاسِ يكونُ بالفناء عنها والتخلي عن ذميم أوصافها، ويتحقق ذلك بالتحلي بجميل الصفات ومحمود الحالات. ثم قال:

الحكمة الخامسة والأربعون بعد المائة

قال ﷺ:

- **ليس الشـأنُ أن يُطوى لك المُلْكُ فإذا بك في الملكوتِ، بل الشـأنُ أن يُطْوَى لك الملكوتُ فإذا أنت بالْمَلِكِ الأعْلَى.**

قال الشارح:

عادة المؤلف ﷺ الشخوصُ ببصر بصيرته إلى معالي الأحوال والمقاماتِ، فلا يدعو إلا إلى ذلك ولا يُرَغِّبُ إلا في نَيْلِ ما هنالك، يقول: لا تتوهم أن الشأن عند أرباب القلوب في الطي أن تخرجَ عن شهود عالَمِ الملك وتخرج إلى عالم الملكوت، بأن تغيب عن عالم الشهادة في شهود [خفايا عالم][2] الملكوت، بل الشأنُ عندهم أن يُطوى لك الملكوتُ فإذا أنت عند ربك حاضرٌ، وإلى شهود جماله وكماله ناظرٌ، إذ لا يخفى على عاقل أنها أكوانٌ، وليستِ المسافَةُ مقصودةً لذاتها، بل المقصودُ ما وراءَهَا وإنما هي وسائلُ لا غيرُ، فكذلك الْمُلْكُ إذا انطوى في عالم الشهود من الله ﷻ لبعض عبيده نودي بلسان الحقيقة والإنذار: إياكَ والوقوفَ في باطن الملكوت، أيها الإنسانُ إياك، إنما هي منازلُ ينزلُهَا السائرون ومناهلُ يَرِدُهَا الشاربون، وما هي إلا أكوانٌ تقطعُهَا كونا كونا حتى تصل إلى المكَوِّنِ، وإن إلى ربك المنتهى قال ﷻ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[3] فدلتِ الآيةُ بحسب الإشارةِ، أَنَّ من كانت لهُ إرادةٌ صادقةٌ وهمةٌ خارقَةٌ في لقاء محبوبه، فلا ينبغي له أن يقف عند غير مطلوبه، إذ الوقوفُ في بساط الأغيار الكونية مناقضٌ للمطلوب [ومُفِيتٌ][4] للغرض المرغوب، فوقوف همة السائر عند ما يلوحُ لها من البوارق الملكوتية معدودٌ عند أهل المعاملات الباطنية إشراكًا، كما قال ابن عطاء الله: (ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها – إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها: إنما نحن فتنة فلا تكفر)[5]، وقد عرفتَ أن الملكوتَ كونٌ كالْمُلْكِ

---

(1) في حج: الدعاوي والهواء.

(2) في مخ: عالم خفايا.

(3) الآية 110 سورة الكهف .

(4) كذا.

(5) الحكمة العشرون .

لا فرق بينهما في الحقيقة، كما أن الإنسانَ يَدُلُّ بمجموع شكله الجسماني والروحاني على الإنسانية المطلقة، فإذا انفردَ باطنُهُ عن ظاهره فلِكُلٍّ حكمُهُ مع بقاء وضع الإنسانية، فكذلك الكونُ وإن تنوعَتْ مظاهرُهُ الْمُلْكِيَّةُ والْمَلَكُوتِيَّةُ لا يخرجُ عن الكونية أصلا، فإذا كان ذلك كذلك فلا يليقُ بالعاقل أن يقف في أثناء السبيل ويَتَحَيَّرُ بالمدلول عن الدليل، قال تعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] ولم يقل انظروا فيها، فالنظرُ لما فيها أرقى في الفكرة من النظر إليها نفسِهَا، لأن الأكوانَ تَدُلُّ على مُكَوِّنِهَا بالمِلْكِيَّةِ أولا ثم بالملكوتيةِ ثانيا، ولم توضعُ الأكوانُ إلا لمجرد الدلالة على مكونها جل جلاله كما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

وتقديمُ الملك على الملكوت في الدلالة لأصحاب الترقي رفقٌ بهم وتنميةٌ لأحوالهم، لأنهم في شدةِ كثافةِ الحجابِ على ربهم، فنصَبَ لهم على معرفته دلائلُ مشهودةٌ في عالم الحس والمشاهدة، لأن ذلك مقامُهُمْ ولا قدرة لهم على التَوَصُّلِ للعالم الملكوتي بدون قَطْعِ حجَابُ المُلْكِ، فإذا زالت أغشيةُ[ضمائرهم][2] وتمزقتْ حُجُبُ سرائرِهِمْ وغابُوا عن الإحساسِ من ظواهِرِهِمْ، نفذَتْ بصائِرُ بصائرهم إلى العالم الملكوتي وِفْقًا لما هم عليه، لأن أرباب القلوب لا شهود لهم إلا بها، فإذا صح لهم الشهودُ القلبي السري وثبتَ لهم ذلك، كانوا على بساط الخُلَّةِ الإبراهيمية، كما قال جل جلاله في ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ﴾[3]، ألا ترى أن الله ﷻ جعلَ لخليله عليه السلامُ رؤيةَ ملكوت السماوات والأرض، وسيلةً لحصول اليقين المؤدي إلى نتيجة قوة الشهود والتمكين، فلما ذاقَ من مقام اليقين أَصْفَاهُ وحاز من التمكين أَوْفَاهُ، ترقى عن ذلك الشهود وتاقت نفسُهُ المكَرَّمَةُ لأنوار الوجود، فَعَبَّرَ عن دلائلها إجمالاً وطلب عن الكل تحولا وانتقالا، فجعلَ التوصل بالدلائل إليه إشراكًا فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]فلننظر إلى الفرق بين قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ.﴾ وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[5]، فالآية الأولى: توصلٌ ودلالةٌ، والثانية: إدراكٌ ونهايةٌ، وهذا قريبٌ من قوله: حسنات الأبرار سيآت المقربين، فالأبرارُ أخذوا زادَهَمْ من مضمون الآية الأولى، والمقربُون أعرضوا عن رؤية الكون بأسره، وفروا إلى ربهم فلم يأنسوا بغيره، **حَدَا** قلوبُهُمْ حادي قوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[6]، فلم يُسَاكِنُوا

---

(1) الآية 101 سورة يونس .

(2) في مخ: خمائرهم.

(3) الآية 75 سورة الأنعام .

(4) سورة الأنعام، الآية 78-79.

(5) الآية 79 سورة الأنعام .

(6) الآية 50 سورة الذاريات .

سِوَاهُ ولم يطمئنوا بما عداه، فخواصُّهُم شُهُودُهُ في كل شيء، وخواص خواصهم لم يشهَدُوا مَعَهُ شَيْئًا. ثم قال:

الحكمة السادسة والأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس العجبُ ممن تُطوى له الأرضُ فإذا هو بأقصـــى المغرب أو المشـــرق، إنما العجبُ ممن تُطوى له الأغيارُ فإذا هو عند الملكِ الحقِّ.**

قال الشارح:

أي: ليس بعجب عجابٍ أن تُخْرَقَ عوائدُ في عالم الحس ببعض **المباركين**، من طي الأرض لهم فَتُقَرَّبُ لهم المسافاتُ البعيدةُ في أقل زمان، فإذا هم في أقصى المغرب نازلين أو في أقصى المشرق حالِّينَ بأجسادهم،كما هو واقعٌ لأهل الاتباع إكراما من الله تعالى لهم، ولأهل الابتداع استدراجا ومكرا، لأن الكرامة لا تَتَمَحَّضُ بحسب ما يُظْهِرُهُ الله على يد بعضِ خواصِّهِ إلا بشرط مقارنة الإتباعِ، وعدمِ ارتكابِ المخالفَةِ والابتداعِ، وإلا فليس هي من الكرامة بشيء، وإنما تكونُ **غواياتً** شيطانيةً ومكرًا بصاحبها واستدراجا له، ولذلك يخافُهَا العارفون بالله، لأن قَوَّةَ معرفتِهِمْ به أوجبت لهم شدَّةَ الخوف منه، فهذه الكراماتُ الواقعةُ من الخوارق طَيًّا للأرض أو مشيًا على الماء أو طيرانا في الهواء، وإن سلمَ من المكر والاستدراج فليس بعجبٍ ولا غرابةٍ فيه عند العارفين، بل العجبُ عندهم والمغْتَبَطُ في سوقهم طَيُّ جميع الأغيار الكونية، والخروجُ بالفناء عن الأحوال والأفنية، فَتَفْجَأُهُ شموسُ الوجود وتُغَيِّبُهُ عن كل الإحساسات بالأحوال والشهود، حتى إذا صحَا من اصطلامه واستيقظ من غيبة فنائِهِ ومَنَامِهِ، وجد نفسَهُ على كرسي العندية **الحقَيَّةِ** مفارقًا للمماثلاتِ الخلْقَيَّةِ، مُتَوَّجًا بتاج البقاء بالملك الحق تعالى، فلا يطمحُ نظرُهُ لأغيارٍ، ولا له عند غير سيده قرارٌ، لِعَدْمِهِ في نظره وتلاشيه في شهوده، حسبمَا يقتضيه الفناءُ أولا والبقاءُ ثانيا، فإذا تَيَقَّضَ من سِنَةِ فنائه وأشرقت على قلبه شموسُ بقائه وجد ربَّهُ أقربَ إليه منه، فمثلُ هذا يُتَعَجَّبُ من مقامه، [ومطمحِ][1] النفوسِ الزكيةِ لمثلِ مرامِهِ قلت:

تسارعَ قومٌ والمرامُ سواكمُ * وكنتُ على ذاكُ السبيلِ أحيدُ

فأصبحتُ مُولَعًا بعَذْبِ عذابِكُم * وصرتُ على غُصْنِ التسلي أميدُ

---

[1] في مخ: وقطع.

فَبَخٍ لمن يهوى التداني منكمُ * وها[1] هو أن يَمُتْ [فذاكم][2] شهيدُ

تكامل وصلُ من أردتم وِصَالَهُ * وحازَ المنى حقا فهو سعيدُ

ثم قال:

الحكمة السابعة والأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ليس الغرابةُ ممن يمشي على الماء أو يطيرُ في الهواء، وإنَّمَا الغرابةُ ممن يمشي على الاستقامةِ ويسيرُ بالاعتنَاءِ.**

قال الشارح:

أي: ليس الغرابةُ من حال من ملك العناصرَالأربعةَ، وصار يتصرفُ فيها بسره وعلانيته، بل الغرابَةُ ممن سلك الحقُّ جل جلاله به على مَتْنِ الاستقامةِ، ويسيرُ إلى مطلوبه بالاعتناءِ به والاستعانةِ، لأنَّ تلك هي الكرامةُ الحقيقيَةُ التي لا مِرْيَةَ ولا ريبَ فيها، فمن كان مستقيما في أحواله الظاهرة مُتبعا للمنهاج الشرعي، مُستعينا في سيره بربه متحليا بقوله: ﴿ إياك نستعين ﴾ أدركته الهداية وآل أمرُهُ إلى العناية، فله حقٌّ من التخلي بإياك نعبد في أول البداية، ونصيبٌ من التحلي بإياك نستعين إلى آخر النهاية، فيكونُ في أول أحوالِهِ مُكْتَسِبًا مريدًا، وفي أثنائه مجذوباً مرادًا، مصحوبا بالهداية مُغَيًّا بالعناية، استوى ظاهرُهُ شريعةً مع باطنه حقيقةً، فظاهرُهُ متحركٌ في العبادات وباطنُهُ سارٍ في خرق العادَاتِ، وروحُهُ خارجٌ عن كُلِّ الموجودات وسِرَّهُ مُنْعَمٌ عليه بضروب التجليات، أفنته الهدايةُ عن جميع الأغيار وأبقتْهُ العنايةُ بالواحد القهار، فمن كان هذا حالُهُ يُسْتَغْرَبُ أمرُهُ أَيَّ غرابةٍ، ولا بأس أن يقالَ فيه ياليتني كنتُ معهم فأفوز فوزا عظيما، فالمعيةُ معهم معيةٌ مع الحق ﷻ، وهم معه شهودًا أو هو معهم وجودًا، أُخرجوا من سجن سِواه إليه ودخلوا **بتحفة** هُدَاهُ عليه، **هَيَّمَهُمْ** شُهُودُهُ وأفرَدَهُمْ وُجُودُهُ، سلبهم منهم و أفناهم فيه عنهم، غيبهم عن الخلق وأبقاهم بالحق، فقوله: إنما الغرابة ممن يمشي على الاستقامة...الخ، صريحٌ في أن ثبوتَ الكرامة مشروطٌ بالاستقامة، وإلا فالخوارقُ ليسَتْ كُلُّهَا حقائِقَ، بل منها ما هو كذلك وما هو ليس كذلك، ويُمَيِّزُ خبيثهَا من طَيِّبِهَا وقوفُ صاحبِهَا على الجَّادَّةِ المستقيمةِ أو عكسُهُ.

نعم الكراماتُ التي تقدم ذكرُهَا ويأتي باقيه، وإن سلم ظاهرُهَا من الابتداع وباطنُهَا من الاستدراج والمكر بصاحبها، إنما يُكرم بها غالبا من كان معهُ بعضُ ضُعْفٍ في اليقين ونقصٍ في التمكين، لكن بعضهُم

---

(1) في حج: وهل.

(2) في حج: بذاكم.

أريد به التقويةُ ليقينه والرسوخُ في تمكينه، وبعضٌ أريد به الاختبارُ والامتحانِ لما عسى أن يقعَ له من الركون والاستحسان، قال ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1]، فالابتلاءُ بالخير أعظم فتنة من الابتلاء بالشر، لأن الإنسان حال الابتلاء بالشر تلزمُهُ السكينةُ والوقارُ والقبضُ والانكسارُ، بخلافه في الخير فيغلِبُ عليه الانبساطُ والفرحُ بالنعمة والسكونُ تحت بَرْدِ ظِلِّهَا، وذلك عند العارفين من أعظم الفتن وأشد البلاء والمحن، فكما أن فتنةَ أهل الدنيا بالأزواج والأموال، فتنةُ أهل الآخرة بالمشاهدات و الأحوال، فمن أحبَّهُ واستخلَصَهُ قرَّبَهُ إليه ولا يستوحِشُ من شَرٍّ ولا يأنسُ بخير، تَخَطَّا بسره حالتي الشر والخير من قوله: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ ووضع قدمَهُ في قوله: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ فَصَيَّرَ الأخير أولا، فحصَلَتْ لهُ الراحةُ من الفتنة وعُوفِي باطنُهُ من البلية والمحنة، وأما من تمكن حالُهُ وثبت أمرُهُ فلا يحتاجُ إلى ما يوجبُ له تمكينًا ولا تثبيتًا، فالجبل لا يحتاج إلى مَرْسَاةٍ، مثال ذلك الطفلُ حين يرادُ منه الفطامُ، يُجْعَلُ له ما يسهو به ويلهو به عن أمه لقرب عهده بها، فإذا بلغ حد العقل الذي يُغنيه عن اللهو بما لا يعنيه ترك ذلك واستغنى عنه، فكذلك من كان قريبا من رضاع أمه التي هي الدنيا، وله تُلَمِّحُ بقلبه لنعيمها وشهواتها، فيفطمُهُ سَيِّدُهُ عن رضاعها ويُسليه من ردي طباعها بما يناسب حالَهُ من كرامات ومشاهدات، فإذا تمكن فطامُهُ وعلا مقامُهُ استغنى عن كل ذلك وصار وجودُهُ في نظره **كَلَا** وُجودَ، حتى إذا ظهر له شيءٌ منها لم يُشْغِلُهُ عن مقصوده ولم يلهه عن معبوده، وإلى هذا يشير من حيث المعنى قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾[2]، فمن ذُكِّرَ من أهل المعاملات ببعض الأحوال الباهرة والكرامات الظاهرة، لا ينبغي له ولا يُستحسَنُ منه أن يخر ساقطا على ما يلوح له من البوارق، ولا أن يطمئن بما يُظهر الله على يديه من الخوارق، لأنها وإن كان لا بأس بها حال الابتداء.

فالكلامُ الآن مع من هو أرفعُ من ذلك، كيف لا والمقربُ يُقْدَحُ في رتبته شُغْلُهُ بما سِوَى محبُوبِهِ [وطمأنينته][3] بغير مطلوبه، وما سوى اللهِ غيرٌ وإن كان في ظاهره وباطنه خيرٌ، قلت:

تنزه سر من أردتم عنايةً * وخامرهُ وجدٌ يَجِلُّ عن الحصر

تغيبُ عن إدراكِ حِسٍّ بسكرة * تُحاكيه مثل الميت يهدى إلى القبر

يشاهد ما يخفى على الغير جهرةً * يولهُ شوقٌ بناره كالجمر

فليس يَلُذُّ العيشُ من كان مغرما * بنار الهوى يصلي ويَسْكِرُ بالخمر

جمال الذي أهدى الكؤوس أذابه * وافناه عنه ثم أبقاه في السكر

---

(1) الآية 35 سورة الأنبياء .

(2) الآية73 سورة الفرقان .

(3) في مخ: وطمأنينيته.

فياليت شعري هل أبيتن ليلة * وحولي من يسقي الكئوس ومن يدر

ثم قال:

الحكمة الثامنة والأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **ما الطيُّ الحقيقيُّ أن يُطوى لك عالَمُ الشهادَةِ فتنظرَ عالَمَ الغيب، وإنما الطيُّ الحقيقيُّ أن تفنى عن عالَمِ الغيب ويَكْشِفَ لك منكَ كلَّ عَيْبٍ.**

قال الشارح:

هذه الجملةُ قريبةٌ من حيثُ المعنى مما قبلها، أَتَى بها لدفعَ توهُمَ أن الخروجَ من عالم الشهادة المعبر عنه بعالم الملك، والاطلاعَ على عالم الغيبِ الْمُكَنَّى عنه بعالم الملكوت، أمرٌ مطلوبٌ أو مقصودٌ لذاته، فقال: الطيُّ الحقيقيُّ المقصودُ عند من عُنِيَ به في طريقه، هو أن يكون تمزيقُهُ [لحجُبِ][1] عالم الملك ونفوذُ بصيرته لعالم الملكُوتِ، سببا للاطلاع على عيوبه وخبائثه الكامنة فيه، فيشتغلُ عند الاطلاع عليها والمشاهدةِ لها بتنقيتها وتصفية باطنه منها، لا [بمجرد][2] الكشوفاتِ على بواطنِ الأمور وخفايا السرائر والصدور، قال ابن عطاء الله: (تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب)[3]، فقد صدق ولله دَرُّهُ، لأن دفع الشرِّ مقدمٌ على جلب الخير، فالعاقلُ إذا منحه الله تعالى بكشف غيوبهاهتدى إلى تنقية عيوبه، لأنها قبل ذلك كانت كامنةً في ظلمة الغفلة، كمونَ**الهَوَامِّ** في ظلمة الليل، فإذا زالت الظلمةُ الساترةُ لها تمكَّنَ صاحِبُهَا من إزالتِهَا، كما قال في الرحمانية:

يشعل في قلبك مصباح * ملكوتي قد لاح

تنظر عيوبك ياصاح * تشتغل بالتنقيا(4)

فاشتغالُ مصباحِ أنوارِ المعرفة بالله وسيلةٌ إلى تزكية الباطن من عيوبه، ثم استنزالِ مطلوبِهِ ومحبوبِهِ بمثابة من أن يُضَيِّفَ ملكًا من الملوك في بيته، فإنه يوقد مصابيحَهُ ويُصلحُ بيتَهُ، ويُزيلُ ما يَقْبُحُ في نظر الملك أن يجدَهُ في بيته، ويُحَلِّي منزلَهُ بكل ما يَحْسُنُ ويَزِينُ، ويُقَدِّسُهُ من كل ما يَقبُحُ ويَشينُ، ثم يهيئُ له ما يليق بجلالة قدره، فكذلك الإنسانُ إذا أراد أن يتعاطى أسبابَ القربِ من ربه، فليَدُمْ على ذِكْرِهِ وفِكْرِهِ، وليستعِنْ بصلاته وصبره، وليعمل على مقتضى نهيه وأمره، حتى إذا استنارت سريرتُهُ وفُتحت بصيرتُهُ بادر

---

(1) في مخ: بحجب.

(2) في مخ: **مجرد**.

(3) الحكمة الثانية والثلاثون .

(4) **انظر: المنظومة الرحمانية**، ص28، مرجع سابق.

إلى إصلاح ما فيه من خللٍ وإلى تصفية باطنه من العلل، فإذا تخلَّى عن عيوبه المنطويةِ فيه وتحلَّى بالكمالات المنسدلةِ عنه، أُفيضت عليه سَوَابِغُ النِّعَمِ وأُفْرِغَتْ على باطنه إمداداتُ المنن، فكان قلبُهُ مَحَلًّا للأسرار وعالَمُهُ مملوًا بالأنوار، وكانت له قابليةُ استضافه ملكِهِ بما يليقُ بحاله، بحسب ما أفاض عليه من نواله، قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1].

فالنجومُ هاهنا هي أنوارُ العلم بالله و كمالاتُ المعرفةِ به، التي يُكرم بها من أُريد هدايتُهُ في سيره، في عالم مُلْكِ بَرِّ الشريعة وملكوت بحر الحقيقةِ، فالنجومُ نُصبت لأن يَهْتَدِيَ بها السائرون أو يُرْشَدَ بها الحائرون، فإذا أشرقت عليهم شُمُوسُهَا تَجَلَّتْ عليهم **عَرُوسُهَا**، اجتمعت أوصالُهُمْ وتَزَكَّتْ أعمالُهُمْ وصفت أحوالهم وصَحَّ استنْزَالُهُمْ، لما أَسَّسُوهُ أولا من التزكية وبنوا عليه حالَهُمْ من الترقية، فمن كانت بدايتُهُ محرقةً كانت نهايته مشرقةً، فالمحروقُ في البداية هو العيوبُ والمشروقُ عنه هو الغيوبُ، فإذا أشرقت شمسُ الأَحَدِيَّةِ في باطن ملكوت العندية تلاشت في الحال العوالم الغيبيةُ، فإذا جاء الحق زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فما سِوى الله باطلٌ، ووجودُهُ في ظاهر المشاهدة لا عبرة به، لما انطوى عليه حالا، ويصيرُ إليه مآلا. ثم قال:

الحكمة التاسعة والأربعون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **خُذْ من الطي ما يُدْخِلُكَ عالَمَ المثالِ، وخذ من عالَمِ المثالِ ما يَدُلُّكَ على الوصـــالِ، وخذ ما يُوَطِّنُكَ على الحقِّ المتَعَال.**

قال الشارح:

قد عرفتَ أنواعَ الطيِّ المتقدِّمِ ذكرُهُ، فخذ منه ما يُدخلك عالم المثال الواقع حالا لأهل الفناء الأول، الذي تُشَاهَدُ فيه الروحانياتُ كما يقع للسالك شهودا في آخر المقام الثاني، فيشاهدُ أمورا غيبيةً ببصيرتِهِ فيظُنُّ أنها شاهدها ببصره كالجن والملائكة، وكما تُشاهد في هذه الحالةِ روحانيةُ المصطفى ﷺ، فمن كان هذا حالُهُ عرفَ أنهُ دخَلَ عالَمَ المثالِ، لأن مرآتَهُ كانت متوجهةً لعالَمِ الْمُلْكِ فانْمَحضتْ منها آثارُهُ وصُقِلَتْ، فكان ما يقابِلُهَا من عالَمِ الملَكُوتِ ينطبعُ عليها و ينتقِشُ فيها، فإذا اسْتَحْكَمَتِ الشُّهُودُ في عالم المثال وتمكنت منه، فارتحل منه إلى ما هو أرفع، وذلك هو الوصال إلى مشاهدات تجليات الأفعال، شهودا ذوقيا يُدركُهُ عيَانًا من حَلَّ في الفناء الثاني، الواقعِ حالا وشهودا وتجليا لأهل المقام الثالث، فعالم المثال مقدم للسالك على عالم الوصال، فخذ أيها السائر في ملكوت السرائر من عالم المثال الذي أُكرمت به وحَلَلْتَ فيه، بطلب الارتحال والعزم على الانتقال إلى عالم الوصال، وَلُجَّ في بحر أسراره، وسر بسرك في أشعة أنواره،

---

(1) الآية 97 سورة الأنعام.

فَتُشْرِفُ وأنت في هذا المقام على اَلْهُوِيَّةِ السرية السارية في ملكوت الموجودات، فلا ترى إلا ذلك ولا تشهدُ إلا ما هنالك، شهودا حاليا ليس مقاليا، فإذا ملكت هذا الشهودَ وتحليتَ به وصار لك مقاما، فخُذْ في النُقْلَةِ بهمتك العلية إلى الشهود الوجودي الناشئ عن عين اليقين، متوطنا بروحانيتك الملكوتية الجبروتية في حق اليقين، الذي هو دأبُ العارفين بالله ومقامٌ لأهل التمكين، فانيا عن غيره شهودا باقيا به وجودا، متحليًا بقوله: كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي يتكلم به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ ففي حالِ التقربِ بقربِ النوافلِ كنت مريدا راكبا على متن، لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى اختطفتك رياحُ أُحِبُّهُ فصرت مرادًا، فَتَجَلَّى على سرك بتجلياته الصفاتية المشرقة شموسُهَا من أسمائه العليةِ، السميعُ البصيرُ المتكلمُ، فلا تسمعُ إلا به ولا تبصرُ شيئا إلا به ولا تتكَلَّمُ إلا به، تُترجم عنه وتبصرُ به وتسمعُ منه، فَنِيَتْ منكَ حواسُّكَ عن محسوسَاتِكَ واصطلَمَتْ عن إدراكها الفاني في غيب سلطان قهرية تجليات وصفه الباقي، فهذا البقاءُ بصفاته العلية بعد الفناء عن صفاتك الدنية الفانية، هو مرادُ المؤلف بقوله: وخذ من الوصال ما يُوَطِّنُكَ على الحق المتعال.

فالوصالُ إليه تعالى يوجبُ في أول درجاته فناءً، والتمكنُ منه يُنتجُ بقاءً، فالرحلةُ من الوصال انتقالٌ من الفناء، والتوطنُ في مقام حق اليقين، هو الكمالُ الواقعُ نسبتُهُ لأهل المقام الرابع، الذي هو مقام الاطمئنان، الذي هو رافعُ درجاته و أمكنُ حالاته، ففي كلام المؤلف ترقي في مقامات اليقين كما مَرَّتِ الإشارَةُ إليه، التي هي علمُ اليقين وعينُ اليقين وحقُّ اليقين، فعلمُ اليقين مَشهدُ الأبرار، وعين اليقين مشهد خاصة المقربين، وحق اليقين خاصة خاصة المقربين الأخيار، لأنه مقامُ كمالٍ بالنسبة لغير السادة الخلوتية مطلقا، ولهم بالنسبة لما قبلَهُ، وفوق كل ذي علم عليمٌ، وأما السادةُ الخلوتيةُ فزادوا في سيرهم الاصطلاحي ثلاثُ مقاماتٍ باعتبار النفوس السبعة والأسماء السبعة، مع اعتدادهم بالمقام الأول بخلاف غيرهم، فترقيهم في ثلاثةِ مقاماتٍ لا غير، بإسقاط الأول، والموردُ واحدٌ والأذواقُ والمشاربُ مشاهدُ، قد علم كل أناس مشربهم، فتحقيقُ الشهود يُقوي الوجودَ فافهم. ثم قال:

الحكمة الخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تعترفْ بالذنوب وأنت مُشْتَغِلٌ بالعيوب فإنَّ ذلك من أوصافِ المحجوبِ.**

قال الشارح:

ذَمُّ الإنسانِ نَفْسِهِ واحتقَارُهَا والنظرُ إليها بعينِ السُّخْطِ عنهَا، دليلُ التوفيقِ والهدايةِ، وشاهدٌ لمن اتصف به في باطنه بسبق العناية، وأثرُ ذلك يظهرُ بالإقلاع والتخلي عن عيوبه، والتوبةِ من ذنوبه ظاهرا وباطنا، فهذا وإن خرج اعترافُهُ للوجود فلا بأس به، وإن كان اللائقُ الإختفاءَ وسَتْرَ الأمرِ فيما بينه وبين خالقهِ، والمطلعِ على سره وعلانيتِهِ وإن لم يُوافقْ قولُهُ فعلَهُ، بل يقولُ بظاهره ما ليس في باطنه، يَذُمُّ نفسَهُ

ويحتقرُهَا مع بقائِهَا في شهواتها، والرضى عنها في هفواتها وزلاَّتها، فهذا ممن لا شك في حجابه عن ربه، ولا نصيبَ لهُ في الحياء منهُ ولا في قربه، لأنَّ ثمرةَ الاعترافِ بالذنوب أن يكونَ ناشئا عن التوبة، وهي من شرطها الندم على ما فات والإقلاعُ عَمَّا هو آتٍ، وذنوبُ كُلِّ شخصٍ باعتبار مقامه، فذنوبُ العامةِ ارتكابُ المناهي وتضييعُ الأوامرِ، وذنوبُ الخاصَّةِ الركونُ إلى السِّوَى، وإسعافُ النفس في الدعوى، حتى إِنَّهُمْ يُعاقبُونَ عما يُوجَرُ به من سِواهم، لأنهم مُطالبون بالخروج عن حظوظهم وهواهم، وما كان للنفس فيه حظٌ معدودٌ عندهم حجابٌ، وأَلَمُ الحجاب أشدُّ من حريق العذاب كما قال جل جلاله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[1]، فعذابُ حجاب أهل النار أشدُّ عندَهُم من عذاب النارِ المجرَّدِ عن الحجاب، فكما أن نعيم الجنة يُنْسَى في جَنْبِ النظرِ إلى وجهه الكريم، فيخرجُ المتنعمُ عن رؤية نَعيمه الذي هو فيه، فلا يَرَى له أثرا حين يَتَجَلَّى عليه مولاهُ الجليلُ في حوره وقصوره، فالحقُّ تعالى جازَى عبيدَهُ في تلك الدار على قَدْرِ أحوالهم في هذه الدار، فمن تنعم بلذائذ طاعاته في جُلِّ أوقاته وكانت رؤية سيده ومشاهدتُه في أقلها، جوزيَ في تلك الدار بالنعيم المقيم، وأُكرم بالنظر إلى وجهه الكريم على حَسَبِ مجاهدته ومشاهدته، ومن كان مستغرقَ الشهودِ في تجليات المعبود، كانت جنةُ حضرةِ مولاهُ ونعيمُهُ الغيبيَّةُ به عما سواهُ، ومن كان بالعكس بأنْ كان في شهواتِهِ ولذَّاتِهِ الفانيةِ محجوبًا في هذه الدار عن مشاهدة ربه تعالى عُذِّبَ في تلك الدار على قَدْرِ استغراقه في الشهوات وعُوقبَ بحسب ما ارتكب من الهفوات وحجابُهُ أعظَمُ عذابِهِ، فغايَةُ النَّعِيمِ النظرُ ونهايةُ العذابِ الحجابُ، جزاءً وفاقًا، أعاذنا الله من ذلك بِمِنِّهِ وكَرَمِهِ، ولا حرمنا من رؤيته في تلك ومشاهدته في هذه إنه جواد كريم.

وفي كلام المؤلف ﷺ إرشادٌ إلى أن الاشتغالِ بالعيوب وارتكابِ القبائحِ والذنوبِ من أوصافِ من هو محجوبُ القلب عن ربه، مُدْبِرُ وجهِهِ عنه وملتفتٌ إلى غيره، لأن المراقبةَ والمشاهدةَ يَحْمِلاَنِ عن الحياءِ والمجاهدةِ، فمن صَحَّتْ مراقبتُهُ عَظُمَتْ هيبتُهُ منهُ وإجلالُه، الموجبان للكفِّ عما لا يَرضى، فمن كان مُراقبا كان مُقاربًا والقربُ نتيجةُ الحُبِّ، ومن أحبَّهُ ألبسَهُ خِلَعَ إحسانه، فأفاض على سره من مِنَّتِهِ وامتنانِهِ، فمن جاهد شاهدَ ومن خالفَ والَفَ، فالإحسانُ ناشئٌ عن كشفِ الحجابِ الذي هو السببُ في كل خيرٍ وضِدُّهُ هو أساسُ كُلِّ شَرٍّ، ألا ترى إلى قوله ﷺ:﴿ ..الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾، فتفسيره ﷺالإحسانَ بالعبادة على الرؤية للحق والمشاهدةُ، صريحٌ في كشف الحجاب الذي هو حُجُبُ الذنوب أو العيوب، فكلاهما مُنتفٍ، فالعبادةُ بوضعها تضمنت جميعَ الطاعاتِ على اختلافِ أنواعها: قولية أو فعليةً بدنيةً أو قلبيةً، وهي أول درجات مقام الإحسان، ويتلوهَا المشاهدةُ لوجه الجليل جل جلاله، كأنه ﷺيقول: الإحسانُ إحسانان عامٌ وخاصٌ، فالعام للعوام وهو إحسانُ العبادة وتخليصُهَا مما يَشينها، والخاصُّ للخواص وهو العملَ على الشهود للملك المعبود، فالإحسانُ يمنعُ من العصيان ولذلك ﷺتكلم بما يقتضي الطاعةَ وسكتَ عن ضِدِّهَا، إذ المشاهدةُ توجبُ الحياءَ والإجلالَ الموجبَيْنِ للكف عن

---

[1] الآية 15 سورة المطففين.

المخالفات في كل حال، ولو رأى الْمُسَاكِنِينَ بقلوبهم أنهم مُعَرَّضُونَ في هذه الدار على مِلَلِهِمْ، لبعثهم ذلك على فعل الخيرات و المثوباتِ وترك جميعِ المنهيَّاتِ، قال ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[1]، فشهودُ العَرْضِ من: يومئذ تعرضون، يورث التحلي بقوله: لا تخفى منكم خافية، الذي هو بعضٌ من الإحسان وهو قريبٌ من حيثُ المعنى من قوله: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، فالحياءُ مانعٌ من أن يفعل الإنسان إلا ما فيه رضى المستَحَى منه، ولذلك كانت المراقبةُ من أجل المقامات، كيف لا تكون من أجلها والحق يقول في بعض كتبه: واحذر أن يراك حيثُ نهاك أو يَفقِدَكَ من حيث أمرك، فمن علم أنه مطلعٌ عليه في كل أحواله كان حقيقا بأن لا يعمل عملا إلا وفيه رضاه، وأن لا يلتفت إلى مخلوق سواه، كما أن من كان في حضرة ملك من الملوك لا يُتصور منه عملٌ يناقض رضى الملك، ولا يقع منه التفاتٌ ببصره إلى غيره، **رَعْيًا** لحرمة الملك وهيبةً من سلطانه، فكذلك من دخل **ديوانَ** المراقبة وضمَّته حضرةُ المراقبة، اقتضى مقامُهُ ذلك الخوفَ من حاضره والمهابةَ من ناظره، في أن يراه في عمل لا يليق بحاله أو يُقاربُ ما يُخِلُّ بكماله، كما يقولون: إذا جلست مع العلماء فاحذر لسانك، ومع الملوك فاحفظ **أركانك**، ومع الأولياء فاحفظ **جَنَانَكَ**، أفترى من جالس العلماءَ لا ينطق بمقالةٍ فيعيبونها عليه أصلا، ومن جالس الملوك أيضا لا يزالُ ساكنا بقالبِهِ جامعا همتَهُ بين [يديهم][2] مطرقا برأسه لديهم، حَذِرًا من سوء الأدب من التحرك فيما يناقضُ حَضرتهم، ومن جالس الأولياء لا يزالُ أيضا بين أيديهم ساكنا بقلبه أحرى بقالِبِهِ، خشية أن يَطَّلِعُوا على سره جائلا فيما لا يعنيه، مقبلا عما لا يُعنيه كما شُوهد وجُرِّبَ، فكيف بمن كان مع الله عالِمَ أحواله مُشاهد أقواله وأفعاله، لا يعزب عنه مثقالُ ذرة في سماوات حقوقه ولا في أرض حظوظه، فيَحْسُنُ منه أن يعمل عمل الغائبين عن الحضَرَاتِ المحجوبين في الخطرات واللحظات.

فاختر لنفسك أيها المحب أيُّ المقامين تريدُ، فلا تدعي القرب منه وأنت بعيد، فالمحب ساع في مرضاة محبوبه، والقاصد دائبٌ في سبيل مطلوبه، فالظاهرُ عنوان الباطن، كما قال ﷺللذي يُصلي ويعبث في صلاته بلحيته: ﴿ لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ﴾[3]،فصلاح السيرة دليلُ صلاح السريرة، والحياءُ من قوله شاهدٌ لصحة البصيرة، هذا وأنت ترى في عالم الشهادة بعين الرأس، أن القريب من الملوك أشدُّ خوفا منهم وأعظمُ حياءً ومهابةً ممن هو غائبٌ عنهم أو بعيدٌ في المعنى منهم، فكذلك أهلُ القرب من

---

(1) الآية 18 سورة الحاقة.

(2) في حج: أيديهم.

(3) صرح الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على " تفسير البيضاوى " (2/202) بأن سنده ضعيف ، وقال الشارح المناوي : رواه في " النوادر " عن صالح بن محمد عن سليمان بن عمرو عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته و هو في الصلاة ، فذكره ، قال الزين العراقي في " شرح الترمذي " : و سليمان بن عمرو هو أبو داود النخعي متفق على ضعفه ، و إنما يعرف هذا عن ابن المسيب ، و قال في " المغني " (1 / 151) : سنده ضعيف ، و المعروف أنه من قول سعيد ، رواه ابن أبي شيبة في " مصنفه " ، و فيه رجل لم يسم ، و قال ولده: فيه سليمان بن عمرو مجمع على ضعفه ، و قال الزيلعي : قال ابن عدي أجمعوا على أنه يضع الحديث ..

الله تعالى، يمنعُهُم قُربهم ويُقَدِّسُهُم حبُّهُم، ويَحجُزُهم حياؤهم من محبوبهم حذرا أن يراهم حيث نهاهم، أو يفقدَهم من حيث أمرهم، كما قال قائلهم:

إن كنت صادقا في محبتنا * فالمحب بذكر الحبيب يذوب

وكذلك أيضا من حيثُ المثالُ: البصيرُ والأعمى، فالبصير أشدُّ حياءً من الأعمى لمشاهدة البصير موجباتِ إجلالِ حاضِرِهِ والحياءِ من ناظره، بخلاف غيره فإنه بالعكس، والمحبوبُ عذره كَشْفُ حجابه وعَدَمُ اقترابه، جعلنا الله من أهل قربه ومحبته بمنه وكرمه. ثم قال:

الحكمة الحادية والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تطمئِنَّ بدنياكَ وأنت لاهٍ عن أُخراكَ فإنَّ ذلكَ زيادةً في عَمَاكَ.**

قال الشارح:

الدنيا طابعُ خساستها ووسْمُ دناءتها موضوع في اسمها وهو يُشعر بمسماهُ، فهي لا شَكَّ دنيَّةٌ من الدناءة أو دانيةٌ من الدُنُوِّ الذي هو القربُ إلى الانقضاء والفناء، فظلمة ليلها منسدلةٌ على وجهها، فلا يُحقق النظرَ إليها عاقلٌ إلا ويجدَهَا **منصرمةً** مدبرةً فانيةً، من أول حالها مُوذنَةً بمآلها، زهرتُهَا ذابلَةٌ ونعمتُها زائلةٌ، تَغُرُّ ببهجتها من سكن إليها واطمئن بما فيها وآل أمرُهُ إلى الندم عند ظهور الخروج من الدنيا، فأول **قدمٍ** كما ترى أبناءَهَا، لا يفارقونها إلا على حالة الندم على الاغترار بها والثقة بها، لاسيما و هي تُلهي من تمسك بها وسَكن إليها عن الآخرةِ، فيستبدلُ الفاني بالباقي ويترُكُ ما إليه يرجِعُ، ويأخذُ بكلتا يديه ما عنه ينقطِعُ، فلا يسعُ العاقلَ أن يغترَّ بما يفنى و يوثرَهُ على ما يبقى، وكان أمر الله قدرا مقدورا قال ﷻ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1] وهو أصدق القائلين، فالدارُ الدنيا حصلَ إيثارِهَا على الآخرة في غالَبِ الخلق، والحكمُ للغالِبِ كما هو مُقتضى أخبارِ الحقِّ، فعوامُ الخلق صدق عليهم قوله: بل تؤثرون الحياة الدنيا، وخاصتهم أيقظهم باعث قوله: والآخرة خير وأبقى.

واعلم يا حبيبي أن الدنيا دارُ محنةٍوبلاءٍ، عرفَ حقيقتَهَا العقلاءُفَحَذَرُوهَاواحتقروها، واغترَّ بها الحمقاءُ فتنافسوها، فإن نعيمَهَا زائلٌ، ومحبُّهَا لا يحصلُ على طائل، يحاسَبُ مكتسبُهَا على ثلاثة أشياء: من أين اكتسبها، وفيما أنفقها، وهل أدى شكر الله على نعيمها، وكما يحاسب على ما أفناهُ يحاسب على ما أبقَاهُ، ولذلك يقول في قبره: جمعتُ المال من حِلِّهِ ومن غير حِلِّهِ، فالْمَهَنَّاتُ لكم والتبعات عليَّ، يخاطبُ من صار إليه مالُهُ من بعده؛ ويدلُّ على خساسة الدنيا وضَعَةِ قدرها عند الله ما روي عنه ﷺأنه

---

[1] الآية 16 سورة الأعلى.

قال: ﴿ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها جرعة ماء ومنذ خلقها لم ينظر إليها ﴾[1] أي: نَظَرَ رِضَى، فعدمُ نظره إليها سارٍ إلى عدم النظر إلى أهلهَا الْمُنْكَبِّينَ عليها حسبما يقتضيه الحديثُ الآخرُ وهو قوله ﷺ: ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالما أو متعلما ﴾[2]، كأنه يقول: الدنيا ملعونةٌ أي ملعون ما فيها إلا ما هو لله، فما كان لله فليس بدنيا وإنما هو آخرةٌ، وأضافَهُ إليها لأجل أن يأخذَ المرْءُ نصيبَهُ منها، قال ﷻ: ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾[3]، وما استثناه ﷺ هو نصيبُ الْمُرْبِيُ منها لأنه الذي يجدُهُ أمامَهُ فيفرحُ بوجوده ويسكنُ إلى وُرُودِهِ، وأما ما سواه فعظيمُ خطره إلا من يسره الله عليه، وقد مر ﷺ على سخلةٍ ملقاةٍ فقال لمن حوله من أصحابه: أتدرون لأي شيء أُلقيت هذه، فقالوا: لهوانها على أهلها فقال ﷺ: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها. وقال: ﴿ ما الفقرُ أخشى عليكم ولكن خشيتُ أن تُبسط عليكم كما بُسطت على من كان قبلكُم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ﴾ وقال: ﴿ الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ يأكل منها البَرُّ والفاجرُ ﴾[4]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[5]. وقد ضربوا للدنيا مثلاً بالحاج ينزلُ ببعض المناهلِ، فيقومُ بعضهم يجمع الحجارةَ والخشبَ ولا يزالُ يبني حتى ينادي المنادي بالرحيل، فيرحَلون عنه وما أعد لنفسه من زاد ولا هيأ لسفره من ثمرة ولا استعداد، أفترى الرَكْبُ ينتظره أو ترى المنادي يعذُرُهُ، فهيهاتَ هيهاتَ لا يقطعُ المفاوز إلا الفائزَ، والعقلاءُ منهم عرفوا مَنهلهم وأصلحوا فيه شُغلهم المتعلقَ بيومهم ولم يعمروهُ، لأنهم تيقنوا أنهم سيعبرونه بصياح الرحيل، وجدهم مشاة في جادة السبيل، فكذلك أهل الدنيا افترقوا فيها على حالين: فمنهم من جعلها دارا واتخذها قرارا، ألهاه زُخرُفُهَا حالا عن مرجِعِها مآلا، ومنهم من تيقظ من سِنَةِ غفلته وينظُرُهَا بعين فكرته وعِبرَتِهِ، فرأى **كسوفاتِ** فنائها لائحةً، ومصائبِهَا غاديةً رائحةً، نعيمُهَا ينقُصُ وبلاؤُهَا يزيدُ، مُحِبُّهَا يَحْرُصُ وعناؤُهُ شديدٌ، فأَعرضَ عنها مُدبرا ووَلَّى مبصرا، فوجدهَا تَفِرُّ ممن يتبعُهَا وتَتْبَعُ من يفر منها، تواصلُ من يقطعُهَا وتقطع من يُواصلُها، فجلس على كرسي الراحة من تعبها والسلامةِ من عطبِهَا، **فربضَتْ** كالشاة أمامه، واستراح من شُغله بها أيامَهُ، ذاق خَلاَصَ لُبَابِ قوله ﷺ: ﴿ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن،

---

(1) روى أبو حازم عن سهل بن سعد، قال: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة، فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها، فقال: ((أترون هذه هينة على صاحبها ؟ فوالذي نفسي بيده، للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها قطرة أبدا)). **انظر**: **سنن ابن ماجة**، ج2، كتاب الزهد، حديث4110، ص1376.

(2) **انظر**: **سنن بن ماجة**، زهد3، **انظر**:**سنن الترمذي**، زهد14.

(3) الآية 77 سورة القصص.

(4) **انظر**: البيهقي، **السنن الكبرى** ج 3/ص216.

(5) الآية 39 سورة غافر.

والرغبة في الدنيا تتعب القلب والبدن﴾[1]، فمثال الدنيا في اعتبار متأملها في شمس معرفته وشهود سُويداء فِكرته، كخيالِ الإنسان في الشمس، ألا ترى أنك لا تزالُ تسعى خلفَهُ وهو فارٌ أمامك أبدا، فإذا أدبرت عنه انقلب راجعا وصار بعد الفرار تابعًا، فهكذا الدنيا أي ظَرْفُهَا ومظروفُهَا، وليسو يعنون بالدنيا مجرد الدينار والدرهم، بل كل ما هو شاغلٌ عن الله فيها فهو دنيا، لأنه صدق عليه وصفُ الدناءة والخسَّةِ وقد مر طَرَفٌ من هذا المعنى.

ففي كلام المؤلف إشارةٌ إلى أن الطمأنينَةَ بالدنيا والانكبابَ عليها، والتفاتَ القلب إليها، والتذَاذَهُ بزهرتِهَا **ورونقِهَا**، يُلهي عن الآخرة ويَصْرِفُهُ إلى شهواتها **والانهماكِ** في حطامها، وذلك هو الحجابُ الأعظمُ عن الله، كيف لا والله ﷻ يقول: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2]، فانظر رحمك الله قولَهُ: زهرةَ الحياة الدنيا وقولَه: لنفتنهم، فإن الزهرةَ بوضعها دالةٌ على الذَمّ، وأنها رونقٌ زائلٌ من مَبْدَآهُ، وقولُه: لنفتنهم صريحٌ في أن الدنيا فتنةٌ وأَيُّ **فتنةٍ** هي كما قال في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[3] وقال: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[4] ألا ترى أنه ﷻ جعل جميعَ الأمرين الخيرَ والشرَّ فتنةً في آخره بليَّةً في أوله، فمن عرفَ رُشْدَهُ هرب من مجموع الحالين، ورجع به إليه واستقر في مقعد صدق لديه، فاستراحَ على الأبد ولم يأنس في دنياه بأحد، وقد ذم جل جلاله بعضَ المشركين بسبب اغتراره برونق الدنيا فقال: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[5] فقد جعل وجودَ المالِ والولدِ الموجبين للعزة بهما والسكون إليهما سببا للتكذيب، ولم يُغنيَا عنه من الله شيئا، ففتنة المال والولد تحدثُ منها قبائحُ وعيوبٌ كثيرةٌ، كالكِبْرِ والعُجْبِ والحقد والحسد، والغش والخديعة والرئاسة والتعاظم، والتقاطع والتهارج والتفاخر، والحرص و**البخل** وطولُ الأملِ، والجبنِ والاغترار ونسيانِ الآخرةِ، وغير ذلك بما تكونُ الدنيا سببا فيه، وأقبحُ هذه العيوب ما ينشأُ عنها وهو الحجابُ عن الحق ﷻ كما أشار له بقوله: فإن ذلك زيادةٌ في عماك، كأنه يقول: المتوجه إلى الدنيا المقبلُ عليها أَعْمَى عن الآخرة ضالا عن جادتها، منحرفا عن السبيل الموصل إليها، والمطمئنُ بها يزيدُ ضلالُهُ وعمَاهُ، فلا يرى حقًا فيعملُ عليه ولا يعرفُ باطلا حتى يجتنبَهُ كما هو شأنُ الأعمى، وحجابُ القلب أشدُّ من ارتكاب الذنب، لأن الذنب فرعٌ من الحجاب، فلولا وجودُ الحجاب ما قَبُحَ اكتسابٌ، لكن الذنوبَ تُقوي كثافَتَهُ كما أن الأعمالَ الصالحةَ توجبُ زوالَهُ أو لطافَتَهُ، فالحُجُبُ محضُ ظلمةٍ وضلالة وكشفُهَا نورٌ وصقالةٌ، قال ﷻ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ

---

[1] ﴿ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن، والبطالة تقسي القلب ﴾ رواه القضاعي عن ابن عمر، وورد بألفاظ أخرى. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص532.

[2] الآية 131 سورة طه.

[3] الآية 15 سورة التغابن.

[4] الآية 35 سورة الأنبياء.

[5] الآية 15 سورة القلم.

السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا﴾[1] فزهرةُ جنته أوجبت له ما أَخْبَرَ عنه ﷻ من السكون إليها والطمأنينة بها، والاغترارِ والْجَحْدِ بإتيانِ الآخرةِ والوثوقِ بالدنيا وحطامِهَا، ولو لم يكن إلا هذه الآيةُ فقط لكانت كافيةً لمن اعتبر وتدبر، وانظر الفرق بين هذا وصاحبِهِ الذي حماه سيدُه من الدنيا، كيفَ **ونَّجَهُ** وعاب عليه مقالتَهُ و**شَنَّعَ** عليه ضلالَتَهُ، مشيرًا إلى ابتداءِ خَلْقَتِهِ من ضعفٍ التي نسيها وإلى كمال تصويره ونهاية تطويره التي هو الآن فيها مغترا بقوتها، فقال: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[2]، وأخبره عن مقامه وصرح له بمزيد إنعامه قائلا: ﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾[3]، فالجملة الأولى نصٌ في قوة الإيمان حالا، والثانيةُ نصٌ في استصحابها والثبوتِ عليها مآلا.

وبالجملة: فالآيُ والأحاديثُ في ذم الدنيا ومدح الآخرة كثيرةٌ، ولو تمسك المتيقظُ بآية واحدة أو حديث واحد لكان محذرا له من الاغترار بهذه والنسيان لتلك، ولو قدم إرادة سيده على إرادة نفسه لدلَّ ذلك على فطنته، والمسكينُ ما قَدَرَ على فِطامها ولا صَبر على حُطامها، وإلا لَسَلِمَ من وبالها وآثامها وما ذاقَ داءَ حلالها وحرامِهَا، وفيما مر سابقا وهنا كفايةٌ لمن له بصيرةٌ وفكرةٌ وعنايةٌ. ثم قال:

الحكمة الثانية والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تطمعْ في مغفرة الرحمان و أنت معرضٌ عن الإيمان، فإنَّ ذلكَ من علامة الخسرانِ.**

قال الشارح:

الرجاءُ محمودٌ وهو: ما قارنه عملٌ، والتمني مذمومٌ وهو: ما لم يقارنُهُ عملٌ، فيرجعُ إلى وصف الطمعِ، فطمعُ الإنسانِ الغافلِ في مغفرة رَبِّهِ واستشرافُ نفسِهِ على قربه مع إعراضه عما يُقَوِّي به إيمانَهُ، أو يترقى به إيقانُهُ دالٌ على خسرانِهِ في أحواله لتقصيره في أعماله، فحقُّ المذنب في حال الصحة تغليبُ حالة الخوف مع تفقد حالة الرجاء، فإذا غلب على قلبه سلطانُ الخوف حتىَّ قَرُبَ من اصطلامِهِ طلبَ حينئذٍ بالانغماس في الرجاء، ليُطْفِأَ لَهَبَ الخوفِ المؤدي إلى القنوط، وكذلك إن كان في حال الرضى يستقِرُّ في ظل الرجاء، كي يُقْدِمَ على ربه حَسَنِ الظنِّ به كما قال ﷺ: ﴿ لا يؤمن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﴾[4]، وقال حاكيا عن ربه: ﴿ أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ﴾، فظاهرهُ العمومُ لكنه مخصوصٌ بحالٍ دون حال كما مَرَّ، وفي كلام المؤلف إشارةٌ إلى أن الإيمان يزيدُ وينقصُ، يؤخذ ذلك من

---

(1) الآية 35 سورة الكهف.

(2) يورة الكهف، الآية 37.

(3) الآية 38 سورة الكهف.

(4) **انظر**: **سنن أبي داود**، جنائز13، أدب81.

قوله ﷻ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[1] وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾[2]، وكما قال في قصة خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[3] فالمقَرَّرُ بقوله: أو لم تومن هو الإيمانُ الكاملُ وإلا فأصل الإيمان موجودٌ، فليس السؤالُ بمقصود، ألا ترى إلى أنه قال: رب أرني كيف تحي الموتى، فأقَرَّ له بالربوبية أولا ثم طلب منه مشاهدةَ آثار قدرتِهِ وتخصيصَ إرادتِهِ، الذي هو مشهَدُ تجلي الأفعال، ليترقَى به إلى مقام الكمال الذي هو تجلّي الصفات، يدلُّ عليه جوابُهُ بقوله: ولكن ليطمئن قلبي، فأراه ما طلَبَ وكشفَ لهُ عن [**مُخَدِّرَاتِ**][4] ما رَغَبَ، ثم رَقَّاهُ إلى تَجَلّي الأسماء بقوله: ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[5]، ونهايةُ ترقيه في المقامات هي قوله ﷻ: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[6]، وترقي الأنبياءِ وتجليهم عليهم الصلاة والسلام ليس كترقي غيرهم ولا كتجليات من سواهم، لأن أعيانَهَمْ نورانيةٌ من أصل فطرتهم، فلم يقعْ لقلوبهم من أدناس البشرية مثل ما يَقَعُ لغيرهم وما يُوهِمُهُ ظواهرُ الأخبار بل يدل على خلاف ذلك، فمصروفٌ عن ظاهره دليلُنَا عصمتُهُم قَبْلَ النبوءةِ وبعدهَا، وهي تقتضِي عدمَ وقوع الذنب الذي هو أصلٌ في الحجب، فلا ذنب يقع منهم ولا حجاب يُسبلُ عنهم، فهم الأنوارُ من أصلِ نشأتهم إلى آخر نهايتهم، غير أن الأنوارَ تتزايَدُ، فكذلك نورُ الإيمان يتقوى بقوة إمداداته، كما أن المصباحَ يزيدُ إشراقُه عند تنظيف فتيلتِهِ وإمدادِهِ بخالص زيته، فالمؤمنُ العاملُ بطاعة ربه مقبلٌ على زيادة إيمانه، والغافلُ بعكسه فهو مدبر والإدبارُ يؤولُ إلى النقصان وهو الدال على الخسارة عياذا بالله، ويتضح لك ذلك بالمثال: فالقمرُ مُدَّةُ إقباله إلى أمام وتوجهُهُ إلى قدام، لا يزالُ في الازدياد حتىَّ يَتِمَّ ويصيرَ بدرًا، وحين يتخلفُ عن التنقل إلى أمام يبدلُّ مكان الزيادة نقصانا، فكذلك المقبلُ على ربِّهِ زائدٌ إلى قدام، وبحسب زيادته في طاعة معبوده تكونُ زيادتُهُ في شهوده، والمدبرُ على الطاعة راجعٌ إلى القَهْقَرَى التي هي نفسُ [الخسار][7]، وعنوانُ الهلاك و**التبار**، وكلام المؤلف قريبٌ من حيثُ الإشارةُ من قوله ﷺ: ﴿ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى

---

(1) الآية 173 سورة آل عمران.

(2) الآية 4 سورة الفتح.

(3) الآية 260 سورة البقرة.

(4) في مخ: محذرات.

(5) ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية 260 سورة البقرة.

(6) الآية 79 سورة الأنعام.

(7) في حج: الخسارة.

على الله الأماني ﴾[1]، فالمتبعُ لهوى نفسه المطلقُ لعنانها هو الخاسرُ في صفقَتِهِ، التائِهُ في أودية حَيْرَتِهِ، فأمَانَيُّهُ مع اتباعهِ لهواهُ زائدةٌ في ظلمتِهِ وحسرَتِهِ وعَمَاهُ، أفرأيت من اتخذ إلهه هواه فأضله ذلك وحادَ به عن سبيلِ هُدَاهُ، فلو أبصرَ رُشْدَهُ لوقَفَ على جادة السلامةِ، وخرجَ عما يَعْقُبُهُ من فوتٍ أو ندامَةٍ. ثم قال:

الحكمة الثالثة والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تغترَّنَ بما يلوحُ لك من العلوم وأنتَ مُنْعَكِفٌ على الهمُومِ فإن ذلك من علامةِ القلبِ المسقومِ.**

قال الشارح:

عادةُ الله تعالى أن يُكْرِمَ من قصدَهُ بصدقٍ وتقرب إليه بصدق، فَيُفِيضُ على سره من ينابيعِ علومه وأسراره، ويُطْلِعُ على عالَمِ قلبِهِ شُمُوسَ أنوارِهِ، ومع هذا فهو مطالبٌ بالإعراض عن مساكَنَتِهِ ومأمورٌ بالخروج عن **ملاحظته**، وإلا فالاغترارُ باللوائحِ عنوانُ كُمُونِ القبائحِ، فوقوفُ المربي عند ما يلوحُ له من العلوم والمعارف الربانيةِ، وسكونُهُ إليها بقلبه، وجعلهَا مقصودًا بقربِهِ، يقتَضِي سُمَّ سريرتِهِ وطَمْسَ بصيرته، لأنها أغيارٌ كونيةٌ وطوالعُ عَيْبَيَّةٌ قادحةٌ في عبوديته، وطاعنةٌ عليه في إرادته، إذ العبوديةُ الصِرْفَةُ هي صفاءُ الأسرار من رِقِّ الأغيارِ، وسكونُ السر إلى ما يشاهدُهُ، وعكوفُهُ على ما يستَلِذُّهُ، حجابٌ قاطعٌ وسجنٌ مانعٌ، فكُنْ أيُّهَا السائِرُ إلى محبوبه القاصدَ لمطلوبه **[يُوسُفَيَّ]**[2] القلبِ، حتى إذا عَرَضَتْ عليكَ زُلِيخَا المشاهداتِ جمالَهَا، وأبرَزَتْ لك حُسْنَهَا وكمالَهَا، أَعْرَضْتَ عنها بالفرار ونظَرْتَ إلى بهجتها بالاحتقار، شاهدُ صِدْقِكَ في هربك وشدَّةُ حرصِ من جَدَّ في طلبِكَ مراعيًا حرمةَ مولاك الذي قَرَّبَكَ لحضرتِهِ وأدنَاكَ، مَنَعَكَ من السكون إليهَا شهُودُ بُرْهَانِهِ، وأَغْنَاكَ عن جمالها عِظَمُ امتنانِهِ، تَرضى بذل السجن والوَضِيعَةِ خوفا مما يُحدثُهُ الميلُ من القطيعة، إعراضُكَ عن غيرِ سَيِّدِكَ صادقٌ، ولسانُ صدقك في أداء حقوقِهِ ناطقٌ، فغرضُ السائرين ومَقْصَدُ المقربينَ خُلُوصُ أسرارهم وتصفيةُ أغيارهم، وعكوفُ القلب على الهموم **الرَّانِيَةِ**، والفواحشِ النفسانية، دليلٌ على عدم تَمْكِينِهِ بالحق وإدباره عن الخلق، ومن هذا حالُهُ فَلْيَحْذَرْ من الاغترار بما يلوحُ له من الأسرار، لأنَّهُ لا يُأْمَنُ من مَكره فلا يأمَنُ مكر الله إلا القوم الخاسرون، هذا في حق من هو في غاية الاستقامة، فغيرُهُ ممن هو دونَهُ أحرى بالتحرُّزِ من مُسَاكَنَةِ البوارق، كما هو شأنُ بَعضهم رضي الله عنهم،

---

(1) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم والعسكري والقضاعي والترمذي وقال حسن، وعن شداد بن أوس مرفوع، وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري، وقال سعيد بن جبير الاغترار بالله المقام على الذنب = ورجاء المغفرة، وفي الحديث رد على المرجئة وإثبات للوعيد. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص178.

(2) في مخ: يوسف.

فإنهم إذا كُوشفوا ببعض خَرْقِ العوائد فَرُّوا إلى سيدهم منه، وخافوا على أنفسهم حذرا من أن يكونَ مكرا واستدراجا، وعلى فرض السلامةِ منهُمَا فهي أغيارٌ لا يقفُ عندها إلا أصحابُ الاغترار، عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه. ثم قال:

الحكمة الرابعة والخمسون بعد المائة

قال ﷺ:

- **لا تَستَفْتِحْ منامَكَ بِمَرْغُوبٍ، ولا تَخْتَمْهُ بِمطلوبٍ، فإنَّ ذلك من أكبرِ الذُّنُوبِ.**

قال الشارح:

تَضَمَّنَ كلامُهُ الحثَّ على حفظ طرفَيْ عالم النوم، من أن يُستفتَحَ بمرغوب أو يُختَتَمَ بمطلوب، لأنَّ النومَ كمَا وردَ فيه أَخُو الموت وهو شبيهٌ به، فالنومُ عنوانٌ لما عليه المرءُ في اليقظة، فإذا أرادَ أن ينَامَ فلا يستفتحُ عالم نومه بالرغبة في شيء من الأشياء والاهتمام وتُحَدِّثُ النفس به، إلا فيما يَعنيه ويليقُ بحاله مع الله تعالى، جاعلا حالَتَهُ تلك خاتمةَ عُمُرِهِ وعملِهِ، فلا يجعلُهُ إلا طيبا زكيا، كما أن الميت حين دُنَوِّهِ من مفارقة الدنيا لا يُفكر إلا فيما يليق به، فإن المرءَ إذا نام صَعَدَ رُوحُهُ إلى العالم العلوي، بَرْزَخَ أرواحَ عِليين إن كان صالحا وعكسُهُ إن كان بالضِدِّ، كالموتُ سواءٌ بسواءٍ، و اليقظةُ من النوم كالبعثِ من القبور، فمن مات على حالٍ طيبٍ وعمل صالح بُعِثَ كذلك، ومن مات على حالٍ خبيثٍ بُعِثَ كذلك، فالمتيقِّظُ من النوم يَستيقِظُ على ما نام عليه، فإن كان نومُهُ مُنطبقًا على الرغبة في الدنيا والاهتمام بشأنها والتحَيُّلِ في اكتسابها، يستيقظُ على ذلك بل يكونُ أشدَّ حرصا وأعظمَ رغبةً، ألا ترى أن النائم في حال نومهِ لا يزالُ روحُهُ جائلا فيما كان فيه في يقظته حسبما هو مشاهدٌ مجربٌ، فمن كان من الذاكرين مثلا ينامُ ذاكرا ولا يزالُ يتعاهَدُ الذِّكْرَ في حال نومِهِ، ومن كان من الرعاة مثلا ينامُ على الرعاية ويجولُ فيها ويذهبُ بها، فإذا استيقظ كلٌ وجد في فاتِحِ يَقْظَتِهِ وِفْقَ ما في نومتِهِ، وحينئذٍ فلا يسعُ العاقلَ خَتْمَ يَقْظَتِهِ بمرغوبٍ ولا افتتاحُهَا بمطلوبٍ سوى علامِ الغيوبِ، وكلامُهُ ﷺ في طرفي النوم أَشَدُّ من كلامه على اليقظة، إذ هي أحرى مع أنَّ طَرَفَيْ النوم هما [طرفا][1] اليقظة، فنَبَّهَ بالأدنى عنِ الأعلى، فخاتمةُ النوم هي بدايةُ اليقظة ونهايةُ اليقظة هي خاتمةُ النوم، غيرَ أَنَّهُ ﷺ أفردَ الكلامَ في النوم بالذكر لكونه شبيهًا بالموت من حيثُ أنه نهايةٌ ليقظتِهِ واكتسابِهِ، ومحلٌ لسكونِهِ وراحتِهِ من أتعابه، قال ﷻ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[2]، فمن حكمته أن جعل الليل محلا للسكون عن الاضطراب والتحرك في الأسباب، وقال تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾[3]، فأهلُ الغفلةِ منهم جعلوا ليلَهُم راحةً من الأتعاب

---

(1) في مخ: طرف.

(2) الآية 67 سورة يونس.

(3) سورة القصص، الآية 73.

البدنية، وسكنوا عن التحرك في المآرب الدنيوية، وأبدلوا مكان ذلك الاهتمامَ بماضي أسبابه ومستقبل اكتسابِهِ، كما يقع ذلك لأهل المعاملات الدنيوية، فلا يزالون في جميع نهارهم مَتْعُوبِين بقلوبهم وأبدانهم، فإذا **جَنَّ** عليهم الليلُ التقموا ثدي أُمهم، وتوسدوا ذراعها فباتوا في حِجرها وتحت ولاية قهرها، فلا يُصْبحوا إلا وأفئدتُهُم مَمْلَوَّةٌ من لبن حبها؛ وقد كُنت ذات يوم جالسا مع الأستاذ المؤلف ﷺفدخل علينا شخصٌ فسأله عن حاله، فقال له: يا سيدي إني مع ربي في خير وأَتَمّ نعمةٍ وقد خرجَتْ الدنيا من قلبي فلا محبة لي فيها، فقال له الأستاذ: وما أمارةُ خروجها من قلبك وانقطاع حبها منه، فقال: الله أعلم، فقال: انظر ما يبيتُ في قلبك وتنَامُ عليه عينُكَ فهو محبوبُكَ، فإن كانت الدنيا فالدنيا، وإن كانت الآخرة فالآخرةُ، فَنَكَّسَ الشخصُ رأسَهُ وعرفَ حالَهُ مع محبوبه من هو، فانظر رحمك الله إلى هذا الميزانِ العجيبِ كيف أَبَانَ ما خَفِيَ، وكَشَفَ مخدراتِ ما سُتِرَ وغُطِّيَ؛ وروي في بعض الآثار أن الإنسان إذا أراد أن ينامَ اكتنفه ملكٌ وشيطانٌ، فقال الملَكُ: اختم بخير، وقال الشيطانُ: اختم بشر، وإذا استيقظ اكتنفَاهُ كذلك فيقول له الملَكُ: افتح بخير ويقول له الشيطان: افتح بشر، فما خَتَمَ عليه في الأول يستفتِحُ به في الثاني، ويعملُ على وِفْقِ ذلك، وكأَنَّ كلامُ المؤلف يُشير إلى هذا الأثر.

وقولهِ: من أكبر الذنوب، أي عند أرباب القلوب، لأن النوم عندهم بمثابة الموت والاستيقاظُ منهُ بمثابة البَعْثِ، والأعمالُ بالخواتم، فمن خَتَمَ بخير كانَ مآلُهُ إلى خيرٍ وعكسُهُ، وكيف لا يكونُ العبدُ مراعيا لخاتمة عَمَلِهِ محافظا عليها، متوقعا أنه ما يستيقظُ من نومته تلك وأنها آخرُ عُمُرِهِ، فيمُوتُ على حُسْنِ الخاتمة، رزقنا الله حُسنها بمنه وكرمه، وأما أهلُ المعاملة الباطنة فإنهم في جميع نهارهم سائحون في رياض الطاعات، مستغرقونَ في كل أحوالهم بأنواع النَّعَمَاتِ، حتى إذا جَنَّ عليهم الليلُ خَلَوْا بمحبوبهم وسُتِرُوا في أردَيَّةِ مطلوبهم، يُناجونه بكلامه ويتملَّقُونَ له بإنعامه فمنهم الصارخُ والشَّاكي و**الْمُتَأَوِّهُ** والباكي، يبيتون بألم المحبة والأشواق، ويستضيئون بمدامع الأحداق، سُكوتُهُم في ليلهم بالقلب والقالَبِ، ينامون ذهولا عن غيره ويستيقظون بواردات **بِرِّهِ**، نومهم فناءٌ ويَقْظَتُهُمْ بقاءٌ، نومهم ذهولٌ ويَقظتُهُم وصولٌ، سكونهم فكرٌ وحركتهم ذكرٌ، تواصلت أوقاتُهُم وتباينت أقواتُهُم، فهم في نعيمهم دائمون، كلما رزقوا من ثمرة المواجهة رزقا، قالوا: هذا الذي رزقنا من قبلُ. ثم قال:

الحكمة الخامسة والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تنظر لما يبرقُ لك من العمل وأنتَ على حُظُوظِكَ مُتَّكِلٌ فإنَّ ذلكَ من أعظَمِ الزَّلَلِ.**

قال الشارح:

نهى ﷺ المرءَ عنِ النظرِ فيما يبرُقُ له من البوارق أو يلوحُ له من الشوارق، ما دام مراعيا لحوله وقَوَّتِهِ وملاحظًا لوجودِهِ ونسبَتِهِ، مُعطياً للنفس حظَّهَا من الشهوات ومُطلقاً لعنانها تَمْرَحُ فيما لها من المألوفات، كما قال سابقا: لن تُخْرَقَ لك العوائِدُ حتى تُخْرَقَ لك من نفسك العوائِدُ، وأنت خبيرٌ بأَنَّ هذه اللَّوَائِحَوالبوارقَ التي يُواجَهُ بها أهلُ المعاملات ليستْ مقصودَةً لذاتها وإن حَسُنَتْ حالُ صاحبِهَا وخَرَجَ عن حُظوظها، بل المقصودُ إلى أمامٍ والمرادُ النهايَةُ إلى قدامٍ، فأحرى من كان في سجن نفسه الأمارةِ أو ما يَقْرُبُ منها ممن يُكَدِّرُ باطنَهُ غُيْنُ الأغيارِ، أو يأخُذُ بمجامع قلبه لوائِحُ الأنوارِ، لأنه مطالبٌ بالنظر إلى ما فيه من عيوبه فينقيهَا، ومأمورٌ بالإعراض عن الغيُوبِ فيتَّقِيهَا كما قال: لا تنظر إلى ما يلوحُ لك، فالمصباحُ ليس مرادا لذاته ولا مطلوبا لِمُتَحَسِّنِ صِفَاتِهِ، وإنما المطلوبُ ما أُرِيدَ به من دَفْعِ المضارِ وجلبِ المصالح، فكذلك الْمُجْتَهِدُ إذا لاح له من أعماله بعضُ لوائحٍ أو صاح عليه من خلفها صائِحٌ، فَلْيَحْذَرْ مكرَ ذلك ولْيُعْرِضْ عَمَّا هنالك، فالالتفاتُ إليه هلاكٌ والوقوفُ عندَهُ مَحْضُ إشراكٍ، فاستحسانُ البوارقِ والأنوارِ من علامات الاغترار، والرَّبُّ جَلَّ جَلالُه يقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1]، فالطوالعُ المشرقَةُ على قلب السائِرِ في سماءِ قلبه ليست مرادَةً لعينِهَا، وإنما المقصُودُ الاهتِدَاءُ بها في ظلمات برِّ الشريعَةِ وبَحْرِ الحقيقَةِ، لأَنَّ العَمَلَ بالعلم يحتَاجُ إلى الاقتداءِ، وبذلك يحصُلُ **النُّجْحُ والاهتداءُ**، وبعد كمالِ النهايةِ وثُبُوتِ العنايَةِ لا تَضُرُّ لوائِحٌ تبرُقُ، ولا تَشغِلُ أنوارٌ تشرقُ، فقوله: لا تنظر..الخ، مرادُهُ نَهْيُ وقوفٍ واستحسانٍ، ورضًى به ورغبةً فيه واطمئنَانٍ، أَمَّا مُجَرَّدُ الرؤيةِ من غير اشتغالٍ بالمنظور فليس عندهم بضار ولا محظور، كالنظر إلى الأجنبية، فالأولى من غير قصد ولا التذاذٍ لا بأس فيها وإنما البأسُ في مُعاودَةِ النظرِ، فكذلك هذه البوارقُ عند أرباب القلوب من العوائق، **تَسْتَزِلُّ** قلبَ من ضَعُفَ شُهُودُهُ وتَصرِفَ وجهَهُ من قبل ورودِهِ، فَمَن امْتُحِنَ بها فَلْيَفِرَّ إلى ربه منها، عسى أن يحفظ سرَّهُ عن **الشَّغَبِ** ويصونَهُ من موجبات العَطَبِ، وكيف لا يكونُ الاعتقادُ على الحظوظ النفسانية وقصدِ الأغراضِ الحيوانية من أعظم الزلل، والله يقول: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2]، فغرضُ العامِلِ غيرُ معبوده إشراكٌ، والجليل جل جلاله غني عن الاشتراك كما قال ﷺ حاكيا عن ربه: ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشريكَهُ ﴾[3]، ومحبةُ غير الله وقصدُ إدراكِهِ قادحٌ في العبودية كما قال ابن عطاء الله: (ما أحببت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا)[4]، وهذه البوارقُ كُلُّهَا ما قل منها وما جَلَّ كلها أغيارٌ كونية، تعتري سالكي طريقَ المقربين لتصرِفَ وجوهَهُمْ عن مقصُودهم وتُكَدِّرُ شُربهم في ورودهم، فالعاقلون منهم سمعوا

---

(1) الآية 97 سورة الأنعام.

(2) الآية 110 سورة الكهف.

(3) **انظر: مسند الربيع ابن حبيب**، ج/1. 17. **انظر**: البيهقي، **الأسماء والصفات**، 213.

(4) **انظر**: الحكم العطائية، ح210، ص 52، مرجع سابق.

بآذان قلوبهم داعِيَ: ففروا إلى الله، فَصُمَّتْ آذانهم عن سِوَى محبوبهم، فما صَغُوا لعذولٍ ولا أناخوا رواحلَهُمْ قَبْلَ الوصولِ، قائلين بلسان الخِلَّةِ الإبراهيمية: إني ذاهب إلى ربي سيهدين، جعلوا عرفاتِ عِرفانِهِم لهُ هي الغايَةَ، فما استراحُوا في سفرهم ولا سكنوا لشيء إلى النهاية، رَكِبُوا نُجُبَ الشوق وتزودوا أطعمة الذوق، عزائمُهُم لمحبوبهم سَيَّارَةٌ وقلوبُهُم لمطلوبهم طَيَّارَةٌ، فَغَيْرُهُ عُزِلُوا وفي بساط الأنس به نَزَلُوا، خَلَعَ على أسرارِهِمْ خِلَعَ جلاله، وجَمَّلَهُمْ بِحُلَى جمالِهِ، فمنهم من **أَنَّ** وصَاحَ، ومنهم من جُنَّ وبَاحَ، ومنهم من اتسَّعَتْ عوالِمُهُ وأسرَارُهُ وتكاملَتْ شُمُوسُهُ وأنوارُهُ، استقامت أفلاكُهُ وتَأَسَّسَتْ أملاكُهُ، لَمْ يُرَ على ظواهرهم ما تكامَلَتْ به ضَمَائِرُهُم، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، ثم قال:

الحكمة السادسة والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تَقْنَعْ بكثرةِ الأعمالِ من غَيْرِ حُضورٍ مع المتعالِ، فإن ذلك دليلٌ على عَدَمِ الإِقْبَالِ.**

قال الشارح:

قناعةُ الشخص بمجرد كثرة أعماله دليلٌ على غفلته وعدم إقباله، فمن سلك طريق المقربين ودخل **ديوانَ** المحبين لا تُقنعُهُ كثرةُ أعمالٍ من غيرِ شهودٍ، ولا تَسْلُبُهُ أنواعُهَا دون وُجُودٍ، غَرَضِهِ في المعاملة المحاضرةِ والمواصلَةِ، فَمَحَطُّ رحالِ الأبرارِ مُجرد التعبُدِ، ومطمحُ نظرِ المقربين الحضورُ مَعَهُ والتَّفَرُّدُ، لا يُقنعهم كثرةُ أعمال ولا يُلهيهم إفاضةُ نوالٍ، تقدَّسَتْ أسرارُهُمْ عن السكون إلى غيره محبةً فيه وإجلالاً له وهيبةً منه وأُنسا به، لا يأنَسُونَ بشيءٍ سواهُ جل جلاله، أخذوا حظهم من قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًامُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾[1]، خرجوا من قفص دُنياهم وحَلُّوا بأسرارهم في برزخ أُخراهم، حاسبوا أنفسهم أَيَّ محاسبةٍ، وعَرَضُوا عليه بالمراقبة، ففاقوا أبناءَ الجنس وسبقُوهم في المعنى والحِسِّ، فهم في جنة حُضورهم مع معبُودِهِم والتنعمِ في جمال مَوْجُودِهِمْ، كانوا معه فكان معهم، ألبسهم حُلَلَ الولاية وأجلسهم على أرائك العناية، أشهدهم جمالَهُ ووهب لهم كمالَهُ، أفناهم فيه عنهم وسلبهم به منهم، فلا شمسُ الشهود تمنعهم، ولا **زمهريرُ** بردِ الوجود يصدَعُهُم، بخلاف السادة الأبرار: فهم عاملون على رجاء المجازاة قانعون بتكثير الحسنات، همتهم تنويعُ الأعمال وخدمةُ المتعالِ من غير مراعاةٍ لمشاهدةٍ ولا إقبالٍ، لا يعرجون إلا عليها ولا يُشرفون بقلوبهم إلا إليها، ولقد حكي عن بعضهم أنه قال لبعض المريدين: بماذا كان يأمركم شيخكم فقال له: كان يأمرنا بكثرة الأعمال ورؤية التقصير فيها، فقال له: أمركم بالمجوسية المحضة، أفلا كان يأمركم بالغيبة عنها في شهود مجريها ومرسيها، فَتَرَقَّى ذلك المريدُ بهذا الترياق من حينه، وغاصَ غرقا في بحر يقينه، فانظر إلى هذا الفرق بين الأمرين والمباينة بين السرين، فمشهدُ

---

[1] الآية 12 سورة الإنسان.

الأولين ظاهرٌ **صُوَايَنٌ**، ومشهد الأخيرين باطنٌ روحانيٌّ، صاحبتهم في معاملتهم الغيبة عنها شهودا، والاستغراقُ في مجريها وجودا، وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال:(إن قوما عبدوا **الله** رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا **الله** رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا **الله** شكرا فتلك عبادة الأحرار)[1]، وقال في **القوت** روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجرة لم يعمل ﴾[2]، وقال في الحكم: (من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه)[3]، وفيما نَقَلَ وهب بن مُنَبِّهْ من الزبور: ﴿ ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نار ألم أكن أهلا لأن أطاع ﴾، ويرحم الله القائل في هذا المعنى:

لو لم تكن نارٌ ولا جنةٌ * ولا وعيدٌ لا ولا موعِدُهُ

ألم يكنْ حقًّا على العبد * أن يشكر بالطاعة من أوجدَهُ

فالله تعالى أهلٌ لأن يُذكرَ ويُشكرَ، ومستحقٌ لذلك ولو لم تكن جنة ولا نار، والشكر واجبٌ على قَدْرِ النعمة، وقد مَرَّ طَرَفٌ من هذا عند قول المؤلف: لا تجعل عبادتك عبادة المنتظرين، إن أعطوا تعبدوا وإن مُنعوا **تربدوا** فراجعه إن شئت. ثم قال:

الحكمة السابعة والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تجعل يَقَظَتَكَ غفلةً وغفلتَكَ استرسالٌ[4]، فإن ذلك دليلُ الإهمالِ.**

قال الشارح:

المرءُ له حالتان يقظةٌ ونومٌ ولا ثالث؛ وهو مُطالب في يقظته بحفظ ودائعه وإرسال **طلائعه** فيما فيه مرضاةُ ربه تعالى وموجباتِ القُرْبِ منهُ، ومأمُورٌ باجتناب الغفلة القلبية، وحَذَّرَ من أن تميلَ عليه الأعداءُ الباطنةُ فتصطلمه عن إحساسه وتغمِسَهُ في بحر أدناسه، كما كان عليه في حاله أول مرةٍ، فيرجعُ إلى سجين الطبيعةِ ويهيمُ في ليل القطيعة كما قال تعالى: ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾[5]، فالكافرون من حيثُ الإشارةُ هم الأعداءُ الباطِنَةُ، والأسلحةُ هي الأسماءُ

---

(1) **انظر**: **التذكرة الحمدونية**، تحقيق إحسان عباس، مج1، ص76.

(2) **انظر**: الزبيدي **إتحاف السادة المتقين**، 567/9.**انظر**: العراقي **المغني عن حمل الأسفار**،ج 4/ص298.

(3) **انظر**: ابن عباد، ج1، ص241.

(4) كذا في مخ، وحج ولعله استرسالا: مفعول به.

(5) الآية 102 سورة النساء.

التي يترقى سالكُ الطريق بحفظها والمداومَةُ عليها و**الاستهتارُ** فيها، فيتمنى العدوُّ غفلةَ السائر عن سلاحه الذي يُرهب به عدوه ويقهرُهُ بذلك، فيميل على قلبه ميلةَ الاستئصال فلا يجد في قلبه وقالبه من حركةٍ ظاهرةٍ ولا حالٍ، ولذلك حَذَّرُوا من الغفلة بعد الإرادة أكثر من تحذرهم منها [بعد][1] الإرادة، فقالوا: زلةٌ بعد الإرادة أعظمُ من سبعين زلةٍ قبل الإرادةِ وهو الحقُّ، إذ العدو قبل **الإرادةِ** ليسَ بالحريص على غوايةِ الإنسان ولا بالمكترث به، فإذا رأى منه **مخائلَ** العزم والحزم وعَرَفَ منه التَّيَقُّظَ إليه عرف أنه مجاهدٌ له لا محالةَ، فيبذُلُ حينئذ وُسْعَهُ وطاقَتَهُ في إضلاله وإفساد نظامِهِ وأحوالِهِ، فلا يزَالُ له بالمرصاد وأكثَرُ ما يَدْخُلُهُ من باب الغفلة، فهو كالسارق يغتنم فرصة غفلةِ المسروقين إلا من حفظه الله، بخلاف من لم يكن في بساط الإرادة فلا [تُهْمَةَ][2] له فيه ولا التفات إليه، علما منه أنه في طوع يده غافلٌ، وعن سبيل رشده ذاهلٌ، لا يَلْقَى له بالا ولا يَخشى منه مكيدةً ولا حالاً كما عرفت، فإذا علمتَ هذا فاحذر أن تجعلَ يقظتَكَ غفلةً عن أحوالك، وتكاسُلاً عن أعمالك، هائِمًا في أوديتها [مُكَبَّلاً][3] في أغطيتها، كما تَحْذَرُ من جَعْلِ غفلتِكَ استرسالاً فيها واستغراقاً في ليلها، فتكونَ نائِمًا في كُلِّ أحوالك كما قال الشاعر:

وأنت إذا استيقظت أيضا كنائم * .....(4)

فالمستيقظُ الغافلُ بمثابة النائم، بل النائمُ أحظى من حيثُ سقوطُ التكاليف عنه، بخلاف الغافل فلا عذر له فيها، لأن عنده بعضَ شعورٍ، فهو مطالبٌ بدفع تلكَ الغفلَةِ التي أَرْخَتْ رِوَاقَهَا على إِنْسَانَ قلبه فمنعته من التوجه لربه، فإنك أيها الإنسان إن استرسلت في أودية الغفلة أفضى بك الأمرُ لا محالةَ إلى الإهمال وتضييع المصالح والأعمال، فانهض وقم على ساق جِدِّكَ واسْعَ في خلاص نفسك من موجبات بعدك وطردك، وإياك أن تغفَلَ عمن لا يَغْفُلُ عنك ولا تُهْمِلَ أحوالَكَ مع من لا يُهْمِلُكَ، وتُدْبِرَ عَمَّنْ لا إدبارَ لهُ عنكَ إن كنتَ عاقلاً.

وبالجملة: فالوقتُ كَنْزٌ لا يَتَأَتَّى الإنفاقُ منه إلا لمن كانتِ اليقظَةُ حالَهُ، والتشميرُ على ساقِ الجِدِّ منوالَهُ، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[5]، ألا ترى إلى أنه جعل نفعَ الليلِ والنهارِ عائدً لمن له إرادةٌ في التَّذَكُّرِ أو الشُّكْرِ، وهما لا يكونان إلا وصفين للمتيقظ فافهم. ثم قال:

الحكمة الثامنة والخمسون بعد المائة

---

(1) كذا في مخ، و حج: لعله قبل.

(2) في مخ: همة.

(3) في مخ: مكبولا.

(4) لم أقف عليه.

(5) الآية 62 سورة الفرقان.

قال رضي الله عنه:

- **لا تجعل حياتَكَ [موتا][1] وعَيْشَكَ [إذلال][2] فإن ذلكَ ليس من شِيَمِ الأبْطَالِ.**

قال الشارح:

قد علمت أن الإنسان جُعل مظهرا للوجود وهيكلا للشهود، رُكِّبَ في ظواهر إنسانيته ما يقتضي كمالَهَا، كالسمع والبصر والنطق والحياة والقوة البدنية؛ وما كان في باطنه من العقل والإدراك وغير ذلك من سائر الكمالات القلبية، فكان بمجموع الأمرين واسطةً بين الْمُلْكِ والْمَلَكُوتِ، يجول في الملك بالتحركات الظاهرة، وفي الملكوت بالتنقلات الباطنة، [هيا][3] له سيره التصرف في العالمين ومَكَّنَهُ من الجولان في المحلين، أنعم عليه بالحياة ليكتسب في أيامها ما ينفعُهُ في معاده كما قال: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾[4]، فالعُمُرُ وإن قل زمانُهُ يمكن فيه الاكتسابُ وتتهيأ فيه بعضُ الأسباب، ألا ترى أنه تعالى عَلَّقَ تكاليفَهُ البدنية بوجود القوى البشرية، ولا يزالُ ينحَطُّ عنه التكليفُ بانحطاط قِواهُ وعَدَمُ قُدرته، حتى يرجعَ إلى الإيماء بالطَّرْفِ عقلا، ثم إلى النية التي لا يسقط طلبها إلا بانعدام العقل رحمةً منه تعالى ولطفاً، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5]، وإذا كان ذلك كذلك فلا تجعل أيها الإنسان حياتَكَ التي هي محلُّ زادك وزمنَ استعدادك موتا، بأن تصحب فيها ليلَ الغفلاتِ وتسكُنَ عن التَّحَرُّكِ في الطاعات، فتكونُ أعمالكَ مختومةً ومنافعُكَ معدومة، فإن من كان في البطالة لا فرق بينه وبين الميت من حيثُ ضياعُ زمانِهِ هَمَلاً، بل الميتُ أَجَلُّ لأنه لم يُضيع وقتَهُ ولم يتسبب بعد موته فيما يوجبُ مقتَهُ، بخلافِ البَطَّالِ المسكينِ فإنه معدودٌ في المفرطين، وإلى هذا يشير قوله ﷺ: ﴿ اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ﴾، فقد أطلق عليه السلام اسم القبرِ على المنْزِلِ الخالي من الطاعة، إذ لا فرق بين القبر والقصر باعتبار ما يعود على الساكن من النفع الأَجَلِّ، إلا بمعاملة الحق جل جلاله والسعيِ في مرضاته، فيأخُذُ الإنسانُ من هذه إلى تلك، لأن الدنيا زادٌ للآخرة وهي محلُّ زراعة أعماله وحَصْدِ أحواله، والآخرةُ مخزنُ أقواله وأفعاله، ومن لا زراعة له في الدنيا فلا بضاعة له في العُقبى، ومن كان كذلك لا بد أن تكونَ معيشتُهُ إذلالا ذا مسكنةبين أقرانه، لتضييعه بذرَ الأعمال الصالحة في زمانه، فأوقاتُ العُمُرِ هي أوقاتُ بذرِ الأعمالِ المطلوبةِ والمنافع المكسوبة، كما قال ﷺ: ﴿ اغتنم خمسا

---

(1) في حج: موتك.

(2) كذا في: حج، و مخ؛ ولعله إذلالا.

(3) كذا في حج، ومخ: لعله هُيِّئَ

(4) الآية 37 سورة فاطر.

(5) الآية 78 سورة الحج.

قبل خمس، شبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك ﴾[1]أو كما قال.

فالحياةُ وقتُ إمكَانٍ يتهيأ فيها الاكتسابُ وتَيَسُّرِ جّلِّ الأسباب بخلاف الأموات، فلا يسعُ ميتا أن يزيد حسنة في أعماله الصالحة أو يُنقص سيئة من أعماله الطالحة، حسبما هو مذكورٌ في مَحَالِّهِ، وما أقربَ شبهاً مُهْمِلُ أوقاته ومُضَيِّعُهَا من **زَاحُوطِ**[2] النمل، فلا يزالُ في أيام تأتي جمعَ الأوقات غادياً رائحاً بلا منفعةٍ في كل الأوقات، فإذا جاء عليه وقتُ البَرْدِ واشتدت به الحاجة مات **كمدا**، بخلاف صغيره الذي يبذل جُهده في جلب قوته وجمعه وادخاره لوقت حاجته واضطراره، فكذلك الفرقُ بين من عرفَ مقدارَ وقت حياتِهِ فاستعملها، وبين من جهلها فأهملها، وكما قال ﷺ: ﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾[3]، فأهل الغفلة نيام **مضطرحين** تحت **رواق** غفلاتهم، لا يُوقضهم إلا نداءُ الرحيل حين لا تنفعهم يقظةٌ ولا انتباهٌ، بخلاف أهل اليقظة فإنهم على حذر، فلا يُدركهم الرحيل إلا وهم قد قَضُوا **الوَطَرَ**، أخذوا بالحزم وربطوا يقينهم بالجزم، فيا لهم من رجال، ما **أبطشهم** من أبطال. ثم قال:

الحكمة التاسعة والخمسون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **خُذْ من حياتِكَ الفناءَ، ومن موتك البقاءَ، ومن عيشـــكَ التُّقَى، فإن خيرَ الزاد التقوَى، واتقوني يا أولي الألبابِ.**

قال الشارح:

هذه الجملةُ كالاستدراكِ لبيان الجملة التي قبلها، يقول: ليست الحياة كلها حياةً ولا الموتُ كُلُّهُ موتٌ ولا العيشُ كله عيشٌ، بل في كل واحدة نوعان: فخذ لنفسك أرفَعَهُمَا والبَسْ من كلا الردائَيْنِ أنفَعَهُمَا، فخذ من حياتك في الطاعة والتحرك فيها الفناءَ عن نفسك والخروجَ عن جنسك في معناك وحِسِّكَ، وخذ من موتك الاختيارية التي هي خروجُكَ بالتخلي عن جميع أوصافك فناءً، والتحلي بجميع أوصافه بقاءً، وخذ من عيشك الروحاني بدلا من الجسماني وما هو إلا التُّقَى كما قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَاأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾[4].

---

(1) **انظر: مستدرك الحاكم**، ج4/ص306.

(2) لم أقف عليه. لعله مصطلح محلي.

(3) هو من قول علي كرم الله وجهه. **انظر: الأسرار المرفوعة**، ص353. **انظر**:العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص432.

(4) الآية 197 سورة البقرة.

والتقوى كما قيل في حاصلها: امتثالُ الأوامر واجتنابُ النواهي ظاهرا وباطنا، وهي زادُ الأقوياء، لأن الزاد على قسمين: ما هو شأن الضعفاء وما هو شأن الأقوياء، فأخذُ الزادِ المطلقِ المأخُوذِ من قوله: وتزودوا، طريقَ الضعفاءِ، وقوله: فإن خير الزاد التقوى، سبيلَ الأقوياء، وهي في نفسها مراتبُ بعضها أرفع من بعض، فالتزودُ بالأعمال الظاهرة شأنُ أهل البداية، فإن زادَهَم الْمُعِينَ لَهُمْ على سَفَرِهِمْ وقطعِ مسافاتِ سَيْرِهِمْ هو تعبداتُهُم بأنواعها، فتكونُ كالإيجاد لروحانيتهم، والتزودِ بأنواع العلوم والمعارف في أثناء سيرهم مُقَوٍّ لإمداداتهم، ومُهيج لسلطان وارداتهم التي يَنْتُجُ منها الخروجُ عن السِّوَى والانقطاعُ عن موادِ الأهويةِ والدَّعْوَى، كما تقتضيه لوائح الإشارة من لباب قوله: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1]، فالْمَعْنَىُّ بقوله: تزودوا، هُمُ الأبرارُ، والمقصودُ ببيان أن التقوى هو خيرُ الزاد هم خاصة القربين، والمخاطبُ بقوله: واتقون يا أولي الألباب، هم خاصة الخاصة منهم، فالمرتبة الأولى هي مقام الإسلام: فإنه يقتضي بوضعه أخذَ الزَّادِ ليومِ المِعَادِ، والثانية هي مقام الإيمان: فإنه يَحُضُّ على إدراك خير الزاد المنفجر من ينابيعه ثمراتُ الاستعداد، والثالثة هي مقام الإحسان: فإنهم أهلُ نهاية الترقي وعرائسُ التلقي، كيف لا وقد خاطبهم من مقام أحديتهم التي خُصُّوا بها، وهي تَقْوَى سواه، كأنه يقول لهم: إنما أريد منكم أن تتقوا ما سِوَايَ من الأغيار الكونية كائنةً ما كانتْ.

هذا وإن مضمونَ كلام المؤلف مُصرحٌ بالجمع بين الضدين، الذي هو شأنُ الأكابر تحلياً، فلا يدخلُ حضرتَهُمْ إلا من تحلى به، لأن حياة العارف فناءٌ وموتَهٌ بقاءٌ، تحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، فحياتُهُ بالنعوت الروحانية وفناؤُهُ عن الصفات النفسانية، وموته بالفناء عن الفناءِ، فيكونُ هو عينُ البقاء، ومن كان هذا حالُهُ كانت عيشَتُهُ راضيةً مرضيةً، زادُهُ تقوى خواص الخواص، قُوتُهُم شهودُ جماله ومسكنُهُم تحت ظِلِّ جلاله، ليس لهم بغيره عبرةٌ ولا لهم بما سواهُ خِبْرَةٌ. ثم قال:

الحكمة الستون بعد المائة

قال رضي الله عنه:

- **لا تُوَطِّنْ نفسَكَ على الأمل، ولا تستبعِدْ قُرب الأجل، فَعَنْ قريبٍ ستنتقِلُ، خذ من طول الأمل قِصَرَهُ، ومن بُعْدِ الأجلِ قُرْبَهُ، ومن قُربِهِ ما أنت فيه تَحُلُّ.**

قال الشارح:

توطينُ النفس عن **الهيمان** في أودية أمانيها محضُ ضلالة، وذلك يُفضي بها إلى الاستغراق في طول آمالها لا محالةَ، كما أن الأجلَ محدودٌ والعُمُرَ معدودٌ، لكن وقت انقضائه مُغيب عنا غيرَ مشهودٍ، فلا يليق بالعاقل ولا يحسُنُ منه أن يَغْفَلَ عن وارده ولا أن يُعرض بقلبه عن حاضره وشاهده، فمنذ خرجت أيها

(1) الآية 197 سورة البقرة.

الإنسان من رحم الولادة وأيامُ عُمُرِكَ متلاشيةٌ نافذةٌ، هذا والرسول الصادق ﷺ يقول: ﴿ إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ﴾، وقد كان خليفتُهُ أبو بكر الصديقﷺيُوتر من أول الليل، وعُمَرُ ﷺ من آخره، فأُخبر ﷺ بحاليهما فقال ﷺ: ﴿ إن أبا بكر أخذ بالحزم وأن عمر أخذ بالقوة ﴾[1]، فأخذ [الصوفية][2] من فعل أبي بكر هذا أنه تَحَقَّقَ بمقامِ [أن][3]ما خرج منه نَفَسٌ وأيقن أنه يعودُ إليه، وهذا هو الحزم إذ هو أحوطُ، وحَسِبَ أن بقاء وَتْرِهِ إلى آخر الليل مناقضٌ لقصر الأمل المطلوب، وعمر ﷺراعى معنىً آخر يليق مَقَامَهُ، وعن علي ﷺوكرم وجهه أنه جمع بين الأمرين الحزمِ والقوةِ، فكان يوتر أول الليل بركعة وإذا انتبه صلى ركعةً ضَمَّهَا للأولى فيكونُ شفعا ثم تنفل ما شاء ثم أوتر، وهذا مذهبٌ له ﷺ، فانظر إلى أحوالهم كيف أَشعرَتْ بكمالهم رضي الله عنهم، حَدَّثوا أنفسهم بقصر الأمل مطلقا ولو في الطاعة، فخذ من طول الأمل حقيقةَ أمرهِ وما هي إلا قصرُهُ وقلَّةُ قَدْرِهِ، وخذ من بُعد الأجل الذي يُخَيَّلُ لك تَراخيهِ قُرب هُجومه وَوُرُودِهِ وتَحَقَّقْ استعجالَهُ وهائِلَ وُجُودِهِ، وخُذْ من قرب الأجل الذي تَحققتَ حصولَهُ وعاينتَ مشهودَ وصولِهِ، مكانَ حلولِكَ وغايَةَ نُزُولِكَ، فطولُ الأمل يبعثُ على نِسْيانِ الموت وبُعدِ الأجل، وهذا داءٌ عضالٌ، فالعاقل لا يرضى لنفسه أن يُقيم في بيداء آماله فيقعُ له التقصيرُ في أعماله وأحواله، فغايةُ علل الدنيا الحرصُ عليها وطولُ الأمل فيها [حَسْبَمَا مَا][4] هو مشاهدٌ، وقد حظ عليه الصلاة والسلام في غير ما حديثٍ على قصر الأمل الباعث على شهود قرب الأجل، حتى قال تزهيدا في الدنيا وترغيبا في الأُخرى: ﴿ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ﴾[5]ولا يخفى أن الدنيا سجنٌ، فأما الأبرارَ فسجنٌ لهم وحبسٌ عن النعيم الأخروي الجناني، وأما المقربون فسجنٌ لهم عن كمال مشهود حاضرهم والبقاءِ مع ناظرهم، فالدنيا للمقربين كالغير للأبرار، فالبار إذا مات وجُعل في لحده تُفتح له عن جنته، ويُكشف له عن منزلته منها، والمقرب إذا مات الموت الاختيارية، يرى ربه ويشاهده بسره، حتى إذا قوي شهوده يُخيل له أنه عاينه بجهره، وما ذاك إلا لقوة شهوده، فيظُنُّ أن تلك الرؤيةَ هي الغاية القصوى، والأمر ليس كذلك، فتنعمه في هذه الدار وشهوده للحضرة العلية، ووجوده له طرف يسير في جنب الحضرات الأخروية، فإذا مات الموت الاضطرارية كَمُلت مشاهدته وتحققت محاضرته، فيتبين له أن شهوده وحضوره السابق بالنسبة لهذا أقل قليل، فالمشاهدات المؤجلة حق يقين بالنسبة للمعجلة، فعِلْمُ يقين أو عين يقين.

---

(1) لم أقف عليه.

(2) في مخ: أهل الصفة.

(3) في حج: ساقطة.

(4) كذا في: حج، مخ.

(5) رواه الحاكم النيسابوري في **المستدرك على الصحيحين** بلفظ: ﴿ الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا خرج من الدنيا فارق السجن والسنة ﴾، ج4، ص315، كتاب الرقاق.

نعم وقد يقع في قلب من لا ذوق عنده إنكارٌ لبعض ما تقدم آنفا في ذكر نفي حق اليقين عن مشاهد هذه الدار، وصوابه صرف الأمر لما يليق به، وهو أن مقامات اليقين الثلاث: علمه وعينه وحقه، حاصلة عاجلة لمن أكرمه الله بها الآن، ولكن فوق كل ذي علم عليم، وفوق كل حال حال، فمشاهدات الدنيا قلبية، ومشاهدات الأخروية عيانية بصرية بما يليق كما يليق، بخلاف هذه الدار فإنها كالْحُلُمِ بالنسبة لأحوال الآخرة، فمشاهدات الدنيا إشرافٌ بالنسبة إلى الآخرة، لأنها استقرارٌ وتمكينٌ مدركةٌ بالحواس، كما قال ﷺ: ﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾[1]، والنائم أحواله كلها روحانية فإذا استيقظ يفقد ما كان عليه في نومه، لأنه كان حالة النوم يحسب أن ما عليه في نومه حقيقة الأمر لا ريب عنده، فإذا استيقظ وجد خلاف ما كان عليه حاله، فيعلم أنه كان نائما وأن مشاهداته بأجمعها طيفُ خيال، فالدنيا كذلك حيها نائم و مستيقظها هائمٌ فإذا مات انتبه من سَنَتِهِ واستيقظ من نومته، فعاين الأمر على حقيقته وسلك إلى المقصود على طريقته، فإذا زال على قلبه رواقُ حجاب الحياة حقق الشهود وعرف كمال الوجود، فقفص الحياة سجن، فمن مات عن بشريته شاهد بروحانيته، ومن مات بجسمانيته حصلت له المشاهدة بكليته، إذ أهل الجنة لا تحجبهم جسمانية ولا يوصفون بروحانية، فهم فيها روحانيون بظاهرهم وبواطنهم كالزجاجة شفافة، أبدانهم غلبت عليها الروحانية عكس الحياة، ألا ترى أن الزجاجة تري ناظرها ما في باطنها، كما تُظهر له ما في ظاهرها فافهم.

وقد انجر بنا الكلامُ في هذا مع بعد مناسبته لكلام المؤلف، لأن العنان بيد الرحمان، ويَحتمل كلامه معنىً آخر، وهو أن خطابه مع سالك الطريق كأنه يقول: لا توطن نفسك أيها السائر على طول الأمل، ولا تجعل **هَجِيرَاكَ** اكتسابَ العلوم والمعارفِ، ونَيْلِ المقامات العلية والأحوال والمشاهدات السرية، فإن كان ولا بد فالتوطينُ والْمُقَامُ على هذا الوصف، هو الْمُحَذَّرُ منه والمنهيُ عندهم عنه، وإلا فصفاء الباطن من هذه المقاصد من أول الأمر صعبٌ لا يتم إلا لمن يسره الله عليه، ولا تَستبعد قرب أجلٍ فتحك، بل اعبد ربك حتى يأتيك اليقين، فإنك ستنتقل عن قريب من مقامك وتفوزُ بنيل مرامك، وتكونُ بعد التنقل من أهل التمكين بعد ما كنت فيه من أهل التلوين، وخذ من كل وصفٍ أرفعَ أحواله، ومن كل مقام صَفْوَ **زُلاله**، واطْوِ مسافاتِ سيرك بعُلُوِّ هِمتك في باطن سرك، **وأَنخْ** راحلتك في مستقر الأرواح البرزخية في حضرة العندية عند مليك مقتدر، وهذا قريبٌ من حيثُ المعنى من قول الأستاذ العارف بالله سيدي **عبد الرحمان**

---

[1] هو من قول علي كرم الله وجهه. **انظر**: الأسرار المرفوعة، ص353. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ج2، ص432. **انظر**: الألباني، **السلسلة الضعيفة**، ص102.

التارزي[1]ﷺ وأرضاه في الرحمانية: (لا تستبطش فتحك...الخ)[2]، فاستبطاءُ الفتح عند أرباب السَّيْرِ كطول الأمل واستبعادِ الأجل عند غيرهم، وقريبٌ من حيث الإشارةُ أيضا من قوله ﷺ: ﴿يستجاب لأحدكم ما لم يستعجل ﴾[3]فيقول: دعوت فلم يستجب لي، فطلبُ العوامِّ تحصيلٌ، وغرضُ الخواص توصيلٌ، لأن مَرامَهُم نظرُ المنعم والاستغراق في مشاهدات جماله والاستهلاكُ والتلاشي تحت ظلال جلاله، وقَصْدُ غيرهم إسعافُ مطالبهم مطلقا، وأَجَلُّهَا عندهم النِّعَمُ وهي أعظمُ مآربهم، فشتَّانَ بين من يخدُم الملك لأجل نواله وبين من يخدمه لكماله، فإجابةُ العوام مشروطةٌ بتحقيق الظن وتيقُّنِ الإجابة كما قال ﷺ: ﴿ ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ﴾[4]ومرادُهم نيل ما فيه حظُّهُم، فكذلك إجابة الخواص معلقةٌ بساق عرشِ عُلُوِّ الهمة وتوحيد الوِجهَةِ كما يلوح إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾[5]﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[6] وفي قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾[7]؛.إشارةٌ إلى ما مر فالاضطرارُ مطلوبٌ للعوام والخواص مع اختلاف مُتعلقِهِ كما تقدم، وكشفُ سوء العوام تفريجٌ والخواصِ تدريجٌ، وقوله ﴿ وجعلكم خلفاء ﴾ خاصٌ من حيث المعنى بالخواص، ثم رَقَّى هِمتَهُم وعَلاَّهَا فقال ﴿ أَئِلَهٌ مع الله ﴾، كأنه يقول: من أحب شيئا كان له إلها، وصار له هو عبدا ولا إله معي فَيُطْلَبُ، ولا غرضَ لعاقل غيري فَيُرْغَبُ، فتحراني قبلةَ آمالك واجعلني وِجْهَةَ أحوالكَ. ثم قال:

الحكمة الحادية والستون بعد المائة

قال ﷺ:

- **لا تَرْفَعَنَّ أَمْرَكَ لمطلوبٍ، ولا تَفْتَقِرَنَّ لمرغوبٍ، سِوَى عَلاَّمِ الغُيُوبِ.**

قال الشارح:

---

(1) هو العلامة الولي الشيخ عبد الرحمان بن أحمد بن حمودة ابن مامش باش تارزي الجزائري منشأ القسنطيني دارا، ناشر الطريقة الرحمانية في قسنطينة، كان وحيد دهره علما وحكمة وإتقانا وصلاحا، من مؤلفاته: (عمدة المريد) في بيان الطريقة،و: (المنظومة الرحمانية) التي شرحها نجله الشيخ مصطفى، وله قصائد وموشحات، وغنية المريد، شرح نظمه في مسائل التوحيد وهي 45 مسألة، توفي رحمه الله سنة 1222هـ-1807م بقسنطينة. **انظر: تعريف الخلف برجال السلف**، ص: 205.

(2) **المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية**، ص: 16.

(3) **انظر: سنن الترمذي**، دعوات12.

(4) **انظر: سنن الترمذي**، 3479.

(5) ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ الآية 50 سورة سبأ.

(6) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ الآية 4 سورة الحديد.

(7) الآية62 سورة النمل.

أي: إذا أَهَمَّكَ أمرٌ من الأمور فلا ترفَعَنَّ حاجَتَكَ فيه إلا إلى مولاكَ، ولا تفتقرَنَّ لمرغوبٍ سواهُ، لأن طلبَكَ غيرِهِ إعراضٌ عنه وافتقارُكَ إلى من سواهُ فرارٌ منه، كيف وهو يقول: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1] كما قال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[2]، ورَفْعُ العبيد حوائجَهُمْ إلى من ليستْ بِيَدِهِ جهالةٌ، وافتقارُهُم إلى غيره غفلةٌ وضلالَةٌ، فالمخلوقُ ضعيفٌ خُلِقَ من ضُعْفٍ فقيرٌ نشأ في الفقر، والاستعانةُ بالضعيف علامةُ ضعف العقل والاستكانةُ إلى الفقير غايةُ الجهل، فمن لم يقدر على إغناء نفسه أو دفع الضَرِّ عنها أو جلب النفع لها، كان في عجزه عن إيصال ذلك إلى الغير أولى وأحقُّ، وكان المستعينُ بالغير المفتقرُ إليه منخرطاً في سلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3]، فَكُلُّ مخلوق وإن علت رتبتُهُ لا يزول عنه اسم الضعف والفقر، ولا تَحْسُنُ المسكنَةُ إلى مسكينٍ والافتقارُ إلى فقير، بل الواجبُ الرجوعُ إلى مُورِدِ الحوائِجِ وفَاطِرِهَا، الْمُتَكَفِّلُ بغائِبِهَا وحاضِرِهَا، كما قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5]، فلا تَخْلُو الموجوداتُ عن أن تكونَ مُلْكًا أو مَلَكُوتًا، وقد أخبر القادر جل جلاله بأنهما في يد قدرته، وحينئذ فلا يُطلب تحصيلُهُمَا ولا دفعُهُمَا إلا منه، فمن **لاحظ** غَيْرَهُ نافعاً وتخيل له كَوْنُهُ دافعاً، فما قدر الله حق قدره، قال ابن عطاء الله: (لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك)[6]، وكلام المؤلف ﷺمتجهٌ مع من فُتِحَتْ بصيرتُهُ واستقامت سريرتُهُ، ولاحت على باطنه لوائحُ بعضِ التَّحَلِّي بقوله: وإياك نستعين، فكان يُشاهدُ بطَرْفِ باطنه: إنَّ مُورد الأمور ومُصَرِّفَهَا هو الحق جل جلاله، فمن كان هذا شُهودُهُ لا يليقُ به شهودُ غيره، حتى يفتقرَ إليه أو يرجعَ في مهمَاتِ أموره إليه، وأما من كان محجوباً عن الشهود ولم تُشْرِقْ على سره شمسُ الوجود، فحقُّهُ جلبُهَا وعليه كسبُهَا شيئاً فشيئاً حتى يتمَّ له ذلك ويصِحَّ له ما هنالك.

وقدحُكِيَ عن بعضهم: أنه نزلت به حاجةٌ فرفعها إلى ملك من الملوك، فسأل عنه فأُخبر أنه في المسجد، فدخل عليه فوجده يُصلي فانتظره حتى يَفْرُغَ من صلاته ليسأَلَهُ حاجتَهُ ويُظهِرَ له فاقَتَهُ، فلما فرغ من صلاته رفع يديه للدعاء وتضرع لله تعالى في كشف نوائبه ونيل مآربه، فلما سمع الفقير تضرعَهُ **لَمَعَتْ** في قلبه بعضُ طوالع الهداية فقال في نفسه: هذا الذي جئتُ مفتقرا إليه في غاية وصف الفقر إلى الله باسطا يديه إليه، فالواجبُ عَلَيَّ أن أفعل مثل فعله وأطلبَ حاجتي ممن يقدر عليها وانصرف، فرآه ذلك الملك

---

(1) الآية15 سورة فاطر.

(2) الآية 123 سورة هود.

(3) الآية73 سورة الحج.

(4) الآية1 سورة الملك.

(5) الآية73 سورة يس.

(6) انظر: ابن عباد، ج1، ص241.

وبعث في طلبه فأُوتِيَ به فسأله عن قصته فأخبره بها بدايةً ونهايةً، فأمر الملك بإكرامه وتكميل مرامه وزيادةً، فانظر رحمك الله إلى هذا لَمَّا أن انصرف عن باب المخلوق إلى باب الخالق قضى مآربَهُ وكَمَّلَ له مطالبَهُ من غير سؤال، ثم أن المؤلف ﷺ جعلَ غاية كل مطلوبٍ ونهاية كل مرغوب هو الله تعالى علام الغيوب، كما قادَ القلبَ من عنانِهِ ليُعَرِّفَهُ بالحق ويُذيقَهُ حُلْوَانَ إحسانه. ثم قال:

الحكمة الثانية والستون بعد المائة

قال ﷺ:

- **فإنَّهُ يعلَمُ السِرَّ منْكَ وما يَخْفَى، ولا تأخُذُهُ سِنَةُ نومٍ ولا يَغْفَى، سُبحانه ما أعظمَ شَأْنَهُ وما أَوْفَى.**

قال الشارح:

أي: فاحذَرْ أن تُرْجِعَ حوائِجَكَ لمطلوبٍ سِواهُ، أو تفتَقِرَ لمرغوبٍ عَدَاهُ، في سرك وجهرك ظاهرك وباطنك، لأنه مطلعٌ على كُلِّ مطلوب كفيلٌ بكل مرغوب، لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ولا يخفى عليه ولا يتفاوتُ في علمه، فالسرُّ والجهرُ سواءٌ لدَيْهِ قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1] وقال: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[2]، فكلامُهُ ﷺ شاملٌ لأهل الظاهر والباطن ولأهل الباطن أقوى، كأنه يقول: إياك أن ترفعَ بصرك إلى غيره أو تُعَلِّقَ سِرَّكَ بمن دُونَهُ، فإنه يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفِي الصدورُ، يَغَارُ أن يرى هِمَمَ عبيده متوجهةً لغيره أو مراقِبَةً لمرغوبٍ سواهُ، مع كمالِ قُدْرَتِهِ وتكَفُّلِهِ بمطالبِهِمْ وقيوميته بها وإحاطته بكلياتها وجزئياتها، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[3] أي ما أسررتم بقلوبكم وجهرتم بألسنتكم واكتسبتم بجوارحكم، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، تَنَزَّهَ عما لا يليقُ بجلاله من **قهريةِ النومِ والسِنَةِ والإِغْفَاءِ**، بل الجميعُ خَلْقُهُ وفي يد قدرته وتحت سلطان عظمته، منكشفةٌ حقائقُهَا ودقائقُهَا، علمه انكشافاً يَعْجِزُ عنه الإدراكُ.

سبحانه من عظيم ما أعظم شأنَهُ وأَرْفَعَ قَدْرَهُ وسلطانَهُ، لا أَحَدَ أَوْفَى بعهده منه ولا أحد أحقُّ بالحمد منه؛ وهُنَا انتهى بنا الغرضُ في شرح الحكم والحمد لله على ما أنعمَ وأَلْهَمَ، وقد حان الشروعُ في ابتداءِ تَتَبُّعِ ما ذيلها به من الدعاء والمنجاةِ، بقَدْرْ الاستطاعَةِ وقِلَّةِ البِضَاعَةِ، فأَقُولُ ومن اللهِ بُلُوغُ الْمَأْمُولِ.

تمت بحمد الله الحكم ونشرع الآن بعون الله في المناجاة

---

(1) الآية 5 سورة آل عمران.

(2) الآية 18 سورة الحاقة.

(3) الآية 3 سورة الأنعام.

ثانيا: شرح الدعاء والمناجاة

المناجاة الأولى

قال رضي الله عنه:

- **يَا مَنْ لا تُكَيِّفُهُ الأوهَامُ، ولا تُشـــابِهُهُ الأَجْرَامُ، ولا يَخْفَى عليهِ صـــرِيرُ الأقلامِ، اجْذِبْنَا إليكَ بِخَيْرِ تَحَيَّةٍ و سَلاَمٍ.**

قال الشارح:

تراكمتْ على المؤلف أنوارُ الشهودِ وأشرقتْ على سره تجلياتُ الوجود، الناشئةُ عن التنْزِيهِ المتعالِي تقدساً عَمَّا يقتضي التشبيهَ، فناداهُ بلسان اضطرارِهِ مُضطرحا على بساط افتقاره قائلا: يا من تعالى وتَنَزَّهَ عن أن تُحِيطَ بصفاته الأوهامُ، أو تنالُهُ في ذاته مُشابهةُ ومُماثلةُ الأجرام، وهو في تعاليه لا يَخفى عليه ولا يعْزُبُ عنه صريرُ الأقلام مما جرت به جميعُ المقاديرِ والأحكام، اجْذَبْنَا إليكَ بسرعة القُربِ منك بِخير تَحَيَّةٍ تُوجِبُ الإكرامَ، وسلامٍ [يقتضي][1] مزيدَ الإنعامِ، وفي كلامه تلميحٌ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[2].

المناجاة الثانية

قال رضي الله عنه:

- **يا من لا يُغادر صـــغيرةً و لا كبيرةً إلا أحصـــاهَا، ولا يُكَافِئُ بذنوبهِ ولا يرضـــاهَا، اغْفِرْ لنا ذنوبنَا السابقةَ وزلاتِنَا اللاحقةَ، فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ.**

قال الشارح:

هذه الجملةُ مناسبةٌ لما قبلها كالجمل التي بعدها، أي: يا من لا يتركُ صغيرَ الأمور ولا كبيرَهَا، إلا أحصاهُ في علمه وأحاط به خُبْرًا، وكان تحت حكمه ومع علمه وإحاطته به وإدراكه له، وكان عبيدُك مذنبين وفي طاعتك وخدمتك مَقَصِّرين، كما قلت على لسان نبيك: ﴿ يا عبادي كلكم مذنبون إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ﴾[3]، علمتَ مِنَّا صُدور الذنوب ولم ترضَهَا، فنسألُك مغفرتها وسَتْرَ سابقها فيما مضى ولا حقها فيما بَقَّى، واقفين على بساط الذل والاستكانة، عسى أن تغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، لأنك أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة، تحيطُ بجرائم عبيدك علما ولا تُكافيهم بالعقوبة عليها

---

(1) في مخ: تقتضي.

(2) الآية 11 سورة الشورى.

(3) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب 48، الحديث 2495، ص656، قال عنه: هذا حديث حسن، وهذا جزء من الحديث طويل نصه: ﴿ يقول الله تعالى يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهديكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من عافيت، فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي... ﴾.

حِلماً، يا حليمُ يا غفارُ، وفي كلامه إشعارٌ بأن ذنوب العباد صادرةٌ منهم بقضاء الله وقدره وإرادته دون رضاهُ بِهَا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[1]، وإن تشكروا يَرْضَهُ لكم كما هو مذهبُ أَهْلُ الحقِّ، وفي هذا إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2]؛ غَيْرَ أن المؤلف أسقط واسطةَ إحصاءِ الكتابِ اكتفاءً بشهوده علمَ رَبِّ الأرباب، كما هو مشهدهم رضي الله عنهم، وهذه إشاراتٌ لطيفةٌ تنظُر لأسمائه تعالى من طرفٍ خفيٍّ كما تقدمت الإشارةُ إليه، وكذلك القولُ في بعض الجمل الآتية مما يُصَرَّحُ بِهِ فيهاَ فافهم.

المناجاة الثالثة

قال رضي الله عنه:

- **يا من لا تُدركُهُ الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ، تَدَارَكْنَا بعفوكَ ولُطْفِكَ يا عزيزُ يا غفَّارُ.**

قال الشارح:

أي: يا من تعالى وتَنَزَّهَ عن إدراك ذاته والإحاطة بصفاته، واحتجبَ عنا بلطفه وعِزَّتِهِ وهو يدركُ أبصارَ أبصارنا بقدرته، تَدَارَكْنَا وأَنقذنا مما نحن فيه بعفوك الذي يقتضيه اسمك العَفُوُّ، والطُفْ بنا لطفاً يساعدُهُ اسمك اللَّطِيفُ، فإن الإنسان على وَسْمِ الذِلَّةِ والمسكنة وفي خَلْقِهِ ضعيفٌ، قدِ احتَجَبْتَ عن الأبصار بوصف العزة والكبرياء لطفا منك ورحمة بنا، ولا يُطيقُ تجلّيكَ إلا من قَوَّيْتَهُ ولا يستطيعُ نَظَرَ وجهك إلا من خَصَّصْتَهُ، وأدركَتِ الأبصارُ بالخبرة التي اقتضاها اسمُكَ الخبيرُ، وغَفَرْتَ لعبيدك بعفوك وغُفرانك، يا ذا العزة التي لا تُقاس والمغفرة التي لا يكبُرُ عليها ذنبٌ يا عزيزُ يا غفَّارُ.

وفي هذه الجملةِ إشارةٌ لقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3] كما تقدم التنبيه عليه، نعم والمنفيُ من هذه الآية مدخولُ النفي وهو الإدراكُ، لا مطلقُ الرُؤْيَةِ، لأنها قد تحصلُ في بعض الأوقات ولبعض الأشخاصِ من المخلوقاتِ، لا كُلُّ بَصَرٍ يَرَاهُ وفي بعض الحالات، والإدراكُ هو: الإحاطة والتكييفُ وهما المنفيان، أما مطلقُ المشاهدةِ بالقلب والرؤيةِ بالبصر فلا بأسَ بِهِمَا، لمن أكرمَهُ الله بذلك من خواصه والحمد لله، وقد أُكْرِمَ بهذا بعضُ من لا يُشَكُّ في خبره، لَكِنَّ مع الجزْمِ والقَطْعِ بِنَفْيِ الإِحَاطَةِ والتكييفِ والتشبيه وثبوتِ كمالِ التَنْزِيهِ، وما وُجِدَ مَرموزاً أو مُصَرَّحاً به في كلام الأولياء من الإخبار بالرؤية فمحمولةٌ على ما تَقَدَّمَ لا الإحاطةُ التي لا تجوز عليه تعالى، فحاشاهُمْ من دعواها والله

---

(1) الآية 7 سورة الزمر.

(2) الآية 49 سورة الكهف.

(3) الآية 103 سورة الأنعام.

يقول الحق وهو يهدي السبيل، وقد كُنْتُ أوردت هذه الآية في مجلس **المذاكرة** مع الأستاذ ﷺلأفهَمَ بَعْضَ أسرارها مِنْهُ، فأفاضَ من **لُجَجِهاَ** بحارا، وأشرقَ عَلَيَّ من شُمُوسِ باطنه أنوارا مما يُبَاحُ ذكرُهُ بين أهل السِرِّ ويُصَانُ عن غيرهم، حتى قلتُ له: أنه لاح لي في باطني صَرْفُ معنى اسمْ ِهِ اللطيف إلى اللطافة التي هي ضدُّ الكثافة، أي لا تُدركِهُ الأبصارُ بل والبصائِرُ، ولا تُحِيطُ به للطافتِهِ واحتجَابِهِ بقهرية عِزَّتِهِ، وهو يُدركُ الأبصارَ من الإبصار، أي يُدرك أَشِعَّةَ الإبْصَارِ التي تُدْرَكُ به الْمُبْصَرَاتُ، لأنه خبيرٌ مطلع على خَفَيِّ الأشياءِ كَجَلَيِّهاَ، وحِسِيِّهَا كَمعنَوِيِّهَا، فَلَمَّا أنْ سمع مقالتي فرحَ بها وأَقَرَّهَا، فما أوسعَ دائرَتَهُ ﷺ، حَدِّثْ عَنْ بَحْرِ عِلْمِهِ السِرَيِّ ولا حَرَجَ.

المناجاة الرابعة

قال ﷺ:

- **يَا مَنْ ظَهَرَ فِي الظَّواهِرِ واستَتَرَ فِي السَّرَائِرِ استُرْنَا بستْرِكَ الْجَمِيلِ وكُنْ لَنَا بِكَ عَلَيْكَ أَدَلَّ دليلٍ.**

قال الشارح:

أظهرَ الظواهِرَ بظاهرية اسمه الظاهر، فأشرقَتْ عليها أنوارُ الوجود، ولولا ذلك لبَقَيْتَ في ظلمة العدمِ، وأبطنَ البواطِنَ بباطنية اسمه الباطن، فَبِهاَ استقامَ مَلَكُوتُهَاَ، كما بالظاهرِ استنار مُلْكُهاَ، فسأل من الله تعالى أن يضعَ على ظاهره كَنَفَ سِتْرِهِ الجميلَ حتىَّ لا يَبْدُو منهُ قبيحٌ، وأن يكونَ لهُ في سَيْرِهِ في فلواتِ عالَمِ الأرواحِ أَدَلَّ دَلِيلٍ.

فالمؤلفُ رغب في أن تكونَ دلالتُهُ مجردةً عن الوسيلة، حسبما يقتضيه شهودُ الْمُؤَثِّرِ دُونَ الأَثَرِ، الذي هو الغيبَةُ عن السِّوَى والاستدلالُ به عليه والرجوعُ منه إليه، كما هو مَشْهَدُ المجذوبينَ وخاصةِ المقربين، والسالكُ وإن كانَ أَمْكَنَ من المجذوب كما تقدم، فَإِمْكَنِيَّتُهُ تَثْبُتُ لهُ بعد كمالهِ وتَحَقُّقَ وصالَهُ وخُلُوصِ حَالِهِ.

المناجاة الخامسة

قال ﷺ:

- **يا من نَوَّرَ بصـــائِرَ العارفِينَ و أَظْهَرَ فيهاَ السِـــرَّ الوَاضِـــحَ الْمُبِينَ، وأشـــهدهاَ المعارِفَ و التَّحْسِينَ، أَصْلِحْ مِنَّا السرائِرَ ونَوِّرْ مِنَّا البصَائِرَ، لِكَيْ نَكُونَ بِكَ مِنَ الْمُومِنِينَ.**

قال الشارح:

البصيرةُ للعارف كالبصر للبصيرِ، وبنورها يُشاهِدُ المعارِفَ ويَتَطَلَّعُ خفايَاَ أسرارِهاَ، ويُدركُ المحاسنَ ويقتطفُ أزهارهاَ، وقد كانَ نُورُ البَصِيرَةِ مُشاهداً لصالحِ السريرَةِ، فطلبَ من الله الذي تَفَضَّلَ وتَكَرَّمَ على العارفين به بتنوير أبصار بصائرهم، وإظهارٍ واضحٍ بين أسرارهم، وأشهدَهُمْ معارِفَهُ الرَبَّانِيَةَ وألبسَهُمْ جلابيبَ علومِهِ العرفانِيَةِ، في أن يُصْلِحَ عالَمَ سَرِيرتِهِ حتىَّ تكونَ طوراً للتَّجَلِّي بعد كمالِ التَّخَلِّي والتَّحَلِّي، وأن يُنَوِّرَ شَمْسَ بصيرته حتى تُطِيقَ الشُّهُودَ، وتَتَحَمَّلَ أمانةَ أنوارِ الوجودِ، وبذلكَ التَأْيِيدِ يَأْمَنُ تَدَكْدُكَ جبالِهِ وتَقَطُّعَ أوصالِهِ، كما وقع لموسى عليه السلام في أول حاله.

المناجاة السادسة

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ يا من أخفى سِـــرَّهُ في القلوب واحْتَجَبَ في غيبه عنِ الغيوبِ وظَهَرَ لِخَلْقِهِ في كُلِّ مطلُوبٍ أَشْهِدْنَا غيبَ حَضْرَتِكَ يا مَرْغُوبُ.**

قال الشارح:

سِرُّ الخصوصية مُنْطَوٍ في غَيْهَبِ البشرية، ومَحَلُّهاَ من الإنسان قلبُهُ، وهو أي: القلبُ عالَمُ الشُّهُودِ ومركَزُ شموسِ الوجُودِ، وكان الحقُّ جَلَّ جلالُهُ مُحْتَجِبًا في **ملكوتِ** أُحديَّتِهِ عن إدراكِ خفاياَ الغُيُوبِ الْمَلَكُوتِيَّةِ بحقيقة صفاته الباطنية، تَكِلُّ عن تَتَبُّعِ الخوضِ في عالَمِهَا الفِكرُ، [كما][1] يَكِلُّ عن إدراك ماهيَةِ الشمسِ نورُ البصرِ مع ظُهوره وإشراق نوره، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، كما قال ابن عطاء الله: (الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه)[3]، وقال أيضا: (من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء)[4]، وقال: (إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك)[5]؛ فما من شيءٍ من الأشياء إلا والحقُّ فيه وهو مُظهِرُهُ ومبدِيهِ، ولولا باطنيتُهُ ما ظهرتِ الخلائِقُ، ولولا ظاهريتُهُ ما بَطَنَتِ الحقائِقُ، فهو ظاهرٌ لخاصة خلقه في كل مطلوب، مع احتجابه عن إدراكِ الأسرَارِ لهُ والغيوبِ، فاحتجاَبُهُ ناشِئٌ عن شدَّةِ ظُهورِهِ، وخفاؤُهُ عن الأبصارِ لِعَظِيمِ نُورِه، فطلبَ منه أن يَشْهَدَهُ غَيْبُ حَضَرَاتِهِ وأن يكونَ

---

(1) في حج: ساقطة.

(2) الآية 35 سورة النور.

(3) الحكمة الرابعة عشرة.

(4) الحكمة الثالثة والستون بعد المائة.

(5) الحكمة الرابعة والستون بعد المائة.

هو مرغوبِهِ في كل حالاتِهِ، وفي هذا [تلميحُ][1] ما لقوله تعالى على لسان نبيه ﷺ: ﴿ ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ﴾[2] فافهم:

المناجاة السابعة

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ يا من لا تَحْجُبُهُ أكوانٌ ولا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ولا يُحِيطُ به زمانٌ، أخرجنا من قيد الوَهْمِ والحرمَانِ، وافْتَقْ بيننا وبينَكَ حُجُبَ الأدرَانِ حَتَّى لا نُشَاهِدَ غَيْرَكَ يا رَحْمَانُ.**

قال الشارح:

أي: يا من تنَزَّهَ عن أن تَحْجُبَهُ أكوانُ كَوْنِهَا، ولا يَحْوِيهِ ويشتَمِلُ عليهِ أَمكنَةٌ أَوْجَدَهاَ، ولا يُحيط به أزمنةٌ أظهرهاَ، أَخْرِجْ قلوبَنَا من قيود أوهام وُجُودِهَا، ولا تَحْرِمْنَا من شهودِ مُوجِدِهَا، وفَتْقِ رَتْقِ سحائبِ ذنوبِنَا وحُجُبِ عُيُوبِنَا، حتى نَغيبَ بِكَ فيكَ ولا نَرى غيرَكَ، استجب دعاءنا برحمتك يا رحمانُ، وهذه الجملةُ قريبةٌ من قول ابن عطاء الله: (ما حجبك عن الله وجود موجود معه إذ لا شيء معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه)[3]، وقال: (الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته)[4]، وقد ضَرَبوا مثلاً لهذه الأوهامِ التي تَحْجُبُ القلوبَ عن مشاهدةِ علاَّمِ الغيوبِ، بِرَجُلٍ باتَ في مكانٍ وأَرادَ **البِرَازَ**، فسمع صوت الرياح من كوةٍ هناك فظَنَّهُ [زهيرُ][5] أسدٍ فمنعه ذلك عن البرازِ، فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وإنما هو الريحُ انضغط في تلك الكُوَّةِ، فما حجبَهُ وجودُ أسد وإنما حجبه توهُمُ أسد، فتأمل هذا المثالَ العظيمَ فإنه مطابقٌ للواقع، وهذه الجملةُ أَتَى بها لدفع توهمِ مضمونِ ظاهر ما قبلها.

المناجاة الثامنة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت الرقيبُ على أحوالي و أنا المســـيءُ بأفعالي لا تُكافِنِي بسَـــيِّءِ أقوالي إنك أنت السميعُ العليمُ.**

قال الشارح:

---

(1) في مخ: تلمح.

(2) ذكر في الإحياء، وقال العراقي لم أر له أصلا، وقال ابن تيمية هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي عليه الصلاة والسلام. **انظر**: علي القاري، **الأسرار المرفوعة**، ص301. **انظر**: العجلوني، **كشف الخفا**، ص255.

(3) الحكمة السابعة والثلاثون بعد المائة.

(4) الحكمة الحادية والأربعون بعد المائة.

(5) كذا في: مخ، حج. لعله زئير.

هذا واضحٌ، تَضَمَّنَ شُهودَهُ لرقيبِهِ والاعترافَ بالإساءة بين يدَيْ قريبه، والرغبةَ في أن لا يُجَازِيَهُ إلا مجازاة الحبيب لحبيبه، والتحقُّقُ بسماعه للأقوال، وعلمُهُ من خلق على كل حال.

المناجاة التاسعة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت الغَنِيُّ عن مُعاقَبَتِي عما أسأتُ، و أنا الفقيرُ إلى رحمتك فيما أسلفتُ، لا تُواخِذْنِي بما نَسِيتُ ولا تُرهقني من أمري عُسْرًا.**

قال الشارح:

أمر الله تعالى بالطاعة ووعد عليها بالإثابة، ونهى عن الإساءة وأوعد عليها بالمعاقبة، وهو الغني عن طاعة الطائعين ومعصيةِ العاصين كما قال:﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾(1)، وقال: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَوَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(2)، والإنسانُ في غاية الفقر في كلا الأمرين، لما يعودُ إليه من النفع أو يرجِعُ عليه من الدفع، لأن طينَتَهُ عُجِنَتْ بالضُّعْفِ الذي هو أشَدُّ من الفقر كما قال الله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾(3)، فبدايتُهُ من ضعف ونهايتُهُ إلى ضعف ولا ينفَكُّ ما بينهما عن ذلك، فإذا رَجَعَ إلى حقيقَةِ أَمْرِهِ وراعى حقيقةَ قَدْرِهِ، أَوْجَبَ له شهودَ صفاته التي انطوى عليها طولَ حياتِهِ، من سِمَاتِ العجز والاضطرار ولزوم الذلة والمسكنة والانكسار، فناداه من بساط افتقاره رافعا طَرْفَهُ إلى عرش غِنائِهِ واقتدارِهِ، فَلَبَّاهُ بالإجابَةِ حينَ عَلم منه صدقَ الإِنَابَةِ، وكذلك كان شأنُهُم في دعائهم، تقديمِ أوصافهم أمام إلحافهم بعد الثناء عليه والرجوع منه إليه، كما قال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾(4).

والمؤلفُ فعل كذلك فَقَدَّمَ بين يدَيْ دُعائه وصفَ سيدِّهِ بالغِنَا،لأنه لا يُسألُ إلا غَنِيٌّ، ثم ثَنَّى بذكر وصف نفسه الثابت لها، وهو الفقرُ إلى رحمة الله تعالى في كل حال، من طاعةٍ أسلفها أو سيئةٍ اقترفها، فأما افتقارُهُ إلى الرحمة في الطاعة فبالتفضل بالقبول، لأنها منه برزت وإليه تعود، هذا مع سلامتها مما فيه **شَوْبٌ**، والأكثَرُ من الإنسان عدَمُ خُلُوصِ أعمالِهِ عن شَوْبِ أحوالِهِ، وأما في المعصية فواضحٌ أمرُهُ جَلَيٌّ قَدْرُهُ، ثم ذكر بعد ذلك أن سبب ارتكابِ التقصيرِ في الطاعة واقتراف المعصية، هو عدمُ شُهودِهِ والغفلَةُ عن وُجُودِهِ، فطلَبَ منه أن لا يؤاخِذَهُ بنسيانِهِ ولا يُضَيِّقَ عليه بعصيانه، ولو ذَكَرَ العبدُ المسكينُ **فاطِرَهُ**

---

(1) الآية 38 سورة محمد.

(2) الآية 07 سورة الزمر.

(3) الآية 54 سورة الروم.

(4) الآية 60 سورة التوبة.

لَوَجَدَهُ حاضِرَهُ، فاستحال أن يرتكب رذيلةً حقيرةً كانت أو جليلةً حسبما يقتضيه حالُ المراقبةِ، وفيه إشارةٌ للآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِيعُسْرًا﴾[1].

المناجاة العاشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت العالِمُ بمرادي والْمُوَفِّقُ لرشادي، فأَكرمني هُنا وفي مَعَادي، ووفِّقْني لما تُريدُهُ مِنّي لا لِمَا أُريدُهُ لنفسي، يا من لا تَوفِيقَ إلاَّ بِهِ.**

قال الشارح:

اعترافٌ بأنه العالِمُ المطلِعُ على جميعِ مُراداته والهادي لسُبُلِ خيراته، فطلَبَ منه أن **يُكْرِمَهُ** ويَتَفَضَّلَ عليه في هذه الدارِ وفي مِعَادِهِ في تلك الدار، وأن يُكرِمَهُ **بالتوفيق** الذي هو: خَلْقُ القدرة على الطاعة والْخِذْلاَنِ ضِدُّهُ، لكنه طلب التوفيقَ الخاصَ الذي هو **مَهْيَعُ** الخواص، وذلك الهدايةُ إلى أن تكونَ حركاتُهُ وسكناتُهُ مُسَخَّرَةً بأمر الله تعالى، جاريةً في سُبُلِ مُراده ومرضاتِهِ على مِنهاجِ التَّبَرِّي من حولِهِ وقَوَّتِهِ في كل أوقاته، محفوظاً من مراداتٍ تؤدي إلى نَيْلِ ما فيه حظٌّ للنفس في المعنى والحسِّ، كأنه يقول: أدخلني مدخل صدق في مُرادك، وأَخرجني مخرج صدق عن مرادِ نفسي، فهو كقوله فيما سبق: إرادتك لربك حسنة وإرادتُك لنفسك قبيحةٌ، وفيه إشارةٌ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾[2].

المناجاة الحادية عشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت الْمُصَوِّرُ في تَصْويري والْمُدَبِّرُ في تدبيري، أَفْنِ صُورتي في عِزِّ طاعَتِكَ وتدبيري في اختيارِ تَدْبِيرِكَ، حتى لا يكونَ لي شـــعورٌ مع اقتدارِكَ ولا تدبيرٌ لِي مع تدبيرك، يا مُدَبِّرُ يا حَكِيمُ.**

قال الشارح:

هذا منه شهودٌ **للقيومية** التي تَمَّ بها التصويرُ وجَرَى على وِفْقِهاَ الاختيارُ والتدبِيرُ، والمرادُ هنا بالتصوير ما يَحْدُثُ عن حركات الإنسان من صورِ أفعاله ونتائج أعماله، كما قال سابقا: الأعمالُ صُوَرٌ قائمَةٌ وأرواحُهَا وُجُودِ سِرِّ الإخلاصِ فيها، فإنَّهُ لما حَقَّقَ شُهُودُ قيوميةِ الْحَقِّ تعالى بها حالَ وُجُودِهَا، رَغَبَ منْهُ أن يَفْنَيَّهَا في عِزِّ طاعتِهِ عندَ ورودِهَا، ليكونَ خَارِجاً في ذلك عن سجن اختياره وتدبيره، الذي هو مَظَنَّةُ

---

(1) الآية 73 سورة الكهف.

(2) الآية 88 سورة هود.

عجزه وتقصيره، إلى فضاء استسلام الأمر لمن يَخْلُقُ ما يشاءُ ويَخْتَارُ، ومن يُدَبِّرُ الأَمْرَ بالإرادة والاقتدار، حتى يَغِيبَ عن شُعُورِهِ ويُفِيقَ في تدبيرِ مُدَبِّرِهِ وتقديرِ مَقْدُورِهِ، والمرادُ بالتدبير في وَصْفِهِ تعالى: هو إيجادُ الأشياءِ وإعْدَامُهَا، واقعٌ على وِفْقِ إرادَتِهِ وتقديرِهِ وثُبُوتِ الحكمَةِ في إبداعه وتصويره، لأنه المدَبِّرُ لجميع الأمور الحكيمُ في صُنعه لِكُلِّ مَقْدُورٍ، وهذه تجلياتٌ وقَعَتْ لهُ تارةً فعليةً وتارةً وصفيةً وتارةً اسميةً، تعلَمُهَا من مناجاتِهِ وهو يتقلَّبُ في نعيمِهَا جميعَ أوقاتِهِ **فَتَدَبَّرْ**.

المناجاة الثانية عشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت الأَوَّلُ في أَزَلِيَّتِكَ والآخِرُ في وَحْدَانِيَّتِكَ، ونَحْنُ العُصَـــاةُ من خلقِكَ، فاغْفِرْ لنا ما اقتَرَفْنَاهُ من التقصـيرِ في طاعتك، وما اكتسـبناهُ من عدمِ اتباع سُـنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ،فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُنُوبَ إلاَّ أنتَ يا الله.**

قال الشارح:

أَوَّلِيَّةُ الحقِّ تعالى مضروبَةٌ في قِدَمِ أزليتِهِ بلا بدايةٍ، وآخريتُهُ موصوفَةٌ **بديمومية سرمدية** أَحَدِيَّتِهِ بلا نهايةٍ، هذا وأن المؤلف راعى في هذه الجملةِ معنًى آخر، وذلك أن الأولية و الآخرية وإن كانتا مُشْعِرَتَيْنِ بالقِدَمِ الأزَلِيّ والبقاءِ السَّرْمَدِيّ، فإنَّهُمَا يتناولاَنِ أَوَّلِيَّتَهُ في افتتاح كل أمر واختتامه، فهو الأَوَّلُ دخولا والآخرُ خُروجاً، كأنه يقول: اللهم إننا علمنا أنك الأول في كل شيء والآخر في كل شيء، وإننا موصوفون باقتراف المعاصي والآثام، والتقصير في الطاعة وشُكرِ الإنعامِ وعدمِ اتباعِ سُنَّةِ الرسول ﷺ، فإننا دعوناك واعترفنا لك لأنه لا يغفر الذنوب سواك، ولا يَقبلُ الطاعة مع شوائب التقصير إلا أنت يا الله، وهذا منه غايةُ **التواضُعِ** والاعترافِ لسَيِّدِهِ، كما هو شَأْنُ أهل التَّحْقِيقِ مِمَّنْ ثَبَتَتْ له الْخُصُوصِيَّةُ والمعرفَةُ من أهل الطريقِ، لأنهم عرفوا أنفُسَهُمْ بأوصَافِهَا فأثابَهُمْ ذلك معرفةَ ربهم بأوصافه، ولا يخفى أن ما تضمَّنَتْهُ هذه المناجاةُ مما سلف وما يأتي من الاعتراف بالإساءَةِ، وارتِكَابِ ما لا يليقُ بأهل الإنابَةِ، كما يُعطيهِ ظاَهِرُهُ هو كذلك، ولكن مع اعتقاد أعمالهم وخُلُوصِ أحوالهم، لأنهم خاصَّتُهُ من عباده وخيرتُهُ في جميع بلاده، حاشاهُم من عَدَمِ الاتبَاعِ وارتِكَابِ الْمُخَالَفَةِ والابتِدَاعِ، وهو محمولٌ على ما يليقُ بهم من التقصير في الطاعة التي تَحِقُّ أن تَكُونَ لِلْحَقِّ، لأنه لا يَقْدِرُ أن يُطيعَهُ أحدٌ حقَّ الطاعةِ ولا أن يَسْلَمَ أحدٌ من وقوع المخالفة البَتَّةَ، أقلُّهَا حسناتُ الأبرار سيآتُ المقربينَ، وابتداءُ هذه الْجُمْلَةِ بذكر الأَوَّلِيَّةِ والوَحْدَانِيَةِ مناسبٌ لَهُ، خَتَمَهَا باسم الجلالة كما فَعَلَ لِيَلْتَئِمَ الوصْفُ والاسمُ. ثم قال:

المناجاة الثالثة عشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت المعطي لما مَنَعْتَ والْمَانِعُ لما أعطيْتَ، فاجْعَلْ لِي مَنْعَكَ إن اخْتَرْتَهُ لِي عطاءً وعَطَاءَكَ لِي إن اخْتَرْتَهُ مَنْعًا، وأَلْهِمْنِي حَقِيقَةَ فَهْمِ مَعَانِيهِمَا لأَكُونَ مِنْكَ على بصـــيرةٍ فيماَ تَرْضَاهُ مِنِّي لا فيما أرضاَهُ لنفسي يا مُعْطِي ياَ مَانِعُ.**

قال الشارح:

الناسُ في حال العطاء والمنع أقسامٌ ثلاثةٌ، فقسم: يُشاهدون ظواهرَ الأمرِ عَطَاءً ومنعاً دون بواطِنِهَا وهُمُ العَامَّةُ، وقسمٌ: يُشاهدون البواطنَ فَقَطْ وهُمُ الخاصَّةُ، فيرون العطاَءَ منعاً والمنعَ عطاءً، وقسمٌ: يرون ظواهرَهَا وبواطنَهَا وهم خاصَّةُ الخاصَّةِ، فَيُفَصِّلُونَ في ذلك، فإن كان من الْحَقِّ فهم به راضُونَ عطاءً ومنعاً حيثُ اختارَهُ لهم قَنَعُوا به، وإن كان من الخلق مع عَدَمِ رِضَى الحقِّ به فلا يرضُون به ولا يذوقُون لهُ لَذَّةً ولا يَحْسِبُونَهُ إلاَّ مَنْعًا، وإن كان عطاءً في ظاهرِ أَمْرِهِ، والمؤلفُ بصدد هذا الأخير، لأنه بعد ذكر حال الخاصة بقوله: أنت المعطي لما منعت والمانع لما أعطيت، شهودا منه للمنع في عين العطاءِ والعطاءُ في عين المنع، ذَكَرَ حَالَ خاصَّةِ الخاصَّةِ بقوله: اجعل لي منعك إن كان بوجه اختيارك له ورضاك به هو عطائي، واجعل عطاءك لي إن اختَرْتَهُ ورَضَيْتَهُ منعاً، وامْنُنْ عَلَيَّ بفهم حقيقة كِلاَ الأمرين لأَرْضَى بما تُقَدِّرُهُ من الوصفين، فإن الخير فيما تُوَقِّعُهُ وتُبْدِعُهُ، فالخيرُ فيما ترضاه لنا وتختارُه لا فيما نرضى به ونختارُهُ لأنفسنا، لأننا لا إدراك لنا بِمُغَيَّبَاتِ الأمور بشيء، وهذا كقوله فيما سبق: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك، فصورةُ العطاء والمنع بمجردهاَ لا أثر لها، لأنها قد تكون على غير ظاهرها فيكونُ العطاءُ منعاً بحسب ما يترتبُ عليه من المفاسد، وقد يكونُ المنع عطاءً بحسب ما يترتب عليه من المصالح، وقد يكونُ كُلٌّ على ظاهره، فَرَغِّبَ فيما يقتضيه باطنُ الحالِ، يا معطي اعطنا ما يقتضيه اسْمُكَ المانعُ إن رضيت لنا ذلك.

نعم وفي كلام المؤلف ﷺخفاءٌ، وذلك أنه علَّقَ العطاءَ والمنعَ على الرضى والاختيارِ مع أن مُرَادَهُ بِأَنَّ المْنعَ نَفْسَهُ عطاءٌ، فهو مع الرِّضَى والاختيارِ عطاءٌ على كُلِّ حالٍ، ومع عَدَمِهِ مَنْعٌ كذلك، وفي الحقيقَةِ المانِعُ والْمُعْطِي هو الفاعلُ المختارُ، غير إن مرادَ المؤلفِ بالاختيار هنا الرضَى كما سَبَقَتْ إليه الإشارَةُ، وقولي في القسم الأخير: فإن كان من الحق.. الخ صريحٌ في أَنَّ مقامَ هؤلاءِ أشرفُ وهُمْ بالله تعالى أعرفُ، لاتساعِ نَظَرِهِمْ وشَهودِهِمْ وبقائِهِمْ في وجودِهِمْ، فلم يَحْجُبْهُمْ الحقُّ عن الخلق ولا الخلقُ عن الحقِّ بخلاف القسم الثاني، فإنَّ وَحْدَتَهُمْ بِهِ غَيَّبَتْهُمْ عن غيره، ومَرْجِعُ الكُلِّ في الحقيقة إلى شيءٍ واحِدٍ، وهذا غايَةٌ في التفويضِ وصرفِ الأمر إلى الله تعالى، ألا تَرَى أَنَّهُ دَارَ مَعَ الْحَقِّ حيثُ دَارَ، فآلَ أمرُهُ إن كانَ مُرادُهُ وجهَ الله لا غيرُ، فلا عطاءَ ولا منعَ فافهم.

المناجاة الرابعة عشرة

قال ﷺ:

- **إلهي أنت تعلمُ حقيقةَ نفعِنَا في الضُـــرِّ وضُـــرَّنَا في النفع أنتَ الضَّـــارُ لمن نفعتَهُ والنافعُ لمن أَضْرَرْتَهُ لأنَّ ضُرَّكَ في عينِ النَّفْعِ ضُرٌّ ونفعَكَ في عين الضُرِّ نفعٌ اكْشِفْ لنَا حقيقةَ سِرِّ ضُرِّكَ ونَفْعِكَ حَتَّى نَعْلَمَ ضَرَّكَ في النفعِ ونَفْعَكَ في الضُرِّ يا ضَارُ يا نافِعُ.**

قال الشارح:

السراءُ والضراءُ بمجرد ظاهرهما لا أثر لهما، وإنما المنظورُ إليه هو باطنُ أمرهما وحقيقةُ سِرِّهِمَا، فقد تكونُ الضَرَّاءُ سَرَّاءَ إن كانت تقودُ صاحبها الْمُبْتَلَيَ بِهَا إلى الرجوع لله تعالى، والتوجه إليه والإقبالِ **بِوَسْمِ** الاضطرَارِ والافتقارِ له عليه، فما هذه الضراءُ في الحقيقة بضراءٍ بل هي محضُ سراءٍ، وقد تكونُ السراءُ باعتبار ما تَؤُولُ إليه ضَرَّاءً إن أَفْضَتْ بمن أُصيب بها إلى حالِ الغفلةِ عَنِ الله، والرغبةِ فيما يَفْنَى والإعراضِ عَمَّا به يَسْتَغْنِي حسبمَا يقتضيه حالُ من ابْتلى بالنعم، فالنعمةُ قد تكونُ نقمةً كما قال بعض الصحابة للرسول ﷺ متعجبا: ﴿ أو يأتي الخير بالشر. قال: نعم يأتي الخير بالشر ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ وقال تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَوَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[2]، هذا والإنسانُ في حال السراء أخوفُ منه على نفسه في الضراء، لِمَا يلزمُ الضرَّاءَ من الاضطرار والانكسار والذلة والافتقار وبعكسها السراءُ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾[3]، وكانت حقيقةُ الأمر راجعةً إلى الله تعالى العالِمِ بالحقائق وما فيه نفعُ الخلائق، فطلبَ منه أن يَفْتَحَ لَهُ الفَهْمَ عَنْهُ في النفعِ والضُرِّ، وأن يكشِفَ لهُ عن حقيقَةِ الخيرِ والشَرِّ، فَيُشَاهِدُ حقيقَةَ النَّفْعِ في عَيْنِ الضُرِّ والضُرِّ في عين النفعِ، وأن يُخْرِجَهُ من قَيْدِ نَظَرِ صورَتِهَا الْمُفْضِي إلى خَفَاءِ ضَرُورَتِهَا كما يَقَعُ لِمَنْ حُجِبَ عن بواطن الأمور وحُرِمَ فَهْمَ حقائِقِهَا، جعلنَا الله مِمَّنْ عَلِمَ وفَهِمَ، ولا حَرَمَنَا بِمَنِّهِ وكرمه إنه جوادٌ كريمٌ، وهذه الجملةُ قريبة من الأولَى.

المناجاة الخامسة عشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلهي أنت الْمُحَقِّقُ في سِـــرِّ قُلوب أوليائِكَ ما تَحَقَّقَ مِنْكَ لَهُمْ، حَتَّى أَخْرَجْتَهُمْ على الوســائِلِ إليك واســتدلوا بِكَ عَلَيْكَ وتَوَسَّـلُوا بِكَ إليكَ، أَعْظِمْ فيناَ الدليلَ حَتَّى نَعْرِفَ ماَ مِنَّا إِلَيْكَ، وافْنِنَا عن الوسيلةِ التي أَوْصَلْتَنَا لَدَيْكَ، حَتَّى نَكُونَ بِكَ و إِلَيْكَ، يا دليلَ الحائرينَ زِدْنِي فيكَ**

---

(1) **انظر**: **صحيح مسلم**، ج3 كتاب الزكاة، ص101

(2) الآية 45 سورة القلم.

(3) الآية 83 سورة الإسراء.

تَحَيُّرًا، أَنْتَ دَلِيلُ الْحَيْرَةِ دُلَّنِي على حَيْرَتِي فيكَ حتى أُشَـــاهِدَ حَيْرَةَ مَنْ سِـــوَاكَ، ولا نَعْرِفُ الْحَيْرَةَ إلاَّ مِنْكَ إِلَيْكَ.

قال الشارح:

تقدم في غير ما موضعٍ ذكرُ الاستدلال بالأثر على المؤثر وعكسِهِ، فالأَوَّلُ حالُ السائرين، والثاني حالُ المجذوبين، وذَكَرَ هُنَا حَالَ أَهْلِ التَّحَقُّقِ بشهودِ الوحدانية، والفناءِ على الوسائلِ [في فضاء][1] الصَّمَدَانِيَةِ المستدلين به عليه والمشيرين به إليه، عِلْمًا منهم أن كل شيء هالك إلا وجهه، فتحققوا بذلك وغرقت قلوبُهُم في لُجَجِ ما هنالك فغابُوا عن الدليل واستغنُوا بالجليل فطلبَ من الحقِّ جل جلالُه أن يزيدَهُ في الغيبة والفناءِ عَنِ الوسائلِ، وأن يُعَظِّمَ في سِرِّهِ أُحْدَيَّةَ الدَّلاَئِلِ، لكي يَعْرِفَ أَنَّ جَمِيعَ ما هو صادرٌ من الخلق حقيقَةُ إِيْجَادِهِ من الحق، كما قال ابن عطاء الله: (من عظيم فضله عليك أن خلق ونسب إليك)[2]، فما أفعالُنَا إلا خَلْقُهُ والله خلقكم وما تعملون، والدلائلُ التي تَدُلُّ عَلَيْهِ هو الذي دَلَّ عليهاَ، فكيفَ يكونُ الأَوَّلُ آخِرًا والآخِرُ أَوَّلاً كما هو حالُ المحجوبين بالأثر عن مُؤَثِّرِهاَ، المستدلين بالأدلة على ناصِبِهَا، وأن يجعلَهُ ممن استدل به عليه ورجع منه إليه، حتى يكونَ مِمَّنْ واجَهَتْهُ أنوارُ التجلياتِ الذاتيةِ بعد ما غمرتْهُ التجليَاتُ الصفاتِيَّةُ، فَتَشْتَدُّ في ظلماتِ العجزِ عن إدراكِ كُنْهِ حقيقَةِ مَشْهُودِهِ حَيْرَتِهِ، والمرادُ بالحيرةِ هُنَا: المقبولةُ التي هي ناشئَةٌ عن عظمةِ الشهودِ، وتلاشِيهِ باختِطَافِ أنوارِ الوُجُودِ، فيطلبُ مُشَاهِدُهَا المزيدَ والعجزَ عن الإدراكِ، هو عندهم غايَةُ ما يُوصِلُ إليه من التوحيد فيقول عند ذلك: (يا دليلَ الحائرين زدني فيكَ تَحَيُّرًا) كما روي عن أبي بكر ﷺ، فَحَيْرَةُ الحائرينَ فِكْرَةٌ في المخلوقاتِ ثم في الأسماءِ ثم في الصِّفَاتِ، والْحَيْرَةُ التي طَلَبَ المزيدَ منهَا فيهِ تعالى بالعجز كما تقدم، والمؤلفُ طلب أيضا قوةَ الْحَيْرَةَ فِيهِ حَتَّى يغيبَ عن الْحَيْرَةِ فيما سِواهُ، ويَعلَمَ أَنَّ الْحَيْرَةَ التي أَنعم بها عليه مِنْهُ بَدَأَتْ وإليهِ رَجَعَتْ.

فانظر رحمكَ الله إلى كمالِ تَحَقُّقِهِ وعِظَمِ تَخَلُّقِهِ، كيفَ جَعَلَ الْحَيْرَةَ هنَا حَالاً يَجِبُ التَّرَقِّي مِنْهُ وَوَصْفًا لا ينبَغِي الانتقَالُ عَنْهُ، وذلك أنه طَلَبَ أن يغيبَ عنِ الْحَيْرَةِ رأسًا فلا يُشاهدُ لها معنىً ولا حِسًّا، إلا ما هي من الحقِّ إلى الحقِّ خُروجاً عن نِسبَةِ نَفْسِهِ وسائِرِ الخلْقِ، فافهم.

المناجاة السادسة عشرة

قال ﷺ:

- **يا من بســطَ في قلوب العارفينَ نُورَ صــفاتِهِ، وأَشْــهَدَهُمْ بذلكَ جَمَالَ جَلاَلِهِ، وغَيَّبَهُمْ عَنِ الإِحْسَاسِ في حضـرة كمالِهِ، أُبْسُـطْ في قُلوبِنَا سِرَّ إحسـانِكَ واشْـرَحْ صُـدُورَنَا لِعِلْمِ أَقْدَارِكَ**

---

(1) في حج: ساقطة.

(2) الحكمة الثالثة والعشرون بعد المائة.

واشْـهَدْ أَرواحَنَا معرفَةَ تَجَلِّيَاتِكَ، وافْنِنَا عَمَّا أَشْـهَدْتَنَا بقربِ ذَاتِكَ، حَتَّى لاَ نُرَى ولا نَرَى في ذلكَ.

قال الشارح:

إشراقُ أنوارِ صفاتِ الحقِّ في عوالم قلوب أهل المعرفة به، موجبٌ لشهود الجمال والجلال، الموجبُ للفناء في ذلك والغيبةُ بالكمال على كل حالٍ، فَطَلَبَ بَسْطَ سِرِّ إِحْسَانِهِ ليشاهِدَهُ بِحقيقة إيقانِهِ، كما طلبَ انْشِرَاحَ الصُّدُورِ لعلم سريان القدرة في باطن كُلِّ مقدور، وأَنْ يُشْهِدَ الأرواحَ معرفَةَ أنوارِ التجلياتِ، وأَنْ يُفْنِيَهُ بالغَيْبَةِ عن تلك المشاهدة بقرب الذات، فناءً يُغَيِّبُهُ عن الرؤيةِ مِنْهُ أَوَّلُهُ، فينعدمُ في وجوده ويفنَى في شهوده، نعم وعينُ القرب مِنه هو عينُ البُعْدِ عَنه، فكلَّمَا زاد المرءُ من الله قربا ازداد بالمعرفة بُعْداً، مثالُهُ: ناظِرُ الشَّمْسِ في حالِ بُعْدِهِ عنها وعَدَمُ إِبْصَارِ قُرْصِهَا لَهُ إِدْرَاكٌ لنورها، فإذا وَاجَهَهَا وقَابَلَهَا يَغيبُ عن إدراك نُورِهَا الذي كان يستطيعُهُ قبل ذلك، بعظيم ما يَحُدُّهُ البصرُ بأشعة أنوار ذاتِهَا كما هو [مشاهدٌ][1]، والقُرْبُ والبُعْدُ هنا بُعْدُ المناسبَةِ بين العبدَ وَرَبِّهِ، والقُرْبُ المناسبةُ، فكلما زَكَتْ صِفَاتُهُ النَّفْسَانِيَّةُ حَصَلَ له القُرْبُ مِنْهُ بِقَدْرِ ذلك، واتَّصَفَ بصفاته الرَّحمانِيَّةِ حَتَّى تَفْنَى صِفَاتُهُ الذَّمِيمَةُ في صفات مولاَهُ الحميدَةِ، فيغيبُ في ذلك فلا يرى لنفسه ولا لغيره عَيْناً ولا أَثَراً، كما هو شأنُ مَنْ زَالَتْ عَنْهُ صفاتُ شَيْءٍ كَانَ يَعْرِفُهُ بِهَا ويَجِدُهُ اتَّصَفَ بصفاتٍ أُخرى، فيتيهُ في أودية الْحَيْرَةِ ثم يحير في حَيْرَتِهِ ثم يَفنى عن الْحَيْرَةِ أَصْلاً، ويُوَضِّحُ هذا ما يقعُ لأهل الفناء الأَوَّلِ من الإشارة للأَنَانِيَةِ والأَنْتَيَّةِ والْهُوَيَّةِ حَيْرَةً مِنهم في أودية الشهود واصطلاماً بأنوار الوُجُودِ، وهذا قريبٌ من كلام ابن عطاء الله: (حجبه عنك شدة قربه منك)[2] وقد مَرَّ طرفٌ من هذا المعنى في أول الكتاب.

المناجاة السابعة عشرة

قال رضي الله عنه:

- **يا مَنْ أَوْضَحَ الطريقَ للسائرين، وسلَكَ بِهِمْ سبيل المهتدين، و أَوْقَدَ لَهم نورا يَمشون به على اليمين، وجَذَبَهُمْ بالسير إليه بنور اليَقِينِ، و أَوْصَلَهَمْ درجاتِ الكَامِلِينَ، حَسِّنْ لَنَا الطريقَ لِنَهْتَدِيَ بك إليك، واسْلُكْ بنا مسلكا يُرضيكَ، و أَوْقِدْ لَنَا نُوراً في قُلُوبِنَا يَدُلُّنَا عَلَيْكَ، واجْذِبْنَا جَذْبَةً صَمْدَانِيَّةً نَفْقِدُ فيها ما يَقْطَعُنَا عَنْكَ.**

قال الشارح:

---

(1) في مخ: مشاهدا.

(2) الحكمة الرابعة والستون بعد المائة.

وُضُوحُ الطريقِ المؤديةُ لغاية التحقيق للسائرينَ على **مَتْنِ** الاستقامة بالله تعالى، وَضَعَ أقدامَ قلوبهم في سلوكها بالهداية إليه، فسلكوا في جادة السبيل وما عاَقَهُمْ **قالٌ** ولا **قيلٌ**، أنعم عليهم بوُقُودِ مَصَابِيحِ أنوارِ الإيمانِ، فَمَشَوا على ضيائه في سبيل مرضاته، آخذين ذاتَ اليمينِ حتىَّ لاَحَ على أَسِرَّةِ قلوبهم لوائِحُ اليقين، فانْجَذَبُوا بالسَّيْرِ إليه واخْتُطِفُوا بالحضور لديه، فصارت درجاتُهُم وِصاليَةً ومقاماتُهُم كماليةً، طاَبَتْ أَنْفَاسُهُم وغاَبَتْ إحساَسُهُم، انْقَضَى رَحِيلُهُمْ واستراح دليلُهُم، دلالتُهُم إليه فوقيةٌ و تَنَزُّلاَتُهُم لديه حَقِّيَّةٌ، فَرَغِبَ المؤلفُ من الله تعالى مِثْلَ ماَ بِهِ [وُوجِهُوا][1] من تحسين الطريق وتيسيرها، بزوائل عوائقها وتعسيرها، ليكونَ سُلُوكُهُ فيها على وِفْقِ رضاه، مُغْضِيًا عن كُلِّ ما سِواهُ، عالمُ قَلْبِهِ مَمْلَوٌّ بأنواره وهيكَلُ سِرِّهِ مُوَشَّحٌ بأسراره، يمشِي بِهِ إليه ويَسْتَدِلُّ به عليه، فينجذِبُ انجذاباً صَمْدانِياً و يَنْفَقِدُ في صَمْدَانِيَّتِهِ انفقاَداً فَردانَياَ، يغيبُ به فيه عن عَيْنَيَّةِ الشهُودِ حتى لا يُوسَمَ بفقدٍ ولا وجودٍ، فَيَسْلَمُ من الأغيار النَّاشِئَةِ من مشاهدَةِ الآثارِ، وفي كلامه كَماَ عَلِمْتَ **لَفٌّ وَنَشْرٌ** مُرَتَّبٌ فتأَمَّلْهُ إنْ شِئْتَ.

المناجاة الثامنة عشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلَهِي كَماَ شَرَحْتَ صُدُورَ الْمُحِبِّينَ، وفَسَحْتَ قُلُوبَهُمْ حَتَّى اتَّسَعَتْ لنُور رَبِّ العالَمِينَ، اشْرَحْ صُدُورَناَ واملأْهاَ بنور اليَقِينِ.**

قال الشارح:

انشراحُ الصَّدْرِ اتِّسَاعُهُ و انْفِسَاحُهُ وتَهَيُّئُهُ لقبول ما يُلْقَى إليه وَيُلْهَمُ بِهِ، فيستَنِيرُ بعد الظَّلاَمِ ويُقْبِلُ بعد الإدبارِ ويَنْتَبِهُ بعد الغفْلَةِ، كما قال ﷺ: ﴿ إذا دخلَ النُّورُ القلبَ اتَّسَعَ وانْفَسَحَ وانْشَرَحَ، قيل: فهل لذلك من علامة يا رسول الله، قال: التجافي عن دار الغرور والإنابةُ لدار الخلود والاستعدادُ للموت قبل نزوله ﴾[2] أو كما قال، فإن دخولَ النور في القلب أَوْجَبَ فَتْحَ البصيرة واتساعَ ميادينِ السريرةِ، فَظَهَرَ حَقُّهاَ من باطلِهاَ، فاتَّبَعَ الْحَقَّ وتجافَى عن البَاطِلِ، وبادر للاستعداد ليوم الْمِعَادِ، فظاهرُ الحديثِ واضحُ التَّصْوِيرِ، وباطنُهُ أَنَّ مَنْ دَخَلَتْ قَلْبَهُ أَنْوَارُ اليَقِينِ وانتَظَمَ في سِلْكِ أَوْلِيائِهِ المتَّقِينَ، تجافَى بالتباعُدِ عن غرور الأغيار الكونية بأسرها، ورجَعَ مُتَوَجِّهاً لِتَلَقِّي التَّنَعُّمَ بالحضرات الرَّحمانيةِ، علماً بأنها جنةُ الخلد الروحاني ومحلُّ التَّجَلِّي الإحساَنِيِّ، فَاسْتَعَدَّ للمَوْتِ الاخْتِيَارِيِّ قبلَ وُجُودِهِ، وتَهَيَّأَ لَهُ قَبْلَ وُرُودِهِ بإخلاص أعماله وتزكية أحوالِهِ، فإذا جاءه اليقينُ وَجَدَهُ فيه من النازلين، فَتَتَلَقَّاهُ وارداتُ المواهب والإجلالِ مُبَشِّرِينَ لَهُ بغاية

---

[1] في حج: وجهوا.

[2] **انظر**: ابن جرير الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، ج8، ص20-21.

الآمان، فَيُزَفُّ لِمَقَامِهِ كالعَرُوسِ، زَكِيَّةً مِنْهُ الأحوالُ والنفوسُ، مُنَادَى عَلَيْهِ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي، **وَسَبْكُ** الجمْلَةِ ظاَهِرٌ.

المناجاة التاسعة عشرة

قال رضي الله عنه:

- **إلَهِي سَيِّآتِي أَوْحَشَتْنِي مِنْكَ، وحَسَناَتِي حَجَبَتْنِي عَنْكَ، أَنِسْنِي بِكَ مِمَّا أَوْحَشْتَنِي واكْشِفْ لِي ما عَنْكَ حَجَبْتَنِي.**

قال الشارح:

نَظَرُ المرءِ إلى ما بَرَزَ منه من سيآت أعمالِهِ وقبيحِ أَحوالِهِ، يَقتضِى الوحشةَ والفرارَ والمذلةَ والانكسارَ، ونَظَرُهُ إلى ما صَدَرَ منه من الحسناتِ **[وتَرَدَّا]**[1] بِهِ من جميل الصفات، يقتضي الأنسَ به والركونَ إليه والسكونَ له والاعتمادَ عليه، والأَوْلَى في حقه الإنصافُ وهو أن لا يُزَائِلَ الخوفُ قَلْبَهُ ولو في الطاعة، ولا يُبايِنُ الرجاءُ لُبَّهُ ولو في المخالَفَةِ، فيكُونُ خوفُهُ باعثا له على مراقبة فاطِرِهِ، فتقعُ الهيبَةُ والحياءُ والإجلاَلُ لناظِرِهِ، ويكونُ رجاؤُهُ من بساط إحسان الله إليه، وتَفَضُّلُهُ بالتكرم عليهِ من غير مراعاةٍ لما يكتَسِبُهُ خيرا أو شرا، فيكونُ في خوفه راجياً وفي رجائه خائفا، فلا حسناتُهُ تُرجيه ولا سيآتُهُ تُخَوِّفُهُ، بل يخافُ الله ويَرْجُوهُ مُطلقا، وإلا فَنَظَرُ السيآتِ يُوجِبُ الوَحْشَةَ، والحسناَتِ يُوجِبُ الْحُجُبَ، وكلاهما يُجب التَرَقِّي عنهُ والانتقالَ منهُ، أَمَّا الاسْتِيحاَشُ من السيآت فواضحٌ، وأما الْحُجُبُ بالحسنات فبسبب نظَرِهِ إليهَا واستحسانه إِيَّاهَا واعتماَدِهِ ونِسْبَةِ صُدُورِهاَ منه، فيقَعُ لَهُ بِهَا الإعجَابُ وهو أَشَدُّ [حجاب][2]، قال ابن عطاء الله: (حظ النفس في المعصية ظاهرٌ جليٌ، وفي الطاعة باطنٌ خفيٌ)[3]، بل ربما كان الإنسانُ عند تَنَصُّلِهِ من المعصية ونَدَمِهِ عليهاَ، أَحْسَنُ حالاً منهُ عندَ فِعْلِ الحسنَةِ كما قال ابن عطاء الله: (رب معصية أورثتك ذلا واحتقارا، خير من طاعة أورثتك عزاواستكبارا)[4].والمؤلفُ طلبَ من الله أن يُونِسَهُ بِهِ حتىَّ لا يَستوحشَ من شَيْءٍ، وأن يكشفَ له عن أنوار وجهه حتى لا يَنْحَجِبَ بشيءٍ، كما تَضَمَّنَهُ آخرُ الحديث من قوله ﷺ: (إن لله سبعين أو سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت **سُبُحَاتِ وجهه** ما انتهى إليه بصره من خلقه)[5]، والمرادُ بالسبحات أشعة أنوار الجلال والجمال.

---

(1) في حج: وتردى.

(2) لعله حجابا.

(3) الحكمة التاسعة والخمسون بعد المائة.

(4) الحكمة السادسة والتسعون.

(5) رواه أبوالشيخ، قال في المختصر سنده ضعيف، وقال ابن الجوزي لا أصل له، وروى الطبراني بإسناد جيد بلفظ: حجابه النور...الخ. **انظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة،،كتاب الصفات**، حديث16، ص450. مرجع سابق.

المناجاة العشرون

قال ﷺ:

- **إلَهِي سَبَقَتِ السوابقُ وجَفَّ القَلَمُ بما هو لاَحِقٌ، ولَسْتُ أعلَمُ أَيُّ الفَرِيقَيْنِ أُرَافِقُ.**

قال الشارح:

الأمرُ كما قال: مُغَيَّبٌ محجوبٌ استأثر بعلمه عَلاَّمُ الغُيُوبِ، سَبَقَتْ سَوَابِقُ الأَزَلِ والخاتمةُ على وِفْقِ ما سبقَ في الحال الأَوَّلِ، وَصَلَ علمُ ذلك للحفظة الكرامِ عند نَفْخِ الرُّوحِ في ظلمات الأرحام، كما قال ﷺ: ﴿ السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه ﴾[1]، كما يدُلُّ له سُؤَالُ الْمَلَكِ ما الرزقُ ما الأجلُ أَشَقِيٌّ أم سعيدٌ، فيخرُجُ الجوابُ بما هو مُسَطَّرٌ في مُحْكَمِ أُمِّ الكتابِ، وقال ﷺ: ﴿ جف القلم بما هو كائن ﴾[2] وقال: ﴿ جفت الأقلام وطويت الصحف ﴾[3] إلى غير ذلك، ومع هذا فالمرءُ خافٍ عليه مآلُ أَمْرِهِ ومُنْتَهَى قَدْرِهِ، هل إلى جنةٍ عاليةٍ أو إلى نارٍ حاميةٍ حَسْبَمَا تقتَضِيهِ خاتِمَةُ أَمرِه، وحيثُ كان ذلك كذلك فَأَمْرُ الخاتمةِ أمرٌ مُخَوِّفٌ يَحْذَرُهُ العُقَلاَءُ ويَغْفُلُ عنه **الحَمْقَاءُ**، والمؤلفُ اهتَمَّ بِشأْنِهِ أَيَّ اهْتِمَامٍ، واعْتَرَفَ بِجَهْلِ من يُرافِقُ من الأقوامِ، تواضُعاً منه واستكَانَةً كما هو شَأْنُهُمْ رضي الله عنهم، وبآثارِهِم تُبديهاَ أنوارُهُم، سَعِدُوا وأَسْعَدُوا وشَهِدُوا وأَشْهَدُوا فجزَاهُم الله من خِيرَةٍ خَيْراً.

المناجاة الحادية والعشرون

قال ﷺ:

- **إلَهِي حَجبنِي قُرْبُكَ وأَبْعَدَنِي قُرْبِي مِنْكَ كَيْفَ لاَ أُحْجَبُ و أَنْتَ القَرِيبُ أم كَيْفَ لاَ أُكْشَفُ و أَنْتَ الرَّقِيبُ.**

قال الشارح:

---

(1) **انظر**: سنن ابن ماجة، ج1، المقدمة7، باب اجتناب البدع والجدل، حديث46، ص18.

(2) **كتاب الأسماء والصفات للبيهقي**، ص76. الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فقال لي ﷺ:﴿يا غلام أو يابني ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن قلت بلى، قال: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله تعالى، وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه، واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ﴾.

(3) **انظر**: الطبراني، **المعجم الكبير**، ج 12/ص238.

شِدَّةُ القُرْبِ يَسْتَدْعِي قَوَّةَ الْحَجْبِ، حتَّى يَغيبَ عن الإدراكِ فَلاَ يَرَى بُعْداً ولاَ قُرْباً كما قال ابن عطاء الله: (حجبك عنه شدة قربه منك)[1]، سببُ ذلك قَوَّةُ ظُهُورِهِ وإشراقُ شُمُوسِ نُورِهِ، حتى يغيبَ مُشَاهِدُهُ في الشهودِ بالشهودِ عن الشهود، ويفنى في الحضور حتى يَذْهَلَ عن إحساسِهِ بالكلية، لِأَنَّ الحضُورَ مع الحقِّ تعالى يَقْتَضِي الغَيْبَةَ عَمَّا سِوَاهُ، فإذا جاء الحق زهق الباطل، أي فإذا جاءَتْ تجلياَتُ الحقِّ وأَشْرَقَتْ شُمُوسُهاَ على الخلق زَهَقَ باطِلُهاَ، فلذلك كانت شِدَّةُ قُرْبِ الحقِّ حِجَاباً، ألا تَرَى أَنَّ جَمِيعَ ما يَقْرُبُ مِنْكَ يَشْتَدُّ احْتِجاَبُهُ عَنْكَ، كما تعلَمُهُ من الأمور التي رَكَّبَهَا الله فيك غابَتْ عَنْكَ مع أنها لم تُفَارِقْكَ مُنْذُ خُلِقْتَ، كالروحِ والسمعِ والبصرِ والشَمِّ وغير ذلك مما هو مُرَكَّبٌ فِيكَ، ولاَ أَدَلَّ لَكَ إلى حقِيقَتِهِ إلا بواسطةِ عِلْمِ اليَقِينِ، وكذلك حاجِبُ العَيْنِ احْتَجَبَ عَنْهَا بشدَّةِ قُرْبِهِ منها، وقد ضَرَبُوا للقُربِ الحاجِبَ مثالاً برائحةِ المسكِ وهو يَشْمُلُ حُجُبَ البُعْدِ، وذلك أَنَّ المسْكَ قَبْلَ دُنُوِّهِ مِنْكَ تعلَمُ طِيبَ ريحِهِ من غير إدراكٍ فإذا دَنَا دُنُواً مُتوسطاً شَمَمْتَهُ وأَدْرَكْتَ رَائِحَتَهُ، فإذا اشتَدَّ دُنَوُّهُ مِنْكَ ذَهَبَتْ عَنْكَ رائِحَتُهُ واحتَجَبْتَ بِهَا عَنْهَا مع وُجُودِهَا، فالمحجوبُ بالذنوبِ والعُيُوبِ سَقَمَ قَلْبُهُ وَرَمَدَ بَصَرُهُ، وانْسِدَادُ خَيَاشِمِهِ هي التي منعتْهُ من الإدراك والمشاهدةِ كما قال البصيري:

قد تنكرُ العيْنُ ضَوْءَ الشمسِ من رمدٍ * ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ من سَقَمٍ(2)

وقوله:

---------- * ومن أيْنَ تَرَى الشمسَ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ(3)

والمحجوبُ بالقرب مَنَعَهُ امتلاَءُ حَوَاسِّهِ بأوصاف قَريبه من إدراكها، حتى غابَ عن شُهُودِهَا وَوُجُودِهَا فافهم، وتَتَبَّعْ كلامَ المؤلفِ كأنه يقول: شدةُ قربكَ مِنِّي أَوجَبَ لأَكْوَانِي تلاشياً وذهاباً، وعَظِيمُ دُنُوِّكَ مِنِّي أَلْزَمَنِي عَجْزاً وحجاباً، فشهودُ نَفسِي يُوجِبُ بُعْداً، فكيف لا أُحْجَبُ وأنت قَرِيبِي، أَمْ كيف لا أُكْشَفُ لك في جَمِيعَ أَحْوَالِي، وأنت المطَّلِعُ عَلَيَّ ورَقِيبِي.

المناجاة الثانية والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي أَنْتَ أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ وَأَنَا أَبْعَدُ مِنْكَ إِلَيْكَ، كَيْفَ أَقْرُبُ وأَنَا بَعِيدٌ مِنْكَ أَمْ كَيْفَ أَبْعُدُ وأَنَا قَرِيبٌ مِنْكَ إِلَيْكَ.**

---

(1) الحكمة الرابعة والستون بعد المائة.

(2) **انظر:البردة للإمام البوصيري**، شرح الشيخ ابراهيم الباجوري، ص99.

(3) **انظر: همزية البوصيري**.

قال الشارح:

هذه الجملةُ داخلةٌ من حيثُ المعنى في الجملة التي قبلها بِلَصْقِهاَ كالاستدراكِ لَهَا، كأنه يقول: إلَهِي قُرْبُكَ مِنِّي أَشَدُّ من قُرْبِ نَفْسِي إلى نَفْسِي، كما قال: يا موسى إن أردتَ أن أكونَ أقربَ من نورِ بَصَرِكَ إلى عَيْنَيْكَ، ومن كلامِكَ إلى لسانِكَ، ومن سَمْعِكَ إلى أُذُنَيْكَ، ومن رُوحِكَ إلى بَدَنِكَ، ومن وَسْوَاسِ قَلْبِكَ إلى قَلْبِكَ، فقل: لا إله إلا الله؛ أو كما قال، فالأقربيةُ المشارُ إليهاَ في هذا الحديثِ لا يُسْتَطَاعُ إدراكُهَا ولا تَكَيُّفُهاَ، هي قُرْبُ النوافل الذي قال فيه على لسان رسوله ﷺ: ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه... ﴾[1] الحديث، يُرْشِدُ إلى هذا المعنى المذكورِ، ففي حال تحقُّقِ التَجَلّي الحقُّ أقربُ من نفس الإنسان إليه، وفي حالِ تَوَجُّهِ الأمرِ لِوُجُودِ هذا الهيكَلِ البَشَرَيِّ هو أبعدُ منهُ إليهِ، إذ لا مناسبةَ بين الحقِّ والخلقِ، فهو فيهم أقربُ منهم إليهم، وهم مع ذلك أبعدُ منهُ إليه، كما قال ابن عطاء الله: (لا يخرجك من الوصف إلا شهود الوصف)[2]، فشهودُ أوصافه يُخْرِجُكَ عن أوصافِكَ، وشُهُودُ أَوْصافِكَ يُبْعِدُكَ بالْحَجْبِ عن أوصافهِ كما تَضَمَّنَتْهُ الآيةُ: ﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًاثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[3]، فَضِياءُ الشَّمْسِ هو الذي أَبْدَى الظِلَّ، وبوجود الظِلِّ ظَهَرَ ضِياءُ الشَّمْسِ، والبُعْدُ والقُرْبُ غَيْرُ مُدْرَكَةٍ حقيقتُهُماَ، فإذا انتشر ضياءُ الشمس ذهبَ من أصله، وإذا احتجب ظهر الظلُّ، فالشمسُ عبارةٌ عن أنوار الجلال والجمال، والظلُّ عبارةٌ عن الآثار الكونية، ففي حال إشراقِ شمسِ الحقِّ على ظِلاَلِ الخلْقِ تَذْهَبُ مُكَوِّناَتُهاَ وتَضْمَحِلُّ ذَوَاتُهَا، وإذا غلَبَتْ كثافَةُ الآثَارِ حُجِبَ بَصَرُ البَصِيرَةِ عن مُشاهدةِ الأنوارِ، فيكون في الأولِ الحقُّ أقربُ منهُ إليه، وفي الثانِي أبعدُ منه إليه، فقُرْبُهُ مَضْرُوبٌ في بُعده وبُعدُهُ في قُرْبِهِ، فلا القُرْبُ يُناَفِي بُعْداً ولا البُعْدُ يُناَفِي قُرْباً، فالحقُّ أَقْرَبُ منهم إليهم شُهُوداً جَمْعِيًّا، والخلقُ أَبعدُ منه إليه شهوداً فَرْقِيًّا، فالجمعُ يقتضي الفناءَ في القربِ بالقرب عن القرب، والفرقُ يَقتضي ضِدَّ ذلك، وقد مَرَّ طَرَفٌ من هذا ويأتي ما هو قريبٌ منه.

والمؤلفُ ﷺ بصدد الاعترافِ للحق بالأقرَبِيَّةِ إلى الخلق بعظيم صفاتِهِ وجميلِ تجلياتِ ذاتِهِ، وبأَنَ الخلقَ أبعدُ منه إليه لا بُعديةُ وَصْفِ الحادثِ من القديم، وعدَمُ ثُبُوتِهَا أَمَامَ وُجُودِهِ وظُهُورِهَا عند تَجَلّيهِ وشُهُودِهِ، فأظهَرَ العجزَ عن القرب إليه مع تحقق بُعده عنه وعَكسِهِ، لما مَرَّ أنَّ القُرْبَ والبُعْدَ أُمُورٌ نِسْبَيَّةٌ، وإلا فلا قُرب ولا بُعد، فلا وُجُودَ لشيء سواه، كُلُّ شيء هالك إلا وجهَهُ فافهم.

المناجاة الثالثة والعشرون

قال ﷺ:

---

(1) **انظر: مسند أحمد بن حنبل**، مج7، ص365، حديث25661.

(2) الحكمة الحادية والأربعون بعد المائتين.

(3) الآية 45 سورة الفرقان.

- **يَا مَنْ لا تُكَيِّفُهُ الأَوْهَامُ ولا تُحيطُ به الأَفْهَامُ ولا تَحْجُبُهُ الأَجْرَامُ، اكْشِــفْ لَنَا حُجُبَ أَنْوَارِكَ و افْتَقْ لنا رَتْقَ أَسْــرَارِكَ، لِكَيْ أُشــاَهِدَ مِنْ غَرَائِبِ عَجائِبِكَ ما يُبْهِرُ عُقُولَنَا وَيَغْمُرُ وُجُودَنَا ويُفْنِينَا بِنَا عَنَّا، يا رحمانَ الدنيا والآخرةِ ارْحَمْ تَذَلُّلَنَا واقْبَلْ تَنَصُّلَنَا وأَقِلْ عَثَرَاتِنَا واصْفَحْ عَنْ عُيُوبِنَا، يَا مُقِيلَ العَثَرَاتِ يَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ يَا كَاشِفَ الكُرُبَاتِ يَا قَرِيبُ يَا الله.**

قال الشارح:

تَضَمَّنَتْ هذه الجملةُ ما تَقَدَّمَ لهُ قَرِيباً وزيادةً، نَشَأَتْ لَهُ من شُهُودِ الأَقْرَبِيَّةِ التِّي يَعجِزُ عن إدراك **كُنْهِهَا** البشريةُ، فَصَرَّحَ بعجْزِهِ كسائر الخلق فقال: يا من عَجَزَتِ العُقُولُ والأوهامُ عن إدراك ذاتِهِ وتَكْييفِ صِفاتِهِ، وتَعالَى عن أن تَحْجُبَهُ عن ظُهُورِهِ لخلْقِهِ **أَجْرَامٌ** أَوْجَدَهاَ، اكْشِفْ عن أَبصارِ بَصائِرِنا حُجُبَ أنوارك بالخروج عن الوقوف معها، والاكتفاءِ بِهَا عنكَ، وافْتَحْ لنا **رَتْقَ** أغشيةِ أَسْرَارِكَ ليكونَ شُهُودِي بَهَاءَكَ ونُورِي **سَنَاكَ**، فتبدُو لِي مِنْ ذلك العجائِبُ وتَظْهَرُ لِي مُغَيَّبَاتُ الغرائِبِ، فَأَشْهَدُهاَ شُهُوداً يُبْهِرُ العُقُولَ ويُذْهِلُهاَ، ويُغَطِّي هَياَكِلَ الوُجُودِ ويَسْتُرُهَا، ويُفْنِينَا شُهُودُنَا إِيَّاكَ عَنَّا، يا من عَمَّتْ رَحمانِيَّةُ الدنيا والآخرةِ، ويَشْمُلُ الكُلُّ ظِلَّهاَ وَوَسِعَهُمْ فَضْلُهاَ، ارْحَمْ بِحنانِكَ تَذَلُّلَنا وتَضَرُّعَنا إليك، واقْبَلْ بِجُودِكَ وكَرَمِكَ انْفِصَالَنَا من رَدَيِّ أَحْوَالِنا، وأَقِلْ بعفْوِكَ عَثَرَاتِنا فلا تُوَاخِذْنَا بِهاَ، واصْفَحْ بِحِلْمِكَ عَمَّا عَلِمْتَهُ من عُيُوبِنا فَلاَ تَفْضَحْنا عنها، يا مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَعْفُوَ ويُقِيلَ ويُجِيبَ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، واعْفُ عَنَّا وَأَجِبْ دُعَاءَنَا فإنك تَسْمَعُ نِدَاءَنَا، يا مَنْ بِقُدْرَتِهِ وَصَمْدَيَّتِهِ يَكْشِفُ الشَّدَائِدَ ويَدْفَعُ مُعْضِلَ المكَائِدِ، فَرِّجْ كُرُباَتِنا وارْحَمْ عَبَرَاتِنا يا قَرِيبُ لعبِيدِهِ، يا رَحِيمُ بأهلِ تَوْحِيدِهِ يا الله، وفيه من التواضُعِ ماَ مَرَّ، والأنوارُ والأسرارُ التي أشارَ لَهَا أَوَّلاً هي حُجُبُ الْمَقَامِ الثَّانِي والثالثُ المشارُ لَهاَ في حديث السبعينَ حجاباً، لا أنوارُ التَّجَلِّياَتِ فافهم.

المناجاة الرابعة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي مِنْكَ اسْــتَنارَتِ الأَنْوَارُ واسْــتَقامَتِ الأَسْــرَارُ واسْــتَبانَتِ الأقمارُ في قلوب عبيدِكَ الأحرارِ، أَنِرْ قُلُوبَنَا و أَصْلِحْ أَسْرَارَنَا وَاجْلُ أَقْمَارَنَا حَتَّى أُشَاهِدَكَ في الْجَهْرِ والإِسْرَارِ.**

قال الشارح:

اعترافٌ للحقِّ وشُهُودٌ لَهُ وَتَرَقٍّ مِمَّا تَضَمَّنَهُ ما قَبْلَهُ، بِأَنَّ الله تعالَى هو الذي أَوْقَدَ مصابيحَ أنوارِ القلوبِ، وَبِهِ اسْتَقَامَتْ أَسْرَارُ عُلُومِهَا وَمَعارِفِهاَ في أَصْدَافِ الغُيُوبِ، وبه اتَّضَحَتْ أَقْمَارُ الشَّوَاهِدِ القَلْبَيَّةِ في أَكِنَّةِ أَفْئِدَةِ عَبِيدِهِ أَوْلِي الحرِيَّةِ، حتى تَحَرَّرُوا من شَوائِبِ الرِّقِيَّةِ لغيره من الأغيار الكونيَّةِ، وطَلَبَ مِنْهُ إِنارَةَ قَلْبِهِ بعلومه وإصلاحِ سريرتِهِ بواراداتِ فُهُومِهِ، وإِجْلاَءِ أَقْمارِ شُهُودِهِ من سحائِبِ الأكدارِ، حَتَّى يَصِيرَ

جَمِيعُ وَقْتِهِ صَحْوًا كالنهارِ لكيْ يُشَاهِدَ رَبَّهُ بِحَدَقَةِ بَصِيرَتِهِ، شُهُودًا يستَوِي فيهِ جَهْرُهُ والإِسْرَارُ، يَذْهَبُ فِيهِ مُقْتَضَيَاتُ التَلْوِينِ برُسُوخِهِ فِي التَّمْكِينِ.

المناجاة الخامسة والعشرون

قال ﷺ:

- **إلَهِي ذِكْرُكَ سَبَقَ ذِكْرِي، وَذِكْرِي سَبَقَ ذِكْرَ نَفْسِي، وَذِكْرُ نَفْسِي الحَادِثَةِ أَشْهَدَنِي ذِكْرَ صِفاتِكَ القَدِيمَةِ، اذْكُرْنِي بذكْرِكَ السَّابِقِ القَدِيمِ، لِكَيْ أَذْكُرَكَ بذكْرِ نَفْسِي الحادِثِ العَدِيمِ.**

قال الشارح:

ذِكْرُ الْحَقِّ تعالَى عَبِيدَهُ قَدِيمٌ سابِقٌ، وذِكْرُ عَبِيدِهِ لَهُ حادثٌ لاحِقٌ، فلولا سابِقِيَّةُ ذِكْرِهِ لَهُمْ في حضرة **قُدْسِهِ**، ما تَأَتَّتْ لاَحِقِيَّةُ ذِكْرِهِمْ لَهُ حَتَّى حَصَلَ لهم الأُنْسُ بِهِ، فاذكروني أذكركم، فإِنَّ أَذْكُرَكُمْ في الحقيقة مُقَدَّمٌ على أَذْكُرُونِي كَماَ تَقَدَّمَ، كما قال ابن عطاء الله: (أنت الذاكر من قبل الذاكرين وأنت البادي بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالإعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب، ثم أنت كما وهبتنا من المستقرضين)[1]، وقال **أبو يزيد**[2] ﷺ:(غَلَطْتُ في ابتداءِ أَمْرِي في أربعَةِ أَشْياءَ: تَوَهَّمْتُ أَنِّي أَذْكُرُهُ وأَعْرِفُهُ وأُحِبُّهُ وأَطْلُبُهُ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ رَأَيْتُ ذِكْرَهُ سَبَقَ ذِكْرِي، ومَعْرِفَتُهُ تَقَدَّمَتْ مَعْرِفَتِي، ومَحَبَّتُهُ أَقْدَمُ من مَحَبَّتِي، وطَلَبُهُ لِي أَوْلَى من طَلَبَتِي، فإذا كانتْ لَهُ الأَوَّلِيَّةُ في ذلك لم يَبْقَ للعبد وسيلةٌ يَتَوَسَّلُ بِهَا سِوَى فَضْلِهِ)، وعن الجنيد: (يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه، ويا بادي العارفين بما به عرفوه، ويا مُوفق العابدين لصالح ما عمِلُوهُ، مَنْ ذَا الذِي يشفعُ عندَكَ إلا بإذنك مَنْ ذاَ الذي يَذْكُرُكَ إلا بفضلكَ)، وقال بعضهم: (مَلَّكَكَ ثُمَّ اشْتَرَى مِنْكَ ماَ مَلَّكَكَ لِيُثْبِتَ لَكَ مَعَهُ **نِسْبَةً**، ثُمَّ اسْتَقْرَضَ مِنْكَ ماَ اشْتَرَاهُ، ثُمَّ وَعَدَكَ عَلَيْهِ أَضْعَافًا). ثُمَّ إِنَّ ذِكْرَ الإِنْسانَ فِي نَفْسِهِ سابقٌ لذكر نَفْسِهِ، لأنها في **سِجِّينِ** غَفَلاَتِهَا وأَغْطَيَّةِ شَهَوَاتِهَا، تلعبُ بِهَا رِيَاحُ الْهَوَى، لم يتبين لها الرشدُ من الغَيِّ لكونِهَا مُتَدَنِّسَةٌ بأدناسِ بشرَيَّتِهَا، قَدِ اكْتَسَبَتْ من ذميم الصفاتِ ما أنساها ما كانت فيه قبلُ من كمالاتِهَا القُدْسَيَّةِ، فلا يَزَالُ الذَّاكِرُ يُرَدِّدُ على قلبِهِ اسْمَ مَذْكُورِهِ، ويُفْرِغُ وَجَنَاتَ سِرِّهِ فِي تُرْبِ مَحْضُورِهِ (محظوره)، حَتَّى يَنْفَحَهُ ببعض نفحاتِهِ الرحمانيةِ ويَسقيهِ ببعض خَمَرَاتِهِ الإِحْسَانَيَّةِ، فَتَغِيبُ النَّفْسَ بِهِ فِي سُكْرِهَا، وتُبِيحُ طَائِعَةً بذكرها، فتصِلُ بذكرها إلى شُهُودِ صفاتِهِ القديمةِ بعد فنائها عن جميعِ صفاتها الذميمةِ، فَطَلَبَ من الله تعالى أن يذكُرَهُ بسابِقِ ذِكْرِهِ، فَتَتَحَرَّكُ أَغْصَانُ شجرتِهِ

---

(1) لم أقف عليها.

(2) أبو يزيد البسطامي(188 – 261 هـ) من الأعلام، كان أبوه مجوسيا وأسلم، و بسطام بلدة كبيرة على جادة الطريق إلى نيسابور فتحت في عهد عمر ابن الخطاب صلحا، قال له رجل: ((دلني على عمل أتقرب به إلى ربي، فقال أحبب = أولياء الله ليحبوك فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر)). **انظر: طبقات الأولياء**، ص398. **انظر: الرسالة القشيرية**، ج1، ص88.

بلاحِقِ ذِكْرِهَا، وهذا يدُلُّ على أنَّ الواردَ مُقَدَّمٌ في الوجود على الوِرْدِ وهو كذلك، إذِ الوَارِدُ إِنَّمَا يأتي من حضرة قَهَّارٍ فَلاَ يُصاَحِبُهُ شَيْءٌ من الأغيار، وبذلك تَنْقَهِرُ النفسُ، ويُعْلِنُ بالسمعِ والطَّاعَةِ الْمَعْنَى والْحِسِّ، فَتَسْتَنِيرُ دائرةُ فَلَكِ القَلْبِ بأنوار اليقين، وتَلُوحُ على **ثُغُورِهاَ سِيماَءُ** الْمُتَّقِينَ.

المناجاة السادسة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **إلَهِي أنتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ والرَّفِيقُ في الْحَضَرِ، اجْعَلْ صُحْبَتِي بِعُبُودَيَّتِكَ مَعْمُورَةً ورُفْقَتِي في رُبُوبَيَّتِكَ مَغْمُورَةً.**

قال الشارح:

صحبةُ الحق تعالى ومرافَقَتُهُ التي طلبهاَ في سَفَرِهِ وحَضَرِهِ، هي: بالحفظِ والإحاطةِ والْمَعِيَّةِ والْمُشَاهَدَةِ والأُنْسِ والْجَمْعِيَّةِ، حتى يكونَ في صحبته لَهُ لاَزِمَ العبوديَةِ بالتأَدُّبِ مَعَهُ والمراقبةِ لَهُ، والأُنْسِ به والاعتماَدِ عليهِ واللَّجاَ إليه، زادُهُ في سفره السِّرِيِّ المعنوي تقوَى سَيِّدِهِ، ساَعَياً في مرضاته، لا يُراعي لنفسه نصيباً ولا حظاً، ولا يُطْمِعُهاَ فيما تَلْتَفِتُ إليه، ولا يَبْتَغِي عِوَضاً، عَمَرَتْ أَيَّامُ سَفَرِهِ إليه بحضوره لَدَيْهِ، كما أنه في حضره لاَزِمُ **الارتفاقِ** بِهِ شُهُوداً، دائمُ الحضور معه وجوداً، أَغْمَرَتْهُ تَجَلِّيَاتُهُ الربانيةُ وتَنَزُّلاَتُهُ الرحمانيةُ، غائباً عن السِّوَى خارجا عن الهوى، هذا معنى ما طَلَبَهُ، لا السفرَ والحضرَ الحسيَّانِ لأنه أخذ الإشارةَ إلى هذا المعنى من قوله ﷺ: ﴿ اللهم أنت الصاحب في السفر والرفيق في الحضر والخليفة في الأهل والمال ﴾[1]، فالسفرُ ثلاثَةُ أَسْفَارٍ أحدُهاَ: السَّفَرُ المعهُودُ من مَحَلٍّ إلى مَحَلٍّ كما يقتضيه ظاهرُ هذا الحديث. الثاني: السفرُ في هذه الدار الدنيا في مسافة العُمُرِ إلى الآخِرَةِ كما قال ﷺ: ﴿ الناس في هذه الدار سفر وأول منازلهم القبر ﴾[2] أو كما قال. الثالثُ ما نحن بصدده وهو سَفَرُ القلوب لعلاَّمِ الغيوبِ على قانون السَّيْرِ والسُّلُوكِ الاصطلاحي لأربابِ البدايَةِ وتَنَوُّعاَتِ التَجَلِّيَاتِ لأهل النهاية، وهي التي طَلَبَ المؤلفُ منها المزيدَ لأَنَّهاَ من كمالات التوحيد التَجْرِيدَيِّ الرُّوحاَنِيِّ الإِحْساَنِيِّ.

المناجاة السابعة والعشرون

قال رضي الله عنه:

---

(1) راجع: أدعية السفر.

(2) كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: ﴿ القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ﴾. قال: وقال رسول الله ﷺ: ﴿ ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفضع منه ﴾.**انظر: مسند الإمام أحمد**، ج1، ص103، حديث456.

- **يا مَنْ سَقَى قُلُوبَ العَارِفِينَ ماءَ مَحَبَّتِهِ، وأَلْهَمَ أَسْرَارَهُمْ اتِّبَاعَ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَأَشْهَدَهُمْ قُرْبَ جَلاَلِ عَظَمَتِهِ. غَيِّبْ ظَوَاهِرَنَا فِي عِزِّ مَا تَرْضَاهُ، وأَبِنْ مَا تَكْرَهُهُ مِنَّا بِزَوَالِ أَصْلِهِ، لأَكُونَ بِكَ وإليك في جميع ما تَعْنِيهِ.**

قال الشارح:

إمداداتُ الله تعالى وفُيُوضَاتُهُ التي أَمَدَّ بِهَا قُلوبَ العارفين به، هي التي أَوْصَلَتْهُمْ إليه وأَوْجَبَتْ لَهُم مَحَبَّةً فيه وإقبالِهِمْ عليه، فصارتْ أسرارُهُمْ مَحَلاً لِلإِلْهَامَاتِ الإلهيةِ والواردات الربانيةِ، وظواهِرُهُمْ مُنْقَادَةٌ لِسَلاَسِلِي الاتِّبَاعِ للأَمْرِ امْتِثَالاً والنَّهْيِ اجْتِنَاباً، فَتَقَرَّبُوا بطاعتِهِمْ إليه، فشاهَدُوا من بَهْجَةِ جَلال عظمَتِهِ ما أَبْهَرَهُمْ وَغَيَّبَهُمْ عَنْهُمْ، و اصْطَلَمَهُمْ بِهِ منهم، فطلبَ غيبوبَةَ ظواهِرِهِ في عِزِّ ما يَرْضَاهُ منه وهي طاعَتُهُ، لتكُونَ تَحَرُّكَاتُهُ فِيهاَ **سَجَيَّةً**، بَشَرَيّ الجسمانيةِ مَلَكَيْ الروحانيةِ، وإِفْنَاءُ أخلاقٍ يكرَهُ وُجُودَهاَ وأَحْوَالٌ يَقْبُحُ وُرُودُهاَ، على عادتها من أهلها، ليكونَ مُسَخَّراً به إليه في كل ما يُريدُه منه ويَرْتَضِيهِ. وفي كلامه الإشارةُ إلى أَنَّ الطَّاعَةَ تُوجِبُ العِزَّ لَدَى الْمُطاعِ، وأَنَّ المعصيَةَ تُوجِبُ الذِلَّةَ لَدَى الْمُعْصَي، والحقُّ جَلَّ جلالُهُ هو أَهْلُ التَّقْوَى وأَهْلُ المغفرةِ، وقولُهُ: لأكونَ بك وإليكَ، أَيْ ليكونَ بك تَحَرُّكِي وإليك سُكُونِي، بك بدايتي وإليك نهايتي، بك غِنائي وإليك فقري، بك خُضُوعي وإليك رُجُوعي، بك سفري وإليك حَضَرِي، وما هذا معناهُ والكُلُّ يَشْمُلُهُ.

المناجاة الثامنة والعشرون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي مَعْصَيَّتِي أَشْهَدَتْنِي طاعَتَكَ وطاعَتُكَ أَشْهَدَتْنِي مَعْصَيَّتِي، إِنْ شاهَدْتُ مَعْصَيَّتَكَ نادَتْنِي طاعَتِي، وَإِنْ شاهَدْتُ طاعَتَكَ نادَتْنِي مَعْصَيَّتِي، إِذْ لاَ طاعَةَ لِي والْمَعْصَيَّةُ تُعاتِبُنِي، ولاَ مَعْصَيَّةَ لِي والطاعَةُ تُجاوِبُنِي، انْقُلْنِي مِنْ عِزِّ الطَّاعَةِ إلى احْتِقارِ الْمَعْصَيَّةِ.**

قال الشارح:

الأشياءُ تَتَمَيَّزُ بأضدادِهاَ، فَتَلَبُّسُ المرْءِ بالمعصية وَصُدُورُهاَ منه مُوجِبٌ لِنَدَمِهِ وتَحَسُّرِهِ عَلَيْهاَ، وانْكِسارِ قَلْبِهِ وحُزْنِهِ من أجلهاَ، فَيَلْزَمُهُ الوَجَلُ ويَعْتَرِيهِ من خالقِهِ الخوفُوالهيبةُ والخجلُ، وتَتَرَآى لَهُ الطَّاعَةُ في عُلاها كالعروس في زُخْرُفِهاَ وحُلاها، فتناديه بلسان حالِهَا إعراضُكَ عَنِّي أَوْجَبَ لَكَ الحرمانَ مِنِّي فيقول: يا حسرتِي على ما فيه فَرَّطْتُ ويا حُزْناَيَ عَمَّا فيه وَقَعْتُ، كما أن تَلَبُّسَهُ بالطاعة مُوجِبٌ لسكونِ قَلْبِهِ إليهاَ، واعْتِمَادِهِ في بعض أَحْوَالِهِ عليها قَوَّةُ رَجَائِهِ وفَرَحُهُ بِهَا، فَيَأْمَنُ إِذْ ذَاكَ من مُوجِبَاتِ خَوْفِهِ ويَطْمَئِنُّ **جَأْشُهُ** من مقتضياتِ **حَتْفِهِ**، فَتَتَبَرَّجُ لَهُ المعصيَةُ في **مِهْنَتِهَا** وتَيَّابِ **بَذْلَتِهَا**، قبيحَةَ المنظَرِ عظيمَةَ الَمَنْخَرِ مُشَوَّهَةَ الخلْقِ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ، وتُنَادِيهِ **أَحْمَدْ** مَنْ أَنْقَذَكَ مِنِّي وأَبْعَدَكَ عَنِّي، جزاءُ من صحبني الذلةُ والهوانُ

والعقوبةُ والحرمانُ، فَيَشْتَدُّ لذلك اضطرابُهُ ويزيدُ دُنُوُّهُ للحق واقترابُهُ، وهكذا حالُ الْمُخَلِّطِ. والمؤلفُ ﷺ واقفٌ على بساطِ التواضعِ والاعترافِ إلى سَيِّدِهِ بِجَمِيعِ الْمَسَاوِي كما تقتضيهِ العبوديَةُ، كَأَنَّهُ يُعَبِّرُ بكلامه هذا على ما يَصْدُرُ من صاحب النفسِ اللَّوَّامَةِ، لأنها تقول للمطيع: قصرتَ وللعاصي أكثرتَ، لِتَنَوُّرِ باطِنِ صاحبِهَا فَيَرَى الحق حقا والباطلَ باطلاً، ولا يقدِرُ أن يحمل نفسَهُ على ارتكاب الحق واجتناب الباطل، لقربها من مقام الأمارة وميلها إلى أهويتها الباطلة، فهو والحالةُ هذه لم يزل في عناءِ مجاهدةِ النفسِ ومُعاتبتها على المعصية استكثاراً، وعلى الطاعة استصغاراً كما مَرَّ، لأنه مُعاتَبٌ في الوجهين وغَيْرَ مَرْضَيٍّ عنهُ في الحالتين، فاشتَكَى المؤلفُ لسَيِّدِهِ ضَرَرَ العَتَبِ في الطاعة والذَمِّ، وَرَغِبَ مِنْهُ كَشْفَ ما انْطَوَياَ عليه من الشدائد وما شَمَلاَهُ من المكائِدِ، لرفعه من سجينٍ إلى عِلِّيِّينَ، وكلامُهُ قريبٌ من دعاء سيدي أبي العباس[1]ﷺ:(إلهي معصيتي نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية، ففي أيهما أخافُك وفي أيهما أرجوك، إن قلتُ بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفا، وإن قلتُ بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تَدَعْ لي رجاءً، فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك، أم كيف أجهَلُ فضلَكَ مع عصيانِكَ)، ومن كلامه أيضا: (العامَّةُ إذا خُوِّفُوا خافُوا، والخاصَّةُ مَتَى خُوِّفُوا رَجُوا وَمَتَى رَجُوا خَافُوا). أَيْ لنفوذ بصائرِ الخاصَّةِ لما وَرَاءَ ماَ يُوَاجِهُهُمْ من حالَتَيْ الخوفِ والرجاءِ، فلا يَقِفُونَ مع ظواهِرِهَا فَأَوْجَبَ لَهُم عَكْسَ أحوالِ العَامَّةِ الواقفين مع ظواهر الأمور، ولا أَثَرَ لَهَا ولاَ طاَعَةَ مع العدلِ ولا معصيَةَ مع الفَضْلِ، لأَنَّهُ الخالقُ الْمُوَفِّقُ، بَلِ المدارُ على العبودية ومراعاةِ الأَدَبِ للربوبية، فربما كان الخوفُ مع الطاعة أقربَ وربما كان الرجاءُ مع المعصية أَوْجَبَ، هذا وأن الاعتزازَ بالطاعة والالتفاتَ لوجودِهَا مَحْضُ ذِلَّةٍ، واحتقارُ المعصيَةِ و**تَهْوِيلُ** مُوَاقَعَتِهاَ عَيْنُ العِزَّةِ، ومع هذا فما للخلقِ من عَمَلِ طاعةٍ مع الحقِّ لأَنَّهاَ مِنْهُ بَرَزَتْ وإليه تَعُودُ، كما قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾[2]، قال ابن عطاء الله: (لا تفرح بالطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله)[3] فمشاهدَةُ بُرُوزِهاَ من الإنسانِ هو المنْهَيُّ عَنْهُ وشُهُودُ بُرُوزِهَا من الحقِّ إِجْرَاءٌ وَإِرْسَاءٌ هو الْمُرَغَّبُ فيه، أَيْ لأَهْلِ مَقاَمِ تَجَلِّيَاتِ الأفعالِ لا مَنْ فَوْقَهُمْ، فهم بأنوار الأسماء وتجلي الصفات محجُوبُونَ عن شهودِ أعمالِهِم ونَتَائِجِ أحوالِهِم، استراحُوا من العناَءِ غَيْبَةً في سَمَاءِ **بَرْزَخِ** الفَنَاءِ عَنِ الفَنَاءِ فافهم.

المناجاة التاسعة والعشرون

قال ﷺ:

---

[1] (616 – 686 هـ) أبو العباس الأندلسي المرسي – و مرسية المدينة التي ولد فيها وهي إحدى مدن الأندلس، وهذه المدينة اختطها عبد الرحمان الناصر الأموي من بلاد بلنسية – الأنصاري الشيخ العارف الكبير نزيل الإسكندرية، صحب الشاذلي وصحبه تاج الدين بن عطاء الله، والشيخ ياقوت، مات بها وقبره بها يزار. **انظر: طبقات الأولياء**، ص418.

[2] الآية 79 سورة النساء.

[3] الحكمة الثامنة والخمسون.

- **إِلَهِي فاَقَتِي أَشْـــهَدَتْنِي غِناكَ، وَغِنَاكَ أَشْـــهَدَنِي فَقْرِي، فَغَيِّبْنِي عَنْ فاَقَتِي إِلَيْكَ، وافْنِنِي عَنْ غِنَاكَ، حَتَّى لاَ أُشاَهِدَ فِي فَقْرِي إِلاَّ سَناَكَ.**

قال الشارح:

اعترافٌ منهُ بِوَصْفِهِ اللازِمِ لَهُ، وهي الفاقةُ والاضطِرَارُ وَشِدَّةُ الحاجَةِ والافتقارُ، وإقرارٌ لسَيِّدِهِ بوصف الغِنَى المطلقِ في ذاته وصفاته وأفعاله، فشهودُ وَصْفِهِ الحادِثُ أَشْهَدَهُ وَصْفَ رَبِّهِ القَدِيمَ وعَكْسَهُ، وتوسل بأن يُغَيِّبَهُ عن مشاهدة وجودِ افتقاره إليه، وأن يُفْنِيَّهُ عن وجودِ مشاهدةِ غِناهُ، الذي أَثْبَتَ لَهُ شُهُودَ فَقْرِهِ غَيْبَةً وَفَناءً تُخْرِجُهُ عَنْ سِمَاهُ حَتَّى لاَ يَرَى في حالِ مَشاهَدَةِ فَقْرِهِ إِلاَّ سَناَهُ أَيْ نُورَهُ وَبَهَاهُ، وهذا قريبٌ من حَيْثُ الْمَعْنَى من قوله: (لا يُخرجك من الوصف إلا شهود)، غير أن المؤلفَ تَضَمَّنَتْ عِبارَتُهُ هُناَ أَنَّ شُهُودَ وَصْفِ الخلقِ مُوجِبٌ لشهُودِ وَصْفِ الحقِّ، ولذلِكَ طَلَبَ الخرُوجَ عن الشهودِ إلى تَجَلِّيَاتِ الوُجُودِ.

المناجاة الثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي فَقْرِي إِلَيْكَ تَعْلَمُهُ واحْتِجَابِي بِهِ لَمْ يُرْضِـــكَ، فَاجْذِبْنِي لِمَا أَنْتَ تُرِيدُهُ وافْنِنِي فيمَا مِنْكَ يُغْنِينِي.**

قال الشارح:

تَقَدَّمَ لَهُ الاعترافُ بالفقر وذَكَرَ هنا أنه في علم الحق جل جلاله، وأن احتجَابَهُ بمشاهدَةِ وُجُودِهِ لا يَرْتَضِيهِ منه لما فيه من بقاَياَ البَشَرِيَّةِ والنِّسْبَةِ لوجُودِهَا، فَطَلَبَ أَنْ يَجْذِبَهُ بِسُرْعَةِ **الانْسِلاَخِ** عَنْ مُرَادَاتِ نَفْسِهِ إلى مرادات رَبِّهِ، وأَنْ يُفْنِيَّهُ بذهاب آثارِهِ الكونيَةِ عن شُهُودِهِ في مَغِيبِ غَيْبِ مُقْتَضَياَتِ وُجُودِهِ فَناَءً بِغَيْبَتِهِ، ويُغَيِّبُهُ في الشهود بالشهود عن الشهودِ.

المناجاة الحادية والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي أَنْطَقَنَا إِحْسـاَنُكَ وأَصْـمَتَتْنَا إِسـاَءَتُناَ، وَلَوْلاَ نُطْقُ إِحْسَـانِكَ ماَ صَـمَتَتْ إِسَـاءَتُنَا، ولَوْلاَ صَمْتُ إِحْسانِكَ لَنَطَقَتْ إِسَاءَتُنَا، فَاجْعَلْ نُطْقَ إِحْسانِكَ سَابِقاً لِنُطْقِ إِسَاءَتِناَ.**

قال الشارح:

نَظَرُ الإنسانِ إلى يد مَوْلاَهُ مبسوطةً بإحسانه ومُفِيضَةً لمواهبه وامتنانه، مُقْتَضٍ لإعلانه به وإظهاره، وباعثٌ له على إذاعته وانتشاره، فَيَسْتَخِفُّهُ وارِدُ الفَرَحِ والانبساطِ بإحسان الله إليه، وُجُودِهِ وكرمه عليه،

فينطَلِقُ لِسانُهُ بالثناء والطلب لَهُ، كما أن نَظَرَهُ إلى مَسَاوِيهِ المركبةِ مَرَاكِزُهاَ فيه مُوجِبٌ لِخَجَلِهِ وَمُهَيّجٌ لِوَجَلِهِ، فينثَنِي لسانُهُ عن النطقِ هيبةً وحياءً من الحق فلا يكادُ يُبِينُ، فَكَانَ مُتَرَدّداً بين نظرِ إحسانِ الله إليه فَيَرْجُوهُ، وبين عِلْمِهِ إسَاءَةُ نَفْسِهِ فَيَخافُهُ، فهذا يَبْعَثُهُ على خوفِ العَدْلِ، وهذا يبعَثُهُ على رَجاَءِ الفَضْلِ، وكانَ الإِحْسانُ والكَرَمُ من آثار مُوجباتِ الرحمةِ التي سَبَقَتِ الغَضَبَ، وَعَمَتْ مَنْ صَمَّتْ، وَمَنْ طَلَبَ يَقْتَضِي أَنْ يَسْتُرَ الإساءَةَ المضادَّةَ لذلكَ، لأنَّ رَحْمَةَ الله سَبَقَتْ غَضَبَهُ وتَكَرُّمَهُ سَبَقَ طَلَبَهُ، فلولاَ شَمْسُ رحمانيةِ الحق مشرقَةٌ على ظلمات مَسَاوِي الخلق لَظَهَرَتْ مَسَاوِيهِم واسْتَبَانَتْ دَعاَوِيهِمْ، وهذا من حيثُ المعنى كقوله: يا من أظهر الجميل وستر القبيح؛ فإظهارُ جميلِ الصفاتِ وإخفاءُ قَبيحها بمحضِ فضل الله وعظيم كرمه وإلا لكان العكسُ، لأن الإنسانَ مَجْبُولٌ على النَّقْصِ ومَحْشَوٌّ باطنُهُ بالخبائث والعيوب، أفعالُهُ مَساوِي و أقوالُهُ دَعَاوِي، فَأَنْطَقَ سَيِّدُهُ ظَاهِرُهُ بأوصافِ إحسانِهِ و أَصْمَتَ بَاطِنُهُ عن إِبْدَاءِ إِسَاءَتِهِ وعِصْيانِهِ، فَكَانَتْ مُلاحظَتُهُ للإحسانِ مُوجِبَةً لطلب الامتنان، وملاحظَتُهُ للإساءة تُرِيهِ وَجْهَ الصَدِّ وتَكْشِفُ عن مُقْتَضَيَاتِ الطَّرْدِ، فيكادُ خوفُهُ يُقْنِطُهُ **وَيُوَيِّسُهُ** فَتُدَارِكُهُ نِعْمَةُ رَبِّهِ فَتُرَجِّيهِ وَتُونِسُهُ، وكان مُرَادُ المؤلِّفِ طَلَبَ سَبْقِيَّةِ شُهُودِ إِحْسَانِ الله إليهِ على شُهودِهِ لأوصافِ إِسَاءَةِ نَفْسِهِ، وتُجْرِيهَا عليْهِ بِقَصْدِ التَّوَاضُعِ كَماَ مَرَّ، وهذا والله أَعْلَمُ كقول ابن عطاء الله: (إلهي كلما أخرسني لومي أنطقني كرمك، وكلما أيستني أوصافي أطمعتني مِنَنُكَ).

المناجاة الثانية والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي حَجَبَنِي فَرْقِي عَنْ رُؤْيَتِكَ، وَأَخْجَلَنِي جَمْعِي عَنْ مُشاَهَدَتِكَ، فَأَشْهِدْنِي بِكَ إِلَيْكَ كَيْ لاَ يَحْجُبَنِي فَرْقِي عَنْ جَمْعِي وَجَمْعِي عَنْ فَرْقِي.**

قال الشارح:

الفرقُ ما نُسِبَ إليكَ والجمعُ ما سُلِبَ عَنْكَ، ومعناهُ: أَنَّ ما يكُونُ كسباً للعبد من إقامة العبوديةِ وما يليقُ بأحوالِ البشرية فهو فرقٌ، وما يَكُونُ من قبل الحقِّ من إبداءِ معانٍ و إسداءِ لُطْفٍ و إحسان فهو جمع، وهذا أدنى أحوالِهم في الجمع والفرق، لأنه في شهود الأفعال، فمن أَشهدَهُ الحقُّ سبحانه أفعالَهَ من طاعته ومخالفَاتِهِ فهو عبدٌ بوصف التفرقةِ، ومن أَشهدَهُ سبحانه ما يُولِيهِ من أفعالِ نفسِهِ سبحانه فهو عبدٌ يُشاهد الجمعَ، فالتفرقَةُ إِثباَتُ الخلْقِ والجمعُ إثباتُ الحقِّ ولا بُدَّ للعبد من التفرقةِ والجمعِ، فمن لا تفرقَةَ له لا عبوديةَ لَهُ، ومن لا جَمْعِيَةَ له لا معرفَةَ لَهُ، فقوله تعالى: ﴿ إياك نعبد ﴾ إشارةٌ إلى الفرقِ وقوله: ﴿ وإياك نستعين ﴾ إشارةٌ إلى الجمع، وإذا خاطبَ العبدُ بلسان نَجْوَاهُ إِمَّا سائِلاً أو داعياً أو مُثْنِيًّا أو شاكراً أو مُتَنَصِّلاً أو مُبْتَهِلاً أَقاَمَ في مَحَلِّ التفرِقَةِ، فإذا أَصْغَى بِسِرِّهِ إلى ماَ يُناَجِيهِ مَوْلاَهُ واستَمَعَ بقلبه ما يُخاَطِبُهُ به فيماَ نَادَاهُ أو ناجاهُ أو عَرَّفَهُ مَعْناَهُ أو لَوَّحَ بقلبه وأَراَهُ فهو يُشاهِدُ الجمع. أنشدَ مُنْشِدٌ بين يَدَيْ أبي سهل الصُّعْلُوَكِيُّ رحمه الله: (**جَعَلْتَ تَنَزُّهِي نَظَرِي إِلَيْكَ** *). وكان النَّصْرَباَذَيُّ حاضراً فقال أبو سهل: جعلتَ

بنصب التاء فقال النصرباذي: بضم التاء، فقال الأستاذ أبو سهل: أَلَيْسَ عَيْنُ الجمع أَتَمَّ، فَسَكَتَ النصرباذَيَّ. أَيْ فَإِنَّ مَنْ قَالَ جعلتُ بالضم كان مُخْبِراً عن نفسه، ومن قال بالفتح كان مُتَبَرِّئاً أَنْ يَكُونَ بِتَكَلُّفِهِ، بَلْ يُخَاطِبُ مَوْلاَهُ فيقول: أَنْتَ الذِي خَصَّصْتَنِي بهذا لا أَنَا بِتَكَلُّفِي، فالأَوَّلُ عَلَى خَطَرِ الدَّعْوَى، والثَّانِي بوصفِ التَّبَرِّي من الحوْلِ والإقرارِ بالفضلِ **والطَّوْلِ**، وجمعُ الجمعِ فَرْقٌ، هذا فالتفرقةُ شُهُودُ الأغيارِ لله، والجمعُ شُهُودُ الأَغْيارِ بالله، وجمعُ الجمعِ الاستهلاَكُ بالكُلِيَّةِ وفَنَاءُ الإحساسِ عَمَّا سِوَى الله تعالى عند غَلَبَاتِ الحقِيقَةِ، انتهى من كلام أبي القاسم القشيري مختصرا. إذاَ عَرَفْتَ هذا فاَعْلَمْ أَنَّ المؤلفَ ﷺ رَغِبَ مِنَ الله أن يكشفَ عَنْهُ الأغيارَ الفَرْقِيَّةَ المَانِعَةَ مِنْ شُهُودِ الجمعِيَّةِ، كما اشْتَكَى لَهُ مِنْ صَدَمَاتٍ قَاهِرِيَّةٍ، وَإِرَادَتُهُ الجمعِيَّةَ، وسَأَلَهُ التَّقْوِيَّةَ على تَحَمُّلِهاَ حَتَّى يَقَعَ فِي مُتَّسَعِ عالَمِ قَلْبِهِ تَحَمُّلُ الأَمْرَيْنِ وَجَمْعُ الضِدَّيْنِ، فلا يَحْجُبُهُ فَرْقُ أَغْيَارٍ عن جمعِيَّتِهِ بِمُشاَهَدَةِ ماَ يَرِدُ عليه من حَضْرَةِ قَهاَّرٍ، ولا تُخْجِلُهُ الجمعِيَّةُ بقهرِيَّتِهاَ ولا الفرقِيَّةُ بِغَيْرِيَّتِهاَ حَتَّى يَكُونَ شُهُودُهُ إِيَّاهُ بِهِ، وهَذاَ هو جَمْعُ الجَمْعِ فافهم.

المناجاة الثالثة والثلاثون

قال ﷺ:

- **إلهي اختيارُك سَكَّنَ اضطرابِي واقتدارُك حرك اقترابِي، فاجمعِني بقربك حتى لا أعلمُ قربك في بعدك ولا بعدك في قربكَ.**

قال الشارح:

شُهُودُ الْمُرَبِّي نُفُوذُ اخْتِيَارِ رَبِّهِ لَهُ، وَتَقَدُّمُهُ عليه وأَصْلَحَيَّتُهُ له، مُوجبٌ لسكون **جَأْشِهِ** عن الاضطراب، ومُرِيحٌ له من بواعث الأتعاب، اتِّكَالاً على ما اختاره له ورَضِيَ بِمَا قَدَّرَ وُصُولَهُ إليه، كما أن مُشاهدَةَ سَرَيَانِ أَقْدَارِ الْحَقِّ في مَقْدُورَاتِهِ بوصفِ قُدْرَتِهِ ونُفُوذِ إِرَادَتِهِ موجبٌ لمزيد قُربه **ودُنُوِّهِ**، ومُثِيرٌ لدوَاعِي صَفَاءِ شُهُودِهِ وانْفِرَادِهِ بمعبُودِهِ، وكان شُهُودُ سَبْقِيَّةِ اختيارِ الحقِّ لاختيارِ نفسِهِ، وسريانِ اقتدارِهِ في جميع مَوجُوداَتِهِ مُشْعِراً بوجود آثاَرِ النِّسْبَةِ البَشَرِيَّةِ، وذلك عندهم إشراكٌ مع الربوبيةِ، فَسَأَلَ منه أن يَجمعَهُ بتحقيق قُربه حَتَّى يَسْكَرَ في شُرْبِهِ، فيغيبُ بسلطاَنِ القُرْبِ عن مُشاَهَدَةِ القُرْبِ، غَيْبَةً تَصْطَلِمَهُ عن إحساَسِهِ، فلا يكُونُ لَهُ شُعُورٌ بالقرب ولا بالبُعْدِ لاستهلاَكِهِ في شُهوده وفنائه عن وُجُودِهِ، وتقدَّمَ الكلاَمُ على هذا المعنَى غَيْرَ ماَ مَرَّةٍ.

المناجاة الرابعة والثلاثون

قال ﷺ:

- **إِلَهِي سَبَقَ اخْتِيارُكَ اخْتِيارِي وعِلْمُكَ عِلْمِي وتَدْبِيرُكَ تَدْبِيرِي، كَيْفَ أَخْتارُ مَعَكَ وَأَنْتَ مُخْتارِي أَمْ كَيْفَ أَعْلَمُ وَأَنْتَ مُعَلِّمِي أَمْ كَيْفَ أُدَبِّرُ وَأَنْتَ مُدَبِّرِي، هذاَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُجُبِ بَيْنَكَ وَبَيْنِي.**

قال الشارح:

تقدم التنبيهُ على هذا المعنَى في أول الكتابِ وأَعادَهُ في مناجاَتِهِ مُكَرَّراً كغيره من الجمل، رجوعاً منه على ما بَرَزَ منه من المعارف، فأفرغها في قالب التَّضَرُّعِ إلى الله تعالى والتَّوَسُّلِ له، عبوديةً واضطراراً واستكانةً واحتقاراً كما هي عادتُهُم في كُلِّ أحوالِهِمْ، وحاصِلُ ما ذَكَرَهُ شُهُودُ صِفاَتِ الحقِّ تعالَى مُدَبِّراً لأمرِ عَبيدِهِ ومُخْتَاراً لَهَا وعالِمًا بِها، سَبَقَ تَدْبِيرُهُ لشئُونِهِم قَبْلَ وُجُودِ تَدْبِيرِهِمْ، وَعَمَّ تَدْبِيرُهُ السَّابِقُ تَدْبِيرَهُم اللاَّحِقُ، وتقدم اختيارُهُ للأمور التي قَدَّرَهاَ لَهم على اختيارهم لنفوسهم، وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم، كما أنه سبق عِلْمُهُ بِجميع المعلوماتِ كُلِّيّهاَ وجُزْءِيّهاَ جليلهاَ وحقيرهاَ، لعلْمِهِ الحاَدِثِ الكَائِنِ بإيجادِهِ و إِمْداَدِهِ، على وِفْقِ اختيارِهِ ومُرادِهِ، دَبَّرَ أَمرَهُ كما شاء بما شاء فيما شاء، ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد، لاَ عن سابقِ الأمر ينقُصُ ولاَ هو يَزِيدُ، فاستبعَدَ المؤلفُ ثُبُوتَ أوصافِهِ الحادِثَةِ اللاَّحِقَةِ، قُبالَةَ **سَبَحاَتِ** صفاته القديمةِ السابقةِ، بل لا ثُبُوتَ لَهَا ولا وُجُودَ لَهَا من أصلها، إلا بإيجادِ الحق تعالى و إمدادِهِ، فتدبيرُ الخلق واختياَرُهُمْ وعلمُهُمْ مَوْجُودٌ بتدبيرِهِ واختياَرِهِ وعِلْمِهِ، فَماَ لَهُم والحالَةُ هذه فائدةٌ في الوسائطِ التي هي حُجُبٌ ظَلْماَنَيَّةٌ، ونِسْبَةُ آثاَرٍ **إِشْراَكِيَّةٍ** مُضاَدَّةٍ للعبوديَةِ ومُناَقِضَةٌ لما تَقتضِيهِ الرُّبُوبَيَّةُ مع أَنَّهَا لا تُغْنِي عنهم شيئاً، وتقدم قول أبي الحسن الشاذلي (أَرِحْ نَفْسَكَ من تَعَبِ التَّدْبِيرِ والاخْتِيَارِ وإِنْ كاَنَ ولاَ بُدَّ فَدَبِّرْ أَنْ لاَ تُدَبِّرْ واخْتَرْ أَنْ لاَ تَخْتَرَ).

المناجاة الخامسة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **إِلَهِي مشــيئَتُكَ سَــبَقَتْ مَشِــيئَتِي و أَوَّلِيَّتُكَ أَوَّلِيَّتِي وآخِرِيَّتُكَ آخِرِيَّتِي و ظاَهِرِيَّتُكَ ظاَهِرِيَّتِي وَبِاَطِنِيَّتُكَ بِاَطِنِيَّتِي، كَيْفَ تَتَصَــوَّرُ مَشِــيئَتِي مَعَكَ وَأَنْتَ الفَعَّالُ لِماَ شِئْتَ، أَمْ كَيْفَ يَكُونُ لِي فِي الأُمُورِ ابْتِداَءٌ وانْتِهاَءٌ وأَنْتَ الأَوَّلُ والآخِرُ فِيهِماَ، أَمْ كَيْفَ يُتَصَــوَّرُ ظُهُورِي مَعَكَ وَأَنْتَ مُظْهِرِي، أَمْ كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ أُبْطَنَ فِيكَ وَأَنْتَ مُبْطِنِي، أَنْتَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ.**

قال الشارح:

الكلامُ في هذا كالكلامِ على ما قبلَهُ، فأوصافُ الحقِّ تعالى قديمةٌ سابقةٌ، من القدرةِ والإرادةِ التي هي المشيئَةُ والأوليَّةُ والآخريَّةُ والظاهريَّةُ والباطنيَّةُ، ومُوثِرَةٌ لأَوْصاَفِ العبْدِ ومُوجِدَةٌ لها على حَسَبِ ماَ تَقْتَضِيهِ، وعلى الحدِّ الذي يُرِيدُهُ ويشاءُهُ أو يَرْتَضِيهِ، فَسَبْقِيَّةُ مَشِيئَةُ الحقِّ لِجَمِيعِ مُرَادَاتِ الخَلْقِ اقْتَضَتْ

استِرَاحَتَهُمْ من تَعَبِ تَدْبِيرِهِمْ واخْتِيارِهِمْ بلزوم فاقتهم له، ودوام اضطرارهم، وسَبْقِيَّةِ أَوَّلِيَّتِهِ لأَوَّلِيَّتِهِمْ، أي حيثُ شَهِدُوا أَنَّهُ أَمامَهُمْ في كُلِّ شَيْءٍ إيجَادًا و إمدادًا بوصف أَوَّلِيَّتِهِ التي لا بدايَةَ لَهَا، لِيَضْمَحِلَّ في نَظَرِهِمْ وَسْمُ أَوَّلِيَّتِهِمُ التي لا حقيقَةَ لَهَا من أصلها، وَتَلاَشَى تَوَهُّمُ وُجُودِ إِضَافَتِهَا بالنسبة لأَوَّلِيَّتِهِ وسبقيَّةِ آخِرِيَّةِ الحق لآخريةِ الخلْقِ، تَحَقَّقَ لَهُمْ أنه الآخر الذي لا نهاية لآخريته، الباقي بعد تلاَشِي مُكَوَّنَاتِهِ بَقَاءً تَنَزَّهَ عَنْ إدراكِ **كُنْهِ** آخرية ديموميَّتِهِ في سرمدَيَّةِ وحدانيَةِ أَحَدِيَّتِهِ، المنهلِكُ في عِزِّ وُجُودِهاَ، كُلُّ الكُلِّ من خليقَتِهِ، كُلُّ شَيْئٍ هالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحكْمُ وإليه تُرجعون، وسبقيةُ ظاهرِيَّتِهِ لظاهرِيَّتِهِمْ مُقَوٍّ لِخَشْيَتِهِمْ لَهُ، وَخَوْفُهُمْ مِنْهُ فيما يبدو من أعمالهم ويَظْهَرُ من أحوالِهِمْ، لأن شُهُودَ ظاَهِرِيَّتِهِ القديمةِ سابِقَةٌ لظاهرِيَّتِهِمْ الحاَدِثَةِ التي أَبْدَاهَا، وعلى حكمةِ الدلالةِ بِهِ عليه أَنْشَأَهاَ، يَقْتَضِي أَنَّهُ هو الظاهرُ من الظواهر، ولولا ظهورُ ظاهريته منها ما ظَهَرَتْ ولا لعالَمِ الشهاَدَةِ بَرَزَتْ، فَماَ مِنْ ظاَهِرٍ قاَبَلَكَ إلاَّ والحقُّ فيه واجهَكَ وسَبْقِيَّةُ باَطِنَيَّتِهِ تعالى لباطِنَيَّتِهِمْ، وكاَمِنُ سرائرهم مُثْبِتٌ لعلمِهِ بِخَفاَيَاهاَ واطلاعه على خباياها، إِذْ بِباَطِنَيَّتِهِ بَطَنَتْ بَوَاطِنُهُمْ، فَتَجَلِّيَاتُ هذه الأسماءِ القديمةِ الأزليَّةِ أظهرَتْ ظَوَاهِرَ هذه الكائناتِ وجوداً، وأبطنَتْ بَواطِنَهاَ شُهُوداً، تَصَرَّفَتْ في عَوالِمِهَا بما تقتضيه مشيئتُهُ، فالعارفون به لا يُوَاجِهُهُمْ من هذه الآثارِ الظاهرَةِ إلا شوارقُ تجلياتِ الواحدِ القهارِ، ناظرين لها بِعَيْنِ: **فأينما تولوا فثم وجه الله**، ولا يلوح لهم في عالم الأسرار الباطنة إلا باطنيةٌ متجليةٌ بشواهد قوله: لا تخفى منكم خافية، فاستبعادُ المؤلف ﷺ ثبوتَ أوصافه الحادثةِ المحقَّقَةَ التَّلاَشِي، والذهابُ عند مُكاَشَفَةِ أوصافِ الحقِّ ومُصاَدَمَتِهاَ وَاضِحٌ، فأوصافُهُ حَقٌّ وأوصافُ غيره باطلٌ، ولا ثبوتَ لظلِّ الآثار الخلْقَيَّةِ عند مواجهَةِ شُمُوسِ صفةِ الأنوارِ الحقَّيَّةِ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق فافهم.

المناجاة السادسة والثلاثون

قال ﷺ:

- **إِلَهِي غَلَبَ عَلَيْناَ ظُهُورُ البَشَـرِيَّةِ بِتَفْرِقَتِهاَ، وَأَجْمَعْتَ فَرْقَهاَ بِعَظِيمِ صُـنْعِكَ فِيهاَ، حَتَّى عَرَفْتُ الأَمْرَ لَكَ واطْمَأَنْتُ بِهِ مِنْكَ بِتَحَقُّقِهاَ بِأَخْذِ العَهْدِ مِنْكَ عَلَيْهاَ فِي حِينِ أَلَسْـــتُ بِرَبِّكُمْ، وَبِعِلْمِهاَ الآنَ بِقَوْلِكَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ: وفِي أنفســكم أفلا تبصــرون، اجْعَلْ فَرْقِي بِكَ مَجْمُوعاً وَجَمْعِي لَكَ مَرْفُوعاً، وَاجْمَعْ فَرْقِي فِي جَمْعِكَ وَجَمْعِكَ في فَرْقِي، حَتَّى لاَ أُشـاَهِدَ فَرْقاً وَلاَ جَمْعاً فِي جَمْعَيَّتِكَ.**

قال الشارح:

تقدمَ قريباً تَحقيقُ مَعْنَى الجمعِ والفرقِ: وَأَنَّ الفرقَ ما نُسِبَ إليكَ والجمعُ ماَ سُلِبَ عَنْكَ.. الخ، وَهَذاَ منه هنا تَلَطُّفٌ بين يَدَيْ سَيِّدِهِ بغلبةِ ظُهُورِ البَشَرِيَّةِ بكثرة فَرْقِيَّتِهاَ، وذلك مانعٌ من شُهُودِ الجَمْعَيَّةِ وَمُضاَدٌّ لوجودِهِ، لأَنَّ الأَوَّلَ من أوصافِ العُبُودِيَّةِ وَكَسْبِهاَ وَرَوَيَّتِهِ والالتفاَتِ لِنِسبَتِهِ تَعَلُّقٌ بالأَغْياَرِ، وهو

حِجابٌ عن شُهُودِ الْجَمْعِيَّةِ التي هي من مَحْضِ فَضْلِ كَرَمِ الرُّبُوبيَّةِ، ولذلك قال: وأَجْمَعْتَ فَرْقَهاَ بعظيمِ صُنْعِكَ فيهاَ، أَيْ: وَتَكَرَّمْتَ بِمُجَرَّدِ إحساَنِكَ إِلَى من هو في **هَيْكَلِ** قَفَصِ فَرْقِيَّةِ البَشَرِيَّةِ، فَجَمَعْتَهُ بالكشْفِ عن مُغَيَّباَتِ عَظِيمِ صُنْعِكَ فِيه، حَتَّى لاَحَتْ لَهُ معاليمُ الْهُوِّيَّةِ السَّارِيَّةِ في سرائر ملكوتِ مَقدورَاتِكَ، فأوجبَ لَهُ شُهُودَ جَمْعِيَّتِهِ بالحق وفنائه عن الخلق، بشهود الفرق مُلْكٌ، وشُهُودِ الملكُوتِ جَمْعٌ، أَيْ بقيد شهودِ تدبِيرِهِ وتقدِيرِهِ بتحريك فعلِ الحق وتسخيرِهِ، لا شُهُودَ الملكُوتِ المجرّدِ عن رُؤيَةِ أفعال الله تعالى إذ هو فَرْقٌ أيضاً، وهذا يُدرِكُهُ شُهُودًا ذَوْقِيًّا سالِكُ طَرِيقِ المقربين حين حُلولِهِ في مقام الأسرارِ، الذي هو المقامُ الثالثُ عند السَّادَةِ الخلْوَتِيَّةِ، فَيُطاَبِقُ شُهُودُهُ هذا الاسْمَ الذي يُلَقِّنُونَهُ لَهُ وهو: هو هو، فَتَكُونُ الكِنايَةُ بالاسمِ إِشارَةً إلى شُهُودِ بَواَطِنِ الرَّسْمِ كما هو مَعْهُودٌ عِنْدَهُمْ، فإذا حققتَ هذا الشهودَ الجمعيَّ وفارقتَ الحجابَ الفرقَيَّ حَصَلَتْ لَهاَ معرفَةُ أَنَّ جميعَ الأُمُورِ لِمَشْهُودِهاَ، واطْمَأَنَّتْ بِهِ لأنه من معبودِهاَ شُهُوداً ثانياً أنساهاَ ما كانت فيه من الفرقيَّةِ، وغَيَّبَهَا بالفناء عن شهود الجمعيَّةِ، فَتَرَقَّتْ لِمقام الاطمئناَنِ، واستَبْدَلَتْ مكانَ الشهودِ الوجودَ والعَيَانَ، فسكنَتْ إلى أقدارِ الحق واطْمَأَنَّتْ بتحقيق رُجُوعهاَ إلى رَبِّهَا، وتَذَكُّرُهاَ ما كانت فيه من كمالاَتِهَا الواردة عليها عند أخذِ العهدِ عليها حين قوله لمن أخذ ميثاقهم: ألست بربكم فأجابوا بلى أنت ربنا، فكذلك من رجع إلى كمالهِ السابِقِ الذي انْحَطَّ عنه، يكونُ تَرَقِّيهِ بِحَسَبِ إجابَتِهِ هنالك وتَلَقِّيهِ، فيكونُ فانياً عن الجمعية، والحالةُ هذه باستهلاَكِهِ في قَهْرَيَّتِهِ جمعيةُ الجمعِ، فهذا شُهُودُهُ أرفَعُ لأنه أكملُ شُهوداً، وأجمعُ لأنه فناءٌ عن الإحساسِ بالكليةِ عند غلبةِ شهودِ الحقيَّةِ، وكما تَحَقَّقَتْ بأخذ العهد عليها سابقاً تَحَقَّقَتْ بعلمهاَ لاحقاً إرشادُهاَ إلى النَّظَرِ في دواعي الفكرةِ المثيرَةِ للشُّهُودِ بقوله: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، فتشاهِدُ أفعالَهُ الساريةِ في مَقْدُورَاتِهاَ على وِفْقِ مراداته، فظاهرُ الأشياء يقودُ إلى باطنها وباطنُهاَ يقودُ إلى سِرِّهاَ، فظاهرُهاَ مُلْكٌ وباطنُهاَ مَلَكُوتٌ، وَسِرُّهاَ هو شُهُودُ تَحريكِ الحقِّ وتسكينِهِ المسمَّى بالجمعِ كَماَ مَرَّ.

فَطَلَبُ المؤلفِ من سَيِّدِهِ أَنْ يَجْعَلَ فَرْقَ بَشَرِيَّتِهِ مجموعاً بحقيقتِهِ جَمْعِيَّتِهِ، وجَمْعُهُ مرفوعا لجمع جمعيتِهِ، وأن تكُونَ فرقِيَّتُهُ مُنْقَهِرَةً في جمعيته، وجمعيَّتُهُ مُصطَلِمَةً لأَصْلِ فرقيَّتِهِ، حتى يغيبَ عن الإحساس بالكلية، ويفنَى عن تمييزِهِ بين الفرقية والجمعية بغلبة سلطان الجمعية استغراقا في شهود جمع الجمع، هذا ما يقتضيه كلاَمُهُ والله أعلم. وفي استدلاله بالآيتين إشارةٌ إلى حال البداية وهو شُهُودِ الآثاَرِ بقوله: وفي أنفسكم الآية، والثانيةُ التَّرَقِّي إلى حال النهاَيَةِ، لأن مقامَ الاطمئنان مقامٌ روحانِيٌّ شهودَيٌّ وُجُودَيٌّ، فأخذُهَا من الظهور إخراجٌ لها من ظلمات الفرقية إلى نور الجمعية، وأخذُ العهد عليها بألست بربكم، وإجابتُهَا له بتوحيده إشهادٌ لها لجمعية الجمع المطلقُ من تعريفه وتقييده، وأَفْهَمَ قولُهُم: شهدنا، فإنَّهُم اعترفُوا له بالألوهية

(1) الآية 21 سورة الذاريات.

بقولهم: بَلَى، واستغرقُوا في جمعية الجمع بقولهم: شهدناَ، من غير مَزِيدٍ، وما ذَاكَ إلاَّ لعجْزِهِمْ عن إدراكِهِمْ لِمَا شَهِدَهُ، وَغَيْبُهُمْ واستغراقُهُم في لُجَجِ أَبْحُرِ ما وَجَدُوهُ، وكَذاَ حاَلُ التَّرَقِّي فافهم فإنه دقيقٌ.

المناجاة السابعة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **يَا مَنْ جَعَلَ البَشَرِيَّةَ دَلِيلاً عَلَى فَرْقَيَّةِ الْجَمْعِ، فَاسْتَدَلَّ السَّائِرُونَ بِظُهُورِ البَشَرِيَّةِ عَلَى تَحْصِيلِ جَمْعِيَّةِ الْجَمْعِ بِخُصُوصِيَّةِ فَرْقَيَّةِ الفَرْقِ، اجْعَلْ بَشَرِيَّتَناَ دَالَّةً عَلَى خُصُوصِيَّةِ فَرْقِناَ فِي جَمْعِكَ وجَمْعِكَ فِي فَرْقِناَ.**

قال الشارح:

الإشارةُ بهذه الجملةِ إلى ما تَضَمَّنَتْهُ الآيةُ من قوله:﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] فإنه يستدعِي التفكُّرَ في آلاء الله ونِعَمِهِ وعجائِبِ صُنْعِهِ وحُكْمِهِ، وذلك مُودٍ بنور الفكرةِ في الأثرِ إلى المؤثِّرِ، فَتَكُونُ البَشَرِيَّةُ مَثَلاً دَالَّةً أوَّلاً على الفرقَيَّةِ بوجودِ أوصافِهاَ، ثم على الجمعية ثانيا بوجود أوصافِهِ، فالسائرون على بساطِ التَّدْرِيجِ دلالَتُهُمْ التَّرَقِّي من شهود الآثار الخلقيَّةِ إلى مُوثِرِهاَ بالصفَّاتِ الْحَقِّيَّةِ، فَنَظَرُ بشريتهم أَدَّاهُم بنور الهدايَةِ وسابِقِ العنايَةِ إلى العثُورِ إلى مَكْنُونِ الغَيْبِ الْمَوْدُوعِ في سِرِّ روحانيتهم، إذ مقامُ الروحِ مقامُ تَجَلِّيَاتِ الحقِّ والخروجُ عن الخلق، فهو جَمْعٌ بِلاَ فَرْقٍ ثُمَّ جَمْعُ الْجَمْعِ، لا احتجابَ للفرقَيَّةِ بالجمعية ولا للجمعية بالفرقية، لتمكُّنِهِ في المقام وبقائه بعد الفناء في دار السلام، يعطي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ لقَوَّةِ حالِهِ، لا يُغَيِّبُهُ شَأْنٌ عن شَأْنٍ، وقد تقَدَّمَ غَيْرَ ماَ مَرَّةٍ، ولعذوبَةِ كلامِهِ لا يستطيع الْمَارُّ عليه الصَّبْرَ على **الاقْتِطَافِ** منه و**الْجُنُوحَ** إليه، فجزاهُ الله عَنِ الأُمَّةِ خَيْراً.

المناجاة الثامنة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **يَا مَنْ جَعَلَ الْمَوْتَ مِيزَانًا وَدَلِيلاً عَلَى أَحْوَالِ الإِنْسَانِ، حَتَّى إِنْ عَرَضَهُ عَلَى نَفْسِهِ تَلاَشَتْ أَعْمَالُهُ وَخَجَلَتْ أَقْوَالُهُ حَتَّى لاَ يَكَادُ يُوَاجِهُهُ بِوَجْهٍ مَرْضِيٍّ، وَيَكْرَهُ مُلاَقَاتَهُ حِينَ العَرْضِ لِمَا يَعْلَمُ مِنَ اسْتِلاَءِ البَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ، فَتَخْتَطِفُهُ الْمَنَيَّةُ عَلَى الْحَالَةِ التي يَكْرَهُهاَ مِنْ حَيْثُ لاَ يَجِدُ بُدًّا مِنْ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الوَطَنِ، اجْعَلْ أَعْماَلَناَ عِنْدَكَ مَرْضِيَّةً وَأَحْوَالَناَ فِي رِضَاكَ مُغْنَيَّةً، وَأَبْدَانَناَ فِي طَاعَتِكَ مُحْضَيَّةً، وَنُفُوسَنَا عِنْدَ حُضُورِ آجاَلِناَ عَلَيْكَ مُقْبِلَةً، حَتَّى إِنْ قَدِمَ عَلَيْنَا الْمَوْتُ تَكُونُ أَنْتَ حاَضِرَناَ، فَيَسْتَوِي عِنْدَناَ عَدَمُهُ وَوُجُودُهُ عَلَى حَدِّ السَّوَاءِ.**

---

[1] الآية 21 سورة الذاريات.

قال الشارح:

تَصَوُّرُهُ وَاضِحٌ وقد تلقيناَ هذا الميزانَ من الأستاذ المؤلف ﷺفي بعض مذاكراته على عادته، يقول ما مُضَمَّنُ كلامِهِ: من أرادَ أن يعرفَ أحوالَهُ هل هي سقيمةٌ أو مستقيمةٌ فَلْيَعْرِضْ على نفسه وُرُودَ الموتِ إليه وهُجُومَهُ فِي الوقت عليه، فإنْ اطْمَأَنَّتْ بِهِ نفسُهُ ورضي معناهُ به وحِسّهَ، لأنه يُخَيَّلُ لَهُ في الحال ما قَدَّمَهُ من صالح الأعمال وَزَكِيّ الأحوال، فَلْيَبْشِرْ بِمَا **أَسْلَفَهُ** وَلْيَزِدْ إلى أمامٍ فيماَ خَلَّفَهُ، فاختطافُ **مَنَيَّتِهِ** لَهُ على هذه الحالةِ جذبُ تقريبٍ، واشتياَقُ حبيبٍ لِحبيبٍ، وإنْ كان حينَ عرضِهِ عليه بعكس هذا الأَوَّلِ، بأن اسودَّتْ في وجهِهِ سُبُلُ قُدُومِهِ وأَظْلَمَتْ عليه سوابِقُ هُمُومِهِ، فتلاشت بالتشتُّتِ والتفَرُّقِ أعمالُهُ، وانقهرَتْ بالخجل أقوالُهُ تلاشياً وخجلاً أوجباَ له الانْهِزَامَ وَعَدَمَ الرِّضَى بالتَّقَدُّمِ إلى أمامٍ، لكونه ما أسلفَ من صالح الأعمالِ ما يُوجِبُ له البُشْرَى والإقبالَ، فيكونُ كارها للملاقاة من قبيح ما اقترفَهُ من السيآت، لعلمه بغلبة سوء عمله على حسنه، واستلاءِ ظُلُماَتِ باطله على نور حَقِّهِ، فيختطِفُهُ رَيْبُ الْمَنُونِ و**يَنْتَهِبُهُ** الموتُ على أكره حالةٍ يكونُ، فيندَمُ حيثُ لا ينفَعُهُ النَّدَمُ ويَتَحَسَّرُ على ما خَلَّفَ وقَدَّمَ، وليس الموتُ محبوبا لنفسه ولا مكروها لذاته، بل لأجل ما بعدَهُ، ألا ترى إلى قوله ﷺ:﴿ فإن كان صالحا قال قدموني قدموني، وإن كان غير ذلك قال يا ويلتاه فإلى أين تذهبون به ﴾ أو كما قال، وكيف لا يفرحُ الصَّالِحُ ويَحْزُنُ الطَّالِحُ وقد حان قُدُومُهُماَ على الجليل جل جلاله، فأما الصالِحُ فتلوحُ له لوائحُ البشرَى بالرضى عنه والترحيب به فيشتاقُ، وأما غيرُهُ فيرى مَخَائِلَ الطَّرْدِ وَمَظَانَّ الصَدِّ والبُعْدِ فينفطِرُ قلبُهُ وتنقطِعُ أوصالُهُ خوفا من سطوة الجَبَّارِ على من خالَفَهُ في هذه الدار، قالﷺ: ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقال له بعض أصحابه: كلنا نكره الموت يا رسول الله فقال: ليس ذلك بكراهية، ولكن إذا كان المؤمن في قبل من الآخرة وانقطاع عن الدنيا يرى ما يسره فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه، والفاجر عكسه ﴾ أو كما قال ﷺ، ويدل لهذا من حيث الإشارة قوله ﷺ: ﴿ قَدِّمْ مالَكَ أَمامَكَ يَسُرُّكَ اللَّحاقُ بِهِ ﴾[1]؛ فظاهرُهُ أَنَّ الْمُرادَ به المالُ على حقيقتهِ بصرفه في وجوه البِرِّ وهو كذلك، وباطنُهُ يُعطي العمومَ فيكونُ مأمُوراً بتقديم ما هو له وفي طَوْقِ بَشَرِيَّتِهِ، من أموال وأعمال وأحوال وغير ذلك، فإذا رآه تقدم أمامَهُ لا شك وأنه يسرُّهُ اللُّحُوقُ به، وما كَرِهَ أَهْلُ الدُّنْياَ الخروجَ منها إلا لكونهم ما قَدَّمُوا لآخِرَتِهِمْ ما يسرُّهُم، بل خَلَّفُوهاَ بما فيها فلا يكادون يرتحلون على أموالهم إلا بتقَطُّعِ أوصالهم عياذا بالله بخلاف غيرهم، وسُئِلَ بعضهم ما لنا نكره الموتَ فقال: لأنكم خربتم آخرتَكُم وعَمَّرْتُمْ دُنياكُم، فلم تستطيعوا الارتحالَ من العمران إلى الخراب، نعم فلو عَكَسُوا وعَمَّرُوا دارَ البقاءِ بِخراب دارِ الفناءِ صرفاً لها إلى ما يليقُ بِحالِها لأَحَبُّوهُ.

---

(1) لم أعثر عليه.

وبما قدَّمْنَاهُ يتضحُ كلامُ المؤلف وصَيَرَانُهُ كما طلبَ أن تكونَ أعمالُهُ مَرْضَيَّةً عند ربه وأحوالُهُ مُغْنَيَّةً به، وبدنُهُ دائِبَةٌ في اكتساب طاعاتِهِ مَحْظَيَّةً بِها، ونفسُهُ عند حضُورِ الأجل مقبلَةٌ على ربِّهَا غيرَ مُدبرَةٍ فرحا بما أمامها، واشتياقاً إلى ما هو قُدَّامُهاَ؛ فأجِبْ دُعاءَنا فيما سألناهُ وأَقْبِلْنا بإجابةِ ما دعوناهُ، لتكونَ أنتَ عند الموتِ حاضِرَناَ وفي تلكَ الحالَةِ رَفِيقَنا وناصِرَناَ، فَلاَ يَتَكَدَّرُ علينا مَوْطِنٌ حَضَرْتَهُ ولا يستوحِشُ مَنْ رَافَقْتَهُ ونَظَرْتَهُ، فيستوي لذلك وُجُودُ الموتِ وعَدَمُهُ وُثُوقاً بِكَ و طُمَأْنِنَيَّةً بِمَا عندكَ، كما تفعلُ بِمن أَحْبَبْتَهُ.

المناجاة التاسعة والثلاثون

قال رضي الله عنه:

- **يا مَنْ جَعَلَ الشَّـــرِيعَةَ والْحَقِيقَةَ مِيزَانَيْنِ مِنْ أَعْظَمِ مَوَازِينِ الْحَقِّ، فِيهِماَ يُعْرَفُ ثِقَلُ العَمَلِ مِنْ خِفَّتِهِ وبِهِماَ تَتَّضِـــحُ حَقِيقَةُ الفِعْلِ والتَّرْكِ، فَيُدْرِكُ صـــاَحِبُهُماَ ماَ يُناَسِـــبُ الأُمُورَ الدُّنْيَوِيَّةَ والدِّينِيَّةَ، فَيَهْتَدِي فِي لَيْلِ الشُّـــبُهاَتِ فَلاَ يَضِـــلُّ وَلاَ يَشْـــقَى، اجْعَلْناَ مِمَّنْ مِيزَانُهُ حَقِيقَتُكَ وَشَرِيعَتُكَ وَدُلَّناَ بِكَ عَلَيْهِماَ فِي غَيْهَبِ تَلَبُّساَتِ الأُمُورِ، حَتَّى لاَ يَخْفَى عَلَيْناَ حَقُّكَ فِي البَاَطِلِ وَلاَ البَاَطِلَ فِي حَقِّكَ.**

قال الشارح:

الشريعةُ أقوالهُ ﷺ والحقيقةُ أحوالُهُ، والطريقَةُ أفعالُهُ، فَأَوَّلُ مَبادِي الإنسانِ تَلَقِّي عَباَءَةَ الشريعَةِ بالقبُولِ، ثُمَّ العمَلُ بِهَا وهي الطريقَةُ **مَهْيَعُ** الفُحُولِ، ثم تفيضُ عليهِ مواهبُ الله ونفحاتُهُ وهي الحقيقةُ مطيَّةُ الوُصُولِ، وَذَكَرَ المؤلفُ هُناَ: أن الشريعةَ والحقيقةَ ميزاناَنِ عظيماَنِ بِهِماَ يُدْرَكُ ظاَهِرُ الأمرِ وباطِنُهُ، فالشريعَةُ تَكَفَّلَتْ بِتَمْييزِ ظاَهِرِهِ، والحقيقةُ بكشف حقيقةِ باطنِهِ، ولا بُدَّ مِنْهُماَ مَعاً، فَإِذاَ وُزِنَ العَمَلُ بهما عرفْتَ خِفَّتَهُ على النفس ونشاطَهاَ إليه، فَيُسْتَدَّلُ بذلك على أَنَّهُ باَطِلٌ، وإذا ثَقُلَ عليها فَلَمْ تَنْبَسِطْ إلى العمل به فهو حقٌّ، لأن الباطلَ خفيفٌ والحقُّ ثقيلٌ، هذا ميزانُ الحقيقَةِ، وأما ميزانُ الشريعَةِ فَتَنْظُرُهُ بعينِ الشَّرْعِ فَماَ أُبيحَ إِفْعَلْ وَدَعْ ماَ لَمْ يُبَحْ، وهو مقدم على ميزانِ الحقيقَةِ، فَإِنَّ العاَمِلَ يُرَاعِي أَعماَلَهُ على لساَنِ الشَّرْعِ، فإذاَ وَجَدَ الإذنَ، عاوَدَهُ بميزان أهل الحقِّ، فَماَ خَفَّ تَرَكَهُ وما ثَقُلَ عَمِلَ بِهِ، كَماَ رُوِيَ عن بعض أهل المعاملاتِ أَنَّ نَفْسَهُ اشْتاَقَتْ للجهاَدِ فَتَغَافَلَ عَنْهاَ، فَلاَ زَالَتْ بِهِ حَتَّى كاَدَ أَنْ يَمِيلَ إلى ما اشتاقَتْ إِلَيْهِ، فقال في نفسه: النَّفْسُ مَجْبُولَةٌ على الْخُبْثِ وعلى التَّسَافُلِ في أحواِلها، وقد أمرتني بخير، فلجأ إلى الله أن يكشف له حقيقةَ مكرِهاَ، فقيل له: إِنَّهاَ حَصَلَ لَهَا الْمَلَلُ من تَعَبِ الْمُجاَهَدَةِ والرِّيَّاضَةِ، فآثَرَتْ الجِهاَدَ عَسَى أَنْ تُقْتَلَ مَرَّةً واحِدَةً فَتَسْتَرِيحَ، فازدادَ يقيناً بِمَكْرِهاَ ولو في الطَّاعَةِ وهو كثيرٌ مُجَرَّبٌ عند أهل هذاَ الشَّأْنِ.

نعم فميزانُ الشَّرْعِ يَتَيَسَّرُ أمرُهُ **بِحَلِّ** الخلقِ، بِخِلاَفِ غيره فلا يَتَّضِحُ إلاَّ لأَهْلِ الحقِّ، لأَنَّ مِيزَانَ الشريعَةِ يَدُورُ ظاَهِراً مَعَ ظاَهِرِ الأَمْرِ حيث دار، بخلاف الحقيقة فنافذةٌ لباطنه ودائرةٌ معه حيثُ دارَ، لأَنَّهُ لاَ يَخْلُو الأَمْرُ من فعلٍ أو تركٍ، فلا تُقدِمُ على الفعل حتى تَعْلَمَ حكم الله فيه كما قال ﷺ: ﴿ لا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه ﴾[1]، وحكمُ الله عند أهل الشرع هو: ما تعلَّقَ به خِطاَبٌ من أفعال المكلفين فعلا أو تركا، وعند أهل الحق هو مراعاَةُ العمَلِ بعين السَّلاَمَةِ من العلل، فما كان فيه للنَّفْسِ حظٌ تركُوهُ وما لا حَظَّ فيه لَهَا فعلُوهُ، فإعطَاءُها حَظُّهاَ يَخِفُّ عَلَيْهاَ وإن كان فيه **حَتْفُهاَ**، ومنعُهاَ من حَظِّهاَ يَثْقُلُ عليها وإن كان فيه نفعُهاَ، قال ابن عطاء الله: (إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس، فإنه لا يثقل عليها إلا ما هو حق)[2].

فبان لك بهذا أن ميزانيَ الشريعةِ والحقيقَةِ تَتَّضِحُ بِهِماَ بواطِنُ الأمور وظواهِرُهاَ خِفَّةً وثِقَلاً فعلاً وتركاً، وبِهِماَ تُدرَكُ حقائِقُ الأمُورِ دنيويةً ودينيةً، فيحصُلُ الاهتداءُ للسَّائِرِ بِهِماَ في ليل شُبُهاَتِهِ على نورٍ، قال تعالى: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[3]، فمن كان غافلا في ضلالته مَيّتاً بِجَهاَلَتِهِ فأحياه الله بالإيمان به والعمل بمقتضيات قُربه، وجعل له في باطنه نُورَ الحقيقَةِ يَمشِي بِهِ في الناس، فلا يضلُّ عن الْهُدَى في دنياهُ ولا يشقَى بالرَّدَى في أُخْرَاهُ، ودُعاَؤُهُ واضِحُ الْمُناَسَبَةِ لِمَا قَدَّمَهُ كَماَ هو صَنِيعُهُ، راغبا أن يُلهم معرفةَ الميزانينِ ويُدرك حقيقةَ الحالَين به عليهما، ليستَدِلَّ بالحقِّ على الحقيقَةِ وبالشَّرْعِ على الشريعَةِ، عَسَى أن يُأَمِّنَهُ من الضَّلاَلَةِ في غيهب ظُلماتِ التِباَساَتِ الأُمُورِ واشتِباَهِهاَ، حَتَّى لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ باطِنُ الحقِّ في ظاهر الباطلِ ولاَ عَكْسُهُ.

نعم فموازينُ أهل الشرعِ فرقيةٌ وموازينُ أهلِ الحقِّ جمعيةٌ، وكلاهُماَ إنْ حَقَّقْتَهُ مَضْرُوبٌ في باطل صاحِبِهِ، فلا يَتَأَتَّى هذا إلا بهذا، ولذلك يقولون: شريعةٌ بلا حقيقةٍ **فُسْقَةٌ** وحقيقةٌ بلاَ شريعَةٍ **زَنْدَقَةٌ**، موازينُ الشريعَةِ قوليَّةٌ وأهلُ الحقيقَةِ ذوقيَّةٌ، مثالُهُ الشريعَةُ كالبَصَرِ يُدْرِكُ ظاهِرَ الأمرِ ويحكمُ علَيْهِ باسْمِهِ، والحقيقَةُ كالذَّوْقِ مَثَلاً يَعْلَمُ باَطِنَهُ وَيَقْضِي عليه بِوَسْمِهِ فَيُحَقِّقُ طَعْمَهُ، كما إذا وجدتَ **ليمَةً** عرفتَهَا بظاهرها كذلك ببصرك، وغابَ عنكَ باطِنُهاَ حتى ذُقْتَ طعمَهاَ حُلوةً أو حامضةً، فأوَّلُ إدراكَ لَهاَ مثاَلٌ للشريعَةِ وثانِيهِ للحقيقَةِ فافهم.

المناجاة الأربعون

قال رضي الله عنه:

---

(1) لم أعثر عليه.

(2) لم أقف عليه.

(3) الآية 122 سورة الأنعام.

- **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ مِنَّا ماَ لاَ نَعْلَمُهُ، وَتَسْمَعُ مِنَّا مَالاَ نَسْمَعُهُ، وَتُبْصِرُ مِنَّا مالاَ نُبْصِرُهُ، عَلِّمْنَا مِنَ العِلْمِ ماَ يُلْهِمُناَ سِرَّ تَجَلِيَّاتِ حَضْرَتِكَ، وأَسْمِعْناَ لَذِيذَ خِطاَبِ مُناَجاَتِكَ، و أَبْصِرْناَ سِرَّ جَلاَلِ قُرْبِكَ بِمَنِّكَ وَكَرَمِكَ.**

قال الشارح:

صفاتُ الله تعالى من العلم والسمع والبصر قديمةٌ، تعلقتْ بِحَسَبِ ما تقتَضِيهِ تعلقاً، انكشفَ لَهُ كُلُّ خَفِيٍّ وانقهَرَ تَحتَهُ كُلُّ جَلِيٍّ، فيعلمُ ويسمعُ ويُبصرُ من مُغَيَّباَتِ خَلْقِهِ ماَ لاَ يعلمونَهُ ولا يسمعُونَهُ ولا يُبصرونَهُ من أَنْفُسِهِمْ، لأنَّ علمَهُمْ فَرْعٌ عن علمِهِ، وسَمْعُهُم وبصَرُهُم كذلك، وهو نافذٌ في جميع خلقِهِ لا يعلمُونَ من أُمورهم ولا يسمعون ولا يبصرونَ إلا ما عَلَّمَهُم وأَسْمَعَهُم وأَبْصَرَهُم، لأنَّهُ أَقْرَبُ إليهم منهم لأنفسهم كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(1)، إذ هي بخلقه وإيجاده، ﴿ ألا يعلمُ من خلق وهو اللطيف الخبير، وقال: ﴿أنه بكل شيء عليم ﴾، ﴿ وإنه بكل شيء بصير ﴾، بل بَصَرُهُ يُدْرِكُ مادَّةَ البَصَرِ التي يَقَعُ بِهَا الإِبْصارُ، وسَمْعُهُ وعلمُهُ كذلك ولله المثل الأعلى، ثم سأل من **سَيِّدِهِ** أن يُعَلِّمَهُ مِنَ العِلْمِ ما يقعُ به إلهامُ سِرِّ تجلياتِ حضرتِهِ، ويُذِيقَهُ من كُؤُوسِ خَمرته، وأن يُسمعَهُ في حضراتِهِ لذِيذَ خطابِهِ،كما ناجى به خاصةَ أحبابه، وأن يُنَوِّرَ بصر بصيرته حتى يُبصِرَ سِرَّ جلال عظمةِ قُربه شهوداً حالياً وتجلياً متعالياً، بِمَنِّهِ وكرمِ فضلِهِ لا باستحقاقٍ منه، وهذا تلطُّفٌ لِمولاهُ بِمُقتضَى أسمائِهِ السابقةِ، قَدَّمَهاَ بين يَدَي نَجْواَهُ وَسِيلَةً مِنْهُ إلى تَقَبُّلِ دَعْواَهُ.

المناجاة الحادية والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْناَ كَماَ مَنَنْتَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ، وَتَفَضَّلْ عَلَيْناَ كَماَ تَفَضَّلْتَ عَلَى أَصْفِيَائِكَ، وَتَكَرَّمْ عَلَيْناَ كَماَ تَكَرَّمْتَ عَلَى شُهَدَائِكَ، وَاعْلِ بِناَءَ مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ أَحِبَّائَكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ ذُو الفَضْلِ والكَرَمِ والجُودِ وَالإِحْسَانِ.**

قال الشارح:

طَلَبَ منه أن يُنعمَ عَلَيْهِ بنعمِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، عَمَّا مَنَّ بِهَا وَأَنْعَمَ على أوليائِهِ الذين اختارهم لولايته، فَوَالاَهُمْ وَقَرَّبَهُمْ لِحَضْرَتِهِ وأَدْناَهُمْ، وأن يتكرمَ عليه بمحض فضلِهِ كما تفضَّلَ على أصفيائه الذين صاَفاَهُم، فكانوا صفوتَهُ من عباده وخيرَتَهُ في بلاده، وأن يجود عليه بكرمه كما جاد على شهدائه، الذين جعلهم سيوفَ قهرِ أعدائِهِ الظاهرةِ والباطنةِ، حتى يكونَ من شهداء المحبةِ أهلِ الوصلةِ والقُربةِ، ثم خَصَّ

(1) الآية 16 سورة ق.

المقربينَ إلى الحقِّ أهلِ الصَّفاءِ والصِّدْقِ بالدُّعاءِ لهم برفع منازلِهم وتصفيةِ مناهلِهم، [لِيَتَحَقَّقَ][1] بِهِ قُرْبُهُم وَيَصْفُو شُرْبُهُم، والْمَنُّ والإنْعَامُ والفضلُ والكرمُ والجودُ والإحسانُ ألفاظٌ متقاربةُ المعنىَ، ضَمَّنَهَا أسماَؤُهُ بعضهاَ تصريحاً وبعضَهَا تلويحاً وهي: الْمَنَّانُ والْجَوَادُ والكريمُ والْمُتَفَضِّلُ والْمُحْسِنُ، وَغَرَضُهُ بتعدُّدِ الأسماءِ فِي مناجاته لقصد تنوَّعِ تجلياتهِ وَطَرَفِ نفحاتِهِ، لأن لكل اسمٍ تجلياً يَخُصُّهُ وسِراً مَوْدُوعاً فيه خاصاً به، كماَ أَنَّ الأشخاصَ مُختلفُو الحالِ، فنتائِجُ أسماءِ الله كذلك ليستْ حاصِلَةً لِكُلِّ داَعٍ بِهاَ، بل لاَ بُدَّ من عُثُورِ الدَّاعِي على الاسْمِ المناسِبِ لَهُ فيكونُ مفتاحاً لأبواب إجاَبَتِهِ، ولهذا تَتَعَطَّلُ إجابَةُ الدعاءِ على الداعِينَ ويَجْهَلُونَ عِلَّةَ مَنعهِمْ، اللَّهُمَّ إلاَّ مَنْ تَخَلَّى وَتَحَلَّى وَعُزِلَ عَنِ الفرقيَّةِ بالجمعيَّةِ تَوَلَّى فَلَهُ الدُّعاَءُ بِجميعِ الأسماءِ، لتَحَلِّيهِ بما تقتَضِيهِ وتَخَلِّيهِ بما لاَ يرتضِيهِ، وكيف لا وقد صَفَتْ عَناَصِرُهُ من شَوْبِهاَ وَفَنَتْ بَشَرِيَّتُهُ في قُرْبِهَا، بل جميعُ الأسماءِ والصِّفاَتِ تناسبُهُ واقفةً على أبوابِ قلبِهِ مراقبةً إكراماً له وإعظاماً واصطفاءً له وإنعاماً، وسائرُ أَسمَائِهِ تعالى تكُونُ لَهُ اسمًا أَعْظَمَ بِأَيِّهَا شاَءَ دَعاَ أُجيبَ، لأنه هو في نفسه صارَ اسماً أَعْظَمَ مُمْتَثِلاً أَمْرَهُ مُرْفِعاً قَدْرَهُ، أَمْرُهُ أَمْرُ الله إنْ قاَلَ فيه وإنْ دَلَّ فعليه وإنْ أَشارَ فإليهِ، سَلَبَ الحقُّ عنه صِفاَتِهِ الحادِثَةَ وأَلْبَسَهُ أَنْوارَ صفاتِهِ القديمَةِ كما قال: ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصَرَهُ الذي يبصر به ولسانَه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجلَهُ التي يمشي بها ﴾[2] أو كما قال؛ أفلا يكونُ اسماً أَعْظَمَ من كان الحقُّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ولسَانَهُ، بل هو هو، فالتَّقَرُّبُ وَصْلَةٌ للتَّحَبُّبِ والتَّحَبُّبُ نتيجةُ فَناَءِ صفاَتِ الْمُحِبِّ في صفات مَحبوبِهِ، فلا تسأل عن أصحابِ **الفَرَادِيسِ**، جعلناَ الله منهم بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

المناجاة الثانية والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ حَضَّناَ مِنْكَ هَذِهِ العِباَرَاتِ، فَإِنَّهَاَ مِنْكَ بَرَزَتْ وَنَحْنُ فِيهاَ أَسْبَابٌ مُسَخَّرَاتٌ، فَحَقِّقْهاَ مِنْكَ إِلَيْكَ لِتَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الَمَكْنُوناَتِ.**

قال الشارح:

هذه الجملةُ كالتي بعدهاَ في نسقٍ واحدٍ، سَبَبَهُمَا استدراكُ ما صدرَ منه من إبداءِ علومٍ لَدُنِيَّةٍ وأسرارٍ روحانيَّةٍ، وتجلياتٍ في عباراتٍ **رائقَةٍ** وإشاراتٍ لائقَةٍ، رجوعاً منه للعبوديةِ ووقوفاً عند حَدِّ الأَدَبِ مع الربوبية على بساط ما تقتضيه الجمعيةُ، فسأَلَ بلسان خشيته واضطرارِهِ هيبةً من مكره في مُغَيَّبَاَتِ أقدارِهِ، أَنْ لاَ يَجْعَلَ حَظَّهُ ونصيبَهُ منه مُجَرَّدَ هذه العباراَتِ التي سبَقَتْ لَهُ، مُراعياً ومُشاهِداً بُرُوزَهاَ وظُهُورَهاَ من الحقِّ بواسطَةِ الإيجادِ والخلقِ، وإِنَّمَا المعبِّرُونَ مَبَلِّغُونَ ومُتَرْجِمُونَ عنه لا منهم، وإِنَّمَا هم مُحَرَّكُونَ **بالتَّسْخِيرِ**

---

[1] في مخ، حج: ليتحق. لعله ليتحقق.

[2] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ج3، ص180.

في حقائق الإشاراتِ والتعبيرِ، كما رَغِبَ منه أن يَجعل شُهودَهُ جَمَعِيَّ الْجَمْعِ فانياً عن الفرقِ والجمعِ، حتى يَرَى ويُشاهِدَ أَنَّ البارِزَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، إِنَّمَا بَرَزَ من الحقِّ إلى الحقِّ فَلاَ هو إلا هو، ليُسَلِّمَ لَهُ تعبيرَهُ من عليل الأغيار الكونيةِ، فيجدُهُ مكنوناً عنده مخزوناً لديه، كما شاهدَهُ منه إليه.

المناجاة الثالثة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ ماَ بَرَزَ مِنَّا مِنْ بَعْضِ الكَلاَمِ [فِي][1] هَذِهِ الإِشـاَرَاتِ، إِنْ كَانَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ فَزِدْناَ بِهِ إِعاَنَةً مِنْكَ رَغْبَةً فِيماَ هُوَّ لَدَيْكَ، وَحِفْظاً مِمَّا يَقْطَعُناَ عَنْكَ، وَ إِلاَّ فَرَحْمَتُكَ سَـبَقَتْ غَضَـبَكَ، وَوَسِـعْتَ كُلَّ شَـيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، فَارْحَمْناَ بِرَحْمَتِكَ الوَاسِـعَةِ الْجِلْباَبِ، وَأَلْحِقْناَ بِخَيْرِ مَنَازِلِ الأَحْباَبِ، وَاعْرُجْ بِأَرْوَاحِناَ إِلَى سِـدْرَةِ مُنْتَهَى ذَوِي الأَلْباَبِ، حَتَّى أَكُونَ مِنْكَ قاَبَ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَى مُتَلَقَّيًا لِلْخِطَابِ، لأَنَّكَ أَهْلُ العَفْوِ وَالصَّـفْحِ لِمَنْ تَأَهَّبَ وَأَناَبَ، يا غَفاَرُ يا وَهَّابُ.**

قال الشارح:

مِنْهُ بِحَقِيقَةِ شُهُودِهِ لإِحاَطَةِ علم الله تعالى لِجميع حقائقِ ما بَرَزَ مِنْهُ، وانْفَصَلَ من دقائق الكلامِ والإشاراتِ عَنْهُ، وإظهارٌ لعجزِهِ عَنْ إدراكِ حقيقَةِ أَمْرِهاَ ومكنُونِ ماَ أَوْدَعَ في سِرِّهاَ، مِمَّا هو في علم الله بقصد تفويضِ أمره إليه، وتوكُّلِهِ في كُلِّ أَحْوالِهِ عليه، فَجَعَلَ الْخِيَّرَةَ لِرَبِّهِ حتى يختارَ له مُوجباتِ قُرْبِهِ، ويُفْنِيهِ عن شُهُودِ قُرْبِهِ بقوله: إن كان منك، أي صُدُورُهُ وبُرُوزُهُ لاَ بأنفُسِناَ، وإليك مَرْجِعُهُ لا لغيرِكَ مما تقتضِيهِ تَفْرِقَتُناَ، فزدنا به إعانةً وتقويةً منك على تَحَمُّلِهِ منك وأَدَائِهِ إليكَ، ورغبةً مِنَّا فيماَ هو مُدَّخَرٌ لنا عندك مما اخترتَهُ لنا في سابق علمك، وزدنا بسبب ما أَبْرَزْتَ من الكلامِ على ترجمةِ ألسنَتِناَ حِفْظاً مَنِيعاً نُحْفَظُ بِهِ مِنْ كُلِّ ماَ عَنْ حَضْرَتِكَ يقطَعُناَ، وإنْ لم يَكُنْ هَذاَ مِنْكَ وإليكَ بَلْ بِواسِطَةِ تَسَلِيطِ أَنْفُسِناَ مِنْكَ عَلَيْناَ، فالتسليمُ لإقرارِكَ والرِّضَى باختياَرِكَ أَوْلَى وَأَوْجَبُ، هذا وإِنَّ رَحْمَتَكَ سَبَقَتِ الغَضَبَ وَوَسِعَتْ كُلَّ الأشياء رحمةً، غَمَرْتَهُ فيهاَ وأَحَاطَتْ علماً بِهَا، فارحمنا أي: تَحَنَّنْ وتَلَطَّفْ بِناَ برحمتك الواسعةِ الجلبابِ التي شَمَلَتْ ماَ ظَهَرَ من خَلْقِكَ وَماَ غاَبَ، وَأَلْحِقْنَا بأرفع منازِلِ أحبابِكَ الذين أحببتهم فأحبوك، ودعوتَهُم في عالم الأرواح فأجابُوكَ، واعْرُجْ بأرواحِناَ عند الْمَوْتَيْنِ إلى مُنتهى **السِّدْرَتَيْنِ** كما عرجتَ بأرواح أصحاب الألباب، حتى أكونَ في القرب منك كقابَ قوسينِ أو أدنى أي أقرب من ذلك، لنُكْرَمَ بِتَلَقِّي خِطاَبِكَ كما أَنْعَمْتَ به على أَحبابك، سألتُكَ مع إجرامي لأنك أهلُ للعفوِ والصَّفْحِ عمن أجرمَ، ثم تَأَهَّبَ وَتَهَيَّأَ للرجوعِ إليكَ والإقبالِ عَلَيكَ **وَأَناَبَ**، أَيْ تاَبَ مِنَ هَفَوَاتِهِ وأَقْلَعَ عَنْ زَلاَّتِهِ، يا غفارُ للذنوب وإن عَظُمَتْ فمغفرَتُكَ

---

[1] في حج: ساقطة.

أَوْسَعُ وأَعْظَمُ، يا وَهَّابُ للعَطايَا وإنْ تكاثَرَتْ، فأنت أوسعُ جُوداً وأكرمُ؛ وإشارتِي للموتينِ والسدرتين أَوْلَى من الاختصاص بسدرةِ المنتَهَى المعلومَةِ، لعلمِي بإشارةِ المؤلف للبواطِنِ غالباً كما هي عادَتُهُ، وقد علمتَ أن الموتَ موتتانِ، اختياريةٌ وهي: موتُ النَّفْسِ فإذا ماتَتْ عن شَهَوَاتِهَا وفَنِيَتْ عن مُراداتِهَا، عُرِجَ بالروح الذي كان مُنقهرا تحت أدناسها، إلى سدرة منتهى حضرة الشهود ومُستقر تجلياتِ أنوارِ الوجودِ، فَيُصافِيهِ وفيهاَ يُناجِيهِ فَتَكُونُ هذه جَنَّتُهُ الْمُعَجَّلَةُ كما قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[1]، أَمَّا جَنَّةٌ فمعجلَةٌ وهي: جَنَّةُ المعارِفِ، وأَمَّا جَنَّةٌ فَمُؤَجَّلَةٌ وهي: دارُ الخلدِ، وهذه المعجلةُ بالنسبة إلى كمال التنعم في تلك المؤجلة كالعنوانِ، لأن المؤجلةَ دارُ العَيانِ لما لاَ يستطيعُ النطقَ بِهِ اللسانُ، وَأَمَّا الْمَوْتُ الاضطرارَيَّةُ فواضِحَةٌ وسِدْرَةُ مُنْتَهَاهَا كذلك، وفي قوله: وإلاَّ فرحمَتُكَ سبقَتِ الغضَبَ، تلطُّفٌ لأَنْ يَكُونَ مُوَاجِهاً بالرحمة وإن فُرِضَ **[تَقْصِيرُهُ]**[2]، كمَا تقتضيهِ سَبْقِيَّةُ الرحمةِ للغضَبِ واتساعُهاَ حَتَّى عَمَّتْ كُلَّ شَيْءٍ.

المناجاة الرابعة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **إَلَهِي لَكَ الْحَمْدُ فِيمَا سَلَفَ والشُّكْرُ فِيمَا خَلَفَ، عَلَى مَحْضِ أَفْضاَلِ إِنْعَامِكَ وَ سَوَابِغِ جُودِ إِحْسانِكَ، أَنْ مَنَنْتَ عَلَيْناَ [مُتَحَدِّثَ آلاَئِكَ][3]، وَأَطْلَقْتَ أَلْسِنَتَناَ لِسُؤَالِ رِضاَكَ، فَتَكَلَّمْناَ بِكَلاَمٍ لَيْتَهُ أَرْضاَكَ، إِنْ قَابَلْتَناَ فِيهِ بِالرِّضَى وَحُسْنِ الأَخْتِيَارِ، فَيَا لَهُ [مِنْ][4] سُرُورٍ وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ، وَإِنْ ناَشَدْتَناَ فِيهِ بِمِحْنَةٍ واخْتِبَارٍ، فَلَكَ الْحُكْمُ فِيمَا تَخْتَارُ، فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الغَفَّارُ.**

قال الشارح:

حَمَدَ الله وَشَكَرَهُ سابقاً ولاحقاً على خالص إنعامِهِ وكوامِلِ جُودِهِ وإحسانِهِ، أَنْ أَنْعَمَ عليه بامتنانه واصطفائِهِ، حيثُ أقامَهُ في مقامِ التَّحَدُّثِ بنعمه وآلائه، وأطلق عِنانَ لسانه لسؤال رضاهُ، فانطلقَ بكلامٍ عظيمٍ فياليتَهُ يُبَشَّرُ بأَنَّهُ أَرْضاَهُ، كَماَ أَلْهَمَ الله عبداً الدُّعاءَ ويُحْرِمُهُ الإِجَابَةَ كما قال ﷺ، وقال بعضهم: ماَ عَلَّمَكَ الْمَسْأَلَةَ إِلاَّ وهو يريد أن يُعْطِيَكَ، وأعظمُ ما يُسأَلُ مِنْهُ الرِّضَى عَنْهُ، ثُمَّ رَدَّ الأَمْرَ إلى أصله مُعترفاً فيه بِجهلِهِ ومُفَوِّضاً أمرَهُ إلى ربه، فإن قابلتناَ وَوَاجَهْتَناَ فيما تكلمنا به برضاك عَنَّا، وحُسْنِ اختيارِكَ لَناَ، فَيَاَ لَهُ مِنْ فَرَحٍ بِهِ وَسُرُورٍ، وعليه أمرُناَ يَدُورُ، وإن امْتَحَنْتَناَ فيه بامتحانٍ به واختبارٍ مِنْكَ لباطِنِ أَحْوَالِناَ فَلَكَ الْحُكْمُ فِيمَا قَضَيْتَ بِهِ وَاخْتَرْتَهُ، وَعَلَيْناَ الرِّضَى بالقضاءِ لأَنَّكَ الفاعلُ المختارُ، تفعلُ ما تشاءُ وتختارُ وأنت

---

(1) الآية 46 سورة الرحمان.

(2) في حج: تقصيده.

(3) في مخ: غير واضحة.

(4) في حج: ساقطة.

العزيزُ الغالبُ على أمره الغفارُ لِخلقِهِ، وفي كلامه إشارةٌ لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] وقولِه ﷺ: ﴿ التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ ﴾[2].

المناجاة الخامسة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ ما تَخْتارُهُ لَنا وَلاَ نَعْلَمُ ما نَخْتارُهُ لأَنْفُسِـــنا، فَاخْتَرْ لَنا ما تَخْتارُهُ وَلاَ تَكِلْنا لاخْتِيارِنا.**

قال الشارح:

عِلْمُ الله تعالى واختيارُهُ سابِقانِ، وَعِلْمُ عَبِيدِهِ واختيارِهِمْ لاَحِقانِ، وَلَهُ العِلْمُ النَّافِذُ بِمَا يَختارُهُ لهم، وَهُمْ جاهلونَ لِمُخْتارِهِمْ فلا يُدرِكُونَ له حالاً ولا مآلاً، فكانَ الواجِبُ عليهم أن يتبَرُّوا من تدبيرِهِم واختيارِهِم، ويَخْرُجُوا من حَوْلِهِم وَقُوَّتِهِم إلى تدبيرِهِ لَهُم واختيارِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، لأنَّهُ لو تَرَكَهُمْ لأَنْفُسِهِمْ في تدبيرِهِمْ لأَدَّى إلى هَلاَكِهِمْ وتَدْمِيرِهِمْ، وقد تقدمَ مَعَ وُضُوحِهِ.

المناجاة السادسة والأربعون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ حَقِيقَةَ نَفْعِنا فِي الضُرِّ وَضُرَّنا فِي النَّفْعِ، وَعَطاءَنا فِي الْمَنْعِ وَمَنْعَنا فِي العَطاءِ، فَحَقِّقْ لَنا مُنازَلَتَهُما لِكَيْ نَتَعَرَّفَ لَكَ فِي كُلٍّ مِنْهُما، يا نافِعُ يا ضارُّ يا مُعْطِي يا مانِعُ.**

قال الشارح:

وهذا تَقَدَّمَ أَيْضاً، ضَمَّنَهُ الاعترافَ لله بثبوت علمه بحقيقةِ نفعِ عبيدِهِ وضُرِّهِمْ، مَنْعِهِمْ وعطائِهِمْ، فربما منعهم من أمور صيانةً لهم، فكانت في الحقيقة عطاءً في صورة المنعِ، وربما أعطاهم أمورًا إهانةً لهم فكانت في الحقيقة منعاً، وكذلك النفعُ والضُرُّ، فَطَلَبَ منه أن يكشفَ له حقيقةَ بواطنِ الأَمْرَيْنِ ويُرِيَّهُ كامنَ مكنُونِ السِرَّيْنِ، حتى يعرِفَهُ منعاً وعطاءً نفعاً وضُرًّا، وتلطَّفَ لَهُ بأسمائِهِ يا نافِعُ يا ضَارُّ يا مُعْطِي يا مانعُ، وتعريضٌ لأنْ يُرَاعِيَ مُسَمَّاهاَ فَيَرْضَى بما قَدَّرَ وَقَضَى.

المناجاة السابعة والأربعون

---

[1] الآية11 سورة الضحى.

[2] **انظر: كشف الخفا، مج1، ص333** ونصه: ﴿ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، الجماعة رحمة والفرقة عذاب ﴾.

قال ﷺ:

- **اللَّهُمَّ أَلْبِسْنَا ثَوْبَ تَقْوَاكَ وَافْنِ مِنَّا حُبَّ دُنْيَاكَ، وَقَرِّبْ مِنَّا نُزُولَ أُخْرَاكَ، حَتَّى تَكُونَ التَّقْوَى زَادَنَا والدُّنْيَا مَرْحَلَتَنَا، والآخِرَةُ مَوْطِنَ نُزُولِنَا.**

قال الشارح:

تَوَسَّلَ منه فِي أن [يَمُنَّ][1] عليه بإلباسه ثوبَ التَّقْوَى، فَيَسْتَبْدِلُ به عن ضَرَرِ حَرِّ المعصيَّةِ فلا يُواقِعُهاَ، وَبَرْدِ الطاعةِ فلا يعتمدُ عليها، قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[2] وقال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ أَيْ البَرْدَ: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾[3]، فكما أَنَّ الدِّرْعَ سِرْبَالُ بَأْسِ الْحَرْبِ، فالتَّقْوَى أَشَدُّ وِقَايَةً منه لأنه يقي بأس الأعداءِ الباطنةِ، فلا تَجِدُ مع وجوده مَدخلاً تَدْخُلُ عليه ولا مَحَلاً يَنْزِلُونَ فيه، فالدِّرْعُ الْحِسِيُّ **سربالُ** البدنِ والمعنَوِيُّ سربالُ القلبِ كما تقدمَتْ إليه الإشارَةُ آنِفاً، وطَلَبَ أَنْ يُفْنِيَ من قلبه حُبَّ الدنيا فَيُعْرِضُ عنها، لأنه سُمٌّ قاتِلٌ وهو رأسُ كُلِّ خطيئَةٍ كما في الحديث، وأن يُقَرِّبَ منه نُزُولَ الأُخرى فَيُحِبُّ النَّقْلَةَ إليهاَ فيتزوَّدُ في سفره من الدنيا إلى الآخرة بالتَّقْوَى، كما قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[4]، مشاهداً أن الدنيا مرحلةٌ تُعْبَرُ، والآخرةُ موطنُ استقرارٍ تُعْمَرُ، قال عيسى عليه السلام مشيراً للدنيا ﴿ ألا إِنَّهَا معبرةٌ فاعبُرُوها ولا تعمُرُوها ﴾. وقد تقدم ما فيه كفايَةٌ.

المناجاة الثامنة والأربعون

قال ﷺ:

- **اللَّهُمَّ اجْعَلْ حَيَاتَنَا فِي تَقْوَاكَ، وَمَمَاتَنَا فِي رِضَاكَ، وَحَبِّبْ لَنَا لِقَاكَ.**

قال الشارح:

طلب أن تكونَ حياتُهُ بوصفِ العبودِيَّةِ، ومَمَاتُهُ فِي الرِّضَى بأحكامِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَحُبُّهُ في النقلةِ منها شوقاً إلى لقائه، وفيهِ كالذي قبلَهُ من الترقي ما لا يخفَى، وهذه الحياةُ والموتُ والْحُبُّ تَحْتَمِلُ ظاَهِرَهاَ وباَطِنَهاَ، وهو أقربُ كما أَشَرْتُ لَهُ.

المناجاة التاسعة والأربعون

قال ﷺ:

---

[1] في حج: يُمَكِّنَ.

[2] الآية26 سورة الأعراف.

[3] الآية81 سورة النحل.

[4] الآية197 سورة البقرة.

- **اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَقْلَتَنَا مِنْ هَذِهِ الدَّارِ نَقْلَةَ السَّالِكِينَ الأَخْيَارِ، وَأَنْزِلْنَا مَنْزِلَ السَّادَةِ الأَبْرَارِ**

قال الشارح:

تَوَسَّلَ أن تكونَ نقلَتُهُ من هذه الدار بقلبه وقالِبِهِ، نقلةَ السالكين الذين نَظَرُوهاَ بعين الإعراضِ، وعَرَفُوا أَنَّهَاَ **مَارِسْتاَنُ** العِلَلِ والأمراضِ، يسكُنُهاَ السقيمُ ويعافُهاَ السليمُ، فَفَرُّوا منها هَرَباً وأَسْرَعُوا إليه طَلَباً، فأنزلَهم مَنْزل التقريبِ، وواجهَهُمْ بالإجلالِ والترحيبِ، واصطفاهم اختياراً وانتخبهم أبراراً، فهم له وهو لهم، رحلوا من دنياهُمْ وهم فيهاَ، وحَلُّوا منازلَهُمْ قبل أن يَحُلُّوهاَ، فنقلةُ السالكين من هذه الدارِ أَمْكَنُ من غيرهم ولذلك خصصهاَ، ومنْزِلُ الأبرارِ يُشير به إلى ما يقتضيه اسْمُهُ البَرُّ، فَيَبَرُّهُمْ ويُرَحِّبُ بِهم فَطَلَبَ مثلَهُمْ والله أعلم.

المناجاة الخمسون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ اخْتَمْ لَناَ بِخاَتِمَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَتَوَلَّ قَبْضَ أَرْوَاحِناَ بِلُطْفٍ مِنْكَ وَتَلْقِينٍ، وَاجْمَعْناَ بِكَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ لِنَكُونَ فِي فَرْقِناَ مِنَ الآمِنِينَ، وَيَشْهَدُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَ أَعْوَانُهُ لَناَ فِي ذَلِكَ بِالتَّمْكِينِ، وَيَكُونَ سَبَبَ حُضُورِهِ لِنَزْعِ أَرْوَاحِناَ امْتِثَالاً لأَمْرِكَ وَزِيَادَةَ تَشْرِيفٍ وَتَأْمِينٍ، وَأَنْزِلْناَ مَنْزِلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.**

قال الشارح:

خاتِمَةُ المقربينَ هي الأحوالُ التي ذَكَرَهاَ بقوله: وَتَوَلَّ...الخ كأنه يقول: اللَّهُمَّ اجعلْ خاتمةَ أعمارناَ وآخِرَيَّةَ انتقالِناَ خاتمةَ خاصَّتِكَ المقربينَ، الذينَ قربتَهُمْ منك فشاهدوك حَقَّ الشُّهُودِ، وَأَدْنَيْتَهُمْ منك فوجدوك، أي: وُجُودَ خَصَّصْتَهُمْ بِتَوَلِّيكَ قَبْضَ أرواحهم بلطفٍ بهم وَتَعَطُّفٍ منك عليهم، وتلقينٍ لهم حُجَّةَ توحيدهم، كما كانوا فيه من الانفراد بك والْمَعِيَّةِ معك، والمشاهدةِ لك والفناءِ فيك، فاعترفوا بالتوحيد المجرد عن الدلائل الفرقية بغلبة الجمعية، فانتقلوا منك إليك، وأقبلوا بك عليك، فكانوا عندك في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدرٍ، واجمعنا بك جمعية أهل الصدق، الفانِينَ بالحق في الحق، الذين أَمَّنْتَهُمْ بالغيبة بك والمشاهدةِ لك عن الإحساس بالفرق، لتكونَ في فَرْقِي من الآمِنِينَ من أخطارِهِ الذين خَلَّصْتَهُمْ من ظلمات أغيارِهِ، ويكونُ حضورُ مَلَكِ الموتِ وأعوانِهِ في ذلك الموطنِ لِمجرَّدِ الشهادة لنا بالتمكين والحظوَةِ منك، فيكونُ حضورُهُ لنَزْعِ الرُّوح لِمجرد الامتثالِ للأمرِ، وَلَناَ فيه زيادةُ تأمينٍ وتشريفٍ للقدرِ، وأنزلناَ برضاَكَ مَنْزِلاً مباركاً فيه، وأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ وَخَيْرُ مَنْزُولٍ به، يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين

يا رب العالمين، أكدها ثلاثاً **تَلَهُّفاً** في الطلب، وإظهارا للفاقة في **الرَّغَبِ**، عَسَى أن تفيضَ عليه [مَجَارِ][1] رَحَمَاتِهِ التي رَحِمَ بِها الراحمينَ فَرَحَمُوا بِها من سِوَاهُم، كما قال ﷺ: ﴿ الراحمون يرحَمُهُم الرحمَانُ ﴾[2]، والرَّحْمَةُ صِفَةٌ اِقْتَضَتْ أَوْصافاً [مُتَّعِدَةً][3] إِنْدَرَجَتْ تَحْتَهاَ، كاَلْمَغْفِرَةِ والعفوِ والصفحِ والحلم والجود والفضل والكرم والإحسان وغير ذلك، فالمرادُ ما يَنْشَأُ عنها من الفواضل والنِّعَمِ الْمُتَعَدِّيَةِ كَماَ عَلِمْتَ، لاَ ما يَقَعُ في الباطن بَدِيهَةً من أَنَّهاَ رِقَّةٌ في القلب لأَنَّهاَ وَصْفُ الخلقِ، بِخلاف نعوت الحقِّ، هذه وغيرُهاَ، فالمرادُ غايتُهاَ بَلْ مُنتهاَهاَ فافهم.

ثم ختم كتابَهُ بالتوسل بوسيلة الثَّقَلَيْنِ وَنُورِ الدَّارَيْنِ محمدٍ ﷺ، اقتباسا من قوله تعالى:﴿وخاتم النبيئين﴾، وإشارَةً لِمقام البقاءِ أداءً لِما وجب عليه من الشكرِ والثناءِ، لأنه هو الوسيلةُ إلى هذه الخيراتِ، والنورُ المزيلُ لجميعِ الظلماتِ، قال ﷺ: ﴿ من لم يشكر الناس لم يشكر الله ﴾[4]؛أي: مع شُهود الْمِنَّةِ لِلْحَقِّ، والمؤلفُ ما زال في التقلُّبِ بين حضراتِ شُهود الْمِنَّةِ للمُنْعِمِ من أَوَّلِهِ إلى آخرِهِ كما تقتضيه الحقيقةُ، ورجع لشكر من كان سببا في الكُلِّ أداءً لحق الشريعةِ، فقال:

المناجاة الحادية والخمسون

قال رضي الله عنه:

- **اللَّهُمَّ بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نُورِ اليَقِينِ وَسِرَاجِ الثَّقَلَيْنِ وَعَمُودِ الكَوْنَيْنِ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا مِنْ أُمَّتِهِ الأَحْرَارِ وَزُمْرَتِهِ الأَخْيَارِ وَحِزْبِهِ الأَنْصَارِ، وَأَنْ تُصَلِيَّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدٍ رُوحِ الأَرْوَاحِ، وَمِصْبَاحِ الفَلاَحِ وَمَعْدِنَ الأَنْفَاحِ، وَآلِهِ الأَبْدَالِ وَصَحْبِهِ الأَشْبَالِ، وَتَابِعِيهِ الأَبْطَالِ الصَّادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْمَقَالِ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَمَا سَالَتْ مِنَ السَّمَاءِ قَطَرَاتُ الأَمْطَارِ وَجَرَتْ فِي الأَرْضِ مِيَاهُ الأَنْهَارِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيماً كَثِيرًا أَثِيرًا عَمِيماً.**

قال الشارح:

تَوَسَّلَ بالنبي ﷺ وصلاةً عليه وعلى آله؛ والنَّبِيُّ إنسانٌ أُوحِيَ إليه بشرعٍ ولَمْ يُؤْمَرْ بتبليغِهِ. والرسولُ كذلك مع أمرِهِ بالتبليغِ، فهو كالترقي في التَّوَسُّلِ من النبوءَةِ التي هي أَعَمُّ، إلى الرسالة التي هي أَخَصُّ، وَوَصَفَهُ بنور اليقين لأن به استنارت الأنوارُ، فهو اقتدَحَ منه نورَ اليقين، فكانَ سَبَباً في وجوده في قلوب أهل شُهُودِهِ، فَشَهِدُوا بنوره الْمَوْدُوعِ في سر يقينهم أن جميعَ الأشياء لله بالله، غَلَبَتْ جَمْعِيَّتَهُمْ على فَرْقِيَّتِهِمْ،

---

[1] في حج: مجارى.

[2] **انظر: سنن الترمذي**، كتاب البر والصلة، باب16، ج4، حديث1924، ص323.

[3] كذا حج، مخ. لعله متعددة.

[4] **انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج5، الحديث17981، ونصه: ﴿ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، الجماعة رحمة والفرقة عذاب ﴾.

والسراجُ المصباحُ فهو مُهتدَى بنوره في ليالي الشُّبُهاَتِ وَظُلُماَتِ الْجَهالاَتِ، و**الثقلان**[1]: الإنسُ والجنُّ، عَمَّهُمْ نُورُهُ وَأَظَلَّتْهُمْ بَرَكَتُهُ وَظُهُورُهُ، وعَمُودُ الكونين الدنيا والآخرة، فهو عمادُ أهلهما ولولا وجودُهُ ما ظهراَ على ظهر الوجود، وَأَتْبَعَ التَّوَسُّلَ بالدعاء بلفظ الجمع كما فعل في سائر مناجاته، رعايةً لِمَا رُوِيَ أن الدعاء مهمى عم كان للإجابة أقربَ وأنفعَ، وإشارةً لما يقتضيه باطنُ الحالِ من قوله ﷺ: ﴿ كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ﴾[2]، فإن أهل الحق لهم رعايةُ الخلقِ والمؤلفُ منهم والحمد لله، فقال: اجعلنا من أمته الأحرار؛ أي من جماعته الذين انتظمُّوا في سلك حُبّكَ وَضَمَّهُمْ حِمَى قُرْبِكَ، الأحرارِ من رِقِّ الأغياَرِ، وزُمْرَتِهِ المختارين له، وحزبِهِ أَشْياَعِهِ الذين نصروه فَنُصِرُوا به وأظهروا أمرَهُ فَظَهَرُوا به، جزاءً وفاقاً، وأن تُصَلِيَّ بِإِنْعاَمِكَ وإعظامك وإجلالك على سيدنا ومولانا الذي هو أَوْلَى بنا منا من أنفسنا، كما قلتَ وقولُكَ الحقُّ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[3]، محمد ﷺروحُ الأرواح الذي هو سرُّ الأرواحِ القائمَةِ به المقتبسَةِ نُورَانِيَّتُهاَ منه، فهو حياتُها التي حصلت لها بها الروحانيةُ في عالم الأرواح، ومصباحُ الفلاح لأنه يُستضاء به في سُبُلِ الفلاح الذي هو النُّجْحُ في المطلوب والفوزُ بالمرغوب المحمودَةُ عاقبَتُهُ، وَمَعْدِنُ الأَنْفَاحِ؛ أي محل النفحات الرحمانية كما قال ﷺ: ﴿ إن لله نفحاتٍ تعرضوا لنفحاتِ الله)[4]، فهذه **النفحاتُ** المشارُ إليها هو مَعْدِنُهاَ ﷺ، لأنه بابُهُ الأعظمُ لا يُوصَلُ إلى الله بدونه ولا يفوزُ فائزٌ بما عند الله إلا بواسطته، ولا ينفحُ أحد بنفحة رحمانية إلا وهو قاسِمُهاَ كما قال ﷺ: ﴿ إنما أنا قاسم والله يعطي ﴾[5]، فالعطاءُ السَّابِقُ أزلا هو القاسمُ له، والْمُفَرِّقُ لَهُ على مُسْتَحِقِّيهِ حالاً ﷺ، وآلُهُ هُمْ أهلُ بيتِهِ أو بَنُوا هاَشِمٍ المؤمنونَ، أو أُمَّتُهُ الْمُتَّقُونَ، وَصَحْبُهُ من اجتمعَ به مؤمناً ومات على ذلك، والأشبالُ أولادُ الأسدِ، فهم لُيُوثٌ في تقلُّبِهِم وهو أبوهم الحامِي لهم ﷺ، وتابعيه مَنْ أدرك صحابياً، الأبطالُ الشجعانُ، والمرادُ التابعُ له في أقواله وأفعاله فهو البطلُ الشديدُ الشجاعةِ في حرب النفوسِ الصادقينَ في محبتهم له باتباعهم إياه كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[6]، ولا يكونُ المحبُّ مُحِبًّا حتى يكونَ مطيعاً لمحبوبه، والصادقين أيضا في تبليغ مقالهم عنه، فَأَحِبَّاؤُهُ مِنَ الخلقِ هُمْ أُمَناَءُ الحقِّ، صلاةً مقرونَةً بإنعامك ومُجَلَّلَةً بإعظامِكَ دائمةً عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، مدة تعاقُبِ اللَّيْلِ والنهارِ فتكونُ مستغرقةً

---

(1) الثقلان: تثنية ثقل، وهو اسم مفرد لمجموع الإنس والجن، والثقل يشير لأهميتهما القصوى، وقيا أنهم سموا بذلك لثقلهما بالذنوب، أو لأنهما مثقلان بالتكاليف، أو لثقلهما على الأرض، أو لرزانة آرائهما.

(2) **انظر**: صحيح البخاري، ج2، ص/332.

(3) الآية 6 سورة الأحزاب.

(4) عن أنس ابن مالكﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا نفحات الله عز وجل فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده واسألوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم ﴾. **انظر**: الإمام الحافظ ابن عبد البر القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ج5، ص339.

(5) **انظر**: صحيح البخاري، 27/1. صحيح مسلم، الزكاة/98.

(6) الآية31 سورة آل عمران.

للزمانِ، وما سالَتْ من السماء قطراتُ الأمطارِ أي: مُدَّةَ سَيَلاَنِهَا مَعَ عَدَدِهاَ وَقَدْرِ مددهاَ قطرةً قطرةً، وَمُدَّةَ جريانِ مَيَّاهِ الأنْهَارِ كذلك، وسَلِّمْ عَلَيْهِ وَحَيِّهِ تَحَيَّةً مباركةً وتسليماً كثيراً لا يُعَدُّ، **أثيراً** لا يُحَدُّ، عميماً لا يُحصَى ولا يُسْتَتْبَعُ ولا يُسْتَقْصَى، كَمُلَ بِحمد الله وحُسن عَوْنِهِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال رضي الله عنه:

- **قَالَ مُؤَلِّفُهُ** رضي الله عنه**وَعَناَ بِهِ: كَمُلَتِ الْحِكَمُ الْمُسَمَّاةُ بِغاَيَةِ البِدَايَةِ فِي سِرِّ حِكَمِ النِّهاَيَةِ؛ بِحَوْلِ مَنْ لاَ أَوَّلِيَّةَ لِمَبْدَاهُ، وَقُوَّةَ مَنْ لاَ آخِرِيَّةَ لِمُنْتَهاَهُ، فِي شَهْرِ الله شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمَائَتَيْنِ وَأَلْفٍ**[1]**، عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهِ فَقِيرِ رَبِّهِ وَمُسْتَغْفِرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، عَبْدُ الْحَفِيظِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْخَنْقِي مَنْشَئًا وَدَاراً، الوَانْجَنِي نَسَباً.

قال الشارح:

تعريفٌ للكتاب بِحَسَبِ ماَ يَقتضيهِ وينتهِي إليهِ، وَقَدْ وافَقَ الاسْمُ الْمُسَمَّى فَجاَزَاهُ الله عَنَّا وَعَنْ سائِرِ الأُمَّةِ خَيْراً، وبيانٌ لاسْمِهِ وَنَسَبِهِ وَمَحَلِّهِ والكلُّ واضحٌ فلا يحتاجُ إلى تنبيهٍ، والحمدُ لله أَوَّلاً وَآخِراً. **كَمُلَ** بحمد الله وحُسن عونه وتأييده وتوفيقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ، تم تبييضُهُ **يومَ الأَحَدِ أَواَسِطَ ذِي القعدةِ الحرامِ عامَ تسعةٍ وستينَ ومَائَتَيْنِ وَأَلْفٍ**[2]، على يد أفقر العبيد إلى ربه المجيد، عبدِهِ **محمدٍ المكي** لطف الله به، وعفاَ عنه بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ آمين.

---

(1) (1257هـ الموافق لـ 1841م)

(2) (1269هـ الموافق لـ 1852م)

الخاتمــة

هذا ما يسر الله تعالى لي جمعه دراسة وتحقيقا وتحليلا من موضوعات الدعوة والتزكية، المتشعبة الجوانب المترامية الأطراف، وقد حاول هذا البحث مع قلة الإمكانات وقلة الزاد وكثرة العوائق والتحديات والمشاكل الغير محسوبة طوال مسيرة البحث، فبعون الله وقوته تم إنجاز هذا البحث بشقيه الدراسة والتحقيق، وعلى اعتبار أن عصرنا هذا الذي ضعفت فيه المعاني الروحية وآداب الإسلام الرفيع، فإن موضوع بحثنا هذا بمثابة التذكير بتلك المعاني عبر شرح حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي من قبل تلميذه الشيخ محمد المكي، على اعتبارها أنها انصبت على التذكير بالمعاني القلبية التي هي من وسائل تزكية النفس وتطهير القلب وتنويره، مما هو من ركائز الدعوة إلى الله في كل عصر وفي أي مكان، كما تطرقت في هذا البحث بتوضيح بعض المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالدعوة والتي تشكل في حقيقتها عائقا ومشكلا من مشكلات الدعوة على المستوى الداخلي، ثم ركزت في باب مستقل على أمهات وسائل التزكية التي هي بمثابة أغذية وأدوية للقلب، وصحة القلب وتزكية النفس تعني تخلقا وتحققا تنبثق عنها سلوكيات حياتية لا غنا عنها، وكان دوري في الغالب الاختيار والانتقاء ووضع ذلك في هيكل عام يفهم منه مدى أهمية التكامل بين الدعوة والتزكية، وخاصة في مجال العمل الإسلامي المعاصر. وقد تسنى لي من خلال مسار عملي في البحث أن أسجل في ختام هذا الجهد العلمي المبذول بعض الملاحظات والنتائج وبعض الأفكار والمقترحات التي أراها من الأهمية بمكان منها:

أولا: من ناحية التحقيق.

1. من خلال قراءة الحكم وشرحها تشعر أن كل صغيرة وكبيرة من علوم التصوف السني له أصل من القرآن والسنة، ويتجلى ذلك بصفة خاصة ورود المصطلحات الصوفية صريحة في نصوص القرآن الكريم، كالذكر والتوكل والرضا، والولي والولاية والحق والظاهر والباطن، والقبض والبسط، والجمع والتفرقة، ...الخ، مما يترك انطباعا بأن علماء التصوف قد استمدوا أصولهم وفروعهم من كتاب الله، وأن علومهم ليست غريبة ولا مستوردة.
2. نلاحظ كذلك أن الشارح بإزائه شرح حكم شيخه، يبدأ في أغلب الأحيان بسوق الآيات القرآنية في الموضوع ثم يثني بالأحاديث النبوية الشريفة، ثم يختار من الأقوال والآثار والأفعال المنسوبة لأرباب هذا العلم ومن خيرة العلماء والمحدثين والشيوخ الذين ظهروا منذ نهاية القرن الثاني الهجري

الذي هو من خير القرون التي شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية. لماذا كل ذلك؟ لكي يثبت أن هناك تلاحم ولقاء بين الشريعة و الحقيقة، وأنهما وجهان لعملة واحدة، وأنهما من مقاصد الدين. دون ترك الثغرات لخدمة عقائد فاسدة أو الانتصار لأغراض مريضة ودعوات جامحة.

3. إن الفترة التي عاش فيها كل من صاحب الحكم والشارح كانت تعج بنشاط علمي وفكري وتربوي وديني، وتحفل بعلماء وشيوخ كان لهم الفضل الكبير في الحفاظ على هوية الأمة ودينها ولغتها، في ظروف كانت الأمة مهددة في ثوابتها وقيمها، فمن واجب الباحثين العناية بهذه المرحلة من تاريخنا وذلك بالبحث والدراسة.
4. فيما يتعلق بنسبة الحكم إلى الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، بحكم ضياع أصل نصوص هذه الحكم، بل نسبتها إليه مما لا شك فيه، وذلك بشهادة تلميذه الشارح، حيث أكد ذلك في مقدمة شرحه، التي أوضح فيها أن الذي حمله على شرحها مؤلفها شيخ الوقت والطرقة، وأن إنجازه لهذا الشرح تأخر إلى بعد وفاة شيخه لما يرى من نفسه –تواضعا– أنه ليس أهلا لشرح معانيها وإيضاح مبانيها، وإنما كلامه هذا يحاذيه بحسب ما يبدو من كلام شيخه بحسب الجهد والاستطاعة. ومما يقطع الشك باليقين تصريح مؤلف الحكم في آخرها بقوله: قَالَ مُؤَلِّفُهُ ﷺ وَعَنَا بِهِ: كَمُلَتِ الْحِكَمُ الْمُسَمَّاةُ بِغَايَةِ البِدَايَةِ فِي سِرِّ حِكَمِ النِّهَايَةِ؛ بِحَوْلِ مَنْ لاَ أَوَّلِيَّةَ لِمَبْدَاهُ، وَقُوَّةَ مَنْ لاَ آخِرِيَّةَ لِمُنْتَهَاهُ، فِي شَهْرِ الله شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمَائَتَيْنِ وَأَلْفٍ، عَلَى يَدِ مُؤَلِّفِهِ فَقِيرِ رَبِّهِ وَمُسْتَغْفِرِهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، عَبْدُ الْحَفِيظِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْخَنْقِي مَنْشَئًا وَدارَاً، الوَانْجَنِي نَسَباً.
5. نلاحظ وفاء الشارح لشيخه، فهو يذكر اسمه دائما مقرونا بالإجلال والتكريم، وذكر لفضائله عليه، وعظيم ألمه وحزنه لفراقه وتخلفه بعده، ما يوضح مدى ما ينبغي أن تكون عليه علاقة المريد بشيخه.
6. من خلال سيرة صاحب المتن والشرح، ندرك أهمية المصنف، لما أوتوا من حظ وافر من علوم الشريعة قبل ولوج باب التصوف، وهذا في حد ذاته له أهميته، وقد رأينا خلال النصوص كيف يُؤَكَّد دائما على ضرورة العلوم الشرعية قبل البدء بالسير. وهو من أجل ذلك لم يخرجوا عن هذا الخط، فلم ينصروا الشريعة على حساب الحقيقة، ولم ينصروا الحقيقة على حساب الشريعة، بل هو تعبير صادق عن التصوف في أفضل درجات الاعتدال، وأنقى صور التناول، فهو عَلَمٌ على

التقوى وصفاء النفس من كدوراتها، ويكون المرء دائما في كل أحواله مُصرَّفا بإرادة مولاه، فإذا نطق نطق بالله وإذا تحرك تحرك بالله.

7. صَدَّرَ الشارح شرحه بمقدمة قصيرة، أهم ما ذكر فيها أنه لولا إذن شيخه لما أقدم على هذا الشرح، وأوصى على من يقف على هذا العمل أن يصلح ما وجده من خلل، فقط بشرط التثبت والتأني، وهذا ما تؤكده وتجمع عليه المناهج العلمية الحديثة في تحقيق المخطوطات ونصوص التراث.
8. عمدت من خلال عملي في التحقيق إلى تقسيم الحكم إلى مجموعات تحمل وحدة موضوعية واحدة، مثل: موضوع التدبير، وموضوع آفات النفس، وحقيقة الصحبة، والخوف والرجاء وهكذا.
9. يجب الانتباه أيضا إلى قيمة هذا الكتاب إلى جانب جوانبه العديدة كالتفسير الإشاري والتوحيد، وعلوم اللغة، إلى قيمته من الناحية الأدبية، والذوق الفني، والحس الدقيق المرهف، والبحث المتعمق في أغوار النفس البشرية.

ثانيا: من ناحية الدراسة.

1. إن مسألة الدعوة إلى الله تعالى ليست مسألة هامشية وإن البحث فيها ليس من توافه الأمور كما يتصور البعض، إذ أن مسألة دعوة الناس يتوقف عليها مصير مليارات من البشر الذين يتوجهون إلى جهنم الخلد من غير وعي ومن غير أن يأتيهم بشير ولا نذير، وليس من شك أن الذين يموتون قبل أن تصل إليهم دعوة الإسلام بصورتها الصحيحة، فإنهم سوف يحتجون على الله قائلين: ما جاءنا من بشير ولا نذير، وحينئذ سيكون المسلمون تحت مساءلة إلهية كل على حسب مسؤوليته وإمكانياته.
2. الأبحاث المتعلقة بالدعوة تستحق وتحتاج من الأهمية والعناية والتجديد والمراجعة وكذلك إخضاعها للمناقشة والحوار والتحليل لتكون لدينا قاعدة دعوية صحيحة وصلبة تمكننا من الانطلاق في الآفاق بعي وبصيرة، فهذا العلم يبدو أنه ما زال لم تعطى له الأهمية التي يستحق وأنه ما زال في البدايات إن لم نقل أنه في تراجع مستمر، فمعظم ما ألف في هذا الشأن إما من طرف كتاب يغلب عليهم إما الطابع السياسي إن لم نقل الاتجاه المتطرف منه والغير الناضج، أو من أقلام غير علمية غير متخصصة تبث أفكارها وتصوراتها وآرائها بعيدا عن المنهجية العلمية وعن الواقعية. على الرغم من أننا لا نعدم مجموعة من الكتابات العلمية القيمة من طرف أقلام تحمل هم الدعوة من حيث الكتابة العلمية التي تؤسس لهذا العلم الجديد القديم.

3. الحقيقة أن العالم لن يلتفت إلى دعوة أعرض أتباعها عن إبلاغها أو قصروا في القيام بواجب نشرها، ولذا ينبغي أن تنشأ مؤسسات وهيئات لها وزن للاهتمام بقطاع غير المسلمين، على غرار رابطة العالم الإسلامي، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وعلى غرار العمل الدعوي العظيم الذي كان يقوم به الدكتور عبد الرحمان السميط رحمه الله في إفريقيا، وكذلك تأسيس معاهد متخصصة بدراسات ديموغرافية سكانية، وتحقيقات بيئية واجتماعية ودراسات شاملة عن كل منطقة بخصوصياتها من غير المسلمين، وإنشاء أجيالا من المتخصصين في الدعوة علما وخلقا، يحسنون استخدام اللغات ووسائل الإعلام والاتصال والتقنيات الحديثة، ولكنهم يحملون بين جوانحهم مشاعر الشفقة والرحمة تجاه مصير غير المسلمين يوم القيامة.
4. من الواجبات التي لها الأولوية في التنظير الاهتمام بموضوع التكامل بين الدعوة والتزكية وضرورته، وما يتبع ذلك من نظريات تربوية وثقافية وتنظيمية وتخطيطية ونفسية واجتماعية، وحقوقية، بحسب ما تتيحه الخبرات العلمية والنظريات الحديثة المتطورة في هذه المجالات. على سبيل المثال: لقد أفاض الفقهاء وعلماء العقائد، وعلماء السلوك والأخلاق بما يناسب عصرهم، وقد جَدَّ في عصرنا نظريات اجتماعية وسياسية وأخلاقية واقتصادية وعسكرية ودستورية وقانونية، فأصبح من واجب مؤلفي وباحثي عصرنا أن يستخرجوا نظريات متكاملة من تلك المتفرقات بما يناسب ما يستجد في عصرنا بشكل متسارع من نظريات وفهوم وتصورات.
5. تخليص بعض كتب التراث من الأخطاء أو مما لا يناسب الوقت، ولا يتأتى ذلك إلا بالتحقيقات العلمية والاختصارات المفيدة الغير مخلة والغير المجحفة، والتعليق والتحليل والمناقشة البناءة البعيدة عن ردود الأفعال الغير مناسبة، من الإثارة والتهجم والجدال والشقاق وإشباع رغبات النفس ورعوناتها، ونزوات الهوى والشيطان، وكل ما يبعد الأمة عن مصادر قوتها من الوحدة والتماسك والتعاون على البر والتقوى.

وتبقى محاولة الباحث في النهاية محاولة من بين عدد من المحاولات، فهي لا تدّعي الوصول إلى أحكام نهائية وثابتة، أو الإلمام بمختلف الجزئيات، وإنما قوام هذا الجهد فتح آفاق جديدة على تراثنا العلمي، وتشجيع النقاش المعمّق حوله، لأجل بناء مستقبل أفضل، ورغم ذلك فللبحث حدوده الطبيعية ونقائصه الحتمية التي لا يخلو منها أي بحث. ولئن كانت هذه القراءة تتوق إلى أن تكون على الأقل مبادرة بحثية علمية متواضعة من الباحث، إلاّ أنها لا تدّعي إطلاقاً الطليعة بأي شكل من الأشكال، وإنما هي محاولة

تحتمل الخطأ والصواب وتقبل التعديل والمراجعة، وتلك هي خاصية كل البحوث التي تبحث عن الاستفادة ولا تقنع بوهم الثابت والنهائي والمطلق، آملا أن يكون هذا الجهد ميسرا للاستفادة من هذا الكتاب، وأكون سعيدا أن أتلقى الملاحظات من القارئ الكريم، ما أتلافى به النقص والخلل اللذين لا يسلم منهما عمل البشر، فلم يعد الكتاب منذ الآن قاصرا عَلَيَّ وحدي. وأخيرا أتمنى أن أكون بإخراج هذا الكتاب الماتع للقلب، والموقض للروح، والمنعش للسر، أني قد وفيت بعض الدَّيْنَ الذي في عنقي لهاذين العالمين الربانيين، والله أسأل أن يجعل لهذا العمل الإقبال والقَبول في الخلق، وينفع به كافة المسلمين، بمقدار ما له من قيمة علمية نادرة، وبمقدار ما لصاحبهما من قدر جليل في تاريخينا وتراثنا العظيم، ويجعله ذخرا لنا وصدقة جارية عند انتقالنا من هذه الدار وانقطاع أعمالنا. آمين آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم يا رب لك الحمد على كل بداية ولك الشكر على كل نهاية، فلك الحمد والمدح، وبيدك الخير والفتح، إنك أنت الغني الحميد، والصلاة والسلام على الحبيب الأعظم والنبي الأكرم سيدنا ونبينا محمد ﷺ. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	الصفحة
❖ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ ﴾ سورة النساء الآية 131	14
❖ ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ سورة الشمس الآية 7-10.	15
❖ ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ سورة النجم الآية32.	15
❖ ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (*) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴾ سورة الليل الآية 18.	18
❖ ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية 104.	38
❖ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية 85.	38
❖ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ...﴾ سورة آل عمران الآية 19	38
❖ ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾. سورة لقمان الآية 18.	38
❖ ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ سورة يوسف الآية:108.	40
❖ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ سورة الرعد الآية:36.	40
❖ ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ سورة النحل، الآية: 125.	40
❖ ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ سورة الأعراف الآية:193.	40
❖ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ سورة يونس الآية:25.	40
❖ ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ سورة آل عمران الآية:104.	40
❖ ﴿ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ سورة الحج الآية:67.	40

❖ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ سورة الشمس، الآية 9-10 48
❖ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ **سورة المائدة، الآية** 35. 41
❖ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **سورة المائدة، الآية** 35. 50
❖ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ **سورة البقرة** 225 50
❖ ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ 52
سورة النمل الآيات 38-40.
❖ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ **سورةالانشراح الآية** 04. 53
❖ ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ **سورة الحجر الآية** 72. 57
❖ ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ **سورة الحج الآية** 32. 57
❖ ﴿ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَه ﴾ **سورة الحج الآية** 30. 57
❖ ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ﴾ **سورة الأنفال الآية** 02. 57
❖ ﴿ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ﴾ **سورة المزمل الآية** 17. 58
❖ ﴿ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ﴾ 58
سورةنوح الآيات 23-24.
❖ ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً ﴾ **سورةغافر الآية** 36. 58
❖ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ **سورةالأنفال الآية** 17. 58
❖ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ **سورةالزمر الآية** 03. 58
❖ ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ. إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ **سورةفاطر الآيات** 13-14. 58
❖ ﴿ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ **سورةيونس الآية** 106. 59
❖ ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾ **سورةالبقرة الآية** 186. 59
❖ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ **سورةالمائدة الآية** 27. 61

❖ ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحا﴾ 61
سورةالكهف الآية 82.
❖ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ **سورة هود الآية** 123. 62
❖ ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾سورة الصافات الآية 96. 208
❖ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ سورة فاطر.الآية 10 208
❖ ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ سورة البقرة.الآية 200 209
❖ ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ سورة الكهف.الآية 28 214
❖ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ 214
سورة الأعراف.الآية 201
❖ ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا 214
إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾سورة الطلاق.الآية 7
❖ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ 218
سورة الفرقان.الآية 70
❖ ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾سورة الإسراء.الآية 44 223
❖ ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾سورة التوبة.الآية 60 227
❖ ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ 229
سورة النور.الآية 39،
❖ ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ سورة يوسف.الآية 31 233
❖ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * 234
ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ سورة الفرقان، الآية 45-46.
❖ ،﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. سورة المطففين.الآية 14، 237
❖ ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ سورة يوسف.الآية 53 237
❖ ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ سورة القيامة.الآية 2 237
❖ ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾سورة الشمس.الآية 8 237
❖ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا 240
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَنَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ سورة فصلت.الآية
30
❖ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ سورة الأحزاب.الآية 72 245
❖ ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ سورة العنكبوت.الآية 60 248

❖ ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ سورة هود.الآية 6 248
❖ ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّامَا سَعَى ﴾ سورة النجم.الآية 39 249
❖ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِي إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ سورة الذاريات.الآية 56-57 249
❖ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾ سورة طه.الآية 132 249
❖ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ سورة فاطر.الآية 15 264
❖ ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾سورة العنكبوت.الآية 45 264
❖ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ سورة النازعات.الآية 40-41 268
❖ ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾سورة الحديد.الآية 20 268
❖ ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾سورة الشورى.الآية 20 268
❖ ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ سورة محمد.الآية 7 269
❖ ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ سورة الواقعة.الآية 64 273
❖ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ سورة الأنفال.الآية 17 280
❖ ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَمَعَنَا ﴾ سورة التوبة.الآية 40 280
❖ ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾سورة الزخرف.الآية 71 291
❖ ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ ﴾سورة التوبة.الآية 60 295
❖ ﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾سورة النور.الآية 43 297
❖ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ سورة الحج.الآية 32 299
❖ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾سورة الحج.الآية 30 299
❖ ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾سورة آل عمران.الآية 97 300
❖ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ سورة الأنفال.الآية 33 302
❖ ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ سورة البقرة.الآية 25 305
❖ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾سورة الحج.الآية 30 310
❖ ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾سورة الحج.الآية 32 310

❖ ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ سورة النساء الآية 142. 311
❖ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ سورة آل عمران.الآية 28 314
❖ ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ سورة الزمر.الآية 47 317
❖ ﴿ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ سورة الكهف.الآية 104 317
❖ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة العنكبوت.الآية 69 317
❖ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ سورة الملك.الآية 14 327
❖ ﴿ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ سورة الحاقة.الآية 18 327
❖ ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ سورة الأنعام.الآية 3 327
❖ ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر.الآية 9 327
❖ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ سورة فاطر.الآية 28 327
❖ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ ﴾سورة البقرة.الآية 282 327
❖ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾سورة العنكبوت الآية 69. 328
❖ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ سورة الأنعام.الآية 91 328
❖ ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ سورة القمر.الآية 4، 328
❖ ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ سورة القيامة.الآية 36 343
❖ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ سورة الحديد.الآية 4 343
❖ ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ سورة ق.الآية 16 343
❖ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ سورة يونس.الآية 58 350
❖ ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ سورة الرحمان.الآية 46 355
❖ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ سورة القصص.الآية 88 359
❖ ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ سورة الفرقان.الآية 70 360
❖ ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الأعراف.الآية 182 371
❖ ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ سورة البينة، الآية 5. 380
❖ ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ سورة الفرقان .الآية 62 384
❖ ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ 422

سورة الكهف الآية 110
❖ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ سورة المطففين.الآية 15 423
❖ ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ سورة فاطر.الآية15 427
❖ ﴿ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ سورة الحج.الآية73 446
❖ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة الملك.الآية1 450
❖ ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ سورة يس.الآية73 452

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث الشريف **الصفحة**

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ:﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ﴾ 71

  صحيح البخاري حديث قدسي (كتاب الرقاق، باب التواضع)

  حديث رقم: 6048

- قَالَ ﷺ: ﴿ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا ﴾ 208

  المعجم الكبير للطبراني

  رقم الحديث: 16638

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾ 209

  الخفا،

  الألباني، **السلسلة الضعيفة**

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت حسرة ﴾

  السيوطي، **الدر المنثور**

  المنذري، **الترغيب والترهيب**المتقي الهندي، **كنز العمال**

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ﴾ 210

  صحيح الترمذي، **صفةالقيامة** 38،

  باب 25، حديث 2459

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ من أحب شيئا أكثر من ذكره ﴾ 313

رواه أبو نعيم والديلمي

العجلوني، **كشف الخفى**

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿حبك الشيء يعمي و يصمي ﴾ 212

مسند الإمام أحمد، حديث21186، بل

فظ (يصم) بدل (يصمي).

- عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:: ﴿القلب يصدأ كما يصدأ الحديد ﴾. قيل: يا رسول الله، وما جلاؤه ؟ قال:﴿ تلاوة القرآن وذكر الله تعالى﴾ 213

الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين

رقم الحديث: 36

- عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: قَالَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ: ﴿ يَا رَبِّ قَرِيبٌ فَأُنَاجِيكَ أَمْ بَعِيدٌ أَنْتَ فَأُنَادِيكَ ؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: " يَا مُوسَى أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي " . قَالَ: يَا رَبِّ إِنَّا نَكُونُ فِي الْحَالِ عَلَى الْحَالِ، نُجِلُّكَ أَنْ نَذْكُرَكَ فِيهَا . قَالَ: " مَا هُوَ يَا مُوسَى ؟ " . قَالَ: الْبَوْلُ وَالْغَائِطُ . قَالَ: " اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ ﴾ 213

أحاديث أبي الحسن الكلابي

رقم الحديث: 14

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:﴿ أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ: كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ ﴾ 228

صحيح البخاري (كتاب المناقب)

رقم الحديث: 3578

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:﴿ مَنْ صَلَّى صَلَاةً، لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ ﴾، ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى﴿ : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ: مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا 238

قَالَ:اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ﴾

صحيح مسلم (كتاب الصلاة)

رقم الحديث: 603

- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ أنا أعرفكم بالله و أخوفكم منه ﴾ 241

صحيح البخاري، أدب72، إيمان13

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشَرِّفُونَ الْمُتْرَفِينَ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِالْعَابِدِينَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَمَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ تَرَكُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، يَسْعَوْنَ فِيمَا يُدْرَكُ بِغَيْرِ سَعْيٍ مِنَ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ، وَالأَجَلِ الْمَكْتُوبِ، وَالرِّزْقِ الْمَقْسُومِ، وَلا يَسْعَوْنَ فِيمَا لا يُدْرَكُ إِلا بِالسَّعْيِ مِنَ الْجَزَاءِ الْمَوْفُورِ، وَالسَّعْيِ الْمَشْكُورِ، وَالتِّجَارَةِ الَّتِي لا تَبُورُ ﴾ 375

المعجم الكبير للطبراني

رقم الحديث: 10283

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ:﴿ أَنْ تؤمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الإِسْلَامُ ؟ قَالَ: " الإِسْلَامُ، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ: " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا، " إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ، لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ "، ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " هَذَا جِبْرِيل، جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ ﴾ 249

صحيح مسلم (كتاب الإيمان)

رقم الحديث: 13

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، فَلَا يَسْعَ إِلَيْهَا أَحَدُكُمْ، وَلَكِنْ، لِيَمْشِ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ، وَالْوَقَارُ، صَلِّ مَا أَدْرَكْتَ، وَاقْضِ مَا سَبَقَكَ ﴾ 267

صحيح مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة)

رقم الحديث: 952

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ خير العلم ما قارنته الخشية ﴾ 268

لم أقف عليه

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ الناس هلكى إلا العالمون و العالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر ﴾ 269

الزبيدي، **اتحاف السادة المتقين**

- قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ ؟ قَالَ:" ﴿اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ ﴾ 270

صحيح ابن حبان (كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل)

رقم الحديث: 738

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ السبب سنتي والتوكل حرفتي ﴾ 271

لم أقف عليه

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:﴿ "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ:قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ﴾ 271

صحيح مسلم (كتاب القدر)

رقم الحديث: 4822

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقَ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا﴾ 271

أخبار أصفهان لأبي نعيم الأصفهاني

رقم الحديث: 2418

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُالدنيا دارُ من لا دار له. ﴾ 271

مسند أحمد بن حنبل

رقم الحديث: 23862

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:﴿لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى جُنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ﴾ 273

مسند الشهاب

رقم الحديث: 1328

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:﴿ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدُّنْيَا مُنْذُ خَلَقَهَا، فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا بَعْدُ، إِلا مَكَانَ الْمُتَعَبِّدِينَ مِنْهَا، وَلَيْسَ بِنَاظِرٍ إِلَيْهَا إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَيَأْذَنُ فِي هَلاكِهَا، مَقْتًا لَهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْهَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ 273

تاريخ دمشق لابن عساكر

رقم الحديث: 64974

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ ﴾قَالَ أَبُو عِيسَى:هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ . 273

جامع الترمذي (كتاب الزهد)

رقم الحديث: 2255

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ﴾ 273

ابن قتيبة،عيون الأخبار، كتاب الزهد

- عَنْ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّخْلَةِ الْمَيِّتَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا" ﴾، قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا﴾، وَفِي الْبَابِ عَنْ جَابِرٍ وَابْنِ عُمَرَ، قَالَ أَبُو عِيسَى:حَدِيثُ الْمُسْتَوْرِدِ حَدِيثٌ حَسَنٌ 273

جامع الترمذي (كتاب الزهد)

رقم الحديث: 2254

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا تُطِيلُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ﴾ 274

شعب الإيمان للبيهقي

رقم الحديث: 9832

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾هو من قول علي كرم الله وجهه 276

علي القاري، الأسرار المرفوعة

الألباني، السلسلة الضعيفة

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ من ظهرت عدالته وجبت أخوته ﴾ 277

لم أقف عليه

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ﴿ :مَتَى أَلْقَى أَحْبَابِي ؟ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا أَوَلَسْنَا أَحْبَابَكَ ؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَحْبَابِي قَوْمٌ لَمْ يَرُونِي وَآمَنُوا بِي وَأَنَا إِلَيْهِمْ بِالأَشْوَاقِ لأَكْثَرَ.﴾ 278

الرسالة القشيرية (باب الأدب)

رقم الحديث: 70

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ، مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ﴾ 279

صحيح البخاري (كتاب الجهاد والسير)رقم الحديث: 2792

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ وَحْدَهُ بِلَيْلٍ أَبَدًا، وَلا نَامَ رَجُلٌ وَحْدَهُ بِلَيْلٍ﴾

المعجم الأوسط للطبراني

رقم الحديث: 7593

- عنْ سَعِيدِ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ﴿الْتَمِسُوا الرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ﴾ وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ:﴿الْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ، وَالرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَالزَّادُ قَبْلَ الرَّحِيلِ﴾ 279

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب

رقم الحديث: 1734/1733

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿أَلَا مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا، .....﴾ 279

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر

رقم الحديث: 2659

- عن جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: ﴿مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنِ انْتَهَبَ مَالَنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَلَيْسَ مِنَّا﴾

مسند الربيع بن حبيب (كتاب الإيمان والنذور)

رقم الحديث: 855

283
- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ ﴾

جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

رقم الحديث: 1061

285
- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَّةَ، وَلا صَفَرَ،وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ﴾

تغليق التغليق لابن حجر (كتاب الطب)

رقم الحديث: 1970

285
- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿أُمِرْتُ بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أُمِرْتُ بِالصَّلاةِ الْمَفْرُوضَةِ﴾

مداراة الناس لابن أبي الدنيا (باب مداراة الناس والصبر على أذاهم..)

رقم الحديث: 4

286
- عَنْ صَدَقَةَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ فَوَجَدْتُهُ فِي الْمَسْجِدِ مُخْتَبِئًا بِكِسَاءٍ أَسْوَدَ وَحْدَهُ، فَقُلْتُ:يَا أَبَا ذَرٍّ ، مَا هَذِهِ الْوَحْدَةُ ؟ فَقَالَ :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿الْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَالْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَإِمْلاءُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلاءِ الشَّرِّ﴾

المستدرك على الصحيحين، رقم الحديث: 5433

291
- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿تَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ اللَّهِ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ ؛ فَإِنَّ لِلَّهِ نَفَحَاتٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ فَلَنْ تَشْقَوْا بَعْدَهَا أَبَدًا﴾

الكنى والأسماء للدولابي (آخر أخبار الصحابة وأول أخبار التابعين)

رقم الحديث: 2815

297
- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:﴿لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلا صَلاةَ لِمَنْ لا طُهُورَ لَهُ، وَلا دِينَ لِمَنْ لا صَلاةَ لَهُ،إِنَّمَا مَوْضِعُ الصَّلاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ﴾

المعجم الأوسط للطبراني، رقم الحديث: 2350

297
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:﴿إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ ﴾

السنن الكبرى للبيهقي (كتاب الوصايا)

رقم الحديث: 12457

- أَنّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:﴿تَنَاكَحُوا، تَكْثُرُوا، فَإِنِّي أُبَاهِي بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَنْكِحُ الرَّجُلُ الشَّابَّةَ الْوَضِيئَةَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَإِذَا كَبِرَتْ طَلَّقَهَا، اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، إِنَّ مِنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يُطْعِمَهَا وَيَكْسُوَهَا، فَإِنْ أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ يَضْرِبُهَا ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ

  مصنف عبد الرزاق، رقم الحديث: 10142 — 298

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺنَهَى عَنْ الْوِصَالِ، قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: ﴿إِنِّي لَيْسَ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي، يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي، اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ﴾

  مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 10212 — 298

- ..عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، قَالَ:عُدْنَا رَجُلا مِنْ خُزَاعَةَ، فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ أُقِيمَتْ وَصَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ، فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:﴿يَا بِلالُ، أَقِمِ الصَّلاةَ، وَأَرِحْنَا بِهَا أرحنا بها يا بلال ﴾

  مسند ابن أبي شيبة، رقم الحديث: 940 — 301

- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ،قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ،قَالَ: ﴿إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ، فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ،وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِاجعل صلاتك صلاة مودع ﴾

  سنن ابن ماجة (كتاب الزهد)

  رقم الحديث: 4196 — 302

- ﴿حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ﴾، قال في الذيل:هو من كلام أبي سعيد الخراز، وقد رواه ابن عساكر في ترجمته — 304

  الفوائد المجموعة للشوكاني

  رقم الحديث:578

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِلْمُصَلِّي ثَلاثُ خِصَالٍ تَتَنَاثَرُ الرَّحْمَةُ عَلَيْهِ مِنْ قَدَمِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ، وَتَحُفُّ بِهِ الْمَلائِكَةُ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى أَعْنَانِ السَّمَاءِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ لَوْ عَلِمَ الْمُنَاجِي مَنْ يُنَاجِي مَا انْفَتَلَ﴾ — 307

  مصنف عبد الرزاق (كتاب الطهارة)

رقم الحديث: 146

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَلِجَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَّانُ جَهَنَّمَ فِي مِنْخَرَيْ عَبْدٍ أَبَدًا ﴾ 310

الرسالة القشيرية (باب الصمت)

في جامع الترمذي بلفظ آخر وقال عنه هذا حديث حسن رقم الحديث: 12

صحيح

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ، فَخَطَبَ، فَقَالَ:﴿عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا﴾، قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، قَالَ: فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، قَالَ: فَقَامَ ذَاكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: مَنْ أَبِي، قَالَ: أَبُوكَ فُلَانٌ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ 310

صحيح مسلم (كتاب الفضائل باب توقيره صلى الله عليه وسلم))

رقم الحديث: 4358

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ يَقُولُ:وَعِزَّتِي وَجَلالِي: لا أَجْعَلُ مَنْ آمَنَ بِي سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ كَمَنْ لا يُؤْمِنُ بِي﴾ 315

المعجم الصغير للطبراني

رقم الحديث: 877

- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:﴿الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَسَنَتُهُ، فَإِذَا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا، فَارَقَ السِّجْنَ وَالسُّنَّةَ﴾ 316

المستدرك على الصحيحين

رقم الحديث: 7952

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاستويا ﴾ 316

السيوطي، الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، 133.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ﴾ 318

صحيح البخاري

رقم الحديث: 6936

- عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "﴿ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ﴾ 321

صحيح مسلم (كتاب التوبة)

رقم الحديث: 4942

- عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ﴿شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي ﴾ 321

المستدرك على الصحيحين

رقم الحديث: 211

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ لولا الذنب خير للمؤمنين من العجب ما خلا الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا ﴾ 321

الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، 440/9.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه ﴾ 324

القاري، **الأسرار المرفوعة**.

326

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ:﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ مُحَدَّثُونَ، أَوْ مُرَوَّعُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ﴾

تاريخ دمشق لابن عساكر

رقم الحديث: 46511

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ المؤمن بنفسه في شغل شاغل عن الناس وهذا هو دأب الوارثين من الأكياس ﴾ 326

لم أقف عليه

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ﴾ 330

صحيح مسلم (كتاب الزهد والرقائق)

رقم الحديث: 5304

- عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.. ﴾ 343

صحيح البخاري (باب بدأ الوحي)

رقم الحديث: 1

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة ﴾ 353

لم أقف عليه

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ الدنيا زهرة ذابلة ولُعَاعَةٌ حابلة ﴾ 360

لم أقف عليه.

- عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:﴿ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا امْتَلاتْ دَارٌ حَبْرَةً إِلا امْتَلاتْ عَبْرَةً،وَمَا كَانَتْ فَرْحَةٌ إِلا تَبِعَتْهَا تَرْحَةٌ﴾ 360

الزهد والرقائق لابن المبارك (باب النهي عن طول الأمل)

رقم الحديث: 263

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ،قَالَ: تَلا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ انْشِرَاحُ صَدْرِهِ ؟ قَالَ:﴿إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ . فَقُلْنَا:فَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُّبِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ﴾ 362

القضاء والقدر للبيهقي

رقم الحديث: 334

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الشَّيْخُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِي فِي قَوْمِهِ ﴾، رواه ابن حبان، عن ابن عمر، مرفوعًا، وقال: في إسناده عبد الله بن عمر ابن غانم، روي عن مالك ما لم يحدث به قط 371

. قال في اللآلئ: قد روي له أبو داود، وقال الذهبي في الكاشف: مستقيم الحديث، وهو قاضي أفريقية . وقد أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، وابن النجار في تاريخه، من حديث أبي رافع .وقال العراقي في تخريج الإحياء: إسناده ضعيف .

الفوائد المجموعة للشوكاني (كتاب الإيمان)

رقم الحديث: 1144

- عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ:﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ الدين النصيحة ﴾ 375

صحيح مسلم (كتاب الإيمان)

رقم الحديث: 85

- عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إلا زَهَقَتْ﴾ 381

المعجم الكبير للطبراني

رقم الحديث: 5664

- عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَئِذٍ، وَهُوَ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنَ الدَّجَّالِ:﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ﴾ 402

السنة لابن أبي عاصم

رقم الحديث: 347

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إنما الأعمال بالخواتم ﴾ 407

صحيح البخاري، قدر5، رقاق33.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ 411

صحيح مسلم (كتاب القدر)

رقم الحديث: 4809

- عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَت:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ الدنيا دار من لا دار له ﴾ 414

مسند أحمد بن حنبل

رقم الحديث: 23862

414 • عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعْضِ جَسَدِي وَقَالَ:﴿ يَا عَبْدَ اللَّهِ،كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَعَابِرِ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ،وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ، وَخُذْ مِنْ شَبَابِكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَمِنْ غِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَمِنْ فَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ غَدًا ؟ ﴾

تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين للخولاني

رقم الحديث: 110

428 • أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ،فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: "﴿ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ "، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ:﴿ فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ،فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ﴾

صحيح البخاري (كتاب المغازي)

رقم الحديث: 3737

• قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لا يؤمن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﴾

684 **سنن أبي داود**، جنائز13، أدب81.

439 • قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا﴾

صحيح البخاري (كتاب الصلاة)

رقم الحديث: 417

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿ اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ﴾ 440

المستدرك على الصحيحين

رقم الحديث: 7914

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ﴾ 440

كشف الخفا

الألباني، السلسلة الضعيفة

- قال ﷺ: ﴿ إن أبا بكر أخذ بالحزم وأن عمر أخذ بالقوة ﴾ 441

لم أقف عليه

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي﴾ 443

صحيح البخاري (كتاب الدعوات)

رقم الحديث: 5892

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:﴿ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ﴾ 444

المستدرك على الصحيحين

رقم الحديث: 1750

- عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي أَقْدِرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ، فَاسْأَلُونِي أُغْنِكُمْ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِي مَا نَقَصَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا زَادَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا فَسَأَلَنِي كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ، مَا نَقَصَنِي، كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ الْبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ انْتَزَعَهَا، كَذَلِكَ لَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِي، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ صَمَدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ﴾ 448

مسند أحمد بن حنبل

رقم الحديث: 20850

- روي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ:﴿إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَوَ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يُكَلِّمُكَ، فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحَضَاءَ[1]، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ ؟ وَكَأَنَّهُ حَمِدَهُ،فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ وَإِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الْخَضْرَاءِ،أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ الْمِسْكِينَ، وَالْيَتِيمَ، وَابْنَ السَّبِيلِ أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ 457

صحيح البخاري (كتاب الزكاة)

رقم الحديث: 1378

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ﴾ 462

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة)كتاب القدر)

رقم الحديث: 232

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ لِي وَأَنَا رَدِيفٌ خَلْفَهُ: ﴿ يَا غُلامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ فَاحْفَظْهُنَّ، " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،جَفَّتِ الأَقْلامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ﴾ 462

المعجم الكبير للطبراني

رقم الحديث: 12820

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَا أَحْفَظُ حَدِيثَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ أَنَّهُ، قَالَ:كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:﴿يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلَيِّمُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ "، فَقُلْتُ: بَلَى . فَقَالَ: "احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ 462

[1] رُحِضَ الرجلُ رَحْضاً: عَرِقَ حتى كأنه غُسِلَ جسدُه، والرُّحَضاءُ: العَرَقُ مشتقّ من ذلك.انظر: لسان العرب، مادة: رحض.

أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

مسند أحمد بن حنبل

رقم الحديث: 2699

- روي أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنْا بُعْدَهُ،اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعَ، قَالَ: " هُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ﴾ 467

صحيح مسلم (كتاب الحج)

رقم الحديث: 2400

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ الناس في هذه الدار سفر وأول منازلهم القبر ﴾ 467

مسند الإمام أحمد، حديث456.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ ﴾ 477

صحيح البخاري (كتاب الجنائز)

رقم الحديث: 1297

- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ "، قَالَتْ عَائِشَةُ:أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: " لَيْسَ ذَاكِ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ﴾ 477

صحيح البخاري (كتاب الرقاق)

رقم الحديث: 6053

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ قَدِّمْ مالَكَ أَمامَكَ يَسُرُّكَ اللَّحاقُ بِهِ ﴾ 477

لم أقف عليه

- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:﴿التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ،وَمَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللَّهَ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ ﴾ 484

الشكر لابن أبي الدنيا

رقم الحديث: 65

- أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ﴾ 488

صحيح البخاري (كتاب الجمعة)

رقم الحديث: 849

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولا: المصادر

01/ القرآن الكريم وعلومه:

1 الزمخشري، (جار الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 528 هـ): **تفسير الكشافمن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

2 الخازن، (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، المتوفى 725 هـ): **لباب التويل في معاني التنزيل**، بيروت دار المعرفة.

3 أبو السعود، (محمد بن محمد العمادي، المتوفى 951 هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت، دار التراث العربي.

4 الطبري، (أبو جعفر محمد بن جرير، المتوفى 310 هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.

5 ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل المتوفى 774 هـ): **البداية والنهاية**، بيروت، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى 1966.

6 القرطبي.(أبو عبد الله محمد الأنصاري المتوفى 703 هـ): **الجامع لأحكام القرآن** ، دار الكتاب العربي.

7 ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان المتوفى 597 هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط4، 1987م.

8 السيوطي (جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى 911 هـ):**لباب النقول في أسباب النزول**، الدار التونسية للنشر، ط1981م.

9 الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المتوفى 725 هـ): **لباب التأويل في معاني التنزيل**، دار المعرفة بيروت.

10 عبد الباقي محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1981م.

02/ السنة النبوية الشريفة وعلومها:

1 ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد المتوفى 275 ه): **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار إحياء التراث.

2 البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المتوفى 206 ه): **صحيح البخاري** (مع شرح العسقلاني المسمى بفتح الباري)، دار الديان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية 1988م.

3 العسقلاني: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار الريان للتراث القاهرة ،ط2 /1988 م.

4 **كشف الخفا ومزيل الإلباس**، العجلوني، تحقيق: أحمد القلاشي.

5 أحمد بن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني المتوفى 241 ه): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية 1993م.

6 **مختصر صحيح مسلم**، الحافظ المنذري، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

03/ علوم الدين واللغة والأدب:

1 أبو حامد الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 1992م.

2 أحمد بن محمد ابن عجيبة:**إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، ضبط وتصحيح وتنسيق وتعليق د.عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 2005.

3 البوصيري: **البردة للبصيري** ، شرح الشيخ ابراهيم الباجوري.

4 نور الدين البريفكاني: **تلخيص الحكم**، تحقيق: محمد أحمد مصطفى الكزبي، الناشر العربي بولاق القاهرة 1983م.

5 المحدث الحافظ محمد حياة السندي المدني: **شرح الحكم العطائية**، تحقيق: نزار حمادي، دار مكيبة المعارف بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2010م.

6 أحمد ابن علان: **شرح الحكم الغوثية لأبي مدين التلمساني المغربي**، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية القاهرة دون إثبات لسنة النشر.

7 أحمد زروق:**شرح الحكم العطائية**، تحقيق الإمام عبد الحليم محمود، بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الأولى 2010م.

8 أحمد زروق: **الشرح الحادي عشر على الحكم العطائية**، اعتنى به نزار حمادي، ينشر لأول مرة دار ابن حزم بيروت لبان 2011م.

9 عبد المجيد الشرنوبي: **شرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري**، ضبط وتعليق د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير دمشق ـ لبنان، الطبعة الحادية عشر 2008م.

10 يحي أبو عبد الواحد الأمين بوكليخة: **حكم سيدي بومدين وابن عطاء الله**، جمع وتحقيق، تلمسان 13 فبراير 2001.

11 محمد سعيد رمضان البوطي: **الحكم العطائية شرح وتحليل، ج1**، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 2001/2000م.

12 الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر، الطبعة الثانية 2010م

13 ابن عاشر (العلامة الشيخ محمد بن أحمد ميارة المالكي): **الدر الثمين والمورد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين**، دار الفكر بيروت 2011م.

14 العلاوي: (**ديوان العارف بالله أحمد مصطفى العلاوي المستغانمي**)، ضبط وتصحيح وتعليق الدكتور عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية لبنان، الطبعة الأولى 2006م.

15 القشيري (أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن):**الرسالة القشيرية في علم التصوف**، هوامش من شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دار الكتاب العربي بيروت.(دون إثبات لسنة النشر).

16 ابن عباد النفزي الرندي: **غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية**، اعتنى به د. علي أبو الخير، دار الخير دمشق بيروت، الطبعة الأولى 2004م.

17 أبو طالب المكي: **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، دار صادر (دون إثبات لسنة النشر).

18 أحمد بن مصطفى العلاوي: **المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية**، ج01، المطبعة العلاوية مستغانم، الطبعة الثانية 1989م.

19 عبد الرحمان باش تارزي:**المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية**،تصحيح الشيخ عبد الحميد بن باديس.

20 بدر الدين البعلي:**مختصر فتاوي ابن تيمية**، دار الكتب العلمية بيروت.

04/ الأعلام والتاريخ والسير:

1. أبو القاسم الحفناوي الديسي (مدرس الجامع الكبير بمدينة الجزائر، ومرجع الإفتاء المالكي بالجزائر): **تعريف الخلف برجال السلف**، مؤسسة الرسالة.
2. محمد الصغير نجل الشيخ المختار: **تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان**، المطبعة الثعالبية الجزائر سنة 1916م. (وهو من أهم المصادر في التعريف برجال الطريقة الرحمانية، حيث يحتوي على الكثير من تراجم شيوخها ورسائلهم وقصائدهم).
3. ابن هشام (أبو محمد عبد الله بن هشام): **سيرة النبي ﷺ**، راجع أصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها المرحوم الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

4. عبد الرحمان بن الحاج بن سيدي علي بن عثمان ابن سيدي علي بن عمر: **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز.**
5. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات،** ، اعتناء د. إحسان عباس، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1402ه/1982م.
6. طبقات الصوفية، السلمي.
7. طبقات الأولياء، ابن الملقن.
8. الكتاب المقدس، متى:56/26.
9. عاشور بن محمد الكليبي: **منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف،** المطبعة الثعالبية بالجزائر 1914.
10. عبد الغني بن حسين: **التعريف بالولي الغطريف الشيخ سيدي محمد بن حسين آية القرن العشرين،** (الكتاب يحتوي على 114 صفحة، وضعه المؤلف لعائلة بن حسين، جمع فيه ما سمعه من الثقاة وما شاهده ورآه بنفسه، تثبيتا لما قد ينسى، وحفاظا على سيرة الشيخ ومناقبه).
11. **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار،** تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، ط2، دار الكتاب العربي بيروت.
12. عبد الحميد زوزو: **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر** (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م.

05/ المعاجم:

1 الجرجاني (أبي الحسن الشريف الجرجاني): **التعريفات،** تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت 2002م.
2 ابن منظور: **لسان العرب،** دار إحياء التراث العربي بيروت، ط1992/2م.
3 أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،** إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى 1989م.
4 عمر رضا كحالة:**معجم المؤلفين،** بيروت، دار إحياء التراث العربي.
5 مجدي وهبة وكامل المهندس: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،** مكتبة لبنان بيروت، الطبعة الثانية 1984م.
6 عبد المنعم الحفني: **معجم المصطلحات الصوفية،** دار المسيرة بيروت، الطبعة الثانية 1987م.

7 محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني: موسوعة **الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان**،(كتاب إلكتروني يتألف من 24 جزء).

ثانيا المراجع

1 عبد الباقي مفتاح:**أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية**، الوليد للنشر الوادي 2004م.

2 يوسف بن إسماعيل النبهاني: **الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، بدون إثبات لتاريخ النشر.

3 ابراهيم مياسي (جامعة الجزائر): **احتلال بوابة الصحراء بسكرة عروس الزيبان**، إعداد عبد الحميد زكري رئيس خلية الاتصال ولاية بسكرة 1997م.

4 فوزي مصمودي: **أعلام من بسكرة، ج1**، الجمعية الخلدونيةبسكرة2001.

5 أحمد عيساوي (جامعة باتنة): **أعلام الإصلاح في الجزائر**، دار الكتاب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 2012م.

6 خير الدين الزركلي:**الأعلام**، دار العلم للملايين بيروت، ط6.

7 عبد الحميد زوزو: **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي (1837-1939)**، ، دار هومة الجزائر، الطبعة الثانية 2011م

8 حنا الفاخوري:**الجديد في الأدب العربي**، الجزء الخامس، منشورات مكتبة المدرسة بيروت، الطبعة الخامسة 1962م.

9 مصطفى عبد الله شيحة: **الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي**، نشر مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الأولى 1992.

10 عبد اللطيف حمزة: **الإعلام والدعاية**، دار الفكر العربي الطبعة الثانية 1978م.

11 وهبة الزحيلي: **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**، ، دار الفكر، ط1981/3م.

12 أسعد السحمراني: **البهائية والقاديانية**، دار النفائس بيروت ،ط1987/1م.

13 أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج:04، ط01، دار الغرب الإسلامي.

14 أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر سنة 1983م

15 **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي من 1837–1954**، جمعية أول نوفمبر 1988م.

16 سعيد حوى: **تربيتنا الروحية**، دار السلام القاهرة، الطبعة التاسعة 2008م.

17 أحمد عيساوي:**جهود العربي التبسي وآثاره الإصلاحية**، مؤسسة البلاغ، طبعة خاصة 2013م بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية.

18 وحيد الدين خان: **حقيقة الحج**، دار الصحوة للنشر القاهرة، الطبعة الأولى 1987م.

19 عبد الحميد زوزو: **ثورة الأوراس سنة 1879**، ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

20 يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، الطبعة الأولى، دار البعث 1980.

21 عبد الكريم الجزائري: **الثقافة ومآسي رجالها**، مطبعة قرفي باتنة.

22 قوبع عبد العزيز(رئيس الجمعية الناصرية لخنقة سيدي ناجي ورئيس جمعية أولياء التلاميذ لولاية بسكرة): **خنقة سيدي ناجي عبر التاريخ**، مداخلة في الأيام السياحية الثقافية خنقة سيدي ناجي يومي 29-30 أفريل 2008.

23 أحمد عيساوي: **دراسات وأبحاث في تاريخ الدعوة والدعاة، الجزء الأول**، دار الكتاب الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 2012م.

24 سعيد رمضان البوطي: **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه**، دار الفكر دمشق الطبعة الأولى 1993م.

25 محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة بيروت ط1971/3م.

26 محمد شمس الحق: **الدعوة إلى الله مشكلات الحاضر وآفاق المستقبل**، جمعية الدعوة الإسلامية. العالمية، ط2001/1م.

27 حسن مسعود الطوير: **الدعوة إلى الله على ضوء الكتاب والسنة**، دار قتيبة بيروت (دون إثبات لسنة النشر).

28 محمد سيد عبد التواب: **الدفاع الشرعي في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة**، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى 1983م.

29 أحمد حماني:الدلائل البادية على ضلال البابية وكفر البهائية.

30 سيد قطب: **السلام العالمي والإسلام**، مكتبة وهبة.

31 علي الرضا الحسيني: **شيخ العلماء المجاهدين نور الصحراء حياته وآثاره**، ط2001م؛ الملتقى الأول للعلامة الشيخ محمد بن عزوز-نور الصحراء-من 16،17/07/1997م بطولقة.

32 محمد علي الصابوني: **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم بيروت الطبعة الرابعة 1981م.

33 إبراهيم علي أحمد محمد خليل: **ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك**، دار السلام للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الأولى 2010م.

34 أبو القاسم سعد الله:**على خطى المسلمين حراك في التناقض**، عالم المعرفة الجزائر، الطبعة الأولى 2009م.

35 حسن صعب: **علم السياسة**، دار العلم للملايين بيروت، ط1985/8م.

36 عبد الرحمان تبرماسين: **سيدي الصادق بن الحاج الانتفاظة الكبرى**.

37 عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**.

38 **في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي 1602م–2002م بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات للبعض من أعلامها**، دار الهدى عين مليلة.

39 محمد سعيد رمضان البوطي: **في الحديث الشريف والبلاغة النبوية**، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى 2011م.

40 أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، دار المعارف، طبعة ثانية طبق الأصل، نشر دار الكتاب البليدة الجزائر1963م.

41 سعيد حوى: **المستخلص في تزكية الأنفس نظرية متكاملة في تزكية النفوس**، دار السلام القاهرة، الطبعة السابعة عشر 2011م.

42 يوسف خطار محمد: **الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية**، تقديم وثناء مجموعة من العلماء، دار التقوى دمشق سوريا، ط2003م.

43 محمد أبو الفتح البيانوني: **المدخل إلى علم الدعوة**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1959م.

44 أحمد عيساوي: **مدينة تبسة وأعلامها (بوابة الشرق ورئة العروبة وأريج الحضارة)**، مؤسسة البلاغ، طبعة خاصة 2013م بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية.

45 سعيد حوى: **مذكرات في منازل الصديقين والربانيين من خلال النصوص وحكم ابن عطاء الله السكندري**، دار السلام القاهرة، الطبعة الخامسة 2008م.

46 محمد بن علوي المالكي: **مفاهيم يجب أم تصحح**، دار الغد العربي القاهرة، **1993م**.

47 فوزي مصمودي:**العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري شخصيته ومواقفه وآثاره**، موفم للنشر الجزائر 2008م.

48 بوزيان الدراجي: **عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره**، بلاد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2009م

49 نصر الدين سعدوني: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م.

50 جيل كيبل: **يوم الله**، ، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث قبرص، الطبعة العربية الأولى.

51 محمد سعيد روضان البوطي: **يغلطونك إذ يقولون...أسلوب حواري يكشف عن مغلطات خطيرة في موضوعات هامة**، دار اقرأ ودار الفرابي دمشق سوريا، الطبعة الثانية 2000م.

ثالثا: الجرائد والمجلات والملتقيات والمطبوعات

1 جريدة المساء اليومية يوم 1988/10/27، **الخنقة جوهرة واد العرب**، القسم الأول، الأستاذ بلمكي عبد الحفيظ، ص:11.

2 جريدة النصر اليومية، الاثنين 6/جوان/1988م، العدد: 7655.**مسجد سيدي المبارك في الخنقة ونضال الكلمة والعقيدة**، ع/بن سعيد.

3 جريدة النبأ، العدد1994/164م، **عبد الحفيظ الخنقي العالم المربي والصوفي المجاهد**، عبد الحليم صيد.

4 الملتقى الوطني الأول للمقاومة الشعبية بالزاب الشرقي:**سيدي عبد الحفيظ الخنقي والصادق بلحاج من سنة 1844إلى سنة1860**، إعداد وطباعة دار الشباب خنقة سيدي ناجي.

5 مطبوعة خلية الاتصال ولاية بسكرة جوان 1997م، **حول حياة الشيخ محمد بن عزوز البرجي**.

6 مجلة التراث،.**مقاومة الأوراس للمحتلين الفرنسيين**، محمد الطاهر عزوي، ص: 49.

7 مجلة حراء العدد الأول، **حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب**، د. محمد عمارة.

8 مجلة الحوار المتمدن، العدد: 2011/3584م، شبكة الأنترنت.

9 مجلة أضواء الأوراس التاريخية، ص: 44–47، العدد التجريبي مارس 2006م، **الغزو والاحتلال الفرنسي للأوراس**، د.محمد العيد مطمر.

10 مجلة التراث (مجلة تاريخية أثرية)، العدد 01.-1406هـ/1986م، تصدرها دوريا جمعية التاريخ والتراث الأثري، دار الشهاب باتنة

رابعا: المخطوطات والوثائق والكتب الغير مطبوعة والرسائل

1 نسخة من مجموعة أوراق غير كاملة تحصل عليها الباحث من الشيخ نور الدين بلمكي إمام وخطيب مسجد سيدي مبارك بالخنقة (1915م/2010م) بعضها مكتوب بخط اليد وبعضها مكتوب بالآلة الراقنة تحمل توقيعه، يغلب على ضني أنها من إملاءاته، يتحدث فيها عن تاريخ الخنقة وعلمائها.

2 نسخة من: **رسالة في التصوف (مخطوطة)**، عبد الحفيظ بن محمد الخنقي الونجلي، دار الكتب الوطنية التونسية، قسم المخطوطات.

3 نسخة من مراسلات تتعلق بـ: **تتبعات عدلية ضد شيخ الرحمانية بتمغزة الحفناوي ابن عبد الحفيظ من أجل مسك الأسلحة والتهريب**، الأرشيف الوطني تونس (eps/d/0172/0003/0013/1898).

4 نسخة من **مراسلات تتعلق بدفن شيخ الرحمانية الحفناوي بن عبد الحفيظ بتوزر ومنع أهله من نقل جثمانه إلى تمغزة**، الأرشيف الوطني تونس (fps/d/0172/0003/0016/1899). (ترجمها لي السيد: عبد العزيز نزار وهو إداري متقاعد مزدوج اللغة، أصله من مدينة عين التوتة مقيم بمدينة بسكرة).

5 ملامح حول تكوت العتيقة إلى غاية 1954م، السيد: محمود عبد السلام.(من مواليد سنة 1926م خريج الزيتونة وجامعة بغداد متفرغ للبحث والكتابة).

6 نسخة من شهادة من لجنة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (التي كانت تشرف على جميع المدارس العربية الحرة التابعة للجمعية بسائر أنحاء التراب الجزائري، وببعض المدن الفرنسية)، مرفوقة بـ: **نبذة من حياة الشهيد محمد بلمكي بن محمد الأمين** كتبها السيد: نور الدين بلمكي.1915م/2010م إمام وخطيب مسجد سيدي المبارك بالخنقة.

7 نسخة من **بيان شجرة أصل سيدي هجرس** منقولة من وثيقة مؤرخة سنة 1163هـ/1749م.

8 نسخة من مجموعة وثائق مخطوطة تتألف من تسعة وأربعون وثيقة، يبدو أنها عبارة عن كناش خاص بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي دون فيه تاريخ ميلاد أبنائه وبناته، وبعض الأحداث التاريخية في حياة الشيخ، وفيه أيضا عقود مختلفة بيوع وأحباس، وعقود إشهاد وهبة... ، بعض هذه الوثائق منسوخ بخط الشيخ عبد الحفيظ نفسه وبعضها بخط كاتبه الخاص أو غيره؛ أصل المخطوط لدى عائلة سي الرشيد بن البشير بن الأزهاري حفيظي بسكرة (1916/1993م).

9 نسخة من كتاب:**المبشرات**، مخطوط للشيخ الهاشمي بن علي دردور (1815م/1899م)

10 نسخة من كلمة الشيخ عمر دردور في إحياء ذكرى وفاة **الشيخ أحمد السرحاني**.

11 مجموعة من الصور الفوتوغرافية لـ: الشاذلي مكي، مع ملوك ورؤساء الدول العربية وغيرها أثناء نشاطه في الحركة الوطنية في المشرق العربي، تحصل عليها الباحث من السيد: شكري بن حسين المقيم بباتنة.

12 رسالة حول: **علاقات المصاهرة بين العائلة الحفوظية والعائلة العزوزية**، موجهة للباحث من طرف السيد أمين بن عبد الكريم بن المكي بن عبد الكريم بن التارزي، سوسة (تونس) في 09 صفر 1435هـ / 13-12-2013م.

خامسا: والمقابلات والتسجيلات الخاصة.

1 حديث مسجل خاص (فيديو+أوديو) بتاريخ: 2013/05/17 مع السيد:شريفي عمارة، مدير السياحة لولاية بسكرة سابقا.

2 تسجيل خاص للباحث(فيديو) سنة 2009م مع السيد نور الدين بلمكي (إمام وخطيب مسجد سيدي المبارك بالخنقة).

3 تسجيل خاص للباحث (فيديو) للسيد منذر حفيظي رواية عن والده عن الشيخ محمد الطيب نجل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.

4 تسجيلات خاصة للباحث (فيديو+وأوديو) مع كل من: حموتة مسعود المولود سنة 1922م، وعبد الحفيظ المدعو محمد أبيلا المولود سنة 1926م، وبولبينة عبد الله المولود سنة 1905م.

5 تسجيلات خاصة للباحث (فيديو + أوديو) في 2008 و 2009. مع القائم بزاوية الشيخ محمد الصادق بالرمضان ببسكرة السيد عبد الحفيظ رماضنة (1934م) ونجله عبد الهادي.

6 إذاعة الأوراس، حصة خاصة حول مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي، مع د/مسعود خرنان و د/ فاطمة الزهراء قشي، جامعة قسنطينة.

7 تسجيل خاص للباحث (فيديو) في 2009/12/29م مع المجاهد: ميراد حسين المولود سنة 1929م أحد طلبة زاوية سيدي مصطفى بالرمضان بالبرانيس.

8 تسجيل خاص للباحث (فيديو) في 2009/12/30م مع السيد: عساسي عمار المولود سنة 1926م وهو أحد تلاميذ زاوية سيدي مصطفى بالرمضان ببانيان.

9 تسجيل فيديو خاص للباحث بتاريخ 2009/12/30م مع بعض أعيان قرية أمنطان الأعلى.

10 تسجيل خاص للباحث (فيديو) 2008م مع الشيخ نور الدين بلمكي، إمام وخطيب مسجد سيدي المبارك بخنقة سيدي ناجي، حفيد الشيخ محمد المكي شارح الحكم الحفيظية (2010/1915).

11 حديث الباحث مع السيد عبد الرشيد حفيظي، بسكرة سنة 1989م.

سادسا: المواقع الالكترونية

1 موقع: **الباحث العربي**/http://www.baheth.info (يقدم الموقع خدمة البحث في أهم القواميس والمراجع اللغوية العربية، يحتوي الموقع على أكثر من 31.000 مادة وأكثر من 4.000.000 كلمة مجموعة من أهم المعاجم اللغوية المتوفرة في العالم العربي.وهي: لسان العرب لابن منظور، ومقاييس اللغة لأحمد بن فارس، والصحاح في اللغة للجوهريوالقاموس المحيط للفيروز أبادي، والعباب الزاخر للحسن بن محمد الصغاني.).

2 شبكة الانترنت: **مدونة الإحسان** (خنقة سيدي ناجي). ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

3 شبكة الأنترنت، **موقع عبد الدايم الكحيل**، www.kaheel7.com (يهتم الموقع بالإعجاز العلمي)

4 موقع:**موسوعة الحديث الشريف** (أضخم موسوعة حديث على شبكة إسلام ويب).

5 موقع:sidikhaled.page.tl/%26%231601%3B%26%231585%3B%26%231581...

فهرس الأعلام

م	العلم	الصفحة
.1	إبراهيم الخواص	247، 313
.2	إبراهيم بن أدهم	278، 325
.3	إبراهيم بن محمد	290
.4	إبراهيم عليه السلام	57، 68، 430
.5	إبليس	41، 235، 314
.6	ابن الجوزي = جمال الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي	45، 48، 200، 205، 218، 241، 270، 283، 381، 393، 461
.7	ابن الحاج	105، 361
.8	ابن الفارض= عمر بن علي بن مرشد	188
.9	ابن الملقن = عمر بن علي بن أحمد	23، 200، 226، 230، 239، 242، 247، 254، 278، 290، 363، 372
.10	ابن الهمام = محمد بن عبد الواحد	186
.11	ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم	42، 51، 139، 178، 219، 244، 258، 285، 299، 354، 451
.12	ابن جرير	460
.13	ابن جرير الطبري	460
.14	ابن حبان = محمد بن حبان بن أحمد	57
.15	ابن حجر العسقلاني =أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الكناني	23
.16	ابن حجر= أحمد بن علي بن محمدالعسقلاني	23، 139، 189، 241، 247، 273، 283، 285، 299، 371
.17	ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد	177، 283
.18	ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد بن محمد	22، 83، 130، 168، 245
.19	ابن سيرين	250
.20	ابن سينا	98
.21	ابن عباد النفزي الرندي = محمد بن إبراهيم بن عباد	200
.22	ابن عبد البر= يوسف بن عبد الله بن محمد	216، 283، 292، 363، 488
.23	ابن عبد الله =عبيدالله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي	84، 253، 270

م	العلم	الصفحة
.24	ابن عبد الله=عبيدالله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي	84، 270
.25	ابن عدي	426
.26	ابن قتيبة	273
.27	ابن كثير = إسماعيل بن عمر	44، 45، 185، 283
.28	ابن ماجة=أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني	184، 234، 238، 273، 302، 315، 415، 427، 431، 462
.29	ابن مالك	181، 213، 292، 315، 488
.30	ابن منده = محمد بن إسحاق بن محمد	247
.31	ابن منظور	24، 36، 40، 46، 207، 212، 265، 267، 280، 283، 363، 378
.32	ابنالجوزي = جمال الدين ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي	45، 48، 200، 205، 218، 241، 270، 283، 381، 393، 461
.33	ابنحجرالعسقلاني=أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي الكناني	23
.34	ابنقتيبة	273
.35	أبو الدرداء	63
.36	أبو العباس	221
.37	أبو بكر الصديق – ¢ –	441
.38	أبو بكر الوراق	270
.39	أبو حامد الغزالي	48، 53، 185، 201، 205، 211، 243، 251، 278، 282، 310
.40	أبو حنيفة	45، 85، 207
.41	أبو حنيفة = النعمان بن ثابت	299، 363
.42	أبو داود = سليمان بن الأشعث السجستاني	283، 426
.43	أبو زرعة	285
.44	أبو نعيم = أحمد بن عبد الله الأصبهاني	298
.45	أبو نعيم = أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني	54، 212، 298
.46	أبو نعيم= أحمد بن عبد الله الأصبهاني	298
.47	أبو نعيم=أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني	270
.48	أبو هلال العسكري	183

م	العلم	الصفحة
.49	أبو هلال العسكري =الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري	183
.50	أبو يعلى	239
.51	أبو جعفر	39، 105، 267
.52	أبوهلالالعسكري=الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري	183
.53	أحمد الرفاعي= أحمد بن علي بن أبي الحسين	49، 261، 293
.54	أحمد بن حنبل	236، 238، 270، 285، 370، 402، 414، 464، 487
.55	آدم – عليه السلام –	314
.56	أرم	277
.57	الأزهري	135، 139، 284، 374
.58	الأشعري	خ، 91، 205
.59	الأصم	270، 314، 372
.60	الأكمل	ح، 26، 153، 303
.61	الألباني = محمد ناصر الدين الألباني	36، 209، 276، 317، 443
.62	الأموي	110، 469
.63	الباقلاني	205
.64	البخاري = أبو عبد الله محمد بن إسماعيل	ت، 36، 43، 44، 52، 53، 55، 59، 63، 90، 98، 136، 137، 182، 184، 213، 237، 241، 282، 286، 314، 315، 342، 350، 393، 407، 414، 415، 431، 481، 488
.65	البخاري= أبو عبد الله محمد بن إسماعيل	ت، 36، 43، 44، 52، 53، 55، 59، 63، 90، 98، 136، 137، 182، 184، 213، 237، 241، 282، 286، 314، 315، 342، 393، 407، 414، 415، 431، 488
.66	برهم	211
.67	البسطامي = طيفور بن عيسى	466
.68	البغدادي	39، 130
.69	بلقيس	54
.70	البوصيري = محمد بن سعيد الصنهاجي	241، 252، 335، 463

م	العلم	الصفحة
.71	البيهقي = أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي	184، 208، 209، 228، 239، 249، 270، 285، 332، 391، 401، 428، 435، 462
.72	البيهقي= أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي	208، 209، 228، 239، 249، 270، 285، 332، 391، 401، 428، 435، 462
.73	الترمذي =أبو عيسى محمد بن عيسى	63، 74، 184، 210، 213، 234، 237، 239، 246، 270، 271، 273، 279، 283، 310، 313، 315، 321، 375، 414، 415، 426، 427، 431، 443، 444، 448، 487
.74	الترمذي=أبو عيسى محمد بن عيسى	74، 184، 210، 213، 234، 237، 239، 246، 270، 271، 273، 279، 283، 310، 313، 315، 321، 375، 414، 415، 427، 431، 443، 444، 448، 487
.75	توماس	167، 168، 169
.76	الثعالبي	91، 94، 151، 170، 209
.77	الثعالبي =أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل	91، 94، 151، 170، 209
.78	الثعالبي=أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل	91، 94، 151، 170، 209
.79	ثوبان	279
.80	الثوري	102، 278، 285، 363
.81	جابر بن سمرة	298
.82	جبريل عليه السلام	59، 201، 380
.83	الجرجاني = علي بن محمد بن علي	24، 203، 204، 205، 210، 221، 222، 243، 244، 245، 260، 287
.84	الجريري	249
.85	جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين	310، 363
.86	جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين أبو عبد الله	363
.87	الجنيد	خ، 91، 135، 136، 180، 209، 221، 241، 247، 249، 250، 278، 289، 290، 293، 311، 313، 340، 372، 373، 466
.88	الجويني = عبد الملك بن عبد الله بن يوسف	205
.89	الجيلاني = عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله	13

م	العلم	الصفحة
.90	الحاتمي =أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي	188
.91	الحاتمي=أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر البغدادي	188
.92	حاجي خليفة = مصطفى بن عبد الله كاتب جلب	186، 187
.93	الحارث المحاسبي	209
.94	الحاكم	35، 43، 98، 113، 114، 120، 137، 139، 148، 162، 163، 171، 184، 239، 286، 310، 315، 316، 364، 391، 415، 431، 439، 442
.95	الحجاج	69، 90، 189
.96	الحسن البصري	185، 202، 250، 285
.97	الحسن بن أبي الحسن البصري	202، 250، 285
.98	حسن بن علي	137
.99	الحسن بن علي الأستاذ أبو علي الدقاق	262
.100	الحسن بن علي بن أبي طالب	226
.101	حفص	49، 241، 311، 314
.102	حفصة	135
.103	حمزة	36
.104	خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي – رضي الله عنه –	45، 183
.105	خالد بن سنان	99، 284
.106	الخضر	37، 278
.107	الخضر عليه السلام	278
.108	الخطابي = حمد بن محمد بن إبراهيم	103
.109	الدارمي	267، 324
.110	داود – عليه السلام –	160، 172
.111	الداوودي	172
.112	الدهلوي	13
.113	الديلمي=شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي	184، 212
.114	الذهبي= محمد بن أحمد بن عثمان	23، 240
.115	ذو النون المصري	221
.116	الرازي	239، 312، 372
.117	الراغب	364

م	العلم	الصفحة
.118	الراغب الأصفهاني	364
.119	الرافعي	193
.120	الربيع	81، 153، 165، 330، 435
.121	الرشيد	134، 135، 138، 174
.122	الزبيدي = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق	14، 269، 321، 323، 326، 330، 362، 436
.123	الزجاج	209، 378
.124	الزركشي = محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي	219، 244، 258، 283، 354
.125	الزركشي= محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي	219، 244، 258، 283، 354
.126	الزركلي = خير الدين بن محمود بن محمد	23، 43، 141، 200، 223، 312، 321، 335، 363
.127	زروق	88، 92، 104، 177، 180، 187، 188، 287
.128	زغلول	193
.129	زكريا الأنصاري	203، 426
.130	الزمخشري	45
.131	الزمخشري =أبو القاسم جار الله محمود بن عمر	45
.132	الزمخشري=أبو القاسم جار الله محمود بن عمر	45
.133	زهير	45
.134	زهير بن أبي سلمى	45
.135	زين العابدين	363
.136	زينب	141، 146
.137	سارية = سارية بن زنيم	53، 134، 373
.138	السبكي	23، 51
.139	السعدي	158
.140	سعيد بن جبير	315، 415، 431
.141	سفيان الثوري	278، 285، 363
.142	سلمان الفارسي– ¢ –	74
.143	سهل بن سعد	427
.144	سهل بن عبد الله التستري	254
.145	سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي ثم البصري أبو بشر	245

م	العلم	الصفحة
.146	سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبرالفارسي ثم البصري أبو بشر	245
.147	السيد	ج، 13، 19، 22، 38، 46، 49، 82، 86، 91، 92، 95، 97، 98، 101، 104، 115، 122، 123، 126، 127، 130، 134، 135، 139، 141، 143، 145، 146، 147، 157، 158، 159، 175، 178، 182، 304، 384
.148	السيوطي= عبد الرحمن بن محمد	208، 209، 230، 244، 316، 317، 352، 362، 371
.149	الشافعي = محمد بن إدريس	45، 139، 189، 200، 205، 262، 314
.150	الشبلي	241، 261، 289، 290
.151	شداد بن أوس	184، 315، 415، 431
.152	الشريف الجرجاني	24، 203، 210
.153	الشعراني = عبد الوهاب بن أحمد	49، 245، 293، 379
.154	شقيق	278
.155	شمر	330
.156	الشوكاني = محمد بن علي	371، 381
.157	صديق خان	137
.158	صلة	46، 56، 252، 351
.159	الطبراني =أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير	208، 209، 239، 267، 279، 298، 324، 371، 381، 393، 461، 462
.160	الطبراني=أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير	208، 209، 239، 267، 279، 298، 324، 371، 381، 393، 461، 462
.161	الطبري = محمد بن جرير	39، 460
.162	الطوسي = عبد الله بن علي السراج	137، 205
.163	الطيبي	148
.164	عبادة بن الصامت– رضي الله عنه –	63
.165	العباس	24، 42، 186، 200، 221، 226، 276، 469
.166	عبد الجبار	226
.167	عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه –	54
.168	عبد الرحمن بن عوف– رضي الله عنه –	54

م	العلم	الصفحة
.169	عبد العزيز الدباغ	49
.170	عبد القادر الجيلاني	13
.171	عبد القادر الكيلاني	13، 204، 267، 310
.172	عبد الله بن أبي	149، 152، 186، 223
.173	عبد الله بن أبي قحافة	223
.174	عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –	320
.175	عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه –	320
.176	عبد المجيد الشرنوبي	185، 186، 187، 188
.177	عبد الملك ابن مروان	183
.178	عبد بن حميد	283
.179	عثمان بن عفان – رضي الله عنه –	86، 141، 147
.180	العراقي	23، 244، 426، 436، 451
.181	عطاء	209، 296
.182	علي بن أبي طالب – ﷺ –	185
.183	علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –	226، 310
.184	علي بن أبي طالب –ﷺ–	185
.185	عمر بن الخطاب – ﷺ –	185
.186	عمر بن عبد العزيز	250
.187	عمر رضا كحالة	24، 39، 42، 44، 45
.188	عياض	24، 239، 278، 299
.189	عيسى ابن مريم – عليه السلام –	57، 273، 341
.190	عيسى ابن مريم– عليه السلام –	57، 273، 341
.191	عيسى عليه السلام	285، 485
.192	العيني	48، 299
.193	فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها	374
.194	الفراء	205
.195	فرعون	57
.196	الفضيل بن عياض	278
.197	القاسمي	أ، 175
.198	القاضي عياض	24، 299
.199	القرطبي	342، 363، 488

م	العلم	الصفحة
.200	القشيري= عبد الكريم بن هوازن	61، 204، 223، 230، 241، 242، 250، 251، 260، 262، 263، 270، 278، 279، 289، 293، 309، 311، 312، 313، 314، 316، 336، 472
.201	الكتاني	137، 139، 147، 148، 149، 278
.202	الكرمي	285
.203	لبيد بن ربيعة – ¢ –	261، 397
.204	الليث	265
.205	مالك بن أنس	خ، 241، 279
.206	مالك بن دينار	285
.207	الماوردي	35، 285
.208	المتنبي=أحمدبن الحسين الجعفي	183
.209	المتوكل	270
.210	محمد الغزالي= محمد بن محمد الغزالي	12، 37، 193، 205
.211	محمد الهاشمي	151، 152
.212	محمد بن إدريس الشافعي	200، 314
.213	محمد بن جرير بن يزيد الطبري	39
.214	محمد بن علي الشوكاني	381
.215	محمد صلى الله عليه وسلم	39، 61
.216	محمد فريد وجدي	35
.217	محمود بن عمر الزمخشري	45
.218	مصطفى بن عبد الله	187
.219	معاذ بن جبل	43، 208
.220	المعتصم	166، 167، 314
.221	المعتصم = الخليفة العباسي	166، 167، 314
.222	المعتصم= الخليفة العباسي	166، 167، 314
.223	المعتمد	48، 190
.224	مقاتل بن سليمان	45
.225	المقريزي = أحمد بن على بن عبد القادر	23
.226	ملك الموت	55، 148، 176
.227	المناوي = محمد عبد الرؤوف	262، 426
.228	المهدي	189

م	العلم	الصفحة
.229	الموحدون	58
.230	موسى عليه السلام	222، 263، 278، 279
.231	النخعي	426
.232	النسائي	297
.233	النظام	39
.234	النقاش	27، 71، 494
.235	نوح عليه السلام	41
.236	النووي = يحيي بن شرف بن مري	52، 299
.237	هامان	57
.238	الواسطي	312، 313
.239	وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري أبو عبد الله	240، 244
.240	اليافعي = عبد الله بن أسعد	189
.241	ياقوت ابن عبد الله	84
.242	ياقوت الحموي	84
.243	يوسف – عليه السلام –	231
.244	يوسف القرضاوي	12
.245	يوسف النبهاني	298
.246	يوسف عليه السلام	231
.247	يونس عليه السلام	236

فهرس الموضوعات

المقدمة..... خ
الفصل التمهيدي.....12
توطئة. 12
أولا/ أهمية الدراسة. 12
ثانيا/ أهداف الدراسة. 15
ثالثا/ التعريف بالمخطوط. 18
رابعا/بعض الصعوبات التي واجهت البحث.....25
خامسا/ التعريف بخطة الدراسة.....26
سابعا/ صور بعض الأوراق من المخطوط: 27
المبحث الأول: مفهوم ودلالة بعض المصطلحات ذات الصلة.....34
المطلب الأول: مصطلح الدعوة.....34
أولا: أبعاد إشكالية فهم مصطلح الدعوة.....34
ثانيا: دلالته في اللغة وفي الاصطلاح القرآني.....38
ثالثا: مفهوم ودلالته في السنة النبوية الشريفة. 41
رابعا: دلالتها عند قدامى المفسرين وأصحاب السير.....43
المطلب الثاني: مصطلح التزكية.....45
أولا: مفهومها: 45
ثانيا:حكمها الشرعي.....46
المطلب الثالث: مصطلح التربية.....47
المطلب الرابع: مصطلح التوسل والوسيلة.....48
أولا: الوسيلة لغة واصطلاحا. 48
ثانيا: أنواعـها.....49
ثالثا: الوسيلة بين السبب والمسبب.....53
رابعا: التعبير المجازي ليس كفرا.....55
عقيدة أهل السنة بالوسيلة.....57
عقيدة المشركين بالأوثان.....57

المطلب الخامس: مصطلح الفرقية والجمعية، وجمع الجمع.....58
المبحث الثاني: بعض وسائل التزكية من خلال النصوص. 61
المطلب الأول: الصلاة. 61
المطلب الثاني: الذكر.....62
المبحث الثالث: الحج.....65
المطلب الرابع: الخوف والرجاء.....67
المطلب الخامس: الصحبة.....68
الباب الأول.....76
التعريف بخنقة سيدي ناجي ودورها التاريخي.....76
العلمي والحضاري وفيه فصلان 76
الفصل الأول وفيه خمس مباحث 77
المبحث الأول: مرحلة التأسيس والنشأة.....77
المطلب الثاني: البدايات الأولى لنشأتها. 81
المطلب الثالث: قصة تأسيسها 1010هـ/1602م. 84
المبحث الثاني: المراكز العلمية والدينية.....86
المطلب الأول: الزوايا والمساجد.....86
المطلب الثاني: المكتبات: 89
المطلب الثالث:الكتاتيب القرآنية: 90
المبحث الرابع 106
مكانة الخنقة ووظيفتها الإدارية والسياسية إبان الحكم العثماني.....106
المبحث الخامس 111
خنقة سيدي ناجي إبان الاحتلال الفرنسي و أثناء وبعد الثورة التحريرية. 111
المطلب الأول: الخنقة أثناء الاحتلال الفرنسي. 111
المطلب الثاني: أثناء الثورة التحريرية. 115
الفصل الثاني 126
تعريفات وسير وفيه ثلاثة مباحث 126
المبحث الأول: التعريف بمؤلف الحكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي 126
(1203هـ-1789م/1267هـ-1850م).....126

المطلب الثالث: عودته من الحج ونشاطه بعد وفاة شيخه. 130
المبحث الثاني 158
المقاومة الشعبية، وجهاد الشيخ عبد الحفيظ للمستعمر واستشهاده 158
المطلب الأول: المقاومة الشعبية أثناء احتلال الأوراس وبسكرة:..... 158
المطلب الثاني: مقاومته للاستعمار واستشهاده. 167
أولا: الحكم العطائة نصا..... 182
ثانيا: الحكم العطائية شرحا ونظما وتبويبا..... 184
المطلب الثالث: الحكم الغوثية وشراحها. 184
المطلب الرابع: الحكم الحفيظية وشرحها:..... 187
القسم الثاني: التحقيق..... 191
أولا: شرح الحكم 193
مقدمة الشارح..... 194
من علامات الاستقامة 196
الحكمة الأولى 196
الحكمة الثانية 198
الحكمة الثالثة 199
الحكمة الرابعة 201
من أعظم الآفات 204
الحكمة الخامسة 204
الحكمة السادسة..... 206
حقيقة الذكر: الأنواع والمقاصد 207
الحكمة السابعة..... 207
الحكمة الثامنة..... 212
الحكمة التاسعة..... 213
الحكمة العاشرة..... 216
الحكمةالحادية عشرة..... 220
الحكمة الثانية عشرة..... 221
الحكمة الثالثة عشرة..... 222
الحكمة الرابعة عشرة 224

الحكمة الخامسة عشرة..... 225
الحكمة السادسة عشرة..... 227
الحكمة السابعة عشرة..... 229
الحكمة الثامنة عشرة 230
الحكمة التاسعة عشرة 232
الحكمة العشرون..... 234
المعرفة والمراقبة 236
الحكمة الحادية والعشرون 236
الحكمة الثانية والعشرون..... 238
الحكمة الثالثة والعشرون 241
الحكمة الرابعة والعشرون..... 243
التدبير 248
الحكمة الخامسة والعشرون..... 248
الحكمة السادسة والعشرون 249
الحكمة السابعة والعشرون 250
الحكمة الثامنة والعشرون..... 251
الحكمة التاسعة والعشرون..... 252
الحكمة الثلاثون 252
خرق عوائد النفس..... 255
الحكمة الحادية والثلاثون..... 255
الحكمة الثانية والثلاثون..... 256
الحكمة الثالثة والثلاثون..... 258
الحكمة الرابعة والثلاثون 259
الحكمة الخامسة والثلاثون..... 260
العلم والفهم والعبادة 261
الحكمة السادسة والثلاثون..... 262
الحكمة السابعة والثلاثون..... 263
الحكمة الثامنة والثلاثون 264
حقيقة الأسباب 264

الحكمة التاسعة والثلاثون 264
الحكمة الأربعون 267
آفة الرضا عن النفس 269
الحكمة الواحدة و الأربعون 269
الحكمة الثانية والأربعون 271
حقيقة الصحبة 272
الحكمة الثالثة والأربعون 272
الحكمة الرابعة والأربعون 275
الحكمة الخامسة والأربعون 276
الحكمة السادسة والأربعون..... 277
الحكمة السابعة والأربعون..... 280
الحكمة الثامنة والأربعون..... 281
الحكمة التاسعة والأربعون..... 282
حقيقة الورد والواردات..... 285
الحكمة الخمسون 285
الحكمة الواحدة الخمسون..... 286
الحكمة الثانية والخمسون 287
الحكمة الرابعة والخمسون 290
الحكمة الخامسة والخمسون 291
الحكمة السادسة والخمسون..... 291
مقاصد الصلاة 294
الحكمة السابعة والخمسون..... 294
الحكمة الثامنة والخمسون..... 295
الحكمة التاسعة والخمسون..... 296
الحكمة الستون 297
الحكمة الواحدة والستون 298
الحكمة الثانية والستون 299
الحكمة الثالثة والستون 300
الحكمة الرابعة والستون 301

الحكمة الخامسة والستون 302
الحكمة السادسة والستون..... 303
المؤمن بين الخوف والرجاء..... 304
الحكمة السابعة والستون..... 304
الحكمة الثامنة والستون..... 313
الحكمة التاسعة والستون..... 314
الحكمة السبعون..... 317
العلم والعمل والخشية..... 318
الحكمة الواحدة والسبعون 318
الحكمة الثانية والسبعون 318
الحكمة الثالثة والسبعون 320
الحكمة الرابعة والسبعون..... 322
الحكمة الخامسة والسبعون 323
الحكمة السادسة والسبعون 324
الحكمة السابعة والسبعون..... 324
الحكمة الثامنة والسبعون..... 325
الحكمة التاسعة والسبعون..... 326
الحكمة الثمانون..... 326
الحكمة الواحدة والثمانون..... 328
المعرفة والمشاهدة..... 329
الحكمة الثانية والثمانون 329
الحكمة الثالثة والثمانون 330
الحكمة الرابعة والثمانون 331
الحكمة الخامسة والثمانون 332
الحكمة السادسة والثمانون..... 332
الحكمة السابعة والثمانون..... 333
الحكمة الثامنة والثمانون..... 334
الحكمة التاسعة والثمانون..... 336
الحكمة التسعون..... 338

الحكمة الحادية والتسعون 339
الحكمة الثانية والتسعون 339
الحكمة الثالثة والتسعون 340
الحكمة الرابعة والتسعون 341
الحكمة الخامسة والتسعون 342
الحكمة السادسة والتسعون 343
الحكمة السابعة والتسعون 343
الحكمة الثامنة والتسعون 344
الحكمة التاسعة والتسعون 345
الحكمة المائة 347
حقيقة الكون 348
الحكمة الحادية بعد المائة 348
الحكمة الثانية بعد المائة 349
التلويين والتمكين 350
الحكمة الثالثة بعد المائة 350
الحكمة الرابعة بعد المائة 351
الحكمة الخامسة بعد المائة 352
الفناء وحقيقة الزهد 354
الحكمة السادسة بعد المائة 354
الحكمة السابعة بعد المائة 354
لعلَّمَهُ الصبرَ عندَ البَلاَ 359
الحكمة الثامنة بعد المائة 359
الحكمة التاسعة بعد المائة 360
الحكمة العاشرة بعد المائة 360
الحكمة الحادية عشرة بعد المائة 361
الحكمة الثانية عشرة بعد المائة 361
الحكمة الثالثة عشرة بعد المائة 362
الحكمة الرابعة عشرة بعد المائة 364
استعدادات التربية 365

الحكمة الخامسة عشرة بعد المائة..... 365
الحكمة السادسة عشرة بعد المائة..... 367
الحكمة السابعة عشرة بعد المائة..... 372
حقيقة الشيخ المربي وشروطه..... 375
الحكمة الثامنة عشرة بعد المائة..... 375
الحكمة التاسعة عشرة بعد المائة..... 376
الحكمة العشرون بعد المائة..... 378
الحكمة الحادية والعشرون بعد المائة..... 380
الحكمة الثانية والعشرون بعد المائة..... 381
الحكمة الثالثة والعشرون بعد المائة..... 382
الحكمة الرابعة والعشرون بعد المائة..... 383
الحكمة الخامسة والعشرون بعد المائة..... 384
الحكمة السادسة والعشرون بعد المائة..... 386
الحكمة السابعة والعشرون بعد المائة..... 387
الحكمة الثامنة والعشرون بعد المائة..... 388
الحكمة التاسعة والعشرون بعد المائة..... 388
الحكمة الثلاثون بعد المائة..... 390
الحكمة الحادية والثلاثون بعد المائة..... 392
الحكمة الثانية والثلاثون بعد المائة..... 393
الحكمة الثالثةوالثلاثون بعد المائة..... 393
شروط المريد وآدابه..... 394
الحكمة الرابعة والثلاثون بعد المائة..... 394
الحكمةالخامسة والثلاثون بعد المائة..... 395
الحكمة السادسة والثلاثون بعد المائة..... 397
الحكمة السابعة والثلاثون بعد المائة..... 398
الحكمة الثامنة والثلاثون بعد المائة..... 401
الحكمة التاسعة والثلاثون بعد المائة..... 402
الحكمةالأربعون بعد المائة..... 403
الحكمة الحادية والأربعون بعد المائة..... 405

الحكمة الثانية والأربعون بعد المائة 406
الحكمة الثالثة والأربعون بعد المائة..... 407
الحكمة الرابعة والأربعون بعد المائة 410
الحكمة الخامسة والأربعون بعد المائة 411
الحكمة السادسة والأربعون بعد المائة..... 413
الحكمة السابعة والأربعون بعد المائة..... 414
الحكمة الثامنة والأربعون بعد المائة 416
الحكمة التاسعة والأربعون بعد المائة..... 417
الحكمة الخمسون بعد المائة 418
الحكمة الحادية والخمسون بعد المائة..... 421
الحكمة الثانية والخمسون بعد المائة..... 424
الحكمة الثالثة والخمسون بعد المائة..... 426
الحكمة الرابعة والخمسون بعد المائة 427
الحكمة الخامسة والخمسون بعد المائة..... 428
الحكمة السادسة والخمسون بعد المائة..... 430
الحكمة السابعة والخمسون بعد المائة..... 431
الحكمة الثامنة والخمسون بعد المائة 432
الحكمة التاسعة والخمسون بعد المائة 434
الحكمة الستون بعد المائة 435
الحكمة الحادية والستون بعد المائة..... 438
الحكمة الثانية والستون بعد المائة..... 440
ثانيا: شرح الدعاء والمناجاة 441
المناجاة الأولى 442
المناجاة الثانية 442
المناجاة الثالثة 443
المناجاة الرابعة 444
المناجاة الخامسة 444
المناجاة السادسة..... 445
المناجاة السابعة..... 446

المناجاة الثامنة..... 446
المناجاة التاسعة..... 447
المناجاة العاشرة..... 448
المناجاة الحادية عشرة..... 448
المناجاة الثانية عشرة..... 449
المناجاة الثالثة عشرة..... 449
المناجاة الرابعة عشرة 450
المناجاة الخامسة عشرة..... 451
المناجاة السادسة عشرة..... 452
المناجاة السابعة عشرة..... 453
المناجاة الثامنة عشرة 454
المناجاة التاسعة عشرة 455
المناجاة العشرون..... 456
المناجاة الحادية والعشرون 456
المناجاة الثانية والعشرون 457
المناجاة الثالثة والعشرون 458
المناجاة الرابعة والعشرون..... 459
المناجاة الخامسة والعشرون..... 460
المناجاة السادسة والعشرون 461
المناجاة السابعة والعشرون..... 461
المناجاة الثامنة والعشرون..... 462
المناجاة التاسعة والعشرون..... 463
المناجاة الثلاثون 464
المناجاة الحادية والثلاثون..... 464
المناجاة الثانية والثلاثون..... 465
المناجاة الثالثة والثلاثون..... 466
المناجاة الرابعة والثلاثون 466
المناجاة الخامسة والثلاثون..... 467
المناجاة السادسة والثلاثون..... 468

المناجاة السابعة والثلاثون 470
المناجاة الثامنة والثلاثون 470
المناجاة التاسعة والثلاثون 472
المناجاة الأربعون 473
المناجاة الحادية والأربعون 474
المناجاة الثانية والأربعون 475
المناجاة الثالثة والأربعون 476
المناجاة الرابعة والأربعون 477
المناجاة الخامسة والأربعون 478
المناجاة السادسة والأربعون..... 478
المناجاة السابعة والأربعون..... 478
المناجاة الثامنة والأربعون..... 479
المناجاة التاسعة والأربعون..... 479
المناجاة الخمسون 480
المناجاة الحادية والخمسون..... 481
الخاتمـة 484
الفهارس..... 489
فهرس الآيات القرآنية 490
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... 496
فهرس المصادر والمراجع..... 513
فهرس الأعلام..... 524
فهرس الموضوعات..... 534
ملخصات البحث 545
الملخص العربي 546
1) *Résumédethèse de doctorat* 549
2) **SUMMARY OF THE THESIS** 552

ملخصات البحث

الملخص العربي

هذه الأطروحة تتعلق بدراسة علمية لكتاب من التراث الجزائري، عنوانه: **[شرح الحكم المسماة بغاية البداية في سر حكم النهاية]**، الحكم من تأليف أحد أقطاب التصوف وأحد كبار شيوخ الطريقة الرحمانية الخلوتية في الجزائر، العالم المجاهد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي (1789م/1850م). المؤلَّفُ عبارة عن مجموعة حكم تتألف من مائتي وثلاث عشرة حكمة [**213**] بما فيها الدعاء والمناجاة، وهذه الحكم ألفها صاحبها على منوال الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري المعروفة. أما موضوع هذه الحكم يتعلق بمباحث في التصوف من التربية والسلوك والأدب والأخلاق... التي يجب أن يتحلى بها المسلم السالك إلى مقام الإحسان الذي يبلغ فيه المؤمن أن يعبد الله تعالى كأنه يراه.

أما شارح هذه الحكم فهي لتلميذه العالم الفقيه الشيخ: محمد المكي بن الصديق،(1802م/1849م) الذي كان شرحه شرحا مفيدا بارعا، مجتهدا في توضيح مقاصد الحكم ودلالاتها، أما عن عمل الباحث تجاه هذا المصنف يتألف من قسمين، **القسم الأول:** يتعلق بالدراسة التي تناول فيها الباحث أهمية هذه الدراسة ومدى ارتباط موضوعات المصنَّف وتكاملها بالدعوة وسلوك الدعاة في كل زمان، ولذا قام الباحث في الفصل التمهيدي من هذه الدراسة، بتحديد مفهوم ودلالة المصطلحات ذات العلاقة، كمصطلح الدعوة، ومصطلح التزكية والتربية وكذلك الإشارة لبعض أمهات وسائل الدعوة والتزكية من خلال نصوص الكتاب، كالصلاة والذكر، والخوف والرجاء والصحبة، والمراقبة والمحاسبة، وفي الباب الأول من الدراسة تناول الباحث التعريف بخنقة سيدي ناجي وبدورها التاريخي والعلمي، ابتداء من مرحلة النشأة والتأسيس إلى مرحلة الازدهار والتطور، مع الترجمة لبعض المشاهير من العلماء الذين تخرجوا من الخنقة، ومكانة الخنقة ووظيفتها السياسية والإدارية إبان الحكم العثماني، ووضعها أثناء الاحتلال الفرنسي والثورة التحريرية، وحالتها المزرية بعد استقلال الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية، أما الباب الثاني من الدراسة تناولت فيه التعريف بمؤلف الحكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي طالبا وشيخا ومربيا وداعيا إلى الله، وعالما مؤلفا، ومجاهدا في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وجدير بالذكر هنا أن أغلب الكتابات التي تناولت هذه الشخصية اقتصرت على جوانبها الجهادية وبطولته العسكرية، دون البحث العلمي والأكاديمي الذي يغطي الجوانب الأخرى العلمية منها والتربوية السلوكية والدينية لهذه الشخصية الموهوبة، لذلك نجد المؤلفين الذين تناولوا شخصية الشيخ عبد الحفيظ الخنقي إما كتاب فرنسا العسكريين أو المؤرخين المهتمين بالكتابة

عن المقاومة الشعبية أثناء احتلال فرنسا للأوراس، أو الكتابات الصحفية المناسباتية في بعض الجرائد والمجلات الوطنية عن هذه الفترة من تاريخ الجزائر. إثر ذلك تناولت التعريف بشارح الحكم: تلميذه الفقيه النجيب الذي حاز بين أقرانه التقدم والسبق، الشيخ محمد المكي بن الصديق الخنقي، على قلة المعلومات عن حياة هذا الرجل وشخصيته العلمية، على الرغم من شهرته ونبوغه. ثم ختمت هذا الباب التعريف بالحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري وشروحها قديما وحديثا، وغيرها من الحكم لمناسبتها موضوع محل الدراسة،. لأنهي القسم الأول المتعلق بالدراسة، وأنتقل إلى **القسم الثاني** من البحث المتعلق بالتحقيق، والذي اجتهدت في تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء من حيث الشكل، الجزء الأول يتعلق بنصوص الحكم، والجزء الثاني يتعلق بشرح الحكم، والجزء الثالث يتعلق بشرح الدعاء والمناجاة. أما عن عمل الباحث في التحقيق، هو المقابلة بين النسخ وتسجيل الفروق والملاحظات والتصحيحات، والإشارة إلى الآيات من حيث سورها وأرقام آياتها، والأحاديث الشريفة بإيعازها إلى مصادرها في كتب الحديث والتاريخ والسير والمعاجم والتراجم..، كما قمت بإحالة النصوص الواردة في الكتاب إلى مصادرها، والأشعار إلى قائلها، وترجمت للأعلام مع التفصيل في كثير من تلك التراجم لأني رأيت أن للتفصيل في ترجمتهم ضرورة للإيضاح وتعمق فهم أبعاد الموضوع، وذلك بالرجوع في الغالب إلى أكثر من مصدر من المصادر المعتمدة والمشهورة في الترجمة والسير، ك: (الأعلام) **لخير الدين الزركلي**، و(معجم المؤلفين) **لعمررضا حالة**، و(طبقات الأولياء) **لابن الملقن**، و(طبقات الصوفية) **لأبي عبد الرحمان السلمي**. و(تعريف الخلف برجال السلف) **لأبي القاسم الحفناوي الديسي**، و(نيل الابتهاج بتطريز الديباج) **لأحمد بابا التنبكتي**...، وبالنسبة للكلمات اللغوية الصعبة أو التي لها دلالات في تعميق فهم النص ومراد المصنف، قمت بشرحها بالرجوع إلى أشهر المعاجم المعتمدة في اللغة العربية، وخاصة معجم: لسان العرب **لابن منظور**...، أما بالنسبة للمصطلحات المتخصصة ذات العلاقة بموضوعات البحث فرجعت فيها إلى الكتب المتخصصة ومعاجم المصطلحات ككتاب: التعريفات **للشريف الجرجاني**، و كتاب: معجم المصطلحات الصوفية **لعبد المنعم الحفني**، وموسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل العرفان **لمحمد بن عبد الكريم الكسنزان**، وكتاب: **إحياء. علوم الدين** لأبي حامد الغزالي ....كما قمت بالاستطراد في تحليل وتوضيح بعض المفاهيم التي تخدم موضوع البحث وتثري مباحثه بشكل أو بآخر، وكذلك بعض المفاهيم ذات الطابع الجدلي المختلف فيه في أدبيات الفكر الإسلامي. ثم في الأخير ذيلت التحقيق بمجموعة من الفهارس، فهرس للآيات، وفهرس مفصل للأحاديث النبوية الشريفة التى استشهد بها المؤلف، حيث أذكر فيه الحديث كاملا في أكثر من مصدر وذكر الشواهد لبعض الأحاديث التي لم

أعثر عليها بالنص، وكذلك فهرس للأعلام المترجم لهم، وفهرس للمفردات اللغوية، وفهرس آخر للأماكن والأسماء الترجم لهم، وأخيرا فهرس لأهم المصادر والمراجع والوثائق والتسجيلات والمواقع الإلكترونية التي استعملها الباحث خلال مرحلة البحث.

1) *Résumédethèse de doctorat*

Cettethèse porte surl'étude scientifiquede l'ouvragedu patrimoinealgérien, intitulé :**[L'explication des sagesses appelée « l'importance du début dans le mystère des sagesses finales »].**Ces sagesses sont rédigées parl'un des pôlesde la mystiqueetundes anciens Cheikhs de lamouvanceRahmaniyahAlkhulwatiyaen Algérie, le savant et combattant CheikhAbdulHafeezKhanqi(né en 1789 et décédé en 1850).

Cet écrit est un ensemble de règles comprenant [213] sagesses, parmi lesquelles l'invocation et la supplication. Ces sagesses ont étérédigées par l'auteurdans le même spectre que les fameuses sagesses 'Itaïya d'Ibn 'Ataïllah Iskandariy.

Les thèmes de référence se rapportent au mysticisme dans l'éducation, le comportement, les bonnes manières et l'éthique - mysticisme quidoit être emprunté par le musulman jusqu'à ce qu'il atteigne le degré de bienfaisance qu'atteint le croyant pour adorer Allah comme s'il Le voyait.

Quant au commentateur de ces sagesses, il s'agit du disciple de ce grand savant dans la jurisprudence, le Cheikh Mohammed Makki ibnSiddiq, (1802/1849), qui livre une explicationutile etbrillante, dans laquelle il s'emploie à préciserle cadre dans lequel s'appliquent ces règles et leursimplications. Enfin, pour ce qui est du travaildu chercheurdans cet ouvrage, il se compose de deuxparties :

- **La première** porte sur l'importance de cette étudeetlapertinence des sujetsqui y ont traits ainsi que leur relation avec les activités de prêche et le comportement desprédicateursà toutes les époques.
  C'est pourquoi, le chercheur s'est employé, dans le chapitre introductifde cette étude, à identifierles notionset la significationdes termesqui y ont traits, comme la terminologie du prêche, du domaine de la purification ou encore de l'éducation. De même, en faisant référence à certains éléments majeurs liés au prêche et à la purificationà travers les textesde l'ouvrage, comme la prière et les invocations, la peur, l'espoir, la fréquentation, le contrôleet la responsabilité.

  Dans la première partiede l'étude, le chercheur s'est également employé à présenter la Khanqa du SayyidNadjiet son influencehistorique et scientifique, en partant des prémices de sa naissanceet fondationà l'étape deprospérité et de développement. Et ce, au moyen également de quelques biographies de grands noms de savants issus de la Khanqa, et le statut de cette dernière ainsi que sa fonctionpolitique et administrativeau cours de ladomination ottomane, allant jusqu'à sa situation pendant l'occupation françaiseet la révolutionde libération, etson état déplorableaprèsl'indépendance de l'Algérie et le retourde la souveraineté nationale.

- Quant à **la deuxième partie** de l'étude, je me suis efforcé de présenter l'auteur des sagesses, le Cheikh Abdul Hafeez Khanqi, étudiant, cheikh, éducateur,

appelant à la voie d'Allah, savant, auteur et combattant pour la cause d'Allah jusqu'à son dernier souffle. Il convient de notericique la plupart desécritsqui traitent dece personnagese limitentaux aspects du combatet de son héroïsme militaire, sans le spectre scientifique et académique couvrantd'autres domaines tels qu'éducatif, comportemental ou religieuxde ce personnage ô combien talentueux. C'est ainsi queles auteurs qui ont parlé du Cheikh AbdulHafeezKhanqi sont soit les écrivains militaires français ou leshistoriensintéressésspar les écritssurla résistance populaireau cours de l'occupation française de la région des Aurès, ou encore la littératurejournalistiquepériodique traitant de cette période dans certainsjournaux et magazines nationaux de l'histoire algérienne.

Suite à cela, j'ai procédé à la présentation du commentateur de ces sagesses : son étudiant, l'éminent savant dans jurisprudence, qui s'est illustré parmi ses pairs pour sa supériorité et son niveau avancé, le Cheikh Mohammed Makki ibn Siddiq, malgré le manque d'informations sur la vie de cet homme et de sa personnalité scientifique, en dépit de sa renommée et de son génie. J'ai enfin terminé cette partie par une présentation des sagesses 'Itaïya, du Cheikh ibn 'Ataïllah Iskandariy, et ses commentaires passés et contemporains ainsi que d'autres parmi les sagesses en lien avec l'étude, pour conclure ce premier chapitre.

Je me suis aussi axé dans la deuxième partie à la recherche en lien avec l'investigation, que j'ai choisi de diviser dans la structure en trois parties : la première concerne les textes de ces sagesses, la deuxième vise à commenter ces sagesses et la troisième consiste en l'explication des invocations et des supplications.

Pour ce qui est du travaildu chercheur dansce travail d'investigation, il s'agit de comparer les nombreuses versions de ces sagesses et en consigner les différences avec remarques et corrections et en veillant à noter les références aux sourates et numéros de versets, ainsi qu'aux traditions prophétiques avec leurs sources dansles livres de hadiths, d'histoire, de biographie et les dictionnaires. De la même manière, il a été fait référence aux sources de chacun des textes du livre ainsi qu'un effort pour associer chaque poème à son auteur, contenus dans les sources. J'ai approndi également les biographies des grands savants en partant de plusieurs ouvrages biographiques car j'ai pu constater que la compréhension de toutes les dimensions du sujet nécessitait un approfondissement de leur biographie, et ce, en se référantla plupart du tempsàplus d'une sourceparmi lessourcesfiablesetreconnues dans les biographies et livres d'histoire, tels que : *Al-A'lam* de **Khaïreddine Zarkali**, *Mou'djam al-mouallifine* d'**Omar Reda Kahala**, *Tabaqat al-awliya* d'**Ibn Moulqin**, *Tabaqat As-Soufiya*d'**AbouAbderrahmanSoulami**, *Ta'rif al khalaf birijal as-*

*salaf*d'**AbouQasimHifnawyDissi**, et*Nayl al-ibtihadj bitatriz ad-dibadj* d'**AhmedBabaTounboukti.**
En ce qui concerne le vocabulaire complexe ou avec des connotations nécessaires à l'approfondissement de la compréhension du texte et des objectifs de l'ouvrage, j'ai entrepris de les expliquer en me référant au grand dictionnaire de référence dans la langue arabe : *Lisan al 'arab* d'**Ibn Mandhour**.
Enfin, pour les termes spécialisés en relation avec le sujet de la recherche, je me suis référé aux livres et dictionnaires de terminologie spécialisés tels que : *Ta'rifat* de **Charif Jourjani**, *Mou'jamAl-moustalahat As-soufiya* d'**Abdu Mun'im Hafni**, *Mawsou'at Kasanzan fima Istalaha 'alayhi Ahl al-'urfan***d'Ahmed ibn Abdelkarim Kasanzan** et *Ihya 'Ulum Ad-din* d'**Abou Hamid Ghazali**.

J'ai aussi entrepris l'analyse et la clarification de certains des concepts qui servent le sujet de recherche et qui enrichissent ses tenants et ses aboutissants d'une manière ou d'une autre ; ainsi quequelques-uns desconceptsde nature différentede ladialectiquedans la littératurede la pensée islamique.

Puis, j'ai conclu par un ensemble d'annexes :l'indexdesversets, un annexe détaillé des traditions du prophète Mohammed sur lesquels s'est appuyé l'auteur, dans lequel j'ai répertorié les hadiths avec plusieurs versions ou seulement la partie pertinente quand je n'ai pas cité le hadith en entier, ainsi qu'unindex rassemblantles grands savants que j'ai présenté dans l'étude, un indexde vocabulairede la langue, un autre indexdes lieux et desnomscités dans les biographies, etpour finir,un indexdes sources les plusimportantes utiliséeset des références, des documents, des enregistrements et dessites web dont j'ai fait usageau cours de cette étude de recherche.

2) SUMMARY OF THE THESIS

This thesis is concerned with an academic study to a book from the Algerian heritage titled "Sharh El-hikam Al-mosamet Bi Ghayt EL-Bidaya Fi Sir Hokm El-Nihaya", which means "The Explanation of The Aphorisms of the object of the beginnings towards the wisdoms of the endings". These aphorisms were written by one of the well-know leaders of the Tariqa Rahmanya khalwatya in Algeria: The combatant scholar Sheikh Abd-Al-Hafidh Al-khangui (1789-1850).The book holds 213 aphorisms written as the famous aphorisms of Ibn Ata-AllahAskandari including supplications and invocations. The general theme is the studies of Sufism such as education, behavior, manners and morals…that must be characterized by a musilm walketh to the level (maqam) Al-Ihsanwhere the believer worships Allah like if he sees him.

The explanations of these aphorisms were done by his student thescholar Muhamed Al-mekki Ben Sedik (1802-1849) who were very usefull in clarifying the meanings and the objects of these aphorisms. The work of the researcher is compsed of two parts:

The first part contains the importance of this study and the level of relevancy and integration of the subject to Da'wah(the call to islam) and the behaviors of the Dua'at (callers to islam) throughout time.Therefore, the researcher , in the intoduction, determines the terms related to the theme as : Da'wah, Tazkya (purification) and education. Also, some important tools for Da'wah and Tazkiya in the texts, such as: praying, suppilication, fear, hope, company, surveillance and accountancy.

The first chapter introduces the town of KhanguetSidiNadji and its historical and knowledgeabale role starting from the establishement to its prosper and development. In addition to the biography of some notable scholars, its political and administrative position during the Ottoman rule, its situation during the Frenchcolonization, its bad conditions after the Algerian independence.

The second chapter tackled the biography of the author as a student, sheikh, educator, Da'ya (caller to Allah), authorand combatant. It is important to say that all the previous writings about this figure dealt only with its military and heroic sides, without focusing on the religious manners and educational aspects of this talented person. Hence, the authors who were interessted in writing about Sheikh Abd-Al-HafidhAl-khangui were either French military authors or historian's interessted in the popular resistenceduring the colonisation of Awres, or some occasional articles in newspapers or national magazines about this period of the algerian history. And the biography of his student the faqihMuhamed Al-mekki Ben Sedik Al-khangui.Inspite of his fame and excellence, there were shortage of information about his life as a scholar. To conclude this chapter, the research defined the aphorisms of Ibn Ata-Allah and its old and new explanations. And other aphorisms that are related to the theme studied.

The second part: the edition of the book, divided into three chapters regarding the form; the first chapter: the texts of the aphorism, the second chapter: their explanation,

the third chapter: the explanation of supplications.

The researcher worked on comparison between the copies and noted the differences, remarks and corrections. and indicated the Ayat (verses) by mentioning its Surah and its number. And the prophetic sayings by referring to its sources in Hadith, historical books, dictionaries and biographies..etc.

The researcher cited the texts in their source and poems to their poets and he put the biography of many famous people with details because of the necessity to clarify the dimensions of the subject. By referring to more than one source in biographies.For instance "AL-Aalam" of "khayreddineAzarkali", "Mo'jam Al-Mo'alifin" of "Omar RidhaKahala", "Tabaqat Al-Awlyaa" of "Ibn AL-Molakin", "TabaqatAs-Sufia"of "Abu-Abd-Arrahman As-Salami", "Ta'rif Al-khalef Bi-Rijal As-Salaf" of " Abu Al-Qasim Al-HafnawiAdisi" and "Nail Al-Ibtihej Fi TatrizAdibej" of " Ahmed Baba At-Tonboukti"…

The researcher also explained the difficult terms involved in widening the understanding of the texts and the object of the book; by referring to the most popular dictionaries in Arabic language especially the dictionary "Lisan Al-Arab" of "Ibn Mandhour"…etc. As for the specialized terms relating to the themes of the texts, He referred to the specialized books and the glossaries as: "At-Ta'rifat" of "Al-jorjani" and "Mo'jam Al-Mostalahat As-Sufia" of "Abd-Al-Mon'im Al-Hfni", "Mawsou'at Al-Kasnazan Fima istalaha Alayhi Ahl Al'irfan" of "Muhamed Abd-Alkarim Alkasnazan", "Ihya'a Oloum Eddin" of "Abou-Hamed AL-Ghazali". He focused on explaining and analyzing some concepts that enrich the theme and some controversial aspects in Islamic literature.

Finally, there searcher finished by adding a group of indexes: One for verses , another more detailed for the Hadiths of the prophet that were mentioned by the author where he rewrote the hole hadith from more than one source and examples of some hadiths that their texts were not found. An index of leaders and another for vocabulary and terms. At least, an index for places, the most important sources, documents, records and websites used in this work.